الدكتور محمد عبد الغنى سعودى



فى

شخصية القارة شخصية الأقاليم

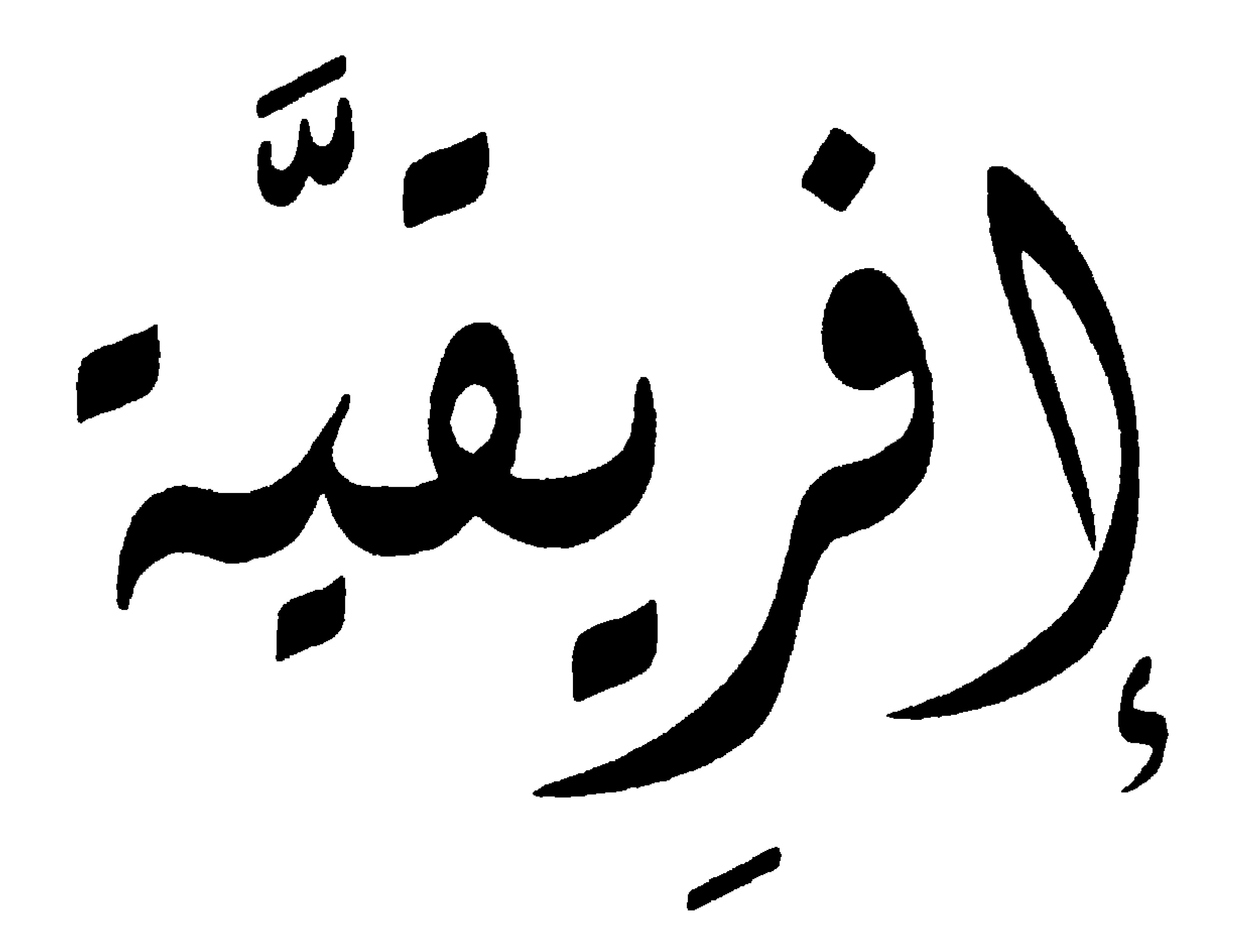


مكتبة الأنجلو المصرية



الدكتور محمد عبد الغني سعودي

معهد البحوث والدراسات الإفريقية
جامعة القاهرة



الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد – القاهرة

أسم الكتـــاب: أفريقيـــة
أسم المؤلف: د/ محمد عبد الغني سعودي
أسم الناشر: مكتبة الانجلو المصرية
أسم الطـــابع: مطبعة محمد عبد الكريم حسان
رقـــم الايـــداع: 9323 لسنة 2004
الترقيم الدولي: I-S-B-N 977-05-2043-8

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

١

في شخصية القارة

إذا كانت هناك اختلافات في تعريف علم الجغرافية، فإن أكثر التعريفات ذيوعا وانتشارا في علم العلاقة بين البيئة والإنسان، فالبيئة وجه للعملة، والإنسان هو الوجه الأخر، من ثم كانت الجغرافية علم رصد وتحليل وتوزيع الظاهرات الطبيعية على سطح الأرض، وهكذا الحال في الظاهرات البشرية، ثم التفاعل بين وجهي العملة، وكل هذا يعتبر وسيلة لهدف، هذا الهدف هو إبراز التباين المكاني بين أجزاء الأرض وما عليها، وهذا التباين المكاني ***Areat Differentiation*** وهذا الهدف يعتبر هدفا أوليا يؤدي على هدف أكبر وهو إبراز شخصية الأقاليم، أي بما يتميز كل إقليم عن الآخر؟ وما الصفات التي تجعل هذا الإقليم منفردا ما يميزه؟
وما هي العناصر التي أعطته هذا التفرد، بحيث جعلت له شخصية خاصة؟
ولما كان الإقليم موضع هذا الكتاب هو قارة، إذن فالبحث يقتضي البحث عن عنصر تفرد هذه القارة والتي تجعلها ذات شخصية مستقلة وتختلف عن غيرها من القارات، بحيث إذا ذرت هذه العناصر أو المفردات، يمكنك أن تقول بأنها لاشك إفريقية؟

إفريقية هي أكثر القارات تحديدا، على عكس أوربا مثلا التي يختلفون في تحديدها، هل تنتهي عند الاورال أم قبل ذلك، أو بعده؟ أو الأمريكتين، أين تنتهي كل منهما، وبينهما برزخ يصلهما أطلق عليه أمريكا الوسطى ، اما إفريقية، فهي القارة الكتلة المتماسكة، شبه الجزيرة الضخمة ، تتصل بجارتها أسيا بمسافة لا يزيد طولها على مائتي وأربعين كيلو مترا ما بين العقبة والبحر المتوسط، ومن السهل تحديدها عن قارات أخرى لتماسكها وقلة تعاريجها وجزرها.

ولإفريقية شخصيتها المتميزة الواضحة خاصة فى ظروفها الطبيعية، فالقارة ظلت وقاومت في معظمها الغمر البحري ملايين السنين، ومن ثم كانت صخورها الغالبة هي الصخور الصلبة والبنية القديمة، وتفريعا من هذا كانت الانكسارات والأخاديد تحفر وجه القارة،وان تنوعت نشأتها، وتباينت أسبابها، على حين اصطفت الالتواءات على أطرافها في المغرب وجنوب إفريقية وبعيدا عن القلب فقلبها جامد!!

ولا تمثل الالتواءات في بنيتها قدرا كما هو الحال في آسيا، أو العالم الغربي. تميزت أيضا بالقباب والأحواض، التي تشغل بطن القارة، وتؤثر في تصريفها المائي بشكل كبير بنصيب إفريقية منها ستة أحواض، وتعتبر ضمن اكبر أحواض العالم وان كانت ليست أغزرها ماء، النيل أطولها جميعا، وان استحى تصريفه أمام تصريف الكنغو.
ويعلو ويرتفع جنوبيها وشرقيها عن شماليها وغربيها بحيث يميز الجغرافيون بين إفريقية العليا، أي المرتفعة، شاملة الجنوب والشرق، وإفريقية السفلي وتضم الشمال والغرب بصورة عامة، وان كان يتمثل فى كل جزء الشديد الارتفاع والشديد الانخفاض فى مواضع محلية.

*****

تميزت القارة موقعا بأنها تعتلى خط الاستواء، أو هو يكاد ينصفها ، تمتد منه شمالا مسافة ٤١٥٠ كيلو مترا ، وتمتد منه جنوبا مسافة ٣٨٦٠ كيلو مترا ، وأن كان ذلك الخط لا ينصفها مساحة، فأفريقية شماله تكاد تكون ضعف أفريقية جنوبه، وكان لهذا الامتداد أثره في تناظر الأقاليم المناخية والنباتية أو تكاد جميع الأقاليم ممثلة شمال خط الاستواء وجنوبه مع قليل من التعديل نتيجة ظروف طبيعية، كما كان له آثره في أن ثلثي القارة اصبح بين المدارين بحيث استحقت القارة بأن تكون اكثر قارات العالم حرارة بجدارة خاصة في صحرائها الكبرى التي تمثل نحو ربع صحارى العالم الحارة بمســـاحة ٨ مليون كم٢، ولعل هذا أوضح ما يكون في الجوف الجزائري بل وإذا عدلت درجات الحرارة إلى منسوب سطح البحر، ستجد أن ثلثي القارة تزيد حرارته على ٢٧م، فضلا عن أنه لا يوجد جزء في القارة ينخفض متوسط الحرارة الشهري فيه عن ١٠م ، من ثم تسودها أيضا التربات والنباتات المدارية بل لضيق القارة جنوبي خط الاستواء، واتساعها في شماله فضلا عن عامل الارتفاع الذي يغلب على القسم الأول، والانخفاض الذي يغلب على القسم الثاني، أن متوسط حرارة القسم الجنوبي أقل من متوسط حرارة القسم الشمالي، بحيث تصبح أعلى قمة للحرارة فى الصحراء الجزائرية كما ذكرنا .
ولعل التنوع في ظروفها الطبيعية مما يميزها ، وهذا أمر مفروغ منه في قارة تبلغ ٣٠,٣ مليون كيلو متر مربع من الرأس الأبيض في تونس إلى رأس أجولهاس في

جنوب إفريقية، وتمتد لمسافة تزيد على ٧٥٠٠ كيلو متر من الرأس الأخضر في السنغال إلى رأس جواردفوى فى الصومال.

*****

وتاريخ إفريقية القديم هو تاريخ الحياة البشرية الأولى على سطح الأرض وتطورها عبر فترة تقدر على الأقل بنحو ثلاثة ملايين من السنين، لأنه اصبح من المسلم به الآن، وعلى نطاق واسع بأن إفريقية هي مهد الإنسان، بفضل أبحاث وحفريات دكتور ليكى *L, S, B, Leaky* وزوجته في شرقي إفريقية واكتشافه في يوليو ١٩٥٩ لجمجمة حفرية لنوع بشرى (أما مخلوق بشرى أو من اسلاف البشر) يرجع تاريخه إلى ما يقرب من مليوني عام، وقد وجد بجانب الجمجمة الآلات الحجرية وقطع من عظام الحيوانات، وهو الذي أطلق عليه القرد الجنوبي أو كاسر البندق *nutcracker* لضخامة ضروسه أو الإنسان الصانع. وحتى في اكتشاف الإنسان العاقل وهو هنا يرجع إلى ٥٥ أو ٦٠ ألف عام، بينما نظيره في أوربا يرجع إلى ما يتراوح بين ٣٠ ، ٤٠ ألف عام، لذلك من المحتمل، كما قال بازل دافيدسن أن القارة الإفريقية هي أم وأب البشرية.

*****

تميزت القارة بتخلخل كثافتها السكانية، فهي لا تضم سوى ١٠% من سكان العالم على حين أنها تشمل ٢٢,٣% من مساحة يابسة، ورغم أن القارة تستحوذ على معدلات عالية في المواليد تبلغ في المتوسط ٤١ في الألف، بينما تنخفض هذا المعدل في آسيا إلى ٢,٣ في الألف، فما زال سكان إفريقية أقل من نصف سكان الصين أو الهند أو أوربا بما فيها الاتحاد السوفيتي. ومن ناحية أخرى تدور الكثافة الريفية حول ١٤٥ نسمة للكم[٢] (بالمقارنة بنظيرتها في العالم ١٧٨ نسمة)، وهى أعلى من نظيرتها في أمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتي، وان كانت أقل من نظيرتها في آسيا.

تميزت القارة بتنوعها البشرى، وان غلبت عليها السمره، من ثم أطلقوا عليها السمراء، ومع ذلك عرفت اللون الأبيض في الشمال الشديد البياض ومع الأوربيين الوافدين، كما عرفت الأصفر ممثل في الهنود بل وفى الصين والجاوبيين وان كان ما يميزها حقيقة من جوانبها البشرية هو أنها تضم اقدم أنواع للجنس البشرى

ممثلا في الأقزام والبوشمن، وإذا كان الأقزام فيها يمثلون أقصر سكان العالم، فان أطولهم يتمثلون فى الواتوتسى (رواندا وبوروندي) وكذلك في نيلي أعالي النيل.

*****

وتعتبر أفريقية من أكثر القارات تعيدا من الناحية اللغوية ويقدر عدد اللغات في أفريقية ما بين ٨٠٠ ، ١٥٠٠ لغة ولكن ليس منة هذا أن هناك ١٠٠٠ جزيرة لغوية منعزلة عن بعض، وأن أفراد هذه الجزر لا يستطيعون الاتصال بين بعضهم وبعض، ذلك أن ثنائية اللسان أمر معروف لدي الأفارقة، بل وأحياناً ثلاثية اللسان بعد إدخال لغة المستعمر، كما ظهرت في أفريقية لغات التفاهم المشترك التي تنتشر في مساحات واسعة كالسواحيلية في شرقي أفريقية، والهوسا في غربيها. وأدى هذا التعدد اللغوي إلى اعتراف الدولة الأفريقية بعد الاستقلال بهذا التعدد اللغوي، إرضاء للاثنيات المتعددة، فعلي سبل المثال اعترفت جمهورية جنوب أفريقية باحدى عشر لغة.

*****

تتميز إفريقية بتعايش اقتصادين مختلفين معا، وعلى طرفي نقيض، اقتصاد معيشي، واقتصاد نقدي تبادلي، وعلى الرغم من أن الأول هو السائد، فان معظم الاقتصاديات الإفريقية في حالة انتقال بين النوعين، النوع الأول إنتاج غذائي للكفاية، والثاني للتصدير.

وفى هذه المساحة الضخمة لا يزيد المخصص للزراعة على ٨% بينما تشـــغل المراعى و المستنقعات نحو ٢٠%، وتقل مساحة الغابات عن ربعها بينما الباقي غير مستخدم ويبلغ نحو ٤٨% من مساحتها.

ومازالت الزراعة هي حرفة معظم الأفارقة، قدرت نسبة العاملين بالزراعة وصيد السماك وتربية الحيوان فيها ما بين ٩٠% في دول إقليم الساحل، ٣٠% في جنوب إفريقية وليبيا، بينما تتراوح بين ٦٠% ، ٨٠% في معظم دول إفريقية المدارية.

وهناك ثلاثة أقاليم زراعية رئيسية في القارة، تستمد خصائصها من التنوع المناخي فيما بينها، نطاق المطر الشتوي وما يرتبط به من حبوب وزيتون،والنطاق المدارى وما يرتبط به من درنيات وكاكاو وزيت، ونطاق شبه مدارى في وسط وجنوب القارة يزرع الذرة والدخن أساسا، ويقدر أن ٤٠% من رعاة العالم هم من الأفارقة

و إن كان عددهم يزيد على ٥% من سكان القارة، ويمتدون في قوس يحيط بإقليم الغابات المدارية حيث تنتشر الحشائش وقد تقع دول بكاملها في هذا النطاق، كما في موريتانيا والصومال حيث ترتفع نسبة الرعاة إلى ٧٠% من السكان، ومع ذلك ولا سباب متعددة تدرس فيما بعد ، نجد أن إفريقية ليست قارة اللحوم.
أما الصناعة فنصيبها ضئيل، يتراوح نصيبها بين ١% ، ٢٩% من الناتج المحلى للدول الإفريقية، وتأتى فى القمة جمهورية جنوب إفريقية ومصر، وفى الحضيض ليسوتو، وان كان العقد السادس قد شهد نموا في بعض الصناعات التي تصلح للاستهلاك المحلى والتصدير في آن واحد كتكرير البترول، وصناعة الأسمنت والأسمدة.

*****

هي قارة الديون ، فقد بدأت بنحو ٨٤ مليار عام ١٩٨٠ لتسمو إلى ٢١٢ مليار عام ١٩٩٤ لإفريقي جنوب الصحراء، أما لإفريقية ككل فقد ارتفعت من ١٣٨ مليار إلى ٣١٣ مليار شفى العامين المذكورين، ناهيك عن خدمة الدين، واختلف الأمر فأسعار معظم الصادرات الإفريقية أصبحت فى هبوط مستمر وقل الطلب عليها، ففي ظل التقنينات الحديثة وثورة العلم، قلت الأهمية النسبية للمواد الخام، بوجه عام من قطن ونحاس وغيرها، بل وحتى البترول، التي كنا نحسد دولها، هبطت أسعار بترولها إلى ٤٧%، ومع هذا الانخفاض في الصادرات كما وقيمة، ترتفع فاتورة الواردات، بل تعلو وتعلو ، والأكثر طرافة أن المواد الغذائية أصبحت بندا أساسيا، أن لم تكن رئيسيا في هذه الفاتورة، بعد أن كانت دول القارة أقرب إلى الاكتفاء الذاتي من قبل، وكانت النتيجة هو ما يعبر عنه الاقتصاديون بتدهور شروط التجارة، ***Detriorating Terms of Trade*** بالنسبة لدول القارة.

*****

ظلت القارة مجهولة بالنسبة للأوربيين، استعصت عليهم، وصدتهم عنها زمنا، بسبب قلة موانيها الطبيعية، لوصول الصحراء إلى ساحلها أو لسمو جبالها، وخشية من أمراضها التي لم يتعودوا عليها، حتى القرن التاسع عشر حين اشتد المد الأوربي، وأصبح التدافع الأوربي على إفريقية أو التكالب الجنوني، وكان مؤتمر برلين (١٨٨٤ - ١٨٨٥) الذي فرض القوى الاستعمارية على أرجائها المختلفة،

وفرض عليها توجها نحو الخارج أو نحو الأوطان الام، فرنسا أو بريطانيا ....الخ، وما تبع ذلك من إنتاج، ونقل موجه، وتراث استعماري، ظل حتى بعد الخروج، ممثلا في لغات رسمية أجنبية، واقتصاديات تابعة، بل ونظم إدارية، وتشريعية أوربية. بل وحتى في ذك العدد الضخم من الوحدات السياسية الذي بلغ ثلاث وخمسين، وقع منها حبيسا أربع عشرة وحدة، وهو بالتالي أكبر عدد من الوحدات الحبيسة في قارة من القارات، وكما دخل الاستعمار القارة سريعا، كان خروجه منها سريعا ودراماتيكيا عقب الحرب العالمية الثانية، حين بدأت إرهاصات التحرير، فلم يعرف العالم في إفريقية دولا مستقلة عام ١٩٤٥ إلا أربع وهى مصر وأثيوبيا وليبريا وجنوب إفريقية، ارتفع إلى تسع عشرة دولة عام ١٩٥٩، ثم كان غروب عام ١٩٦٠ إيذانا بشروق الاستقلال على ست عشرة دولة جديدة دفعة واحدة، واستمر المد التحرري و كان أخرها استغلال إرتيريا ، وحصولها على الاستقلال عام ١٩٩٣ ، كما حصل الأفارقة الذين يمثلون الغالبية في جمهورية جنوب إفريقية على حقهم في السلطة في نفس العام حتى استحوذت إفريقية وحدها الآن على ما يقل قليلا عن ثلث مجموع أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة بحيث ظهرت الشخصية الإفريقية على المستوى الدولي. ليس معنى هذا أن إفريقية كانت قبل التقسيم الاستعماري وحدة واحدة، بل كانت مقسمة بين القبائل، لا بين الدول. تفصلها التخوم، لا الحدود، ولكن الحدود السياسية الحالية ترجع إلى المد الاستعماري وانحساره، والذي كان من نتيجته أيضا دول مختلفة أشكالها وأحجامها، دول ضخمة المساحة كالسودان ، كبيرة المساحة ضخمة السكان كنيجيريا مخلخلة السكان كليبيا، صغيرة المساحة كثيفة السكان مثل رواندا، وصغيرة المساحة مخلخلة السكان مثل جابون، فضلا عن دول عديدة متوسطة المساحة، ومع ذلك فان هذا التنوع لا يخفى أن معظم الدول الإفريقية صغيرة، على الأقل في سكانها وإنتاجها وان لم يكن في مساحتها.

شكل رقم (١) : افريقيه السياسية



وتتعدد النظم السياسية في إفريقية وتتنوع، وغلب الحكم الجمهوري، حتى لم يبق سوى المغرب ملكيا.

*****

وإذا كانت هذه النظم والوحدات السياسية تتميز بعدم الاستقرار، فان هذا يرجع في جزء منه إلى تنوع السكان داخل كل وحدة سياسية، والى توزيعهم غير المتساوي في أنحاء تلك الوحدة أو تلك، فمعظم الدول الإفريقية تضم مساحات تكاد تكون شبه خالية من السكان، مع تركيز لهم فى مناطق معينة، مما يؤدى إلى صعوبة التكامل والتوحيد السياسي فإذا أضفنا أيضا الولاء القبلي أو الولاء القرابى، من ثم يصبح الولاء المتعدد هو القاعدة لا الاستثناء، حتى في الدول الصغيرة المساحة كأوغندا أو سيراليون، فما بالك بنيجيريا وزائير وأثيوبيا، هذا وان كان يجب أن نستدرك ونقول بأن هذه الظاهرة اكثر انتشارا في إفريقية المدارية ، ولا تجد لها صدى في إفريقية الشمالية، فبمجرد ما يتولى أحد أبناء قبيلة سدة الحكم حتى يترصد له أبناء القبيلة الأخرى، وينتهزوا الفرصة للقضاء عليه وعلى نفوذ قبيلته، من ثم تنهار الدولة، وبعدما كنا نعرف عن الإغريق الدولة المدينة، تطورت الفكرة عند الأفارقة إلى الدولة القبيلة، من ثم عرفت أن القارة هي قارة الانقلابات بامتياز، ولما كان العسكر هم أولوا القوة والسلاح، فكل شئ حين يحين الحين المباح، لذلك كانت الانقلابات العسكرية التي تراق على جوانبها الدماء، ومعظمها انقلابات حمراء، ويكون من حسن حظ الحاكم المتآمر عليه أن يستطيع أن يفر بجلده وأمه وأبيه وولده وبنيه إلى بلد يحميه.

واستطرد قولا، فحكام الدول الإفريقية في غالبيتهم سحبت كراسي السلطة من تحتهم بهذه الطريقة، باستثناء سنجور وكواندا، ونيريرى، كلهم مارسوا الصعود الى الهاوية، أن الروح القبيلية تملى على الذي يتولى السلطة أن يحابى قبيلته، ويقطع أكبر جزء من الكعكة ويضعها في فم أقاربه وأعوانه، وهؤلاء يجدونها حلوة المذاق ، فيسألون هل من مزيد ؟ وبالتالي لا يبقى للقبائل الأخرى، إلا النذر اليسير، وينزوى أهل الخبرة مما يثير الحقد، ويساعد على التحفز، حتى يقضى الأمر، وهو مجبر على هذا لأنهم عونه وعزوته، أن تخلوا عنه أصبح وحيدا أعزلا، فريسة سهلة للآخرين أي أن هناك تحالف غير مقدس، تحالف مصالح، ويزيد الطين بله ما

يقوم به هؤلاء من بطش بحكم مواقعهم الرئيسية من السلطة، ونهب، وتهريب، بحكم هذه المواقع أيضا ، ويذكر تقرير مكتب أرثر أندرسن الذى يقوم بمراجعة حسابات (شركة البترول الوطنية النيجيرية) أن هناك صندوق خاص يعرف بصندوق الطوارئ، مخصص له قيمة بيع ١٠٠ ألف برميل بترول يوميا، يبحث المكتب عن هذه القيمة في كل مكان، فلا يجد لها أثرا ، وثبت أن المائة ألف برميل تصدر في ناقلات صغيرة إلى الدول المجاورة، أما قيمتها لا يعلمها إلا عالم الأسرار، هذه الدول مستعمرة فعلا من قوى حاكمة يفترض فيها بحكم النشأة والجنسية أنها وطنية، ولكنها بفعل السلوك والمواقف أشد من الاستعمار ويذكرنا هذا بقول الشاعر طرفه بن العبد حين يقول :

وظلم ذوى القربى أشد ضراوة على النفس من وقع الحسام المهند هكذا من عيدي أمين موديل ١٩٧١ الى موبوتو موديل ١٩٩٧، ومابينهما من ودوداجاورا، ومنجستو هيلى مريام، وسياد برى، وصمويل دو، ولا ننسى بوكاسا الذي كان يستطعم الأوازى من لحوم البشر.

تتحول الدولة إلى خنادق تتقوقع فيها القبائل والشعوب، انتظارا لوقت يفلت فيه الزمام، فتقضى على بعضها : الصومال، ليبيريا، أنجولا، موزمبيق، رواندا، بوروندى، والأخيرة بلغت مأساتها الذروة عام ١٩٩٤، حين قتل ما يقرب من ٨٠٠ ألف من بوروندى ونحو نصف مليون من هوتو رواندا، ولاننسى ما حدث لنهر كاجيرا التي كانت تتسابق فيه جثث القتلى مع الأسماك لتنتهى فى بحيرة فيكتوريا وانزعجنا في مصر خشية الأوبئة من تلوث المياه ولم نكن نعرف أنه لايؤثر فينا، وإنما كانت هذه الجثث لحما طريا لأسماك فيكتوريا.

*****

وقد استغلت القطبية الثنائية فيما مضى هذا الوضع، فإذا ما استقطب الاتحاد السوفيتي (سابقا) شيعة استقطبت الولايات المتحدة الأمريكية شيعة أخرى، وكل يمد شيعته بالقوة والعتاد، فهي حرب بين القطبين، ولكن بأرواح وأجساد الآخرين وأحيانا كان هذا يتم بمقياس أكبر على مستوى الدولة ، فإذا كانت أثيوبيا في فترة ما شيعة الأمريكيين، تصبح الصومال من شيعة السوفيت ثم يتحول الموقف لتجلس أثيوبيا على الحجر السوفيتي والصومال على الحجر الأمريكي .

وتحطمت القطبية الثنائية بتحطم سور برلين ١٩٨٩، فتهشمت القارة وشعوبها ولم يعد لهم دلال، لأنه لم يعد هناك ما يقتضي بالتضحية بالنفس أو المال، أما النواحي الاقتصادية فيتكفل بها رجال الأعمال، فهم بشئون الربح والاستنزاف أدرى، لذلك تكالبت الشركات المتعددة الجنسية، وتكالب السماسرة، ولديهم قرون استشعار لا تخيب، فبلغوا كابيلا قبل أن يبلغ كنشاسا، وأصبح الاقتصاد نجما والسياسة كوكبا.

*****

ولا يذكر اللاجئون إلا وتذكر إفريقية الحروب الأهلية، والصراعات العرقية، وتراوحت أعدادهم بين ٧ ، ٨ مليون نسمة، أي أن هذه القارة تجمع نصف لاجئ العالم أجمع، فضلا عن ٢٠ مليون نازح ***displaced*** معظمهم من الأطفال والنساء وكبار السن.

*****

وليس من شك في أن تكلفة الحروب الأهلية باهظة بالنسبة للدول الغنية، فما بالك بالنسبة لدول كانت قابعة تحت مظلة الاستعمار يستنزف دمها، وحين خرج منها لم تكن تملك بنية مناسبة، ولم تن لديها كوادر فنية وإدارية، فإذا هذه الحروب الأهلية تعوض ما تبقي، وتزيد في الخراب، الطرق، الكباري، الخطوط الحديدية، مولدات الكهرباء، السيارات، الشاحنات، ونهب وسلب لكل ما تقع عليه أيدي الفرق المختلفة، مما يؤدي إلى المجاعات، على سبيل المثال اكتسحت المجاعات الصومال الجنوبي في موسم ١٩٩٣/١٩٩٢ بعد ستة شهور من نهب مخازن الحبوب، وتدمير البنية الزراعية التحتية والمضخات والآلات، وتوقف العمليات الزراعية، وسرقة الحيوانات بواسطة القوات الموالية للرئيس السابق سياد بري، ومن كوارثها أيضاً استغلال الغابات بطرق عشوائية بواسطة اللاجئين سواء للمساكن أو للوقود.

وأخيرا وليس آخراً استغلال كل ما يقع في أيدي الفرق المختلفة من موارد وتهريبها للحصول على السلاح، كما فعل سنكوح في ماس سيراليون، وكما فعل آخرون في اقتناء الثروة الحيوانية البرية كالفيلة للحصول على العاج، والخرتيت للحصول على سنه أيضاً، قدر عدد الفيلة في موزمبيق عام ١٩٧٥ بنحو ٦٥ ألف رأس هبطت بعد الحرب إلى ١٥ ألف رأس، ودلت المؤشرات على أن القوات

المتحاربة كانت تبيع سن الفيل إلى جنوب أفريقية مقابل السلاح، هذا فضلا عما يترك من الغام بعد إنتهاء الحرب، ومن بقايا قذائف لم تنفجر (وتقدر بصفة عامة بنحو ١٠٥ من مجموع القذائف التي تطلق) أدركنا حجم الخسائر البشرية، وأعداد المعوقين الذين يحتاجون إلى إعانة ناهيك عن الهالكين، وقدرت عدد الألغام في أنجولا بنحو ٩ مليون لغم وفي موزمبيق بنحو ٢ مليون، وفي الصحراء الغربية من ١ ــ ٢ مليون، وفي الصومال بنحو ١ مليون لغم.

شكل رقم (٢)



الأعــداء الثلاثــة

ولا يقل مركزها في نصيبها من مرض الإيدز ***Aids*** عن نصيبها من لاجئ العالم، و المقصود به هو مرض فقدان المناعة المكتسبة ، وهذه الحروف أختصار للأسم الافرنجى ***Acquired Immuno Deficiency***، فيروس يصيب أجهزة المناعة في الإنسان فيشلها عن العمل، وبالتالي يصبح جسم الإنسان مرتعا للفيروسات الأخرى، تمرح فيه وتلعب دون مقاومة، من ثم نجد منهم من ألتهب جلده، ومنهم من أصيب بالدرن، ومنهم من أصيب بالهزال، ومنهم من أصيب بالحمى المخية الشوكية، ومنهم من أنهكته الأمراض التناسلية قال إذا كان عدد المصابين بهذا المرض في العالم نحو ١٤ مليون عام ١٩٩٥، فثلثي هذا العدد من الأفارقة أي أن إفريقية وحدها لها منه نصيب الفيل، هذا غير مرض النوم الذي تتضرر به أفريقية دون غيرها من الأمراض وعلى رأسها أم الأمراض وهي الملاريا.
بعد هذا العرض لملامح الشخصية، دون ذكر أنها لإفريقية، سيقول القارئ إنها قطعا .... إفريقية.



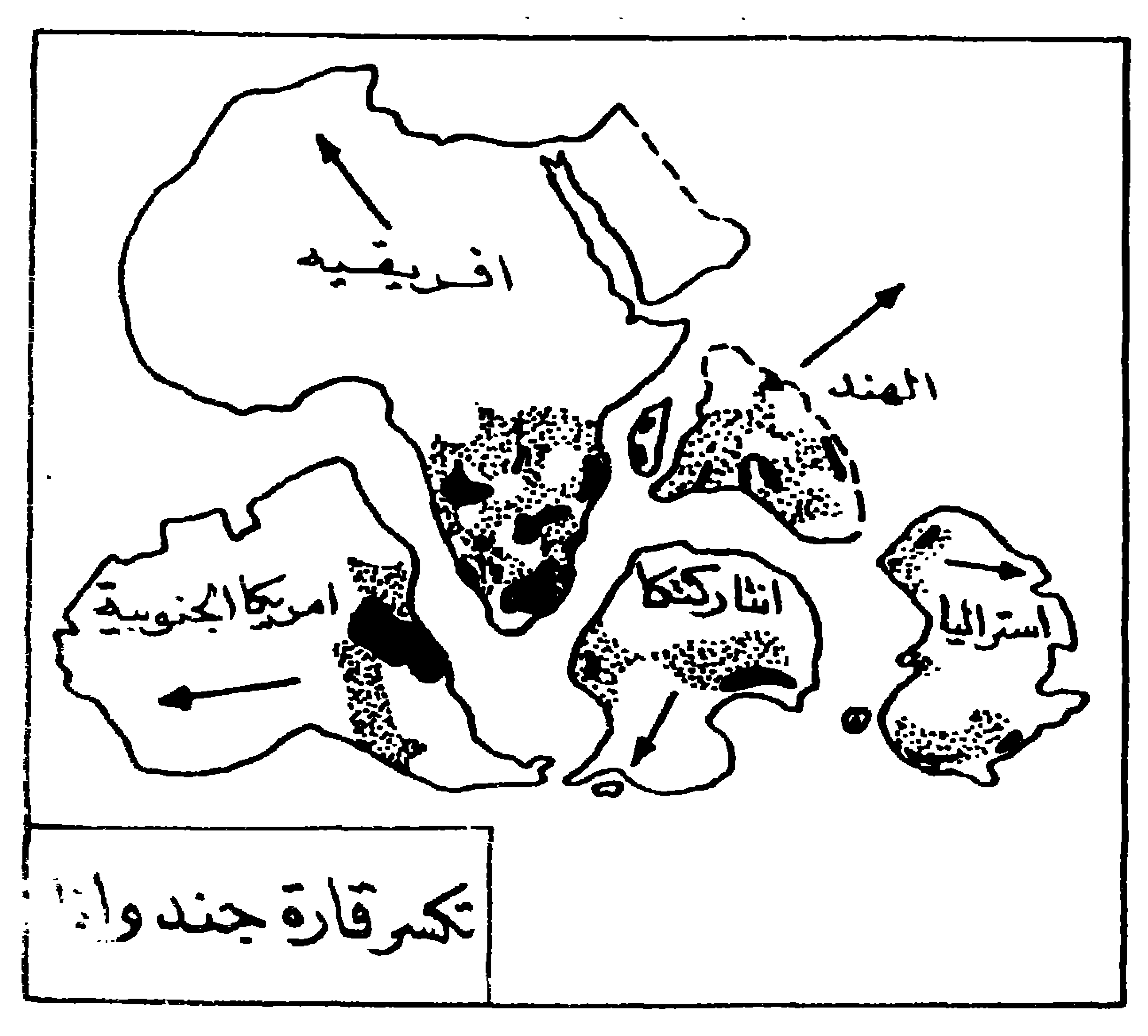
القسم الأول : عناصر الشخصية

الفصـــــــــل الأول

البنيـــــــة والتركيب الجيولوجـــــى

تتميز القارة الأفريقيه بأن معظمها يتكون من كتلة أو درع صلب قديـــم يمتـــد مـــن جنوب سلاسل الاطلس إلى سلاسل الكاب جنوباً. ويمكن أن يقارن من حيث الـــتركيب والنشأة بغيره من الكتل القديمة مثل كتلة الـــبرازيل أو غـــرب اســـتراليا أو الكتلـــة اللورانسيه والواقع أنه لا يمكن فهم بنية إفريقيه إلا على ضوء أنها جزء من قـــارة جندوانا القديمة، تلك القارة التى كانت تمتد لتشمل معظم القارة، فضلاً عـــن هضبـــة البرازيل غربا، وهضبة شبه جزيرة العرب والدكن ومدغشقر وغرب استراليا شرقاً.

شكل رقم (٣) تكسر قارة جندوانـــــا



وقد تعرضت الكتلة الأفريقيه لحركات القشرة الأرضية منذ العصور القديمة، ولكن نظرا لصلابة الصخور المكونة لها، فقد قاومت حركات الضغوط الجانبية، ولم تكن الالتواءات من ظاهراتها الرئيسية (إلا في الأطراف) وإنما كانت استجابتها لحركات القشرة استجابة رأسية بالدرجة الأولى، ارتفاع وانخفاض وفوالق، غير أننا يجب أن نستدرك، ونقول بأن المسألة ليست بهذه البساطة، فلقد أصبح واضحاً بعد الدراسات الجيولوجية المتفرقة (في مناطق التعدين) أنه حتى صخور هذا الدرع القديم قد تعرضت فيما قبل الكمبرى لحركات القشرة الأرضية، فقد تعرضت لإلتواءات متعددة، وأن لم تظهر في الوقت الحاضر آثارها على تشكيل مظاهرالسطح لطول الفترة التى تعرضت فيها هذه الإلتواءات لعوامل التعرية، وبالتالى سوت من سطحها، وقد انتهى النحات القارى بها إلى ما يسميه الجيومورفولوجيون بالسهل التحاتى أو سطوح التعرية *Surface erosion* ويقصد به سهل أو سطح مستو قليلاً أو كثيراً يفصل ما بين صخور القاعدة القديمة (نيس - شست - جرانيت) وبين نوع آخر من البنية تغلب عليه الطبقات الرسوبية للزمنين الأول والثانى حين ظلت أفقية أو شبه أفقية في معظم جهات القارة.

واقتصر الأمر خلال الزمنين الأول والثانى على غزو البحر للأطراف بصفة مؤقتة. ويستثنى من ذلك الجزآن الشمالى الأقصى والجنوبى الأقصى حيث تكونت الثنيات البحرية. فمعظم تكوينات الزمنين الأول والثانى من أصل قارى أيضاً، أرسبت في أحواض داخلية كبيرة، وتتضمن رمالاً وحجراً رملياً (خرسان) وكونجلومرات، ورواسب جليدية وطبقات من الجبس والفحم.

وتظهر آثار الحركات الألتوائية على الأطراف الشمالية الغربية لهذا الدرع ممثلة في سلاسل الاطلس. وعلى الأطراف الجنوبية ممثلة في سلاسل الكاب. وفي كلاهما تظهر آثار الالتواءات في تشكيل مظاهر السطح.

وإذا تركنا جانباً نطاق الالتواءات الألبية في الشمال تأكدت لنا شخصية القارة الأفريقيه وتميزها، من الجائز أن قارات أخرى كأمريكا الجنوبية قد تكون لها بعض ملامح إفريقيه، ولكن إفريقيه هى أفضل القارات جميعاً لدراسة التطور القارى لأنها

ظلت ظاهرة على السطح منذ ما يقرب من ٣٠٠ مليون سنة على الأقل، كمـــا أنـــها القارة المثالية لدراسة الحركات التكتونية والتكوينات الحوضية.

شكل رقم (٤) الأحداث الجيولوجية الرئيسية التى أثرت فى القارة

الاحداث الجيولوجية الرئيسية التى أثرت فى أفريقية	اسم العصر	تاريخ انتهاء الزمن او العصر	
تطور الانسان عصور مطيرة وجفاف فى أفريقية يقابلها عصور جليدية وغير جليدية فى أوروبا	الحديث		الزمن الرابع
الحركات الألبية المكونة لجبال أطلس	البلايستوسين	منذ ٢٠ الف سنة	
ارسابات قارية كما فى حوض كلهارى	البليوسين	منذ ٢ مليون سنة	الزمن الثالث
بداية النشاط البركانى الرئيسى فى شرق افريقية وإثيوبيا فوالق وبراكين	الميوسين	١١	
فوالق وبراكين فوالق وبراكين	الأوليجوسين	منذ ٢٥ مليون سنة	
بداية الحركات الرئيسيةُ لتكوين الأخدود الأفريقى	الإيوسين	منذ ٤٠ مليون سنة	
فوالق وبراكين تكسر جندوانا	الكريتاسي	منذ ٧٠ مليون سنة	الزمن الثانى
جبال الكاب الإلتوائية	الجوراسي		
تكوينات الكارو	الترياسي		
جبال تابل حجر رملى	برمي	منذ ٢٧٠ مليون سنة	الزمن الأول
	الفحمي		
تكوين جبال وعصور جليدية قديمة	الكمبرى - الأردوفيشى - السيلورى - الديفونى		
أقدم صخور عمرها ٣٥٠٠ مليون سنه فى جنوب افريقية		منذ ١١٠٠ مليون سنة	الأركى

الـــــزمـــــن الأركـــــى :

وإذا تتبعنا تاريخ القارة الجيولوجى وما يرتبط بكل عصر من العصور من صخـــور، لوجدنا الزمن الاركى ممثلاً في القارة في مساحة كبيرة، ويفيـــد توزيـــع الصخـــور الاركية في تفسير مظاهر السطح لأنها صخور قديمة، ومن ثم ظلت معرضة لتـــأثير عوامل التعرية المختلفة مدة طويلة من رياح، وأمطار، وأنـــــهار وتجويـــة، وهـــذه الصخور القديمة سواء كانت نارية كالجرانيت والبازلت، أو متحولة كالنيس والشست لها أهمية اقتصادية؛ ذلك أنها تحتوى على كثير من المعادن ذات الأهمية الاقتصادية كالذهب واليورانيوم، والكروم والقصدير والمنجيز والرصاص والحديد. ولا تحتـــوى هذه الصخورعلى حفريات، وذلك لعدم ظهور الحياة إلا مؤخراً على هيئـــــة كائنـــات أولية ليس من السهل حفظها ملايين السنين واستخدمت الطرق الاشـــعاعية لتحديـــد أعمار بعض هذه التكوينات فرجعت بأعمارها إلى أكثر من ٣٥٠٠ مليون ســـنة، أى تكوينات ما قبل الكمبرى أو كما يطلق عليها أحيانـــاً ***pre palaozoic*** مـــا قبـــل الزمن الأول ، أو تكوينات ما قبل الكاب ***precap system***.

وتظهر هذه التكوينات في إفريقيه على السطح دون أن تغطيها رواسب. وذلـــك فـــي مساحة واسعة تزيد على ٣/١ مساحة القارة. وأن كان يبدو أن المساحة تزيد علـــى ذلك لعدم اتفاق الخرائط الجيولوجية من ناحية . ولأن الصخور في الاقاليم المداريـــة غالباً ما تعرى من ناحية أخرى . ولعل الاختلاف بين الجيولوجيين لا يرجع إلى كثرة الدراسات بقدر ما يرجع إلى قلتها. وتظهر هذه التكوينات على السطح في مرتفعات البحر الأحمر في مصر والسودان، وتمتد في مساحة واسعة فـــي شـــرقى ووســـط افريقيه محتوية على نحاس زامبيا وزائير . كما تمتد في جنوب إفريقيه حيث ذهـــب أقليم الترانسفال وتمتد هذه التكوينات في غرب إفريقيه حيث تعرف باســـم ***Birriman*** أو الداهومييان ***Dahomyan*** في غانا وكوت ديفوار وبنين ونيجيريا وغيرها. كما تظهر في الأجزاء الغربية من زائير وانجولا وناميبيا، وتشتهر التكوينات الأركية فـــي الأخيرة بوجود الماس. وتظهر الصخور الأركية على هيئة كتل منعزلة أحياناً كما في

كتلة الأحجار في الصحراء الكبرى، بينما تعمل المجارى المائية على إزالة التكوينات السطحية وكشف ما تحتها من صخور أركية في مناطق تقسيم المياة بين الأنهار.

الـــــزمــــن الأول :

أعقب العصر البريكمبرى فجوة في التاريخ الجيولوجى في القـــارة تعرضـــت فيـــها لعوامل التعرية، ولكن من الثابت أنه في النصف الأول من الباليوزى تم نمو حوضى في جنوب إفريقيه وتعمق تدريجياً ليكون منخفضاً مقعراً، وقـــد تجمعـــت فـــي هـــذا المنخفض الرواسب المعروفة برواسب الكاب على هيئة رواسب خشنةَ فـــي الميـــاة الضحلة أول الأمر، والتى تصلبت فيما بعد مكونة الحجر الرملى لجبال تابل ***Table*** بسمك يبلغ نحو ١٧٠٠ متر، ومع تعمق الحوض بدأت الطفلة الناعمة في الظـــهور. وهى التى عرفت في جنوب إفريقيه بسم بوكفلد ***Bokveld*** وانتهت فترة الأرســاب بتكوينات من الحجر الرملى والطفلة أو ما يعرف باسم طبقات ويتبرج ***Wittberg***. وفي النصف الثانى من هذا الزمن، ومع بداية العصر الفحمى حدثت تغيرات كبـــيرة خاصة في إفريقيه الجنوبية منها الثلاجات التى تعرض لها الاقليـــم، والتـــى تركـــت ركامات جليدية أطلق عليها تلييت، وهى عبارة عن جلاميد صخرية كبيرة تدل علـــى أن الثلاجات كانت تتحرك من مراكز توزيع في القسم الشرقى من جنوبى إفريقيـــه، ومن جنوبها الغربى، وحيث أزالت التعرية هذه الجلاميـــد، تظـــهر تخـــدوش فـــي الصخور، وكذلك ظهور الخراف ***Roches Mautonees***، هذا التثليج حدث منـــذ نحو ٢٥٠ مليون عام، وكان حد تقدم الجليد هو اقليم الكـــاب. وبتحســـن الأحـــوال المناخية وانكشاف الجليد عن الاقليم تتابعت نوبات من الانحسار والانغمار البحرى. وتكونت دلتاوات على طول هامش بحر الكاب القديم (العصر البرمى)، وبـــدا نمـــو الغابات وبصفة خاصة نبات جلوسوبتريس الذى انتشر في القارات القديمة. وكـــان معنى نمو الغابات الحارة هو تغير الظروف المناخية مـــن التثليـــج إلـــى الظـــروف المدارية الحارة الرطبة. كذلك انتشر التكوينات الفحمية في جنوب إفريقيه رغـــم أن الظروف المناخية الحالية لا تساعد على تكوينها. ثم انتشرت هـــذه الظـــروف إلـــى

الشمال في نطاق زيمبابوى وحوض الكنغو حيث انتشرت تكوينات الكارو[١] والتي تمتد في مساحة تزيد على ١/٢ مليون كم٢ وبسمك ٧٠٠٠ متر من الكاب إلى حوض الكنغو، وهى رواسب قارية متفاوتة من التثليج إلى الجفاف، ناتجة عن تعرية الصخور الأركية، لفترة زمنية طويلة، وترجع أهميتها الاقتصادية إلى أنها حاوية لعروق الفحم في جنوب إفريقيه.

ويتفق مع نظام الكارو في الهضبة الجنوبية تكوينات معاصرة في إفريقيه الشمالية خاصة في الصحراء الكبرى أشهرها، صخور الخرسان النوبى أو الحجر الرملى التى تجمعت إرسابتها في الأحواض المتسعة (من الفحمى إلى أوائل الكريتاسى) ويقابلها في القسم الغربى من الصحراء الكبرى تكوينات مماثلة يطلق عليها الانتركلير القارى *continental Interclaire* التى تتكون من الحجر الرملى أساسا فضلاً عن الدمالق والصلصال وقد زاد الاهتمام بها لأنها حاوية للماء، الذى يمكن الحصول عليه بالحفر العميق.

امتلأ بحر الكاب في نهاية البرمى، وبدأت التوءات رواسبه في نهاية الزمن الأول أثناء وجود الثلاجات فى إفريقيه الجنوبية وبلغت الحركة الالتوائية الهرسينية ذروتها في أواخر الترياسى. وكان اتجاه الضغوط على هذه الرواسب معظمهما من الجنوب الغربى نحو الكتلة الأفريقيه الصلدة مما أدى إلى ظهور سلاسل الكاب إلى الجنوب من تكوينات الكارو ممثلة في سيداربرج بمحاور شرقية غربية. وتلتقى هذه المجموعات من الالتواءات في عقدة في غرب الكاب تتعقد فيها التضاريس، كما أدت هذه الحركات إلى حدوث تموجات في سطح الكتلة الأفريقيه والرواسب التى فوقها مكونة أحواضاً (النيجر - تشاد - الكنغو - كلهارى) وقبابا (الأحجار، فوتا جالون..).

---

(١) أطلق على هذه الرواسب القارية هذا الأسم لأن أول دراسة عليها كانت في اقليم الكارو في جنوب إفريقيه.

الـــــزمـــن الثـــانــــــــي :

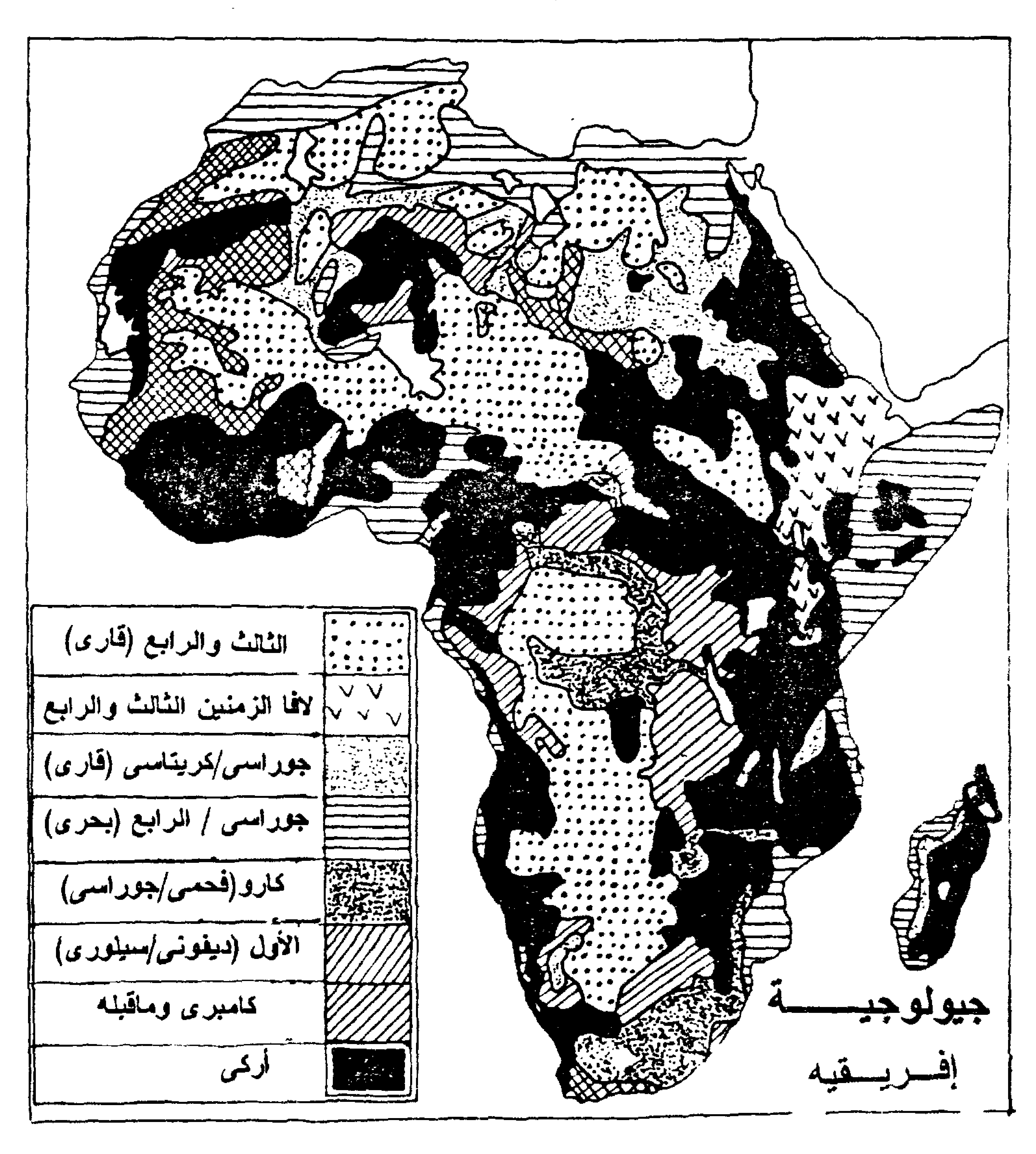
ويبدو أن القارة العظمى جندوانا قد بدأت في التكسر في أوائل هذا الزمن، وأخـــذت إفريقيه تأخذ خطوطها الأساسية بعد أن تفرقت أجزاء جندوانا بعيدا عن بعضها، على العموم لا تظهر التكوينات البحرية في إفريقيه بمساحة كبيرة إلا ابتداء من العصـــر الجوراسى، (١٥٠ مليون سنة) فقد طغى البحر الجوراسى على أجزاء كبـيرة مـن القارة، فالأرسابات الجوراسيه تدخل في تركيب كثير من أشكال السطح في المغـرب وليبيا ومصر، كما غزا البحر الجوراسى الصومال والحبشة وظهرت طبقاته بسـمك ١٣٠٠ متر بالقرب من نهر جوبا مكونة الحجر الرملى والملح والحصـــى، تعلوهـا طبقات أخرى من الحجر الرملى بسمك ٥٠ مترا. وقد امتد هذا البحر إلــى اثيوبيـا ليترك طبقات كلس أنتالو، كما وصل البحر في شرق إفريقيه إلى مسافة ١٥٠ كيلـو متر إلى الغرب من الساحل الحالى. وكان ظهور هذه التكوينات في غـــرب جزيـرة مدغشقر معناه ارتفاع البحر الجوراسى مكوناً بوغاز موزمبيق.

واذا كانت إفريقيه الجنوبية منذ هذا العصر قد ظلت مرتفعة عن سطح البحر، لا يغمر البحر إلا حواشيها في بعض الأحيان، فإن التاريخ الجيولوجى لإفريقيـــه الشـمالية يختلف عن ذلك كثيراً، فقد توغل بحر تثيس في العصر الكريتاسى ، وبصورة كبـيرة في إفريقيه الشمالية حتى وصل إلى النيجر الأدنى، كما طغت مياه الأطلنطـــى علـــى كثير من جهات خليج غانا وأصبح هناك شبه اتصال بين البحر المتوسـط والمحيـط الأطلنطى (وهو يعد أكبر طغيان بحرى فـــي تـاريخ غــرب إفريقيـــه). ورواسـب الكريتاسى منها البحرى ومنها القارى، والتكوينات القاريـــة هـــى السـفلى، وهـــى المعروفة بالخرسان النوبى وهى معروفة لنا في جنوب مصر حيث تغطى ٢٩% مـن المساحة الاجمالية لمصر سواء في الصحراء الشرقية أو الغربية ، كما تمتـــد فـــي الصحراء الليبية وشمال السودان. وتتكون من صخور رملية مصنفة تصنيفا جيدا.

ويميل الرأى إلى أنها تكوينات شاطئية لانتظام حجم الحبيبات من ناحيـــة، ولوجــود بعض الحبيبات الكبيرة أحيانا والتى لا يمكن للرياح حملها. من ثم فهذه التكوينـــات التى ترتكز على الصخور الأركية قد أشتقت منها بواسطة التعرية خلال الزمـن الأول

وأوائل الثانى إلى أن كان العصر الكريتاسى، وبدأ هبوط الأرض وغمرت مياه البحر شمال إفريقيه، وأرسبت تلك المواد التى يتكون منها الخراسان النوبى، ونظرا لمسامية هذا الصخر فانه يتشرب مياه المطر، وتتسرب فيه إلى أسفل حتى تصادف الطبقات ، الصماء فتنحدر أفقيا مع الميل العام للطبقات نحو الشمال لتظهر على هيئة ينابيع في المنخفضات التى تقابلها، وبذلك يصبح الحجر الرملى النوبى أشبه بخزان ضخم للمياة، كذلك ترتبط خامات الحديد بهذه التكوينات.

شكل رقم (٥) : جيولوجية افريقيه



وكان امتداد البحر جنوبا في آخر الكريتاسى حتى النيجر الأدنى وذلك عن طريقين، في الشرق عن طريق المنخفض الواقع بين كتلتى الأحجار وتبستى، وفي الغرب عن طريق أدرار إيفوراس، هذا كما طغى المحيط الاطلنطىعن طريق خليج غانا، ووصل إلى حوض تشاد في الشرق. كذلك احتلت خلجان الكريتاسى في أوائل الزمن الثالث السنغال وغمبيا وكوت ديفوار، واشتملت تكويناتها على الحصى والرمل والطفل والحجر الجيرى الجبس والحجر الرملى الحديدى والفوسفات.

وإذا كان النصف الشمالى لإفريقيه قد ظهر فيه طغيان بحر الكريتاسى على نطاق واسع، فان طغيان هذا البحر شوهدت آثاره في اجزاء أخرى من القارة، إذ تظهر تكوينات الكريتاسى في المناطق الساحلية للصومال وشرق إفريقيه وجنوبها ومدغشقر. وتظهر إرساباته في موزمبيق من الحجر الرملى والطفل والحجر الجيرى، واستمرت هذه الفترة حتى الزمن الثالث، لذلك يجرى البحث عن البترول في هذه الرواسب الساحلية.

هكذا يتفق الجيولوجيون أيضاً على أن إفريقيه بشكلها الحالى ترجع إلى الزمن الثانى فالعصر الجوراسى هو نهاية العصر الذى كانت فيه إفريقيه جزءا من قارة جندوانا، وبدأت تأخذ شكلا قريبا من شكلها الحالى كجزء من حطام تلك القارة. ويتمثل سطح جندوانا في إفريقيه على ارتفاعات فوق ١٣٠٠ متر، ويرجع ***L. King*** الملامح الأساسية لأفريقيه إلى تكسر كتلة جندوانا كما يتضح فيمايلى:

١- تكون ساحل جديد لإفريقيه يشبه الساحل الحالى في غربى وشرقى القارة

٢- نظرا لأن سطح الجهات الداخلية في جندوانا كان يرتفع إلى ٧٠٠ متر بالنسبة لسواحلها البعيدة، فإن التكسر نتج عنه ظهور حافات مرتفعة ***escarpments*** قرب وسط جندوانا. ولما كانت إفريقيه تقع بالقرب من هذا الوسط، فقد ظهرت كقارة بهضبة مرتفعة في الوسط والجنوب تحدها حواف مرتفعة، ثم نشطت عوامل التعرية في دفع هذه الحافات إلى الوراء (النحت التراجعى)، وأن كانت هذا الحافات المرتفعة المطلة على المحيط ما زالت هى إحدى الظاهرات البارزة، فجبال دراكنزبرج تسمو إلى ما يزيد على ٣٠٠٠ متر، وان كان جزء كبير من هذا الارتفاع يرجع إلى

عمليات الرفع التى حدثت بعد ذلك في الكريتاسى والزمن الثالث.

٣- كانت النتيجة الثالثة لتقطع قارة جندوانا هو تقطع النظم النهرية، ففـــي الكتلـــة الأفريقيه نجد كثيرا من الأنهار، وقد حرمت من أجزائها الدنيا واتجهت إلـــى البحـــر بصورة فجائية، وكنتيجة للمقاومة الشديدة للصخور لم تســـتطع الأنـــهار أن تعـــدل قطاعها. وزاد من حدة هذا القطاع عمليات الرفع التى أصابت القارة فـــي الداخـــل، لذلك انتشرت المساقط المائية والجنادل في المجارى الدنيا بينما أجزائها العليا التـــى لم تتأثر بهذا التجديد كانت أقرب إلى النضوج.

الـــزمــــن الثـــالـــث :

كان هذا الزمن مسئولا عن أهم التغيرات الضخمة التى أصابت القارة علـــى طـــول تاريخها الجيولوجى. ذلك أن القارة تعرضت لضغوط شديدة في عصر الاوليجوســـين (٤٠ - ٢٥ مليون سنة) لم تستجب لها بالالتواء سوى مساحات محدودة في شـــمال إفريقيه فارتفعت جبال أطلس في المغرب العربـــى علـــى فـترات أو دفعـــات فـــي الاوليحوسين والميوسين، وهذه تتفق مع تكوينات جبال الألب الأوربية. دفعت هـــذه الحركات التكتونية تكوينات قديمة وارسابات بحرية إلى ما يزيد على ٤٠٠٠ متر في أطلس العليا. أما بقية القارة فكانت استجابتها للحركات التكتونية ممثلة في صـــدوع ضخمة. فقد بدأت حركة التصدع الأرضية التى تتبع الخطوط الارترية (البحر الأحمر) التى تتجه من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقي، ويظن أنه في هذا العصر تكونـــت الخطوط الأساسية للبحر الأحمر والتى كانت موجودة قبل الميوســـين، وفـــي نفـــس الوقت كان معنى وجود التكوينات الايوسينية في جزيرة شدوان وفي ما يقابلها مـــن الصحراء الشرقية، معناه أن البحر الأحمر تكون بعد الايوسين. وخلال هذا العصـــر أيضا اتصلت جزيرة مدغشقر بأرض القارة مرة أخرى ودخلتها قردة الليمور (نـــوع من القردة) التى تعتبر سلالتها اليوم من أهم الظاهرات الحيوانية لجزيرة مدغشـــقر، ثم كان لتقدم البحر مرة أخرى في البليستوسين أثره في انعزال هذه الثدييـــات عـــن القارة الأصلية.

شكل رقم (٦) : طريقة تكوين الجبال الإلتوائية

فوالق الأولجيوسين : ومن المرجح أنها بدأت قبل ذلك ولكنها كانت على أشدها في ذلك العصر. ويمكن القول بوجه عام أن الفوالق الكبرى قد حدثت وتحددت في اتجاهين رئيسين متعامدين: اتجاه الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، والآخر من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، فالكتلة الأفريقيه يحدها من الشمال الغربي خط انكساري يفصلها عن الجبال الالتوائية في المغرب. ويحدها في الغرب خط انكساري يمتد من ليبيريا إلى جزر الرأس الأخضر، ويظهر في قاع المحيط مع خط أعماق ٢٠٠٠ متر ويمتد لمسافة ٧٠ كيلو مترا من الساحل، ثم يمتد بعد ذلك لمسافة ١٢٠ كيلو متر على عمق ٤٠٠٠متر. ويبلغ طول هذا الصدع نحو ٢٠٠٠ كيلو متر من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي. وهناك صدوع أخرى في غينيا وأعالي السنغال، ومالي، وكان لهذه الصدوع أهميتها الاقتصادية، نظراً لأنه ثبت أنها مرصعة بأنابيب الكمبرليت حيث توجد سدود الدولوريت الرأسية.

ويمتد صدع آخر يتبع وادى النيجر الأدنى من انحنائه عند بوريم *Bourem* ممتدا في نيجيريا لمسافة ١٥٠٠ متر في اتجاه شمالي غربي جنوبي شرقي. ويوازى هذا الصدع الذى يرجع إلى الكريتاسى نظيره الممتد من ليبيريا إلى جزر الرأس الأخضر. ويمتد صدع آخر شمالي غربي جنوبي شرقي من شرق هضبة اير *Air* إلى تشاد، ويرجع بدوره إلى الكريتاسى الأعلى. كما يقطع صدع الكمرون تبستى بالقرب من تشاد. أما في أقصى الغرب، فهناك صدع عظيم يمتد من الجنوب الغربي أو الشمال الشرقي لمسافة ٤٠٠ كم من وسط الاطلنطى أو جزر سانت هيلانة إلى تبستى، مارا

بساوتومى، وبرنسيب، وفرناندوبو. وأخدود الكمرون إلى تبستى.
أخيرا هناك صدع يمتد بالقرب من ممبسه إلى الزمبيزى بطول ١٨٠٠ كيلو متر وآخر في منتصف بوغاز موزمبيق، ثم الصدع الذى يحدد الساحل الشرقى لمدغشقر (مالا جاشى) بطول ١٣٠٠ كم. ويتعامد على هذا الاتجاه الصدوع الشمالية الغربية الجنوبية الشرقية، والتى تظهر واضحة على وجه الخصوص من بحيرة تنجانيقا إلى ساحل موزمبيق.
على أن أهم هذه الصدوع جميعاً صدع الاخدود العظيم في الشرق وصدع الكمرون وبينهما ظهر منخفض ضخم كرد فعل للحواف القافزة *Tilted edges* التى صاحبت جوانب الاخدود، وارتفعت أحياناً إلى نحو ٥٠٠٠ متر، كما يشاهد عند بحيرة تنجانيقا التى يبلغ عمقها ١٤٣٥ متر وتطل عليها الجبال بارتفاع ٣٠٠٠ متر.
وقد صحب هذه الحركات العنيفة أيضاً تدفق كميات كبيرة من اللافا أحيانا غطاية تغطى مساحات كبيرة كما في اثيوبيا حيث بلغ سمكها نحو ٢٦٠٠ متر. وتعرف بلافا مجدالا، وهذه ظهرت أيضا في مصر فى جبل قطرانى شمال منخفض الفيوم. وفي (أبو زعبل) وغرب سيناء وأحيانا أخرى ظهرت مكونة كتل جبلية ضخمة اشتهرت بها إفريقيه مثل جبال كينيا وكليمنجارو وكمرون وتبستى. واستمرت هذه حتى أواخر الميوسين، مما نتج عنه انحسار البحر المتوسط. وبدء ظهور النيل الذى كان يستمد مياهه من اودية الصحراء الشرقية، والتى كانت بدورها تستمد مياهها من الأمطار الساقطة على جبال البحر الأحمر أما البحر الأحمر ذاته فقد دخلته مياة المحيط الهندى نتيجة تصدع فتحة بوغاز باب المندب في البلايوسين. كما اتصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر في هذا العصر. ولم يكن هناك مثل هذا الاتصال من قبل. وتوغل البحر المتوسط في وادى النيل. وتحول إلى خليج بليوسينى تأتيه رواسب حصوية من اودية الصحراء الشرقية، ثم كانت حركات التصدع العنيفة التى تعرض لها شرق القارة بعامة. وما يقابلها من حركات رفع لجبال البحر الأحمر أثرها في انفصال مياة البحرين الأحمر والمتوسط وعودة برزخ

السويس إلى الظهور.

الـــــزمــــــن الرابــــــع :

ارتبط الزمن الرابع بالتغيرات المناخية التى شهدتها الصحراء من تتـــابع للرطوبـــة والجفاف، على أننا يجب أن نشير هنا أن هذا ليس معناه أن الأنهار الضخمة كـــانت تشقها، أو أن الغابات كانت تشغلها، ولكن يمكن القول بأن الوديان كانت تتلقى سيولا كثيرة، وأن المستنقعات والبحيرات كانت منتشرة، وأن الكتـــل الجبليـــة كالأحجـــار وتبستى وتاسيلى كانت تنمو عليها الأشجار، وكانت الكثبـــان الرمليـــة الكـــبرى أو العروق تمتد كما هى الآن، لأن الآلات الحجرية التى عثر عليها توجد في المنـــاطق المنخفضة بين الكثبان.

ويمكن أن نميز بين الكثبان القديمة والكثبان الحديثة، فالكثبان القديمة قد تماســـكت وأصبحت تتكون من الحجر الرملى وهى ذات لون صارخ للغاية (أصفر برتقـــالى) إذا ما قورنت بالكثبان الحديثة التى تتكون من رمال فاتحة اللون.

وفي إفريقيه المدارية حيث شهدت أيضا تنابع فترات الرطوبة والجفـــاف، اكتشـــفت أقدم عظام للقرد الجنوبى ***Australopithecus*** في أنحاء العالم قاطبة وهو أقدم سلف للإنسان، كما ظهرت بقايا الإنسان القرد ***pithecanthropus*** فـــي خـــانق أولدوفاى في تنزانيا ويرجع إلى فترة الجفاف الأولى .

وكانت هذه التغيرات المناخية مسئولة إلى جانب التكوينات الصخريـــة عـــن أنـــواع التربة المختلفة. كما أنه خلال الفترات المطيرة كـــان تكويـــن الخزانـــات الضخمـــة الجوفية للمياة التى يعيش عليها سكان الصحارى في الوقت الحاضر.

وهكذا وبعد ٤٠٠ مليون سنة، فان التطور الجيولوجى لإفريقيه لم يكتمل، ومـــازالت الهزات الأرضية والزلازل محسوسة قرب مناطق الصدوع والانكسارات.

من هذا العرض الموجز لجيولوجية إفريقيه يمكن أن نـــبرز عـــدة نقـــاط :

١- الدور الذى لعبته القاعدة الاركية، فدورها لم يقتصر على كونها تكـــون أســـاس معظم القارة فحسب، بل في أنها تضم ثروة معدنية ثمينة.

٢- أن التاريخ الجيولوجي للقارة غير مكتمل، وأن كثيرا من أجزائها ظل فترات جيولوجية طويلة عرضه للتعرية.

٣- من بين جميع التكوينات الرسوبية جنوب جبال أطلس نجد أن تكوينات الكارو ونظائرها في الصحارى كالخرسان النوبي والانتركلير القارى ***continental Interclaire*** هى أكثرها انتشارا وأهمية ، فتكوينات الكارو مسئولة عن كثير من المناظر الأخاذة في إفريقيه الجنوبية فضلاً عن أنها تضم ٩٧% من الموارد الفحمية في القارة، أما في الصحارى فالخرسان النوبى والانتركلير القارى هى الطبقات الرئيسية الحاملة للماء أسفل الرواسب السطحية.

٤- يجب أن يلاحظ ضآلة المساحات ذات الارساب البحرى في إفريقيه الجنوبية ، وكان من نتائجه فقر هذا الجزء في المواد البترولية الأمر الذى يزيد من أهمية تكوينات الكارو بعروقها الفحمية، بينما في الشمال تكمن الموارد البترولية الضخمة في التكوينات الرسوبية في الصحراء الكبرى وغرب إفريقيه.

الأخدود الأفريقى :

ليس من شك في أن كل قارة تتميز بظاهرة أو ظاهرات فزيوغرافية بارزة، أمريكا الشمالية بسلاسل الروكى وأمريكا الجنوبية بالانديز، وأوربا بالالب، وآسيا بالهيمالايا، فإذا انتقلت إلى إفريقيه لا نجد سلاسل الأطلس في ركنها الشمالى الغربى تعادلها، ولا سلاسل الكاب في أقصى الجنوب، فتميزها اقليمى أكثر منه قارى، كذلك لا يمكن المقارنة بهضبة أثيوبيا أو جبال كليمنجارو فليس لها امتداد الروكى، أو الانديز أو الالب أو الهيمالايا من الطرف إلى الطرف، ولكن الذى يميز إفريقيه عليهم جميعاً هو الأخدود أو الخسف الضخم في شرقها.

ولفظ أخدود ***Graben*** أو وادى أخدودى ***Rift Valley*** أطلقه جريجورى ***J.W. Gregory*** على ذلك الخسف الضخم في شرقى إفريقيه، وكان أول من قال بأنه ظاهرة تكتونية راجعة إلى الفوالق. وقد حدد جريجورى هذا التعبير ليعنى به شريطا طويلا من الأرض هبط بين كسرين عاديين، أو سلسلة متوازية من الانكسارات

السلمية، كما لو كان هناك قوس قد أصابه شد بحيث سقط الحجر الأوسط أى الأساسى، إما على هيئة كتلة واحدة ، أو على هيئة أشرطة من الأرض. وكانت فكرة القوس الذى سقط حجره الأساسى قد أطلقت على أخدود الراين منذ نحو قرن، ومن ثم كان مفهوم تكوين الاخدود الافريقي عند جريجورى.

ويمتد الأخدود الافريقى لمسافة ٧٠٠٠ كم تقريباً أو نحو ١/٦ محيط الكرة الأرضية ابتداء من جنوب بحيرة مالاوى "تياسا" متجهاً نحو الشمال ليقابل هضبة شرق إفريقيه وهى هضبة قديمة، فيضطر الأخدود إلى التفرع إلى فرعين رئيسين :

أحدهما غربى وتقع فيه عدة بحيرات أهمها تنجانيقا وكيفو وادوارد والبرت ثم يمتد حتى أطراف السودان الجنوبية، والآخر شرقى وهو أطول وتقع فيه عدة أحواض ذات صرف داخلى في بحيرة نترون ومجادى ونيفاشا. ويمر في هضبة اثيوبيا ليقسمها قسمين غير متساويين، وتقع فيه سهول الأفار. ثم يتجه إلى خليج عدن ويصبح البحر الأحمر، وخليج العقبة ووادى عربة والبحر الميت ووادى الأردن وسهل البقاع في لبنان ووادى العاصى حتى نصل إلى سفوح طوروس جزء من هذا الأخدود.

وفي الحق لا يتكون الأخدود الأفريقى من منخفض واحد مستمر، وإنما من عدة أخاديد، تحدها الانكسارات. بعضها يمكن تتبعه لمسافات طويلة، بينما يتميز البعض الآخر بالقصر، ويقسم الجيولوجيون الأخدود الأفريقي إلى قسمين كبيرين بحسب أصل نشأة كل منهما وهما:-

أولا: الأخاديد الواقعة في شرقى إفريقيه.

ثانيا: أخدود البحر الأحمر وامتداداته الشمالية.

أولا : الأخاديد الواقعة في شرق إفريقيه :

وهذه توضع بدورها في مجموعات هى:

١-قطاع مالاوى وامتداده في جنوب الهضبة الوسطى "أخدود روكوا".

٢- الأخدود الغربى من بحيرة تنجانيقا إلى كيفو وادوارد والبرت مع كتلة رونزورى المندفعة بين البحرتين السابقتين.

شكل رقم (٧) : الاخدود فى شرق افريقيه

٣- الأخدود الشـرقى أو أخدود جريجورى شـرق بحيرة فكتوريا.

٤- قطاع بحيرة رودلـف (توركانا) واستمراره فـي اثيوبيا.

وقد لوحظ علـى معظـم الأخـاديد توافقـها فـي الاتساع كما تبيـن مـن الأرقام التالية:

بحـيرة الـبرت ٤٥كـم

بحيرة رودلف ٥٥كم.

بحيرة تنجانيقا ٥٠ كـم (في الشمال).

بحـيرة نـترون ٣٠ - ٥٥كم.

بحيرة تنجانيقا ٤٠ كـم (الجنوب)بحيرة رواهـا ٤٠ كم.

بحيرة ركوا ٤٠ كم. بحيرة مالاوى ٤٠ - ٦٠ كم.

ظاهرات الأخدود في شرقى إفريقيه :

وجد أن هذا التناسق في الاتساع الأخدودى لم يقتصر على أخاديد القارة الأفريقيـه فحسب، بل تعداه إلى أخاديد القارات الأخرى. فعلى سبيل المثـال يتراوح اتساع

أخدود الراين بين ٣٠ - ٤٥ كم، وأخدود بحيرة بيكال بين ٥٥ كم في الشمال، ٧٠ كم في الجنوب. ويعزى هذا التوافق في الاتساع إلى أن سمك الكتل القارية واحد. وتقوم هذه العلاقة على أساس أنه إذا سلط ضغط معين على لوح من الصلب، فإنه عادة ما يتكسر إلى قطع تتناسب مقاساتها مع سمكه.

وتظهر بعض حافات *Scarps* الأخدود الشرقى مهدمة وعليها آثار عوامل التعرية الشديدة، بينما يلاحظ أن اللافا في تدفقها قد سبقت أحيانا تكوين الأخدود، وأحياناً أخرى تدفقت بين الحركات التكتونية المتتابعة، من ثم تعرضت تدفقات الحمم القديمة والتى تغطى مساحات كبيرة من كينيا للتشقق والانكسارات. وإذا كانت ظاهرة الطفح البركانى وارتباطها بالأخدود ظاهرة شبه عامة، فإن هذا الطفح يختلف من مكان إلى آخر، ففي بعض الجهات هناك طفح كبير وعلى مدى واسع، وفي جهات أخرى يقل هذا الطفح، وفي مناطق ثالثة يكاد يكون معدوماً. فهناك غطاءات اللافا الضخمة التى تغطى أثيوبيا، وتلك التى تغطى مساحات واسعة من شرقى افريقيه ، فضلاً عن الجبال البركانية المخروطية التى تعتبر اعلاماً بارزة في تضاريس هذا الاقليم وهى كلمنجارو وكينيا والجون، ولكن من الغريب أن يكون أعمق الأخاديد كما هو الحال في أخدود تنجانيقا ليس به أثر للنشاط البركانى.

وفيما يختص باتجاه الانكسارات الأخدودية فهى تميل إلى الاتجاه الشمالى الشرقى، أو شمال الشمال الغربى، أما الاتجاهات التى تميل إلى أن تكون أقرب إلى الشمال أو الجنوب فهى أقل شيوعاً، وتوجد في أقصى الشمال وأقصى الجنوب. وفي كثير من الأحيان ، استفادت الانكسارات الحديثة من خطوط الضعف القديمة في تكوينات البريكامبرى. أما من حيث نوع الانكسارات فالنوع السائد من الانكسارات هو العادية *Normal* ويمثلها أصدق تمثيل حائط روكوا الشمالى الشرقى، ومع تطور رسم الخرائط الجيولوجية في كينيا وتنزانيا ثبت وجود عدد كبير من الانكسارات العادية.

ومن الظاهرات الملفتة للنظر أن الضهرين *Horsts* المحيطان بالأخدود على جانبيه، ليسا بارتفاع واحد أو متقارب،. بل في بعض الأحيان كان الأخدود بحافة واحدة *Trapdoor* بمعنى أنه قد يوجد حائط عالى في جانب ، ويختفى في الجانب

الآخر. ويختلف كذلك ارتفاع قاع الأخدود من ٧٠٠ متر تحت سطح البحر في بحيرة تنجانيقا إلى ١١٦٠ مترا في بحيرة كيفو، ثم يهبط إلى ٧٠٠ متر في أخدود البرت، وكان لعدم انتظام القاع من ناحية ، فضلا عن تقاطع الفوالق من ناحية أخرى، أثره في أن أصبح الفرع الشرقى لأخدود هضبة شرق إفريقيه اقليما ذا صرف داخلى مشتملا على عدة أحواض مستقلة عن بعضها، كذلك لا ننسى السمك الكبير للرواسب في قاع الأخدود والتى تزيد على ١٧٠٠ متر من رواسب البليوسين والبليستوسين، وهذا معناه أن القاعدة الأركية بعيدة ودون مستوى سطح البحر ، وتمثل بحيرة كيفو وادياً أخدودياً مرتفعاً كان لابد وأن تنصرف مياهها شمالاً إلى النيل، لولا وجود براكين فيرونجا التى وقفت أمامها سدا مما جعلها تتجه جنوباً خلال خانق عميق إلى بحيرة تنجانيقا.

وتوجد ظاهرة تكتونية فريدة في ضخامتها ، وهى جبل رونزورى الذى يعتبر كتلة جبلية غير بركانية في إفريقيه (٥٦٠٠ متر فوق سطح البحر أو حوالى ٤٠٠٠ متر فوق المستوى العام للهضبة) وفي اتجاه بحيرة البرت تضيق الكتلة وتمتد نحو بجيرة البرت بما يشبه الأنف وتحدها الحواف الانكسارية. وقد ثبت حدوث حركة رفع في الاقليم بدليل وجود مدرجات فيضية كانت من قبل تكون سهلاً للسمليكى.

أولا : كيف تكون أخدود شرقى إفريقيه ؟

وتجرنا هذه الظواهر جميعاً في أخدود شرقى إفريقيه إلى البحث عن نشأته وكيفية تكوينه، وكان جريجورى يعتبره شريطاً طويلاً هبط بين فالقين عاديين نتيجة قوى الشد أو الجذب ***Tension*** لدرجة أن الحجر الأساسى ***Keystone*** سقط وهوى، أما على هيئة كتلة أو عدة كتل. مما لا شك فيه أن قاع بعض الأخاديد قد سقط ولكن البعض الآخر تخلف أو ثبت بالنسبة للهضاب التى ارتفعت من حوله. ولعل تفسير جريجورى لتكوين الأخدود يرتبط بالفكرة التى كانت شائعة منذ ما يزيد على القرن عن أخدود الراين، على أنه هبوط الحجر الأساسى في محدب أو قبوة أرضية. ولكن نظرية جريجورى لا تؤيدها ظواهر الأخدود الشرقى التى عرضنا لبعض منها. ذلك أن قمة المحدب عندما تسقط فلن تهبط في فراغ. إذ لا بد لها وأن تحرك طبقة

السيما، وبالتالى لابد أن نتوقع نشاط بركانى على نطاق أكثر اتساعا بكثـير ، عمـا نتوقع في الظروف العادية .. ومع ذلك فقد وجدنا أنه في أعمق أجـزاء الأخـدود، أحيانا لم يظهر الطفح البركانى كما هو الحال في أخدود بحيرة تنجانيقا. بل لقد ثبـت حديثاً أنه في عدد كبير من المناطق أن النشاط البركانى قد توقف تماما في الأخـدود الشرقى خلال حركة الفوالق بمعنى أن الحركات التكتونية قد أغلقت خطوط الماجما.

شكل رقم (٨) : رأيان فى تكوين الأخدود

ولا تفسر نظرية الشد ظاهرة وجود أخدود فـي اتسـاع محـدد، كمـا أن ارتفـاع رونزورى لا يؤيد نظرية الشد، ففي قاع منخفض ناتج عن الشد، ليس من المعقـول أن تندفع كتلة جبلية بهذا الحجم الضخم إلى مثل هذا الارتفاع!.

أما نظرية الدفع التى قال بها ويلند *E.J. Wayland,* وهولمـز *A. Holmes* فتقول بأن الأخاديد إنما نشأت نتيجة ضغط جانبى سفلى، أى دفع، ومن ثـم تكـون الفوالق زاحفة ***Thrust faults*** وهبوط الأخدود إلى أسفل نتيجـة لضغـط مـن الجوانب التى ركبت عليه. وقد ظهر من عمليات المسح لنجاذبية التى قام بها بولارد ***E.C. Bullard*** (١٩٣٣/٣٤) في الأخدود بين البرت وتنجانيقا، أنها قليلة ممـا

يدل على أن قاع الأخدود يقع فوق صخور كثافتها قليلة (السيال) ويؤيد نظرية الضغط أو الدفع.

إذن لابد وأن نتصور أن الأخاديد في شرقى إفريقيه وكأنها أجبرت على الهبوط، وما زالت محصورة بجوانبها، لأنها لو كانت حرة لتحركت إلى أعلى مكونة جبالا تكتونية لحفظ التوازن، مع ثم لا يمكنها الارتفاع بسبب ضغط الجوانب عليها. لو تصورنا أن قشرة الأرض صلبة وضغطت جانبيا، فأول ما يحدث لها هو انبعاج، وإذا زاد الضغط فإنها تتكسر في مكان ما، فإذا زاد الضغط بعد ذلك فان الانكسار الأول يؤدى إلى وجود فالق مع وجود كسر آخر في منطقة ضعيفة، وهذه الحالة هى التى يظن أنها من الممكن أن تفسر لنا وجود أخاديد ذات حافة واحدة (رونزورى) فإذا زاد الضغط بعد ذلك، فإن نقطة الضعف تتكسر أيضا مكونة الأخدود العادى كما ثبت في التجارب المعملية.

هكذا تفسر نظرية الضغط إلى حد كبير:

(ا) الاتساع المتقارب.

(ب) ارتفاع الهضبة ناحية الأخدود.

(ج) وجود أخاديد ذات حائط واحد.

(د) وجود النتوءات في رواسب قيعان البحيرات الأخدودية.

على العموم فالأبحاث الحديثة التى بدأت منذ عام ١٩٤٥ تشير إلى أن كلا من النظريتين مما لا يتطرق إليه الشك تماما. فبينما كانت الفكرة السائدة أن الأخاديد ترجع للعصر الكريتاسى (الزمن الثانى) واستمرت في الثالث (أوليجوسين - ميوسين) فإن هذه الأبحاث ترجع أصولها إلى ما قبل الكمبرى، ثم تجددت أكثر من مرة بحيث يصبح من الصعب إعطاء عمر محدد للانكسارات الكبيرة أو الأخاديد، ففوالق الكريتاسى والاوليجوسين إذن عبارة عن مرحلة من مراحل تكوينه، وبحسب دراسات ديكسى *Dixey* التى ظهرت عام ١٩٥٦ يبدو أن حركات الكريتاسى والزمن الثالث هى حركات شد أو جذب، وأما حركات الدفع فهى المسئولة عن تكوين الفوالق المبكرة، أى هناك جمع بين الشد والجذب.

ثانيا : أخدود البحر الأحمر وامتداده

شكل رقم (٩) : اخدود البحر الأحمر



يتميز أخدود البحر الأحمر عن أخدود شرقى إفريقيه باتساعه الذى يتروح بين ٢٠٠، ٤٠٠كم، لذلك فمن المرجح أن هناك نشأة وطريقة للتكوين تختلف عن طريقة تكوين أخدود شرقى القارة وأن كان يتفقان في أنهما تحدهما خطوط فوالق عادية.

أما عن الاتساع الكبير فلم يكن هناك تفسير لدى الجيولوجيين سوى فكرة تزحزح القارات، أى زحزحة بين شبه جزيرة العرب وإفريقيه نتجت عنها هذه الفجوة المكونة لأخدود البحر الأحمر ، أو بمعنى انفصال في القشرة كالانفصال بين إفريقيه وأمريكا الجنوبية وتكوين قاع الاطلنطى، إذن هنا زحزحة وليس هبوط. وهذا الانفصال معناه اتساع شق في الأرض بدرجة كبيرة بحيث لا يمكن أن يظل خالياً، بل تملأه وتشغله تكوينات السيما. وإذا كان هذا صحيحا فمعنى هذا أن قاع البحر الأحمر أو على الأقل الأجزاء العميقة لابد وأن تشغلها الصخور المتداخلة المرتفعة الكثافة، وعلى عكس الجاذبية السالبة التى تميز أخدود شرقى إفريقيه، فانها في البحر الأحمر يجب أن تكون موجبة. وقد ثبت هذا فعلا. فقد دلت الدراسات على أن طبقة السيال غير موجودة في قاع البحر الأحمر، وأنه حل محلها طبقة من الصخور القاعدية الثقيلة.

بل يذهب ***M. A Qunell*** إلى أن الجانب الشرقى من أخدود البحر الميت من العقبة إلى الجليل قد تحرك نحو الشمال بالنسبة للجانب الغربى، وهو نفس رأى ***G.***

M. leas بالنسبة للسواحل الجنوبية الشرقية لشبه جزيرة العرب فـــي عمـــان. وهذا معناه أن سواحل شبه جزيرة العرب تزحزحت نسبيا عن الجزر الســاحلية ، أى أن هناك أدلة في جانب الزحزحة. وقد استدلوا أيضا على اتجاه جزيرة العرب بعيـــدا عن إفريقيه من التوازى التقريبى للفوالق على جانبى شبه جزيرة العـــرب للفوالـــق على الجانب الافريقى من خليج السويس إلى سهول الافار البركانية، ومن هناك إلـــى ساحل الصومال وسوقطره.

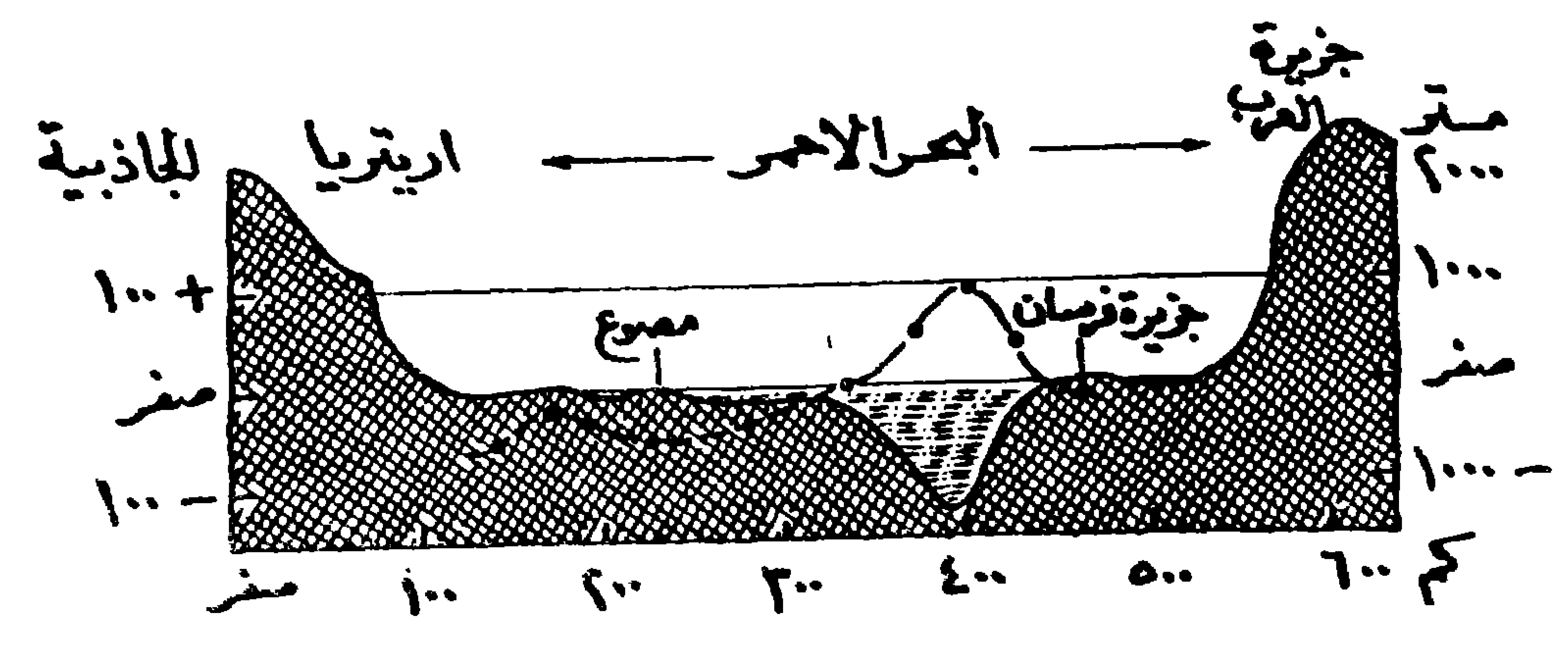
وواضح من الرسم أن النقاط التى تتقابل من ناحية البنية هى المشار إليها في الرسم (أ أ) إلى (د د).

وواضح أيضا أن خطوط هذه الفوالق موازية بوجه عام لنظام الأخدود فـــي اثيوبيـــا وفي نفس الوقت موازية لأخدود العقبة/ البحر الميت/ الأردن وهى في الحقيقة أقرب إلى التوازى وأن كانت ليست متوازية تماما.

ان الاتساع التدريجى لمنخفض البحر الأحمر من سيناء إلى الافار وعملية الاتســـاع المستمر على طول منخفض خليج عدن من افار إلى سوقطرة كلاهما يرجح حركـــة خفيفة مبتعدة بذلك عن إفريقيه في اتجاه ضد عقرب الساعة بنحو ٦ أو ٧ درجات.

ومن نتائج المسح الذى قام به *Gridler* الذى بدأ عام ١٩٥٥ للجاذبية تحت سطح البحر الأحمر اتضح أن البحر الأحمر له محور غائر يتروواح بين ٥٠ - ٦٠ كم فـــي أقصى عرض له وتحده رفارف قارية عميقة تتبعثر عليها الجزر البركانية. فـــالثقل المغناطيسى فوق الرفارف منخفض، ولكنه يزداد على طول المحور الغائر الســـابق ذكره، ثم ينخفض مرة أخرى في جزيرة بريم (باب المندب) ويزداد ثانيا فـــي خليـــج عدن.

شكل رقم (١٠) : قياس الجاذبية فى البحر الأحمر



وتعليل *Gridler* لهذا الثقل المغناطيسى في الغور بكتلة صخرية عرضها ٦١,٥كم بكثافة تزيد على ٠,١٧ على مستوى كثافة صخور القشرة، أى كثافتها نحو ٣، وهى كثافة صخور القاعدة التى ظهرت من الباريسفير. وقد أكد وجود هذه الصخور الثقيلة قرب السطح المسح المغنطيسى الذى تم عام ١٩٥٧، فلا يوجد أسفل هذا الغور أثر للصخور البلورية السيالية.

وأيد هذا الرأى أيضا، وجود عدد من الحواف المرتفعة *ridges* والأغوار *trenches* عابرة أخدود خليج عدن في اتجاه (أ أ)، وهذه الأغوار ظهر أنها شديدة المغنطة، وهذا معناه مرة أخرى أنها تمثل صخورا متداخلة غنية بالمعادن الممغنطة احتلت الشقوق، وثبت كما هو الحال في المنخفض الرئيسى أنها نتيجة شد وخروج مواد باطنية.

وهكذا تبدو الصورة العامة للمنطقة كانتفاخ أو محدب متسع *Vast swell* يشمل الصحراء الشرقية وسيناء وشبه جزيرة العرب والصومال وأثيوبيا قطعته منخفضات البحر الأحمر وخليج عدن، وكلها تحد بواسطة فوالق كانت نشطة في فترات متفاوتة من منتصف الزمن الثالث إلى الوقت الحاضر.

النشاط البركانى :

ذكرنا أن الحركات العنيفة التى تعرضت لها القارة في أواخر الزمن الثانى، وكذلك في الزمن الثالث، سواء حركات انكسارية أو رد فعل للحركات الألبية أدى إلى حدوث صدوع جديدة في اليابس الأفريقى ، فضلا عن تجديد الصدوع القديمة. وتبع ذلك ظهور نشاط بركانى ضخم، أحيانا لافا غطائية تشمل مساحات واسعة كما هو الحال في هضبة اثيوبيا ، وأحيانا أخرى مخاريط بركانية كجبل كليمنجارو وكينيا.

وتتمثل التكوينات البركانية في إفريقيه الشمالية في كتلة الأحجار، فقد أدت الحركات التكتونية إلى ظهور محدب من صخور القاعدة، وتدفق النشاط البركانى، ومعظمها من الفونوليت، وأعلى قمة لها تاهات (٢٩١٨ مترا) كما تعرضت كتلة تبستى بدورها لاضطراب شديد أدى إلى تدفق اللافا فوق تكوينات الحجر الرملى مغطية مساحة تبلغ ٦٠ ألف كم[٢] ، وتبلغ أعلى قمة لها في ايمى كوسى (٣٤١٥ مترا) وبدأ

معظم النشاط البركانى في الأوليجوسين، واستمر حتى العصور الحديثة مكونا طبقات من البازلت والفونوليت. وتتمثل هذه التكوينات في جبل غريان إلـــى الجنـــوب مـــن طرابلس، وكتلتى السودا وحروج الأسود، بمساحة تبلغ نحو ٢٥ ألف كم٢.

وتمثل كتلة جبل مرة في السودان الظاهرة البركانية الرئيسية هنـــاك مكونـــة مـــن البازلت والفونوليت والتراشيت ، ويبلغ أقصى ارتفاع لها (٣٠٤٢ مترا) وبمســـطح يزيد على السبعة آلاف كم٢، ولها امتدادات نحو الشمال الغربى ممثلـــة فـــي جبـــل ميدوب، وهى جميعها قمم براكين خامدة فوق قاعدة أركية على قمة محدبة بين تشاد ومنتصف حوض النيل.

وتغطى غطاءات اللافا اثيوبيا بطبقة سميكة، وترجع إلى وسط وآخـــر الكريتاســـى، وسمكها يتراوح بين ٦٠٠، ٧٠٠ متر وقد تعرضت للتعرية. تعلوها طبقات ســـمكها نحو ٢٦٠٠ متر، ترجع إلى الفترة ما بين الأوليجوسين والزمن الرابع. ثم تكونـــت بعد ذلك تكوينات طفحية حديثة لها صلة بحركة الاندفاع إلى أعلى التى حدثـــت فـــي منتصف البليستوسين، ووصلت بحافة الهضبة الشرقية إلى ١٥٠٠ متر. ويظهر هذا النوع أما على هيئة السنة، وبخاصة عند الحافة الشرقية أو على هيئة مخاريط، هذا وتشير بيانات المعهد الدولى للبراكين على وجود خمسة براكين نشطة فـــي شـــمال أخدود الآفار.

وتتمثل الجبال المنفردة في هضبة شرق إفريقيه ، وأهمها جبل الجون شرق بحـــيرة فيكتوريا، وهو بركان خامد يبلغ ارتفاعه ٤٣١١ مترا، بفوهة قطرها زهاء ٥٠ كم ، ويرجعونه إلى البليستوسين نظرا لأن فوهته ما زالت حافظة لشكلها، ويـــبرز جبـــل كينيا كعملاق ٥٦٨٦ مترا وهو بركان خامد في الوقت الحاضر نظرا لأن اللافا سدت فوهته. وقد أزاحت عوامل التعرية طوال الآف السنين الرماد البركانى، والتكوينـــات اللينة لتظهر القمم الأكثر مقاومة للتعرية . أما جبل كليمنجارو أعلى جبال إفريقيـــه فهو كتلة هائلة ذات قاعدة بيضاوية قطرها من الجنوب إلى الشمال نحو ٦٠ كم ومن الغرب إلى الشرق نحو ٩٠ كم ، بينما ترتفع إحدى قممة إلى ما يزيد علـــى ٦٤٠٠ متر، من ثم تغطى قمته الثلوج طوال العام، ومن هنا كانت تسميته باللغة السواحيلية

بالجبل المضئ.

وتظهر جبال موفمبيرو وسط الذراع الغربى للأخدود كمقسم للمياة بين النيل والكنغو وفي نفس الوقت يمر به الحد السياسى بين أوغندا والكنغو، وتتكون هذه المجموعة من ثمانية براكين أكثرها ارتفاعا في الوسط ويسمو إلى ٤٥٠٠ متر.

وارتبط بالحركة الهرسينية في غرب إفريقيه حدوث طفوح بركانية كونت صخور الدولريت والبازلت والجابرو على هيئة سدود رأسية *dykes* أو عتبات أفقية، ثم عاد الطفح البركانى مرة أخرى إلى الظهور من الكريتاسى إلى البليوسين، وكانت معظها مرتبطة بحركات رفع اليابس التى أدت إلى تقهقر بحر الايوسين، والطفوح البركانية هنا على قدر كبير من الأهمية وترتبط بهضبة جوس واير ومرتفعات الكمرون التى لم تخمد بعض قممها بعد. وامتدادها في المحيط كجزر فرناندوبو وساوتومى وبرنسيب وأنوبون، كلها جزر بركانية وكلها تقع على جانبى انكسارات هيلانة / الكمرون / تبستى كما تظهر غطاءات اللافا بالقرب من داكار وفي جزر الرأس الأخضر.

كذلك تعرض جنوب إفريقيه للنشاط البركانى خاصة في الترنسفال حيث تداخلت كتل اللافا في الصخور التى فوقها ، وظهرت على السطح وانتشرت في مساحة ٣٠٠ ميل٢، وفي بعض الجهات نجد أن سمك تكوينات اللافا يبلغ نحو ٦ أميال، هذا وقد تصلبت اللافا في كثير من الانابيب والفوهات، محتوية على الماس وبعض المعادن الأخرى كالكروم والبلاتين.

الفصـــــل الثـانـــــى
تضـــاريس إفــريقــــيه *

تتألف الكتلة الأفريقيه من هضبة واسعة (جندوانية) تمتد من ساحل غانا في الغـرب إلى الصومال في الشرق، ومن الأطراف الجنوبية لاقليم أطلس إلى الأطراف الشمالية لسلاسل الكاب في الجنوب، ولا تعتبر جبال أطلس جزءا من الهضبة الأفريقيه لأنــها جبال التوائية تكونت حديثاً، عند الأطراف الشمالية للكتلة الأفريقيه، وتشــبهها فــي ذلك سلاسل الكاب، وزفارتبرج، ولانج برج، لأنها هى الأخرى جبال التوائية تكونــت عند الأطراف الجنوبية للكتلة الأفريقيه، وأن كانت تختلف عن جبال أطلس في أنــها أقدم منها في التكوين.

أما المرتفعات الأخرى التى تصادفها في القارة الأفريقيــه وبصفــة خاصــة القمــم المنفردة التى تنتشر في كثير من جهات هضبة البحيرات مثــل كلمنجــارو وكينيــا والجون، ثم مناطق الهضاب العالية التى تعلو سطح الهضبة الأفريقيه وبصفة خاصة هضبة اثيوبيا فقد تكونت جميعا بفعل الثورانات البركانية التى تعرضت لــها الكتلــة الأفريقيه، وقد نجم عنها خروج اللافا من جوف الأرض، وتراكم هذه المواد بعضــها فوق بعض في طبقات سميكة، ويمكن القول بصفة عامة أننا إذا استثنينا من هــذه الظواهر، ظواهر الجبال المنفردة والهضاب البركانية، فإن أغلب المرتفعات التى تعلو فوق مستوى الهضبة الأفريقيه قد تكونت بفعل عوامل التعرية التــى ظلــت تنحــت التكوينات التى تحيط بتلك المرتفعات حتى أزالتها، وبقيت المرتفعات قائمة لصلابتها، فهى بناء على ذلك تعد جبالا متخلفة.

وهكذا ونظرا لصلابة الصخور وقدمها، كانت استجابة القارة لحركات القشرة رأسية، أى ارتفاع وانخفاض وفوالق وأحوض وقباب، غير أننا يجب أن نستدرك ونقــول أن المسألة ليست بهذه البساطة، فلقد أصبح واضحا من الدراسات الجيولوجية المتفرقة

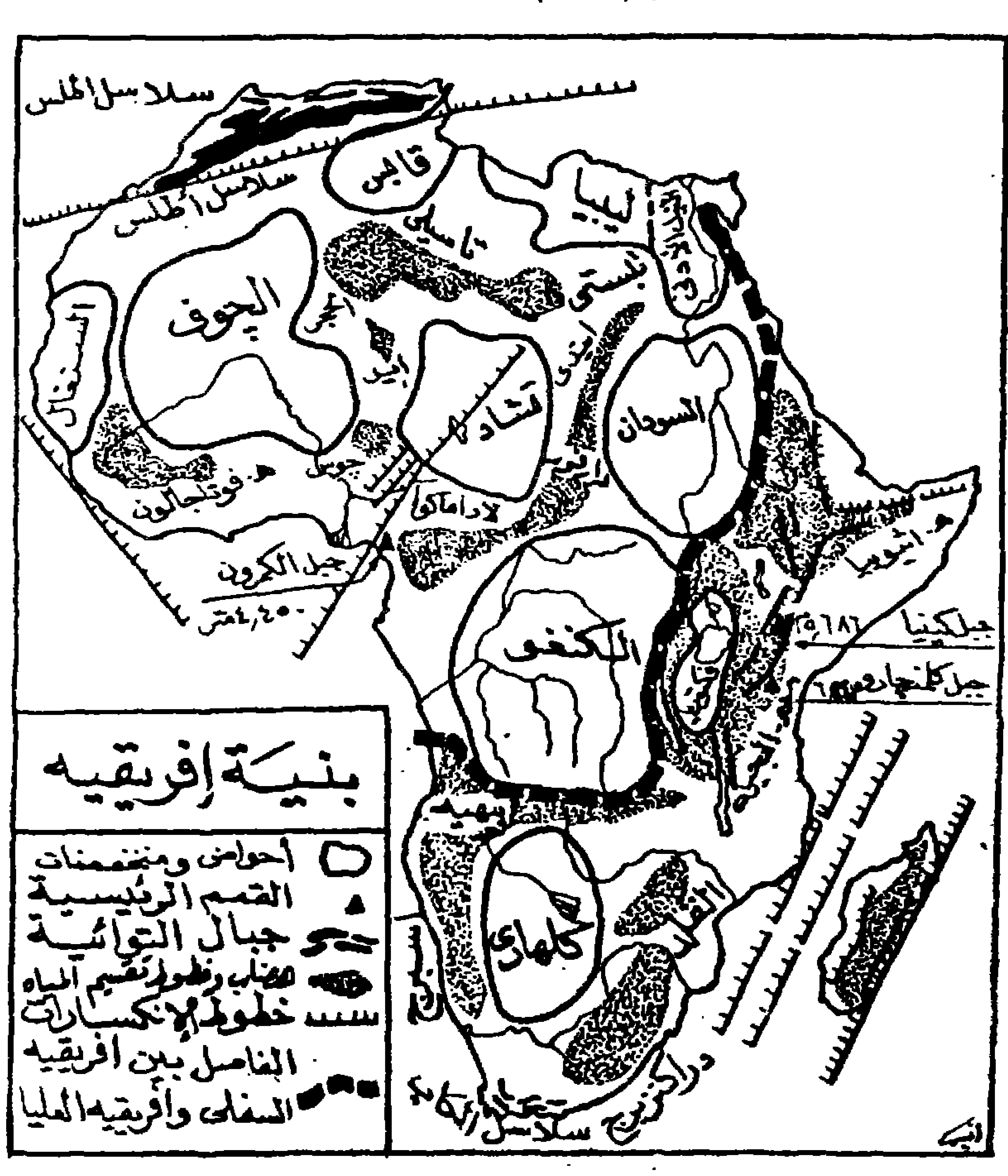
---

* تركنا دراسة التفاصيل الى القسم الخاص بالأقاليم .

في مناطق التعدين، أنه حتى صخور هذا الدرع القديم قد تعرضت فيما قبل الكمبرى لحركات القشرة الأرضية، وأن لم يظهر في الوقت الحاضر أثارها على تشكيل مظاهر السطح، لطول الفترة التى تعرضت فيها هذه التكوينات لعوامل التعرية، وبالتالى سوت من سطحها.

على العموم تتميز الكتلة الأفريقيه من حيث التضاريس بعدة مميزات فريدة عن قارات العالم الأخرى :

شكل رقم (١١) : بنية افريقية



أولا : الصفة الهضبية : ذلك أن ثلثى مساحة القارة يزيد ارتفاعه على ٤٠٠ متر، غير أن هذه الهضاب بوجه عام أكثر ارتفاعا واتساعا في إفريقيه الجنوبية عنها في

الشمالية، ذلك أن النسبة السابقة ترتفع إلى ٨٠% في إفريقيه جنوب خط الاستواء، كما لا تقل نسبة المساحات التى تزيد على الالف متر عن ٤٧%، ويبدو أن حركة الرفع التى أصابت القارة كانت قمتها في جنوبى وشرقى القارة وبدرجة أقل نحو الغرب والشمال ، من ثم تمثلت أعى هضاب إفريقيه ، في جنوبها الشرقى حيث تتراوح بين ١٣٠٠، ٣٠٠٠ متر وتزيد بالوصول إلى دراكتربرج (٣٦٥٠ مترا) أما إذا اتجهنا نحو غرب القارة فلا تزيد الأرض ارتفاعا على ٧٠٠ متر، إلا في مواضع محدودة، بينما الارتفاع الغالب يتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ متر، ولا يزيد ارتفاع الصحراء الكبرى على ٣٥٠ مترا إلا حيث تعبرها مرتفعات الأحجار وتبستى، من ثم كان التقسيم إلى إفريقيه العليا وإفريقيه السفلى، الأولى في الجنوب والشرق والثانية في الغرب والشمال، الأولى أكثر حدة في تضاريسها، هضاب وحواف شاهقة تقطعها الأخاديد والثانية يغلب عليها الأحواض وان تمثلت في المحدبات.

ثانيا : ظاهرة الأحواض أو القباب *Basins, Swells* : وهى متتابعة، ذلك أنه باستثناء شرقى إفريقيه، فان معظم القارة لم يعتوره غير تموجات ذات قطر كبير، هبطت بعض الأجزاء فكونت منخفضات واسعة تفصلها مرتفعات، وإن كانت تتفاوت فيما بينها ارتفاعا وانخفاضا. قدما وحداثة. وقد نتجت عن عدم التكافؤ في حركات الرفع، إذ تمثل الأحواض المناطق التى تخلفت عن حركات الرفع. وأصبحت ملجأ للرواسب التى تجلبها إليها عوامل التعرية من المرتفعات المحيطة بها. ويختلف عمر هذه الأحواض اختلافا كبيرا ، فحوض الكنغو مثلا لابد وقد نشأ في للزمن الأول كمنخفض على القاعدة الأركية نظرا لتغطيته بتكوينات الكارو التى ترجع للزمن الأول. وينطبق هذا تقريبا على كل أحواض إفريقيه الجنوبية. ومن الأحواض ما هو أكثر حداثة كحوض تشاد الذى يرجع إلى ارسابات الزمن الرابع. كما تشغل بحيرة فيكتوريا منخفضا يرتبط بالفترات الأخيرة لتطور الوادى الأخدودى. وقد ردمت الأحواض الداخلية برواسب قارية، كما هو الحال في حوض الكنغو والنيل، وبعضها ما زال يردم حتى الآن كحوض تشاد والغزال. ومن هذه الأحواض ما استطاع أن ينصرف خارجيا، كالكنغو الذى استطاع أن يجد له منفذا إلى البحر، وترك وراءه

بحيرة داخلية، أخذت تتصرف بالتدريج، وكحوض النيل الذى استطاع سواء بـــالنحت التراجعى، أو بالدوران حول المرتفعات أن يشق لنفسه طريقا نحو الشمال: ومع هذا فإن عددا كبيرا من هذه الأحواض لاتجد مياهه طريقها إلى البحر، كـــأحواض تشـــاد ونجامى ورودلف، وكثير من أحواض الصحراء الكبرى.

أما القباب الناتجة عن حركات الرفع الرأسية في عصور مختلفة، فيمكن تتبعها مـــن الشرق إلى الغرب في الكتلة العربية النوبية التى قسمها منخفض البحر الأحمر إلـــى قسمين، وهناك قبة تبستى ببراكينها، وقبة الأحجار وملحقاتها كأدرار ايفوراس، كمـا تظهر قبة ضخمة في غرب إفريقيه في ليبيريا وكوت ديفوار، وإلى الجنوب هناك قبة الكمرون التى أصابتها الصدوع وما صاحب ذلك من ظهور الـــبراكين، وإذا اتجـــهنا قليلا نحو الشرق كان مقسم المياة بين حوض الكنغو وتشاد.

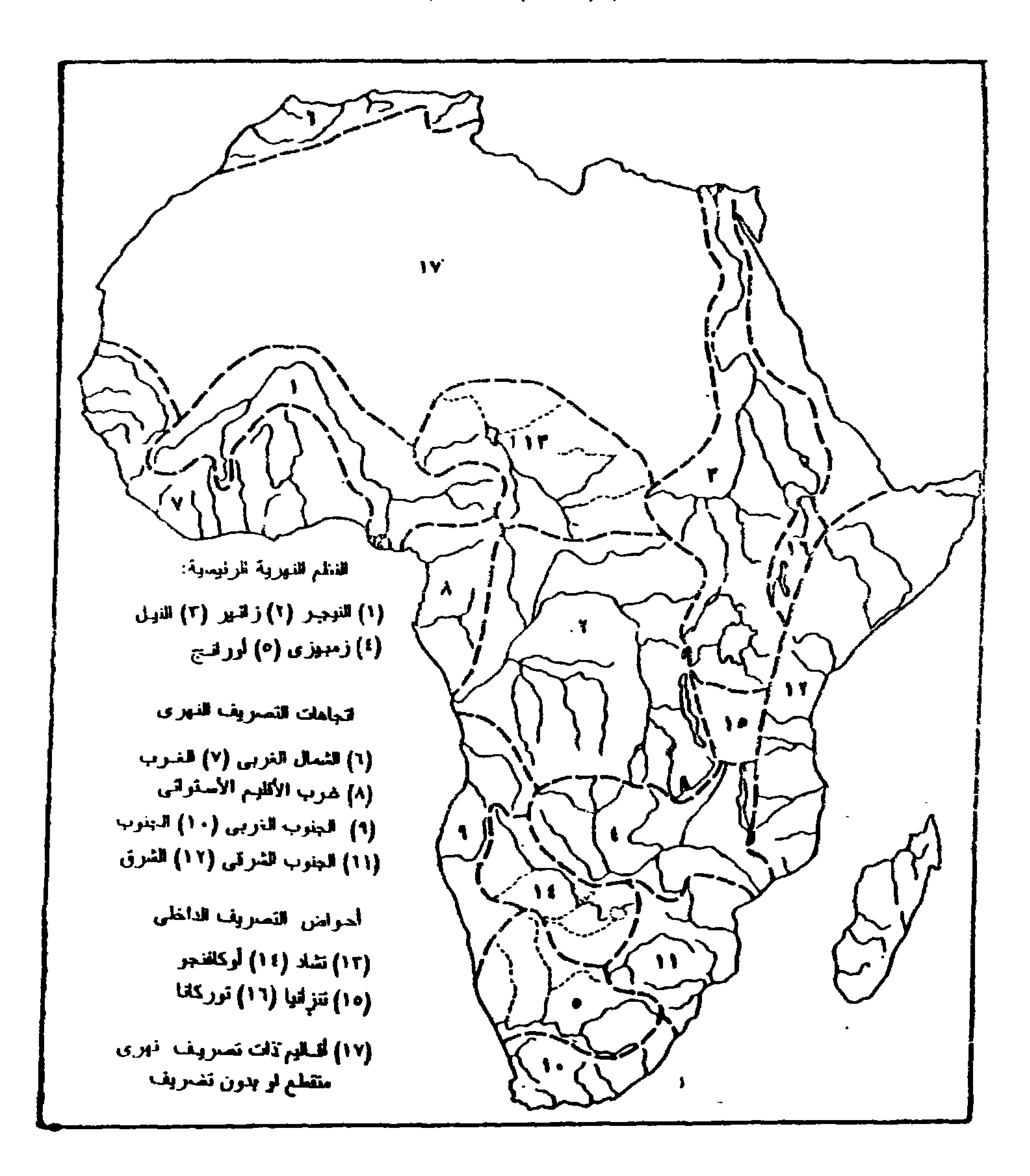
أما في شرقى إفريقيه فهناك المحدب الضخم الذى يمتد من أثيوبيا إلـــى موزمبيـــق والذى أصابته الحركة التكتونية الضخمة التى تعرضت لها الكتلـــة الأفريقيـــه التـــى كونتها الأخاديد والتى نجم عنها خروج اللافا من جوف الأرض وتراكمها.

ثالثا : الأحواض المغلقة وشبه المغلقة : ترتب على ظاهرة تتابع الأحواض والقبـــاب إن إفريقيه يعتبرها البعض قارة الأحواض المغلقة تماماً، أو التى تتصـــل بالخـــارج بواسطة فتحات ضيقة، وهذا يفسر اتساع وانتشار الجهات التى تنصرف مياها إلـــى الداخل أى إلى بحيرات، أو مستنقعات ولا تنصرف مياهها إلى بحر أو محيط، وهـــذا النمط من التصريف النهرى هو الذى يطلق عليه الجيمورفولجيون النمط المركـــزى *Centripetal* أى تتلاقى فيه خطوط التصريف المائى فـــي منطقـــة حوضيـــة أو هابطة، وتدل الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع على أن ٥٢% من مياة إفريقيـــه لا تذهب إلى البحر *Endoreic drainage* وليس من شك أن المناخ أيضا مســئول عن ذلك إلى جانب كثرة المنخفضات.

ولا يقتصر الأمر على حوض بحيرة تشاد ونجامى مثلا، بـــل إن الأنـــهار الخمسـة الكبرى في إفريقيه يميل تصريفها إل التركيز وسط كل حوض مـــن أحواضـــها، وأن يكون لها مخرج ضيق إلى البحر، وتشير الدراسات إلى أن خطوط التصريف المـــائى

داخل كل أحواض قديمة، بعكس مخارجها إلى البحر فهى حديثة نسبيا.

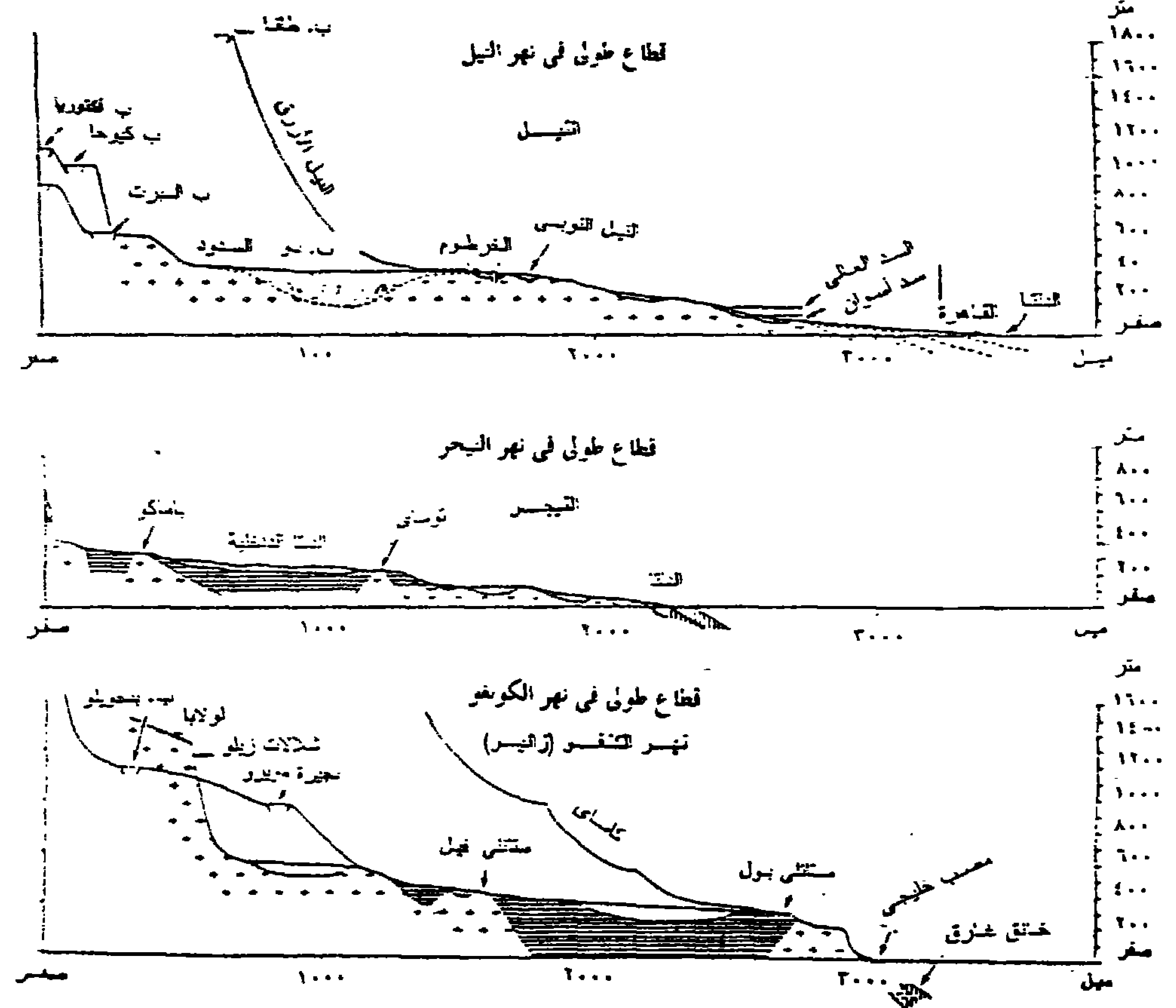
شكل رقم (١٢) : النظم النهرية الرئيسية



فالنيل على سبيل المثال كانت منابعه لا تمتد إلى أكثر من المنطقة بين دائرتى عرض ١٨، ٢٠ شمالا (اقليم عطبرة)، ومن هناك تتجه المياة نحو الشمال ، أما إلى الجنوب فكانت المياة الواردة من الجنوب تتجمع فيما يشبه البحيرة (بحيرة السد)

وكذلك كان حوض البحيرات الاستوائية مستقلا بذاته ، حتى استطاعت مياة حـــوض البحيرات أن تجد لنفسها مخرجا نحو الشمال (منذ ٢٥ ألف سنة)، فضلا عن تدفـــق مياة النيل الأزرق والسوباط فارتفعت مياه السد، واستطاعت أن تجد لها مخرجا نحو الشمال عبر اقليم النوبة، فانصرفت مياة بحيرة السد (من ١٢ ألف سنة).

شكل رقم (١٣) : قطاعات طولية فى أنهار النيل والنيجر والكنغو



كذلك كان النيجر في إحدى مراحل تطوره الجيولوجي ينصرف إلى بحيرة داخلية بـــل وكان النيجر يمثل مصدرا لمياه السنغال في منتصف الزمن الثالث، حتـــى تجمعـــت الرمال بالتدريج في اقليم شمال بماكو، مما أجبر النيجر على أن يتجه بمياهه نحـــو الشمال الشرقى إلى وسط حوض تمبكتو، وتكونت بحيرة (أراوان) في أواخر الزمـــن الثالث والرابع، عندما كان الفاقد بالبخر أقل من الوارد إليها من المياه، ثم كان تجمع

الرواسب في قاع البحيرة مما رفع مستوى المياه، حتى كانت إحدى الفترات المطيرة من الزمن الرابع والتى استطاعت فيها المياة الخروج من البحيرة عند بلدة (توساى شرق تمبكتو بنحو ٢٥٠كم) إلى ما يعرف الآن بالنيجر الأدنى، وقد يكون النحت التراجعى للنيجر الأدنى له أثره في عملية جذب مياة البحيرة نحو الجنوب.

وإذا كان التاريخ الجيولوجى لنهر الكنغو غير واضح بنفس الدرجة، إلا أنه من الثابت أن مخرج الحوض الحالى من ليوبولدفيل إلى متادى حديث جيرلوجيا، ويبدو أن الحركات الأرضية قد سدت المنافذ المبكرة للحوض (إلى بحيرة تشاد وربما عبر الكمرون) مما أدى إلى بحيرة ضخمة، من المعروف أنها استمرت حتى ما بعد العصر الجليدى ثم انصرفت مياهها بعد ذلك إلى الغرب من ليوبولدفيل عبر خانق في جبال كريستال الساحلية ، وما المستنقعات والبحيرات المتناثرة في الحوض إلا بقايا لبحيرة الكنغو القديمة.

هكذا يبدو من تطور النظم النهرية في القارة أن هناك عوامل مشتركة قد لعبت دورها وفي كل حالة من الحالات التى يعبر فيها النهر حوضا من الأحواض، كان هذا الحوض في وقت ما حوضا داخليا تتجمع فيه مياه هذا النهر، ثم انصرفت لعامل أو لأكثر من عامل من العوامل الآتية:

١- إذا ارتفع مستوى الماء في البحيرة تجد لها مخرجا من إحدى المواضع المنخفضة في محيطها.

٢- إذا زادت الرواسب في قاع البحيرة باستمرار وارتفع منسوبها، بحيث تجد لها مخرجا في محيطها.

٣- إذا ما قطع أحد الأنهار القوية خارج البحيرة إحدى حافاتها نتيجة النحت التراجعى أو النحت الصاعد ***head water erosion*** وبذلك يأسر مياه البحيرة، ويصرف مياها.

رابعا : قلة الأراضى السهلية بها : وربما كانت هى القارة الوحيدة التى تنفرد بهذه الظاهرة، لأن السهول الفيضية الواسعة التى تتميز بها القارات الأخرى كآسيا حيث توجد سهول الصين في شرقها وسهول السند والكنج في جنوبها، وكأمريكا الشمالية

حيث توجد سهول المسيسبى، وكأمريكا الجنوبية حيث توجد سهول الآمزون وسهول لابلاتا، وكأستراليا حيث توجد سهول مرى دارلنج، كل هذه لا نظير لها في القارة الأفريقيه، وكل ما يوجد بها من تلك السهول لا يزيد عن مساحات ضيقة للغاية تمتد بموازاة السواحل.

ويرجع السبب في حدوث تلك الظاهرة إلى أن الهضبة الأفريقيه العالية تمتد بارتفاعها حتى تبلغ مياه المحيط ولا تترك بينها وبين الماء إلا سهلا ساحليا ضيقا لا يزيد عرضه على ٢٠ ميلا في المتوسط، ولا يشذ عن هذا إلا في منطقتين هما:

١-وسط موزمبيق حيث يزيد اتساع السهل على ٢٠٠ ميل.

٢-حوض النيجر الأدنى حيث يتسع السهل الفيضى للنهر وتمتد منطقة الدلتا بين حافة الهضبة من ناحية والمحيط من ناحية أخرى.

ويرجع هذا بدوره إلى أن الهضبة الأفريقيه لم تكن تمثل أطراف قارة جندوانا، وإنما كانت تمثل الوسط. وهكذا تنحدر الهضبة الأفريقيه إلى البحر على هيئة مدرجات أو انحدار سلمى.

خامسا : نقاط الاختناق في المجارى الدنيا للأنهار : يقسم الجغرافيون مجرى النهر عادة إلى مجرى أعلى شديد الانحدار كثير المندفعات، ومجرى أوسط يتميز بهدوء نسبى يقل فيه النحت نسبيا، ثم مجرى أدنى قليل الانحدار، ويكون الارساب فيه هو عمل النهر الرئيسى، وبالتالى نجد أن القطاع الطولى لمثل هذا النهر يتخذ شكل قوس مقعر تقعيرا بسيطا ، ولكن الحال يختلف في الأنهار الأفريقيه، فالأنهار الخمسة الأفريقيه غير متدرجة وغير هادئة في مجاريها الدنيا، أى أن قطاعها الطولى متقطع *Interrupted profile* فنهر الكنغو ينحدر ما يزيد على ثلاثمائة متر في الاربعمائة كيلو متر الأخيرة من مجراه عبر خانق جبال كريستال، ويعبر بذلك سلسلة من الشلالات يبلغ عددها ٢٢، وهى التى تعرف بشلالات لفنجستون، ويعبر نهر النيجر في قسمه الأدنى مساقط جبا على بعد ثمانمائة كيلو مترمن البحر، ويعبر نهر أورانج شلالات أوجرابى على ارتفاع ١٦٠ مترا، بينما يعترض الزمبيزى عدة مندفعات طبيعية في مجراه الأوسط والأدنى تنتهى بشلالات فكتوريا تهبط المياه

عليها من ارتفاع ١٢٠ مترا، وفي حالة النيل نجد الجنادل الستة بين الخرطوم وأسوان أقربها إلى البحر يبعد نحو ٩٠٠ كيلو متر، أى بعيدا عنه.
هذه القطاعات الطولية المتقطعة تعكس بدورها التاريخ الجيولوجى للقارة، وهى أنها قارة تعرضت أكثر من مرة لحركات الرفع على فترات متباينة، ويسبق كل فترة رفع ويتلوها، فترة هدوء نسبى، ومن الجائز أن هذه المندفعات البعيدة عن البحر أو نقاط الاختناق ***Knick points*** كانت على كثب منه ثم تراجعت نحو الداخل لمسافات متباينة تبعا لدرجة مقاومة الصخور، وطول فترة النحت والتعرية، فإذا أضفنا إلى هذا أن حركة الرفع تتجه في إفريقيه نحو الشمال بوجه عام. من ثم كانت العقبات التى يصادفها النيل في جزئه الأدنى أقل حدة منها في حالة نهر كالكنغو أو الاورانج.
ومن الملاحظ أيضا أن الانحدارات تتدرج بلطف فيما بين الجنادل والشلالات، فمتوسط انحدار الكنغو بين ليوبوفيل وستانلى فيل هو ٦ سم في الكيلومتر، وينحدر النيل فيما بين جوبا والخرطوم ٣ سم كل ٣ كيلو متر، ولكن نهر الاورانج يتميز عليهم جميعا بأنه أشد الانهار الأفريقيه انحداراً ، إذ تقع منابعه في جبال دراكنزبرج على ارتفاع ٢٦٠٠ متر، ولا يوجد قطاع يقل فيه الانحدار عن ٣٠ سم في الكيلو متر، ويميزه أيضا أنه النهر الوحيد في إفريقيه الذى ينبع من مرتفعاتها الشرقيةَ وينتَهى في غربها، وهذا بدوره يرجع إل حركة الرفع التى أصابت القسم الشرقى من جنوبى القارة، فضلا عن الطفوح البركانية التى علتها.
سادسا : ضيق الارصفة القارية : والتى تكاد تنعدم بجوارها، وربما كانت السواحل المطلة على مياه المحيط الاطلنطى في الغرب هى أحسن مثل يمكن اتخاذه للتدليل على تلك الظاهرة، ذلك أن خطوط أعماق المياة البحرية التى تحدد مائة قامة (٢٠٠متر) أو أكثر توجد قريبة من الساحل، وهذا معناه أن الأعماق الكبيرة مجاروة الشاطى، أو بعبارة أخرى أن الأرصفة القارية لا وجود لها في تلك الجهة، والنتيجة الطبيعية لوجود هذه الظاهرة، هى أن الأغذية التى يمكن أن تعتمد عليها الحيوانات البحرية والتى تكثر عادة في مناطق الارصفة القارية، لا وجود لها عند السواحل الأفريقيه، وأن الثروة المائية قليلة تبعا لذلك، والمنطقة الوحيدة التى نجد بها ما

يشبه الرصيف القارى هى سواحل دولة المغرب المطلة على الاطلنطى، فضلا عن منطقة صغيرة مثلثة تعرف بشط أجولهاس تمتد قاعدتها من بورت السيزابيث إلى كيبتاون فى جمهورية جنوب إفريقيه.

سابعا : يتضح أثر البنية الأفريقيه فى شكل القارة : فباستثناء اقليم اطلس أو سواحل المغرب العربى، كانت التعاريج والنتوءات القليلة هى السمة الأساسية بحيث يصبح طول السواحل الأفريقيه جنوب جبال أطلس نحو ٢٧ ألف كم، إذا قورن بالسواحل الآسيوية البالغة أكثر من خمسة آلاف كم ، ورغم أن آسيا قدر إفريقيه مرة ونصف، أو قد يمتد الساحل أحيانا مئات الكيلومترات دون أن يقطعه خليج، فلا يقارن خليج فى إفريقيه بخليج المكسيك أو خليج هدسن بامريكا الشمالية، وهذه الظاهرة ترجع إلى البنية الانكسارية، فالقارة كتلة متماسكة صلدة كانت الحركات الرئيسية التى تأثرت بها هى حركات الرفع والصدع بينما تتضاءل المساحات التى حدثت فيها الالتواءات الحديثة. ولايقتصر عيب الساحل على قلة تعاريجه بل يتعداه إلى الحواجز والشطوط الرملية *Sand bars* التى تقترب منه وتمتد موازية لسيف البحر وعلى بعد مئات الامتار. وتحصر بينها وبينه البحيرات الساحلية الضحلة *Lagoons* مما يجعل من العسير على السفن المحيطية الاقتراب من الساحل، من ثم كان على السفن الوقوف بعيدا فى المحيط، وتفرغ حمولتها أو تشحن من جديد بواسطة القوارب *Surf boats* وهى عملية مكلفة لتعدد الشحن والتفريغ، ومايتبعهما من تلف وخسائر ، فضلا عن توقف هذه العملية إذا ماغزر المطر أو عصفت الرياح. ويزيد فى خطورة الحواجز الرملية الساحلية أنها سريعة التكوين، ويكفى أن تضرب مثلا بعمليات الارساب المستمرة التى عانتها قناة ابيدجان، والفشل المستمر فى تطهيرها فى الفترة ١٩٠٣/ ١٩٠٧، ثم حدثت فجوة فى مخرج القناة فى أكتوبر ١٩٣٣ نتيجة ارتفاع منسوب المياه فى بحيرة الظهير الساحلية بسبب ارتفاع الفيضان. وكان عرض الثغرة أول الأمر نحو المتر، وبعد ثلاثة أيام اتسعت إلى مائة متر، وبعد خمسة أيام أخرى بلغت ثلاثمائة متر غير أن الفيضان سرعان ماتوقف، وبعد ستة شهور كان البحر وحواجزه الرملية كفيلان بسد مخرج القناة

مرة أخرى. واستفاد المهندسون من درس الطبيعـة بـأن ضيقـوا مخـرج القنـاة المواجهة للبحر مما أدى إلى زيادة سرعه التيار، وبالتالى دفعت الرواسب الرمليـة بعيدا وفى الحق أن الحواجز الرملية فى غرب إفريقيه تكاد تقتل الموانى كمـا هـو الحال فى ميناءى *Saple , Warri* فى نيجيريا والتى لولا الحواجـز الصخريـة الصناعية لما أمكن أن تقوم بمهمتها.

ويعانى الساحل الشرقى لإفريقيه، من مشكلات أخرى تختلف نوعـا عـن مشـكلات الساحل الغربى هى مشكلة الشعاب المرجانية والعواصف المدارية، فـهما الـداءان اللذان أصابا سواحل شرقى إفريقيه، ذلك أن التصريف النهرى الغزيـر فـى غـرب إفريقيه عنه فى شرقى أفريقيه، حال دون تكون الشعاب المرجانية التى تحتاج إلـى مياه دفيئة رائقة صافية، من ثم كانت بيئة شرقى إفريقيه من سواحل البحر الأحمـر حتى سواحل موزمبيق بيئة مثالية، ماؤها دفئ مع قلة فى التصريف النهرى الداخلى حيث لا تظهر أنهار ذات شأن. فساحل كينيا مثلا بأستثناء بعض الأوديـة الغارقـة وبعض الشروم مستقيم نوعا ما، نظرا لاصابته بحركة الرفع التى أظهرت الصخـور الرسوبية. ويمتد من هذا الساحل إلى البحر بعرض يتراوح بين ٥٠ مـترا وثلاثـة أرباع الكيلو متر نطاق من الشعاب المرجانية التى تحصر بينها البحيرات السـاحلية الضحلة، ومعظم هذه اللاجونات لا يزيد عمقه على عشرة أمتـار، امتـلأت بفتـات الشعاب وبرواسب الأنهار، وينخفض مستوى هذه الشعاب ويقل حجمها واتسـاعها عند مصبات الأنهار.

وهكذا فيما يختص بالملاحة البحرية ، اعتبرت السـواحل الأفريقيـه بعامـة غـير مضيافة، فحتى الألسنة الصخرية التى تحمى الموانى وتجعلها صالحة لرسو السـفن نادرة، ولاتتمثل إلا فى داكار وفريتاون والكاب. وأحيانا قد تقـوم الجـزر بوظيفـة الحماية كما هو الحال فى زنجبار وميناء ممبسه. وقد تقوم المصبات النهرية بإعطاء هذه الحماية، ولكن الحواجز الرملية تقف حائلا دون تأدية هذه الوظيفـة كمـا هـو الحال فى كالابار على نهر كروس ، دوالا على نهر الكمرون.

وهكذا كان من الضرورى اقامة الموانى الصناعية ، ومداومة تطهيرها والعناية بـها

من الأمور ذات الشأن فى إفريقيه بعامة ،بأستثناء موانئ المغرب الغربى وموانئ جنوب إفريقيه، حيث تختلف البيئة هنا عنها فى بقية القارة، ويكفى أن نضرب مثلا بمينائى تاكورادى وتيما فى غانا وكلاهما ميناء صناعى، وقد تكلف الميناء الأخير - والذى بدا يضع أكرا فى منطقة الظل كميناء - نحو ١٧ مليون جنيه عام ١٩٦٢.

الفصل الثالث

مناخ إفريقيه ونباتها

العوامل المؤثرة فى مناخ القارة :

كان لموقعها الفلكى اثره فى تحديد السمات الرئيسية لمناخها، فتعتبر إفريقيه من اكثر القارات سمترية فيما يختص بدائرة العرض الاستوائية، فاقصى امتداد لها نحو الشمال هو رأس الطيب فى تونس (٢١و ٣٧° شمالا) وأقصى طرف جنوبى لها رأس أجولهاس (٣٥ جنوبا) وكان لهذا أثره فى تناظر الأقاليم المناخية والنباتية فى شمالى وجنوبى القارة إلى حد كبير.

وتبلغ القارة أقصى عرض لها فى النصف الشمالى ٧٢٠٠ كم فى ظل الظروف الصحراوية، من ثم كانت بها أكبر الصحارى الحارة فى العالم أجمع. كذلك كان لموقعها الفلكى أثره فى أن الظروف المدارية ودون المدارية هى السائدة، ولاتظهر الظروف المعتدلة أو المائلة إلى البرودة الا فى مواضع محدودة ومحلية فى المستويات المرتفعة، إذ يمتد ثلثا مساحة القارة بين المدارين، وإذا قورنت إفريقيه بأمريكا الجنوبية كانت الأخيرة أكثر بعدا نحو الجنوب، فإذا كان لايفصل أمريكا الجنوبية عن القارة القطبية الجنوبية سوى مضيق دراك ، فيفصل الأخيرة عن إفريقيه مسافة تبلغ نحو على ٣٠٠٠ كيلو متر من المحيط الجنوبى المفتوح. وكان لعدم امتداد الكتل الجبلية أو سلاسلها لمسافات كبيرة فى إفريقيه، بعكس الحال فى أوربا، أثره فى انسياب الرياح والدورة الهوائية فوقها دون عائق، ومن ثم كان

الانتقال من اقليم مناخى إلى أخر تدريجيا. ويظهر أثر هذه المرتفعات فـــى منـــاطق محدودة كما فى المغرب أو فى شرقى ووسط وجنوب القارة ممثلا فى تعديل درجـــات الحرارة.

وتلاطم مياه الأطلنطى سواحل إفريقيه الغربية بمياه باردة نسبيا، فى اقصى الشـــمال تيار كناريا بمتوسط حرارة بين ١٥ ، ٢٠° م خافضا لدرجة حـــرارة الســـاحل مـــن المغرب حتى رأس فرد ، ويقابله فى النصف الجنوبى تيار بنجويلا بمتوسط حـــرارة بين ١٢ ، ١٧ م، ولايرجع انخفاض الحرارة هنا إلى تحرك المياه من مناطق بـــاردة إلى مناطق أكثر حرارة فحسب ، بل إلى صعود مياه باردة من الأعماق نتيجة لدفـــع الرياح للمياه السطحية المجاورة للشواطئ وإزاحتها بعيدا. أما على الساحل الشـــرقى فلا توجد الا مساحة ضئيلة تلاطمها المياه الباردة نسبيا، وذلك فى فصل واحد وهـــو الصيف الشمالى، فى هذا الفصل تصبح الرياح الموسمية الجنوبية الغربية هى الهابة على الصومال ، فتدفع سطح المياه الدفيئة بعيدا عن الساحل لتحل محلها مياه بـــاردة من الأعماق حرارتها أقل مـــن ٢١° م أمـــا بقيـــة الســـاحل الشـــرقى مـــن ناتـــال إلى البحر الأحمر فتلاطمه مياه دفيئة تتراوح حرارتها بين ١٨ م فى الجنوب حيـــث تيار موزمبيق، وبين ٢٩ م فى مياه عدن ، وترتفع حرارة مياه البحر الأحمر أحيانـــا إلى ٣٢ م. ولم يقتصر أثر تنصيف خط الاستواء لإفريقيـــه علـــى غلبـــة الظـــروف المدارية عليها فحسب ، بل إلى تناظر الأقاليم المناخية والنباتية شمال خط الاســـتواء وجنوبه فى معظم الأحوال.

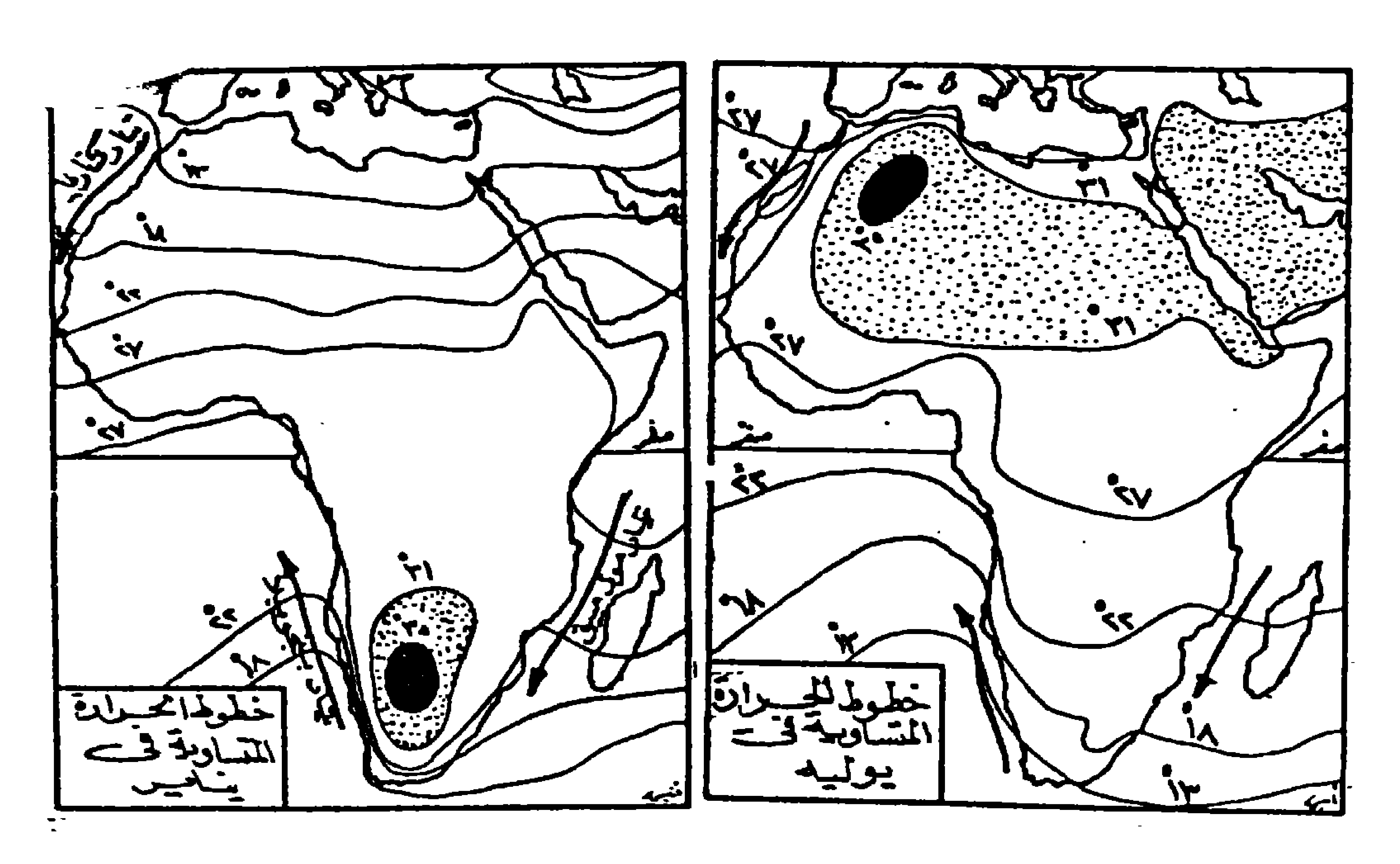
ويؤثر فى مناخ القارة أيضا تغير حالة الضغط الجوى عليها فضلا، عن حالة الضغـــط الجوى على المحيطين الأطلنطى والهندى، وكذلك حالة الضغط الجوى علـــى القـــارة الآسيوية.

الحـــــــرارة :

إفريقيه أكثر القارات حرارة بأى مقياس من المقاييس ، فهى علـــى ســـبيل المثـــال القارة الوحيدة التى لايمر بها خط الحرارة المتساوى ١٠ م وتسجل محطة كيبتـــاون متوسطا لحرارة يوليو (الشتاء) قدره ١٤ م، بينما تسجل الجزائر فى أقصى الشـــمال

متوسطا ليناير ١١م. وحتى جوهانسبرج على ارتفاع ١٦٠٠ متر سجلت في يوليه ١٠ ْم. وسجلت بعض محطات القارة أعلى درجات للحرارة عرفها العالم (عزيزية جنوب طرابلس) سجلت ٥٠ ْم في أحد أيام سبتمبر ١٩٢٢، وتسجل عين صالح في صحراء الجزائر ٣٨م كمتوسط لشهر يولية وان ارتفعت أحيانا إلى ٤٧م. ونظرا لضيق نصف القارة الجنوبي فضلا عن ارتفاعه، فلا تسجل محطاته مثل هذا التطرف الا في مواضع محدودة كالجهات المنخفضة في وسط كلهارى حيث سجلت ٣٨ ْم، بينما كان لاتساع يابس النصف الشمالي من القارة ومجاورته لآسيا وأوربا أثره في زيادة التطرف والقارية.

شكل رقم (١٤) : خطوط الحرارة المتساوية



على العموم يمكن القول بأنه لايوجد جزء في القارة تنخفض فيه درجة الحراره عن ٥ ْم وهو الرقم الحرج بالنسبة لنمو النبات. ورغم ارتفاع هضبة شرق إفريقيه، فالصقيع لا تعرفه إفريقيه المدارية، وكذلك لا تظهر ذبذبات حادة في الحرارة، وهي

التى ترتبط بتغير الجبهات الهوائية والمعروفة فى أوربا أو أمريكا الشمالية ، من ثم فالنبات آمن ويضمن حرارة تسمح له بالنمو خلال العام.

المطر :

غير أن الأمر يختلف إذا انتقلنا إلى المطر، فقد تعطينا المتوسطات السنوية لعدة سنوات صورة عن انتظام الأمطار، ولكن قليل من إفريقيه ما يتمتع بمتوسطات منتظمة، وعلى العكس تظهر ذبذبات حادة من عام إلى آخر، واختلافات حادة فى بداية التساقط ورخات غزيرة . ينطبق هذا على أقصى أطراف القارة كما ينطبق على وسطها، ومن ثم كانت مشكلة التنمية الزراعية فى إفريقيه هى مشكلة ضبط الماء، الصرف والتحكم فى الفيضان حين يزداد المطر، والتخزين حين تكون الأمطار معتدلة أو دون ذلك، بغية مواجهة السنين العجاف ولإطالة مواسم الانبات.

غير أن مشكلة الجفاف والحصول على الماء تعتبر من أهم مشكلات الانتاج فى القارة ، إذ تأتى القارة فى مقدمة القارات التى يسود فيها المناخ الجاف ، ففيها وحدها نحو ثلث الأراضى الجافة فى العالم ، وتضم أكبر نسبة من الأراضى الجافة إذا قورنت بأى قارة أخرى باستثناء استراليا . وبحسب تقديرات ***Meigs*** نجد :

المساحة بالمليون ميل مربع

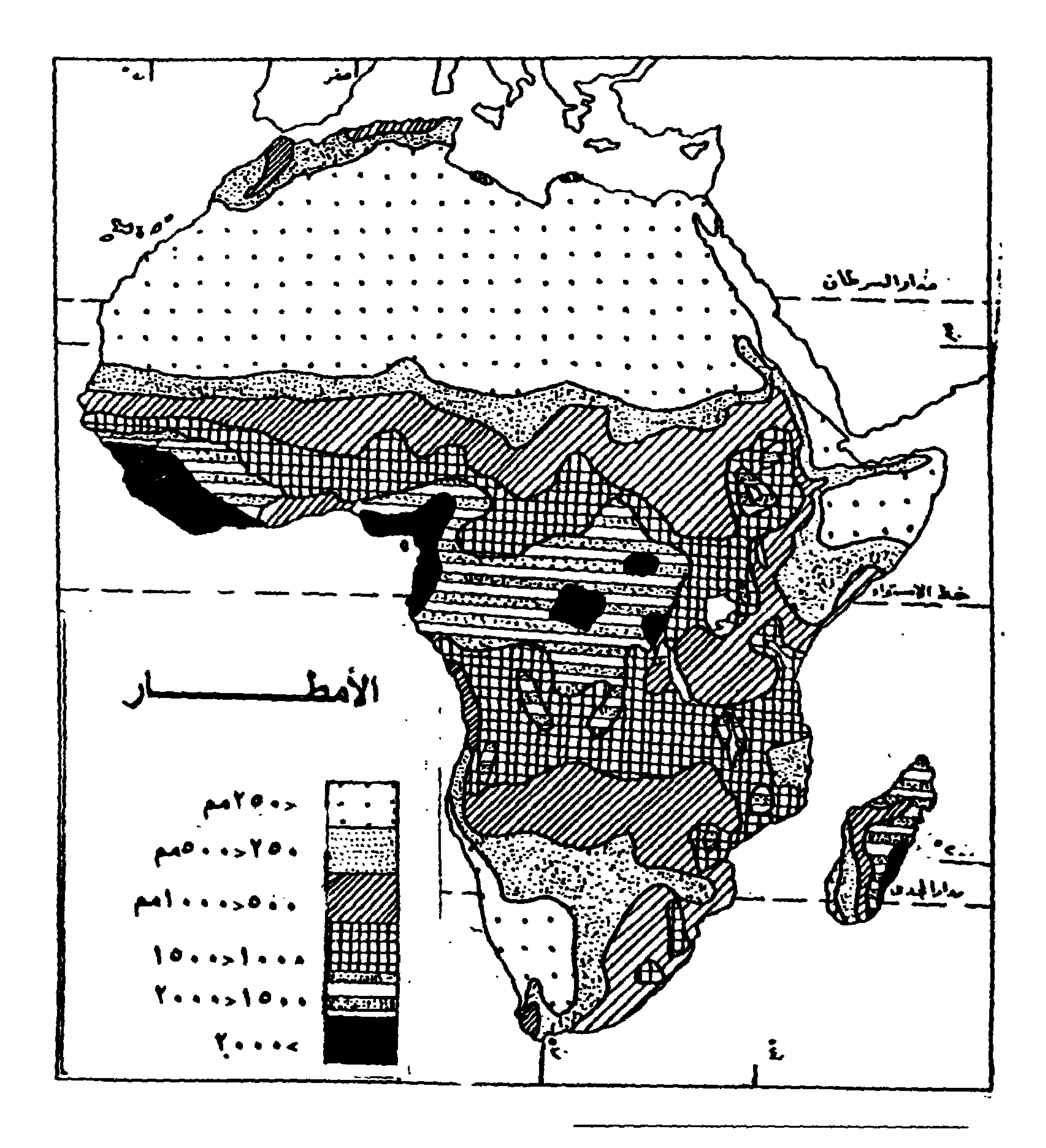
درجة الجفاف	المساحة بالمليون ميل[٢]	%
أراضى شديدة الجفاف	١,٧٧	١٥,٢
أراضى جافة	٢,٨٢	٢٤,٣
أراضى شبه جافة	٢,٢٥	٢٠,٢
المجموع	٦,٨٤	٥٩,٧

وهكذا يمكن القول بأن ٩٢% من مساحة القارة يعانى من مشكلة مناخية أو أخرى، وهى فيما يختص بالمطر قد تكون من الوفرة بحيث لايمكن الاستفادة منها بالكامل، وأحيانا من العجز الذى لايفى بالحاجة، وقد تتمثل فى ذبذبات حادة سواء من عام إلى عام أو من فصل إلى آخر.

على العموم إذا كانت الحرارة متوفرة فى إفريقيه بدرجة أو بأخرى بحيث لاتصبح

فيصلا بين الأقاليم، فإن المطر باختلافه كمية. ما بين ندرة فى الصحراء، وغـــزارة فى سواحل غرب إفريقيه، ومابين دوام طول العام، وفصلية شتوية أو صيفية، أصبح العامل الأساسى الذى يميز إقليما عن إقليم*

شكل رقم (١٥) : الأمطار فى افريقيه



* سيدرس المطر بالتفصيل أثناء دراسة الأقاليم المناخية.

الضغط الجوى والرياح فى يناير :

يمتد الضغط الجوى المرتفع فوق الصحراء الكبرى ملتحما بالضغط المرتفع الأسيوى أحيانا وملتحما بالضغط المرتفع الأزورى أحيانا أخرى، وفى نفس الوقت يكون الضغط الجوى مرتفعا على القارة الأوربية وبالتالى يصبح البحر المتوسط أشبه ببحيرة من الضغط المنخفض بين مرتفع أوربا ومرتفع شمال إفريقيه ، فيصبح البحر المتوسط فى هذا الفصل ممرا للانخفاضات الجوية الآتية من المحيط الأطلنطى أو الآتية من ممر كركسون. ويسبب مرور هذه الانخفاضات على شمال إفريقيه سقوط المطر. أما على الصحراء الكبرى حيث يسود الضغط المرتفع فتتسم الحالة الجوية بالهدوء، وتهب من أطرافها الجنوبية الرياح التجارية الشمالية يجذبها الضغط المنخفض الاستوائى، فتصل بجفافها حتى ساحل غانا . ونظرا لتعامد الشمس فى هذا الفصل فى النصف الجنوبى، فان نطاق الضغط المنخفض يمتد فى نصف القارة الجنوبى، ولكنه يمتد أيضا إلى شمال خط الاستواء. ويجذب هذا الضغط المنخفض الرياح التجارية الشرقية من المحيط الهندى، لذلك يسقط المطر فى هذا الفصل على الهضبة الجنوبية باستثناء مقاطعة الكاب وجنوب غرب إفريقيه.

شكل رقم (١٦) : الضغط والرياح فى افريقيه





الضغط الجوى والرياح فى يوليه :

بانتقال الشمس فى حركتها الظاهرية شمالا ترتفع الحرارة، وبالتالى يختفى الضغط المرتفع الذى كان يسود الصحراء الكبرى، ويحل محله ضغط منخفض، ويصل إلى أقصى انخفاض له شمال غرب بحيرة تشاد وشرقى النيل الأوسط، وهذا الأخير. يعتبر امتداد للضغط المنخفض فى جنوب غرب آسيا. ورغم هذا يظل الضغط منخفضا حتى المنطقة الاستوائية. أما فوق البحر المتوسط فالهواء أقل حرارة عنه فى وسط أوربا وإفريقيه الشمالية مما يسمح بتكوين ضغط مرتفع نسبيا. وتهب من هذا الضغط المرتفع الرياح التجارية والشمالية ملطفة للحرارة، وإن كانت جافة لارتفاع حرارتها كلما توغلت فى الصحراء، ومن ثم تزداد قابليتها لحمل بخار الماء. تضعف هذه الرياح ليلا وتشتد نهارا بسبب اتساع الفرق بين الضغط المرتفع على البحر المتوسط والضغط المنخفض على الصحراء، ولا يصبح البحر المتوسط صالحا لمرور الانخفاضات الجوية نظرا لارتفاع الضغط فوقه، ولذلك فمسارها يقع أكثر شمالا على بحار شمال غرب أوربا.

تجذب منطقة الضغط المنخفض الواقعة شمال خط الاستواء الرياح من الضغط المرتفع المدارى على المحيطين الهندى والأطلنطى الجنوبى. وتخرج هذه الرياح جنوبية شرقية فى اتجاهها نحو المنطقة الاستوائية، ثم تعبر شمالا فإذا ماعبرتها شمالا تحولت إلى موسمية جنوبية ممطرة على اليابس ويقل مطرها كلما اتجهنا نحو الشمال.

أما فى الهضبة الجنوبية فيسود الضغط المرتفع الذى يصل أقصاه جنوب مدار الجدى ولذلك يسود الهضبة صفاء السماء والجفاف والشمس المشرقة، ويشذ عن هذا الجفاف القسم الجنوبى من إفريقيه والذى تهب عليه أعاصير الغربية، فيسقط عليه مطر شتوى.

الأقـــاليـــم المـــناخـــــية

أولا : المناخ المدارى الـــرطـــب

ويشمل مساحة واسعة فى وسط وغربى إفريقيه حيث يزيد المطر علـــى ١٢٥ ســم سنويا، كما لا تقل الحرارة عن ٢٠م فى أى شهر من شهور السنة، لذلـــك يشـمل حوض الكنغو وجابون والكمرون الجنوبى والنطاق الساحلى لغـــرب إفريقيـــه مـــن سيراليون حتى حدود الكمرون الجنوبى باستثناء الأجزاء الجافـــة بيـــن تـــاكورادى وبورتونوفو. ففى كل هذه المساحة يسود المطر الانقلابى، ويـــزداد حيـــث تظـــهر العقبات التضاريسية كما هو الحال فى مرتفعات الكمرون وفوتاجالون. ويعتبر جبـــل الكمرون من أكثر جهات إفريقيه مطرا (١٢٠٠ سم). ولاتساع مساحة هـــذا الاقليـــم وظهور تباين بين أجزائه أمكن تقسيمه إلى الأقسام الآتية :

(١) المدارى الرطب طول العام (وســـــط إفريقيـــه) :

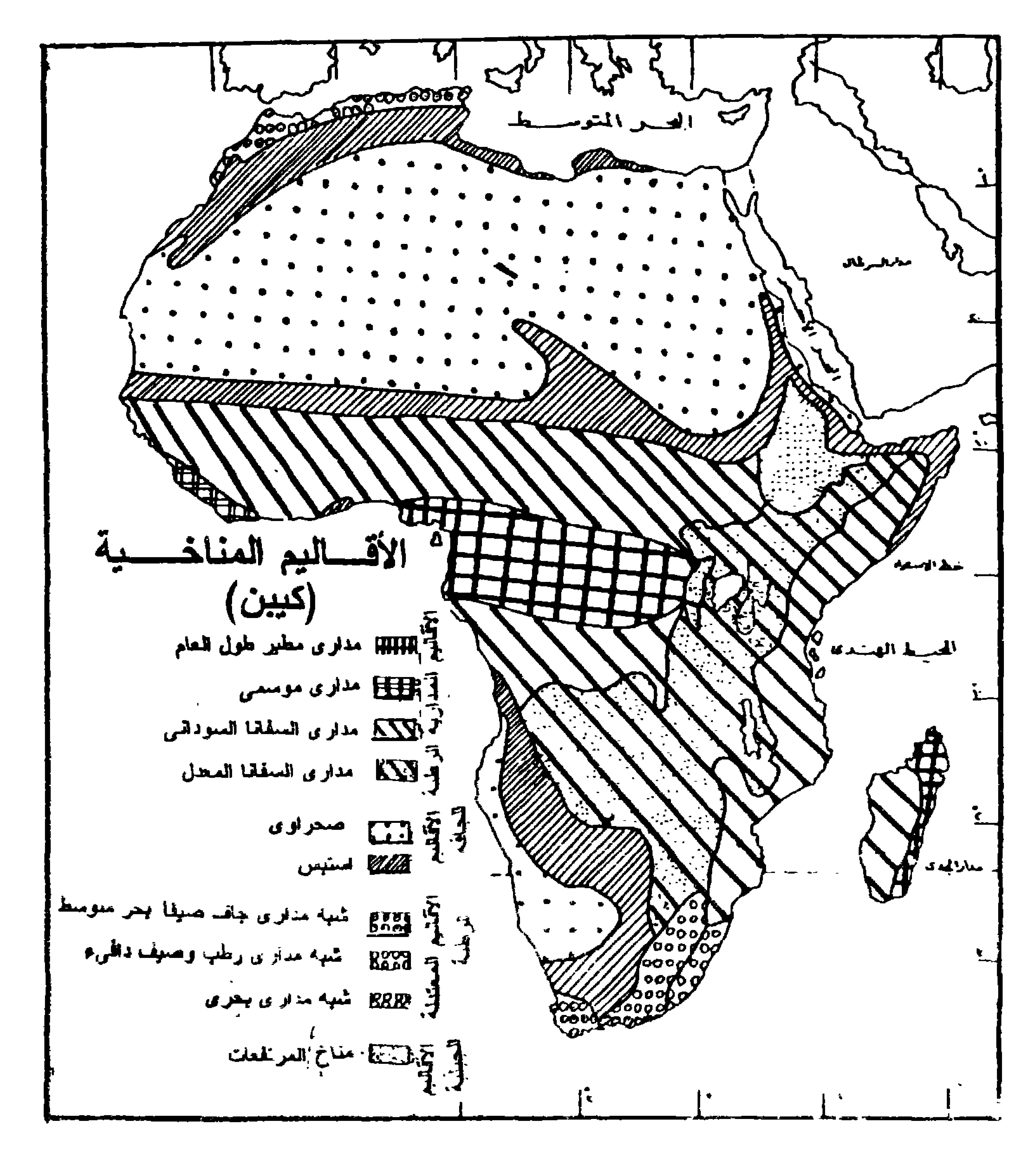
ويمثله حوض الكنغو شمال دائرة العرض الخامسة جنوبا حيث ترتفع الحرارة إلـــى مايزيد على ٢٦م ، علاوة على ارتفاع نسبة الرطوبة، ويلازم المطر الانقلابى الـــذى يسقط بعد الظهر دائما فى صورة عواصف رعدية ضغطا منخفضا مستديما وخاصـــة بعد تعامد الشمس، من ثم كانت هناك قمتان للمطر إحداهما فى ابريل والأخرى فـــى نوفمبر. ولا يقارن الإقليم المدارى المطير هنا فـــى الكنغـــو بنظـــيره فـــى حـــوض الأمازون، إذا يتراوح مطر حوض الكنغو بين ١٥٠ ، ٢٠٠ سم بينما يـــتراوح فـــى الأمازون بين ٢٠٠ ، ٢٥٠ سم ، ويعزى هذا إلى وجود هضبة شرق إفريقيه التـــى تمثل عائقا أمام الرياح التجارية الشرقية وتسلبها معظم بخار الماء.

وكان ارتفاع الرطوبة النسبية فى هذا الاقليم إلى جانب رتابة الحرارة حيث كل مـــن المدى السنوى واليومى ضئيل مما جعل هذا الاقليم غير ملائم للتوطن الأوربى. هـــذا وأن كان المدى اليومى أكثر ارتفاعا من المدى الســـنوى (الأول نحـــو ٦ درجـــات والثانى نحو ٣ درجات).

(٢) المدارى الموسمى (ساحل غانا) :

ويمتد هذا الاقليم على طول ساحل غانا من سيراليون إلى الكمرون، ويمتـــد شـــمالا حتى دائرة عرض ٧ شمالا. ويتميز هذا الاقليم عن السابق بموسمية المطر فى فصل الصيف، بينما يتفق مع الاقليم السابق فى ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة النســبية. ويرجع هذا الاختلاف إلى أن نظام الرياح على ساحل غانا موسمى، إذ تسود الريــاح الشمالية الجافة فى فصل الشتاء القصير، وتحل محلها الرياح الموســمية الجنوبيــة الغربية صيفا، وتبلغ مداها فى أواسط الصيف وأواخره، فتؤدى إلى سقوط المطر.

شكل رقم (١٧) : الأقاليم المناخية



وتزداد غزارة المطر إذا تعامدت الرياح على الساحل وحين يرتفع الظهير كما هو الحال فى جبال الكمرون وفى هضبة فوتاجالون، وتتضح موسمية المطر فى فريتاون عاصمة سيراليون التى يبلغ مطرها السنوى نحو ٢٤٠سم، لايسقط فيها فيما بين شهرى ديسمبر وفبراير سوى ٨ سم. ورغم موسمية المطر فيجب أن تلاحظ أنها تعادل وقد تزيد عن كمية المطر الساقطة فى النظام المدارى المطير طول العام. غير أنه يلاحظ نقصان المطر بصورة غير عادية على ساحل غانا إلى الشرق من رأس ثرى بوينتس، على سبيل المثال يسقط فى أكرا نحو ٧٠سم، ويلجأ البعض إلى تفسير هذا الشذوذ بأن الرياح فى هذا القسم تسير موازية للساحل ولا تتعامد عليه كما هو الحال في سيراليون، ومنها أن تيار غانا المرتد من الغرب إلى الشرق حين يمر على رأس ثرى بوينتس يبعد عن الساحل ولا يسير بمحاذاته، من ثم يجذب هذا التيار المياه الدفيئة السطحية نحوه، وتظهر مياه باردة من الطبقات السفلى، وبالتالى تنخفض درجة حرارة الرياح الهابة على الساحل وتقل قدرتها على حمل بخار الماء (انظر دولة غانا).

(٣) المدارى المطير المعدل (شرق إفريقيه) :

ويظهر في هضبة شرقى إفريقيه بين دائرتى ٣ م شمالا و ٥ جنوبا، وترتفع في معظمها على الألف متر. وأن كانت هناك مرتفعات يبلغ متوسطها ٢٠٠٠ متر تعلوها بعض القمم الجبلية التى تناهز ٤٠٠٠ متر مثل كينيا والجون وكلمنجارو. ولا تؤلف هذه كتلة واحدة وإنما مساحات منفصلة مثل :

(أ) المرتفعات الغربية للهضبة والتى تطل على حوض الكنغو ، وتمتد من قمة رونزورى حتى الطرف الشمالى لبحيرة تنجانيقا.

(ب) مرتفعات كينيا .

(جـ) منطقة المرتفعات التى تعلوها قمة كلمنجارو.

ويظهر هنا أيضا أثر الارتفاع فى خفض الحرارة. فلاتزيد درجة الحرارة فى نيروبى (١٨٠٠ متر) على ١٨ م ؛ ولاتنخفض فى مارس عن ١٣ م، ولذلك يوصف هذا المناخ بأنه ربيع دائم وصالح للتوطن الأوربى، ولكن رتابة المناخ وعدم وجود

فصلية واضحة فى الحرارة تعتبر مثيرة للضيق بالنسبة للأوربيين الذين تعودوا المناخ المتغير، ويعوض هذه الرتابة المدى اليومى الكبير الذى يسمح ببرودة الليالى. ويتفق هذا الاقليم مع الاقليم المدارى المطير طول العام فى ظهور قمتين للمطر بعد تعامد الشمس ففى نيروبى (٩٠ سم) هناك قمة فى إبريل وقمة فى نوفمبر. غير أنه بالإضافة إلى وجود المطر الانقلابى المنخفض فى الأقليم يتأثر أيضاً المطر فية بانجذاب رياح المحيط الهندى صيفا نحو الضغط المنخفض فى إفريقيه الشمالية لذلك كانت قمة الربيع أعلى من قمة الخريف.

هذا وتظهر الاختلافات المحلية حادة فى هذا الأقليم، تبعاً لتنوع التضاريس وظهور المسطحات المائية، كما هو الحال فى بحيرة فكتوريا، فاذا كان متوسط المطر يبلغ نحو ١٠٠ سم، فأنه يصل أحيانا إلى ٢٠٠ سم كما هو الحال فى بوكوبا على الساحل الغربى للبحيرة، بينما ينخفض إلى ٧٠ سم فى قاع الأخدود الشرقى.

ويشبة مناخ هضاب أثيوبيا المناخ السابق ذكره من حيث تدرج الحرارة بالأرتفاع، غير أنها تختلف من حيث فصلية المطر فهو صيفى، من ثم كان أقرب إلى الأقليم السودانى ، وأن ازدادت غزارة المطر، فمتوسط المطر فى أديس أبابا يبلغ نحو ١٣٠ سم ويتركز صيفاً بسبب هبوب الرياح الجنوبية، وقد طال النقاش حول مصدر أمطار إثيوبيا لانها مصدر فيضان النيل، وهل هى نتيجة هبوب رياح الأطلنطى أم المحيط الهندى، ولكن الأمر حسم بأنها هبة المحيط الهندى، فالرياح على ارتفاع ١٠٠٠متر فى وسط وشرقى إفريقيه هى الرياح الشرقية الآتية من المحيط الهندى، وبعد ذلك تعبر خط الاستواء فتصبح جنوبية غربية.

ثانياً : الاقليم السودانى (مدارى السفانا)

يتميز الاقليم أيضاً بزيادة الامطار وطول فصليتها كلما أقتربنا من الجهات الأستوائية، ويتميز بتركيز للمطر فى فصل الصيف، ويمثل مرحلة انتقالية بين الظروف الاستوائية الممطرة طول العام ، وبين الظروف الصحراوية الجافة وشبة الجافة.

ويزداد المطر ويطول فصله كلما اقتربنا من الجهات الاستوائية، والعكس كلما اتجهنا

نحو الصحراء، كما يتأثر بحركة الشمس الظاهرية شمالاً وجنوباً في حركتــها بيــن المدارين، غير أنه يمكن أن نميز نوعين فرعيين داخل هذا الاقليم نظراً لان اليــابس الأفريقي يزداد اتساعاً شمال خط الاستواء، بينما يضيق إلى الجنوب منه، بل ويرتفع أيضاً مما يؤدى إلى خفض درجة الحرارة في الجنوب عنــه فــي الشــمال لظــهور التأثيرات المحيطية من ناحية ولعامل الارتفاع من ناحية أخرى.

(١) السودانـي المثالي :

ويتميز بارتفاع درجات الحرارة طول العام، وأن وصلت إلى أقصاها صيفاً وخاصــة قبل سقوط المطر، فمتوسط الحرارة في شهر مايو يزيد على ٣٢م (وأحيانا تصل إلى ٤٢م)، ولكن ما أن تتجمع السحب، ويبدأ المطر فى السقوط حتى تنخفــض درجــة الحرارة بنحو خمس درجات، وأن كان هذا الأنخفاض فــى الحــرارة لا يحــس بــه السكان أحياناً لارتفاع نسبة الرطوبه، ويتراوح المدى الحرارى السنوى بين ١٥، ١٧ درجة. وتهب الرياح التجارية الشمالية فى فصل الشتاء خارجة من الضغط المرتفــع فوق الصحراء الكبرى متجهة إلى الضغط المنخفض الأستوائى، ونظراً لجفاف هــذه الرياح فتأثيرها ضار على الحياه النباتية والبشرية، لأنها تزيد من شــدة الجفــاف، وأحيانا تكون محملة بذرات الرمال الصحراوية (تعرف بأسم الهرمتان) وأن كــانت إذا وصلت إلى العروض الاستوائية كانت محسنا للجو بســبب امتصاصــها لنســبة الرطوبة العالية فى الجو، أما فى فصل الصيف فتنجذب الرياح الموسمية الصيفيــة من المحيطين الأطلنطى والهندى نحو الضغط المنخفض فوق الصحراء. ولما كــانت محملة ببخار الماء سقطت الأمطار. وأن كانت تقل كميتها كلما اتجهنا نحو الشــمال فهى فى منجلا (جنوب السودان) ٩٣ سم تنخفض إلى ٥٤ سم فى الرنك (وســط السودان) كذلك يقتصر فصل المطر بالاتجاه شمالاً فهو من مارس إلى نوفمبر فــى جوبا مع قمتين أحدهما فى يونية و الأخرى فى سبتمبر، بينما هو فصل واحد مــن مايو إلى أكتوبر وبقمة واحدة فى أغسطس فى الرنك.

(٢) السودانـى المعدل (الهضاب الوسطى والجنوبية) :

ذكرنا أن هذا الإقليم يمتد فى الهضبة الجنوبية وتحيطة المياه من الشــرق والغــرب

والجنوب، لذلك تعمل التأثيرات المحيطيه على تعديل درجات الحرارة لتوغل الريـــاح المحملة ببخار الماء إلى الداخل أكثر منها فى الشمال، هذا فضلاً عن أرتفاع الهضبة الكبير (لايقل ارتفاع معظمها عن ١٠٠٠ متر) مما يساعد علـــى خفـض درجـــة الحرارة، فاذا كانت درجة الحراة مرتفعة معظم العام هنا، فانها تتعدى ٢٧ م فى أشد الشهور حرارة. أى قبل فصل المطر (قارن بين هذا بالاقليم السابق) وفـــى نفـس الوقت نادراً ما تنخفض الحرارة شتاء إلى ما دون ١٥ م " وبذلـــك يكـون المـدى الحرارى أقل عنه فى السودانى المثالى. وقد تحــدث بعـض الاسـتثناءات للمـدى الحراري كما هو الحال داخل الأخدود، حيث ترتفع الحرارة إلى أعلى من هذا بكثـير، ولعل الأعتدال النسبى فى مناخ هذه الجهات المدارية هو ما شـــجع علـى التوطـن الأوربى فى مرتفعات روديسيا. هذا وتسقط أمطار هذا الاقليم صيفاً لتوغل " الريـــاح الجنوبية من المحيط . ويزداد المطر بالارتفاع . وان كان يمكن اعتبـــار ١٠٠ سـم كمعدل لسقوط المطر فى هذا الاقليم.

ثالثاً : الاقليــم الجــاف وشـــبة الجــاف

(١) الاقليم شبة الجـــاف :

وهذا النوع عبارة عن منطقة انتقالية بين الصحراء الحقيقيـــة والمناخـات الرطبـه المجاورة لذلك يسقط عليها مطر شتوى قليل فى النطاق الشمالى وصيفى فى النطـاق الجنوبى فيوجد نطاق كبير يحد الصحراء من الشمال أى بين الصحراء واقليم البحـر المتوسط إذا كانت كميات الأمطار قليلة، فأن سقوطها فى موسم انخفاض الحـــرارة، يرفع من الأثر الفعلى للمطر وهو يرتبط بأمطار الأعاصير فى أقصى هجرة لها نحـــو الجنوب، وأن كان عامل الذبذبة المطرية يعد على شىء كبير من الخطورة، فمتوسط المطر السنوى ٣٠سم ليس فى الواقع سوى متوسط لعدة سنين منها، بلغ فيه المطر إلى ٥٥ سم ، ٦٠ سم ، ١٦ سم ، ١٨ سم وكل هذا فى فترة سبع ســـنوات فقـط. ولعل ظاهرة التذبذب أكثر خطورة فى هذا الاقليم عنها فى الصحراء، ذلك أن جفـــاف الصحراء مما لا يشجع على قيام مشروعات زراعية، على عكس الحال فى الأستبس

التى قد تزداد فيها الرطوبة فى عام من الأعوام، مما قد يدفع البعض إلى محاولة زراعية فاشلة، ولكن السنين الرطبة عادة ما تعقبها سنين عجاف، فتحل الكوارث، فلا يمكن الاعتماد على المطر فى هذه المناطق الا إذا كان هناك مورد مساعد للرى فى سنة المطر الشحيح، من ثم كانت حرفة الرعى هى المنتشرة فى الاقليم على نطاق واسع.

أما جنوب الصحراء الكبرى فيمكن أن نميز ثلاث مساحات كبرى شبة صحراوية هى الهامش الجنوبى للصحراء الكبرى واجزاء من الصومال شرقى أثيوبيا، فضلا عن جزء كبير من جنوب غرب إفريقيه كلهارى . فالنطاق الجنوبى من الصحراء تزورة بأنتظام الرياح الجنوبية برطوبتها وأن كانت حين تصل إلى هذا النطاق يكون قد سبق لها أن أفرغت معظم ما بها من بخار ماء ، فالخرطوم يبلغ متوسط مطرها نحو ١٦ سم يسقط منها نحو ١٣ سم فى شهرى يولية وأغسطس عندما تصلها الرياح الجنوبية. كذلك الحال فى جاو على النيجر بمطرها الذى يبلغ ٢٣ سم يسقط منها ١٥ سم فى يولية وأغسطس ويتراوح متوسط الحرارة فى الخرطوم بين ٢١ م فى يناير و ٣٤ م فى مايو ويونية قبل سقوط المطر.

ويدخل جزء من جنوب إفريقيه فى هذا الاقليم لأنه أقرب إلى الصحراء معظم العام ولكن انخفاض الضغط النسبى عليه فى الصيف الجنوبى يسمح بتوغل الرياح المحيطية وتسقط مطرها ، فيسقط على وندهوك (على ارتفاع ١٣٠٠ متر) نحو ٣٥ سم يسقط منها ٢٠ سم فى الثلاثة شهور يناير وفبراير ومارس.

أما الظروف شبة الصحراوية فى شرقى اثيوبيا وهضبة الصومال، فترجع ظروف الجفاف فيها إلى نفس الظروف التي جعلت السواحل الصحراوية. غير أن ارتفاع الهضبة فى الداخل يؤدى إلى سقوط بعض الأمطار، هذا فضلا عن أن ارتفاع حرارة السواحل أبتداء من موجاديشو ونحو الجنوب يلعب دوراً آخر. فموجاديشو يسقط عليها نحو ٤٠ سم معظمها يسقط فى أبريل ويوليو.

(٢) المناخ الجاف :

تمتد المناطق الجافة فى القارة فى مساحات واسعة، وتعتبر من أشد صحراوات

العالم جفافاً، وتشمل الصحراء الكبرى ، بينما تضيق لتقتصرعلى سواحل الصومال فضلا عن صحراء ناميبيا والأجزاء الغربية من صحراء كلهارى فى النصف الجنوبى.
وتمتد الصحراء الكبرى باتساع كبير من سواحل البحر الأحمر إلى سواحل موريتانيا كما تمتد من الشمال إلى الجنوب فى ما يقرب ١٣٠٠ كيلومتر بحيث يصبح حدها الجنوبى على وجه التقريب موازياً لدائرة العرض الثامنه عشر شمالاً. ويرجع جفافها إلى وقوعها فى نطاق الضغط المرتفع معظم العام. وبالتالى هبوط التيارات الهوائية من طبقات الجو العليا . وتتصف الصحراء الكبرى بشدة الجفاف، فالقاهرة يسقط عليها نحو ٣ سم وتكاد محطة أسوان لا تسجل شيئاً على العموم ولا تعطى متوسطات المطر فكرة صحيحة هنا لسببين: الأول قلة الكمية الساقطة، والثانى عدم انتظامها، فمعدل الانحراف عن الظروف العادية يزيد على ٤٠% فى هذا الاقليم، من ثم فمن المستحيل أن نتكلم عن متوسط للمطر لمحطة ما . فنظام المطر هنا هو الانظام له. ولكن ما يمكن أن نذكرة عن مطر هذا الاقليم انه لا يسقط على هيئة رخات بقدر ما يكون معظمها على هيئة سيول عنيفة. فعلى سبيل المثال وجد أن سبعة عواصف كانت مسئولة عن كمية الأمطار التى سقطت فى حلوان فى مدى عشرين عاما. وفى إحدى هذه الزوابع سقط ١٤ سم من المطر أدت إلى حدوث سيول فى الأودية. متجهة إلى وادى النيل مكتسحة أمامها المبانى والغلات الزراعية ومثل هذه السيول شهدتها قنا أيضا. ومن ثم تتحول الأودية الجافة فى الصحراء الكبرى إلى أودية عامرة بالمياة المتدفقة الملينة بالرواسب، ومن ثم كانت الأوامر أثناء الحرب العالمية الثانية تحرم على القوات الفرنسية أن تعسكر فى بطون الأودية الصحراوية خشية الفيضانات المفاجئة.
هذا ويشتد التبخر فى هذه الصحارى لدرجة يبلغ فيها ٢٠ أو ٣٠ مرة قدر التساقط، فالرطوبة النسبية تنخفض فى الصحراء الكبرى إلى ٢% مع حرارة تصل إلى ٢٧ م. ولعل ما يميز الحرارة فى هذا الاقليم هو المدى الكبير الذى يبلغ نحو ١٧ درجة فى أسوان، فمتوسط حرارتها ١٥,٥ م ترتفع إلى ٣٣ م فى يوليو. وقد ترتفع الحرارة العظمى إلى أكبر من هذا بكثير، فقد سجلت بلدة العزيزية إلى الجنوب من طرابلس

بنحو ٢٥ ميلا درجة ٥٤ م، أما المدى اليومى فأحيانا يزيد على نظيره السنوى يتراوح بين ١٢ ، ٢٠ درجة ولعل هذا التفاوت الكبير فى المدى اليومى يعكس لنا ظروف الاقليم الآخرى من سماء صافية وأرض عارية.

وإذا كانت الخصائص الأساسية للاقليم الصحراوى هى ارتفاع الحرارة وقلة الرطوبة والسحب القليلة، فان هذه المظاهر تتعدل على السواحل فى موريتانيا وناميبيا، فالحرارة فى سواحل جنوب غرب إفريقيه أقل منها فى داخل صحراء كلهارى، وذلك لمرور تيار بنجويلا البارد نوعاً قرب شواطئها، ويقابلة فى شمال غرب إفريقيه تيار كناريا مما يؤدى إلى ظهور طبقة من السحب العالية على أرتفاع ٧٠٠،٥٠٠ متر تقلل من درجة الإشعاع الشمسى، هذا فضلاً عن الضباب الذى يسود الطبقة السطحية من الماء من ثم كان أكثر الشهور حرارة يبلغ ١٨ م وفى "والفش باى" ، ٢١ فى "بورت أتين"، بينما تعوض الرطوبة النسبية المرتفعة (٧٠%) وكثرة الضباب قلة المطر فى هذه الجهات.

وتظهر الظروف الصحراوية على سواحل الصومال وخليج عدن، وترجع قلة التساقط هنا إلى عاملين : أولهما أنها تقع فى ظل مرتفعات اثيوبيا فى الوقت الذى تسقط فية على الأخيرة الأمطار بسبب الرياح الرطبة، وثانيهما أن الرياح المتجهة إلى آسيا أو الخارجة منها تكون موازية لهذه السواحل فى معظم الأحيان، وأن كانت الهضبة الداخلية تجتذب بعض المطر الشتوى القليل من الرياح الشتوية المارة على خليج عدن.

رابعاً : الاقليم المعتدل

(١) دون المدارى ذو المطر الشتوى (البحر المتوسط) :

ويتميز هذا المناخ بالجفاف صيفاً وتركيز كمية المطر الساقطة شتاء مع ارتفاع حرارة الصيف وأعتدال حرارة الشتاء وسطوع الشمس معظم العام. وينطبق هذا النوع من المناخ على اقليمين فى إفريقيه هما السواحل والمرتفعات البحرية فى المغرب العربى (اقليم التل) وأقليم الكاب فى جنوب إفريقيه. ونظرا لان هذه المناطق

فى العروض الدفيئة فلا يظهر فيها الشتاء القارس، فعادة ما تتراوح حرارة الشتاء بين ٢٥ - ١٠ م، وحرارة الصيف أثناء النهار أقرب إلى حرارة الصحراء. ويساعد ارتفاع حرارة الشمس نهارا إلى جانب صفاء السماء على ظهور مدى يومى كبير.

ويتأثر مناخ المغرب بموقعة فى القسم الجنوبى من البحر المتوسط من ناحية وبقربة من الأقليم الصحراوى من جهة أخرى، مما يجعل المغرب عرضة للتأثيرات البحرية والصحراوية معا. ويظهر أثر البحر فى دفء الخريف عن الربيع فى المحطات الساحلية، ونادرا ما تنخفض درجة الحرارة فى الجهات الساحلية عن الصفر. بينما إذا ما وصلتها رياح السيروكو الصحراوية ارتفعت الحرارة إلى ٣٨ م. ويعد تيار كناريا من أكبر العوامل التى تزيد من التأثير البحرى للمحيط الأطلنطى، فأعلى درجة الحرارة لم تزد على ٢٠ م فى موجادور بينما وصلت ٢٤ فى ميناء الجزائر . مع أن الأخير يقع إلى الشمال من موجادور بخمس دوائر عرضية.

وأمطار الاقليم الشتوية ناتجة عن زحزحة نطاقات الرياح والأمطار مع حركة الشمس الظاهرية نحو القطب صيفا، فيقع تحت نفوذ ضد الأعصار دون المدارى فى هذا الفصل بينما يقع فى منطقة الأعاصير الممطرة شتاء.

وتتراوح كمية المطر بين ٤٠ سم ، ٧٠ سم ، وهى كافية للإنتاج الزراعى خاصة وأنها تسقط فى فصل انخفاض الحرارة.

غير أنه يلاحظ على المطر أمران :

أولهما : أنه يسقط بكميات كبيرة وعلى هيئة سيول فى فترات قصيرة، وبالتالى انجراف التربة وأحيانا تتكون المستنقعات التى تمثل مشكلة فى وجه الأستغلال الزراعى، كما تمثل صعوبة أخرى أمام خزن مياهها ، وثانيهما : هو الذبذبة العالية وهى من اسوا ما يتصف به مطر هذا الأقليم . فهذه الذبذبة الواسعة يمكن أن تؤدى الى تلف المحصول سواء من الجفاف أو من الأغراق غير العادى مرة كل خمس سنوات تقريباً، بل إن المطر الغزير الذى يسقط بعد البذر يؤدى إلى كسح البذور جميعاً والأرقام التالية تبين هذه الذبذبة.

المدينة	الجزائر		سوسة	
السنوات	١٩١٣	١٩٤٧	١٩٠٦	١٩٤٧
المتوسط	٧٦ سم / ٤٠سم	١٣٠سم	٣٢سم / ٧٢ سم	/١٣٤

وتمثل مدينة كيبتاون هذا المناخ فى جنوب إفريقيه، وإن كانت اكثر قربا الـــى خــط الأستواء من الجزائر بنحو ثلاث دوائر عرضية، وتهب علـيـــها الريـــاح الجنوبيـــة الشرقية الجافة صيفاً، ونظراً لانها تهب على مسطحات مائية أكثر برودة من ميـــاة البحر المتوسط، كانت مسئولة عن ذلك الغطاء من السحب الذى يغطى مرتفعات تابل فى هذا الفصل، ويبلغ متوسط حرارتها فى يناير وفبراير نحو ٢١م.

أما أبرد الشهور وهو يولية فمتوسطه ١٣م . واذا كان المطر يشبة مطر الجزائـــر فصلياً، فأن متوسطة هنا نحو ٦٠ سم ، أى أقل من مطر الجزائر، وتســـقط ثلاثـــة أرباع هذه الكمية فى الفترة بين أبريل وسبتمبر.

(٢) دون المدارى ذو المطر الصيفى :

يقع هذا الأقليم على السواحل الجنوبية الشرقية من خليج موزل إلى شـــمال ناتـــال. ونظراً لموقع الأقليم البحرى كان المدى الحرارى قليلاً، وأن كانت الحرارة أقل فـــى أطراف الأقليم الجنوبية عنه فى أطرافه الشمالية ، فتنخفض درجـــة الحـــرارة فـــى بورت اليزابيث إلى ما دون ١٦م لمدة ستة شهور، بينما دربـــان إلـــى الشـــمال لا تنخفض فيها درجة الحرارة إلى ما دون ١٨م فى أى جزء من العام.

ويزيد متوسط حرارة فبراير عن ٢٤م، ويرجع هذا إلـــى مـــرور تيـــار موزمبيـــق الدافىء الذى يأتى من العروض المدارية ، ويمتد فصل المطر من أغســـطس إلـــى أبريل، ذلك أن الرياح الجنوبية الشرقية تكاد تسود معظم العام، وأن كانت تقل قـــوة وأنتظاما فى الشتاء، ثم لا يسقط على دربان فى الشتاء سوى ١٤% مـــن مجمـــوع المطر الذى يسقط هناك وقدرة نحو ١٠٠سم.

ظاهرة الجفاف المتكرر فى اقليم الساحل

أصبح الجفاف ظاهرة شبه متوطنة على حواف الصحارى الإفريقيه فيما يعرف بـ ـاقليم السـ ـاحل، ويمتد اقليم الساحل فى رقعة شاسعة من الأرض بين الصحراء الكـ ـبرى والاقليـ ـم السـ ـودانى ذو المطر الصيفى، أما حدوده فانها تنكمش وتتمدد تبعا لكمية الأمطار التى تسقط عليـ ـها أو تنقطـ ـع عنها كل عام، وان قدرت مساحتها بنحو ٤ ملايين كيلو مربع، تمتد من موريتانيا إلـ ـى السـ ـنغال غربا إلى تشاد وحدود السودان لتدور حول هضبة أثيوبيا مارة ببوركينا فاسو ومـ ـالى والنيجـ ـر، وإلى الجنوب من هذا الاقليم الذى يضربه الجفاف بين الحين والحيـ ـن، يمتـد اقليـ ـم السـ ـودان الزراعى الرعوى. والذى تتراوح أمطاره بين ٣٥، ٦٠ سم. ويضاف أن سـ ـكان اقليـ ـم السـ ـاحل بالكاد يحصلون على الأود فى الظروف العادية.

ففى عام ١٩٧٠، كان هناك جفاف شديد فى اقليم الساحل فضلا عن أثيوبيـ ـا، واسـ ـتمرت أزمـ ـة الجفاف حتى أواخر عام ١٩٧٤، ومنذ ذلك التاريخ وان انفرجت الأزمة، فان الأمطار بعـ ـد ذلـ ـك كانت أقل من المتوسط بوجه عام فى بقية ذلك العقد، ليعود الجفاف مرة أخرى ليكتسح هوامـ ـش الهضبة الاثيوبية، وكان اقليم كاراموجا فى شمال شرق أوغندا والأوجادن وأثيوبيا فضـ ـلا عـ ـن الصومال من أهم الاقاليم التى شهدت الجفاف . لينتقل بعد ذلك بيـ ـن عـ ـامى ١٩٨٣/ ٨٥ إلـ ـى شمالى أثيوبيا، واشتد عامى ١٩٩١/ ٩٢ فى الصومال، وقابل هذا دورات مماثلة فـ ـى الهضبـ ـة الجنوبية من القارة ففى عامى ١٩٨٣، ١٩٩٢ تأثرت اقاليم واسعة مـ ـن بتسـ ـوانا وزيمبـ ـابوى وزامبيا وجمهورية جنوب إفريقيه.

ومشكلة الأمطار فى تلك الاقاليم الهامشية هى أنها ليست قليلة فحسـ ـب بـ ـل لا يمكـ ـن الاعتمـ ـاد عليها، فهى أقل من ٦٠ سم سنويا، تسقط فى فصل واحد قصير وهو فصـ ـل الصيـ ـف. لا يمكـ ـن التنبؤ بسقوطها بميعاد ولا كميته على وجه الدقة، وتزداد هذه الحالة سوءا كلمـ ـا أقـ ـتربت مـ ـن الصحراء، وتعمل الحرارة المرتفعة إلى جانب نسبة سطوع الشمس العالية على التقليل من الأثـ ـر الفعلى للمطر، لدرجة أن هذا القدر من المطر يقترب من نظيره الساقط على لنـ ـدن، ومـ ـع ذلـ ـك فيصنف الاقليم فى إفريقيه على أنه مناخيا شبه جاف.

ومن شأن التفاوت القليل نسبيا فى نظام المطر السنوى أن تتغير صورة الأرض، بل الحيـ ـاة مـ ـن فترة إلى أخرى. من ذلك مثلا حينما هطلت الأمطار فى عام ١٩٤١ بمعدل يقل عن ١٠ سم فـ ـى مساحة تقدر بنحو ٣٤٠ ألف كم ٢ ، أصبحت المنطقة كلها صحراء قفر، وبعد عشـ ـرة سـ ـنوات حين تجاوز معدل سقوط المطر ١٠ سم ظهرت من جديد قطعان المواشى فى المراعى، ثم ينقلـ ـب الحال مرة أخرى حين حدث تغيير جديد، حتى لقد امتدت الصحراء الكبرى لمسافة ١٥٠ كم نحـ ـو

الجنوب فى الوقت الحاضر.

ولك أن تتصور هلاك الماشية ثروة البدوى بأعداد كبيرة، فضلا عن هلاك البشر خاصة من الأطفال وكبار السن فى أعوام المجاعة هذه، ومحاولة من بقى على قيد الحياة أن يرحل إلى أقرب مورد مائى أو بئر، وهكذا فى هذا الاقليم الذى تعددت فيه دورات الجفاف كل ثلاثين عاما تقريبا، تظل فيه المشكلة بصورة حادة، وتعتبر أعوام ١٩١٣، ١٩٤٢، ١٩٧١ هى وسط هذه الدورات، وسقط فيها نحو ٥٩%، ٧٩%، ٧٠% من المتوسط العام، وفى كل دورة يستمر الجفاف لعدة سنوات متتابعة.

ونظرا لنقص الأرصاد الجوية مدة طويلة، يصبح من الصعب الجزم أن نقرر ما إذا كانت هذه الدورات تعتبر شيئا عاديا أو طبيعيا، أم أن المناخات شبه الجافة والجافة فى إفريقيه تدخل فى مرحلة تغيرات مناخية، وهل هذه الاقاليم سيشتد جفافها على المدى الطويل.

وإذا كان الأمر هكذا لماذا؟ وما الذى يجب أن يعمل من الآن؟ وان كان الرأى الراجح حتى الآن أن التاريخ الافريقى بل واقليم الشرق الأوسط أيضا مرّ بفترات جفاف، وان كانت لم تسجل بطرق علمية. فضلا عن أن آثار هذا الجفاف على البشر والذى تسجله وسائل الاعلام الحديثة لم تكن متوفرة من قبل. وتنشره فى جميع أنحاء العالم يضفى أهمية ووعيا. لم يكونا موجودين من قبل.

الأقـــاليم النباتيـــــة

يظهر أثر العامل المناخى واضحاً فى النبات الطبيعى فى إفريقيه، ويتجلى هذا فى أن النباتات الصحراوية تغطى نحو ٣٩% من مساحة إفريقيه، وذلك لغلبة الظروف الصحراوية. كذلك تحتل النباتات شبة الجافة ٤٠% أخرى، بينما لا تمثل الغابات أو الحياة الشجرية سوى ما يزيد قليلاً على ٢١% من مساحتها. ولكن ليس معنى هذا أن العامل المناخى هو الوحيد، بل عامل أساسى تشترك معة عوامل معدلة مثل التربة والإنسان والحيوان. فالغابات الأستوائية مثلاً لا نجدها تحتل كل الجهات الساحلية فى غرب إفريقيه ، فدخول الغلات النقدية كان معناه اقتلاع مساحات واسعة من الأشجار، وكذلك مايفعلة الرعى الجائر أحياناً من تدهور للنباتات، وبالتالى جرف التربة، وما يتبعة من عدم نمو الحياة النباتية الأولى مرة أخرى.

أولاً : الغابـــــات

تتركز ثلثا مساحة الغابات فى شرقى وغربى القارة (أى إفريقيه المدارية) فالغابات نادرة فى جنوبى القارة وشماليها لأسباب مناخية ، وتتمثل فى عدم توفر الرطوبـــة معظم العام فضلاً عن الظروف البشرية، وهذه تتمثل بصفة خاصة فى القسم الشمالى حيث تدخل الإنسان بالقطع والأستهلاك منذ آلاف السنين . ويمكن تقسيم الغابـات أو الحياة الشجرية إلى الأقسام التالية :

١ - الغابات المدارية المطيرة فى المستويات المتوسطه والمنخفضة :

يظهر هذا النوع بصفة خاصة فى غربى إفريقيه فى الأقليم الأستوائى فـــى نطـاقين رئيسيين : الأول يمتد من سيراليون إلى غانا، والثانى من جنوب نيجيريا ومتوغـــلا فى حوض الكنغو ، ويفصل بينهما فجوة توجو وبنين الساحلية الجافة نوعاً، وتمتـد الغابة فى غرب إفريقيه من الساحل إلى الداخل لمسافة ٤٠٠ كم، ولكنها تمتـد فـى حوض الكنغو لمسافة ٢٠٠كم، أما فى مالاجاشى فتمتد على طول الساحل الشـــرقى بعرض يتراوح بين ١٠٠/٢ كم، والغابات المدارية المطيرة دائمة الأخضـــرار فـى معظمها، وأن كانت تتحول إلى شبة نفضية على أطراف الأقليم، ذلك أن هذا النـــوع يحتاج إلى مطر لايقل عن ١٥٠ سم موزعاً على طول العام أو معظمة بحيث يصبـح فصل الجفاف قصيراً، وتتميز الغابة بالكثافة الشجرية وتظهر تيجان أشجارها علـــى أرتفاعات تتراوح بين ٥٠/٤٠ متراً، وتتميز أشـــجار هـذا النـوع مـن الناحيـة الاقتصادية بأختلاف أنواعها حتى أنه ليمكن تمييز نحو مائة نوع فى فدادين معـدودة . ويمكن أن يعطى الفدان مايقرب من ١٣٠ مترا مكعب، من هذه الكمية تصلـح ٣٠ متراً لعمل فلنكات السكك الحديدية، والقشرة، والخشـب المنشـور ، ونظـراً لعـدم استغلال كل الأنواع فى الوقت الحاضر، فمعدل المقطوع هو ٨ امتار للفدان. وتنتمـى أشجار هذه الغابات إلى مجموعة الأشجار الصلبة، مثل شجرة الماهوجنى بأنواعـــة الجميلة النسيج والتى تستعمل كقشرة فى كسوة الأخشاب الأخرى كشجرة الأيروكـو، ولاننسى الأبنوس من أخشاب القشرة الممتازة.

(٢) غابات المنجروف أو غابات المستنقعات الساحلية :

وتظهر على سواحل إفريقيه المدارية، سواء المطلة على المحيط الأطلنطى أو على المحيط الهندى: حيث تمتد الشطوط الرملية قريبة من الساحل وتحصر بينها وبينه مستنقعات تختلط فيها مياه الأنهار الداخلية بمياه المحيط ، وبذلك تمتد جذور الأشجار فى تربة ملحية، ويبلغ ارتفاع الأشجار هنا نحو ١٥ متراً.
وتتمثل أصدق تمثيل فى دلتا النيجر حين كانت فى وقت ما تغطى ثلاثة أخماسها . ومن أهم اشجار هذه المجموعة التك التى تتحمل الرطوبة الجوية. وتستخدم فى عمل الفلنكات السكك الحديدية ، وأعمدة البرق والهاتف.

(٣) غابات المرتفعات فى الأقاليم المدارية :

وتغطى نحو ٢٥ مليون فدان معظمها فى أثيوبيا ومرتفعات شرق إفريقيه كجبل كينيا وكلمنجارو والجن، فضلاً عن مرتفعات الكمرون فى غربى القارة. وتختلف الأنواع هنا عن أنواع الغابات المدارية المطيرة نظراً لانخفاض الحرارة، ففى المستويات التى تعلو ١٥٠٠ متر ، تظهر غابات المنطقة المعتدلة الباردة، فتظهر شجرة الصنوبر وشجرة النقرباد والكوجى وشجرة الأوليا، من ثم تعتبر مرتفعات الأقاليم المدارية هى المصدر الوحيد للأخشاب اللينه فى هذه الجهات.

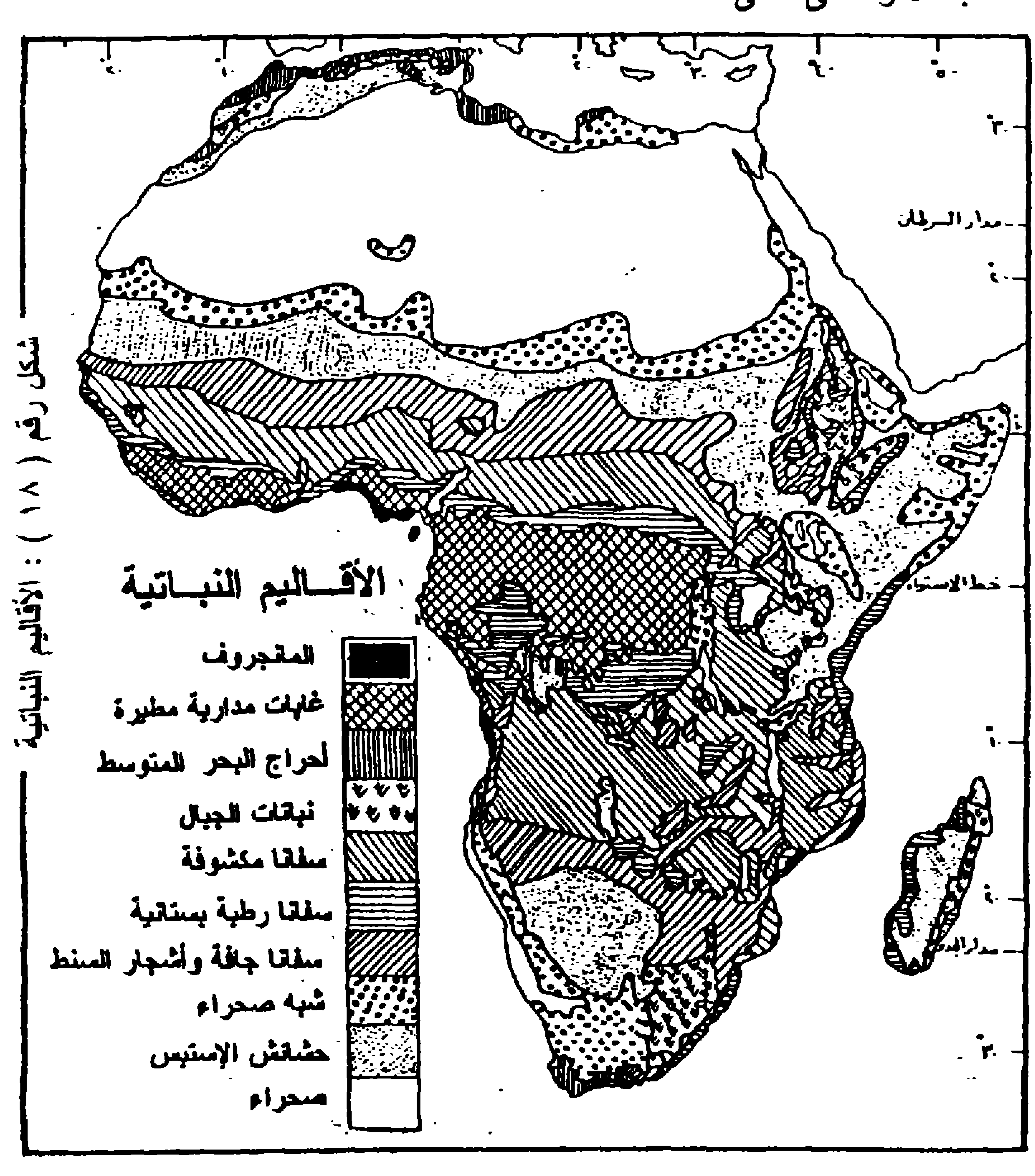
(٤) أحراج السفانا :

وتشمل أنواعاً متعددة نظراً لاتساع أقليم السفانا . وتباين الظروف الطبيعة وخاصة الرطوبة ، التى تقل كلما بعدنا عن الجهات الأستوانية، فضلاً عن الظروف البشرية، والتى تتمثل فى تطهير الأرض عن طريق حرق الحشائش لاعدادها لزراعة. وتصبح الحرائق خطراً على الغطاء النباتى بعامة ، خاصة حينما تمتد النيران لتكتسح مساحات واسعة فى فصل الجفاف، وتظهر أشجار السنط فى الجهات المنخفضة الرطوبة، ويعتبر شجر الباوباب الضخم الذى يوجد فى السودان، وفى حوض الزمبيزى من أهم معالم الحياة الشجرية فى السفانا الجافة. ويعيب استغلال الأخشاب فى هذا الاقليم تبعثر الأشجار وسط الحشائش ذلك أن حشائش السفانا هى المظهر النباتى السائد.

(٥) الأحراج المعتدلة :

وتقتصر على نطاق ضيق فى المغرب الكبير . وتدل الشواهد على انكماش مسـاحتها منذ العصر الرومانى. وقد ساعد على هذا الانكماش زيادة السكان والتوسع الزراعى والرعوى على حساب الغابات، ثم كانت الحرب الثانية وزيادة قطع الأشـجار. ثـم حرب التحرير الجزائرية وما تبعة من إحراق الفرنسيين لمساحات كبيرة خشـية أن يختبىء فيها الثوار.

ويحتل البلوط الفلينى أكبر مساحة، يلية البلوط الدائم الخضـرة الـذى ينمـو علـى ارتفاعات تزيد على الالفى متر، ثم يعلوه شجرة الارز إذا توفـرت الأمطـار علـى ارتفاع بين ٢٠٠٠ ، ٢٥٠٠ متراً، أو هناك العرعر والصنوبر الحلبى الذى يغطـى السفوح الأقل مطراً ، وتظهر أحياناً بعض شجيرات فى المنـاطق السـهلية تتحمـل الجفاف وتسمى ماكى.



شكل رقم (١٨) : الأقاليم النباتية

ثانيا : الحشـــــــائـــش

١- *السفانا البستانية :*

يغطى هذا النوع من النباتات نحو ١٦% من مساحة إفريقيه ، وهى متشابهة إلى حد كبير رغم انتشارها فى جهات عديدة، وتحتل الأشجار من الفصيلة الســـنطية نســبة كبيرة منها يتراوح ارتفاعها بين ٣ و ١٥ متر ذات رءوس مسطحة، أما الحشــائش فيبلغ ارتفاعها نحو متر و ١,٥ متر بحيث إذا نمت الشجيرات والحشـــائش كــانت أشبه بالبساتين، ولكن هذه الحشائش لا تكون مراعى جيدة إذ تعــرف فــى جنــوب إفريقيه باسم *SAURVELD* ولذلك تلجأ الحيوانات للرعى على جوانب المجــارى المائية حيث تجود الحشائش، ولكن قد تنمو الحشائش التى لا يتجاوز طولها مـــتراً فى الجهات المرتفعة التى يسقط فيها المطر صيفا، ويسمى هذا الأقليم الذى يخلو من الأشجار فى جنوب إفريقيه بأسم الفلد المرتفع *HIGH VELD*.

(٢) السفانا المكشوفة :

تتكون أما من حشائش قصيرة أو حشائش قصيرة متفرقة فى المجموعات ، وتنتشـر خلالها بعض الأشجار الشوكية الصغيرة أو الشجيرات، وأن كانت تصلح للرعــى، إلا أنها كثيراً ما تختفى فى الجهات الفقيرة تاركة الشجيرات فقـــط، وهـــى تنمـــو فـــى الجهات شبة الجافة حيث توجد التربة الفقيرة الضحلة التى تقع أسفلها على عمـــق نحو ٢٠سم طبقة صماء.

وتكثر هذه الأشجار الصمغية كسنط الهاشاب وسنط الطلح ، وقد تنمـــو الحشــائش المعتدلة التى تشبة المراعى الألبية فى الجهات المرتفعة فى هضبة الحبشة وجبـــال شرق إفريقيه المرتفعة مثل كينيا، ولكن هذه الحشائش تصبح أكثر خشـــونه وأقــل صلاحية كعلف للحيوان من مراعى الاقليم المعتدل.

(٣) النباتات الصحراوية وشبة الصحراوية :

وهذه النباتات قصيرة تنمو متفرقة. وتزيد كثافتها فى المناطق التى يزيد فيها المطــر نسبياً، بينما تقل وتتباعد فى المناطق الأكثر جفافاً، وقد يساعد علـــى نمـــو النبـــات

الصحراوى الندى الذى يحدث فى أحيان كثيرة فى الفجر كما فى سواحل شمال غرب إفريقيه. وفى بعض المناطق الصحراوية الهامشية قد تنمو أشجار صغيرة من السنط الشوكى. أما داخل الصحراء الكبرى فإن النباتات تنعدم تماما وخاصة فى مناطق العرق (الأرج) الرق (الرج). اما فى شبة الصحراء فتنمو الحشائش عقب سقوط الأمطار القليله وهى التى يطلق عليها أحياناً الأستبس، وهى تصلح مرعى للضأن، ولكنها لا توفر المرعى لعدد كبير منها.

هذا وقد تغطى سطح بعض الجهات الصحراوية طبقات الملح سواء كلوريد الصوديوم أو سلفات الصوديوم، ولا تصلح حينئذ لنمو نباتات سوى بعض الشجيرات الفقيرة. ويبدو سطح الأرض أبيضاً لما يغطيه من أملاح.

أثر الإنسان في تدهور الحياة النباتية الطبيعية

ان تزايد السكان يشكل عاملا ضاغطا على الغابات سواء للتوسع الزراعى أو للتوسع في تجارة الأخشاب ، فضلا عن الوفاء فى سد احتياجات البشرية من أخشاب الوقود، مما أدى إلى نقص مساحة الغابات بنحو ٢٣% في إفريقيه خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة.

لذلك يجب إعطاء مزيد من الاهتمام لما يترتب على ازالة الغابات سواء للحصول على الأخشاب أو لتحويل أراضيها لإنتاج المحاصيل الغذائية أو لتحويلها لتربية الماشية ولاحتواء أثر إزالة الغابات فقد اتجه الرأى إلى زراعة الغابات ***Silviculture*** في المناطق التى تتضرر وللأحواض النهرية التى أزيلت منها الغابات.

ان الزيادة غير المخططة فى معدلات التحول في استخدام الأراضى الذى يتبع عادة في عملية ازالة الغابات، قد أدت إلى مشكلات خطيرة في النحر والترسيب، والى إتلاف ظروف البيئة الطبيعية التى تتوقف أساسا على النظام المائى الأصلى.

وإذا كان العدد الزائد من الماشية والماعز والأغنام هو المدمر الرئيسى للأشجار، فإن الحطب وقد أصبح مادة نادرة ومرتفعة الثمن لا يقل تدميرا، وما زال الحطب يؤدى وظيفته الرئيسية عند الشعوب الإفريقيه كمادة وقود رئيسى حتى لقد ارتفعت أسعار الحطب ارتفاعا يفوق مقدرة الناس، ففى نيامى عاصمة النيجر، تنفق الآن أسرة العامل اليدوى المتوسط ربع دخلها على الحطب وفى اوجادوجو عاصمة بوركينا فاسو يصل الانفاق إلى ٣٠% من دخله تقريبا.

وكان الناس في الماضى يجمعون الخشب مجانا من الأشجار المتناثرة، ولكن حين ارتفعت أسعار الحطب في المدن، وأصبح سلعة تجارية، أصبح الملاك يجدون ربحا أكبر في ارسال الخشب إلى

أقرب المدن لبيعه. بل اضطر الفقراء والمقاولون إلى السطو على خشب الوقود في مناطق الغابات المحمية.

وحتى تكون الصورة أكثر وضوحا، فإن كل الأشجار في حدود ٤٠ ميلا من مدينة اوجاد دوجو قد استهلكت من جانب سكان المدينة، بل وتتسع الدائرة باستمرار، ولا شك أن احتياجات الحطب للوقود تزداد مع زيادة السكان مما يستدعى اللجوء إلى مصادر بديلة للطاقة، ولن يكون البترول بطبيعة الحال هو الذى يجرى التفكير فيه، لارتفاع سعره بالنسبه للسكان، بل يتجه التفكير فيما أجراه علماء الهند منذ عشرات السنين ، وهى طريقة تبدو مثالية ، وهى تحليل الأسمدة وغيرها من الفضلات العضوية إلى غاز الميثان لاستخدامه في طهو الطعام ، ويجرى الأن استخدام كميات ضخمة من هذا الغاز الحيوى ***Biogas*** كما يسمونه ، وتستخدم الصين كميات أكبر بكثير.

ولم يقتصر التدمير على بيئات الحياة الشجرية، بل تعداها إلى أقاليم السفانا أيضا حيث عمل الرعى الجائر إلى اتلافها ويبين الجدول التالى مدى هذا التدهور.



أثر الإنسان على النظام البيئى في إفريقيه

أنواع الغابات	أصل المساحة ألف كم٢ تقريبا	المساحة الآن ألف كم٢ تقريبا	% الباقية	% المحمية
الغابات الرطبة	٤٦٩٩	١٩٠٠	٣٩,٧	٧,١
الغابات الجافة	٨٠٠٠	٣٥٠٠	٤١,٦	١٥,٠
السفانا	٧٠٠٠	٣٠٠٠	٤٠,٨	١٠,٥
غابات المانجروف	٨٨	٣٩	٤٤,٦	٢,٩

الفصـــــــــــل الرابع

السلالات والشعوب فى إفريقيه

تسكن القارة عدة سلالات لعل أقدمها جميعا هى تلك السلالات التى تعيش فى منـاطق منعزلة من القـــارة ممثلـــة فـــى الأقـــزام ***Pygmies*** والبوشـــمن ***Bushmen*** والهوتنتوت أو ما يطلق عليه الخوسيان ***Khosain*** ، غير أن الغالب على القـــارة هو الجماعات الزنجية ***Negroes*** والمتزنجين ***Negroids*** بدرجاتهم المختلفة. ثم الجماعات القوقازية ***Caucasoids*** من حاميين وساميين، فضلا عـــن الجماعـــات الوافدة كالأوربيين والأسيويين.

أولا : الخـــوسيان :

يتحدث الخوسيانية أو لغة الطقات ***Clicks*** البوشمن والهوتنتوت. فى جنوب غـرب إفريقيه، أى فى صحراء كلهارى وماجاورها . ويرجح أن هذا ليس بوطنهم الأصلى. فقد كانوا أكثر انتشارا فيما مضى. حيث شوهد حفر على الصخور فـــى الصحـــراء الكبرى، يبين بعض ملامح البوشمن الأساسية كتضخم العجز ***Steatopygia*** عنـد المرأة، كذلك توجد جماعتان فى تنزانيا تحملان صفات البوشمن: همـــا الســـاندوى والهاتسا، مما يرجح أنهما بقايا البوشمن الذين رحلوا نحو الجنوب، وقبل أن يضطر البوشمن للانزواء في الصحراء، كانوا يعيشون في اقليـــم غنـــى بـــالصيد الـــبرى والنباتات البرية التى تقدم لهم غذاء كافياً. ويتميز البوشمن بالقامـــة الأقـــرب إلـــى القصر (١٤٩ - ١٥٨سم) والمرأة أقصر من هذا، ورغم أنه قصير. إلا أنـــه قـــوى البنية. فساقه ذات طول متوسط بالنسبة لقامته، ويده وقدمـــه صغيرتـــان، وعينيـــة تحميها من وهج أشعة الشمس جفون ضيقة سميكة مثل عيـــن الاسـكيمو، ومـــن صفاتهم الجبهة الكروية التى تظهر في الأطفال والنساء دون وجه الرجال البـــالغين. والوجه المفلطح ذى الفجوة الأنفية التى تصل بين العينين، وأعضاء الذكورة صغيرة الحجم وهذه صفات طفلية، وتساعد مع لون البشرة الضارب إلـــى الصفـــرة الـــذى

يعكس نحو ٤٣% من أشعة الشمس، على إعطاء البوشمن مظهر السلالة المغولية.
غير أن أكثر الخصائص التى يتميز بها البوشمن هى بالطبع تضخم العجز بين النساء والدهن المتراكم في العجز تمسكه أنسجة ليفية وتمنعه من التدلى، وهذا التضخم في العجز ليس نتيجة إنحناء أسفل العمود الفقرى إلى الوراء، بل يشبه بسنام الجمل، أو بقر الزبيو ، أولية الخروف ، ويعلل البعض بوجوده عند المرأة وإختفائه عند الرجل إلى أنه يمثل رصيدا غذائيا للأم والجنين في أثناء الحمل، وخلال فترة الرضاعة الطويلة، حيث ينقص الطعام في البيئة الخارجية.
ويعيش البوشمن على الصيد أساساً فى هذه البيئة القاسية، حاملاً الرمح والقوس، يغمس الرمح فى السم الذى يصنعه من حشرة أو نبات سام ، ويزحف بمهارة وحذر، حتى يقترب من الفريسة ، ثم تنطلق السهام سريعة لتخدش جلد الحيوان، ويجرى الحيوان متخبطاً حتى يسقط قتيلاً، ويتبعة البوشمن ربما ساعات طويلة حتى يجده ، من ثم فهو صبور ذو دهاء.
أما الهوتنتوت[٢] : - فهم أكبر أجساماً من البوشمن يبلغ متوسط طول القامه لديهم ١٦٣سم ، كما انهم أكثر دكنه فى لون بشرتهم ، وأحياناً أكثر تضخماً فى عجزهم،

---

(٢) يطلقون على أنفسهم خوى خوى أى الناس، أما لفظ هوتنتوت فيشير الأستاذ Plossis إلى البعثة الفرنسية التي زارت الكاب أول مرة عام ١٦٢٠ تحت قيادة أوجستين دى بوليه، إذ يقول بوليه أن الناس هناك عندما يستقبلون زائرا يقومون بالرقص على أغنية تظهر في بدايتها وفي وسطها وفي نهايتها كلمة هوتيتو Hautitau، وهذا بالضبط كما يحدث عند نطق How do you do بطريقة سريعة غير سليمة Howdide، ولكنها على أية حال ليست لفظا هولنديا بمعنى التهتهة، وقد تحول لفظ هو تنتوت في الانجليزية إلى Hodmandod وهو تحريف لهوتنتوت وأصبح يستخدم للتحقير.
وتسمية القبيلة لدى الآخرين شئ وتسمية القبيلة لنفسها شئ آخر، وهذا معروف في إفريقيه، وهناك كثير من القبائل غير الخوى يلقبون أنفسهم بالرجال أو الناس بلغتهم المحلية، فمثلا الجالا وهو لفظ معناه الأجانب أو الغرباء يطلقون على أنفسهم أوزوما، أى الرجال الأشداء وهكذا راجع.

وعندما هبط الهولنديون إقليم الكاب، وأنشأوا مدينة الكاب لكى يمدوا سفنهم المتجهة والآتية من جزر الهند الشرقية بالتموين، وجدوا الهوتنتوت يعرفون الرعى من ثم تعاملوا معهم ، وأستخدموهم كرعاة لماشيتهم، وأصل الهوتنتوت غير واضح، يذهب البعض إلى القول بأنهم خليط من البوشمن والزنوج لأن شعرهم مفلفل *pepper grain* ويذهب البعض الاخر إلى القول بأنهم خليط من البوشمن والقوقازيين، التقوا ببعضهما فى هضبة البحيرات، ثم وصلوا جنوب إفريقيه بعد البوشمن، على العموم هم سلالة خلاسية نواتها البوشمن. هذا ومجموعة الخوسيان فى طريقها إلى الإنقراض، فتقدر أعدادهم الان بنحو سبعة آلاف من البوشمن، ٢٥ ألفا من الهوتنتوت.

ثانيا: الأقزام Pygmies أو التوا Twa :

وأقدم ذكر للأقزام مشتق من وثائق مصرية ترجع إلى الدولة القديمة ، وعلى وجه الخصوص الملك زد كارع من ملوك الأسرة الخامسة ، (٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق . م) الذى أرسل فى طلب قزم يشارك الأقزام الاخرين فى الرقص، والخبر الثانى كان من هيرودوت فى القرن الخامس ق . م ، وهو الذى أطلق عليهم باليونانية لفظ *Pygmaioi* ومعناها باليونانية الرجل الذى لايزيد طوله على ما بين كوع الشخص العادى وأصابع قدميه، وظل الأوربيون يحتفظون بهذا الأسم، ثم ابتكر الأنثربولوجيون لفظا آخر وهو " التوا " وهو مشتق من المقطع البانتوى " توا " كما فى كلمة باتوا أى الناس الصغار، ويطلق على الأقزام الأفريقيين أحيانا مصطلح *Negrillo* تمييزا لهم عن أقزام جنوب آسيا *Negri tto* (٢).

وهناك مجموعات ثلاث للأقزام أو التوا، الغربيون ويعيشون متفرقين فى غابات الكمرون وجابون واقليم اوبانجى شارى فى جمهورية إفريقيه الوسطى وزائير،

Jeffery M. R. The Origin of the name Hottentot, Afr. Vol 46, 1947, pp. 99 - 163 - 165.

(٢) نجريللو صيغة تصغير إيطالية للفظ negro ، أما نجريتو negritto فهى صيغة تصغير لنفس اللفظ ولكن بالاسبانية ، وكلاهما معناها الزنجى الصغير.

ويقدر عددهم بنحو ٢٥ ألفا ، أما التوا الشرقيون فهم أقزام غابة إيتورى بالقرب من حدود أوغندا، ويقدر عددهم بنحو ٢٢ ألف نسمة، أما التوا الجنوبيين فهم أقزام رواندا وبورندى وعددهم نحو ٩ آلاف نسمة، وبذلك يبلغ مجموعهم نحو ١٥٠ ألف نسمه. وأقصر الأقزام هم التوا الشماليون الذين يعيشون فى غابة إيتورى، فمتوسط طول القامة بينهم هو ١٤٤ سم للذكور، ١٢٥ للاناث، ومتوسط وزن الواحد نحو ٤٩ كيلو جرام، ولهم سيقان قصيرة وبخاصة الفخذ، واذرع طويلة فى عظمة الساعد ، ومفاصل الأقزام لينة بدرجة كبيرة مما يمكنهم من المروق داخل الغابة بسهولة، فضلا عن كونهم راقصين ماهرين، ويرجع هذا إلى تأخر فى نمو غضاريف المفاصل، ونشاط زائد فى الهرمونات الجنسية الأنثوية، مما يؤدى أيضا إلى بروز الثدى عند الرجل، كما يتميزون بانحناء العمود الفقرى إلى الأمام، وتبدو رؤوس الأقزام ضخمة بمقارنتها بأجسامهم وعادة ماتكون الرأس بيضاوية أو مستديرة، فضلا عن أن العين فيها جاحظة، وأنوفهم عريضة وفتحات المنخار واسعة، وتشيع بينهم صفة الذقن المتقهقر ، أما لون الجلد فهو بين الأسمر والبنى ، ويغطى أجسامهم زغب، ويفرزون عرقا ذا رائحة نفاذة ينفر منه حتى الزنوج، وقد يساعد هذا على حماية أنفسهم من الحشرات.

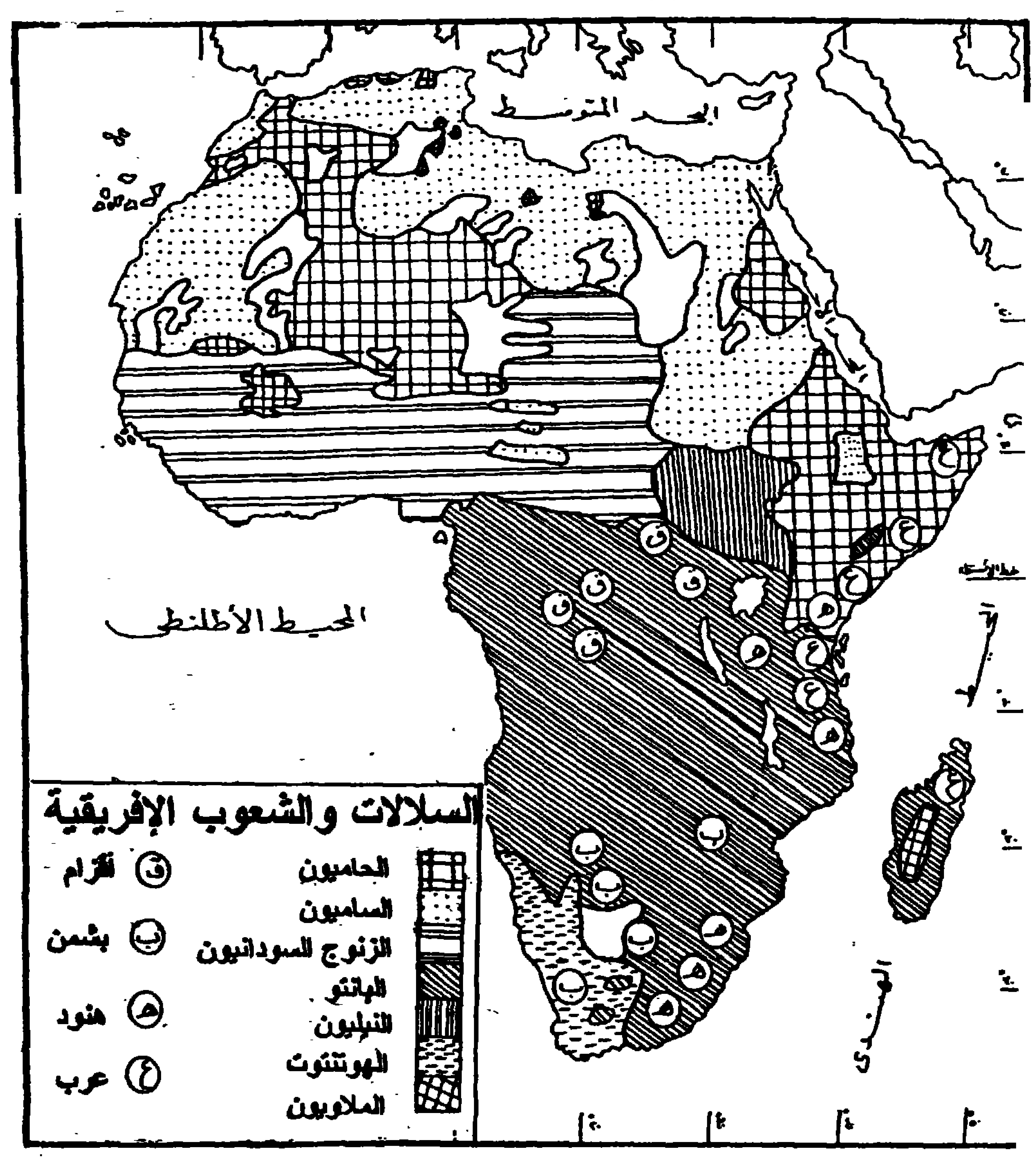
ويعيش الأقزام على جمع الفواكه والنباتات، وصيد الطيور والزواحف، ويشتركون فى عملية صيد الفيل على أطراف الغابة، كذلك يجمعون عسل النحل من قمم الشجار، وأسلحتهم بسيطة تتمثل فى القوس والسهم المسموم فى معظم الأحيان، فضلا عن البوق النافخة، ويرتاد الأقزام قرى الزنوج المجاورة لمبادلة الأسلحة والفخار بالموز والعسل البرى.

ثالثا : الزنوج :

ويمثلون أكبر مجموعة بدرجاتهم المختلفة. ويحدد العلماء خطا تقريبا يغلب على الجماعات التى تقع إلى الجنوب منه الصفات الزنجية. ويمتد هذا الخط من مصب السنغال حتى انحناء النيجر وبحيرة تشاد ، ثم يمتد شرقا حتى النيل الأبيض عند

دائرة عرض ١٢ شمالا تقريبا ، ثم ينحنى جنوبا بحذاء هضبة اثيوبيا متحاشيا إياها، ثم متجها بعد ذلك فى اتجاه رأسى تقريبا إلى المحيط الهندى بالقرب من نهاية نـــهر تانا إلى الجنوب من دائرة العرض الثالثه جنوب خط الاســتواء. ويتحــدث الزنــوج مجموعتين من اللغات، السودانية فى الشمال، والبانتو فى الجنوب، ويفصل بينـــهما خط يمتد من خليج بيافرا إلى شرق إفريقيه، ونظرا لاتساع المساحة التى ينتشر فيها الزنوج، فقد كانت هناك محاولات لتقسيمهم إلى أقسام فرعية.

شكل رقم (١٩) : السلالات والشعوب الإفريقية



١- *الزنوج السودانيون أو الحقيقيون :*

ويسودون فى غرب إفريقيه من نهر السنغال (١٦ شمالا) حتى الحدود الشرقية لنيجيريا فى نطاق الإقليم الاستوائى والسفانا، ولعل أهم خصائصهم البشرة الداكنة، والقامة المتوسطة والشعر الصوفى *wooly* والرأس الطويلة، والتكوين العضلى القوى للصدر والرقبة والشفاة الغليظة المقلوبة والفك لاعلى بارز والأنف المفلطحة والأذرع الطويلة، ومن أشهر الجماعات التى كونت ممالك منهم قبل دخول الأوربيين الأشانتى فى غانا، واليوروبا فى نيجيريا ويقوم اقتصادهم على الزراعة. وقد حدث اختلاط على أطراف هذا الإقليم الشمالى مع العرب والبربر، فنشأت طبقة خلاسية تتمثل فيها البشرة السوداء وطول القامة والأنف الضخم ولكنه ليس بأفطس والشفاه الغليظة ومن أهم قبائلهم الفولانى والماندنجو والهوسا.

وقد انبثقت من المجتمعات الزنجية فى غرب إفريقيه حضارة ممتازة فى كثير من جوانبها، لعل أبرزها هو ذلك النظام الذى تعمل به الجمعيات السرية، ومعظم هذه الجمعيات عبارة عن اتحادات أشبه بجمعيات الصداقة وهى جماعة من الناس تجمعهم منافع متبادلة، وبعض هذه الجمعيات كانت غاية فى القوة كجمعية بورو *Poro* فى سيراليون التى شكلت فى وقت ما اتحادا وقائيا ضد تجار الرقيق. كما تميزت هذه الجماعات الزنجية بتقليد فنى راسخ تجلى فى فن النحت على المعادن ، كالبرونز ، والفخار المحروق ، والخشب كالأبنوس والماهوجنى.

(٢) زنوج البانتو :

بخلاف الزنوج الأنقياء فى غرب إفريقيه، والذين يتكلمون لغات عديدة قد تصل إلى الخمسمائة، فإن زنوج البانتو لهم أسرة لغوية واحدة تسود هضبة إفريقيه الوسطى والجنوبية فى مساحة تعادل ثلث مساحة إفريقيه، وليس معنى هذا أن المتكلم فى الجزء الجنوبى من القارة يفهمه أى فرد من سكان الجانب الشرقى أو الغربى، بل معناه أن هناك تشابه كبير بين اللغات التى يتحدث بها أفراد هذه المجموعة. وكان لوجود أسرة لغوية واحدة منتشرة فى أوطان متباعدة من تنزانيا إلى زائير وأنجولا وزيمبابوى وجنوب إفريقيه مادعى إلى احتمال أن يكون هناك إقليم واحد انتقلت منه

اللغة تدريجيا فى موجات متتالية حتى عمت المساحة كلها، ويتجه الـرأى إلـى أن شرق إفريقيه هو ذلك المكان الذى انتشر منه البانتو ، ذلك أنه لاتظهر فيهم السلالة الزنجية النقية، فأحيانا يظهر الأنف الضيق أو الشفاه الرقيقة ولون البشرة الأسمر الفاتح، أى أن صفاتهم زنجية ولكنها معدلة ، وينتظم البانتو فى كثير من الصفات الأخرى التى تنتشر فى شرقى وشمال القارة، وتتفاوت قبائلهم عددا ، منها مايتراوح بين الألف والألفى نسمة، بحيث يمكن أن نسميها شعوبا مثل سوازى والزولو، وقد اشتهر الزولو أكثر من غيرهم من سكان إفريقيه الجنوبية لأنهم فى بداية القرن التاسع عشر ظهر فيهم زعيم محارب يدعى شاكا الذى استطاع أن يجعل من الزولو أمة قوية خاضت حروبا مع الهولنديين المغتصبين، حينما جاءوا للإستيلاء على أرض الأفريقيين، ومن قبائلهم الشهيرة أيضا الباجندا والبانيورو والذين يعيشون فى أوغندا والكيكويو *Kikuku* فى كينيا الذين قاموا بحروب الماو ماو ضد البريطانيين بزعامة جومو كينياتا وكان من نتائجها حصول كينيا على الاستقلال، ويبلغ عدد سكان هذه القبيلة وحدها نحو المليون نسمة.

والحرفة السائدة عند البانتو فى جنوب إفريقيه وزيمبابوى هى رعى الماشية من البقر والضأن، ويحصلون منها على غذائهم الرئيسى وهو اللبن، ومن النادر أن تذبح الماشية لأجل لحمها، بل تذبح فى المناسبات الدينية والاجتماعية الهامة، وترعى الماشية وتحلب بواسطة الرجال، أما الزراعة البسيطة فى أيدى النساء، وقد حرم عليهن أن يقمن بأى عمل متصل بالماشية، لذلك تقدم النساء للأسرة الذرة بأنواعها والخضروات : غير أن من قبائل البانتو ما يتخذ من حرفة الزراعة أساسا كالباجندا الذين اشتهروا بزراعة البن فى أوغندا والتشاجا فى تنزانيا الذين يزرعون الموز والبطاطا وقصب السكر.

رابعا : النيليون الحاميون :

فى شرق إفريقيه أو فى نطاق يمتد من جنوبى السودان إلى كينيا وأوغندا وتنزانيا تعيش جماعات يطلق عليها النيليون الحاميون أو أنصاف الحاميين، وكان الباعث على هذه التسمية هو أنها جماعات يتمثل فيها الدم الزنجى والدم القوقازى الذى

يسود فى شرقها فى كل من أثيوبيا والصومال. ويظهر أن نسبة الدمـــاء القوقازيـــة عالية، ويتميزون بالرأس الطويل والأنف الرقيق فى كثير من الأحيان مـــع القامـــة الأقرب إلى الطول، والشعر وإن كان مجعدا إلا أن هذه المجموعـــة علـــى امتدادهـــا تشترك فى عادة تصفيف الشعر بحيث يعطى أشكالا جماليـــة، وهـــذه العـــادة غـــير موجودة عند السلالة الزنجية ومن العناصر الهامة فى حضارتهم أيضا وضع قـــرط فى الأنف وحمل سكين فى المعصم. وليس لديهم مواهب فنية كالزنوج فى صناعـــة الفخار أو الحفر على الخشب وربما كان النتاج الوحيد الذى أبـــدى فيـــه النيليـــون الحاميون تفوقا من الناحية الفنية هو الرماح المستطيلة ذات السنان الدقيقة البديعـــة والتى تجمع بين الجمال والفائدة. ومن الظاهرات الســـائدة لديـــهم خلـــع القواطـــع (الأسنان الأمامية).

شكل رقم (٢٠)



الحطب هو الوقود الرئيسي

لدي الشعوب الأفريقية

مهما علا صوت أنصار البيئة

والجماعات النيلية الحامية تحترف الرعى وله المكانة الأولـــى لديـــهم، وللحيولـــن مكانته الخطيرة وخاصة الأبقار وإن كان هناك أيضـــا الضـــأن والمـــاعز. ويظـــهر اعتزازهم بالحيوان فى عاداتهم وتقاليدهم، بل إن نظام حياتهم يعتمد عليـــها تمامـــا،

فهم فى حركة فصلية من مكان إلى آخر وراء حيوانهم هذا بحثا عن الماء والكــــلأ، غير أن هذه الماشية لاتلعب من الناحية الاقتصادية الدور الذى كان ينتظر أن تقـــوم به، ويرجع هذا إلى عاملين أحدهما بينى، والثانى اجتماعى، اذ تعيش هذه الجماعات فى أقاليم تضطرب فيها أحوال المطر من عام إلى عام وهو أمر تنعكس آثاره علــــى الحيوان. أما من الناحية الاجتماعية فتتمثل فى الملكية الجماعية للثروة الحيوانيـــة، فهى ملك للقبيلة وليست ملكا لأفراد، ولاتذبح الماشية للطعـــام، إلا فــى المناســبات الاجتماعية الهامة، ولكنهم يتناولون اللبن ويحصلون على الدم مـــن عنـــق الثـــور بإحداث جرح فى الوريد. وإلى جانب هذا يتناولون بعض الحبوب كالذرة الرفيعة التى يقومون بزراعتها أيضا، ولكن الزراعة بوجه عام حرفة ثانوية.

من أشهر قبائل هذه المجموعة قبائل الماساى الشهيرة فى كينيا الذين قاســوا أشــد العذاب من المستعمرين البيض لأنهم لم يقبلوا العمـــل فــى مــزارع المســتوطنين ويخضعون للسخرة، ونظرا لما اتسموا به من النظام والشجاعة كان الماساى دائمـــا مصدر خوف للقبائل المجاورة، فكانوا لذلك مرهوبى الجـــانب، وإن كـــانت عمليـــة الإغارات قد هدأت الآن. ومن قبائل هذه المجموعة أيضا النوير ***Nuer*** فى جنوبـــى السودان الذين لم تكن علاقتهم جيدة بالإدارة البريطانية ، حتى وصلت هذه العلاقـــة إلى حد قتل مأمور المركز البريطانى الذى لم يفهم طباعهم، وفتحوا بذلك باب حـــرب بينهم وبين قوات الحكومة استمرت فترة من الزمن.

خامسا : القـــوقازيـــون :

تحتل هذه السلالة كل إفريقيه الشمالية بما فيها الصحراء الكبرى ، كما تحتل هضبـــة أثيوبيا والصومال، ويعرفون باسم الحاميين والساميين نسبة إلى اللغات التى تســـود بينهم الثقافات ، فهذا التمييز هو لغوى بالدرجة الأولى، والتمييز بينهما يقوم علـــى اختلافات الثقافة بما فيها اللغة، وإن كان هذا لا ينفى عدم وجود بعـــض اختلافـــات تعرف بين مجموعة واخرى نتيجة المؤثرات التى خضعت لها كـــل مجموعـــة فـــى الوطن الثانى الذى استقرت فيه، وهى نقطة هامة، فأينما احتك الحاميون بالســـاميين

وتزاوجوا منهم، فإن الأثر البارز لايكون واضحا فى الصفات الجسمية.

فالحاميون هم الذين يتكلمون لهجات يرى علماء اللغات أنها من أسرة لغوية واحدة، أصلها من جنوب اسيا ، وجاءت فى عصر متقدم ، بحيث لم يبق لها أثر الان فى تلك القارة، أما الساميون فهم الذين يتكلمون لغات مشتقة من جزيرة العرب وجاءوا فى وقت متأخر نسبيا، وإن كان هناك من العلماء من يقرر قرابة بين اللغتين بحيث أطلقوا عليها اللغات الأفروآسيوية، كما أن هناك قرابة من حيث السلالة حتى لاتجد فروقات فى صفاتهم الجسمية، وقد يكون لهذا أثره فى استجابة سكان شمال إفريقيه وهم حاميون أصلا، للمؤثرات العربية أى السامية.

وهكذا يدخل تحت مجموعة القوقازيين شعوب عديدة مثل الصوماليين والأثيوبيين، وسكان السودان الشمالى، ومصر، والليبيين، والتونسيين والجزائريين، والمغاربة، وسكان الصحراء الكبرى مثل قبائل الطوارق، والتبو.

ومن المرجح دخول الحاميين إفريقيه عن طريق أثيوبيا والصومال، وانتشارهم شمالا إلى السودان ومصر، ثم هجرتهم إلى ليبيا وبلاد المغرب، أما الجماعات السامية واشهرها التى تتكلم اللغة العربية، فقد انتقلت معظمها إلى إفريقيه عن طريق شبه جزيرة سيناء، منها ما اتجه جنوبا إلى السودان ومنها مااتجه غربا إلى شمال إفريقيه، ومن هناك انحدرت أيضا نحو الجنوب.

ورغم بعض الاختلافات الطفيفة نتيجة الاختلاط بالسلالات المجاورة، نجد التشابه بين أعضاء هذه السلالة، والذى يتمثل فى الراس الطويل، والشعر المموج، والأنف الدقيق، والقامة المتوسطة، والجسم النحيل، ولون البشرة الأسمر سمرة خفيفة حينا، كما فى مصر، وداكنة أحيانا أخرى كما فى أثيوبيا والصومال. على أن هناك ظاهرة يتحدث عنها الكتاب خاصة بظهور الشقرة والعيون الخضراء أو الزرقاء بين البربر فى المغرب العربى، ويرجحون انها ترجع إلى هجرات من أوربا فيما قبل الميلاد واتخذت من ديار المغرب أوطانا لها. على العموم تكون هذه المجموعة القوقازية أقل من نصف سكان القارة بقليل.

انتشار العروبة والاسلام فى إفريقيه :

ذكرنا أن هناك الساميين الذين يؤلفون جزءا من السلالة القوقازية. وهذه الجماعات السامية تتكلم لغات متعددة كالأمهرية فى أثيوبيا، ولكن أهم اللغات السامية التى دخلت إفريقيه هى العربية بوجه خاص، والتى يتكلم بها الآن مايزيد على ٢٥٠ مليون نسمة، أى أقل من ثلث سكان القارة بقليل وبذلك تعتبر أكبر مجموعة لغوية فى القارة الإفريقيه، ولعله من المستحب أن نحدد معنى العروبة اولا، ويمكن أن نقرر أن للعروبة عناصر أساسية ثلاثة وهى :

١- النسب العربى، أى أن تكون الجماعة لها صلة نسب عربى، وتمت بهذا إلى أصل عربى.

٢- الديانة وهى فى هذه الحالة الإسلام الذى انتشر على يد العرب وغيرهم مثل المرابطين من البربر الذين تعربوا فى موريتانيا ووصلوا بالاسلام إلى غرب إفريقيه حيث أقليم الغابات.

٣- اللغة العربية التى انتشرت بانتشار العرب وتأثرت بها شعوب كثيرة واقتبستها فى كثير من الأحيان، وأصبحت بفضل هذا الاتصال والمصاهرة ركنا أساسيا من أركان العروبة.

ويجب أن نوضح هنا خطأ الفكرة التى تربط بين الاسلام وحده والعروبة، حقا كان الاسلام من أهم العوامل التى ثبتت اللغة العربية، وجعلت اللغة العربية لغة لاتندثر ولاتتفرغ إلى لغات فرعية عديدة، ولكن مانحب أن نشير إليه هو أن الصلات العربية والهجرات من شبه الجزيرة العربية إلى إفريقيه سبقت ظهور الاسلام وانتشاره فى القارة.

فقد كانت هناك العلاقات التجارية بين جنوب الجزيرة العربية وشرقى إفريقيه حيث اشتغل العرب بتجارة التوابل والأخشاب وغيرها، واستقر بعضهم فى المنطقة، وساعدوا فيما بعد على نشر الثقافة العربية والاسلامية . وكذلك من المعروف أنه كانت هناك هجرات عربية إلى اثيوبيا من اليمن، أما عن طريق شمال إفريقيه فقد كانت العناصر السامية تعبرها إلى مصر منذ تاريخ غاية فى القدم. كل ماهناك أن

حركة التعريب اشتدت بعد الاسلام ، وخرجت الجماعات العربية من الركن الشمالى لإفريقيه، أى من مصر فى هجرتها نحو الجنوب فكانت مسؤوله عن انتشار العروبة والاسلام فى السودان، وغطت بذلك بها ٢/٣ مساحة وسكان للسودان، وفى هذا الاتجاه كان يمكن للعروبة والاسلام أن تكون أكثر انتشارا نحو الجنوب، لولا عزل الانجليز لجنوب السودان عن بقية السودان تمهيدا لفصله فى مخططاتهم ، وخرجت كذلك الجماعات العربية والقبائل البربرية المسلمة تنشر الإسلام فى غرب إفريقيه، وكانت مراكش فى الركن الشمالى الغربى لإفريقيه أشبه بمصر، فمنها خرج الاسلام والعروبة نحو الجنوب، وكان امتداد الاسلام والعروبة هنا اكثر بعدا عنه فى شرقى القارة فقد وصلت إلى حوض السنغال والنيجر بفضل المرابطين الذين نشروه بين الفولانى فى غينيا عام ١٠٧٦م، كما ازدهر الاسلام على أيدى تجار الهوسا الذين ينتشرون فى مساحات واسعة شمالى نيجيريا ، بل ووصل تجار الهوسا بالاسلام إلى قبيلة الاشانتى فى جنوب غانا وبنين.

وهكذا نجد أن الاسلام والعربية ينتشران بسهولة ودون إجبار، إذ لم تقف حوائل أمامهما.

سادسا : الوافدون :

وقائمة الوافدين الذين دخلوا القارة، طويلة للغاية، وعلى رأس هؤلاء الشعوب الأوربية التى أتت القارة غازية مستعمرة، والذين طاب لهم الاستقرار، استقروا كما هو الحال في شرقى إفريقيه وجنوبها حيث المرتفعات التى عدلت من المناخ في صالحهم وأما حيث كان المناخ قاسياً عليهم، فقد استقروا بأعداد محدودة فى الادارة كما هو الحال فى غربى القارة، ولقد كان الانجليز والفرنسيون والأسبان والبرتغاليون والألمان والهولنديون هم الذين يذكرون دائما حين يأتى ذكر الشعوب الأوربية، ولكن شارك أيضاً اليونانيون، والايطاليون، والصينيون والأمريكيون والكنديون والهنود والجاويون واللبنانيون والسوريون وغيرهم، حتى لقد اختلط الأمر، حين التحدث عن " الأفريقى " وان كانت الكلمة تعنى شخصا ولد أسلافه الاقدمون فى القارة، وكان هذا معروفا وسائدا قبل الحرب العالمية الثانية، ولكن ما

ان يقظت القومية الإفريقيه حتى وجدنا ان النازحين يســمون أنفســهم أفريقيين، ويقصدون بذلك كل شخص ولد فى القارة، مهما كان أصله ، أوربيا او آسيويا حتى اختلط الامر، وقد اطلق البوير الفلاحون الهولنديون على أنفسهم "الافريكــانرز" أى الأفارقة، وحجتهم فى ذلك أن أسلافهم قدموا تلك البلاد فى القرنين الثامن والتاسع عشر ونسلهم الحالى لا يعرف غيرها، مع أن الصحيح أنهم "مستفرقون" وقد سار على نفس النهج النازحون الآخرون من هنود وغيرهم يسوقون نفس حجج ومنطق المستفرقين ذوى الأصول الأوربية.

ومعظم الأسيويين من الهند، "هيندوباكستان" وبقدر عددهم بما يزيد علــى مليون ونصف مليون نسمة يعيشون فى شرقى وجنوبى القارة ، وصلوا هذه الجهات للعمل فى مد الخطوط الحديدية فى شرق إفريقيه ، ولزراعة قصــب الســكر فــى جنوب إفريقيه : هذا وتتركز الأسماء الملاوية والصينية فى ملاجاشى.

الآسيويون فى إفريقيه بالالف نسمة تقريبا

جنوب إفريقيه	٦٢١	زيمبابوى	٢٩٣
تنزانيا	٨٧	أوغندا	٥٠
كينيا	١٣٨	المجموع	١١٠٠ +

وعلاقة شبه القارة الهندية بشرق إفريقيه قديمة للغايــة ، حتــى قبــل أن يحضر البرتغاليون فى نهاية القرن الخامس عشر، حيث كانوا ممولين ووسطاء فى المــدن الساحلية، ولكنهم فى القرن الأخير توغلوا فى الداخــل مــع الاســتعمار الاوربــى، واحتلوا مكانا مرموقا فى الحياة التجارية للمنطقة، بل إنهم طبعوا بطباعهم القومــى كثيرا من المدن كما فى ممبسة وزنجبار.

والجالية الآسيوية فى شرق إفريقيه تتكون من الهندوس والمسلمين، ويطلق العــرب وأهالى البلاد الساحلية اسم " بانيانى *Panyanai* " على الهندوس، وهى مشــتقة من الكلمة الهندوستانيه " بونيا *Bunia* " ومعناها تاجر ، وأحيانــا يطلــق كلمــة بانيان على كل التجار الهنود، وليس على الهندوس فقط، ومعظم الهنود المســلمين فى شرق إفريقيه من الشيعة، وينتمون إلى طوائفها المختلفة وأهمها جميعا الطائفة

الاسماعيلية والبهرا والاثنا عشرية ، والاسماعيلية، وينتمى والبهرا أصلا إلى الاسماعيلية الذين قاموا فى إيران بقيادة حسن الصباح ثم انتقلوا إلى الهند، وهم لايحجون إلى مكة، وإنما إلى كربلاء فى العراق حيث ضريح الحسين رضى الله عنه، وهناك طائفة الأحمدية وهى أنشط الطوائف الإسلامية فى نشر الإسلام ، نشرت ترجمة للقرآن عام ١٩٥٤ بالسواحلية، وفى العام التالى نشروا بعض أجزائه بلغة الجاندا.

وازداد تدفق الهنود بعد أن أخذ البريطانيون فى فرض سيطرتهم على إفريقيه الشرقية إذ استخدموهم فى قوات البوليس والجيش الذين كان يرسلونهم لإخضاع القبائل الإفريقيه الثائرة، وكان عام ١٨٩٥ العام الحاسم فى علاقة الهنود بشرق إفريقيه، حين قررت بريطانيا ضرورة البدء بمد خط حديدى يربط بحيرة فكتوريا بالمحيط الهندى عند ممبسة ، واستمر العمل طيلة ست سنوات ، وحتم هذا المشروع ضرورة استخدام أعداد هائلة من الأيدى العاملة الهندية ***Indian Coolies***، وسرعان ما تدفقت أفواج المهاجرين من الهنود التجار على طول الخط الحديدى، وبلغ من نفوذهم التجارى حدا جعل الروبية الهندية هى العملة الوحيدة المتداولة بين قبيلة الكامبا.

وتبدو الجالية الآسيوية فى الاقتصاد الأوغندى واقتصاد شرقى إفريقيه بعامة ذات أهمية كبيرة فإذا كانت أعدادهم تقرب من ٢٥٠ ألفا فى شرقى إفريقيه فإن نصيب أوغندا منهم يبلغ نحو ٨٢ ألفا ، يزيدون بمعدل سنوى يتراوح بين ٢,٥%، و٣%، وقد اختلفت طبيعة التوطن الاسيوى فى شرقى إفريقيه عنه فى جهات أخرى من العالم، كجزر الهند الغربية، أو جزر فيجى وبدرجة أقل فى جنوب إفريقيه، فهو هنا توطن حضرى أو مدنى ، ذلك أن ٧٥% من الآسيويين فى أوغندا هم من سكان المدن مما أدى إلى وجود جاليات كبيرة من الآسيويين وتقوقعهم على أنفسهم من الناحية الاجتماعية بعكس الحال لو كانوا قد انتشروا فى الريف، فبقدر ما توثقت الصلة بين أفراد الجالية بعضهم ببعض، بقدر مازادت عزلتهم وعدم اندماجهم مع الآفريقيين، ورغم أنهم خليط فى حد ذاتهم سواء من حيث الأصل أو اللغة الأصلية

أو العقيدة، ورغم أنهم لم يكونوا يوما ما مجموعة متحدة، فإنهم إذا مـــاتعرضوا أو تعرض بعض منهم لضغوط اتخذوا جميعا موقعـــا دفاعيـــا ووضعـــا متصلبـــا أمـــام الحكومة، ويزيدهم قوة أن فى أيديهم ثلاثة أشياء كان الأفريقيون تواقون لامتلاكـــها وهى : رأس المال، والمشروعات، المهارات الإدارية .... وهـــذه مفـــاتيح ثلاثـــة للنشاط الاقتصادى، وعلى سبيل المثال يعمل نصف الآسيويين فى أوغندا بالتجـــارة والخدمات المتعلقة بها وتشمل تجارة الجملة والقطاعى وأعمال البنـــوك والتـــأمين، لذلك يطلق عليهم " سلالة أصحاب المحلات " أما الصناعة والخدمات العامة فيعمـــل بها نحو ١٠% ، ثم تليها الزراعة ومايتعلق بها كحلج القطن وتجفيف وإعداد البـــن، وهذه بدورها مسئولة عن نحو ٩% من القوى العاملة الآسيوية، أما الذين يعملـــون فى ميدان الوظائف فهم فى أعمال السكرتارية والكتبة والإداريين والعمـــال المـــهرة كالتجار والميكانيكيين، ولاننسى أن منهم أعـــداد كبـــيرة تقـــوم بالخدمـــات الفنيـــة كالمعلمين والأطباء والمحامين . ويتهم الآسيويون فى أوغندا بأنهم عاقوا اشـــتراك ومساهمة الأفريقيين فى كثير من أوجه النشاط الاقتصادى لبلادهم ، كذلك لم تحـــاول المؤسسات الآسيوية مساعدة الأفريقيين فى أفرقة هذه المؤسســـات، كذلـــك يتـــهم الآسيويون بأنهم يصدرون الأموال إلى الخارج.

إن عزلة الآسيويين في مجتمعهم المغلق ومحاولتهم الاستفادة دون الافادة هى التى خلقت لهم المشكلة في أوغندا، ومن قبل أدت إلى تحريم تجارة الجملـــة والوســـاطة عليهم، وتحريم انتقالهم من ميدان الزراعة إلى الصناعة في تنزانيا، وفي زنجبار قاد الرئيس السابق عبيد كرومى حملـــة إجبـــار الـــزواج المختلـــط بيـــن الأفريقيـــن والآسيويين، ولا ننسى أن هذا التقوقع هو الذى حدا بعيدى أمين إلى إتخـــاذ قـــراره بطرد الأسيويين من أوغندا مع إعطائهم مهلة ٩٠ يوما تنتهى في نوفمبر ١٩٧٢.

ووجد الشوام فرصتهم أكبر فى غرب القارة بحكم أن العناصر الهندية سبقتهم إلـــى شرقى القارة، فضلا عن أن الاستعمار الفرنسى لم يكن ممثلا بصورة واسعة في ذلك الاقليم.

وكان السوريون واللبنانيون هم الذين يمثلون الطبقة الوسطى فى غرب إفريقيه، وكانت هذه الهجرة هى جزء من تلك الهجرة التى شهدتها بلاد الشام بعد عام ١٨٨٠ حين نزحت أعداد كثيرة منهم إلى الولايات المتحده الأمريكيه، ويختلف هؤلاء عن الهنود أنهم أتوا فرادى لا جماعات ، وأتوا للتجارة لا للعمل كما فعل الهنود، وأختلف هؤلاء عن الهنود بعد ان نالت الأقطار الإفريقيه استقلالها، ظلوا مواطنين لبنانيين أو سوريين وكانوا يرسلون أموالهم إلى بلادهم يودعونها المصارف، حتى يعودوا لاهليهم حين يتقدم بهم السن، وكانوا يهتمون بتعليم أبنائهم، يرسلونهم إلى لبنان أو فرنسا أو أنجلترا للتعليم أو التدريب، ويطلق عليهم بعض الكتاب الجماعة الكدودة الذكية النشطة، ونظر الافريقيون إليهم على أنهم كغيرهم من المهاجرين أتوا ليثروا، ويعودوا بعدها لبلادهم، وقد وضعت قيود على هجرتهم فى الخمسينيات، وفى ليبيريا حرم عليهم النشاط سوى فى المدن وأذا ماحدث أية أضطرابات أو انقلابات كانت ممتلكات هذه الجالية عرضة للسلب والنهب، كما كانوا عرضة للأعتداء عليهم كرد فعل لما يحملة الأفارقة لهم من بغض وكراهية ، وأبلغ مثل ما حدث لهم بعد انقلاب سيراليون عام ١٩٩٧م.

ويتركز الأوربيون (٥ مليون) كمستوطنين في أقصى جنوب القارة (دول الأقلية البيضاء) ويبلغ عددهم في جمهورية جنوب إفريقيه نحو ٧٥٠ر٣ نسمة بينما لا يزيد عددهم فى زيمبابوى على ٢٧٥ الف نسمة. وكان لهم تركيز من قبل فى شمال إفريقيه، لكن الكثير منهم رجع إلى بلادة عقب الأستقلال والتأميم خاصة فىالجزائر، ولذلك لا يزيد عددهم الأن فى المغرب الكبير على نصف مليون نسمة.

<u>لقاء الأبيض والأسود :</u>

وكان النظام العنصرى يقوم على اللون، يأتى البيض على قمة الوضع الاجتماعى والسياسى، يليهم فى المرتبة الوسطى السمر والملونون. من أسيا وإفريقيه ثم فى المرتبة الدنيا السود على القاع .

هكذا تتفاوت حظوظهم فى الحياه العامة بألوانهم، كلما أقترب من البياض سما مكانه، ونال قدرا من التعليم يؤهلة لتلك المكانة ومستوى المعيشة وفرص الحياة،

أما السمر من آسيا والملونين فتتارجح مكانتهم بين البيض والســــود ، يحتقرهــم البيض ويبغضهم السود يعملون بالتجارة وكخـــدم وســـعاه وكتبـــة فـــى الوظـــائف الحكومية، وكان هؤلاء السمر الفئة الوسطى لا يكونون وحـــدة اجتماعيـــة ضخمـــة فهناك الهندى من السيخ، والهندى المسلم ، والجاوى المسلم، كما كانوا يتفـــاوتون من الناحية الأقتصادية، فكان هناك مالك الأرض الأسيوى فى الريف ، وذلـــك الـــذى يمارس تجارة ضيقة فى المدينة.





فتاة من البوشمن — قـــزم مـــن زائـــير — مـــن البانتـــو





محاربون من الماساى فى كينيا (نيلو - حاميون)

الفصـــــل الخامس

نمــــو الســـكان وتوزيعـــهم

نمو السكان : [٤]

يزداد سكان إفريقية باستمرار، كما يزداد نصيبهم من المجموع العالمي، ففي عام ٢٠٠١ حينما بلغ سكان إفريقية ٨٠٠ مليون نسمة، كان هذا يمثل ١٢% من سكان العالم، بينما لم تكن نسبيتهم تتعدى ٧,٥% عام ١٩٢٠، وقد تبع هذا زيادة كثافـــة السكان من ٩ نسمة لكم٢ عام ١٩٦٠ إلى ما يقرب من ٢٤ نسمة لكم٢ عام ١٩٩٥ ، ومن ثم مازالت أفريقية حتى فى ظل الزيادة تعتبر من أقل جهات العالم كثافـــة إذا ما قورنت بنحو ٢٠٠ نسمة لكم ٢ فى الهند.

وإذا تتبعنا النمو السكانى فى إفريقيه لوجدنا أن التقديرات كانت تعطى إفريقيــه ١٠٠ مليون نسمة عام ١٦٥٠، أى قبل دخول الروربيين ، ولكن هذا الرقم هبط بعد ذلـــك بقرنين إلى ٩٥ مليون نسمة، ويعزى هذا الأنخفاض أو التوقف فى النمو بعد ظــهور الأوربيين على أرض القارة لعدة أسباب: منها هلاك عدد كبير من الأفريقيين الذيــن فقدوا أرواحهم في العمليات الحربية، واستغلال العمال الأفريقيين بطريقة بشعة فـــي جمع المحاصيل، وفي المزارع الرأسمالية، والأشغال العامة، فعلى سبيل المثال ذهـب

---

(٤) ينبغى أن نشير إلى عدم دقة الأحصاءات الحيوية فى معظم إفريقيه لإ عتبارات متعددة منــها أنتشــار الأمية بين السكان وعدم اقتناعهم بالأحصاء وأهدافة ، بل والشك أحياناً فى هذا الهدف ، خشــية أن يكون الأمر متعلق بالضرائب أو الأستدعاء فى خدمة مدنية أو عسكرية ، ومنها ان البيانات التى قـــد يعطيها عن توزيع السن فى أسرتة لا يمكن أن تكون الا تقريبية اذ من المحتمل انه لم ير شهادة ميــلاد طوال حياته والشك كبير فى تنفيذ هذا خاصة فى إفريقيه المدارية ، وفى البوادى ، ومنها الصعوبــات التى يلاقيها القائمون بالتعداد بالعينة فى حالات كثيرة وأخيراً وليس آخراً يمكن القول بــأن ســلطة القانون قد تكون واهية فى أجزاء كثيرة من الأقاليم وأن درجة كفاءة القائمين بــالتعداد وأعدادهــم ليست كافية للحصول على أرقام دقيقة ، من هنا يجب أن يؤخذ فى الاعتبـــار أن النســب المئويــة والأرقام الخاصة بالسكان ليست صحيحة تماماً وأنما هى أقرب إلى الحقيقة .

مد الخطوط الحديدية فى الكنغو بأرواح ما يتراوح بين ١٥ ألف، ٢٠ ألـف نسـمة، هذا فضلا عما يترتب على ذلك من تفكك الروابط الأسرية، ومنـها ازديـاد فـرص التعرض للأمراض الوافدة من أوربا والتى لم يكن للأفريقـى مناعـة ضدهـا مثـل الانفلونزا، ومنها إدخال الكحوليات وإسراف الافريقى في شربها دون وعى، وازديـاد انتشار الأمراض المتوطنة نتيجة لانتشار الهجرة الداخلية على نطاق أوسع، وأخـيرا لا ننسى تجارة الرقيق التى أودت بحياة الملايين سواء على أرض القـارة أو فـي المحيط أو من نزحوا إلى العالم الجديد، كل هذه كانت عوامل تفريـغ للقـارة مـن السكان.

ومع أفول القرن التاسع عشر ، وبزوغ القرن العشرين ، ارتفع الرقم مرة أخرى إلى ١٠٠ مليون، ثم بدأ صعودا حتى تضاعف في منتصف هذا القرن، ومن الملاحـظ أن سكان القارة الإفريقيه كان يتزايدون بنسبة ثابتة تقريبا خلال الفترة من ١٩٢٠ حتى عام ١٩٥، إذ كانت نسبة الزيادة كل عشر سنوات حول ١٦% (المتوسط الحسـابى لنسبة الزيادة كل عشر سنوات خلال الفترة المذكورة) ثم بدأت النسبة في الارتفـاع بعد ذلك، إذ بلغت ٢٣% عام ١٩٦٠ عن عام ١٩٥٠، كما بلغت ٢٦% عـام ١٩٧٠ بالنسبة لعام ١٩٦٠، وترتفع إلى ٢٩% بين عامى ١٩٩٠، ٢٠٠٠، ولكن ينتظر أن تنخفض إلى ١٨% بين عامى ٢٠٢٠، ٢٠٣٠ ويرجح الباحثون زيادة سكان إفريقيه إلى ما يزيد على ٨٣٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ ، والقارة الإفريقيـه بـهذا تعتـبر القارة الثالثة من حيث الحجم السكانى، بعد كل من آسيا وأوربا.

تقديرات سكان إفريقيه في القرن العشرين بالمليون نسمة

السنوات	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٩٥	٢٠٠٠	٢٠١٠
السـكان	١٤١	١٥٧	١٧٦	٢٠٦	٢٥٤	٧٢٥	٨٣٣	١٠٧٢
الزيادة كل ١٠ سنوات%		١١	١٢	١٧	٢٣	٢٩	٢٨	

نمو السكان

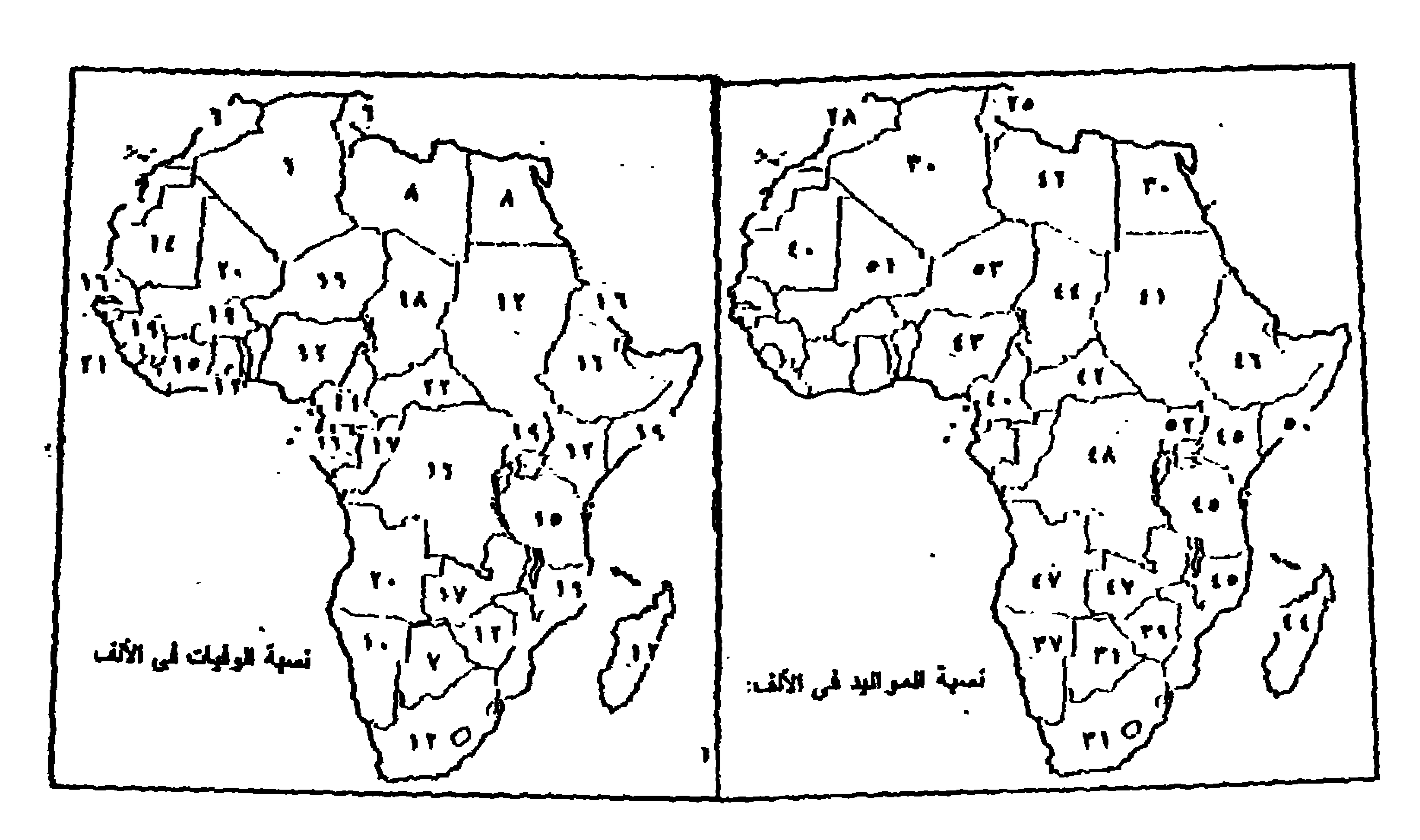
المواليد :

تعتبر إفريقيه من أكثر القارات من حيث معدلات النمو، ففي تقديرات الأمم المتحدة لعام ١٩٩٥، كانت نسبة المواليد نحو ٤١ في الألف، على حين أنها في آسيا ٢٤ وفي أوربا ١٣ في الألف ، وهذا المعدل العالى للمواليد ينطبق على جميع أقاليم القارة وقد يزيد باستثناء أقصى الشمال وأقصى الجنوب حيث تنخفض بنحو ١٠ في الألف.

وتتعدد العوامل التى تقف في جانب ارتفاع معدل المواليد في إفريقيه منها ارتفاع نسبة الخصوبة في إفريقيه أكثر من أى قارة أخرى فهى تبلغ ٥,٤ طفلا حيا لكل أمراة (١٩٩٥ - ٢٠٠٠) على حين أن المتوسط العالمى هو ٢,٩ طفلا، وفى نفس الوقت هى ٢,٨ طفلا في آسيا، وتبلغ أقصى انخفاض لها في أوربا حيث تبلغ ١,٧ طفلا، ومنها زواج المطلقات والأرامل، وخشية المرأة من فقدان أطفالها لارتفاع معدلات وفياتهم في القارة، فهى تتراوح بين ١٠٠ - ١٥٠ في الألف للأطفال في إفريقيه جنوب الصحراء، ولا تقل عن ٧٠ في الألف في حالات معدودة في إفريقيه شمال الصحراء كما في مصر والجزائر، وهناك من التقاليد الإفريقيه ما يدعو إلى كثرة الانجاب، وهو مساعدة الأبناء لوالديهم حين الكبر، كما أن الأب يتلقى صداق بناته حين يتزوجن، وهناك خوف من الزوجات من ترك أزواجهن إذا لم ينجبن، بل قد تثور الأقاويل حول المرأة إذا لم تنجب بعد العامين الأولين من الزواج في بعض المجتمعات الإفريقيه، من هذه الأقاويل أن هذا عقاب من الله لأنها أذنبت في حياتها.. إلخ، وحتى إذا لم يتركها زوجها ويتزوج عليها، فإن منزلتها ستكون دون منزلة الزوجة الولود، على أنه يجب أن يلاحظ أن هذا التجانس في معدلات المواليد والخصوبة (عدد الأولاد الذين تنجبهم المرأة في سن الخصوبة) قد تكون مضللة بعض الشيء، فهناك لختلافات ودرجات من تفاوت الخصوبة بين أجزاء الاقاليم، ففي زائير ثبت أن معدل المواليد يتراوح بين ٢١ في الألف في اقليم، ٦٣ في الألف في اقليم آخر مما يؤدى إلى درجة خصوبة تتراوح بين ٢,٨ ، ٩,٢ وهذا معناه أن

هناك جيوب مرتفعة الخصوبة، وأخرى منخفضة الخصوبة، وهذا يحتاج إلى دراسة تفصيلية، ولكن إذا جمعت أرقام أكثر من دولة فيظهر التجانس واختفاء الفروقات الحادة.

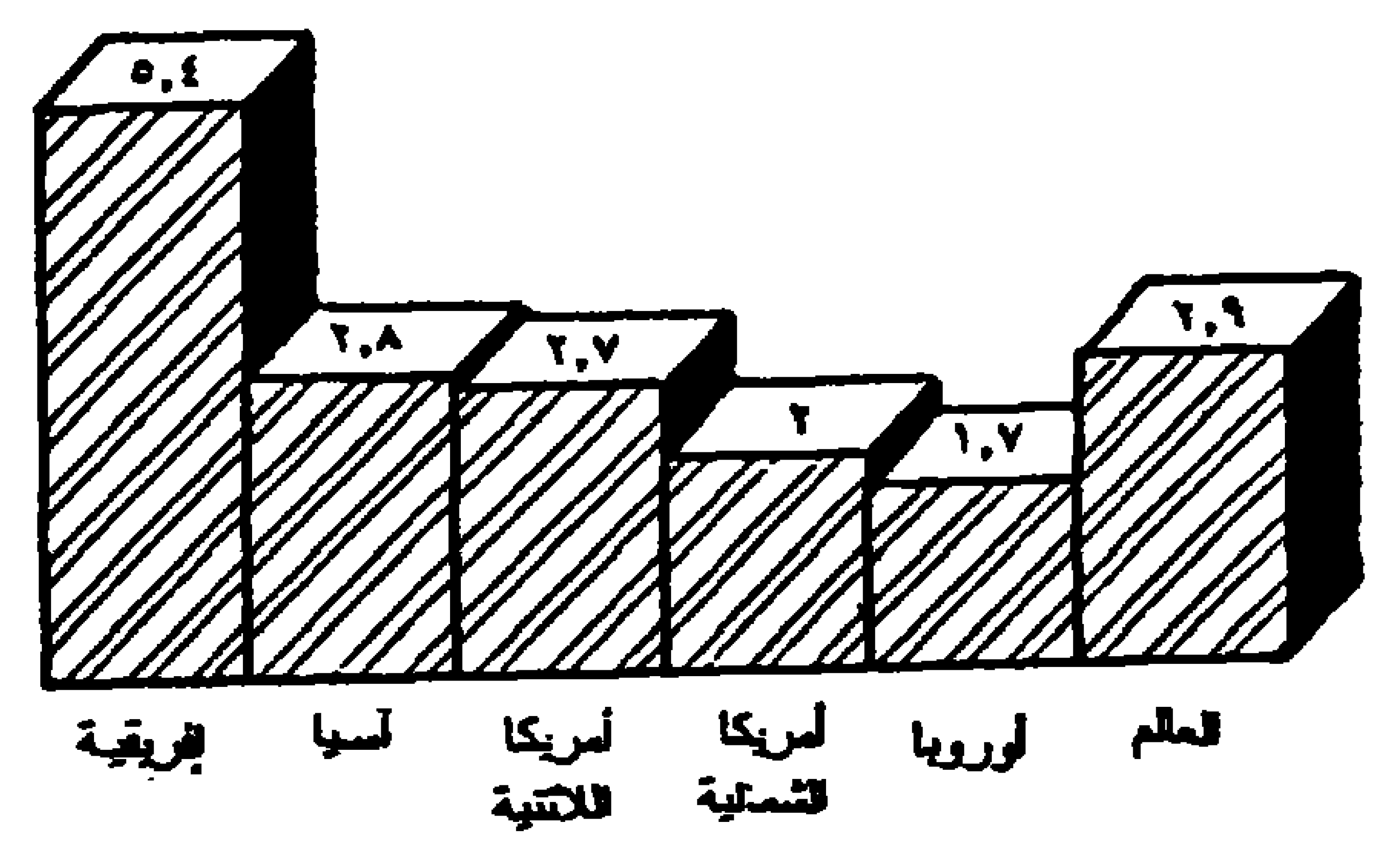
شكل رقم (٢١) : نسبة المواليد ولوفيات في أفريقية عام ٢٠٠٠



تقدير نمو السكان في اقاليم إفريقيه (١٩٩٥) فى الألف

	معدل المواليد	معدل الوفيات	الزيادة
إفريقيه	٤١	١٣	٢٨
إفريقيه الشمالية	٣٢	٨	٢٤
إفريقيه الغربية	٤٥	١٤	٣١
إفريقيه الوسطى	٤٦	١٦	٣٠
إفريقيه الشرقية	٤٥	١٦	٣١
إفريقيه الجنوبية	٣١	٨	٢٣

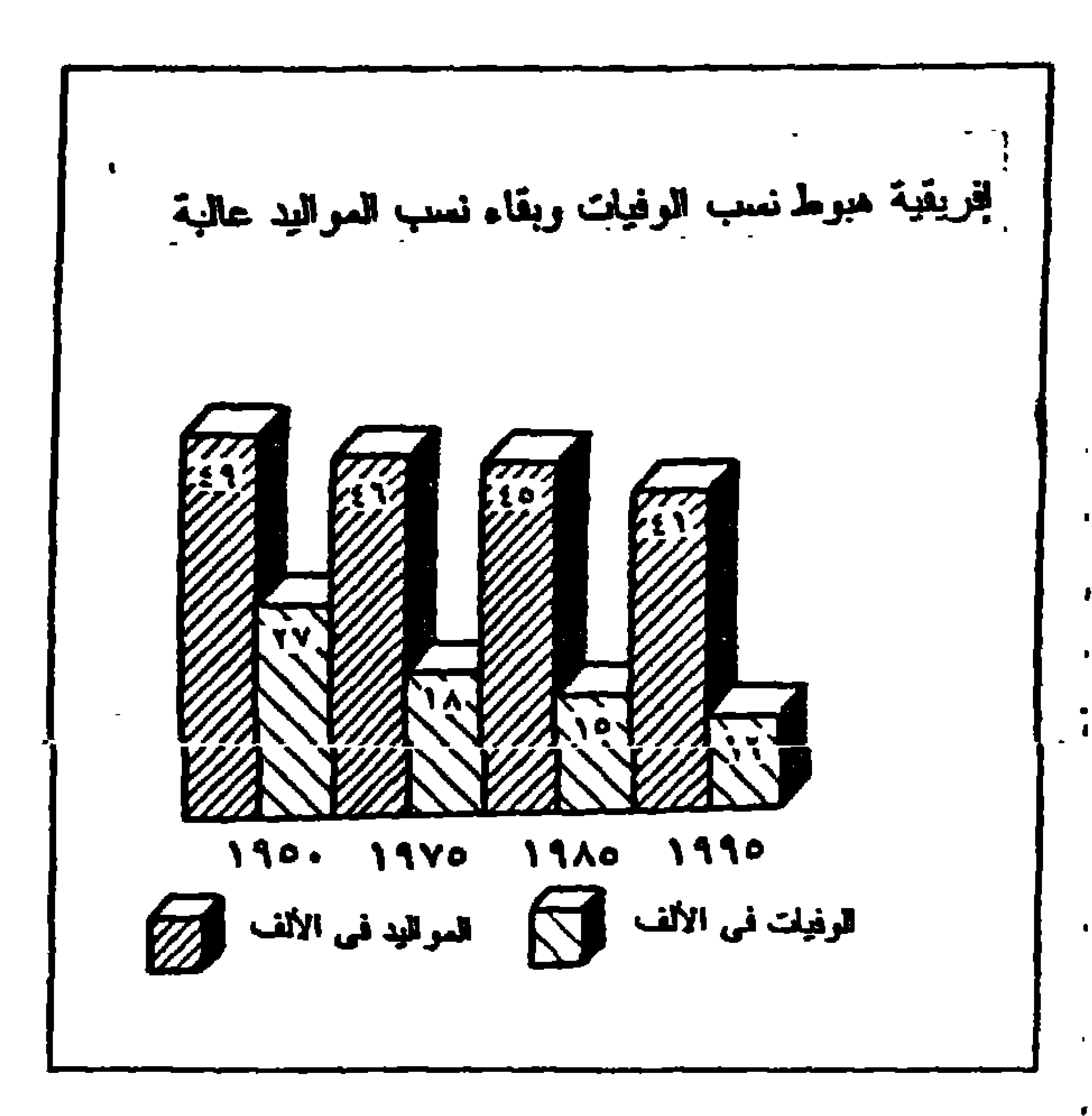
شكل رقم (٢٢) : ارتفاع مستوى الخصوبة فى افريقيه مقارناً بجهات اخرى من العالم



الوفيـــــــات :

إذا كانت تقديرات المواليد تشوبها صعوبات، فإن تقديرات الوفيات أكـــثر صعوبـــة، رغم تقدم طرق التقدير، نظرا لأن وفيات الأطفال دون الخامسة في إفريقيه مســئولة عن نصف مجموع الوفيات تقريبا، وتبدو إفريقيه مرة أخرى فى ظل الأرقام المتاحــة من أعلى القارات في معدلات الوفيات، رغم أنها انخفضت كثيرا عن ذى قبــل، فقــد كانت تدور في الثمانينات حول ٢٠ في الألف للقارة ككل، ولكنها انخفضت إلـــى ١٣ في الألف عام ١٩٩٥، على حين أنها بلغت ٨ في الألف في آسيا، وفي نفس الوقـت يجب ألا نغفل الاختلافات الاقليميه فهى من أعلى ما تكـون فـــي إفريقيـــه الغربيـــة والوسطى والشرقية (١٤، ١٦، ١٦) على حين أقل معدلات للوفيـــات فـــي أقصـــى الشمال والجنوب (٨، ٨) (مصر ٨، النيجر ١٩، أنجولا ٢٠، أوغنـــدا ١٩، زامبيـــا ١٧، نيجيريا ١٢) ومما هو جدير بالذكر ارتفاع نسبة الأطفال الرضع فـــهى علـــى مستوى القارة تدور حول ١٠٥ فى الألف تنخفض فى شمالى القارة إلـــى ٦٢ فـــى مصر، ٥٥ فى الجزائر، لتبلغ أقصاها فى غربى القارة، فترتفع في ســـيراليون إلـــى ١٤٣، وفي ليبيريا ١٢٦، كذلك في وسط القارة، فهى ١٣٧ فى أنجولا، ١٠٧ فـــي زامبيا هذا-كما تتفاوت النسبة بين أجزاء الدولة الواحدة ، فتقل في المدن عنها فـــي الريف، نظرا لتوفر الخدمة الطبية بعض الشيء في المدن عنها في الريف.

شكل رقم (٢٣) : هبوط نسبة الوفيات وبقاء نسبة المواليد عالية



يرجع انخفاض معدلات الوفيات الى ظهور المضادات الحيوية التى قللت من خطر الأوبئة كالتيفوس والتيفوئيد والطاعون، مع ذلك يبدو أن الانخفاض المحتمل للوفيات في إفريقيه لن يكون سريعا، فما زالت هناك عدة أمراض تمثل مشكلات للدول الإفريقيه مثل الملاريا والبلهارسيا، وأمراض ذبابة تسى تسى والسل ، ولا ننسى الايدز الذى ظهر مؤخرا وأصبح يغتال الشباب ، غير أن أكثر الأمراض انتشارا هى تلك المرتبطة بسوء التغذية وخاصة بين الأطفال، وترجع في معظمها إلى نقص البروتين للاعتماد في معظم الأحوال على النشويات ممثلة في الذرة بأنواعها والكسافا والموز، وحتى في المجتمعات التى يتوفر فيها البروتين الحيوانى ، كما عند الرعاة أو الصيادين، فيظهر النقص واضحا في الخضروات والفاكهة وما تشتمل عليه من فيتامينات ومعادن يحتاجها جسم الإنسان. وظاهرة سوء التغذية التى تؤدى بالإنسان يمثلها مرض البلاجرا أو مرض الكواشيوركور *Kwashiorker* الذى يصيب ثلاثة أطفال من كل مائة طفل في إفريقيه جنوب الصحراء، بل ترتفع إلى ٩ أطفال في نيجيريا، ١٠ أطفال في أوغندا، وهذا ناتج عن نقص البروتين: وأسباب هذا النقص في البروتين قد ترجع إلى ظروف طبيعية؛ وقد ترجع إلى ظروف اجتماعية واقتصادية أما الظروف الطبيعية فتتمثل في أن هناك أجزاء كبيرة من القارة جنوب الصحراء محرومة من تربية

الحيوان بسبب انتشار ذبابة التسى تسى ومن الظروف الاجتماعية معتقدات السكان ، فبعد فطام الطفل مباشرة يصبح غذاؤه من النشويات لاعتقادهم أن البروتين غير مناسب له وخاصة البيض، بل إذا توفر البيض يذهب لاطعام الرجال أولا، ومنها سوء صحة الأم بوجه عام، لأنهم لا يعرفون أن المرأة الحامل في حاجة إلى غذاء متزايد، ومن الأسباب العديدة أيضا، الفقر الغالب على المجتمعات الإفريقيه، ومن المعروف أن الأغذية التى تتكون من اللحوم والبيض والألبان تعد من أعلى المواد الغذائية سعرا.

وليس من شك أيضا أن الظروف الطبيعية لها دورها في خفض أو رفع معدلات الوفيات، فاقاليم الغابات الممطرة في غرب ووسط القارة ترتفع فيها تلك المعدلات عن شرقى وجنوب إفريقيه المرتفع حيث تقل الرطوبة، وبالتالى لا تنتشر الملاريا بنفس الدرجة ويرتبط توقع الحياة *Expectation of Life* عند الولادة بمستوى معدلات وفيات الأطفال ، من ثم نجد أن توقع الحياة عند الولادة على مستوى القارة يبلغ نحو ٥٥ عاما عام ١٩٩٥، وهو على مستوى العالم ٦٦ عاما و هذه بدورها قد تنخفض إلى ٤٦ أو ٤٥ كما فى أنجولا وأوغندا، وقد ترتفع إلى ٦٤ عاما كما في مصر، وعلى العموم لا هذا ولا ذاك يقارن بتوقع الحياة في الدول المتقدمة والذى يدور حول ٧٥ عاما. ولكن الوفيات بوجه عام في طريقها إلى الانخفاض كما هو واضح في مصر. وان اختلفت المدة الزمنية اللازمة لأحداث أثر محسوس بين اقليم وآخر في القارة.

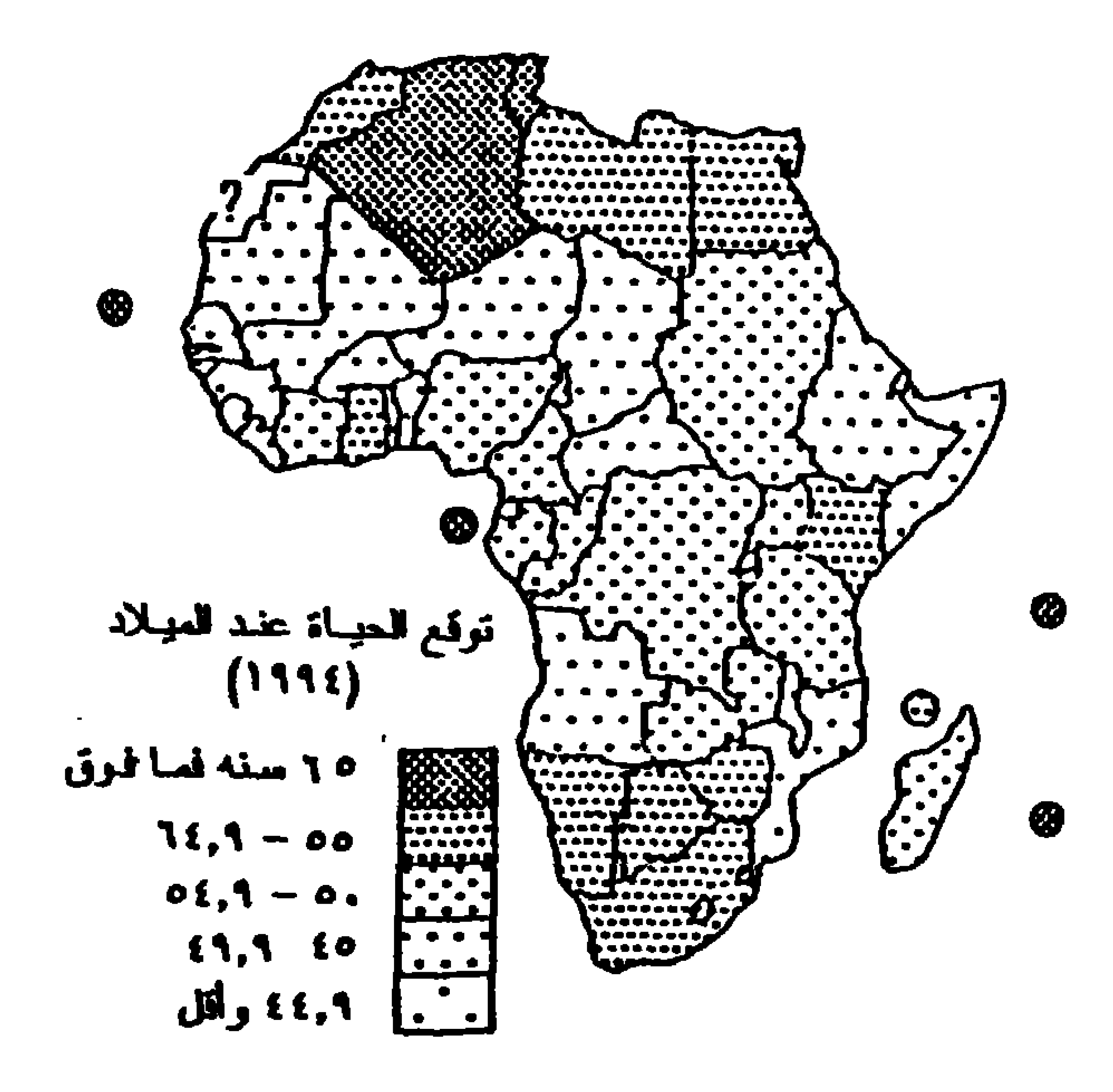
انخفاض معدلات النمو بوجه عام :

ولكن يلاحظ أن نسبة نمو السكان بدأت في الانخفاض في كل من شمالى القارة وجنوبيها منذ ١٩٧٠ ، ١٩٧٥، وقد شهدت هذه المناطق زيادة تقدر بنحو ٢,٥% بين عامى ١٩٨٥/١٩٩٠ ومن المتوقع أن تنخفض إلى ١,٥% عام ٢٠٢٥، وهكذا يمكن القول بان مصر وتونس والجزائر وجنوب إفريقيه قد شهدت انخفاضات الخصوبة منذ السبعينيات عكس بقية القارة أى شرقيها وجنوبيها وغربيها، فما زالت مستمرة فى معدلاتها المرتفعة التى تزيد على ٣% بين عامى ١٩٩٠/ ١٩٩٥

، وإذا انخفضت فلن تنخفض عن ٢,٤% سنويا في الفترة ٢٠٢٠/٢٠٢٥، فما زالت الزيادة مرتفعة رغم انتشار الأمراض وخاصة الايدز وذلك لأن معدلات المواليد مـــا زالت مرتفعة، ومن المرجح أن يتضاعف السكان خلال ٢٥ عاما.

هكذا وجدنا القارة الإفريقيه تستحوذ على أعلى معدلات في المواليد والوفيات، بحيث بلغ معدل النمو السكانى الطبيعى ٢,٧ فى الألف (١٩٦٠/١٩٩٠) يرتفع إلى ٣,٢% بين عامى ١٩٩٠/٢٠٠٠ وقد تكون هذه الزيادة السريعة من العوامل المؤثرة فـــي التنمية الاقتصادية لأنها تستدعى استثمارات متزايدة لاقتحام قطاعـــات جديـــدة فـــي الإنتاج، وزيادة وسائل الخدمات الأساسية اقتصادية واجتماعية، ويزيـــد حـــدة فـــي إفريقيه نقص الاستثمارات والتخلف التكنولوجى .

شكل رقم (٢٤) : توقع الحياه عند الميلاد فى افريقيه



مجموعات السن أو فئات العمر *Age groups* :

يعتبر توزيع السكان حسب فئات العمر في مختلف الدول من المؤشرات الديموجرافية العامة، إذ على أساسه يمكن استنتاج أعباء الإعالة سواء تلك التى يتحملـــها أفـــراد

المجتمع المكونين لقوة العمل حيال مجموعة السكان الذين يمثلون الطفولة أو كبـــار السن، أو تلك الأعباء التى تتحملها الدولة نظير توفير الخدمات الضرورية المطلوبـــة لهاتين المجموعتين من السكان، مثل الخدمات الصحيـــة، والتعليميـــة، والثقافيـــة، والرياضية، والاجتماعية الخاصة بالأطفال أو الخدمات الصحية والرعاية الاجتماعيـــة الخاصة بكبار السن.

ومن المظاهر المميزة للدول النامية بعامة ومنها الدول الإفريقيه ، هو ارتفاع نســـبة الطفولة نتيجة لارتفاع معدلات المواليد، من ثم تتصف تلك الدول بارتفـــاع تكـــاليف الأعالة(*) بها مما يعتبر عائقا لهذه الدول في تنمية اقتصادها ورفع مستوى المعيشة لسكانها، بعكس الحال بالنسبة للدول المتقدمة التى تتميز بانخفاض نســـبة الطفولـــة نتيجة لانخفاض معدلات المواليد بها ، وفي هذا المجال فإن أعباء الاعالــــة بـــها لا تمثل عبئا اقتصاديا كبيرا.

هكذا تتميز إفريقيه بأنها قارة فتية، تعلو نسبة سكانها من صغـــار الســـن (دون ١٥ سنة)، وفي نفس الوقت تقل إلى درجة كبيرة نسبة سكانها من الكهول إذا ما قورنت بغيرها من القارات كما هو واضح من جدول التركيب العمرى التالى .

ويتضح منه أن الأطفال والشيوخ يكونون نحو ٤٨% من مجمـــوع الســـكان بينمـــا القوى المنتجة تبلغ ٥٢% فقط ، وبالتالى يصبح العبء كبيرا على القـــوى العاملـــة عكس الحال في الجهات المتقدمة كأوربا حيث نجد ثلثى السكان في ســـن الإنتـــاج، ويترتب على زيادة الأطفال والشيوخ على نصف مجموع السكان، انخفاض متوســـط دخل الفرد.

آثـــار ارتفاع نسبة صغار السن :

(١) يترتب على ارتفاع نسبة صغار السن (- ١٥ سنة) إلى إجمالى الســـكان فـــى إفريقيه انخفاض مستويات الدخول فيها، فهناك فئة كبيرة مستهلكة فقط (معالـــة)

(*) تحسب نسبة الاعالة على أساس مجموع السكان أقل من ١٥ سنة والسكان ٦٠ سنة فأكبر إلى جملـــة السكان.

وفئة أصغر نسبيا منتجة، وحيث إن الفئة المستهلكة تشارك الفئة المنتجة في دخلها، فإن النتيجة الطبيعية في النهاية تتمثل في انخفاض متوسط دخل الفرد.

التركيب العمرى لسكان إفريقيه مقارنا بنظيره فى العالم المتقدم والنامى ٢٠٠١

	١٥ سنة فأقل	١٥/٦٤	٦٥ فما فوق
العالم	٣٢%	٦٢%	٦%
العالم المتقدم	٢٠%	٥٧%	١٣%
العالم النامي	٣٥	٦٠	٥
إفريقية	٤٤	٥٣	٣
مصر	٣٥	٦١	٤
السودان	٤٠	٥٦,٥	٣,٥
نيجيريا	٤٥	٥٢	٣
أوغندة	٥٠	٥٠	٢,٣

(٢) ان انخفاض متوسط دخل الفرد في إفريقيه يجعل من الضرورى خروج جزء من صغار السن إلى العمل في سن مبكرة لمساعدة أسرهم، فعلى الرغم من أن المؤشرات العامة تؤكد أن الحد الأدنى لسن العمل في التشريعات العمالية للدول المتقدمة أكبر من مثيله في الدول الإفريقيه والمتخلفة. إلا أنه من الملاحظ أن الكثير ممن هم ليسوا في سن العمل في الدول الإفريقيه يضطرون إلى الخروج للعمل. ويترتب على ذلك زيادة عرض القوة العاملة في إفريقيه من الناحية الكمية فقط.

(٣) أن التحاق جزء من صغار السن (- ١٥) بسوق العمل في إفريقيه يعنى اهمال العملية التعليمية ، فيما يتعلق بهذا الجزء مما يؤدى إلى انخفاض الكفاءة الإنتاجية، وهذا يفسر لنا بعض أسباب انخفاض إنتاجية العاملين في إفريقيه. وهذه المشكلة على جانب كبير من الأهمية حيث يندر العمال المهرة، فى حين يكون هناك فائض فى قوة العمل غير الماهرة.

النسبة الجنسية Sex Ratio :

من المعلوم أن نسبة الذكورة أى عدد الذكور لكل مائة من الاناث من سكان دولة ما تتميز بميلها إلى التعادل تقريبا، كما أن الدول المتقدمة ترتفع فيها نسبة الذكورة عنها في الدول النامية، كذلك الحال في الدولة الواحدة، فإن نسبة الذكورة في المناطق الحضرية ترتفع عنها في باقى مناطق الدولة. كما أن تلك النسبة في المنطقة الواحدة تختلف باختلاف مجموعات الأعمار، فتكون مرتفعة في فئات العمر الأولى من الحياة، وتنعكس الصورة في الفئات التالية. كما تتأثر تلك النسبة بالظروف التى تمر بها الدولة من حروب أو شيوع حركة الهجرة منها أو إليها سعيا وراء فرص أفضل للعمل. إذا تؤثر الحروب والهجرة للخارج في تلك النسبة بالخفض، بينما تؤثر تأثيرا عكسيا في حالة شيوع الهجرة الوافدة للدولة من الخارج.

يعتبر الميزان الجنسى فى أى مجتمع من المجتمعات له أهميته لما يشير إليه فيما يختص بمستقبل السكان من ناحية، ومن معرفة لظروفهم الحاضرة من ناحية أخرى، وفي هذا المجال إذا تركنا إفريقيه الشمالية إلى إفريقيه المدارية بوجه عام سنجد انخفاض هذه النسبة إذ تبلغ نحو ٩٦، وهذا الرقم يعتبر منخفضا بالمقياس العالمى، ونظرا لأن إفريقيه شهدت ما يزيد على نصف قرن من الهدوء النسبى، فلا يمكن أن نعزو هذا الانخفاض إلى كوارث الحرب كما كان الحال في أوربا عقب الحرب العالمية الثانية، كما لا يعزى إلى الهجرات لأن هذه الهجرات لا تخرج من إفريقيه المدارية باستثناء القليل منها الذى يخرج إلى جمهورية جنوب إفريقيه، لذلك فالمرجح كما يقول كمبل أن هذا يرجع إلى ضعف بنية الرجل أمام صعوبات البيئة واضطراره للهجرة والسفر مئات الأميال سيرا على الأقدام بحثاً عن عمل ، فضلا عن سوء الأحوال الصحية، هذا بينما تصل مقاومة المرأة إلى حد أنها تعيش وتحيا بعد الولادة في ظروف غير صحية وبدون عناية طبية، وبينما ترتفع وفيات الأطفال (بوروندى ١٣٠، موزمبيق ٩٢ في الألف مقارنا بنحو ١٩ في المملكة المتحدة، ١٦,٥ في فرنسا) فان معدلات وفيات الأمهات عند الولادة قد ينخفض إلى ٢٠ في

الألف بل يبلغ ٥ في الألف في أوغندا. ورغم أن المتوسط يعطى تلك النتيجة نجد التفاوت واضحا في النسبة الجنسية كما هو واضح من الجدول التالى:

النسبة الجنسية في بعض الدول الإفريقيه عدد الذكور لكل ١٠٠ امرأة (١٩٩٨)

مصر	١٠٤	بوركينا فاسو	٩٩,٥
الجزائر	١٠٠	رواندا	٩٧,٥
ليبيا	١٠٨	بوروندى	٩٧,٥
غانا	١٠٢	بتسوانا	٩٥
نيجيريا	١٠٢	ليسوتو	٧٦
جزيرة فرناندوبو	٢٢٧	زامبيا	٩١,٥

ويتضح من هذا الجدول أن الأقطار ذات النسبة الجنسية المرتفعة هي تلك التى تجتذب أعدادا كبيرة من المهاجرين في مزارعها أو مناجمها كما هو الحال في زيمبابوى وليبيا ونيجريا وغانا، وجزيرة فرناندوبو، وعلى العكس من ذلك تميل النسبة إلى الهبوط إلى أقل مستوى لها في الجهات التى تصدر الأيدى العاملة مثل رواندا وبوروندى بوركينا فاسو وليسوتو وسوازى.. إلخ من ثم يمكن اتخاذ النسبة الجنسية دليلا - بوجه عام - على مصادر الهجرة ووجهاتها.

وقد ترتفع النسبة الجنسية أيضا في بعض أجزاء الاقليم الذى يزيد به عدد سكان المدن، وذلك للهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة كما هو الحال في مدن جنوبى نيجيريا و القاهرة.

غير أنه من الصعب تفسير جميع الاختلافات على أساس الهجرة، إذ ترتفع النسبة الجنسية على سبيل المثال في تشاد، رغم أنها ليست شهيرة لا بالهجرات الداخلية أو الخارجية ولا يفسر هذا إلا بأن الرجال يخفون ذكر زوجاتهم عن القائمين بأعداد السكان واعتبار ذلك أمرا نكرا.

موقف الدول الإفريقيه من التزايد السكانى :

ثبت من دراسة قام بها نورتمان *Nortman* لسبعة وأربعين قطراً إفريقيا أن ثلثيها ليس لديه سياسة سكانية تهدف إلى تخفيض معدلات التزايد السكانى، كما أن هذه الأقطار التى تضم خمسى سكان القارة بأكملها لا تشجع أى نشاط خاص

بالتخطيط السكانى. ولا يعدو عدد الدول التى وضعت لنفسها سياسة سكانية واضحة للتأثير في النمو السكانى سوى ثلاثة عشر دولة تضم ٢٢% من سكان القارة. ويمكن أن تعطينا دراسة بعض حالات هذه الأقطار نموذجا للمواقف الرسمية للسياسات السكانية في إفريقيه، وستوضح هذه الأمثلة تنوع هذه السياسات واتجاهاتها ازاء قضايا السكان في المراحل المختلفة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية والديموجرافية.

وإذا أخذنا مصر التى بلغ عدد سكانها ٦٢ مليون نسمة عام ١٩٩٦، مع نمو سكانى يبلغ ٢٣ في الألف سنويا، نجدها في الفئة التى تعى حكومتها أن معدل نمو السكان يتعارض مع معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بما يؤدى إلى هبوط مستوى معيشة المجتمع والأسرة والفرد، فيعتقد الباحثون المصريون: أن مشكلة نمو السكان أصبحت أكثر المشكلات اعاقة للتنمية، أنها أخطر مشكلة تواجه المصريين في محاولتهم النهوض بانتاجهم بطريقة فعالة، فإذا قيض لهذه المشكلة أن تستمر، فإنها سوف تحطم كل آمال التنمية والتقدم.

أما في الجزائر (٢٨ مليون نسمة)، فالموقف يختلف، ففي الجزائر حيث تبلغ نسبة زيادة السكان ضعف نسبة زيادة الانتاج القومى. يعتقد المسئولون أن حل مشكلة السكان يكمن في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بوجه عام، ومن ثم فإن سياسة الحكومة فيما يختص بتخطيط الأسرة محدودة وتكاد تكون مقصورة على أن تكون هناك فترة زمنية كافية بين كل طفل وآخر. وقد أدخلت بنين هذا المفهوم أيضا في مراكز الخدمة الصحية ورعاية الأمومة حيث يتفوق نمو السكان على نمو الإنتاج القومى، وتسمح الأحوال الاقتصادية في جابون التى تتمتع بأعلى متوسط لدخل الفرد في دول الفرانكفون الإفريقيه بزيادة في النمو السكانى تقدر بنحو ١٠ في الألف سنويا.

وتعتبر كل من حكومتى اثيوبيا والكمرون أن بلديهما مخلخلتان نسبيا في السكان، من ثم لا تتبنيان سياسة تهدف إلى خفض نسبة النمو السكانى، وفي الحق أن اثيوبيا مخلخلة سكانيا، وتعتبر حكومتها أن زيادة سنوية قدرها ٢٢ في الألف تكون مفيدة

اقتصاديا على اعتبار أنها ستوفر أيدى عاملة إضافية للتنمية فضلا عن توسيعها للسوق المحلى. كذلك الحال في السودان، فالاعتقاد هناك بأن خلخلة السكان، فضلا عن الطبيعة البدوية المرتحلة لجزء كبير من السكان، تجعل تلك الدولة بعيدة عن أنسب السكان. والسودان من ناحية التركيب العمرى يعتبر شابا، ذلك أن نحو نصف السكان يقل عمرهم عن خمسة عشر، عاما كما أن النساء لا يسهمن بصورة فعالة في قوة العمل، فهن ربات بيوت في الدرجة الأولى، ورغم أنه واحد من أقل الأقطار حضرية وأكثرها تشتتا في توزيع السكان على المستوى الافريقي، فإن نمو السكان واتجاه هذا النمو نحو الارتفاع، فضلا عن الهجرة من الريف إلى الحضر ومشكلات البطالة الظاهرة والمستترة، يشكل مشكلات اجتماعية واقتصادية خطيرة قد تعوق كل الجهود الرامية إلى حلها.

وتعى حكومة غانا تأثير نمو السكان السريع على قوة العمل، فضلا عن اهتمامها بالهجرة المتزايدة من الريف إلى الحضر، وما يتبع هذا من ضغط على الخدمات الاجتماعية، من ثم فقد بدأت غانا عام ١٩٦٩ انتهاج سياسة سكانية، على عكس تنزانيا ، فالحكومة لا تتبنى سياسة ضبط سكانى، لأنها تضع في الاعتبار كثافة السكان المنخفضة التى تدور حول ١٤ نسمة في الكيلو متر المربع، فضلا عن انخفاض نسبة الحضرية، إذ بلغت نحو ٧% فقط، بل أنه من المعتقد ان الاقتصاد التنزانى يزداد ازدهارا تبعا لارتفاع كثافة السكان بوجه عام فضلا عن زيادة سكان الحضر.

ويهدف برنامج السكان في موريشيوس إلى الوصول إلى توازن بين القوة العاملة ونمو فرص العمل المتزايدة.

وتأتى كينيا ضمن دول إفريقيه المدارية التى تعى مشكلاتها السكانية، على اعتبار أن خفض معدلات النمو السكانى معناه زيادة النمو الاقتصادى وتقليل البطالة والتبعية، وقد أعلنت كينيا سياستها السكانية عام ١٩٦٧، وتضمنت خطط التنمية برنامجا لتنظيم الأسرة في داخل إطار التنمية الريفية. وينصب التأكيد في هذا المجال على تقديم الخدمات للزوجين لترك فرصة زمنية مناسبة بين الطفل والآخر، ولا بد من

التأكيد على وضع عدد مطلق للأطفال كذلك، تهدف الخطة إلى تقليل وفيات الأطفال عن طريق الخدمات التى تقدم لرعاية الأمومة.

ويشير هذا المسح الهيكلى السريع إلى اختلاف النظرة إلى النمو السكانى، وبالتالى يجب ألا ينظر إليه على أنه المعوق الوحيد للتنمية الاقتصادية، فهناك مشكلات أساسية أخرى مثل عدم الاستقرار السياسى، والاقتصاد والتصدير الموجه، والسيادة الاستعمارية الجديدة على اقتصاديات معظم البلدان الإفريقيه، واستمرار الطابع الاستعمارى على نظم التعليم وعلى قيم السكان، وبالتالى على طبيعة الإنتاج في هذه البلاد.

وأنه لمن الواضح الآن أن تبنى سياسة تنظيم النسل على نطاق ضيق لن يقلل من معدلات النمو السكانى في الأقطار الإفريقيه، بل وهذه بالتالى لن يقدر لها النجاح، إلا إذا كانت هناك حملة جماعية في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية متضمنة رفع نسبة المتعلمين، وزيادة الدخل، والتغذية الأفضل، وتحسن أحوال المعيشة، والمستوى الصحى، ولقد أوضح هذه الفكرة أحد الديموجرافيين حين قال: "أن البرامج المباشرة لنشر ضبط النسل أن هى إلا جزء من عملية أكبر لابد أن تتم في الدول النامية، ويتضمن الجزء الأكبر منها تخطيط تنمية اقتصادية واجتماعية بدرجة أكبر من التنمية الحالية، فهذا أمر ضرورى، لأنه بدون تحسين مستويات المعيشة، فإن برامج تنظيم النسل سوف تكون إطارا فارغا، من ثم فالتخطيط الفعال يجب أن يعمل حسابا لأسباب ونتائج الاتجاهات والتغيرات الديموجرافية، ولاحتمالات التغيرات المستقبلية في فئات الأعمار، والخصوبة، ونسبة النمو، فضلا عن توزيع السكان. فهذه التغيرات تؤثر بدرجة كبيرة على عملية الطلب على المساكن والوظائف وغيرها من الأمور التى يتطلب تخطيطا طويل المدى.

مؤتمر القاهرة للسكان عام ١٩٩٤

إذا قرأنا وثيقة مؤتمر السكان نجد أنها تقول بأن الزيادة السكانية الكبيرة في العالم والتى وصلت بسكان العالم نحو ٥ مليارات يصلون إلى ٥ر٥ مليار عام ١٩٩٨

ويبلغون عام ٢٠٥٠ نحو ١٢ مليارا وأن فقراء العالم ومنهم فقراء إفريقيه هم المسئولون عن هذه الزيادة، ومعنى هذه الزيادة استنفاذ موارد أساسية تعتمد عليها أجيال قادمة، وزيادة التلوث البينى، والتفاوت الاجتماعى، والفقر.

والواقع أن أكبر حل لمشكلة الزيادة السكانية هى التنمية البشرية، فهى الضلع الأكبر في مشكلة السكان، فمن المعروف أن أكثر سكان العالم فقرا هم أكثرهم إنجابا، وأن أكثر سكان العالم غنى هم أقلهم انجابا، ولما كان ٨٥% من سكان العالم من الفقراء، ١٥% من سكان العالم فقط هم الاغنياء، وان الأولون لا يحصلون إلا على ٢٥% من دخل العالم، بينما الاقلية تحصل على ٨٥% من دخل العالم، أدركنا لماذا جاءت الصرخة من الدول الغنية التى تخشى على نفسها من زيادة عدد الفقراء، وتتزعمهم في هذا السبيل الولايات المتحدة الامريكية، رغم أن هذه الدولة في بداية نشأتها كان يتراوح متوسط عدد أفراد الأسرة فيها بين ٦، ٧ أفراد.

اذن حيث تصل شعوب العالم الثالث وتتزعمها الشعوب الإفريقيه إلى مرحلة التنمية البشرية المناسبة سيحدث هذا التوازن بين السكان والموارد، فلم تكن هناك دعاية لتنظيم النسل بواسطة وسائل الاعلام من صحافة واذاعة وغيرها في الولايات المتحدة الامريكية حينذاك، بل جاء الأمر طبيعيا حين ارتفع مستوى معيشة السكان.

فإذا كان العلاج في الدول الإفريقيه هو تنمية الوعى لدى السكان بأهمية الحد من الزيادة الضخمة مؤقتا، حتى يمكن الاستفادة مما يصرف على التنمية البشرية تعليمية وصحية وغيرها، فإن الأهم هو حاجة الشعوب الإفريقيه إلى عمليات التنمية والتعليم والرعاية الصحية، فهى أحد المداخل الأساسية للتنمية البشرية، وقد ثبت علميا أن الإنسان المتعلم المثقف (ذكراً كان أو انثى) أقدر على معرفة مصلحته وإدارة شئون أسرته وبيئته من الإنسان الجاهل المريض المتخلف فكريا وعلميا، والإنسان المتعلم هو الذى يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه نحو الأبناء، فهو الذى ينظم نسله، فليس حجم السكان وحده هو المشكلة ولكن نوعية السكان هى المشكلة، من ثم فعملية التنمية تحتاج إلى التعامل بايجابية مع جميع محاور التنمية المختلفة دون التركيز على محور واحد وهو حجم السكان والزيادة السكانية، فليس

بالحد من زيادة السكان وحده يمكن أن تتحسن الأحوال وفى الواقع أن مؤتمر السكان والتنمية الذى عقد في القاهرة في سبتمبر ١٩٩٤ كانت معظم مناقشاته خاصة بوقف التزايد السكانى، ولم ينل موضوع التنمية والبيئة ما يستحقه من الاهتمام، فقد طغى موضوع التزايد السكانى والحد منه على الموضوعين الأخيرين، وتلفت النظر أنه في موضوع علاج التزايد السكانى نفسه والحد منه مؤقتاً في بعض الدول الإفريقيه ، وليس في كلها – أن التنمية هى الأساس ، وليست وسائل منع الحمل ، ولنضرب مثلا بم قالته مندوبة كينيا في أحد اجتماعات المنظمات غير الحكومية : إننى آتية إليكم من عيادة طبية ليس بها مضادات حيوية ولا حتى أسبرين ولكن بها موانع الحمل، فهى محاولة محكوم عليه بالفشل فى وقف التزايد السكانى دون تنمية، وقد وجه نقد لمؤشر التنمية الرئيسى الذى كان يركز على أن هدفها هو رفع معدل الدخل القومى، وأصبح المؤثر هو درجة اشباع الحاجات الأساسية للإنسان، واتجه الرأى إلى تعريف الحاجات الأساسية للناس بالغذاء والملبس والمسكن والعلاج فضلا عن اشباع الحاجات المعنوية كالحرية والمطالب الروحية، فما نصيب الدول الإفريقيه ومكانتها في هذا السبيل؟ نقص الغذاء، ونقص الملبس، ونقص المسكن ونقص العلاج..الخ حين لا تتقدم دولة أو تنمو فليس لأنه ينقصها شيء، ولكن لأن شيئا يقف فى طريق ذلك النمو، شيء يمنع حدوث التقدم الطبيعي، كما يقول الأستاذ كريستوفر جراهام في كتابه بعنوان العالم الثالث انك ستجد الفقر حادا جدا في معظم مجتمعات العالم الثالث، ومنها بطبيعة الحال المجتمعات الإفريقيه، ولكن ليس نتيجة طبائع هؤلاء الناس، بل هو نتيجة ظروف اقتصادية وسياسيه، وقد أشتد الاهتمام بموضوع التنمية الإفريقيه منذ الستينيات، بعد أن تخلصت إفريقيه من الهيمنه الاستعمارية، ولكن كيف ننقل المجتمعات الإفريقيه من التخلف إلى التقدم؟

وكيف تتقدم الدول الإفريقيه وتنمو وقد خرجت من الأسر الاستعمارى وهى دول مهترئه ، وكانت شعوبها تعيش وكأنها في أوائل القرن، وظل اعتمادها في دخولها يعتمد على صادراتها من سلعة أو سلعتين رئيسيتين أحيانا بن، وأحيانا كاكاو،

وأحيانا أخشاب واحيانا قطن، وأحيانا نحاس أو حديد وهكذا، ثم انخفضت أسعار هذه الخامات وزادت واردات الدول الإفريقيه لاشباع الحاجات فأصبحت شروط التجارة في غير صالحها، ودخلت في دوامة الديون الخارجية التى زادت على ٢٧٠ مليون دولار، وتجاوزت نسبة مدفوعات خدمة الدين قيمة حاصلات الصادرات ، وبلغت المستوى الحرج المتمثل في ٢٥% ووصلت في بعض الأحيان إلى ١٠٠% في حالة بعض البلدان الإفريقيه، وزاد الحال سوءاً ما أصيبت به إفريقيه من كوارث مناخية تمثلت في الجفاف والحروب الأهلية.

والطريف في الأمر أن المخصص من برنامج الأمم المتحدة لمشكلة السكان هو ١٧ مليار دولار للسنوات العشر القادمة، تشترك فيه الدول الغنية بثلث هذا المبلغ والدول الفقيرة بالثلثين، فمن أين تأتى الدول الفقيرة وعلى رأسها الدول الإفريقيه بهذه المبالغ ؟!

ان هذا معناه افتقار الدول الغنية للحد الأدنى من الشعور بالمسئولية أمام الدول الفقيرة، على الرغم من الضجة التى قامت بها الدول الغنية حول خطورة الانفجار السكانى، وكأن هؤلاء الفقراء الذين يعيش منهم مليار نسمة على دخل يومى لا يزيد على دولار واحد لديهم الفائض للاقتطاع من هذا الدولار للمساهمة في برامج تنظيم الأسرة.

نريد أن نسأل من الذى استنزف غابات إفريقيه ومحاصيل إفريقيه ومعادن إفريقيه، هل هى الشعوب الإفريقيه؟ من الذى يستنفد موارد الطاقة؟ هى الدول الصناعية الغنية التى تأتى اليوم ولا تخرج أياديها من جيوبها لتساهم في التنمية والخلاص من أوضاع الفقر التى تسود، وبالتالى تحل مشكلة السكان المتزايدين.

واعتقد أن هذه إحدى المهام الرئيسية للجنة الاقتصادية لإفريقيه التى قام رؤساء الدول الإفريقيه بالتوقيع على قيامها في الثالث من يونيه ١٩٩١، فأحد مهامها الرئيسية هو التكتل الاقتصادى أمام التكتلات الأوربية والأمريكية لوقف هذا التدهور الاقتصادى الافريقي، والمطالبة بأن تكون هاك تنمية لإفريقيه إلى جانب موانع الحمل، لابد من جمع الدول الإفريقيه للتعامل مع عالم الاغنياء ككتلة واحدة لا كدول

منفردة لالغاء الديون الإفريقيه وتوجيهها لصالح التنمية في بلادها، فليس بموانع الحمل وحدها تحل مشكلة التزايد السكانى، لأن حالة الفقر في الدول الإفريقيه قد تكون عقبة في تنفيذ ضوابط منع النسل، فضبط النسل ليس هو الذى جعل كوريا وتايوان وسنغافورة وهونج كونج نمورا، وإنما هو الاستثمار البشرى والتعليم اللذين أديا إلى زيادة دخل الفرد.

وأخيراً يمكن القول بأن :

العلاقة بين السكان والتنمية معقدة، كما أن حقيقة هذه العلاقة ليست واضحة تماما هناك، ورغم وجود العديد من الدراسات حول هذه العلاقة واتجاهاتها، فإن الآراء حول هذا الموضوع متعددة ومتباينة في نفس الوقت.. ومع ذلك فهناك الرأى الذى يقول بأن التنمية الاقتصادية بعامة تؤثر تأثيرا كبيرا في العناصر الديموجرافية المؤدية للتغير السكانى وهى المواليد والوفيات، وذلك أن معدلات المواليد والوفيات تميل إلى الانخفاض على المدى الطويل، إذا ما أحرزت البلاد تقدما مطردا في ظروفها الاقتصادية وأحوالها الاجتماعية، هذه هى خبرة الدول المتقدمة. كما يتوقف حجم واتجاه الهجرات من ناحية أخرى على أنماط التنمية المختلفة في داخل الدولة، وبصفة خاصة على التوزيع الجغرافى لفرص العمل، وفرص كسب العيش الأخرى في أنحاء البلاد.

لذلك فإن "مدرسة" التنمية الاقتصادية تتفق على أنه في ظل ظروف معينة يمكن أن تكون المعدلات العالية للنمو السكانى من العوامل المؤثرة في التنمية الاقتصادية، وذلك لمساهمتها في زيادة حجم السوق المحلى، ومقابلة الحاجة إلى اليد العاملة لاستغلال موارد الثروة القومية، ويضربون مثلا لذلك بما حدث في الفترة الأخيرة في المكسيك والبرازيل تأييدا لهذا الرأى، فكلا البلدين حقق نسبا مرتفعا من النمو السكانى والتنمية الاقتصادية. وقد لاحظ الباحثون على بعض الدول النامية أن منها ما حقق ارتفاعا كبيرا في متوسط دخل الفرد نتيجة ارتفاع معدلات النمو السكانى، بينما لم يحقق البعض الأخر مثل هذا الارتفاع لانخفاض النمو السكانى فيها نسبيا. ويميل الاتجاه الرسمى في البرازيل والمكسيك نحو تحقيق معدلات عالية من النمو

السكانى، وبالتالى الوصول إلى حجم سكانى أكبر، أما الرأى المخالف فينـــادى بـــأن الدولة التى تحقق نموا سكانيا مرتفعا سوف تصادفها صعوبات بالغـــة فـــي تحقيـــق التنمية الاقتصادية أكثر مما تصادفه الدول ذات النمو السكانى المنخفض نسبيا، وفي هذه الحالة تعتبر معدلات النمو السكانى العالية بمثابة مكثف للمشكلات الاجتماعيـــة الاقتصادية، من ثم يذهب البعض إلى القول بأنه في البلد الذى يتصف بمعدلات عالية في النمو ينفق جزءا متزايدا من موارده على الخدمات الاقتصادية والاجتماعية، وما يعرف باصطلاح " الاستثمار الديموجرافى" أكثر مما يذهب مباشرة إلـــى الاســـتثمار الإنتاجي، خاصة وأن إفريقيه تعانى من نقص الاستثمارات والتخلف التكنولوجي.

إن مشكلات السكان المرتبطة بالتنمية الاقتصادية في معظم الدول الإفريقيه ترجع إلى أن معدلات التزايد السكانى العالية نتج عنها شبابية الهرم السكانى أو غلبـــة فئـــات السن الصغيرة، إضافة إلى البطالة المستترة والظاهرة، وهجرة السكان من الريـــف إلى المدن، وانخفاض الإنتاجية الزراعية ومعظم هذه المشكلات أصبح معترفا بها في خطط التنمية التى تضعها بعض الدول الإفريقيه، ومع ذلك فالجهود يجـــب أن تبـــذل لمعالجة الموضوع بطريقة متكاملة بحيث تتضمن تغـــيرات أساســـية فـــى الـــهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه الدول بدلا من التركيز على عامل واحد فقط وهو قضية السكان.

وأنه لمن الواضح الآن أن تبنى سياسية تنظيم النسل على نطاق ضيق لن يقلل مـــن معدلات النمو السكانى فى الاقطار الإفريقيه، بل وهذه بالتالى لن يقدر لها النجـــاح الا إذا كانت هناك حملة جماعية فى مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية متضمنة رفـــع نسبة المتعلمين وزيادة الدخل، والتغذيـــة الأفضـــل ، وتحســـين أحـــوال المعيشـــة، والمستوى الصحى. ولقد أوضح هذه الفكرة أحد الديموجرافيـــن حيـــن قـــال : " أن البرامج المباشرة لنشر ضبط النسل أن هى إلا جزء من عملية أكبر لابد أن تتم فـــى الدول النامية، ويتضمن الجزء الأكبر منها تخطيط تنمية اقتصادية واجتماعية بدرجة أكبر من التنمية الحالية، فهذا أمر ضرورى لأنه بدون تحسين مستويات المعيشـــة، فإن برنامج تنظيم النسل سوف يكون إطار فارغا " من ثم فالتخطيط الفعال يجـــب أن

يعمل حسابا لأسباب ونتائج الاتجاهات والتغيرات الديموجرافية، ولاحتمالات التغيرات المستقبلية فى فئات الأعمار والخصوبة ونسبة النمو فضلا عن توزيع السكان. فهذه التغيرات تؤثر بدرجة كبيرة على عملية الطلب على المساكن والوظائف وغيرها من الأمور التى تتطلب تخطيطا طويل المدى.

ويمكن فى هذا المجال أن نعيد تقدير الموقف بصورة مبسطة، فهناك أقطار بها مشكلات سكانية حادة وعاجلة، وتعلم حكوماتها بحجم هذه المشكلات وتأخذ الخطوات لمجابهتها، بينما هناك أقطار أخرى بها نفس المشكلات ولكنها لم تهب لعلاجها، ثم تأتى بعد ذلك الأقطار التى ليس لديها مشكلات سكانية فى الوقت الحاضر أو فى المستقبل القريب ولاتقوم بأى تخطيط للمستقبل السكانى. وتستند الأقطار التى تحبذ التزايد السكانى إلى إنخفاض الكثافات فيها ، والحاجة إلى زيادة السوق المحلى، والحصول على أيدى عاملة مناسبة.

ويرى البعض أن الحل يكمن فى إعادة توزيع السكان ويرى البعض الآخر أنه يكمن فى تكثيف برامج التنمية الاقتصادية.

نوعية الحياة

مقياس التنمية البشرية *Human development Index*

نشر برنامج الأمم المتحدة الانمائى عام ١٩٩٠ تقريره الأول عن التنمية البشرية فى العالم ، وقد أدخل معايير جديدة فى محاولته للتعرف على نوعية الحياة *Quality of life* التى يحياها الإنسان، أكثر من معرفة الأداء الاقتصادى للدول كما كان الحال من قبل، يعتمد على استخدام الناتج المحلى الاجمالى فقط لكل دولة ،، لأنه أراد أن يتعرف على الكيف اكثر من تعرفه على الكم الذى تنتجه الدولة، فالى جانب الناتج المحلى الاجمالى، كان هناك توزيع الدخل وحرية الإنسان وغيرها، وإن كان أساس المقياس، الجديد هو عناصر ثلاثة أساسيه، وهى أمد الحياه *Longevity* ، والمعرفة، ومستوى المعيشة، وتعبر عنها أرقام توقع الحياة، والتعليم، والدخل أى القوة الشرائية، وعن طريق مزج هذه العناصر الثلاثة خرج

بنتائج عام ١٩٩٤ بعد تقسيم دول العالم إلى فئات ثلاث هى العليا والدنيا والوسطى من حيث متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى.

(+ ١٢ ألف دولار أمريكى). (أقل من ١٢ ألف دولار).(أقل من الف دولار)

١- هناك ١١ دولة إفريقيه تنتمى إلى الفئة الوسطى ، ٤١ دولة إفريقيه فى الفئة الدنيا وبالتالى لم تصل دولة إفريقيه واحدة إلى الفئة العليا ، بل ان هناك ثمانى عشرة دولة إفريقيه من العشرين دولة فى العالم الذين يستقرون فى قاع هذا المقياس.

٢- ومن الثمانى عشرة دولة إفريقيه التى استقرت فى قاع المقياس، كلها عدا اثنان، متوسط العمر فيها ، أقل من ٥٠ عاما، ومن الأحدى عشر دولة نجد ان نسبة التعليم بين البالغين من الذكور لاتتعدى ٣٠% ودخولهم منخفضة.

٣- لايتوازى مقياس التنمية المذكور فى بعض الدول الإفريقيه مع الناتج المحلى الاجمالى بل قد يكون مقياس التنمية أسوأ من الناتج المحلى الاجمالى كما هو الحال فى جابون، وليبيا، والجزائر، والكمرون، والسودان، وأنجولا، وموريتانيا مما يدل على ان مؤشرات متوسط العمر والتعليم لاترتفع إلى مستوى الاداء الاقتصادى، فالعلاقة بين الثروة والتنمية البشرية ليست بسيطة، لأن هناك عوامل كالحروب، والكوارث الطبيعية، والحرية الفردية، وتدهور البيئة وغيرها، تتدخل ويعمل حسابها فى قياس نوعية الحياه وفى الحق انه اذا كان ٨٥% من سكان العالم لهم ٢٥% من الدخل العالمى . فإن الفقر يزداد تركيزاً فى إفريقيه، فبينما نجد ان النمو الاقتصادى فى معظم دول إفريقيه التى يزيد فيها نمو السكان بمعدل يزيد على ٣% لايزيد النمو الاقتصادى على هذا ، بل ينخفض، وتكون النتيجة ان متوسط دخل الفرد ينخفض بمعدل ٢% سنويا.

التنمية البشرية أم الإنسانية؟

- أصبح مصطلح التنمية اليوم محورا مشتركا لمعظم العلوم الإنسانية: تنمية اقتصادية

(اقتصاد)، تنمية اجتماعية (اجتماع) تنمية سياسية (سياسة) تنمية ثقافية (علوم أو نظريات ثقافية).

- مفهوم التنمية البشرية ليس مفهوما اقتصاديا بحتا، وان كان الجانب الاقتصادي يمثل العنصر الأساسي، إنما هو نسيج من مكونات عديدة تتداخل وتتفاعل في إطاره مفاهيم الاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها، وقد ذاع مفهوم التنمية البشرية منذ أصدر البرنامج الانمائي للأمم المتحدة تقاريره في هذا الموضوع منذ اوائل التسعينيات من القرن الماضي.
- يسري الآن مصطلح التنمية المتواصلة *Sustatinable* أي التي تعمل حساب الأجيال القادمة لا الجيل الحالي فقط.
- مصطلح النمو غير مصطلح التنمية، وكان الرأى السائد لفترة طويلة أنهما مترادفان، ولكن بات مفهوما أن النمو يعبر عن حالة التقدم أو الزيادة في الناتج القومي ومتوسط دخل الفرد *Growth* أي ينحصر في الميدان الاقتصادي أما مفهوم التنمية *Development* فيشمل العمليات أو التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومجالات الحياة الأخرى، أي أن مفهوم التنمية أكثر اتساعا من مفهوم النمو، وهذا الأخير يدخل تمت عباءته.
- ليس من الضروري أن زيادة الدخل القومي تؤدي تلقائيا إلى تحسن نوعية الحياة بمعنى أنه سيستفيد منها جميع أفراد المجتمع، فقد يتلازم النمو الاقتصادي مع تفاقم سوء توزيع الدخل، ولما كان مفهوم التنمية البشرية يقوم على أن البشر هم الثروة الحقيقية للأمم وأن التنمية هي عملية توسيع حقوق البشر، والحقوق الثلاث الأساسية، هي حق توفر المورد اللازم لمستوى معيشة لائق، وحق العيش حياة طويلة وصحية، وحق الحصول على المعرفة، فإنه حقا يجب الا تقف حقوق الفرد على هذا فقط، بل تشمل الحرية السياسية، فالنمو الاقتصادي قد يتحقق مع القهر (الاتحاد السوفيتي السابق) والاجتماعية والاستمتاع باحترام الذات، لذلك يذهب البعض بالقول أن الترجمة الأوفق *H.D.* التنمية البشرية هي التنمية الإنسانية، فالبشر هم مجموعة من المخلوقات، ولكن الإنسان حالة راقية من الوجود البشري.

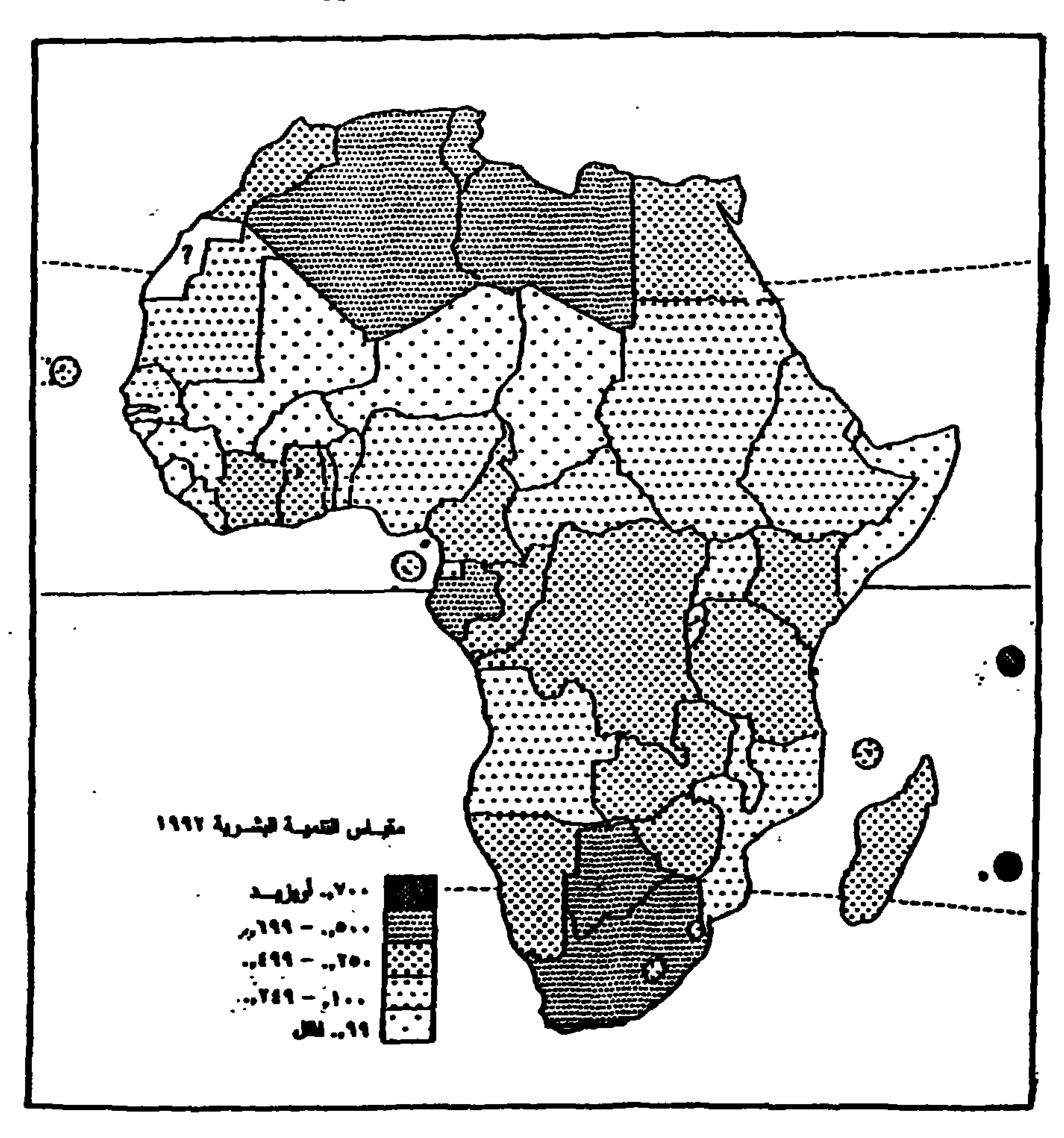
ومع ذلك يمكن أن نقول أنه بمقياس التنمية البشرية فقد حدث تحسن ملموس، زاد متوسط العمر فى جنوب الصحراء من ٤٠ عام ١٩٦٠ إلى ٥٢ عام ١٩٩٣، وارتفعت نسبة التعليم بحوالى الثلثين بين عامى ١٩٧٠ ، ١٩٨٥ ولكن طبقا لتقارير التنمية البشرية، فان الوضع في إفريقيه ليس باسما إلا أذا بذلت جهود على المستوى المحلى والدولى لمعالجة الموقف . ونود أن نذكر هنا ان من معوقات

التنمية نزاعات الحدود، الانقلابات والحروب الأهلية، فهذه أدت إلى ظهور نحو من ٦ ، ٧ مليون لاجئ ، ٥٠ مليون معوق ، هذا فضلا عن ٣٥ مليون نسمة آخرين نزحوا من مواطنهم نتيجة الكوارث الطبيعية أو مشقة الظروف الاقتصادية، ويمكن ان نضيف إلى هذا أيضا الفساد السياسى.

مقياس التنمية البشرية *HDI*

الفئة	١٩٦٠	١٩٩٢
العليا	١	١
العالم المتقدم	٠,٧٩٩	٠,٩١٨
العالم النامى	٠,٢٦٠	٠,٥٤١
إفريقيه جنوب الصحراء	٠,٢٠٠	٠,٣٥٧

شكل رقم (٢٥) : مقياس التنمية البشرية



عـــــرض لعناصر قياس التنمية البشرية في إفريقيه

١- الفقــــــــــــر

من المعروف أن الفقر والجهل والمرض تمثل ثلاثيا لاينفصل أى ركن من أركانه عن الركنين الأخرين ، ولكن الركن الذى يمثل الفقر هو الركن الأساسى الذى يستند عليه الركنان الاخران بحيث يمكن أن يختفيا بسهولة فى حالة اختفائه.

وينطبق هذا على الأفراد والشعوب سواء، ولهذا فإن المستوى الاقتصادى لأى شعب من الشعوب له علاقة مباشرة بأحواله الصحية، إذ ان نقص الإمكانات المالية يعتـبر العقبة الرئيسية فى سبيل تنفيذ البرامج الخاصة بمقاومة الأمراض وعلاج المرضـى، وتطوير الخدمات الصحية المختلفة، كما يعتبر العقبة الرئيسـية فـى طريـق رفـع المستوى المعيشى للشعب، وكذلك مستواه الحضارى، مما يؤدى إلى بقاء قطاع كبير منه فريسة للجهل والذى يعتبر بدوره حليفا قويا للمرض.

يعتبر الإفارقه فقراء بوجه عام بأى معيار من المعايير، فمجمـوع النـاتج المحلـى لثلاث وخمسين دولة إفريقيه عام ١٩٩٣ لايمثل سوى ٧% مـن النـاتج المحلـى الاجمالى للولايات المتحدة الامريكية، ومتوسط نصيب الفرد من هذا الناتج المحلـى فى إفريقيه هو ١ : ٣٥ من نصيب نظيره الامريكى ولاشك ان الفجوة كبيرة وأحيانا تزداد اتساعا.

ولاشك أيضا ان هناك فروق فى مستويات الناتج المحلـى الاجمـالى بيـن الـدول الإفريقيه : تأتى الجماهيرية الليبية على رأس القائمة كدولة بترولية وقليلة السـكان وكذلك الحال فى جابون، وبتسوانا، وناميبيا، والجزائر، كما يلاحظ ان هنـــاك فـرق ضخم فى جمهورية جنوب إفريقيه بين نصيب الفرد من المستوطنين البيض وبيـن الأفارقه بحيث لايعطى المتوسط صورة صحيحة، وكان لارتفاع نصيب الفرد فى جزر سيشيل وموريشيوس لايرجع إلى زراعة قصب السكر بقدر مايرجع إلـى السـياحة بالدرجة الاولى.

شكل رقم (٢٦)



عبء الديون على أفريقية

وأفقر الدول الإفريقيه هى دول اقليم الساحل والقرن الأفريقى، واشدهم فقرا موزمبيق مع الصومال وأوغندا واثيوبيا وتشاد، وهى دول فقيرة فى مواردها الطبيعية وعانت لفترات طويلة من موجات الجفاف ، والحروب الأهلية، والصراعات الداخلية.

ويرتبط إجمالى الناتج القومى من حيث ارتفاعه أو انخفاضه بزيادة الانتاج أو نقصه، وترجع زيادة الانتاج إلى الاستثمار الجيد لموارد الدولة فإذا كان الاستثمار

جيدا أو كان عدد السكان قليلا ، ارتفع مقدار نصيب الفرد، والعكس صحيح بمعنى أنه اذا لم يكن الاستثمار جيدا وكانت زيادة السكان زيادة كبيرة، أصبحت هذه الزيادة السكانية عبءا على المشروعات وإقامتها وظهور أثر محسوس على الفرد يتمثل في أنخفاض دخل الفرد.

النسبة المئوية للسكان الذين يعيشون على اقل من دولار واحد يوميا (١٩٨٤/١٩٩٧)
في بعض الدول الأفريقية

الدولة	%	الدولة	%	الدولة	%
غينيا بيساو	٨٨	ليسوتو	٤٩	مصر	٨
النيجر	٦٢	موريتانيا	٣١	تونس	٤
زامبيا	٨٥	نيجيريا	٣١	الجزائر	٢
أوغندا	٦٩	جنوب افريقيا	٢٤	المغرب	١
السنغال	٥٤	بتسوانا	٣٣	كوت ديفوار	١٨
رواندا	٤٦	غينيا	١٦	—	—

Afr. Dev. Indicators, 2001.

وإذا عرفنا أن إفريقيه بعد أن خرج منها الاستعمار تركها وكأنها خرقة بالية لأنه لم يهتم الا بمصالحة والفوائد التى يجنيها، أدركنا أن الدخل القومى والدخل الفردى قليل من البداية، وأن الحكومات الإفريقيه المستقلة تسلمت دولها في الستينات وكأنها في أوائل هذا القرن، من هنا كانت مهمتها ثقيلة في الارتفاع بدخل الفرد وارتفاع مستوى المعيشة بوجه عام، فاذا أدركنا أيضا أنه بعد الحرب العالمية الثانية بدأت معدلات الوفيات في الانخفاض، كان معنى هذا زيادة سكانية عالية وضغط على الموارد المحدودة مما أدى إلى زيادة أنخفاض متوسط دخل الفرد في كثيرمن الدول الإفريقيه.

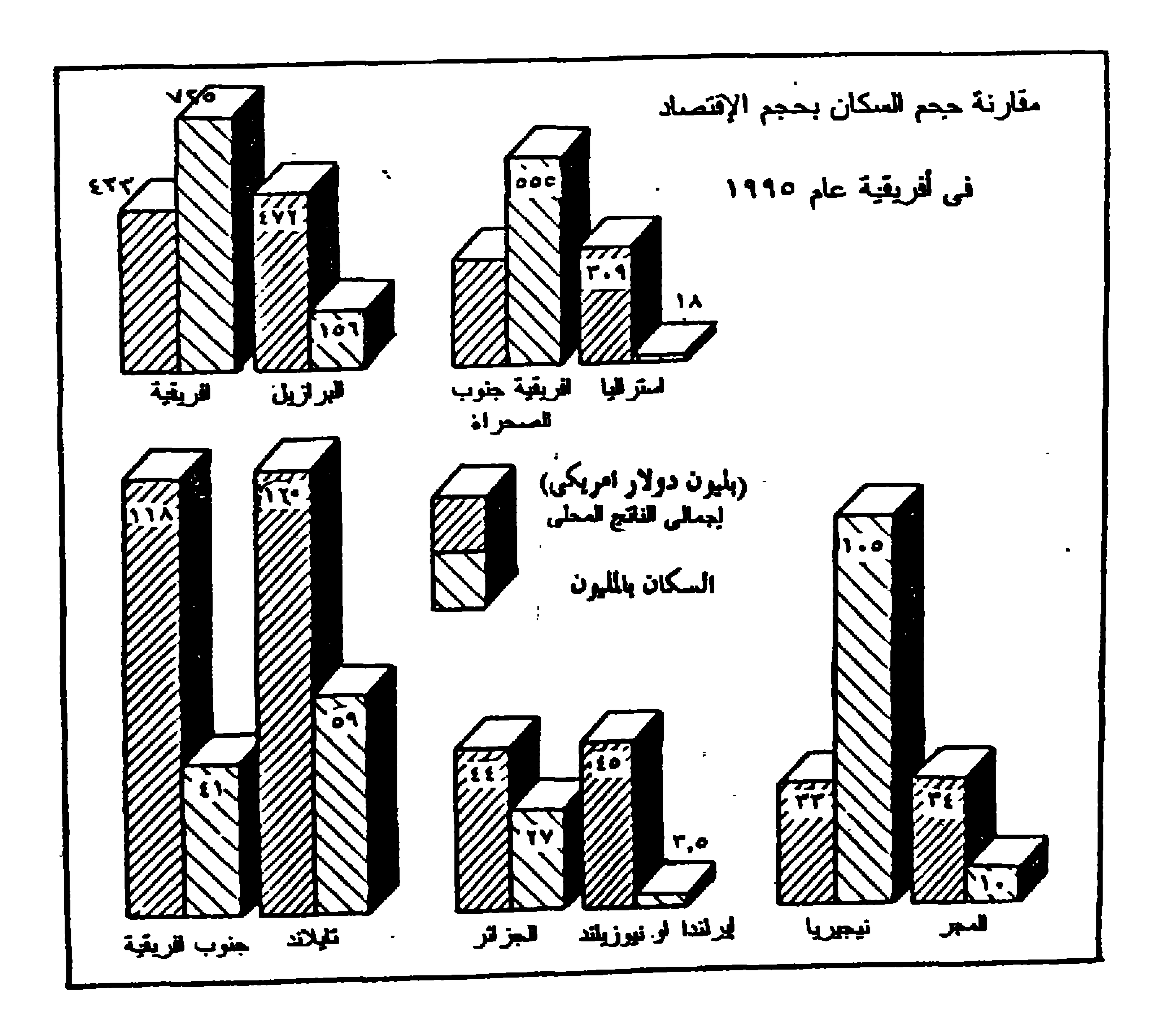
إن الفقر وأنخفاض الدخول معناه إنعدام الإدخار أو قلته على أكثر تقدير وبالتالى عدم توفر رأس المال محليا لإقامة مشروعات التنمية لأن دخل الفرد يضيع بالكامل في الاستهلاك، بل وأحيانا يقترض عليه، مما يؤدى في النهاية إلى تعثر مشروعات التنمية أو الاستدانة من الخارج لتمويلها، أن هناك ٢٦ دولة إفريقيه تعتبر من أقل الدول تقدماً من مجموع ٣٦ دولة في العالم، فتجمع بين متوسط الدخل المنخفض

(المعيار الرئيسى) إلى جانب أن نسبة الأمية فيها تزيد على ٨٠%.

نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي (GNP) بالدور الأمريكي (٢٠٠١)

الجماهيرية الليبية	٩٨٦٠	الرأس الخضر	٥٥٧٠	تشاد	١٠٠٠
جابون	٥٩٩٠	الكمرون	٦٠٠	روانــدا	١٢٥٠
موريشيوس	٩٨٦٠	السنغال	١٥٠٠	أوغندا	٣٢٠
جنوب إفريقية	١١٢٩	مصر	٢٥٠٠	بورندي	٦٩٠
بتسوانا	٧٨٢٠	كوت ديفوار	١٤٩٠	إريتريا	١٠٠٠
تونس	٦٣٩٠	نيجيريا	٨٥٠	سيراليون	٤٧٠
ناميبيا	١٨٩٠	كينيا	٩٨٠	الصومال	٢٦٠
الجزائر	٦٠٩٠	النيجر	١٩٠	أثيوبيا	٨١٠
المغرب	٣٦٠٠	مالاوى	٥٧٠	موزمبيق	٢٢٠

شكل رقم (٢٧) : مقارنة حجم الاقتصاد بحجم السكان (افريقيه والعالم)



٢- الأحـــــوال الصحــــــية

من الطبيعى أن تكون الأحوال الصحية في هذه الدول متدهورة، ولئـــن كـــان هـــذا التدهور ناشئا عن الفقر والتخلف، فإنه يعتبر سبباً من أسباب استمرار التخلف لمـــا يترتب عليه من إهدار للطاقة البشرية، وأرتفاع عدد المرضــــى وارتفـــاع معـــدلات الوفيات، وخاصة في الأطفال الرضع (أقل من سنة) فهى تبلغ في إفريقيه بوجه عـــام نحو ١٠٥ في الالف، ترتفع في غرب إفريقيه إلى ١٢٥ في الالف، بل في غينيا إلى ١٧٠ في الألف ، وفي سيراليون إلى ١٧٥ في الألف وموزمبيـــق إلـــى ١٥٠ فـــي الألف وانجولا ١٤٥ في الألف ، وفي سوازيلاند إلى ١٢٥ في الألف.

وتنتشر في إفريقيه مجموعة كبيرة من الأمراض نتيجة الفقر ونتيجة عـــدم وجـــود الخدمات الصحية الكافية، فهناك مرض البلاجرا أو البرى برى وهو ينتشر نظراً لفقر الأفريقى وعدم حصوله على البروتين الكافى، واعتماده على النشويات في المرتبـــة الأولى، ومن المعروف أن المواد البروتينية تقوم ببناء صحة الجسم وتعويـــض مـــا يتلف منها، لذلك يحتاجها الأطفال والكبار وإن كان الأطفال حاجتـــهم إليـــها أكـــبر، وكذلك تشتد حاجة المرأة لها أثناء الحمـــل والأرضـــاع، مـــن ثـــم ينتشـــر مـــرض الكواشيوركور *Kwashiorker* وهو الأسم المحلى فـــي غـــرب إفريقيـــه والـــذى استخدم دولياً لمرض نقص البروتين، وهو من أخطر الأمراض التى تصيب الأطفـــال الأفريقيين بعد الفطام لاعتمادهم مباشرة على النشويات، ومـــــن أعراضـــه أن وزن الطفل يكون ثابتا بينما يكون بطنه شديد التضخم وقد يصيب الجسم تورم شديد.

ومن أمراض نقص الغذاء بوجه بين الأفريقيين خاصة فى أوقات المجاعات الانيميـا، ومن الأمراض الناتجة عن عجز الخدمات عن الوفاء بحاجة السكان هى الأمـــراض الناتجة عن تناول الماء الملوث ، حيث لا تتوفر المياه النقية ســـوى لحوالـــى ثلـــث السكان، وفى معظم الريف الأفريقى وكذلك فى البادية تتعرض مياه الشرب للتلـــوث سواء كانت مياه جوفية أو مياه جارية على السطح فى الانهار والبرك والبحـــيرات.

ومن أخطر مصادر تلوث المياه الجوفية فى مراكز العمران الريفية هو آبار الصـــرف التى تحفر فى المساكن لتجميع الافرازات البشرية وغيرها من المياه القذرة، وذلـــك

بسبب وجودها بالقرب من طبقة مياه أبـــار الشـــرب أمـــا ميـــاه الأنـــهار والـــترع فاستخدامها البيئى نتيجة الجهل بغسل الملابس والأوانى وسقى الماشـــية، والقـــاء جثث الحيوانات الميتة والتبول والتبرز فيها كل هذا يؤدى إلى تلويثها، وهذا يتـــم لا نتيجة الفقر بل نتيجة الجهل ومن الأمراض المنتشـــرة نتيجـــة الجـــهل، الأمـــراض المعوية كالبلهارسيا والأنكلستوما، وكذلك السل نتيجة تجمع أعداد كبيرة داخل غرفـــة واحدة فى المدن خاصة فى الأحياء العشوائية، لاعجب إذن القول بأنه اذا كان الفـــرد قد يعانى من مرض ما فى الدول المتقدمة ، فإنه يعانى من عدة أمراض فى الـــدول الإفريقيه.

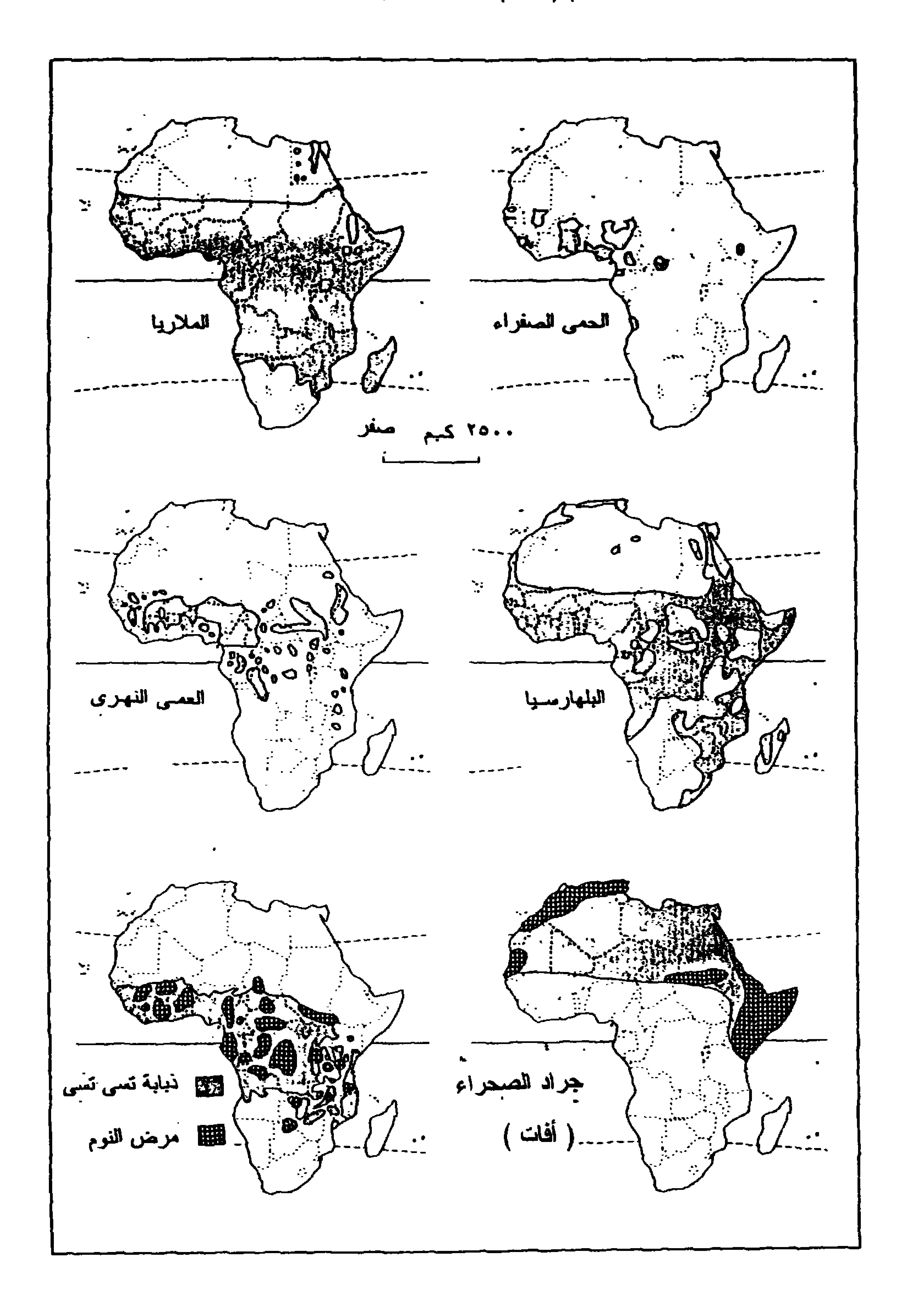
ومن أجل المقارنة والخروج بأن الخدمات الصحية غير كافية فى الدول الإفريقيـــه، تذكر أن هناك طبيبا لكل ٥٠٠ فرد فى الدول المتقدمة على حين يصل المتوسط فـــى الدول الإفريقيه إلى طبيب لكل ١٥ ألف فرد، بل يصل إلى طبيب لكل ٤٠ ألف فـــرد فى اثيوبيا، وبوركينا فاسو، ومالاوى وموزمبيق ، فاذا أضفنا إلـــى هـــذا ان معظـــم الأطباء فى المدن، كان معنى هذا أن نصيب الريف الافريقى يكاد يكون لاشئ.

٣- الجـــــهـــــــل

واذا انتقلنا إلى الجهل نجد أن نسبة الأمية فى بعض الدول ٩٠% فى النيجر، ٩٠% فى السنغال، فمازال كثير من الأطفال لايجدون طريقهم إلى المدارس كما رأينا، بـــل يذهبون للعمل، ومازالت المرأة بعيدة عن مجال التعليم، وهذا فى حد ذاته أمر خطـــير لأن أمهات المستقبل جاهلات ، وهن اللاتى سسيقمن بتربية الأبناء وتأثيرهم علـــى هؤلاء الابناء أكبر من تأثير الاباء.

وإذا كانت المشكلة فى التعليم هى ايجاد المبانى اللازمة والكتب والأدوات الدراســية، فهى أكبر فى حالة توفير المعلمين المؤهلين ، كذلك يذهب البعض إلى أنه لابد مـــن ايقاف الضغط السكانى قليلا حتى يمكن استيعاب هذه المشكلات الصحية والتعليميـــة الحالية، فما بالك اذا كانت الزيادة السكانية تقفز قفزات واسعة على حين الخدمـــات الصحية والتعليمية تخبو؟

شكل رقم (٢٨) : بعض الأمراض المتوطنة



الأيدز *Aids*

(السلوك هو الحل)

- الأيدز يقصد به اعراض نقص المناعة البشرية *Acquired immuno deficiency Syndrome* فيروس نقص المناعة البشرية *Humon I mmunodeficiency virus (HIV)* يهاجم جهاز المناعة لدى الإنسان وبالتالي يجعل الجسم في متناول كثير من الأمراض الفتاكة مثل الدرن، الالتهابات المعوية، الالتهابات المخيه الالتهاب السحائي الصديدي، سرطان الجلد، بكتريا الدم، وأمراض الجهاز التناسلي.
- ينقل فيروس الأيدز عن طريق دم مصاب به إلى دم شخص سليم، وذلك عن طريق نقل الدم أثناء العمليات الجراحية، وعن طريق آلات ملوثة به كالامواس والإبر والسكاكين ولذلك ينتشر حيث يكثر تعاطي المخدرات والتي تستخدم فيها الإبرة لاكثر من شخص، وكذلك عن طريق الأم إلى طفلها إذا كانت حامل وهي مصابة به. وعن طريق الاتصال الجنسي، ومن الجدير بالذكر إن انتشاره في الولايات المتحدة الأمريكية كان بين الجماعات الخليعة، وأصحاب العلاقات غير الشرعية.
- كان أول تشخيص له في الولايات التحدة الأمريكية عام ١٩٨١، على حين كان أول تعرف عليه في أفريقية عام ١٩٨٣ في أوغندا.
- يمثل المصابون بالأيدز في أفريقية من الذكور نحو نصف المصابين بالأيدز في العالم، على حين تمثل النساء الأفريقيات المصابة بالأيدز في افريقية نحو ٨٠% من النساء المصابات به في العالم. ينتشر في أفريقية بصفة خاصة جنوب الصحراء، ونسبته قليلة في أفريقية الشمالية بفضل التزام الإنسان بتعاليم الدين: إسلامي ومسيحي، عقيدة وسلوكا، وعدم اندفاعه في الطريق الخطأ بدعوى الحرية الفردية التي يفخر بها العالم المتقدم.
- يمثل الأيدز مشكلة عالمية ومع ذلك هنالك تركيز على أفريقية لأن ثبت أن بعض الدول الأفريقية بها أعلى نسبة من السكان فحوصهم إيجابية بالنسبة لفيروس نقص المناعة.
- أن معدلات انتشار هذا المرض بلغت في ١٦ دولة أفريقية إلى نحو ١٠% من السكان وهذه الدول هي : بتسوانا، وروانڈا، وبورندي، وافريقية الوسطي، وجيبوتي، واثيوبيا، وكوت ديفوار، وكينيا، وليسوتو، ومالاوى، وموزمبيق، ونامبيا، وزيمبابوي، وزامبيا، وجنوب افريقية، وسوازيلاند، وتأتي بتسوانا في مقدمة هذه الدول حيث بلغت نسبة المصابين نحو ٣٥,٨% من السكان، وإذ ما وصل الوباء إلى مرحلة متقدمة تزداد الصورة قتامة، ففي مدينتين أفريقيتين هما فرانسيس تاون في بوتسوانا، وهراري في زيمبابوين بلغت نسبة

السيدات المصابات بفيروس اليدز ٤٠% من النساء الحوامل اللاتي ترددن علـــى عيـــادات الرعاية الصحية قبل الوضع عام ١٩٩٧.

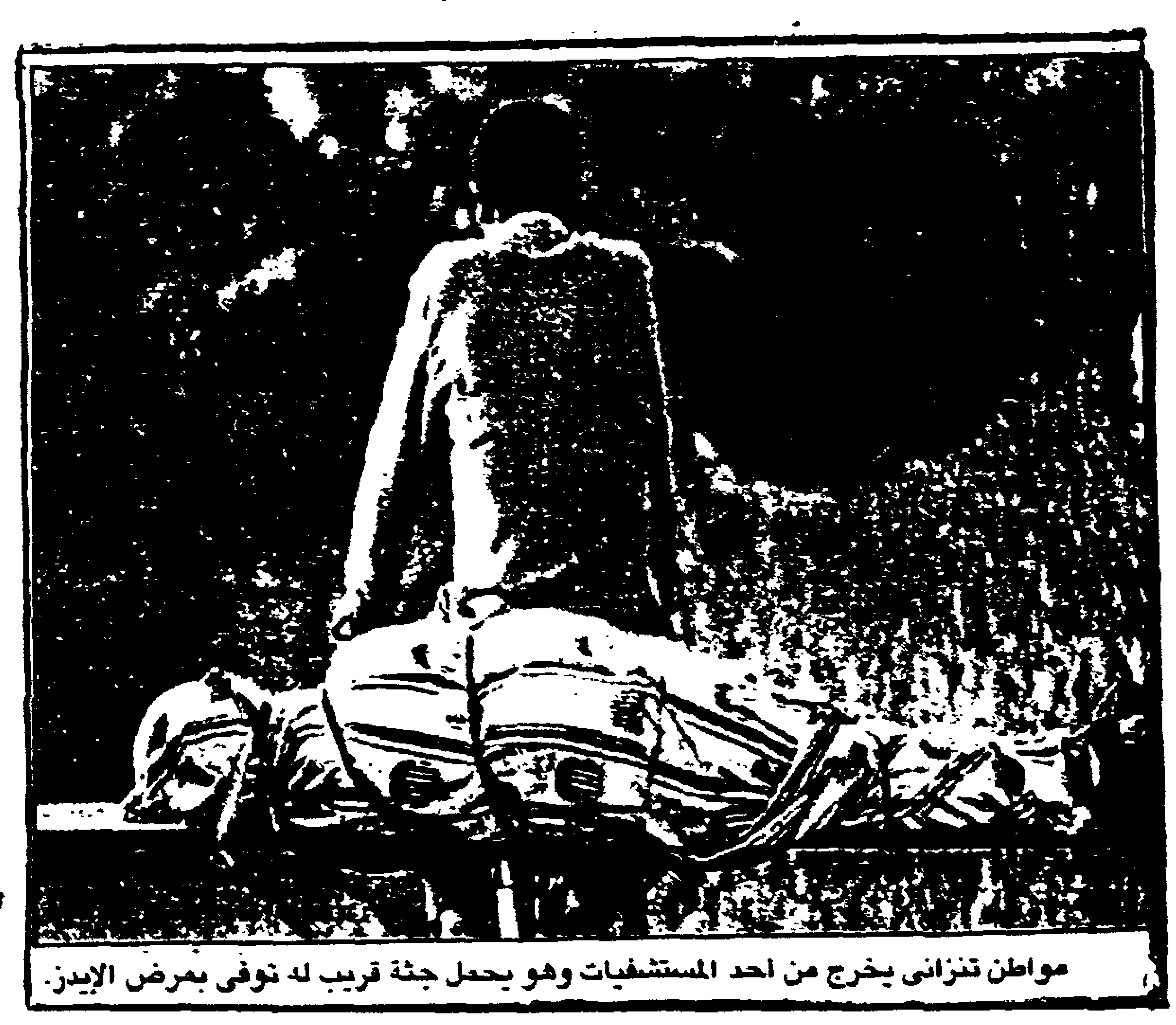
● **المشكلة والطامة الكبرى في هذا المرض أنه :**

ــ لا تظهر أعراضه الا بعد ٨ إلى ١٠ سنوات، وبذلك لا يمكن اكتشافه مبكـــراً، وبالتـــالي يمكن للرجل أو المرأة الحاملة للفيروس نقله إلى الأشخاص غير المصـــابين، خـــلال هـــذه المدة اطويلة لأنهم يجهلون أنهم مصابون.

ــ يقضي على الإنسان في جميع الأعمار، ولكن ظهر أن نسبة الوفيات أعلـــى فـــي ســـن الشباب والرجولة (٢٥ ــ ٤٩) أي الذين هم في سن الإنتاج، بل والصفـــوة، ومـــن ثـــم يترتب عليه فقد للفئة المنتجة في المجتمع، ويترتب عليه أيضا التيتـــم بالنســـبة لأطفـــال هؤلاء وبأعداد كبيرة، وقدر عدد الأطفال اليتامي في افريقية نتيجة هذا المـــرض نحـــو ٢ مليون طفل عام ٢٠٠٠، وبالتالي تزداد الأعباء على الأسرة، والتي هي في الأصـــل فـــي حاجة إلى الإعانة.

● لم يظهر حتى الآن علاج شافي لهذا المرض، كل ما في الأمر هي أدوية لتخفيف آلامه وهـــي باهظة التكاليف، ويذكر أن تكاليف برامج الوقاية، واحتواء المرض قدرت فـــي جمهوريـــة جنوب أفريقية وحدها بنحو ٢،٦ بليون دولار.

شكل رقم (٢٩)



مواطن تنزاني يخرج من احد المستشفيات وهو يحمل جثة قريب له توفى بمرض الإيدز.

الفصل السادس

توزيـــــــع الســـــكان وكـــثافتـــــهم

(أكولوجية توزيع السكان)

غزارة المطر وكثافة الغابة وندرتهما :

وهناك بيئتان في إفريقيه لا تشجعان على الإزدحام السكانى وهما علـــى النقيــص : بيئة الغابات المدارية المطيرة طول العام، وبيئة الصحراء ، فكثافة الغابة الاســتوائية تجعل الحركة والنشاط محدوداً ولا تسمح إلا باستقرار مشتت أو مبعثر، وفـــي مثــل هذه البيئة تقتصر الزراعة على هوامش الغابات حيث تخف الكثافة النباتية، كمـــا أن تربية الحيوان نادرة لانتشار ذبابة التسى تسى الضارة بالإنسان والحيوان، ومن ثــم كان الاستقرار البشرى هنا مبعثر يقتصر على جماعات تعيش على الجمع والالتقـــاط وصيد الأسماك والحيوان الوحشى وأحياناً قليل من الزراعة.

والحياة في الصحراء على نفس النمط من التخلخل لأنه يعتمد على البداوة المتحركـة دائما وراء الماء والكلأ، وقليل من الحيوان أساسه الجمل والضأن، أمـــا الاســتقرار الدائم فيعتمد على وجود مورد دائم للماء للسقيا لقيام حياة زراعية، لذلـــك تقتصــر الخضرة على بقع محدودة، واحات ، وأودية نهرية في هذه المساحات الصحراويـــة الشاسعة في القارة.

وهكذا نجد الصحارى والغابات المدارية تؤلفان نحو نصف مساحة إفريقيه، الصحراء الكبرى، ناميب، كلهارى، الصومال وشبه الصحراء فضلا عن غابات الكنغو وغـــرب إفريقيه، وإن كانت الأخيرة قد تحولت مساحات كبيرة منها إلى مزارع الكاكاو والبن، ونخيل الزيت، وغير ذلك.

أما أقاليم السفانا والاستبس فهما أكثر إزدحاما، وإن كان المتوسط نحـــو ٨ نســمة للكم٢، وإن تباينت الكثافة داخل كل إقليم حسب الأحوال الطبيعية والظروف التاريخية التى مر بها، وهنا نجد زراعة الغلات الغذائية التى تشتهر بها القارة كالذرة الرفيعــة والدخن، والأرز، فضلا عن الغلات الصناعية كالقطن والفول السودانى والتبغ، ورغم

الأمراض التى تنتشر في فصل الحرارة والرطوبة لانتشار الحشرات والديدان والطفيليات، فإن هذه البيئة تضم كثافات مرتفعة بالنسبة للقارة، فعل سبيل المثال سنجد كثافات تزيد على ٥٠ نسمة للكم٢، في النطاق الشمالى لغرب إفريقيه بين دائرتى عرض ١٢ : ١٥ شمالا في شمال نيجيريا.

وأخيراً لا ننسى أن هذا الاقليم يمثل مرحلة إنتقال بين إقليم صحراوى إلى شماله وإقليم رطب في أقصى الجنوب، من ثم قامت فيه المدن والمراكز التجارية التى تستقبل قوافل الشمال والجنوب، وبالتالى ظهرت الإمارات والقوة السياسية في العصور الوسطى كإمارات الهوسا والفولانى ومالى وغانا مما وضع أيضا أساس لنوع من الاستغلال الزراعى والرعوى الكثيف نسبياً الناتج عن الاستقرار.

نوع التربة وجدارتها الإنتاجية :

ويتدخل نوع التربة فى توزيع السكان، فإذا كانت فيضية خصبة كما هو الحال فى تربة وادى النيل ذات الأصول البركانية، فهذا النوع من التربة يسمح بالزراعة الكثيفة ، وبالتالى يمكن أن ترتفع الكثافة السكانية، عكس تربة اللاتريت في الجهات المدارية، وهى تربة غير خصبة فقيرة في المواد العضوية، فهذه لا تساعد على زراعة كثيفة، بل ما يعرف بالزراعة المتنقلة، أى زراعة الأودية لفترة معينة كأن تكون عدة سنوات، ثم تهجر لعدة سنوات أخرى لتستعيد خصوبتها مرة أخرى، وقد تظهر التربات البركانية في محيط تربات اللاتريت غير الخصبة، وهذه تسمح بكثافة عالية من السكان كما في رواندا وبوروندى.

غيرأن القول بجدارة التربة وحدها كعامل مؤثر في توزيع السكان قد يجانبه بعض الصواب، فالنشاط البشرى يعتبر الجزء الثانى من المعادلة، بحيث يمكن أن يضيف إلى إمكانات التربة أو يقلل هذه الإمكانات ، فالزراعة والرعى الجائرتان وخاصة في المناطق الحدية والسفوح الجبلية تساعد على زيادة معدلات تعرية الرياح والماء.

وفي إقليم الغابات المدارية في القارة حيث قام الإنسان أحياناً بقطع الأشجار وتطهير الأرض للزراعة مما تدهورت معه الحياة النباتية وموارد التربة، على عكس الزراعة الرشيدة التى تستخدم التسميد، وراحة الأرض، فهذا معناه زيادة الإنتاج مع

الحفاظ على خصوبة التربة، ولعل ارتفاع الكثافة السكانية في إقليم كانو شمالى نيجيريا يرجع إلى الاستخدام الجيد للأرض بكثافة، فهناك التسميد، وهناك الزراعة المختلطة التى تسمح بكثافة ٤٠٠ نسمة للكم٢، وهذا نموذج للزراعة المطرية، يعادله بصورة أكبر الزراعة الراقية الكثيفة في مصر.

ذبابة تسى تسى :

تنتشر ذبابة التسى تسى ***Tse Tse*** في مساحات واسعة من وسط إفريقيه، إلا أن الشواهد ضعيفة على وجود معامل ارتباط قوى بين انتشارها وبين قلة أو خلخله السكان، فتأثير مرض النوم عليها قد يكون مسئولا عن خلو منطقة محلية للغاية، ولكن لا يظهر أثر هذا المرض على مجموع المساحة التى تنتشر فيها نظراً لأن الذبابة لا يمكنها أن تعيش في منطقة آهله بالسكان، لأنهم يقضون على الغطاء النباتى الكثيف الذى يمكن أن تعيش فيه، فإذا قل السكان وتخلخلوا عما يقل عن ٥ نسمة للكم٢ في المناطق القليلية المجارى المائية ، أو بلغوا ٢٥ نسمة للكم٢ في المناطق الكثيرة المجارى المائية كان معنى هذا انتشار الذبابة على نطاق كبير، لأن الإزدحام معناه تطهير الأرض وانكشاف الأرض، وذلك أن بيئة الذبابة هى المناطق المدارية التى لا يزيد ارتفاعها على ١٠٠٠ متر، حيث الغابات الرطبة والظل، فكأن العاملين مرتبطان ببعضهما، فالذبابة تكون مسئولة عن خلخلة السكان وفي نفس الوقت خلخلة السكان، قد تكون مسئولة عن اتساع نفوذ الذبابة.

التاريخ :

ونجد في الإقليم السودانى بين دائرتى عرض ٩، ١٢ أى وسط إقليم السفانا نجد تخلخلا مرة أخرى، وتشترك هنا مجموعة من العوامل منها تغلغل غابات الابهاء داخل إقليم السافانا حاملة معها ذابة التسى تسى، وذباب العمى الحامل لميكروب العمى النهرى ***Onchoceriais*** ولكن الظروف التاريخية لها أثرها في خلخلة هذا النطاق الأوسط ، كما يطلق عليه الجغرافيون ممتداً بين غينيا ونجييريا، فيرجعون هذا الوضع إلى تجارة الرقيق التى استمرت أكثر من ثلاثة قرون في الجهات الساحلية وكان موردها ظهير الساحل أى هذا النطاق الأوسط، وفي نفس الوقت نجد

أن المرتفعات هضابا أو جبالا هى مراكز تجمع سكانى (أكثر من ٥٠ نسمة للكم٢) لأنها كانت ملجأ للمهاجرين وأكثر أمانا من السهول المجاورة، حيث كانت تشتعل الحروب بين القبائل للحصول على الأسرى ليباعوا رقيقاً، أو لأنها كانت أرض النزال بين الممالك الشمالية والممالك الجنوبية، لذلك كانت مرتفعات فوتا جالون في غينيا، وأتاكورا في توجو وغانا وهضاب شمال نيجيريا أكثر سكانا عما حولها شمالا وجنوبا.

نوع استخدام الأرض :

تنخفض الكثافة في اقليم السفانا في شرق القارة والهضبة الوسطى (زامبيا وأنجولا) لأن معظمها مراعى، فالكثافة الزراعية هنا منخفضة نحو ٤ نسمة للكم٢، بل أنها تنخفض إلى شخصين في سفانا جمهورية إفريقيه الوسطى، وتعزى هذه الكثافة المنخفضة إلى عوامل بشرية، لعل أهمها هو عدم الاستغلال الكثيف للأرض مما يجعل من الصعب على الأرض أن تتحمل أعداداً كبيرة من السكان، وعلى العكس من ذلك في هضبة شرق إفريقيه حيث تسود الظروف الصحية المحسنة نوعاً والأحواض الخصبة، والسهولة النسبية للحركة والمواصلات، وفي هذا الإقليم نجد أن إقليم بحيرة فكتوريا هو أكثرها كثافة، وهذا ينطبق أيضا على مرتفعات أثيوبيا والهضاب البركانية التى تقوم بها زراعة المحاصيل النقدية، ويظهر أثر نوع الاستغلال بطريقة أكثر وضوحاً في مصر حيث الزراعة الراقية الكثيفة، من ثم ارتفعت الكثافة إلى ما يزيد على الألف نسمة للكم٢.

الكثافات العامة (الحسابية) والإنتاجية والزراعية :

إذا كانت مساحة إفريقيه تقترب من ١/٤ مساحة العالم، فهى لا تمثل سوى نحو١٢% من سكانه ، وتبلغ الكثافة العامة في إفريقيه ٢٤ نسمة للكم المربع، على حين أنها في الهند تزيد على ٢٠٠ نسمة للكم٢.

الكثافة الحسابية أو الكثافة الخام وهي نتيجة قسمة عدد السكان على المساحة الكلية للدولة أو الأقليم، والكثافة الإنتاجية أو الفسيولوجية بقسمة عدد السكان على المساحة القابلة للزراعة وهو مقياس أكثر دقة لأنه يعطى فكرة عن إمكان قدرة

المكان على استيعاب السكان من ناحية المحاصيل الزراعية، ثم تأتي الكثافة الزراعية وهي تعديل للكثافة الإنتاجية بالاقتصار في المساحة على الأراضي المزروعة فعلا.

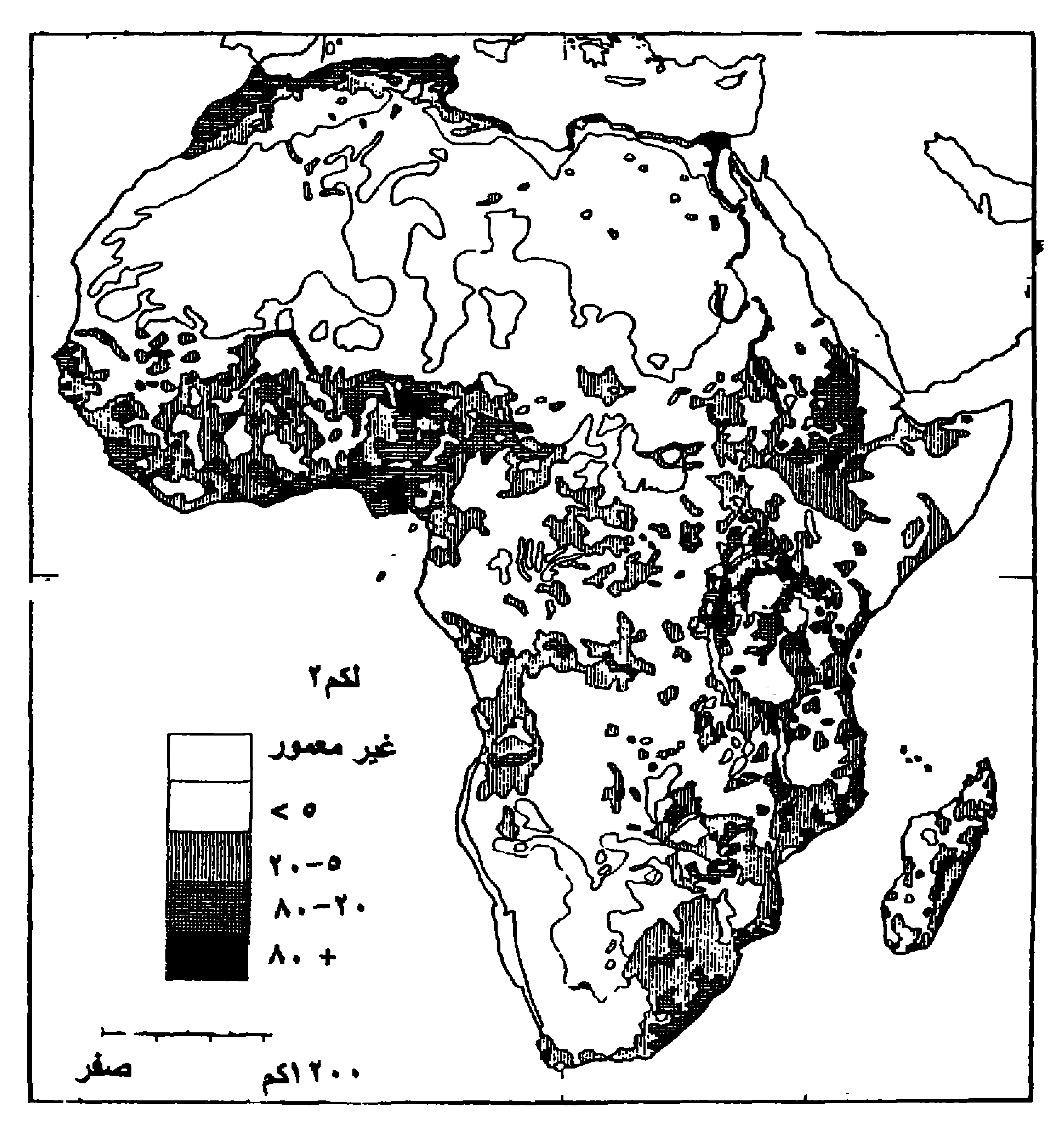
والملاحظ في الكثافة الحسابية على الدول الصغيرة الحجم والكثافات المرتفعة تضم رواندا، وبوروندي، وموريشيس، والدول ذات الكثافات المتوسطة مثل جيبوتي وليبيريا وغينيا بيساو، أما الدول الكبيرة المساحة وبها كثافات أعلى من المتوسط فتمثلها نيجيريا، وإثيوبيا، على حين أن الدول الكبيرة الحجم ذات كثافات دون المتوسط فتمثلها زائير، وأنجولا، وناميبيا، ودول أقليم الساحل كتشاد والنيجر ذات كثافات متوسطة.

الكثافة الحسابية والفيسيولجية في بعض الدول الأفريقية

الدولة	المساحة ميل٢	الكثافة الحسابية في الميل٢	الأراضي القابلة للزراعة ميل٢	الكثافة الفسيولوجية للميل٢
رواندا	٩٥٣٠	٨٠٥	٤٤٣٦	١٧٣٦
بوروندي	٩٠٠٠	٦١٠	٥١٥٠	١١٦٤
ليبيريا	٣٧١٩٠	٧٩	١٤٣٦	٢٠١٩
نيجيريا	٣٥١٦٥	٢٧٩	١٢٠٩٨٥	٨١١
ناميبيا	٣١٧٨٧٠	٥	٢٥٥٦	٦٢٥
زائير	٨٧٥٥٢٠	٤٩	٣٠٣٠٩	١٤٠٢
أنجولا	٤٨١٣٥٠	٢٣	١٣٨٣٤	٨١٠
بنين	٤٢٧١٠	١٢٣	٧١٥٤	٧٤٠

أما الكثافة الفسيولوجية فتعطي صورة اكثر وضوحا، واهمية الدور الذي تلعبه البيئة في تجمع السكان، والدول التي تقع في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية مثل مالي، والنيجر، وموريتانيا، وناميبيا، كثافاتها قد تبلغ ثلاثين ضعف كثافتها الحسابية وإذا قارنا أنجولا بدولة بنين، فرغم أن الأولي أكبر مساحة من الثانية، فالثانية اقتربت كثافة فسيولوجية منها نظراً لأن أنجولا تضم مساحة من صحراء ناميبيا، فضلا عن مناطق هضبية.

شكل رقم (٣٠) : كثـــافة الســـكان



كثافة السكان فى أفريقية (الريف فقط)

الدول الإفريقيه بين المساحة والسكان

نلاحظ من الجدولين التاليين اللذين يبنيان حجم السكان وحجم الدول عام ١٩٩٥ مـــا يلى :

شكل رقم (٣١) : النسبة المئوية للسكان بالنسبة للمساحة

كثافة السكان وعلاقتها بالأرض :

ويمكن أن نخرج من الرسم الخاص بعلاقة السكان بالأرض بعدة حقائق فيما يختص بتوزيع السكان في إفريقيه أهمها.

أ - أن ثلثى أو ثلاثة أرباع السكان في إفريقيه يعيشون في أقل من ربـــع مســاحة القارة، وفي بعض الدول الإفريقيه كمصر يعيش معظم السكان في أقل من ٤% من مساحة البلاد.

ب - ان التفاوت بين الدول فيما يختص بكثافة السكان يعكس التفاوت فـــي المطــر والجفاف، فالدول التى تعتمد في زراعتها ورعيها على المطـــر لا تجــد فيـــها الكثافات العاليه كما هو واضح في حالة غينيـــا، المغــرب، مـــالاوى، جنـــوب إفريقيه، رينيون، اوغندا عكس دول الصحراء كمصر وليبيا وشبه الجافة مثـــل كينيا.

ج - هناك دول تمثل حالة وسط بين المجموعتين وهى التى يتوفر في بعض أجزائها المطر الذى يمكن الاعتماد عليه في الزراعة والرعى، كما يتوفر فيـــها أيضـــا مورد سطحى للرى كما هو الحال في السودان حيث يتجمع ٤٤% من ســكانه في ١٠% من المساحة ولكن ٨٠% من ســكانه يتجمعــون فـــى ٤٠% مـــن مجموع المساحة.

ولا ننسى في هذا المجال أن نشير إلى أن الكثافة عالية حيث المـــورد المـــائى السطحى وذلك لانتظام وقيام المشروعات الزراعية المستقرة (الجزيرة - النيـل الأبيض - النوبة) على عكس السكان في الأقاليم المعتمدة على المطر (الرعـى المتنقل، الزراعة المذبذبة) ويقترب زائير من السودان في هـــذا المجـــال مـــع اختلاف السبب، وهو أن الاستقرار هنا يرتبط بالمناطق المكشوفة من الغابـــات وهى محدودة .

د - في الدول التى تعتمد على المطر في نشاطها الزراعى نلاحـــظ أيضـــا التركـــيز الكبير للسكان وإن كان بدرجة أقل منه في دول الصحراء، ويرجع هـــذا إلـــى تركيز النشاط الزراعى والاستقرار الحضرى في جهات محدودة، حيـــث وفـــرة المطر وقلة ذبذبته كما في تونس وغانا حيث ٧٠% من السكان في نحـــو ١/٤ مساحة الدولة وهذا الربع من مساحة الدولة تجده في تونس في أقصى الشمال وعلى السواحل الشرقية بينما تجده في غانا في الجنوب، ولا ننسى فـــي هـــذا

المجال أيضا أن نذكر أن المشروعات الزراعية التى بدأها الأوربيون في غـوب إفريقيه كانت كلها في إقليم الساحل وظهيرة المباشر.

مـــن حيث الســـكـــان :

١- أن هناك خمس دول يزيد سكانها على ٤٠ مليون نسمة، ومثلهايتراوح ســكانها بين ٢٠، ٤٠ مليون نسمة أى أقل من خمس دول بالقارة وهى نيجيريا، مصـو وأثيوبيا، وجنوب إفريقيه،وزائير.

٢- عدد الدول التى يقل عدد سكانها عن ١٠ مليون نسمة يبلغ عددها ٣٤ دولـــة أى نحو من ثلثي دول القارة.

٣- أن عدد الدول التى يقل سكانها عن خمسة ملايين نسمة يبلغ عددها ٢١ دولة، تمثل نحو ٤٠% من دول القارة.

ولاشك أن هذه الظاهرة ترجع أن التفتيت السياسى للقارة إلى ٥٣ وحدة سياسية.

أولاً : الســـكـــان

+ ٤٠ مليون	٢٠ <٤٠ مليون	١٠ < ٢٠ مليون	٥ <١٠ مليون	٥ < ١ مليون	أقل من مليون
نيجيريا	الجزائر	أوغنده	مالاوى	سيراليون	سوازيلاند
مصر	السودان	موزمبيق	مالى	توجو	القمر
أثيوبيا	كينيا	غانا	زامبيا	ارتيريا	جيبوتى
جنوب إفريقيه	تنزانيا	كوت ديفوار	الصومال	إفريقيه الوسطى	غينيا الاستوائية
زائير	المغرب	كمرون	تونس	ليبيريا	الرأس الأخضر
		مالاجاشى	رواندا	الكنغو	ساوتومى
		انجولا	السنغال	موريتانيا	سيشل
		زيمبابوى	غينيا	ليسوسو	
		بوركينا فاسو	بوروندى	ناميبيا	
			بنين	بتسوانا	
			ليبيا	جابون	
				موريشيوس	
				غينيا بيساو	
				غمبيا	
٥	٥	٩	١٣	١٤	٧

ومن حيث المساحة :

١-أن هناك ثلاث دول فقط تزيد مساحتها على ٢ مليــون كــم٢ وهــى الســودان والجزائر، وزائير.

٢-أن هناك تسع دول تتراوح مساحتها بين ١، ٢ مليون كم٢ مربع من بينها مصـر وأثيوبيا وجنوب إفريقيه أى ١٧% من عدد دول القارة.

٣-أن الدول التى تقل مساحتها عن ١/٢ مليون كم٢ تبلغ ٣١ دولة أى ٥٨% مــن دول القارة، بل أن منها خمسة عشر دولة تقل مساحتها عن ١٠٠ ألف كـم٢ أى بنسبة ٢٨% من عدد دول القارة.

ثانياً : المـــــــســـــاحــة (كم٢)

+ ٢ مليون	١ < مليون	> ٥٠٠ ألف	١٠٠ الف ٥٠٠ الف	١٠ الف ١٠٠ ألف	١٠ آلاف
السودان	ليبيا	تنزانيا	كمرون	سيراليون	الرأس الأخضر
الجزائر	تشاد	نيجيريا	المغرب	توجو	القمر
زائير	النيجر	ناميبيا	زيمبابوى	غينيابيساو	موريشيوس
	أنجولا	موزمبيق	كنغو	فينيا الاستوائية	ساوتومى
	مالى	زامبيا	كوت ديفوار	بوروندى	سيشل
	جنوب إفريقيه	الصومال	بوركينا فاسو	رواندا	
	مالاجاشى	إفريقيه الوسطى	جابون	جيبوتى	
	كينيا	مالاجاشى	غينيا	سوازيلاند	
	مصر	كينيا	أوغندة	غمبيا	
		بتسوانا	غانا		
			سنغال		
			تونس		
			إرتيريا		
			مالاوي		
			ماولاى		
			بنين		
			ليبيريا		
٣	٩	١٠	١٦	٩	٥

يمكن أن نخرج من علاقة المساحة بالسكان ما يلى :

١- من الدول الكثيرة السكان كبيرة المساحة نيجيريا، مصر، جنوب إفريقيه...إلخ.

٢- العكس صحيح فالدول الكبيرة المساحة لا يشترط أن تكون كثيرة السكان،كما في حالة السودان، ليبيا، موريتانيا، فقد تكون هذه المساحة غير مستغلة الاستغلال الأمثل كالسودان، أو تشغل الصحراء معظمها أو كلها كالنيجر، ليبيا، موريتانيا.

٣- الدول القليلة السكان هي دول صغيرة المساحة عادة موريشيوس سيشل، الرأس الأخضر، رواندا، توجو، غينيا بيساو ، غامبيا.

التجمعات السكانية

يتركز ثلثا سكان إفريقيه في إفريقيه شمال خط الاستواء ويضم هذا أكبر أربع تجمعات سكانية في المغرب العربى (٧٥ مليون) وادى النيل في مصر (٦٨ مليون) والسودان (٩٨ مليون) وفي غرب إفريقيه المطل على ساحل غانا (٢٤٢ مليون) لنيجيريا وحدها (١٢٤ مليونا) وفي الشرق (٧٢ مليونا) منها أثيوبيا (٦٤ مليونا) أما جنوب خط الأستواء فيوجد إقليمان للتجمع السكانى هما إقليم البحيرات (٩٠ مليون) وأفريقية الجنوبية (١١٥ مليون).

ويبدو التفاوت كبيراً في توزيع السكان على مستوى الدول، وإن كان الغالب عليها هو الحجم الصغير سكانياً، كما راينا الحجم سكانياً في إفريقيه الشمالية، بينما تقع ثلاثة منها في شرقي القارة،واكثر الدول الإفريقيه سكانا هى نيجيريا التى بلغ سكانها نحو ١٢٤ مليون نسمة عام ١٩٩٥ أو ما يقرب من ١٦% من السكان، أما نيجيريا ومصر معاً فيؤلفان نحو ربع سكان إفريقيه، أما اصغر الدول الإفريقيه سكانا فهى غينيا الاستوائية (نصف مليون) أما الجزر فأكبرها سكانا مالاجاشي (١٤ مليون) وأصغرها سيشل (١٠٠ ألف).

إفـــــريــقيـــــه الشماليـــة

إذا بدأنا بالمغرب الكبير سنجد التوزيع غير متساو، فتزيد كثافة السكان على ٤٠ نسمة للكيلومتر المربع في التل الجزائرى والتونسي، وسهول الأطلنطي وأطلس الريف، بل تصل الكثافة أحيانا إلى ما يتراوح بين ٥٠، ٦٠ نسمة، وهنا يحيا السكان حياة أستقرار تام، أما في ألأستبس حيث الحياة شبه الرعوية فتنخفض الكثافة إلى ٢٠ نسمة للكيلو متر المربع، وأحياناً إلى ٥ أشخاص في السهول العليا للجزائر والمغرب، وإن كانت تصل إلى ثلاثين نسمة في سهول الأستبس التونسى.

وتصل الكثافة أدناها بطبيعة الحال في الجنوب، أى في الاقليم الصحراوى، وإن كان هناك أيضا أختلاف في الكثافة داخل الاقليم الصحراوى ذاته، بين التجمعات الواحية من ناحية، وبين الانتشار المخلخل من ناحية أخرى، وتصل الكثافة في شمال الاقليم الصحرواى في شط الجريد بين ١٥،٥ نسمة لكم٢.

على أنه يجب إلا نفسر توزيع السكان على ضوء الفروق الطبيعية وحدها، فهناك مناطق يزدحم فيها السكان دون أن يكون للظروف الطبيعية دخل فيها بقدر ما يكون للظروف السياسية والاجتماعية، فكثير من جهات سلسلة الريف تتراوح فيها الكثافة بين ٥٠، ٧٠ نسمة، وتصل الكثافة في القسم الغربى من أطلس العليا إلى ٣٠ نسمة، وبذلك ترتفع كثافتها عن الكثافة في أطلس الوسطى.

في هذه المناطق الجبلية حيث التربة فقيرة ومجهدة، لا يعتبر المطر ولا إمكانات الرى مسئولان عن تفسير هذه الكثافات المرتفعة، بل ترجع إلى أن البربر يتجمعون في هذه المرتفعات، فقد كانت مناطق أمن بالنسبة لهم، وإن كانت هجرات البربر قد بدأت تخرج بأعداد كبيرة للبحث عن الرزق خارج هذا النطاق، وتتجه بصفة خاصة إلى المواني والمدن.

وكذلك هناك مناطق سهلية لا يمكن تفسير كثافة السكان فيها على ضوء الظروف الطبيعية وحدها كسهول تونس الشرقية، وبصفة خاصة أقليم الساحل حيث يقل المطر وترتفع الكثافة إلى ٨٠ نسمة، بل وتصل إلى ٢٠٠ نسمة في القرى التى

تزرع الزيتون، كما يعتبر أقليم الساحل ملجأً للمهاجرين كما هو الحال في جزر جربه وكركنه حيث يقل المطر عن ٢٠ سم، بينما ترتفع الكثافة إلى ١٢٠، ١٣٠ نسمة، وقد أدت هذه الكثافة المرتفعة مع فقر الأقليم، إلى بحث سكان الساحل عن موارد الرزق في المدن كما يفعل تماما أهل جربه وكركنه.

أما في ليبيا فتمتد فيها الصحراء الكبرى بحيث تصل إلى سواحل البحر المتوسط إلا في عدة مناطق كبرقة وطرابلس، فبرقة وبخاصة الجبل الأخضر تمكنت بامتدادها كشبه جزيرة مرتفعة أن تتلقى قدراً من المطر يسمح بقيام الزراعة المستقرة على منحدرات الجبال، أما طرابلس فهى لا تعدو نوعاً من الاستبس الفقير التى لا يمكن أن تقوم الحياة المستقرة فيها، إلا في بعض بقاع متفرقة يحسن الإفادة فيها من موارد المياه السطحية والجوفية، من ثم يتجمع ٩٠% من السكان في هاتين المنطقتين.

وفي مصر يتجمع ٩٩% من السكان من الوادى والدلتا، أى فى اقل من ٤% من مساحة البلاد، ولذلك تزيد كثافة السكان في أرض مصر المنتجة على ألف نسمة للكم٢، أما باقى السكان أو نحو ٥٠٠ ألف نسمة فهم مبعثرون في الصحارى حسب توفر موارد الماء أو الثروة المعدنية.

ويكاد يتفق أختلاف الكثافات مع درجة خصوبة التربة والقرب من النيل وفروعه وسهولة الرى والصرف، فأعلى الكثافات تظهر في مراكز أجا، وميت غمر، وسمنود، وزفتى، وطوخ، والشهداء، إذ تتراوح كثافتها بين ٨٠٠ و ١٢٠٠ للكم٢ بينما تنخفض هذه الكثافة في أطراف الدلتا الشرقية والغربية حيث تزداد نسبة الرمال في التربة (أبو حمص ٣٢ للكم٢، أبو حماد ٢٨ لكم٢)، وفي شمالى الدلتا حيث تزداد نسبة الأملاح.

أما في الوجه القبلى فتكاد تتجانس الكثافة التى تتراوح بين ٥٠٠ و ٨٠٠ لكم٢ وإن كانت تنخفض في الفيوم لأرتفاع نسبة الأملاح وفي النوبة لضيق الوادى أو انعدامه أحياناً.

إذا انتقلنا إلى السودان نجد أن الكثافة فيه منخفضة بوجه عام، وذلـك إذا اسـتثنينا بضع مواضع مجاورة للنيل، وحتى في أرض الجزيرة مركز الثقل الاقتصـادى فـي السودان، وبعض مواضع على النيل الأبيض فالكثافة فيه اقل من ٢٠٠ نسمة للكم٢، بينما في معظم انحاء السودان نجد أن كثافة ٢٥ نسمة للكم٢ تعتبر عالية.

ويمكن أن نميز مناطق الكثافة العالية في السودان فـي امتدادهـا علـى محوريـن رئيسيين:

١- المحور النيلى الممتد من الجنوب إلى الشمال في وسط السودان وشـماله، وإذا كان هذا المحور ثابت في السودان مع النيل الأبيض والأزرق (الجزيرة) إلا أنـه في منطقة النيل النوبى يختلف اتساعه تبعاً لاتساع وضيق الأراضـى الزراعيـة التى تصبح في هذا الجزء من السودان عبارة عن أحواض منعزلة، وهذا المحور هو محور زراعى مستقر.

٢- المحور الشرقى الغربى في وسط السودان المرتبط باقليم السفانا، ومن ثم كـان محوراً رعويا متنقلا بين دائرتى عرض ١٠ و١٥ شمالا، ويتقابل المحوران فـي أرض الجزيرة قلب السودان الاقتصادى.

إفـريـقـيـه الـشـرقـيـة

إذا بدأنا باثيوبيا فسنجد الكثافات منخفضة في الخوانـق والأقـاليم السـهلية حيـث الحرارة المرتفعة، وكذلك في أقصى الشمال في أريتريا حيث الظروف شبه الجافـة ولكنها ترتفع فوق الهضاب البازليته العالية لاعتدال الحرارة ووفرة المطر فضلا عن خصوبة التربة كما بدأت تظهر كثافات عالية بالقرب من الطرق لأنها تسهل الحركة.

ويعتبر نحو نصف سكان الصومال من البدو وأشباه البـدو الذيـن يتجولـون فـي مساحات واسعة، من ثم كانت الكثافة منخفضة بوجه عام ويعتبر وادى جوبا وشبيلى أكثر جهات الصومال كثافة لقيام الاستقرار الزراعى.

أما في شرقى إفريقيه فهنا تظهر الحدة في توزيع السكان ويتحكم في توزيع السـكان المطر بوجه خاص، فالكثافة مرتفعة في جزيرة زنجبار وبمبا ومرتفعات وسط كينيـا وحوض بحيرة فكتوريا، فضلا عن مرتفعات تنزانيا، والسهول الساحلية أما في بقيـة

دول شرق إفريقيه حيث يقل المطر في مساحات واسعة فنجدهـا مخلخلـة سـكانياً، وهكذا تتراوح الكثافة بين ٤٠ نسمة للكم٢ وأحياناً ٥ نسمة للكم٢ . وتبلغ أقصاهـا في مرتفعات رواندا وبورندى الخصبة (١٥٠ للكم٢).

إفريـــقـيـــه الوسطى

والكثافة هنا منخفضة بوجه عام، فهي على سبيل المثال ٤ نسمة للكم٢ في أنجـولا وزائير، ٣٠ في زامبيا وزيمبابوى، ولكن الكثافة أحيانا تصل إلى نصف نسمة فـي الكم٢ في زائير.

إفـــريـــقـيـــه الغربيـــة

يتركز السكان في نطاقين واضحين، النطاق الاستوائى في الجنوب ونطاق السفانا في الشمال بينما يتخلخل السكان فيما بين النطاقين، ففى الجهات الساحلية قامت إمـارات وممالك قبل ظهور الاستعمار مثل مملكة الاشانى واليوروبا، وكان قيام هذه الممـالك والاستقرار الزراعى لمدة طويلة مما أدى إلى ازدحام هذه الجهات، بحيث بلغت كثافة السكان في قلب الأشانتى (جنوب غانا) خاصة بعد أن دخلت الغـلات النقديـة ٤٠٠ نسمة للكم٢، وكان أيضا للتقاليد دورها، فارتباط الإنسان بالأرض قوى للغاية حتـى لو كانت فقيرة أحياناً كما هو الحال في أرض قبيلة الايبو في جنوب شرق نيجيريـا الذين يعيشون في بيئة متوسطة الخصوبة، وإن كان ظهور البترول فـي أراضيـهم الآن يشجع على زيادة الكثافة، وإذا كانت اعتبارات الحرب والدفاع عن القبيلة ضـد المغيرين لها اعتبارها في الماضى، فما زالت تقاليد الاخلاص للأرض التى عاشـوا عليها سائدة رغم انتهاء تلك الظروف، فايبادن نشأت في الأصـل كمركـز حربـى لليوربا حول تلال مابو ***Mapo*** ومازلت قبيلة السومبا ***Somba*** تعيش في تـلال اتاكورا.

أما النطاق الأوسط***Middle Belit*** بين ٧,٣٠، ١٠ شمالا فقد رأينـا أنـه كـان أرض النزال بين قبائل الشمال والجنوب، ومورد الرقيق إبـان إرهاصـات الحركـة

الاستعمارية كما سبق أن ذكرنا.

إفـــــريـقـــــيه الجنوبيـــــة

تشترك الظروف الجغرافية مع تاريخ المنطقة في إعطاء خريطة الســكان صورتـــها الحالية، فالبانتو الذين يمثلون السكان الأصليين وكذلك الأوربيين كانوا يعملون أصـلا في الزراعة والرعى، ولم يأت التعدين إلا متأخرا، لذلك تركز نحو ثلث السكان فـــي ١٠% من مساحة الأرض، أى في الجهات الجنوبية الشرقية والجنوبيـــة الغربيـــة، حيث تتوفر موارد المياه، أما المناطق الجافة وشبه الجافة وخاصة صحراء كلهارى، فلا يسكنها سوى ٦% من السكان، بل أن خط مطر ١٠٠ سم يكاد يتفق مع كثافـــة ١٥ نسمة للكم٢.

ويمكن أن نضيف إلى العوامل السابقة قوانين المعازل التى حصـــرت البـــانتو فـــي مناطق خاصة، في النصف الشرقى من جمهوريـــة جنـــوب إفريقيـــه دون اعتبـــار لمميزاتها من حيث التربة والأمطار، وأمتدت هذه المعازل على هيئة حدوة حصان أو قوس من ناتال إلى الترانسفال، ثم تدور لتشمل شمال ولاية الكـــاب، يعملـــون فـــي قراهم أو يخرجون منها ليعملوا في زراعة أو مناجم المستوطنين، وقد انتـــهت الآن هذه القوانين بعد زوال النظام العنصرى ، ولكن مازالت آثارها.

ولا ننسى الكثافات العالية الناتجة عن الهجرة إلى نطـــاق التعديـــن جنوبـــى زائـــير وزامبيا والذى يمتد إلى ترانسفال في جنـــوب إفريقيـــه ، والقســـم الشـــرقى مـــن الجمهورية.

الحضـــريـــــة فـــي إفريـــقـــيـــــه

إفريقيه أقل القارات حضرية ، فقد بلغ نسبة سكان الحضـــر عـــام ١٩٩٨ أى نحـــو ٣٧% من سكان القارة، ومع ذلك تعتبر هذه النسبة متزايدة بشكل سريع، فقد كـــانت نسبتهم لا تتعدى ٢٥% من سكان القارة عام ١٩٧٥، ومن المقرر أن ترتفع النســبة لتبلغ ٤٢% عام ٢٠٠١.

بـــذور الـــحضـــريـــة :

ومن المعتاد أن يرتبط النمو الحضرى بالتصنيع، ومع ذلك فقد قامت المدن وازدهرت في القارة قبل عصر الثورة الصناعية، كما نمت مراكز حضرية أخرى بعـــد قيـــام الحكم الاستعمارى، وهذه الأخيرة كانت مرتبطة بالتجارة والإدارة، وحتـــى بعـــد أن حصلت الدول الإفريقيه على استقلالها، أستمرت هذه الدول في تصديـــر الخامـــات، ومازال القليل من المراكز الحضرية ما يرتكز على قاعدة صناعية.

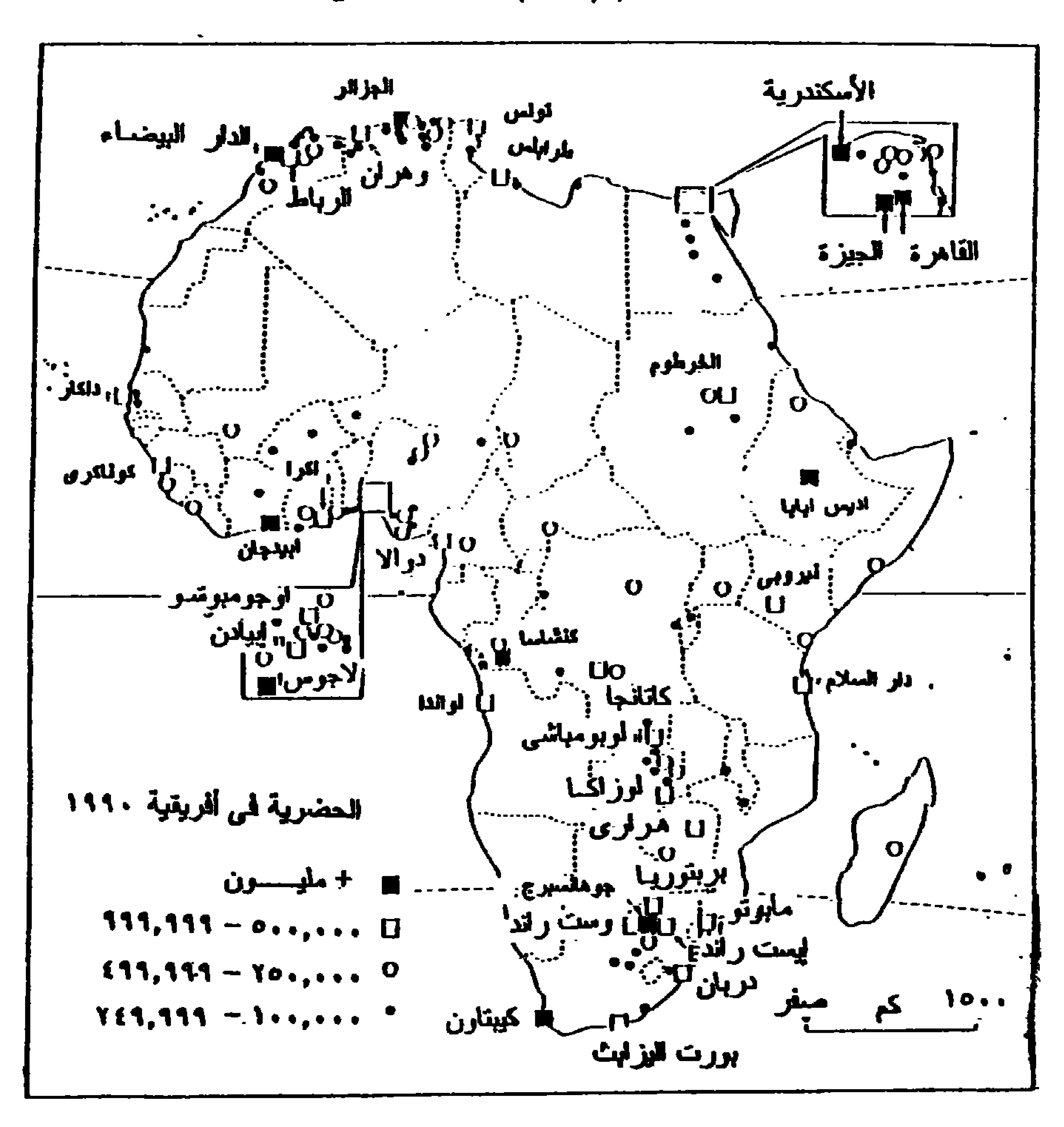
واذا رجعنا إلى التاريخ، سنجد أن أقاليم إفريقيه المختلفة شهدت تاريخاً حضرياً منـــذ زمن بعيد، فعواصم مصر القديمة التى ازدهرت قبل الميلاد بآلاف السنين خير دليـــل، سبقت روما باكثر من ألفى عام، وكانت الاسكندرية من أعظـــم مراكـــز الحضـــارة الاغريقية، بل كانت من أهم العواصم الإدارية في الدولة الرومانية، قبـــل الميـــلاد بثلاثين عاما، كما نافست قرطاجة روما في القرن الثالث قبل الميلاد، ثم كان ازدهـــار التجارة عبر الصحراء بعد انتشار الإسلام، وازدهرت مراكز تجاريـــة علـــى جـــانبى خطوط التجارة على ساحلى البحر والصحراء، وقدر سكان جاو عاصمة دولة صنغـــى بنحو ٧٥ الف نسمة في القرن السادس عشر الميـــلادى، كمـــا اشـــتهرت تمبكتـــو بسكانها البالغين ٢٥ الفا بأنها من أهم مراكز العلم والدين.

وقامت على الساحل الشرقى للقارة مراكز حضرية تمثل نهاية وبداية لتجارة المحيـــط الهندى مثل سوفالا، وكيلوا، وممبسة وماليندى، كانت تبادل بالذهب والنحاس والعاج المنتجات التى تأتى من جهات بعيدة، حتى لقد بلغت الصين، بل لقـــد دلـــت الاثـــار الحجرية لحضارة زيمبابوى والتى كانت تبعد ٤٠٠ كم عن الساحل على أن أهل تلـــك الحضارة كانوا على اتصال بالتجارة البحرية في المحيط الهندى.

ويغذى النمو الحضرى مصدران أولهما الزيادة الطبيعية، والهجرة من الريـــف إلـــى الحضر، ولما كان معدل نمو السكان في القارة هو ٢٦ في الآلـــف، وافترضنـــا أن النمو الطبيعى في المدن يسير بنفس المعدل، فمعنى هذا أن نصف النمو الحضـــرى يرجع إلى هجرة السكان من الريف إلى الحضر ذلـــك أن الزيـــادة الســـنوية للنمـــو الحضرى في إفريقيه تقترب من ٥٠% في الألف. ومن ثم يزداد الاتجـــاه للـــهجرة

الريفية الحضرية نظراً لاثرها على تضخم المدن، ولأنــها يمكــن التحكــم فيــها أو توجيهها بصورة أكثر فعالية من السياسات الخاصة بالخصوبة، وأى تغيير في اتجـاه هذه الهجرة يؤثر لا شك في النمو الحضرى.

شكل رقم (٣٢) : الحضرية فى افريقيه



النــزوح الــكبــيــر :

أدت الزيادة السكانية فى الريف وعدم استغلال الأرض الاستغلال الأمثـل والاعتمـاد على الطرق البدائية فى الزراعة إلى ظهور مشكلة بطالة فـى الريـف، وأدى هـذا

بدوره إلى هجرة شباب الريف إلى المدن ، وهذه بدورها أصبحت ظاهرة خطيرة، بل من أهم وأخطر الظواهر السكانية للدول الإفريقيه وهى نمو المدن الإفريقيه بصورة كبيرة حتى أصبح فى القارة ٣٠ مدينة تعدت المليون نسمة (١٩٩٥)، ولئن كانت هناك مدن قديمة كما فى الشمال الأفريقى كالقاهرة والجزائر وتونس ، وكذلك تجمعات مدن اليوربا فى جنوب غرب نيجيريا، فإن معظم المدن الإفريقيه جنوب الصحراء برزت فى هذا القرن نتيجة الاحتكاك الأوربى بالإفارقه، فإلى جانب المدن القديمة السالفة الذكرفى الشمال الأفريقى وفى الشرق الافريقى، وتجمعات المدن التى ذكرناها فى غرب إفريقيه وجدنا مدن التعدين والموانى والادارة التى كانت ضرورية لاستغلال القارة بواسطة المستعمر كمدن جنوب إفريقيه التعدينية، وجميع الموانى تقريبا فى إفريقيه جنوب الصحراء لتكون حلقة وصل بين الوطن الأم للمستعمر وبين خيرات المستعمرات، وبالتالى أصبحت هذه المدن هى النافذة التى تطل بها إفريقيه على الخارج، وأصبحت المدينة مركز لتجمع الصناعات والتجارة تصديرا واستيرادا.

ونظرا لأن الادارة الاستعمارية تتركز فيها دخلتها المياه النظيفة والصرف الصحى، والكهرباء والتسهيلات التعليمية والصحية والبنية التحتية الجيدة من طرق ومواصلات ، وكلها أمور أساسية لقيام صناعة او تجارة او إدارة، ومايتبع ذلك من أرتفاع مستوى المعيشة عن الريف، مما أدى إلى هجرة سكانه ، فقد أصبحت المدينة فى حاجة إلى الكتبة والخدم والتجار و العمال و الميكانيكية وغيرهم من أصحاب الحرف، من ثم ان كانت الادارة الاستعمارية كانت سببا فى ظهور سالسبورى (هرارى)، ونيروبى، ووندهوك ، وداكار، وابيدجان، واكرا، وغيرها، وكان التعدين مسئولا عن قيام مدن أخرى مثل كمبرلى، وجوهانسبرج، والبيزابيث فيل (لوبومباشى)، وندولا.

على أننا يجب أن نذكر أن جزءا من هذه المشكلة فى الوقت الحاضر يرجع إلى ماأصاب جهات كثيرة من القارة بالجفاف والتصحر ،بل والمجاعات مما جعل من عملية النزوح إلى الحضر لافقار الريف نزوحا جماعيا.

على سبيل المثال فقد قفز سكان الحضر بين عامى ١٩٦٠، ١٩٩٨ كما يلى، فى

مصر من ٣٥ إلى ٤٤% ، وفى غانا من ٢٣% إلى ٣٧,٥% ليبريــا ، مــن ١٩% إلى ٤٣% وفى ليبيا من ٢٣% إلى ٥٤,٥% وفى النيجر من ٦% إلى ٢٧% وفــى نيجيريا من ١٤% إلى ٣٩% ، وفى السنغال من ٢٥% إلى ٤٦% وفى تنزانيا ٥% إلى ٤٠%، وفى الكنغو الديمقراطي من ٢٢% إلى ٣٠%.

هكذا تدفق هؤلاء إلى المدن بشدة بصرف النظــر عــن طاقــة المــدن اقتصاديــا لاستيعابهم، فقد لفظهم الريف، وظنوا أن المدينة هى أرض الاحلام.

وأصبحت المدينة الأولى هى الحاكمة فى معظم القارة ، فهناك مــدن تضــم نصــف سكان الدولة كما فى كوناكرى، وداكار، ودار السلام، وهرارى، وكمبــالا، ولومــى، ولواندا، ومابوتو، وطرابلس، وفى مصر تمثل القاهرة والأسكندرية نحو ٢٧% مــن سكان مصر (١٦,٥ مليون).

أكبر ثلاثين مدينة إفريقيه (بالألف) (+ مليون) عام ١٩٩٧

المدينة	السكان	المدينة	السكان	المدينة	السكان
القاهرة	١٢٠٠٠	أديس أبابا	٢٤٠٠	مراكش	١٨٠٠
لاجوس	١٠٠٠٠	كيب تاون x	٢٤٠٠	رباط	١٨٠٠
الاسكندرية x	٤٤٠٠	دار السلام x	٢٣٠٠	تناناريف	١٧٠٠
كنشاسا	٤٤٠٠	لواندا x	٢٣٠٠	كوناكرى	١٧٠٠
كازابلانكا x	٣٩٠٠	مابوتو x	٢٣٠٠	هرارى	١٦٠٠
الجزائر x	٣٧٠٠	نطاق النحاس	٢٠٠٠	إيبادن	١٣٠٠
أبيدجان x	٢٨٠٠	نيروبى	٢٠٠٠	لوساكا	١٣٠٠
طرابلس x	٢٦٠٠	تونس x	١٩٠٠	أكرا x	١٢٠٠
جوهانسبرج	٢٥٠٠	داكار x	١٨٠٠	فاس	١٢٠٠
الخرطوم	١٢٠٠	دربان x	١٨٠٠	بريتوريا	١٢٠٠

عاصمة : تحته خط　　　　x : ميناء

الــــحــــجــــم :

ويظهر من حيث الحجم أنه لا يظهر فى إفريقيه المدن العملاقــة الا فــى القــاهرة، لاجوس قلب نيجيريا الاقتصادى، وتمثل كل منها مركز مجمع حضرى ضخم يمتــد

من القاهرة ، إلى شماليها فى شبرا الخيمة، وامبابة، وجنوبيها وغربها فى محافظة الجيزة، وبذلك تمثل القاهرة المرتبة الخامسة عشر ، وهناك جنوب خط الاستواء مجمع جاوتنج الذى يضم فى حقيقة الأمر أربع تجمعات حضرية: بريتوريا شمالها، ووتواترزراند فى وسطها، ومركزها جوهانسبرج، ويضع مدن شرقيها وجنوبيها، وباستثناء القاهرة، وكنشاسا، وبرازافيل، وجاوتنج، تمثل معظم المراكز الحضرية موانى رئيسية : دربان ، الاسكندرية، الدار البيضاء، الرباط، الكيب أمثله لهذا النمط من الحضر.

يذهب البعض إلى ربط مستوى الحضرية بالمستوى الاقتصادى، وبالتالى فأفقر الأقطار الإفريقيه هى أقلها حضرية، أى أن الحضرية هى من متطلبات النمو الاقتصادى، وهذا له استثناء كبير فى الأقطار الإفريقيه لتدخل عوامل أخرى، فشمال إفريقيه، وهو أكثر أقاليم إفريقيه حضرية منذ ما قبل الاستعمار وقد استمر فى الاحتفاظ بمركزه الأول، أما جنوب إفريقيه فدرجة نموه الحضرى أقل منها فى جهات إفريقيه الأخرى، رغم قاعدته الصناعية، ويرجع هذا إلى القوانين الجائرة التى كانت تفرضها حكومة الأقلية البيضاء والقيود التى وضعتها بالنسبة لهجرة الملونين إلى المدن.

وظيفتها :

وإذا ناقشنا النواحى الوظيفية لهذه المدن لنتعرف عليها وعلى أهميتها سنجد أن نصفها تقريبا هو موانى بالدرجة الأولى، وهى أيضا مدنا تجارية، ويرجع هذا إلى أن هذه الموانى الساحلية كانت تمثل المراكز التجارية منذ القدم، ثم زاد من فعاليتها فيما بعد أنها أصبحت نهايات السكك الحديدية التى مدت فى الداخل لجلب خيراته، فضلا عن كونها نهاية للطرق البحرية، جميعها يصب فيها، وكان هذا أيضا من عوامل جذب المؤسسات الصناعية. أما الموانى النهرية فأهميتها فى إفريقيه قليلة وهناك من هذه الموانى النهرية العديد على النيل والسنغال والنيجر . وكذلك الحال فى الموانى البحرية باستثناء الموانى النهرية والبحرية والتى تمثل عواصم فى نفس الوقت على نهر زائير (كنشاسا ، برازافيل).

وتزداد أهمية مدن الالتقاء النقلى مع زيادة الاهتمام بوسائل النقل. ومن أمثلة مــدن الالتقاء النقلى كوماسى، وكانو، وكمبالا، لوساكا. أما مدن الصناعة فهى قليلة فــى إفريقيه مثل جنجا، وأرزو، والمحمدية، والمحلة الكبرى، ويشتهر نطاق النحاس فــى إفريقيه بمدن التعدين، ويشاركه فى هذاجنوب إفريقيه، كما يمكن اعتبار نواكشــوط عاصمة موريتانيا وليلنجوى عاصمة مالاوى كمدن إدارية بحتة، ولكن على العمــوم أن التقسيم على الأساس الوظيفى يمثل مشكلة أمام البــاحثين، نظــرا لأنــه كثــيرا ماتتعدد وظائف المدينة، فإذا أخذت القاهرة مثلا. وجدت أنها تمثــل مدينــة إداريــة وتمثل مدينة صناعية، وتمثل أصدق تمثل مدن التقاء نقلى، كما تمثل مدينة تجارية ، فهو تقسيم اجتهادى فى معظم الأحوال.

من مشكلات معدلات الحضرية المرتفعة فى إفريقيه التعدى على الأراضى الزراعيــة المحيطة بالمدن، وفقدان مساحات كانت زراعية، كما هو الحال فــى نمــو مدينــة القاهرة وزحفها على أراضى زراعية فى محافظتى الجيزة والقليوبيــة، أومســاحات كانت تغطيها الغابات، فلم تتبق غابات حول مدينتى نيامى وواجادوجو، الا على بعــد ٧٠ كيلو متر، وهناك الازدحام السكانى ومشكلة الاسكان ومايصاحبها مــن توفــير للبنية الأساسية والخدمات مثل الماء والكهرباء والصرف الصحى ، ويرتبــط بذلــك تلوث الماء والأنهار فى المناطق الحضرية، وتتجلى أزمــة الاســكان فــى المــدن الإفريقيه فى نقص المساكن، وانتشار المناطق العشوائية، وعشش الصفيح ، وقــد ظهر ان ٥٠% من سكان أديس أبابا ولواندا ودار السلام يعيشون فى تلك المنــاطق العشوائية، بل أنه فى حى الامام الشافعى يقدر الذين يعيشون فى مساكن عشــوائية بنحو نصف مليون وهناك مثلهم على الأقل يعيشون فى مبانى ذات طوابق فى داخــل الجبانات أى فى مدينة الموتى.

ومن أهم الامثلة الواضحة الأخرى التى تؤدى الى زيادة مشاكل البيئة فــى المــدن الافريقية ، مشكلة جمع المخلفات الادمية والتخلص منها ففى العديد من المنازل يتــم التخلص من الصرف الصحى للمنازل دون معالجة أو بمعالجات جزئية فــى قنــوات ومحارى مائية ،وكشف احصاء ١٩٩٠ الذى أجرى على ٦٦٠ منزلا فى دار السلام،

بأن ١٥% فقط من المياه القذرة والصرف الصحى يتـم التخلـص منـها بصـورة منتظمة، بينما وجد ان حوالى سدسى المخلفات الأدمية يتم التخلـص منـها خـارج دورات المياه المخصصة، مما ساعد على زيادة معدلات الأمراض والوفيات، خاصـة بين الأطفال من خلال الاصابة بالاسهال والنزلات المعوية.

أضف الى هذا من الناحية الاجتماعية أن هذه العشوائيات، فضلا عن انها مشتل جيد للأمراض والأوبئة، فهى مشتل بامتياز للانحرافات والاجرام والبلطجة والتطرف ممـا يظهر فى اثارة السلبية على المجتمع بكامله.

الـعـواصـم الإفـريـقـيـه

والعاصمة الإفريقيه فى غالبية الحالات هى المدينة الأولـى ***Primate city*** وهـى كبيرة جدا بالنسبة لما يليها، تنمو بسرعة فائقة اكثر من أى مدينة أخرى، ففى كـل الدول الإفريقيه، باستثناء خمس منها، نجدها تمثل أكبر تجمع حضرى فى قطرهـا، والاستثناءات هى فى بورتو نوفو فى بنين حيث تحتل المركز الثـانى ويـاوندر فـى الكمرون، وليلنجوى فى مالاوى، والرباط فى المغرب وفى الأقطـار الأربعـة تمثـل العاصمة، المركز الثانى، على حين أن بريتوريا فى جنوب إفريقيـه تمثـل المركـز الرابع.

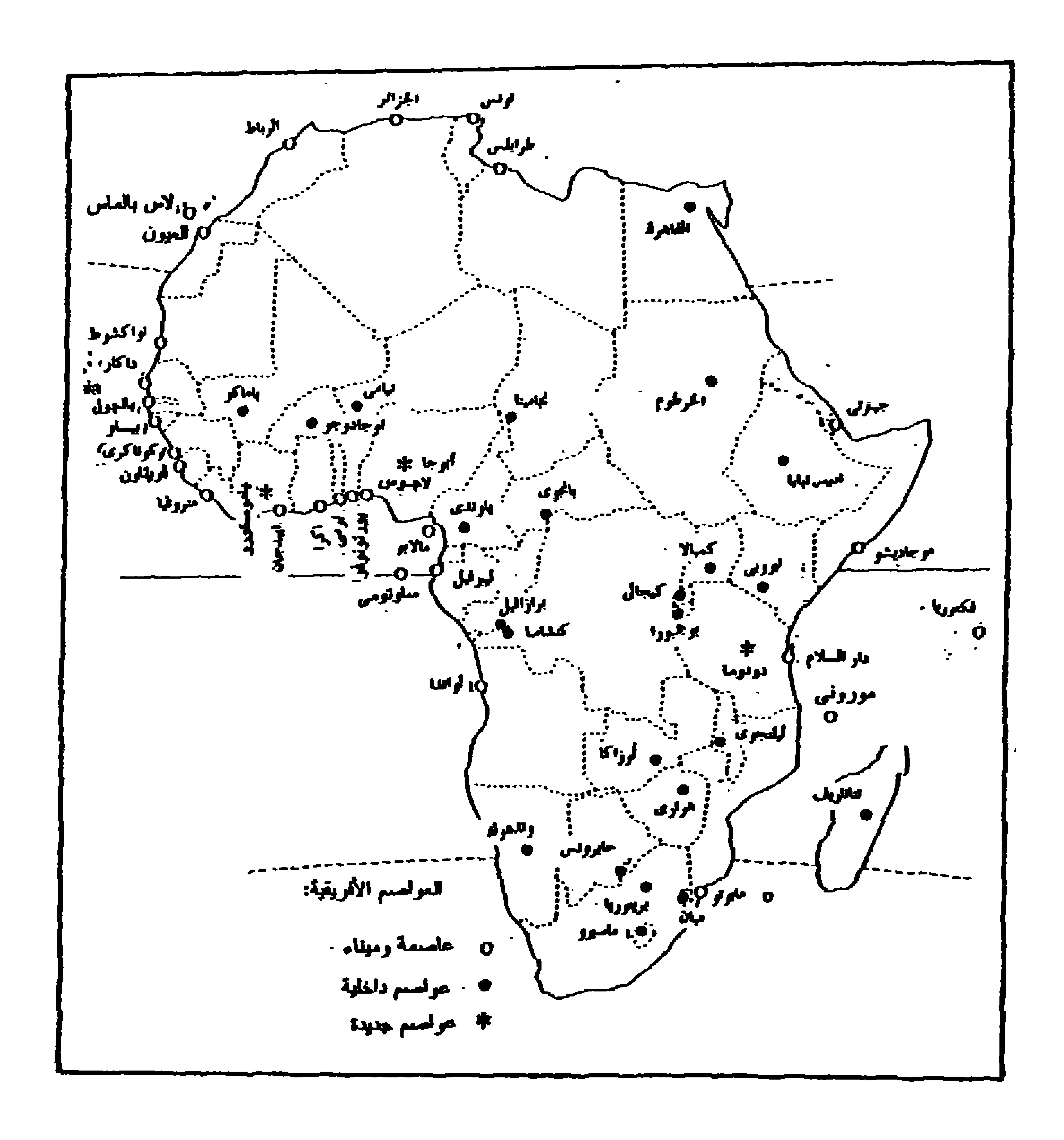
تحتل العاصمة المركز الاول ، بل أن الفارق كبير بينها وبين المدينـة التـى تليـها فالعواصم التالية يبلغ عدد سكانها عشر مرات قدر المدن التى تليها مباشرة لوانـدا (أنجولا) بوجمبورا (بوروندى) بانجول (غامبيا) جيبوتى (جيبوتى) كونـاكرى (غينيا) ماسيرو (ليسوتو) باماكو (مالى) مابوتو (موزمبيق) كيجالى (رواندا) مقديشيو (الصومال) بل أن مابوتو ، كوناكرى يضمان وحدهما نحـو ٨٠% مـن التجمع الحضرى فى بلادهما.

وتعتبر كثير من العواصم الإفريقيه كبيرة بالنسبة للعدد المطلق لسـكانها ، فـهناك ثلاثون عاصمة يزيد سكانها على المليون نسمة ، القاهرة ، والجزائر ، أديس أبابـا وابيدجان وكنشاسا، وتظهر العواصم القليلة السكان نسبيا فى الدول القليلة السـكان مثلا جابرون (بتسوانا) باريا (الرأس الاخضر) مورونى (القمر) مالابو (غينيـا

الاستوائية) ساوتومى (سان تومى برنسيبب) فيكتوريا (سيشل) مبان (ســوازيلاند) فسكان كل منها أقل من نصف مليون.

واذا كانت هناك عوامل مسئولة عن الزيادة السكانية فى المــدن الإفريقيــه بصفــة عامة، فإن أهم العوامل هو جاذبية هذه العواصم لوظائفها المتعــددة فــهى ليســت عاصمة فحسب، بل فى كثير من الأحيــان مينــاء، ومركــز للنقــل والمواصــلات، الصناعة، التجارة والتعليم، والثقافة (كما ذكرنا فى النمو الحضرى).

شكل رقم (٣٣) : العواصم الإفريقية



وهذا التعدد الوظيفى يرجع إلى الفترة الاستعمارية، حيث اختار الحاكم الاجنبى عاصمة المستعمرة حيث مقعد الحكم فى أيسر مكان للوصول إلى الدولة الأم، على سبيل المثال فى غرب إفريقيه من السنغال إلى نيجيريا للدول الساحلية نجد دون استثناء العواصم الموانى، وفى كل القارة وفى عواصم الـ٥٣ دولة إفريقيه نصفها موانى أما العواصم التى لاتمثل موانى فى نفس الوقت ، فهى القاهرة، أديس أبابا، ياوندى، برازافيل، نيروبى، تناناريف، وندهوك، اسمرة، بريتوريا، الخرطوم، كنشاسا، فضلا عن العاصمتين الجديدتين أبوجا ياموسوكرو، ***yamoussukro*** (بدلا من ابيدجان) ومعظم هذه لم تكن عواصم استعمارية. والمدينة التى تقوم بوظيفة العاصمة، والميناء الرئيسى فى آن واحد لابد أن تجمع وظائف أخرى وجاذبية لاتقاوم، كما أن التحول من عاصمة استعمارية إلى عاصمة دولة مستقلة، لابد وأن يصحبها نمو سريع لإضافتها وظائف جديدة فالوظيفة السياسية للعاصمة هى قوة دافعة للنمو، فمقعد الحكومة يجذب بسرعة البيروقراطية الادارية، والهيئات التشريعية والأحزاب السياسية والتمثيل الدبلوماسى والشركات وتفردت بعض العواصم الحديثة التى ظهرت بعد الاستقلال كنواكشوط، وجابرون لتصبح فى المرتبة الاولى من لاشئ على أساس أنها عاصمة، وفى الدول التى يسودها القطاع الزراعى، يصبح العامل السياسى الادارى هو أساس التحضر.

ولم يكن لموقع العواصم الاستعمارية المتطرف اثره فى قيام العاصمة بوظيفة الميناء الاول فحسب بل أيضا في بعد وتطرف هذا القطاع الحديث ***modern*** عن بقية انحاء البلاد، انظر إلى لاجوس فى ركن من المستطيل فى نيجيريا، ولومى فى ركن من مستطيل ضيق هو توجو ، بل حتى فى بعض الدول الحبيسة نجد أن العاصمة مثل بانجوى (إفريقيه الوسطى) ماسيرو (ليسوتو) ، نجامينا (تشاد) وكانت لفنجستون (زامبيا) رغم انها حارة رطبة ولكنها أقرب إلى الكاب ولندن ، وظلت هكذا حتى اختيرت لوساكا بموقعها المركزى والاكثر صحيا عام ١٩٣٠ ، لذلك كانت عملية التنمية الاقتصادية والتى ترتبط ارتباطا وثيقا بوظائف العاصمة المتعددة لا يمكن أن تنقلها العاصمة المتطرفة إلى الداخل ، فالمسافة بعيدة فى ظل وسائل

اتصال ونقل صعبة، وكذلك مسأله الوحدة الوطنية هدف الدول الإفريقيه لايمكن لـهذه العاصمة المتطرفة أن تخدمها.

وكان عدم التوازن الذى خلقته كل عوامل الجذب والجاذبيـه والوظـائف المتعـددة للعواصم المهمشة موقعاً أمرا معروفا منذ فترة طويلة حتى لقد نادى البعض بنقـل العاصمة وان كانت عملية نقل العاصمة فى الدول الإفريقيه ليست بالأمر الهين.

نـقـل العاصمـة :

اتخذ قرار النقل إلى لينجوى فى مالاوى الحبيسة بعد الاستقلال بدلا من زومبا فـى أقصى الجنوب عام ١٩٦٥، ولكن لم يتم تنفيذه سوى عام ١٩٧٥ وتبعد ليلنجـوى نحو ٢٩٠ كم شمال زوميا العاصمة القديمة بالقرب من الوسط الجغرافى للدولـة، وفى أقصى عرض لهذا المستطيل ، وتتمتع بطرق جيدة مرصوفه وسـكك حديديـة، كما أنها على بعد ١٣٥كم من البحيرة، وخططت ونفذت بالمساعدة الفنية والماليـة من جنوب إفريقيه، وبسكانها البالغين من ١٥٠,٠٠٠ سـتطاعت توزيـع التنميـة الاقتصادية بطريقة افضل من زومبا المتطرفة فى الجنوب.

وقررت نيجيريا عام ١٩٧٦ النقل إلى عاصمة جديدة تبعد عن لاجوس بنحـو ٦٥٠ كم (أبوجا) مدينة جديدة ، فلاجوس كعاصمة استعمارية تقع على جزيرة، وأصبحـت محتقنه، ولكن أبوجا فى النطاق الأوسط حيث الثلاث كتل الرئيسية الممثلة للقوة فى نيجيريا، من ثم أخذت طابعا حياديا، وهذا لم تحققه لاجوس ويتعشم النيجـيريون أن تكون رمزا للوحدة، وقد تقرر تنفيذ هذا المشروع عندما كـانت نيجيريـا فـى أوج ثرائها (سنوات ازدهار أسعار البترول) وكان من الصعب الرجوع عنه بعد انخفاض اسعار النفط.

وهناك اقتراح بنقل دار السلام فى تنزانيا إلى دودوما حيث يعبر خـط سـكك حديـد تنجانيقا على مسافة ٤٦٠ كم من دار السلام ، ٤٢٧ كم جنوبى أروشا وبالقرب مـن الموقع المركزى للدولة، ولكن فقر تنزانيا جعل تنفيذ هذه الفكرة مؤجلة ، لأنه ليـس لديها مئات الملايين من الدولارات تصرفها على المشروع، وتعتبر ياموسوكرو فـى كوت ديفوار، هى عاصمة إدارية على بعد ٢٦٦كم من إبيدجان، وكان مـن عوامـل

اختيارها ليس فقط موقعها المركزى بل يشفع لها أنها مكان ميلاد الرئيس هو فيه بوانيه *Houphouet Boiyny* كذلك هى موطن الكنيسة الضخمة للرئيس بحجمها الأقل قليلا (من كنيسة القديس بطرس فى روما. كذلك نادى البعض بنقل العاصمة من الخرطوم لأنها أكثر تطرفا نحو الشمال بالنسبة للسودان، كما نادى البعض بنقل العاصمة من القاهرة لا لعدم توسطها ولكن لإحتقانها.

المسألة فى نقل العواصم الإفريقيه هى مسألة تكاليف، والمزايا النظرية ليست فى كل الأحوال صادقة من الناحية العملية، وفى بعض الدول قد يكون نقل العاصمة ضرورى وفى بعضها الآخر قد يكون غير مناسب.



نيروبي

وعلي بعد كيلو مترات معدودة تظهر عشش الصفيح والعشوائيات دون ماء صالح أو صرف صحي ، وهذه صفة الحضرية في الدول النامية بصفة عامة!

الفصـــل الســـابع

هـجــــرة الســــكان

كانت هجرات السكان ومازالت ظاهرة رئيسية للمجتمعات، ورغم ذلك لم تلـق هـذه الظاهرة ما تستحقه من دراسة سواء فى المجال السكانى أو الاقتصادى فى أفريقيـة، وقد يرجع هذا إلى قلة الاحصاء أو عدم دقته بوجه عام فضـلا عـن عـدم وجـود تسجيلات خاصة بالهجرة الخارجية وبالتالى الداخلية فى هذه الأقاليم.

غير أن مايترتب عليها من آثار اجتماعية واقتصادية يجعل من اللازم طـرق هـذا المجال من الدراسة.

وسنعالج هنا الهجرة الخارجية والهجرة الداخلية، مع زيادة الاهتمام بهجرة العمالـة فى داخل القارة .

الهـجرة الخـارجـية

وهذه بدورها تنقسم إلى الهجرة من القارة إلى خارجها ،والهجرة من الخارج إلـى القارة. وفى هذا الفصل سوف ندرس الهجرة من القارة إلى خارجها بأخذ نموذجيـن أحدهما قديم نسبياً وهو تهجير الرقيق ، والثانى حديث وهو هجرة سـكان المغـرب العربى إلى أوربا.

أولا : تهجير الرقيق

***الرق قديما* * :**

عرفت الأمم القديمة فى حضارتها أنواعا من الرق ، كالأمة الاغريقية التى انجبـت سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم ممن تركوا أثر فكريا ضخما فى حيـاة الأجيـال البشرية. فأرسطو يوجب وجود الرق حين يقول " لايزال فى العالم أناس مخلوقـون

---

* انظر بالتفصيل مقال : الكشوف الجغرافية وتجارة الرقيق للمؤلف فى المجلة الجغرافية العربية العـدد ٢٦، ١٩٩٤.

للسيادة وآخرون مخلوقون للطاعة، وحكمهم فى ذلك حكم الكائنات الحية التى تساق للعمل ولاتدرى ما تساق إليه ". أما أفلاطون فان جمهوريته لايقوم بناؤها ان لم يكن فيها رقيق يقوم بالأعمال الشاقة ، فيقول : كلكم أخوان فى الوطنية ولكن الاله الذى خلقكم وضع فى طينة بعضكم ذهبا يمكنهم من أن يكونوا حكاما، فهؤلاء هم الأكثر احتراما، ووضع فى طينة المساعدين فضة، أما العبيد الذين خلقوا لأن يكونوا زراعا وعمالا ، فقد وضع فى طينتهم نحاسا وحديدا ".

والرومان الذين اشتهروا بالتقنين ، كان المبدأ السائد عندهم ان الرقيق يعتبر شيئا لاشخصا، وعلى ذلك فليس له - على عكس الحر - أسرة، واتصاله بالنساء لايعتبر قانونيا وانما أمرا واقعا، وليس من حقه الامتلاك أو الاستدانة أو التسليف أو الوراثة، شأن الرقيق شأن الحيوانات والجمادات التى يمتلكها السيد ، ويقال أن قيصر روما عندما فتح بلاد الغال استولى على مليون أسير وضرب عليهم الرق، ولذلك هبط سعر الرقيق حتى صار الواحد منهم لايساوى أكثر من عشرة قروش بالعملة الحالية، وتطور امتلاك الرقيق عند الرومان فكانوا يتركون للعمل فى الارض، ثم أخذوا يهبونهم الأرض ويورثونها لأبنائهم، ثم حرموا بيع الرقيق الا بالارض، والأمثلة عديدة ولسنا هنا فى حاجة الى القول بأن الرق عرفه الفرس والصينيون، واليهود والنصارى والعرب أيضا.

الأوربيون والعرب :

فالرق كان روح كل العصور قبل تحريمه، وعرفته القبائل الأفريقية فيما بينها، وكان أساسه أسرى الحرب، ولكن الدول الأوربية التى تتهم العرب بهذا قامت بهذه التجارة بدءا من البرتغال وأسبانيا فى الجنوب الى فرنسا وهولندا، وبلجيكا، وبريطانيا ، ثم تعدتها الى الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل. فاذا اتفقنا على ان كلا من العرب والأوربيين عملوا فى تجارة الرقيق يصبح الجدل عندئذ فى كيفية معاملة الرقيق، وفى مسئولية من قام بنزح الاعداد الضخمة من القارة أو استنزافها.

ولم يقتصر الرق عند العرب على الرقيق الافريقى، بل كان هناك الرقيق الأبيض الذى كان يأتيهم بواسطة التجار الأوربيين والأسيويين مما وراء القوقاز، وكان

يطلق عليهم أحيانا الشراكسة، أى كان هناك الرقيق الأبيض والرقيق الأسود ، وفى داخل فئة الرقيق الأسود كان هناك الأحباش أيضا. أما عن تقديرات الرقيق الذى كانت تقوم به العناصر العربية ومعظمه فى شرق أفريقيه، اذ لم يشترك العرب فى تجارة غرب أفريقيه على الاطلاق. فيقدر المصدر من شرق أفريقية فى مطلع القرن التاسع عشر بنحو ١٥ ألف سنويا ، كانت تخرج من زنجبار المركز الرئيسى لهذه التجارة فى شرق القارة، ثم ارتفعت الى نحو ٤٠ ألف سنويا فى العقد الثالث من ذلك القرن . فاذا كانت هذه هى تقديرات الاعداد من شرق افريقيه حيث وسيلة النقل سهلة ورخيصة وهى البحر فى ظل نظام الرياح الموسمية الذى سبق أن ذكرناه والذى لايحتاج الى تجديف ومجهودات عضلية كبيرة، فاننا ننتظر أن اعداد من كانوا يصلون بطريق البر عبر الصحراء الكبرى الى مصر وليبيا والمغرب العربى أقل من هذا بكثير. ولاتفسر هذه الاعداد القليلة نسبيا الا على ضوء نوع الطلب، فلم يكن يقدر على شراء الرقيق الا السلاطين والأمراء والأثرياء، من ثم فهؤلاء فئة محدودة، واما فيما يختص باستخدام الرقيق فمنهم من كان يدخل الجيش ، ومنهم من استخدم فى حراسة حريم السلاطين والأمراء ، وكان الأطفال من الرقيق فى بعض الأحيان يستخدمون كرفقاء لأولاد الامراء . أما الرقيق الأبيض من النساء فكن يتخذن كعشيقات ويقمن باعداد القهوة وتحضير " النرجيلة " وأحيانا طهى بعض الأصناف الخاصة ، وفى معظم الأحوال كان ينتهى الأمر بهن الى العتق نتيجة الزواج من الأسياد أو أبناء الأسياد ، وهذا ليس رأينا ولكنه رأى الباحث اليهودى جبرائيل باير.

فجر الرق فى عصر الكشوف :

فى السابع من أغسطس عام ١٤٤٤، عندما أذنت الشمس بالمغيب، كانت هناك مجموعة من زنوج غرب إفريقيه يجلسون على شاطئ البحر، يثرثرون، اذا بهم يلمحون عن بعد أشياء غريبة على صفحة الماء الممتد أمامهم الى اللانهائى، وبعد مناقشات ومحاورات عن كنه هذه الأشياء الغريبة، اقتنعوا بأنها ليست أنواعا من

الأسماك الضخمة، ولامساكن عائمة، ولكنها طيـور ضخمـة ذات أجنحـة بيضـاء (الأشرعة) حطت على الماء للراحة أثناء الليل، وفى الواقع أنها لـم تكـن طيـورا أيضا، بل كانت سفن ست للبرتغاليين تحمل أسوأ حادث فى تاريخ البشـرية، وهـو استرقاق سكان غرب أفريقيه.

وان كانت أوربا قد عرفت زنوج أفريقية من قبل، كانوا يصلون عن طريق التجـارة عبر الصحراوية، منذ أيام اليونان والرومان، وبعد ذلك فى العصور الوسطى، وكانت موانى إفريقيه الشمالية هى المورد الرئيسى لهم، ولكن مابدأ قبيل فجر اليوم الثـانى حتى تغيرت تماما حياة هذا الاقليم الهادئ، فقد قام البحارة البرتغاليون بقيادة قـائدهم لاناكروت بالاغارة على قرية فى خليج أرجوين (ضمـن موريتانيـا الآن) فكـانت الغارة الأولى فى تاريخ الرق، وكانت نتيجتها انتزاع ١٦٥ من المواطنين الافريقييـن الى السفن البرتغالية، وحدثت، إغارات أخرى فى الأيام التاليـة كـان نتيجتـها ٧٠ أخرين من الرجال والنساء والأطفال، وبدأ خليج غانا يتحول الى خليج الدماء، وكـان يوم الثامن من أغسطس عام ١٤٤٤ أسود يوم فى تاريخ سـكان غـرب أفريقيـه، وبيعت حصيلة الصيد البشرى من رجال ونساء وأولاد بالمزاد العلنى فى لشبونه.

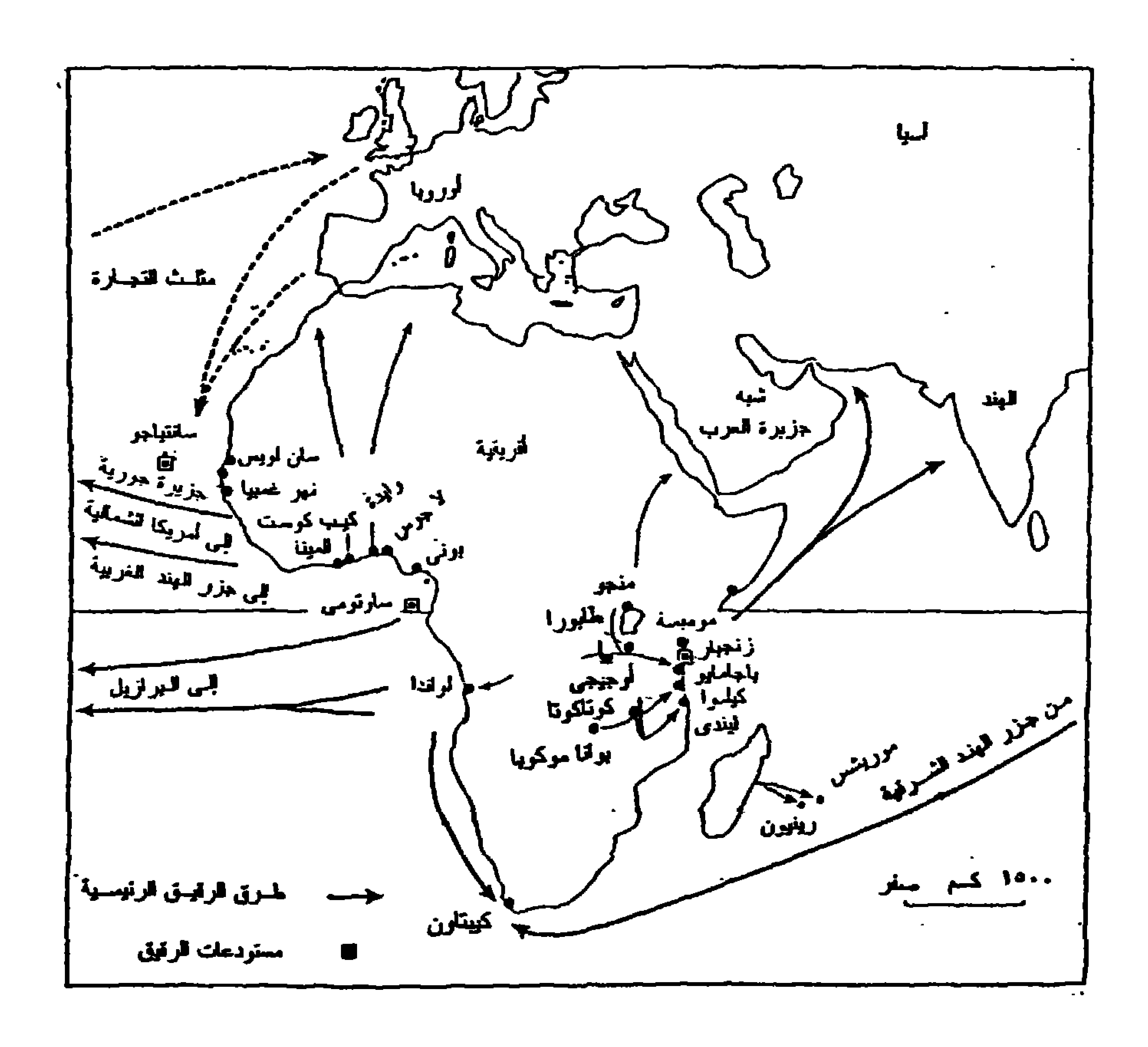
وفى العام التالى لذلك المزاد ، اثار البابا شهية المكتشفين بمنحه التـاج البرتغـالى على كل الأراضى التى تكتشفها فى افريقيه، وأسدل الصمـت علـى هـؤلاء الذيـن استشهدوا أثناء الاستكشاف، ودار البرتغاليون حول غرب أفريقيـه ، ودارت الأيـام على سكان غرب أفريقيه.

وأستمر البرتغاليون فى غير حاجة الى منافس لمدة قرن من الزمان محتكرين جمـع الرقيق والذهب والعاج والبها، مرسلين اياها الى البرتغال لاستزراع الأرض، حتـى أنه فى نهاية القرن الخامس عشر يقال أن عشر سكان لشبونة كان من الزنوج.

ثم كان اكتشاف العالم الجديد عام ١٤٩٢ ، مما شجع على نقل الرقيق اليه وأصبـح الرقيق تدريجيا هو السلعة الرئيسية ، وتدهورت قيمة العاج والبهار، وأصبح الرقيق الذى لم يتجاوز ٥٠٠ سنويا، ويرسل الى البرتغال ، وتحول الى رعب لسكان غـرب افريقيه ، حطم بناءهم الاقتصادى والاجتماعى. وأرسلت أول حمولة الى أمريكا مـن

لشبونة عام ١٥٠٣ ، ولكن منذ عام ١٥١٥ أصبح يشحن مباشرة من غرب أفريقيه عبر الأطلنطى وباعداد متزايدة.

شكل رقم (٣٤) : تهجير الرقيق



وفى أوائل القرن السادس عشر، اقتصرت تجارة الرقيق على مزارع جزيرة ساوتومى وكان البرتغاليون والأسبان فى سان دومنجو يحصلون على حاجاتهم مباشرة من قبائل السنغال وغامبيا، لكن بعد عام ١٥٣٠ ترتب على توسع الأسبان

التى كانت تعانى من الفقر فى عدد السـكان، أن نشـأت أسـواق جديـدة للعبيـد الافريقيين، لم يكن فى الوسع اشباع حاجاتهم عن طريق السنغال وغمبيا وحدهمـا، وقبل عام ١٥٥٠ بدأت مناجم الذهب الغربية من المينا تنضب ، فتحول الوسطاء من شعب الفانتى الى توريد العبيد للأمريكتين، وكان تجار الرقيق يسدون حاجاتهم أيضـا من بنين ، وان ركزوا أعظم الطلب على الماتيكونجو.

وكانت مصالح البرتغال التى تناثرت بانتصاف القرن على شواطئ المحيطات الثلاثـة تشكل استنزافا خطيرا لقوتها البشرية المحدودة، فكـانت لـها احتكـارات تجاريـة ومزارع وارساليات دينية فى البرازيل (السكر) وفى السنغال وغمبيا وساحل الذهب والكنغو (العبيد) أفريقيه الشرقية والخليج العربى والهند الشرقية والصين واليابـان (التوابل والسلع الترفيهية).

كذلك كانت السفن البرتغالية تزود امبراطورية أسبانيا فى أمريكـا بـالعبيد وحـاول التجار التسلط على التجارة المحلية فى المحيط الهندى وشرق أسيا. وزاد الاعتمـاد على الجزر القريبة من الساحل، حيث كان فى الامكان حماية الجاليـات البرتغاليـة الصغيرة من الهجوم والمرض، وعلى الساحل الافريقى المطل على الاطلنطى كـانت المينا المحطة الوحيدة على البحر، وأوقفت رسميا الارساليات والمراكز التجارية فـى الكنغو وبنين والسنغال وغمبيا، وانتقل التأكيد على جزر الرأس الأخضر وساوتومى، وأصبحت الاثنتان محطات مؤقتة لحظائر العبيد، وان كانت ساوتومى قد أقامت أيضـا اقتصادا مجزيا يستند الى زرا عة القصب التى سيطر عليها نفر قليل من المزارعيـن الأوربيين في بذخ وترف، واستمر الطلب من جانب الجزيرة علـى العبيـد، ولكـن المزارع الأكبر حجماً والمملوكة في البرازيل صارت أعظم أهمية بكثير.

وأنشئ في لواندا حصن ساحلى قوى يضم مخزنـا ليسـتقبل العبيـد، واسـتخدمت الوحدات العسكرية بكثرة، أما لارغام الزعماء على بيع المسجونين أو للحصول على العبيد مباشرة، وأخفقت في العادة المحاولات التى بذلت في سبيل تنمية المـزارع، إذ كانت تجارة الرقيق أوفر جزاء، هكذا بدأت تبرز أفريقيه كمـورد للرقيـق، وظلـت البرتغال تحتكر هذه التجارة البشرية لمدة طويلة قبل أن تنافسها فيها هولندا وفرنسا

وبريطانيا ، حتى أنه في القرن السادس عشر كانت البرتغال هى التى تمون كلا من أملاكها الأسبانية بالرقيق، وأصبح الرقيق عماد الحياة الاقتصادية البرتغالية.

المصدرون :

ليس هناك خلاف كبير بين الباحثين على النسب التى شارك بها كل جزء من إفريقيه في تجارة الرقيق عبر الاطلنطى.

فالاقليم الغربى الأوسط أى ساحل انجولا إلى الشمال من كابندا دخل ميدان تجارة الرقيق على نطاق واسع بدءا من القرن السادس عشر، واستمر كمصدر رئيسى للصادرات حتى القرن التاسع عشر، أما خليج بنين فهو يمثل المصدر الرئيسي الثانى في النصف الثانى من القرن السابع عشر، ومن هناك انتشرت تجارة الرقيق غربا إلى ساحل الذهب منذ أوائل القرن الثامن عشر (١٧٠٠) وإلى الشرق من خليج بيافرا في أربعينات القرن الثامن عشر، كما كان ساحل سيراليون مركزا من المراكز الرئيسية أيضا، وان كان نمو هذه التجارة كان بطيئا حتى منتصف القرن الثامن عشر حين صدرت أعداد كبيرة لمدة عقدين ودخل اقليم سنجامبيا هذه التجارة مبكرا ، ولكن ظل نصيبه محدودا وأن كان ثابتا حتى القرن التاسع عشر.

وكان تدهور هذه التجارة على مراحل ، فتوقفت ساحل الذهب عن تصدير كميات ضخمة بدءا من العقد الأول من القرن التاسع عشر، بينما تدهورت صادرات بيافرا بدءا من ثلاثينيات القرن التاسع عشر، على حين استمر خليج بنين وساحل انجولا كمصدر هام للرقيق حتى خمسينيات القرن التاسع عشر، أما جنوب شرقى أفريقيه فقد استمر في التجارة حتى منعت تجارة الرقيق.

المستوردون :

استمر المستوردون يشبعون حاجتهم من الأيدى العاملة الافريقية فترة طويلة بدأت بعدها هذه التجارة في الأفول تدريجيا أول الأمر، ثم بشدة عقب منتصف القرن التاسع عشر، وكما لم تشترك كل أجزاء أفريقيه في تصدير الرقيق، كذلك لم يكن توزيع الرقيق على الأقطار المستوردة واحدا ، فقد اختلف التوزيع في العالم الجديد بحسب نشاط الاوربيين فيه ومدى التنمية الاقتصادية في المستعمرات الجديدة.

ولم نجد اختلافاً كبيراً بين الباحثين في أن الكاريبى وأمريكا الجنوبية استحوذا على نحو ٩١% من جميع الرقيق الذى صدر عبر الاطلنطى، وكان المستوردون الرئيسيون هم البرازيل وكوبا وجاميكا وهايتى، أما أمريكا الشمالية، فرغم المشكلة اللونية التى تشتهر بها فلم يصلها إلا نحو ٧% من المجموع الكلى.

وإذا أردنا بعض التفصيل فيما يختص بالظروف الاقتصادية التى مر بها العالم الجديد وارتباطها بتجارة الرقيق، يمكن القول بأن بداية ازدهارها كان في القرن السابع عشر. كرد فعل ونتيجة للتوسع في زرعة قصب السكر في جزر الهند الغربية، هذا التطور غير اقتصاد الكاريبى ، فقد كان اقتصاد الكاريبى حتى منتصف القن التاسع عشر يعتمد أساسا على زراعة التبغ بواسطة الأوربيين الذين استوطنوا الاقليم.

وهكذا أوجد التوسع في زراعة القصب طلباً شديداً من أوربا بعد زيادة استهلاكه للشاى والبن ، واستطاعت صناعة السكر اللحاق بها وساعد على هذا قيام الحكومة البريطانية بوضع ضريبة جمركية باهظة على السكر الأجنبى بين عامى ١٦٥١، ١٨٥٤ وفي منتصف القرن الثامن عشر كانت الحكومة الفرنسية تعطى منحاً لسفن الرقيق التى تبحر من فرنسا إلى أفريقيه ، وتدفع مكافأة عن كل رأس من الرقيق يهبط في جزر الهند الغربية الفرنسية، وانعكس هذا في كون ثلثى صادرات فرنسا في أواخر القرن الثامن كانت تتجه نحو مستعمراتها في الكاريبى، كما أن أثمن سلعة كانت تصدرها مستعمرات ما وراء البحار لفرنسا هى السكر ، كذلك كان السكر أكبر عنصر في قائمة الواردات الانجليزية في القرن الثامن عشر.

حجم *تجارة الرقيق* :

وفي الحق فان تقدير أعداد الرقيق سواء الخارج من إفريقيه أو الذى وصل إلى الجانب الآخر من الاطلنطى مثار جدل عنيف بين الباحثين في هذا الشأن.

وعلى العموم فالشائع أن حجم الرقيق الذى صدر من أفريقيه يتراوح بين ١١، ١٥ مليون أفريقي.

الرقيق المصدر من أفريقية

السنوات	تقدير أعداد الرقيق المصدر من أفريقيه	المتوسط السنوى تقريبا
حتى ١٦٠٠	٣٣٠,٠٠٠	٢,٢٠٠
١٦٠١ - ١٧٠٠	١,٥٦٠,٠٠٠	١٥,٦٠٠
١٧٠١- ١٨١٠	٧,٥٢٠,٠٠٠	٦٨,٤٠٠
بعد ١٨١٠	١,٩٥٠,٠٠٠	٣٢,٥٠٠
المجمـــــــــوع	١١,٣٦٠,٠٠٠	

المرحلة البشعة :

والواقع أن هناك نقطة يجب التركيز عليها في هذا السبيل بصرف النظر، عمن وصل إلى العالم الجديد، وهو عدد من هُجروا قسرا من أفريقيه، لأنه فـــي ظــل ظــروف الشحن الرهيبة واللانسانيه التى احاطت بهذه التجارة لا أظن أن من هلك في الطريق يقل عن ٢٥% من الشحنة، فبادئ ذى بدء كان هناك اعتقاد لدى الافريقيـــين حيــث يسوقونهم من الداخل إلى الساحل ، بأنه في رحلتهم البحرية تظهر وحـــوش شـــبه بحرية من القاع لتلتهمهم أو لتستبقى عليهم لتسمينهم، وبعد ذلك يقيمـــون الولائـــم عليهم، من ثم من السهل تصور الرعب الذى كان يمتلك هـــؤلاء البســطاء عندمـــا يلتقون بالاوربيين ذووا الوجوه الحمراء والشعر الطويل، فقد كان جزء كبير منـــــهم يصاب بالهستيريا، فإذا أضفنا إلى هذا الوهن الجسدى الذى كان يصيبـــهم ، فمعنـــى هذا أنهم عندما يحشرون في الزرائب كانوا عبارة عن كتل منهارة جسدياً ونفســـياً، هياكل بشرية، وكان التجار يبدون العناية بهم حين وقت البيـــع بمحاولـــة تحســـين حالتهم الصحية، ولكن من لا يستجب جسده ويظل على حاله يعتبر عبئاً وفـــم يـــأكل فقط، فكان يجذب إلى ما وراء نخيل الزيت ليقتل، وفي جرهم إلى السفن كان يصيبهم الفزع عند ركوبهم القوارب إلى السفن الكبيرة، يكرهون البحر، كان بعضـــم يحـــاول

القفز، لينتحر، وكانت النصيحة بأن يقطع قائد السفينة أرجل بعضهم حتى يخشى الباقون القيام بهذا العمل الانتحارى، لأنه في اعتقادهم أنهم يبعثون بعد الموت على شرط أن يكون جسدهم كاملا، وعلى ظهر السفينة تكتمل المأساة بسبب عملية الحشر، فكان يموت ما بين اثنين وثلاثة يوميا أثناء وقوف السفينة بسبب الاسهال والديدان وغيرها، ومثل هؤلاء كان يلقى بهم في عرض البحر لتلتهمهم أسماك القرش التى كانت تلازم سفن الرقيق في رحلتها إلى العالم الجديد لأنها ستضمن طعامها طوال الطريق، من ثم كان القباطنة يقومون بشحنهم ليلا اثناء استغراق الرقيق في النوم تفاديا لحدوث ضجه، أما عن حشرهم في السفينة ، فعلى السفينة *Brookes* كل فرد كان له ٦ أقدام بالطول وقدمان ونصف بالعرض، ويكفى القول بان رائحه سفينة الرقيق كانت تسبقها بنحو ميل.

ومن الأوصاف البشعه أيضا ما ذكره *Falcon Bridge* عن أرض السفينة التى يعيش عليها الرقيق من أنها مليئة بالدم والمخاط نتيجه الإسهال الشديد، كما أن دوار البحر كان يصيبهم أكثر مما يصيب الأوربيين، وقد ينتهى بالنساء بصفة خاصة إلى الموت.

أظن بعد هذا العرض للظروف المختلفة، ليس من شك أن خسائر غرب أفريقيه بوجه عام تتراوح بين ٣٠، ٤٠ مليونا، وهؤلاء يشملون من وصلوا أحياء إلى العالم الجديد، فضلا عن الذين هلكوا بسبب صعوبات ومشقات النقل والأمراض والذين قتلوا نتيجة الاغارات والقنص البشرى.

المثلث الذهبى :

لم يبد المؤرخون لإفريقيه ولتجارة الرقيق أهتماماً كبيراً بطرق التجارة بعد الكشوف، وكانوا يميلون إلى ما عرف باسم المثلث التقليدى للتجارة عبر المحيط، وبمقتضاه كانت التجارة تنتظم على مراحل ثلاث.

الأولى : تغادر فيها السفن أوربا إلى غرب إفريقيه لبيع السلع الاستهلاكية أو المقايضة للحصول على الرقيق، وكانت هذه السلع من الطرافة بمكان لأنها كانت منوعة تنويعاً شديداً ، ويكفى أن تقرا إعلان عن سلع للبيع تحملها احدى سفن

الرقيق في غرب إفريقيه عام ١٦٦٥ ، فقد تضمنت القائمة على سبيل المثال، قبعات قديمة، ملح، سيوف، اسلحة، رؤوس فؤوس، وشواكيش ، قفازات، سيور جلديـــة، أساور نحاسية، أوانى حديدية، منسوجات ملونة، بل حتى قطط لصيد الفئران.

الثانية : ترحل فيها السفن من غرب أفريقيه إلى العـــالم الجديـد حاملـــة الرقيـــق، ويستبدلون السكر بالرقيق.

الثالث: تنتهى إلى أوربا لاستبدال المصنوعات بالسكر، وتتم تسوية الحسابات.

عوامل نمو وازدهار :

رأينا زيادة الطلب في المستعمرات على الأيدى العاملة الزراعية منذ منتصف القـــرن السابع عشر إلى أوائل القرن التاسع عشر أدى إلى زيادة الطلـــب علـــى الرقيـــق، وبالتالى زيادة الأرباح، فقد كانت بعض الرحلات تجزى أصحاب السفينة بعد انتـــهاء الرحلة بنحو ٦٠ الف جنيه استرلينى، حتى لقد صارت تجارة الرقيق عماد الاقتصـــاد الانجليزى، فحتى قبل نهاية القرن السابع عشر كانت تبدو أهميتها كبيرة لدرجـــة أن أحدهم يكتب عن تجارة الرقيق بقوله بأنها أكثر أنواع التجارة ربحا، أكثر من الســـلع الأخرى التى تعود بالذهب ومن سن الفيل والصمغ، ولم تعد تلك التجـــارة بالأربـــاح على أصحاب السفن فحسب، بل على البحارة أيضا ، فقد كان يعيـــش عليـــها نحـــو ١٣٠ الف بحار انجليزى وعائلاتهم، كما اعتمدت الصناعة البريطانيـــة علـــى هـــذه التجارة كالغزل والنسيج في مانشستر، وصناعة السيوف في شفيلد والبنـــادق فـــي برمنجهام، وبناء السفن في الموانى والحدادة والتجارة وغيرها من المنتجات التـــي تباع في غرب أفريقيه للحصول على الرقيق ورغم تزايد الطلب على الرقيق فقد ظـــل سعره منخفضا نسبياً، وأن كان السعر في جزر الهند الغربية قد ارتفع من ١٦ جنيها استرلينيا في ٧٩/١٦٧٦ إلى ٣٥ جنيها في ١٧٨٧ ، وحتى هذا السعر الأخير يعتبر منخفضا إذا ما أخذناه في الاعتبار . أن أى محاولة أخرى لســـد النقـــص بواســـطة العمال الإجراء كان مصيرها الفشل بل ثبت مـــن الناحيـــة الاقتصاديـــة البحتـــه، أن استخدام الرقيق يكون أكثر اقتصادا من استخدام العامل الأجير الحر، ببساطه شـــديدة فقد بلغت تكاليف العامل الأجير سنوياً ثلاثة أمثال سعر للفرد من الرقيق، وهـــذا ورد

كثيراً في اقتصاديات الرق فكما يقول ***V.T Harlow*** يمكن شراء عبد مدى الحيلة بالأجر الذى يتقاضاه العامل الأجير بعقد

ثانيا : العمالة المهاجرة إلى أوربا

من إفريقيه غير العربية :

ننتقل إلى مشكلة العمالة المهاجرة في أوربا، فهنالك نحو: ١٤ مليون مهاجر في الجماعة الأوربية ، بل إن فرنسا ذاتها بها نحو ثلاثة ونصف مليون عامل أجنبي، وفي التقرير الذى قدمه هرمان خان ***Herman Khan*** إلى الحكومة الفرنسية في الثمانينات يقول: أن فرنسا لم تكن قادرة على تنمية اقتصادها بالسرعة التى حدثت إلا بفضل الثلاثة ملايين عامل أجنبى الذين يعيشون فيها، وهذا نموذج لدولة أوربية واحدة، ومن بين الثلاثة ملايين أو الثلاثة ملايين ونصف يقدر عدد الأفارقة من دول جنوب الصحراء في فرنسا ما بين ٢٥٠ ألفا وهذا هو التقرير الرسمى، ٢٧٠ الفا في تقدير أحد الباحثين في جريدة ***le monde*** معظمهم من السنغال وموريتانيا ومالى، فضلا عن كوت ديفوار وغينيا، وقد يدفع الفرد من هؤلاء نحو الف دولار حتى يصل إلى فرنسا، وهذا ضعف ثمن تذكرة الطائرة.

الطريق الى الجنة الموعودة :

يبلغون فرنسا بطرق متعددة، أكثرها شديدة الخطورة، بل إن المئات منهم يفقدون حياتهم في مخاطراتهم هذه والتى يظنون أنهم إذا وصلوا فقد بلغوا أرض الميعاد، ولعل أقدم هذه الطرق هو عن طريق المغرب وأسبانيا، وذلك باستخدام السفن إلى الدار البيضاء أو اغادير، ثم بالسفن مرة أخرى إلى بلباو أو برشلونه، أو بالجو إلى مدريد وبرشلونه ، ومن هناك يتلقفهم المهربون في رحلات ليلية ليعبروا جبال البرانس إلى فرنسا، وما داموا قد وصلوا إلى الحدود، فإن المرشد يتركهم على اعتبار أنهم اصبحوا في فرنسا، ويقع الكثير منهم في ايدى البوليس والجيش الفرنسي ويردون مرة أخرى على أعقابهم، ليستغلهم رجال الأعمال الأسبان.

وفي مقابلة لبعثة الأمم المتحدة لتقصى الحقائق عن هؤلاء، ذكر أحد الشبان في باريس، أن عمره ١٩ عاماً، وأنه من موريتانيا، وأنه وصل توا إلى باريس، وقد جاء ليحصل على المال، أما عن كيفية وصوله ، يذكر أنه وصل أولا إلى داكار، وأنه حصل على فيزا بعد أن دفع لأحد أصدقائه نحو ١٢٠٠ دولارا ، ومن داكار سافر إلى اسبانيا حيث ظل ثلاثة شهور في انتظار مبلغ من المال يرسل إليه، وقد أنفق نحو ٢٥٠٠ دولار قبل أن يصل إلى باريس، ولا يعرف كيف سيسدد هذه الديون، وفي اعتقاده أنه لن يرجع إلى أفريقيه مرة أخرى، وأنه سيظل طوال حياته يعمل في فرنسا.

والطريق الثانى المعروف هو طريق الجزائر وتونس وأيطاليا، أى يبدأ عبر الصحراء، وإذا كان الحظ بجانبه فإنه يبلغ تونس بعد أسبوعين وذلك باستخدام اللوارى ومن تونس إلى روما أو ميلان ، ويطلب سائقو التاكسى الايطاليون منهم نحو ٣٠٠ دولار أجراً لتهريبهم من شمال ايطاليا إلى فرنسا.

وكانت الرقابة الشديدة على هذه الطرق التقليدية سببا في التحول إلى طرق أخرى غير تقليدية مثل تلك التى تأتى غرب أوربا عن طريق دول أوربا الشرقية (سابقا) مثل ألمانيا الشرقية ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا حيث يعبرون الحدود ليلا بعد رحلات شاقة خلال الريف.

والان بعد أن عرفنا المعاناة التى يتجشمها هؤلاء المهاجرون، يمكن أن نعرف الاسباب التى تدفعهم إلى هذه المغامرات كما يلى :

أولا: الظروف الداخلية في الدول الافريقية من حيث انخفاض مستوى المعيشة وتشجيع الحكومات الافريقية لهذه الهجرة بغية حصول الدولة على النقد الأجنبى من ملايين العمال في الخارج.

ثانيا: الرغبة في تحسين مستوى المعيشة وحياة أفضل ، ولا يقتصر هذا على مجرد وجود فرص غير محدودة للعمل في اعتقادهم، وتكوين الثروة، لكنها تمكن الأفراد أيضا من إجادة مهنة معينة أو الحصول على شهادة علمية والعودة إلى

أرض الوطن لتولى مناصب هامة ، أو إقامة مشروع تجاري يجلب لـــه أرباحــاً طائلة.

وهكذا كانت المشقات والصعاب التى يصادفها العامل المهاجر إلى أوروبا قد تصــل أحياناً إلى حد هلاكه، وفقدانه لحياته، وكل ذلك على أمل أنه ســيصل إلــى الجنــة الموعود، ويعيش حياة رغدة، ولكن الواقع غير هذا تماما.

استغلال الموقف :

ومن الناحية النظرية فأن أصحاب الأعمال الذين يريدون توظيف الأفارقــة، يمكنــهم هذا عن طريق الاتصال بالقنصليات الفرنسية لاستيفاء حاجتهم بـــالطرق الرســمية، ولكنهم إن فعلوا هذا سيكونون مسئولين عن دفع نفقات ســفر المــهاجر والكشــف الطبى عليه، وغيرها من النفقات التى يوفروها علـــى أنفســهم بانتظــار وصــول المهاجر بنفسه إلى فرنسا، ويعرف اصحاب الأعمال أن عدداً ضخمــاً مــن هــؤلاء الافارقة يصل إلى فرنسا بطرق غير شرعية، وكانت الحكومة الفرنسية تغض الطرف أول الأمر عنهم، وكان السبب في هذا أن الحكومة الفرنسية كانت في حاجة إليـــهم للتنمية، خاصة وأن كثيراً من أصحاب الأعمال لم يعودوا يستطيعون العمل بدونــهم، وكانت للافارقة ميزات عديدة، نظراً لأنهم لا يأتون بعائلاتهم، فكان المهاجرون علــى استعداد للبيت في أى مكان: جراج، أو يرقدون في غرف حقــيرة، وأن يقبلــوا أى عمل وبأى أجر، وتحت أى ظروف، كما أن العقبة الكبرى أمام قبولـــهم مــهاجرين وعمال هو الكشف الطبى، وذلك أن الذين يأتون من أفريقيه جنوب الصحراء اعتادوا على المناخات الحارة، فإذا ما وصلوا فرنسا ، فإن نسبة عالية منهم تصاب بالســل، $T.B$ وهذه النسبة تتراوح بين ١٥%، ٢٣%، وإذا اكتشف هذا فســوف يرحلــون فورا، لذلك يعيش المهاجرون الأفريقيون في أوروبا في فزع وقلق مستمرين.

ماذا يعملون ؟

وإذا قلنا أنهم يعملون في أى عمل متاح، فنجد أن ٦٥% يــتركزون فــي صناعــة السيارات والصناعات النسيجية، وكذلك في صناعة البناء والتشيد، ومد الطرق وبناء المطارات، أى في الصناعات الشاقة الخطرة، أو في الأعمال التى لا يقبــل عليــها

الأوربيون ، مثل كنس الشوارع، وإزالة القاذورات، وإذا كان العامل المهاجر منـــهم يتقاضى ما بين ١٠٠٠، ١٢٠٠ فرنك في الشهر، فإن أجر الغرفة مع زميل له تصل إلى ٢٠٠ فرنك، وتنخفض إلى ١٢٠ فرنك مع ثمانية في حجرة واحدة، ونظرا لأنهم يعملون في الصناعات الخطرة، ترتفع بينهم نسبة الحوادث، فوفقا لأحد التقارير تبلغ هذه النسبة ٢% شهريا من العمال الافارقة، فاذا افترضنـــا أن العمـــل ١١ شـــهراً، فمعنى هذا أن أصابة العمل السنوية تبلغ نحو ٢٠% بينهم، ومعظم هذه الاصابـــات تصيب الأيدى التى تسحق تحت آله أو، تقطع أو، يصيبها الحروق.

ويزداد الأمر سوا حين نبحث في أمور السكن، فمن الذى سيأوى عاملا مهاجرا دخل البلاد بطريقة غير مشروعة، كما أنه غير مضمون العمل، حينئذ يقعون تحت أبشـــع صور الاستغلال ، يلجأون إلى غرف تحت الأرض، وأحيانا يحاســبون علـــى النـــوم بالساعة.

وهكذا إذا حسبنا الفوائد التى يجنيها المهاجر، والسلبيات التى يتعرض لها، والمهانة التى يلقاها وجدناها فوق احتمال الإنسان العادى.

هجرة سكان المغرب الكبير :

أما هجرة سكان المغرب الكبيرة فهى هجرة حديثة ترجـــع إلـــى فـــترة الاســـتعمار الفرنسى وما بعدها، وخرج معظمها من الجزائر حيث اســـتوطن المليـــون أوربـــى الجزائر وانتزعوا مساحات ضخمة خصبة من الأرض، فإذا كانوا لم يمثلون ســـوى ١/١٠ السكان وقتئذ إلا أنهم امتلكوا ١/٤ الأراضى الزراعية، وليت الأمـــر اقتصـــر على هذا ، بل كانت معظم هذه الأراضى في الشمال حيث أخصب الأراضى الزراعية، من ثم سادت الملكيات الواسعة بينهم على حين غلبت الملكيـــات الصغـــيرة علـــى المساحات التى أمتلكها الوطنيون.

وقد خضع موضوع هجرة أهل المغرب الكبير لكثير من الدراسات في الوقت الحاضر خاصة في فرنسا ودول السوق المشتركة نظراً لكثرة توافدهم على تلك الأقطار.

وأخذت الهجرة شكلا كثيفاً خلال الحرب العالمية الأولى لأن الحكومة الفرنسية جندت نحو ٨٠ ألف عامل ، وبعثت بهم إلى فرنسا لملء الفراغ فـــي مصانعـــها ، فكـــانت

هجرة أجبارية حتى بلغت نسبتهم ٢,٥ عام ١٩٢١ من المـــهاجرين الأجـانب فــي فرنسا، وبعد ذلك اصبحت اختيارية واشتدت مرة أخرى بعد الحرب العالمية الثانيـــة وخاصة بعد عام ١٩٤٧ حين صدر قانون يلغى جميع الحواجز بين فرنسا والجزائر.
وطبقا لأرقام عام ١٩٩٢، بلغ عدد المهاجرين من المغرب الكبير نحو ٢,٦ مليـــون نسمة، وهم بالترتيب الجزائريون، ثم المغاربه، ثـــم التوانســـه، ٤٥%، ٤٢,٥% ، ١٢,٥%.

ومن حيث توزيعهم على دول الوحدة الأوربيه يبين الجدول التالى عام ١٩٩٤.

القطر	فرنسا	بلجيكا	هولندا	المانيا	ايطاليا	الجملة
المغاربة	٥٨٢	١٣٨	١٤٨	٦٢	٧٨	١٠٠٨
الجزائريون	٨٢٨	١٠	٦	٦	٤	٨٥٤
التوانسه	٢٢٧	٦	٢٣٥	٢٤	٤١	٥٣٣
المجموع	١٦٣٧	١٥٤	٣٨٩	٩٢	١٢٣	٢٣٩٥

ويظهر من الأرقام السابقة تفوق المغاربه بوجه عام على الجزائرييـــن والتوانســـه، رغم أن الجزائريين كانت لهم غالبية المهاجرين في السبعينيات، فقد مثل المغاربــــه ٤٢%، على حين مثل الجزائريون نحو ٣٦%، والتوانسه ٢٢% عام ١٩٩٠.
واذا كانت هذه التقديرات تزيد عددهم قليلا على ٢ مليون مهاجر في الدول الســـت، فإن هناك تقديرات أخرى ترتفع بهذا الرقم إلى ما يزيد على ثلاثة ملايين في أقطـــار الجماعة الأوربية الأثنى عشر (عام ١٩٩٢).
ولا يدخل في هذه الأرقام مجمل الجاليات العربية في أوربا ذات الأصول العربيـــة ، أو الطلاب ، أو ذوو الإقامة المؤقته للسياحة ، فأعداد الطلبة العـــرب فـــي فرنســـا وحدها يزيد على ٦٠ ألفا.
والهجرة العربية توجد ضمن هجرة كبيرة لبلدان الجماعة الأوربيه يســـمى البعـــض هذه الهجرة (بالقبيلة الثالثة عشرة) تضم الهجرة إلى هذه المجموعة نحو ١٤ مليون نسمة، إلا أن نسبة كبيرة من هؤلاء (٦ مليون) من داخــــل المجموعـــة الأوربيـــة نفسها، وبذلك تبقى الهجرة العربية متواضعة فهى لا تمثل أكثر من ١% من مجموع السكان في أوربا الغربية.

ذكرنا أن أعداد المهاجرين من دولة المغرب وحدها يمثلون نحو ٤٢% من مجموع مهاجرى المغرب الكبير إلى الدول الست (دول السوق المشتركة حينئذ) نصفهم تقريبا في فرنسا، والباقى موزعون وبصفة خاصة في الأقطار التى تتكلم الإلمانية يليها أيطاليا وأسبانيا، أما الجزائريون الذين يمثلون ٣٦% فالملاحظ تركزهم الشديد في فرنسا التى تستوعب ٩٧% من المهاجرين إلى الدول الست، يليهم التوانسه وإن كان غالبتهم في فرنسا فإن أيطاليا وإلمانيا لها منهم نصيب كبير، كما يلاحظ ضألة عدد المهاجرين التوانسه إلى الدول الست مقارنه بالجزائر والمغرب، ويرجع في جزء منه إلى هجرتهم إلى لبيبا ودول الخليج.

ولكن بوجه عام تعتبر فرنسا هى الموئل الأول لهجرة سكان المغرب الكبير، فوحدها تستوعب ٧٥% من مجموع المهاجرين إلى الجماعة الأوربية.

والواقع أن علاقة فرنسا مع المغرب العربى تعتبر متميزة ، ولكنها في نفس الوقت متفاوته، فهى مع الجزائر أعمق، لا لأن فترة احتلال الجزائر ظلت أكثر من ١٣٠ عاماً منذ عام ١٨٣٠ إلى ١٩٦٢ ولكن لأن فرنسا اعتبرتها (فرنسا ما وراء البحار).

وقد بدأت الهجرات إلى فرنسا منذ أواخر القرن التاسع عشر بعد هروب الجزائريين إلى فرنسا من الفقر الذى حل بهم نتيجة استيلاء الفرنسيين على معظم الأراضى الخصبة في الجزائر.

ماذا يعملون ؟

ويلاحظ من ناحيه النشاط الاقتصادى تركز الجزائريين في الصناعات التحويلية (السيارات – الصناعات المعدنية) ، والتشييد والبناء، والخدمات ، والتجارة، وعلى حين تركز المغاربة في الصناعات التحويلية يليها التشييد والبناء ثم الزراعة، فنشاطهم متفق مع أنشطة الجزائريين وان ارتفعت بينهم نسبة العاملين في الفنادق على حساب الصناعات التحويليه.

ويلاحظ ان المهاجرين إلى فرنسا في فترة الحرب العالمية الأولى كانوا يستخدمون في التجهيزات العسكرية و مصانع الذخيرة والمواصلات والمناجم وحفر الخنادق من

أجل القتال، والملاحظ أيضا أن الهجرة اثناء الحرب الأولى لم تكن طواعية، بل كانت قسرية من أجل الدفاع عن فرنسا، وكتعويض عن العمال الفرنسيين الذين ذهبوا إلى ميادين القتال ، كما أن موجات وتقبل المهاجرين ورفضهم من جانب الفرنسيين كانت تتوقف على مصلحتهم مثل ما حدث في الفترة من ١٩٢١/١٩٢٣ من تيسير الهجرة إلى فرنسا لحاجة الصناعة الفرنسية لليد العاملة الجزائريه، نتيجة ما حدث للشباب الفرنسى اثناء الحرب العالمية الأولى، وقد تكرر ذلك مرة أخرى عام ١٩٣٩ وبعد أنتهاء الحرب الثانية ١٩٤٥.

وهكذا استقدموا، في الأساس، كقوة عمل رخيصة طيعة، كى يقوموا بأدنى الأعمال في الآلة الاقتصادية الأوربية، في فترة رواج الاقتصادات الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية وفي الستينيات.

ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن، وعلى حد قول أحد الأوربيين " لقد طلبنا عمالا فجاءنا بشر" ، فقد استقر العمال، وأصبحت لهم مطالب قوية على سوق العمل والمجتمع الأوربى العامة، ومن ناحية أخرى استقدم بعض العمال أفراد عائلاتهم، ونشأ جيل ثان من صلبهم في المجتمعات الأوربيه، ومن ثم تكونت مجتمعات مهاجرة متكاملة في أوربا، قوامها عمال مهاجرون في أدنى السلم الوظيفى، ومع ذلك أصبحوا ملفوظين من الذين رحبوا بهم من قبل.

إغراءات للاعادة :

نظراً لكثرة عدد الجزائريين فقد اهتمت الحكومة الفرنسية بالتفاوض مع الجزائريين من أجل إعادتهم، ففى عام ١٩٨٠ وقع اتفاق بين الحكومة الفرنسية والجزائر بغرض تشجيع العودة الاختياريه للمهاجرين، وقدمت فرنسا طبقا لهذا الاتفاق ثلاثة عروض للجزائرين لكى يعددوا إلى وطنهم، وهى الحصول على مبلغ من المال يعادل ٣ شهور، والحصول على برنامج تدريبى مدته شهريين إلى ثمانية شهور يؤهلهم للعمل في الجزائر بعد العودة، ومنح الحرفيين والتجار قروضا تساعدهم على إقامة مشروعات صغيرة في الجزائر، وقدر أن عودة الفرد يكلف الحكومة الفرنسية نحو ١٣(ألف فرنك فرنسى)، ولكن لم يؤت هذا العرض ثماره لتخوف الجزائريين من

مواجهة بطالة في الجزائر، كذلك لم تنجح وسائل زيادة الضغط النفسى من خلال الحوادث العنصرية ضد العرب ووضعت من الناحية السياسية في برامج الاحزاب اليمنية المتطرفة وخاصة منذ عام ١٩٧٥ ، وهى السنه التى سجل فيها أول انخفاض للدخل الأوربى، وبدء ظهور البطالة، والتضخم الشره، وكان من نتائجه انخفاض مستوى النشاط الاقتصادى، وكان وقع ذلك على العمالة المهاجرة خطيراً.

وهكذا اذا كانت هذه الهجرات المغاربية محركها هو الاستعمار فبمرور الزمن صارت دوافعها المباشرة اقتصادية واجتماعية، وانتقلت هجرة المغاربة إلى أوربا من هجرة ذكرية فقط إلى هجرة اسرية حيث أصبحت نسبة النوع بينهم متقاربة.

آثار الهجرة في التركيبة السكانية الفرنسية :

بلاشك هناك آثار عديدة، لأن كل هجرة تمثل مجموعة من العادات والتقاليد والمقدمات الحضارية تختلف عن تلك التى نجدها عند المجتمع الفرنسى، فلابد إذن من التأثير والتأثر، مثال ذلك من الناحية الديموجرافية يتمثل في تعديل البيئة السكانية الفرنسية، ويرجع ذلك إلى قلة المواليد لدى الفرنسيين، بينما هى عالية بين المهاجرين لأنهم من الشباب، فهم يجددون من عمر الهرم السكانى، فضلا عما يقدموه من زيادة سكانية كادت أن تتوقف.

لما كانت الهجرة العربية إلى أوربا من أجل العمل، وأن معظم المهاجرين يقومون بأشق الأعمال لأنهم غير مؤهلين، وكانت أجورهم متدنيه بالنسبة لغيرهم ويقيمون في مساكن غير صحية وفي أحياء معزولة ، كانت أوضاع هؤلاء المهاجرين المهنية والسكنيه والاجتماعية المتدنية من شأنها أن تدعم المواقف والنزاعات العنصرية في المجتمع الأوربى، وأن تعمق الهوة بين ألأوربيين والمهاجرين والعرب، وأن تدفع الأسر إلى مزيد من الإنكماش والتشبث بتقاليد الأصل.

وكان تزايد عدد أبناء المهاجرين العرب نتيجة تزايد الهجرات الاسرية وارتفاع نسبه الانجاب بينهم، مما أدى الى ظهور المشكلات اللغوية والتى تتمثل في أزدواجية اللغة، لغة البيت ولغة المدرسة، وكذلك الصراع من الناحية الاجتماعية بين العادات الأوربية والتقاليد العربية، وخاصة بين الأناث، مما يطرح على ابناء المهاجرين

أزمة الهوية الثقافية، والاغتراب الثقافى الحاد، ومع تدعيم أركان الوحدة الأوربيـــة تزداد المعضلات امام المهاجرين العرب والأفارقة مما يهدد ظــروف حياتــهم وفــي مقدمة المشكلات، تضاؤل فرص التشغيل امام المهاجرين لاتجـــاه أوربـــا للتحديــث واستخدام التكنولوجيا المرتفعة التى تحتاج لتكثيف رأس المال لا تكثيـــف العمالـــة، وهناك المشكلات الخاصة بالأجيال التاليه من المهجرين، لأن البعض استقدم اسـوته، وهنا تأتى قضية الهوية الثقافية والدينية، وآفاق المستقبل، وفرص الاندماج الصعـب والعودة المستحيلة، ومشكلة تقريـــب الفجـــوة بيـــن روح الدســـاتير والممارســـات العنصرية اليومية التى تتبخر معها الحقوق، غير أن أهم ما طـــرأ هـــو انعكاســـات الوحدة الأوربية، وخاصة بعد توسيع السوق وإنضمام اســـبانيا والبرتغـــال، فـــهما مصدران هامان للهجرة إلى دول السوق الأخرى حتى قبل انضمامها فأسبانيا ، لـــها ما يقرب من ١,٥ مليون مهاجر في أوربا ومليونان في بقية العالم، والبرتغال مـــع حجم سكانها المتواضع (حوالى ١٠ مليون) هاجر منها نحو ٤ ملايين ثلثـــهم فـــي أوربا، وتغطى عائدات المهاجرين نحو ٥٠% من العجز فـــي مـــيزان مدفوعاتـــها، وتظهر آفاق المستقبل القريب محملة بتوسيع العضوية (١٥ دولـــة عـــام ١٩٩٥) فربما تحصل عليها تركيا كما أن حرية العمل في أوربا الموحدة تعطى لمواطن أوربا الموحدة حرية الحركة من الأورال إلـــى الاطلنطـــى خاصـــة بعـــد زوال المعســـكر الأشتراكى.

الهجـــــرة الداخـــليـــة في إفــريقـــــيه

هجــــرة العـــــمالة في إفــريقـــــيه

تحركات الرعاة و الحجاج غير هجرة العمالة :

تتخذ الهجرة عدة أشكال، منها حركة الرعاة الذين تختلف طبيعة تحركاتهم وإن كانت جميعاً تتفق في أنها أساسا بحثاً عن الماء والكلأ لحيواناتهم، وأن ظهر فـــي قطـــر كالسودان أن ٥٠% من الرحل يرحلون أساساً بسبب الحشرات، وتعطـــى تقديـــرات

الأمم المتحدة للبدو وأشباه البدو في أقليم الساحل (النطاق شبه الصحراوى أو الأستبس بين أقليم السفانا والصحراء) نحو مليون نسمة ويمكن أن يضاف إليهم نحو ٢ مليون نسمة يعيشون في الصحارى منهم ٤٠٠ ألفا في مصر ٦٠% من شعب الصومال، ونحو ١,٥ مليون في كينيا، ٥آلاف من البوشمن في بتسوانا.

وهناك الحجاج الذين يتدفقون من افريقيه المدارية في اتجاه شرقى نحو شبه جزيرة العرب، والتدفق الرئيسى لهذه الهجرات يبدو من القسم الشمالى لغرب افريقيه على طول مسالك مطروقة منذ القدم ، ويبدو أن الأعداد في زيادة في الوقت الحاضر بعد تقدم وسائل النقل.

وهناك الهجرات الحديثة أى في هذا القرن ، وهى هجرة العمالة، وكانت أثرا من آثار الإدارة الإستعمارية وانتشارها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، فهذه بقدر ما كانت مسئولة عن توقف وتثبيت الهجرات السابقة عن طريق النظم والقوانين الجديدة، إلا أنها كانت مسئولة عن ظهور نوع جديد من التحركات وهو هجرة العمالة من إقليم إلى إقليم مما كان له أثره على ظهور ونمو كثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية.

من هذه الهجرات ما يتجه من الريف إلى الريف، ومنها ما اتجه من الريف إلى المدن، ذلك أن الإدارة الإستعمارية اتجهت نحو إدخال الغلات النقدية وخاصة القطن، ولم تجد هذه الغلات من الأفريقى استجابة أول الأمر، لأنه يسد حاجاته ومطالبه البسيطة في ظل زراعة الاكتفاء الذاتى، ففرضت عليه أحياناً ضريبة الكوخ، وكان عليه أن يبحث عن وسيلة للحصول على النقد إن لم يقم بزراعة هذه الغلات، وكانت هذه الوسيلة هى العمل في مزارع المستوطنين التى انتشرت في السهول الساحلية لتنجانيقا أو في مرتفعات كينيا أو في استخراج المطاط من أشجاره الطبيعيه كما حدث في أوغندا، وكذلك مزارع الكاكاو في غانا والبن والكاكاو في كوت ديفوار.

وكان هناك ضغط مستمر من المستوطنين على الإدارة لإجبار الأهالى على العمل في المزارع الأوربية، فالسير دونالد كمرون يحذر الإدارة في تنجانيقا من عدم استخدامها وسائل الضغط لإجبار الأيدى العاملة الوطنية على العمل في المزارع

الأوربية لأنه يترتب عليه توقف نشاط هذه الجاليــات ، وضيــاع رؤوس أموالــها، وسوء سمعة البلاد (تنجانيقا) مما لا يشجع على جذب رؤوس أموال أجنبية جديدة.

ولم تخلق الغلات النقدية حاجة إلى الأيدى العاملة لزراعتها فحسب، بل كــانت فــي حاجة إليها لأعدادها للتصدير، فمحصول القطن في حاجة إلى الحلج، من ثــم ظــهر طلب ملح من جانب المحالج على الأيدى العاملة، وهذا الطلب كان يلائم بصفة خاصة أولئك الذين يقومون بالعمل فترة ولا يرغبون الاستمرار طوال العلم.

واحتاجت الغلات النقدية لحملها على الرؤوس أو جرها على العربات إلــى الســكك الحديدية، من ثم اشتد الطلب على العاملين في موسم القطن، خاصة إذا ما عرفنا أن هذا الموسم هو موسم نشاط تجارة القطاعى، وكان الحمل على الرؤوس هو الوسيلة الأساسية للنقل، لأن السيارات، كانت في ظهورها الأول، بينما خط حديد ممبسه الذى بدأ عمله عام ١٨٩٦ وصل كيسومو عام ١٩٠١، وكمبالا عام ١٩٣١، كما أن خــط حديد أكرا كوماسى في غانا، أفتتح على مراحل فيما بين عامى ١٩٠٩،١٩٢٣.

ولم يكن هناك سوى خط تنجا - موشى حتى عام ١٩١١ فــي تنجانيقــا، غــير أن تحسن وسائل النقل لم يغلق بابا للعمل، إلا ليفتح أبواباً جديدة، فقد قلل من الحاجــة إلى الحمالين، ولكنه زاد من الحاجة إلى العمل لمد الطرق وإصلاحها، ومد الخطــوط الحديدية فضلا عن ظهور الطلب على العمل الماهر، كقيادة السيارات، وكانت قيــادة الشاحنات فعلا من نصيب الأفريقيين.

دوافــــع الــهــجـــرة :

تتعدد دوافع الهجرة وتتنوع، ولكن يمكن إجمالها في الدوافع الاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية فضلا عن الظروف التاريخية.

غير أنه يمكن القول بأن الدافع الاقتصادى يكاد يكون الدافع الرئيسى ، ذلك أن معظم القبائل المصدرة للأيدى العاملة هى التى عضها الفقر، كما أن مناطق الجذب عــادة هى مناطق المشروعات الحديثة سواء كانت زراعية أو تعدينية أو صناعية، فالحاجة إلى المال هى أساس الهجرة لدفع الضرائب سواء كانت ضريبة الكــوخ أو لإشــباع

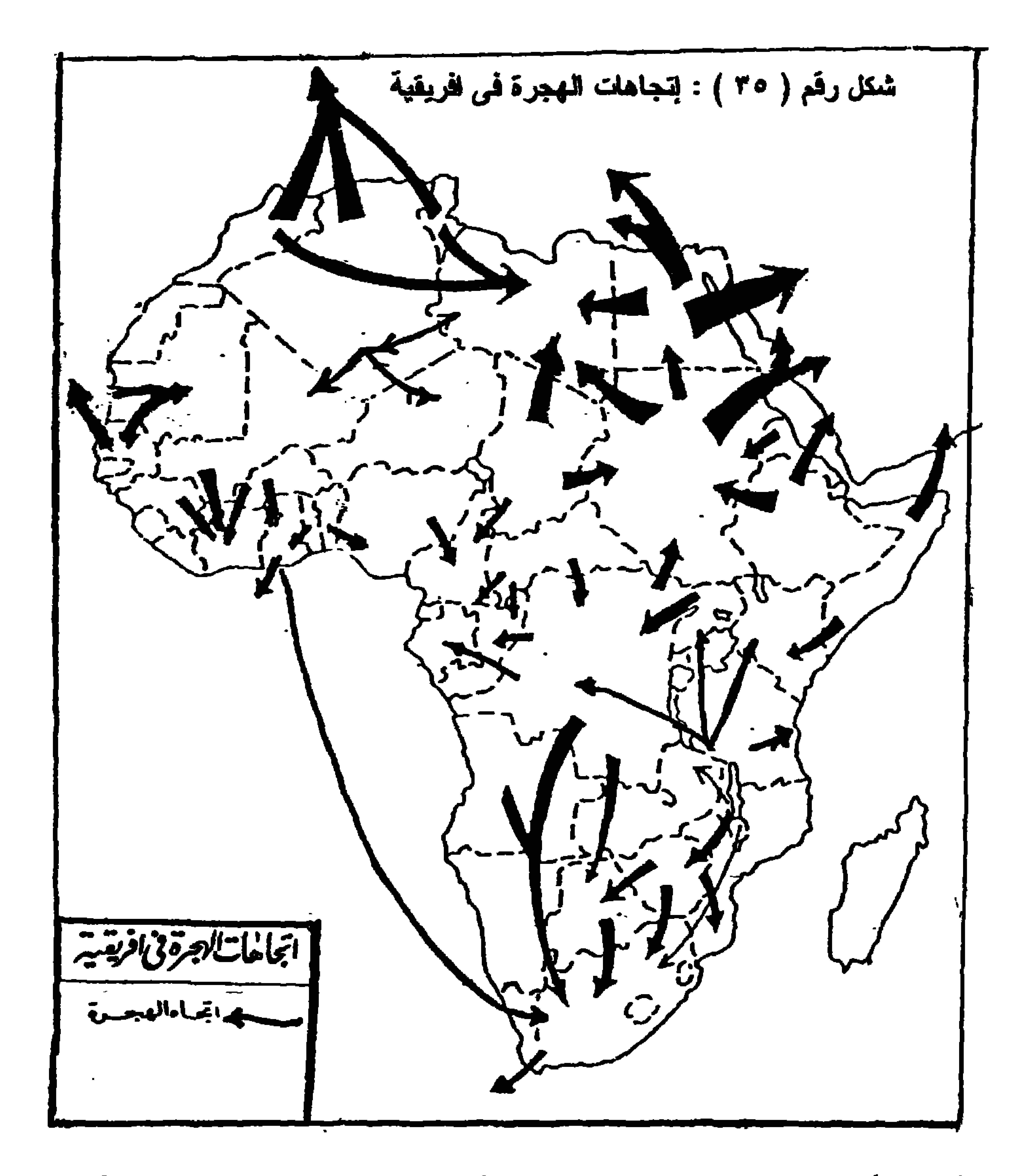
حاجة الإنسان الإفريقى، بعد أن أصبح النقد جزءاً من حياته، حتى أن البعض يعـــزو الهجرة فى شرق افريقيه إلى رد الفعل الذى أحدثته معرفة النقد، والذى ظهرت آثاره سريعة في دخول الناس ميدان بعض النشاطات التى لم تكن معروفة من قبل، وكـــان هذا واضحاً في زيادة الإقبال على السلع المستوردة، خاصة بعـــد وصـــول الســكك الحديدية إلى كيسومو كالأقمشة واسلاك النحاس والعقود، ويذكر اليوت سكينر (فـــي دراسة لقبيلة الموسى في بوركينا فاسو) أن الفرنسيين في عام ١٨٩٦ بعد غزوهم لأراضى هذه القبائل وجدتهم يستعملون الأصداف لتؤدى وظيفة العملة، فلـــم يقبلـــوا هذه العملة المحلية، وفرضوا عليهم الضرائب، وقابل البعض هذه الطلبـــات بزيـــادة العمل أثناء مواسم التجارة مع الشمال الأفريقى، ولكن هذه التجارة بدورها كانت قـــد أقلت، لذلك سرعان ما وجد الأفريقيون أن العمل في الجهات الساحلية أكثر ربحـــاً ، خاصة وأن بعض الضرائب التى فرضت كانت ترتفع بالتدريج مما أدى إلـــى زيـــادة هجرة رجال قبيلة الموسى *Mossi* إلى الجنوب.

ويمكن القول بوجه عام أن هناك تطابق بين الإقاليم ذات الضغط السكانى المرتفـــع، والإقاليم الفقيرة المطر، وبين الطرد السكانى، وتطابق بين الاقاليم الوفـــيرة المطـــر ومناطق المشروعات وبين الجذب السكانى، إلا في بعـــض الحـــالات القليلـــة التـــى سنذكرها في حينها.

ويظهر الدافع الاقتصادى في كينيا، وإن كان يرجع إلى الظـــروف التاريخيـــة وهـــى التوطن الأوربى للمرتفعات، مما أدى إلى عدم التوازن البيئى، فقبل التوطن الأوربـــى لم تكن هناك فجوات واسعة بين اقتصاديات الاقاليم المختلفة لكينيا، فاقتصاد الاكتفـــاء الذاتى سواء كان رعويا أو زراعياً لا يدعو إلى تحركات وهجرات واسعة، وهى التى أصبحت اليوم جزءاً من الحياة الاقتصادية والاجتماعية هناك، ذلك أن نمو وتطـــور المشروعات الزراعية في المرتفعات ، كان له اثر مشابه لنمو حرفة التعديـــن فـــي وسط جنوبى إفريقيه، فهذه الجزر البيضاء ، وسعت الهوة بينها وبيـــن المـــناطق الزراعـــية في كينـــيا لأكثر من عامل([٧]).

([٧]) هذا قبل استقلال كينيا وعودة الوطنيين إلى المرتفعات التي كانت محرمة عليهم.

شكل رقم (٣٥) : إتجاهات الهجرة فى افريقية



أولها : أختلاف هدف المستوطن عن هدف الأفريقى والذى تجلى في زراعـــة الأول للغلات النقدية، والثانى للغلات الاستهلاكية.

ثانيهما: اختلاف التكنيك الزراعى لدى الطرفين اعتماداً على رؤوس الأموال الضخمة التى تدفقت إلى مزارع المرتفعات فضلا عن الخدمات سواء بالســـكك الحديديـــة أو الطرق.

ثالثهما: هو حجز المستوطنين لأكثر جهات كينيا مطــراً وأجودهــا تربــة، وحشــر الأفريقيين من الكيكويو والماساى في مساحات تعجز عن أعالتهم.

وإذا كان من الصعب أحياناً في إفريقيه المدارية تقدير طاقة الأرض، فإن مؤشــرات تدهور التربة متعددة، لعل أهمها هبوط محصول الفدان بحيث تصبح الأرض عــاجزة عن إشباع حاجة السكان، وعلى سبيل المثال ظهر في سيراليون أن جميع الأراضــى المرتفعة تحتاج إلى فترة راحة في الزراعة من ٨ إلى ١٠ ســنوات، لكــى تعطــى محصولا جيداً من الأرز وهو الغذاء الأساسي، هذه الظاهره وهــى تدهــور التربــة تكررت في كثير من جهات غرب أفريقيه وفي دراسة سكينر لقبيلة الموسى عندمــا كان يسأل الشباب المهاجر لماذا الهجرة؟ كانت الردود متشابهة، أنى رجل فقير، كمـا أنى في حاجة إلى المال لدفع الضرائب وشراء الملابس لزوجتى، ولا ننسى أيضــا أن انتشار الغلات النقدية والتبادل زاد أيضا من أهمية المدن كمراكز تجارية وخاصة أن عدداً كبيراً منها يمثل أيضاً موانى بل وعواصم، ومن ثم اشتد الطلب من جــانب المؤسسات ومن جانب الإدارة على العمالة، مما أدى إلى خلق تيار هجرة نحو هــذه المدن، على أنه يجب ألا يفسر الدافع الاقتصادي بعجز الأرض في جميع الأحوال عن مد الأفريقى باحتياجاته، ففى بعض الحالات يفضل البعض العمل في الخــارج حتــى ولو قام دخل المزرعة باحتياجته لأسباب متعددة منها:

١ - يعتقد الكثيرون أنه من السهل الكسب والاقتصاد في الخارج عنه في وطنــهم، ذلك أنه مع شى من العناية ، يمكن للأسرة أن تزرع نصف فدان من التبغ يعطيــها نقدا كافيا ، مع ذلك فالشاب من النجونى يعتقد أن العمل في الخــارج أضمــن مــن زراعة الأرض ، فهو غير خاضع لذبذبات المطر أو سوء أحوال التربة أو أنخفــاض الأسعار وبالتالى يختفى عامل سوء الحظ والمخاطرة.

٢ - إذا استطاع الفرد الحصول على المال الكافى للمعيشة في المســتوى العــادى بالفعل في موطنه، فإنه لا يستطيع الحصول على المال لبعض الاحتياجات الخاصــة وأهمها الصداق المطلوب عند الزواج، لذلك كان ثلثا المهاجرين عادة دون الثلاثيــن،

بل اننا نجد في بعض الأحوال أن متوسطى العمر يـــهاجرون إذا توفـت زوجاتــهم وارادوا جمع قدر من المال للزواج مرة أخرى.

٣ - إذا كان دخله النقدى من الأرض لا يتحمل أى زيادة وأراد الفرد تكويـــن رأس مال له يقيه شر التقلبات ويتمثل عادة في شراء بعض الماعز لمواجهة طوارئ فشل المحصول والمرض..إلخ.

وهكذا يبدو أن فرص الكسب قد تكون متوفرة، ومع ذلك فهناك ما يدفع الشباب لترك القرية والسعى للكسب في غير مواطنه، ذلك أن الشباب غير المتزوج عادة لا يلعـب دوراً كبيراً في اقتصاديات القرية، لأنه لا توجد لديهم حقول مستقلة يزرعونها ومــن ثم ليست لديهم دخول مستقلة.

ومن الدوافع الاجتماعية يذكر ***Winter*** أن معظم الإمبا الذين تركوا مواطنهم كــان بسبب الاضطرابات والخلافات العائلية والخلافات مع الجيران ففى بعض الأحيان قــد ينشب العراك بين الأخوة، ونظراً لضعف الروابط الأسرية نجد أن الحل الــذى يلجـأ إليه الفرد هو الهجرة بمفرده أو اصطحاب زوجته واولاده معه لمدة من الزمن، كذلك إذا أحس الفرد بأن جاره يقوم له بسحر أسود ليمرض أو يسوء محصوله ، فعليــه أن يأخذ أسرته خشية آثار هذه الشعوذة ويبحث عن عمل في اقليم آخر ولكن هــذا السبب على العموم لا يلعب دوراً خطيراً.

ومن الأسباب الاجتماعية أيضا أن هجرة العمالة تعتبر من الطقوس التى لابد منــها، فالشباب لا يصبح صالحاً للزواج إلا بعد فترة اغتراب عن أوطانهم، فكأن الهجرة في هذه الحالة هى تأهيل للزواج يعودون بعدها للقرية، غير أنـــها كمطلـب حضـارى ***cultural requirement*** لا تلغى أثر الدوافع الاقتصادية، فقد ثبت في أوغندا أن ممارسة البحث عن عمل من المسائل ذات الجذور العميقة في الاقاليم التى لا يجــد الشاب فيها فرصة أخرى للحصول على دخل في موطنه، وأن الهجرة التـــى كــانت شائعة في الاقاليم قد اختفت الان بعد ظهور فرص اقتصادية جديدة، لم تكن متوفــرة من قبل.

وأخيراً لا ننسى أن هناك الشباب الذى تستهويه المدينة ببريقها، وتشتد عليه وطــأة

التقاليد القبلية فيحس برغبة في الخلاص من هذا القيد الثقيل.

تركيب المهاجرين من حيث الجنس والسن :

من الواضح تفوق الذكور على الاناث من حيث الجنس، وإن كانت في حالات قليلـــه ترتفع نسبة الاناث، وبذلك تصبح الهجرة عائلية كما هو الحال عند الكيكويو ، ولكـن هذه الحالات قليلة، وفي معظم الحالات نجد أن نسبة الذكور عالية بالنسبة للانـــاث، ومن دراسة للمهاجرين من قبيلة النجونى فى تنزانيا، وجد أن ثلثى عدد المـــهاجرين في رحلتهم الأولى من غير المتزوجين، ومعظم المـــهاجرين المـــتزوجين يـتركون زوجاتهم، وأن كانت هناك زيادة فى عدد المصطحبين لزوجاتهم وأطفالهم بعد الحرب العالمية الثانية، بينما قبل الحرب كان من الأمور غير المألوفة أن تصحب الزوجـــة زوجها، ويظهر أن تقدم النقل والمواصلات بعد الحرب مسئول عن هـــذه الظـــاهرة، وهناك ظاهرة أخرى وهى اصطحاب الأرامل والمطلقات وغيرهن من خاليات الرجال، وهن غير زوجات لهم في رحلاتهم إلى الخـــارج، وإذا كـــانت ظـــاهرة اصطحـــاب الزوجات أصبحت مألوفة بعض الشئ فإن أصطحاب الأطفال مازال غير مـــألوف، إذ يتركون مع أجدادهم لتوفير نفقات وأعباء الحياة.

وظاهرة ترك الزوجات لها أسسها الاقتصادية، ذلك أن هناك موضوع غالبا ما يغفـــل في دراسه الهجرة، وهو دور المرأة في اقتصاد المدينة واقتصاد القرية فـــهى فـــي القرية تمثل عماد اقتصادها، فهى التى تقوم بالعمل الزراعى فعلا، ويكاد يقتصر عمل الزوج أن وجد على الأعمال التى تحتاج لمجـــهودات عضليـــة كـــاقتلاع الأشـــجار، والمساعدة في موسم الحصاد، أما عدا ذلك فهو من اختصاص ، المرأة فإذا تـــرك زوج زوجته في القرية اجتمع لهما دخل الرجل في المدينة، ودخل المرأة في القرية، أما إذا أصطحبها معه في المدينة، فحينئذ تصبح مستهلكة وليســـت منتجـــة لأنـــها ستعيش عالة عليه، ومعنى تركه لها أنه يضع قدما في المدينة، ويترك قدمـــا فـــي القرية.

وأما من حيث السن فالمهاجرون عادة هم الشباب وعادة ما يقوم الرجال برحلتـــهم الأولى قبل سن الخامسة والأربعين، بل والبعض قد يقوم برحلته الأولى وهو صبـــى

بمصاحبة والده أو أخيه الأكبر لأنه من السهل أحياناً إيجاد عمـــل للصغــار بــأجور منخفضة.

ومن ناحية أخرى نجد أن أكثر من نصف الهجرات الأولى تتم قبل الزواج، ومعظـــم الباقى بعد ولادة الطفل الأول، ولكن بعد سن الأربعين يبدأ الرجل الاســـتقرار نظــراً لإلتزاماته المتعددة حيال الأسرة ، ولأنه يصبح أقدر على الحصول على النقد الـــلازم لاحتياجاته، فهو يتلقى الهدايا العينية والنقدية من أقاربه المهاجرين، كما أنه يتلقـــى الصداق الخاص ببناته ويمكن أن نضيف إلى أن مطالبه تبدأ في الإنكماش من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يصبح قادراً على بذل المجهود الجسمانى والفكرى الذى تتطلبـه هذه الهجرات.

نمط الهجرات :

ومن حيث نمط الهجرات نجد أن الهجرات تقسم عادة إلى أكثر من قسم وهى

١- الهجرات المؤسمية :

ومعظمها من الرجال، يقومون بها خلال الشهور التى يقل فيها العمل الزراعى، إلـــى المناطق التى يشتد فيها الطلب على الأيدى العاملة في المدن أو فـــي المشــروعات الزراعية المجاورة، وقد تبلغ مدة الغياب عن القرية في هذا النوع نحو ستة شهور، ويقطعون خلالها مئات الأميال، هذا النوع من الهجرات يميز غـــرب أفريقيــه فـــي مواسم جمع الكاكاو.

٢- الهجرات القصيرة الأجل :

وهذه قد تستغرق مددا أطول تتراوح بين العام والعاملين للعمل في المدن أو المنــاجم أو المشروعات الزراعية، وقد يعمل هؤلاء بعقد، فـــهم عمـــال أهــداف ***Target Workers*** فبمجرد تحقيق هدفهم وهو جمع بعض المال يرتــدون إلـــى أوطانـــهم، ويحتاج هذا النوع إلى تنظيم وترتيب.

٣- الهجرات الدائمة :

وهى التى تنتقل فيها ألأسرة بكاملها وتتوطن في المدن أو في مناطق المشـــروعات الزراعية، وينتمى إليها أيضا الشباب الفار من تقاليد القبيلة، والذى اجتذبته المدينـــة وقطع صلته تماما بموطنه الأصلى وضاع في غياهب المدينة.

وتنتمى هجرات شرقى افريقيه في معظمها إلى النوعين الأول والثانى، وبصفة عامة النوع الثانى، ويتمثل النوع الأول في هجرة العمالة إلى زنجبار وبمبا في موسم جمع القرنفل، أما النوع الثانى الأكثر وضوحاً فهو أهم ما يميز هجرات العمالة في شـــرقى إفريقيه عن غربيها وهو الهجرة المؤقتة.

فمعظم المهاجرين قضوا في الخارج مدة تتراوح بين السنة والنصف وسنتين، وفـــي نفس الوقت نجد أن البقاء أكثر من عامين يعتبر من الأمـــور غـــير العاديـــة، فقـــد انخفضت نسبة هذه الفئة إلى ٩% وهذا النوع من الهجرة يعطى صورة حقيقية لنمط الهجرة في شرقى إفريقيه.

اما عن أسباب هذه الهجرة المؤقتة فيرجع إلى توزيع الافريقى نفسه بين العمل بأجر وعدم تركه مزرعته، فهو كما قلنا يضع قدما في المدينة أو المشروعات الزراعيـــة والمناجم ويترك قدما أخرى في قريته، فمن المعتاد أن يبحث عن عمل ، ولكن ليعود إلى قريته بعد وقت طال أو قصر، لزراعة أرضه عكس ما هو معهود في المنـــاطق المتقدمة، حقيقة هناك عمال دائمون، ولكن ما زالت اعدادهم قليلة، ولعل الاختـــلاف هنا يرجع إلى أن نمو المدن في أوربا كان مرتبطا بنمو طبقة جديدة من الناس وهى طبقة العمال الصناعيين الذين يسكنون المدن نهائياً، بينما زاد نمو المدن في إفريقيه المدارية، ولكن ليسكنها الافريقيون لفترات قصيرة يرحلون عنـــها ويحـــل محلـــهم غيرهم، ويفسر هذا على أساس عدم رغبة المهاجرين في قطع صلاتـــهم بأوطانـــهم الأصلية ، وترك أراضيهم الزراعية، فدخل الزراعة جزء من دخل الأســـرة ولا يقـــل أهمية عن دخله في المدينة ، لذلك وجدنا أن الرجل في معظم الأحوال يترك زوجتـــه أو زوجاته وهن عادة يقمن بزراعة الغلات الغذائية التى تكفـــى الأســـرة، وأحيانـــا مساحات قليلة من الغلات النقدية، وتظهر أهمية الأرض في الجهات التى تشتد فيـــها

كثافة السكان، وحينئذ يشتد ارتباط الأسرة بالأرض لأنها لو فقدتها فلـــن تســتردها ثانياً، وقد يخرج تفسير الإرتباط بالأرض من دائرة الاقتصاد البحث إلى دائرة الحيازة الزراعية ، فالحيازة هنا ليست ملكية للأرض بقد رما هى ملكية للمحاصيل فـالأرض لمن يفلحها، ومن النادر أن تجد رجلا يحصل على تعويض إذا ما أخلى المنطقة التى يشغلها: على هذا الأساس ما دام الرجل لا يأخذ تعويضاً عن أرضه التى يتركها، كما أن ليس له الحق فيها إلا إذا كان هو وعائلته يقوم بفلاحتها، فهو لا يتركها ويعتـبر العمل في المدن عملا مؤقتاً ليحصل به على النقد الكافى لاستكمال مطالبه ، كشـراء دراجه يحمل عليها محاصيله إلى الأسواق أو ملابس أو أغطية واقية مــن المطـر لكوخه أو بناء مظلات أو دفع الصداق، فإذا ما تحقق هدفه قفل راجعاً إلــى قريتــه، وقد ثبت صحة هذا في كونهم لا يبحثون عن ثمار عملهم في المــدن فــي صـورة استهلاك سريع ولكن في صورة اقتصاد واختزان المال.

ونظراً لانتشار ظاهرة اقتصاد المهاجرين لنفقاتهم فــي المدينــة وجدنــا أن بعـض المشروعات الزراعية تختفظ له بجزء من أجره يتسلمه عند انتهاء فترة العمل.

محاور الهجرة في شرقى افريقيه :

يمكن أن تميز في شرقى افريقيه اتجاه عام وهو نحو الجـهات السـاحلية أو نحــو الشرق، فقد خرجت من رواندا وبوروندى أعداد كبيرة نتيجة للكثافة العالية للســكان في هاتين الدولتين الصغيرتين، وكانت وجهتهم الرئيسية هى مزارع البن والقطن فى أوغندا إلى الشمال والغرب من بحيرة فكتوريا حيث يوجد منــهم نحـو ٣٠٠ ألـف يعيشون بصفة دائمة، كم حدثت هجرة أعداد كبيرة فــي أوائــل الســتينيات نتيجــة للانقلاب الذى قام به الهوتو (الشعب) ضد الطبقة الاقطاعية من (التوتسى) ممــا أدى إلى هروب نحو نصف مليون من التوتسى من رواندا إلى اوغندا، أما كينيا فتتمــيز بأن الهجرات الداخلية فيها أكثر من الخارجية، وكان للسمات الاقتصادية التى تتمـيز بها كينيا عن جارتيها اوغندا وتنزانيا في كونها تقوم بدور الوسيط التجارى ، وكذلك زيادة النمو المدنى والحركة التجارية في العاصمة نيروبى ممبسه، فضلا عن اقليــم المرتفعات حيث الزراعة التجارية، ومعظمهم من قبيلة الكيكويو، وتعتــبر الجــهات

الساحلية فى تنزانيا مناطق الجذب الرئيسية لزراعة السيسل فضلا عن نمو المـــدن والموانى بها ، ويأتيها العمال من موزمبيق جنوباً، وأحياناً من مالاوى وقد تأتيـــها من جهات بعيدة كرواندا أو بوروندى.

وتمثل أيضا جزيرتا زنجبار وبمبا مناطق استيراد رئيسية بسبب زراعــة القرنفـل، وحاجته الكبيرة إلى الأيدى العاملة خاصة في موسم جمع المحصول الذى يشترك فيه الجميع صغاراً كانوا أم كباراً، إناثا كانوا ام ذكوراً وإذا كان من العمـــال المـــهاجرين من يأتونها من الأرض الأصلية لتنزانيا، فإن، منهم من يأتيها من رواندا وبوروندى أيضا.

محاور الهجرة في غرب أفريقيه :

معظم هذه المحاور تتجه من الشمال إلى الجنوب أى من الدول الفقـــيرة كبوركينـا فاسو ومالى والنيجر إلى غانا وكوت ديفوار وبنيـــن ونيجيريـا، أى مـن الاقـاليم السودانى إلى الاقليم الإستوائى، ففى هذه الأقطار الساحلية يرتفع نصيب الفرد مـــن الدخل القومى، وفيها تقوم زراعة الغلات النقدية (نخيـــل الزيـت، الكاكـاو، البـن والمطاط، فضلا عن الثروة المعدنية البترول الحديد، الذهب، المـــاس) وفـي هـذه الاقاليم يطول فصل المطر حتى ليصبح معظم العام على أطرافه الجنوبيـــة، عكـس الدول الساحلية التى ذكرناها التى يقصر فيها فصل المطر، ويتعرض لذبذبات حـــادة تصل بالجفاف أحيانا إلى خمس سنوات متتالية تكرر أكثر من مرة ، بل لقـــد كـان موقع هذه الأقطار حبيسة بعيدة عن الساحل له أثره في جعل بعض المزارعين يفضل الهجرة والعمل في الدول الساحلية عن زراعة أرضه وبيع محصوله بعائد منخفـض في وطنه الأصلى، وأشهر القبائل المهاجرة جميعا قبيلة الموسى من بوركينا فاســو. وهناك محور شرقى غربى نحو السنغال وغمبيا يتوقف على أخبار الأجور في هـــذه الجهات ويطلق عليهم في السنغال *Navetanes* وفي غمبيا المزارعـــون الغربــاء *Strange farmers* ويقدر المهاجرون في هذا الاتجاه بنحو ٧٥ ألف سنويا.

محاور الهجرة في إفريقيه الجنوبية :

يقدر حجم حركة الهجرات والتحركات العمالية في جنوب القارة بنحو ٣ مليون نسمة، ينتقلون من مواطنهم وأماكن عملهم، ومعنى هذا أن اقتصاد جنوب أفريقية والذى يعتبر متقدماً يعتمد اعتماداً كبيراً على العمالة المهاجرة الرخيصة، فضلا عن عملية الفصل بين الأجناس، وتعتبر مناجم الذهب أكبر موظف لهؤلاء العمال الأجانب الذين يعيشون في مجمعات حول المناجم، اما المزارع الأوربية فلها الأولويات في العمالة وعادة ما تدفع جزءا من الأجر عينا، وتعتمد المزارع والمناجم الأوربية على الأيدى العاملة اللازمة من مالاوى ومن الدويلات التى تقع داخل جمهورية جنوب إفريقيه وهى ليسوتو وبوتسوانا وسوازيلاند ، فهذه الدول الأربع تعتمد اعتماداً كبيراً في اقتصادها على هجرة عمالها إلى جنوب إفريقيه ، من ثم كانت عدم قدرتها على معارضة سياستها العنصرية، كما كانت تاتيها هجرة من زامبيا، ولكن حكومة زامبيا منعتها، كما كانت موزمبيق وقت الإدارة الاستعمارية البرتغالية، مورداً رئيسياً يصدر وحده نحو ٢٠٠ الف عامل سنويا في مقابل حصة من صادرات جنوب افريقيه تصرف عن طريق ميناء مابوتو.

محاور الهجرة في أفريقية الشمالية :

شهدت تونس والجزائر والمغرب هجرة ريفية إلى المدن والاقاليم الساحلية سواء المطلة على الاطلنطى أو البحر المتوسط.

أما عن الهجرة في مصر فهى إلى القاهرة والاسكندرية اساسا من محافظات الوجه القبلى ومن محافظات أقصى شمال الدلتا وأقصى جنوبها.

مشكلات العماله المهاجرة (٨) بين الدول الأفريقية :

الغريب فى الأمر أن هذه الهجرات قديمة ولم يترتب عليها مشكلات أثناء الفترة الاستعمارية، ولكن للأسف وعكس ما كان منتظرا بعد الاستقلال، ورفع شعارات الوحدة الإفريقيه والتضامن الإفريقى، ظهرت وتعددت المشكلات وأقيمت العقبات،

---

(٨) اللاجئون غير المهاجرين.

هذا رغم أن الاتفاقات تنص على إزالة الحواجز المعوقة لاتصال الافراد عبر الدول، كما حدث في اتفاقية الجماعة الاقتصادية بغرب إفريقيه (الاكواس) *Ecowas* التي وقعت في لاجوس في نوفمبر ١٩٧٦، كما أكده الاجتماع الخامس لتلك الجماعة في مايو ١٩٨٢ وغيرها من الاجتماعات، ورغم ذلك فقد حدثت مهازل في هذا السبيل فقد أجبرت أوغندا نحو ٤٥٠٠ من أبناء روندا على مغادرة البلاد عام ١٩٨٢، كما طردت جابون أكثر من ١٠ آلاف نسمةٍ ينتمون إلى دولة بنين كانوا يعملون بها، وقامت غانا بترحيل نحو ٢٠ ألف نيجيرى عام ١٩٦٩، غير أن أحدث وأعنف حركة طرد للعمال المهاجرين كان ما فعلته نيجيريا في يناير ١٩٨٣ حين حدد وزير الداخلية النيجيرى مهلة ١٥ يوماً ، يتم بعدها طرد العاملين الافارقة الموجودين في نيجيريا بصفة غير شرعيةً، ثم عادت نيجيريا ومدت المهلة لأول مارس ١٩٨٣ بالنسبة للموظفين والعاملين بعقود رسمية، مما كان له أثره الكبير على حدوث حالة شديدة من الفوضى والاضطراب والذعر نتيجة تسابق العمال الأفارقة على مغادرة نيجيريا، وأسفر ذلك عن مصرع العديد من الأشخاص جوعا ، أو نتيجة الحوادث على الحدود، وقد وجهت إلى نيجيريا اتهامات بخرق اتفاقيات الجماعة الاقتصادية لغرب إفريقيه، ولكن نيجيريا ترد على ذلك بان حرية الانتقال داخل المنطقة لا تنطبق على قواعد العمل والإقامة، وأضاف رئيس نيجيريا بأن معظم النازحين إلى نيجيريا يأتونها للسياحة ، ثم يمدون إقامتهم ويمارسون العمل داخل البلاد بشكل غير شرعى.

وفي الحقيقة رغم التبريرات العديدة والتى تذكرها الحكومات الطارده مثل قيام المهاجرين بأنشطة تخريبية، فأن الأمر يرجع بالدرجة الأولى إلى التدهور السريع في اسعار البترول ، وأنخفاض الكميات المنتجة نتيجة تراخى الطلب عليه، ففى نيجيريا مثلا أنخفض الإنتاج عام ١٩٨٣ إلى ٨٠٠ الف برميل يوميا، بينما كان في السنوات الثلاثة السابقة ٢,٤٠٠ مليون برميل، كما أنخفضت عائدات البترول من ٢٧ مليار إلى ١٦ مليارا، وأدى هذا زيادة العجز، وتوقف المشروعات وزيادة البطالة، وبالتالى أنخفاض القدرة الاستيعابية للنظام الاقتصادى النيجيرى، بمعنى أنه

لو عادت مرة أخرى أسعار البترول إلى الارتفاع ، وزادت الكميات المنتجة فإن هـذه الدول ستكون في حاجة إلى اسـتقبال هـؤلاء المـهاجرين مـرة أخـرى لتنفيـذ مشروعاتها.

الفصـــل الثـامـــن

الاقتصاد الافريقى وضروب المعيشة

خصائصه :

تتميز إفريقية بتعايش اقتصادين مختلفين معا وعلى طرفى نقيض : اقتصاد معيشـى ***Subsistance Economy*** واقتصاد تبـادلى ***Exchange Economy*** وأن كان معظمها يعيش في حالة انتقال بين النوعين، النوع الأول إنتاج غذائـى لكفايـة حاجة السكان، والثانى للتصدير، وليس من شك أن الاقتصاد المعيشى نطاقـه أكـثر إتساعا سواء في للزراعة أو الرعى، ويستوعب معظـم الأيـدى العاملـة والأرض المستغلة، أما الاقتصاد النقدى أو التبادلى الذى يعتمد على رؤوس الأموال والخـبرة فقد دخل مع الاستثمارات الأجنبية، ويظهر في قطاع إنتاج الغلات التجارية كـالقطن والبن والشاى ، فضلا عن قطاع التعدين ويتميز الاقتصاد الإفريقى بسـيادة النشـاط الاستخراجى أو الإنتاج الأولى، بمعنى تغلب الحرف الأولى كالصيد والرعى والزراعة على الحرف الثانية والثالثة كالصناعة والخدمات، وحتى الصناعة في معظمها فـهى استخراجية في المكان الأول، والتحويلية منها اسـتهلاكية فـي المرتبـة الأولـى، كالصناعات الغذائية والمنسوجات.

ويتميز الإنتاج وخاصة التجارى منه بأنه جزرى أو بمعنى آخر مبعثر وليس علـى هيئة نطاقات كما هو الحال في أمريكا الشمالية مثلا، وقد يرجع هذا في الزراعة إلى مشكلة المياه ، أو حالة التربة، والنماذج واضحة لهذا الإنتاج الجزرى، فـي مصـر مثلا نسبة المزروع ٣,٥% من المساحة الكلية، في النيجر لا تحتل الزراعة سـوى نطاقا عرضه ٨٠ ميلا شمال النهر، وتتكرر الصورة من الناحية التعدينيـة، فـهناك

نطاق النحاس في زامبيا وزائير، واقليم الذهب والبوكسيت في جنوبى غربى غانا، وجزر البترول في صحارى شمال أفريقيةوغربيها.
وأخيراً هو اقتصاد نامى أو متخلف في معظمه سواء بمعيار الدخل القومى أو توزيع العاملين على الحرف المختلفة، أو نصيب الفرد من استهلاك القوى المحركة أو الدلالات الاجتماعية، كتوقع العمر وتداول الصحف، ونسبة الأطباء والأمية، وهو اقتصاد يعتمد على التصدير بالدرجة الأولى، والتصدير هنا خامات والمواد الغذائية في المكان الأول.

الاقتصاد المعيشى *Subsistance Economy*

الجمع والالتقاط والصيد

وهى من الأشكال الاقتصادية البائدة في معظم انحاء العالم ومع ذلك تتمثل في مساحات واسعة من أفريقية سواء في الوسط أو الجنوب أو في الشرق، غير أن هذه المناطق نجدها مبعثرة في جهات منعزلة غير جذابة، ويقدر عدد الذين يعملون بها بنحو ١٠٠ ألف نسمة ، وهو عدد ضئيل، ويتمثل أكثر ما يتمثل في أقزام زائير، ولدى البوشمن في صحراء كلهارى، وفي الجماعات المماثلة التى تعيش بين الجماعات الاكثر تحضرا مثل قبيلة السانداوى في تنزانيا، والتى يرجح أنها من بقايا البوشمن، ومثل قبيلة الماجو في جنوب أثيوبيا ، ومثل الدروبو في شرقى إفريقيه.
ومعظم الجماعات التى تعيش على الجمع والإلتقاط تعيش جماعات صغيرة، تتراوح بين عشرة وعشرين نسمة، يتحركون من مكان إلى آخر كل أسبوع أو أسبوعين، من ثم لا تزيد كثافتهم في معظم الأحوال عن نسمة واحدة للكيلو متر المربع، وعادة ما تقل الكثافة عن هذا ورغم ، الاختلافات العديدة بين هؤلاء السكان، فإن هناك تشابها في المستوى الحضارى فهى جميعا تستعمل الحراب المسممة والأقواس والسهام، ولا تعتمد على هذه الحرفة فقط وإنما تعتمد على بعض الحرف الأخرى الثانوية.

غير أن الدروبو في مرتفعات كينيا يبنون خلايا خشبية للنحل، ويعلقونها في أعـــالي الأشجار، ولا تحتاج هذه الحرفة إلى تعاون كبير فهي حرفة فردية، ويستثنى من هذا الصيد عند الأقزام، حيث يقوم الأطفال والنساء بالدق على الطبول، لدفع الحيوان فـي اتجاه الشبكة . وأدت حرفة الصيد خصوصا في العصر الحديث وبعد دخول الاسـلحة النارية واستعمالها بواسطة الأوربيين وأحيانا الأفريقيين - إلى القضاء علـى كثـير من الحيوان الوحشى، وعدم إيجاد توازن في البيئة، ذلك التوازن الذى كانت تحدثـه الطبيعة ، هذا الاختلال في التوازن نتيجة شدة الطلب على بعض الأنواع كسن الفيل، أو جلد التمساح أو قرن الخرتيت أدى إلى فناء هذه الأنواع بأعداد كبيرة، على سبيل المثال كان لزيادة صيد التماسيح في نهر النيل أثره في زيادة أعداد بعض الأســماك المفترسة، التى كان يفضلها التمساح، وكان لهذا أثره على بعض أنــواع الأسـماك القيمة من الناحية الاقتصادية، وأدت زيادة صيد الفهود إلى زيادة أعـداد الخنـازير البرية والقرود، وهذه تضر الزراعة خاصة زراعة الحبوب الزيتية كالفول السودانى، بحيث أصبحت تمثل خطراً على الإنتاج الزراعى في بعض المناطق هذا فضـلا عـن طلبات حدائق الحيوان والسيرك فى العالم . ومن أجل الإبقاء على الحيـوان وعـدم افنائه تماما ظهرت فكرة المناطق المحجوزة وفيها يمنع الصيد بتاتا ، سـواء كـان بترخيص أو بدون ترخيص ويطلق عليها أسماء عديدة مثـل : المعـازل الطبيعيـة *Natural Reserves* ومعازل الحيوان *GameReserves* كما أدى الاسـتمرار فى الصيد الجائر الى اهتمام المؤسسات الدولية ذات العناية بحماية البيئة الى وضـع نظام الحصص، ولكن للأسف بعض الدول الافريقية عارضته ، والبعض الأخر لايلتزم بالقرارات التى تتخذ. وحتى نبين خطورة هذا الاستنزاف، نذكر أنه خلال الثمانينيـات انخفض عدد الفيلة الإفريقيه من ١,٣ مليون الى ٦٠٠ ألف فيل، وفى أنجولا وحدها قتل نحو ١٠٠ ألف فيل بواسطة قوات اليونيتا ، وذلك لتمويل عملياتـها العسـكرية ضد الحكومة المركزية، كذلك الحال فى أوغندا، فخلال عقدين من حـروب أهليـة، واضطراب اقتصاد البلاد، والحاجة الى تمويل حملات حروب العصابات، كان هنـاك ضغط على الثروة الحيوانية الوحشية لبيع منتجاتها، فقد إختفت ٩٥% من الـثروة

الحيوانية الوحشية التى كانت تضم أكبر حديقتين قوميتين فى البلاد بين ١٩٧٠ ، ومنتصف الثمانينيات، ورغم الحظر الشامل على صيد الفيلة منذ ١٩٨٠ ، فقد صدرت أوغندا ٢٨٠ طنا من العاج عام ١٩٨٧ ، ويبدو أن الطلب الكبير والأسعار المغرية لها أثر كبير، فشدة الطلب على قرون الخرتيت من جانب اليمنيين لصناعة مقابض الخناجر التقليدية، كان مسئولا عن اختفاء الخرتيت تقريبا من أوغندا، وينطبق الحال على زائير وزامبيا وكينيا وتنزانيا اللاتى اختفى مايتراوح بين نصف وثلثى ثروتها الوحشية.

حرفة الرعى

إذا كانت حرفة الصيد هى حرفة استهلاكية . فإن حرفة الرعى تعتبر حرفة إنتاجية بمعنى أن الإنسان بعد أن كان مستهلكا تماما للحيوان، أصبح مستهلكا ومنتجا، بل أن إنتاجه فاق استهلاكه .

ويقدر أن ٤٠% من رعاة العالم يوجدون في افريقيه ، غير أن عددهم الذى يقدر في افريقية بما يزيد على ١٧ مليون نسمة، يعتمدون كليا أو جزئيا على الرعى لا يمثلون سوى نحو ٥% من سكان القارة، وينتشر الرعى بصفة عامة في قوس كبير يحيط بالغابات الحارة الممطرة، ويقع تقريبا بين خطى مطر ٣٠ سم، ٦٠ سم، لأنه إذا زاد المطر على هذا تصبح الزراعة، والاستقرار أكثر إنتاجا، إذن فالرعى يرتبط هنا بإقاليم الحشائش بأنواعها المختلفة، وقد تقع بعض الدول بكاملها في داخل هذا النطاق كما في موريتانيا والصومال حيث تعلو نسبة الرعاة على الزراع، فتبلغ في كل منهما نحو ٧٠% بينما تنخفض في بعض الدول التى تغلب عليها الصبغة الصحراوية كالجزائر والمغرب (٣% ١٠% على الترتيب) لتركز السكان في النطاق الساحلى الممطر.

وإقليم الحشائش في افريقية كما ذكرنا في الاقاليم النباتية ، يمتد شمال نطاق الغابات الاستوائية في غرب افريقية حتى حدود الاقليم الصحراوى، كذلك يمتد في شمال إفريقية حتى سفوح هضبة اثيوبيا ، ثم يدور اقليم الحشائش ليشمل هضبة شرق

إفريقيه التى كان من المفروض فيها أن تتبع الاقليم الاستوائى، لكن عامل الارتفاع اخرجها نباتيا عن الاقليم الاستوائى، وأصبحت أقليما للحشائش ثم بعد ذلك تشمل حشائش السفانا معظم الهضة الجنوبية خاصة الجهات الوسطى . كذلك يوجد الرعى الصحراوى سواء في الصحراء الكبرى أو في صحراء الصومال وأن كان لا يوجد في صحراء كلهارى، لأن جماعات البوشمن من الصيادين.

على هذا الأساس تصبح الأبقار هى حيوان الرعى في اقليم السفانا وتصبح الإبل هى حيوان الرعى في النطاقات الصحراوية والأغنام والماعز توجد مع هذا وذاك، وأما الخنازير فتكاد تقتصر على مزارع المستوطنين، ويقدر عدد الماشية الافريقية بنحو ١٢٥ مليون رأس، وهذا العدد يعتبر ضئيلا إذا قورن بعدد الماشية في الهند الذى يقرب من ١٧٥ مليون راس، أو الولايات المتحدة الامريكية الذى يزيد قليلا على ١٠٠ مليون رأس برغم اختلاف المساحة وعدد السكان.

ولا يقتصر الأمر على العدد فحسب، بل يتعداه إلى الكيف أيضا، أى نوعية الماشية فمعظمها من النوع الهزيل، ومعظمها لا يعطى إنتاجاً كبيراً من الألبان، كما تجتاحها الأوبئة بين الحين والحين، بل أن بعض القبائل في أنجولا وفي غرب أفريقية يحرم حلب البقر أحيانا.

لذلك فالاستفادة الاقتصادية من حرفة الرعى استفادة قليلة، وكانت هناك ظروف طبيعية وبشرية ساعدت على هذا ، أهمها ما يلى :

(أ) الظروف الطبيعية من ذبذبة المطر الحادة خاصة في المناطق الهامشية، هذه الذبذبة خاصة ، إذا تتابعت لعدة مواسم ، كان معناها هلاك أعداد غفيرة من الماشيه، لاحظ ما أحدثته سنوات الجفاف في اقليم الساحل في سنوات متفاوته بين ١٩٦٩، ١٩٩٠.

ويحتاج الثور أو البقرة إلى شرب ما لا يقل عن ٣٠ لترا من الماء يوميا، وإذا حرمت البقرة من شرب هذه الكمية، فإنها لا تلبث أن تصبح بقرة عجفاء، هذا بينما يرتبط تكيف الجمل ارتباطا مباشرا بعدد من الخصائص التشريحية والفسيولوجية، فالصوف الكثيف الذى يغطى ظهره يقيه من الاشعاع الشمسى، ذلك أن درجة حرارة

السطح الخارجي وهى ٥٠° م تقابلها درجة حرارة الجلد التى لا تزيد علـــى ٤٠° م، والجمل لا يفقد سوى النذر اليسير من الماء لأن غـــدد العـرق الكثـيرة لا تــؤدى وظيفتها إلا إذا زادت درجة الحرارة على ٤١°م، وعلى عكس معظم الثدييات ، فـــإن درجة حرارة جسم الجمل ليست ثابتة، ويمكن أن ترتفع درجة حرارتــــه بمقــدار ٦° خلال الصيف، وعندما ترتفع الحرارة الخارجية، فإنه يجمع مخزونا من الســـعرات الحرارية يطلقها بالاشعاع في برد المساء بدون عرق ، ويستطيع الجمل أن يعيـــش على طعام من العلف الجاف، دون أن يشرب ماء لمدة تتراوح بين ٣٠،٤٠ يوما في الشتاء، ولكنها تنخفض الى عشرة ايام أو نحو ذلك في الصيف.

(ب) الرحلات الطويلة التى تقوم بها الحيوانات، لأن المطر في اقليم الســـفانا مطــر صيفى ، وبالتالى تشتد الحاجة إلى الماء، وتشتد الحاجة إلى الغذاء في فصل الشتاء، وتؤدى هذه الرحلات إلى إجهاد الماشية وأحيانا إلى فناء الأنواع الصغيرة .

(ج) إنتشار ذبابة تسى تسى في مناطق متسعة من وسط القارة - مما حرمها مــــن إمكانات تربية الماشية، بل أن نطاق التسى تسى يتذبـــذب نحـــو الشـــمال ، ونحـــو الجنوب ، تبعاً لفصل المطر، بمعنى أنه يخرج عن نطاق الغابـــات الاســتوائية إلــى النطاقات المجاورة في فصل الرطوبة.

(د) أن مهنة الرعى هى النشاط الأساسى الذى ساد المناطق الجافة وشبه الجافة فـــي القارة، وذلك ضمن إطار البداوة والترحال، وقد حافظ هذا النمــط المنتشــر للإنتـــاج الحيوانى على التوازن الايكولوجى الهش حتى عهد قريب، حيث تكاملت الخصـــائص الطبيعية والبشرية المميزه لهذه النظم الايكولوجية مع بعضها لتمــد الإنســان بكــل احتياجاته، ولكن مع الزيادة المطردة في السكان وما يتبعها من زيادة عدد الحيوانات في النصف القرن الأخير، نتيجة الرعاية الصحية والطبية للإنسان والحيـــوان، أدت الزيادة السكانية إلى التوسع في زراعة الأراضى الهامشية (بين خطى مطر ١٠سم ٣٠سم) وهى الأراضى التى تعتبر المراعى الطبيعية الأكثر إنتاجا والأكثر خصوبـــة، وتتحول إلى أراضى زراعية لإنتاج محاصيل مختلفة، ولم يقتصر الأمر على هذا، بــل امتدت الزراعة إلى الفيضات والوديان المنتشرة ضمن المناطق الجافه وشبه الجافة،

مما أدى إلى تقليص الرقعة الرعوية، وزيادة الضغط على بقية المنـــاطق الرعويـــة فتدهور الجزء الأكبر منها نتيجة لأسباب عديدة، وأدت هذه الممارسات إلـــى زيـــادة معدل تدهور المراعى إلى أن أصبحت تصحرا للمراعى أيضا، فقد تقلصت المراعـــى في السودان مثلا بمعدل سنوى قدره ٤٠٠ الف فدان بين عامى ١٩٦٨،١٩٨١.

(هـ) تلعب الحشرات دوراً كبيراً في ايذاء الماشية فـــي فصـل المطـر، وخاصـة البعوض الذى يتكاثر وتشتد وطأته أثناء فصل المطر، وقد يؤدى إلى هـــلاك بعـض الحيوانات إذا لم تجد الحماية الكافية من أصحابها، ولذلك يسوق السكان حيواناتـــهم إلى حظائرهم بمجرد مغيب الشمس، ويلجأون إلى أكواخهم وتحرق كميات كبيرة مـن روث الماشية التى تملا الجو بالدخان، حتى لا يستطيع الانسان رؤية الماشية، وبهذه الطريقة يطرد البعوض، وتقل هذه النيران في نهاية فصل المطـــر لقلـــة البعـوض نسبيا، أما في فصل الجفاف فينخفض البعوض إلا بالقرب من المســتنقعات، وحتـــى بالقرب من موارد المياه لا يكون شديد الوطأة، حتى أن الماشية لتترك فـــي العـــراء دون ضرر يحلق بها.

وهناك مصدر أذى آخر هو ذباب السروت *Seroot* فهى تنمو وتتكاثر في الأيام التى تغطى فيها السحب السماء، ولكنها تظهر في بعض أوقات أخرى من السنة أحيانـــا، وتهاجم السروت الماشية في الصباح ، وتصحبها إلى المراعـــى ، وتعضـــها بشـــدة لدرجة أنها ترجع إلى المعسكرات وجلودها تدمى، فتوقد النيران لحمايتها، وفي هـذه الفترة تصبح الماشية غير قادرة على الرعى لأكثر من ساعتين أو ثلاثة ساعات.

من الذباب المؤذى أيضا ذبابة يقال لها *Stomoys* هى موجودة على مدار الســـنة ولكن وطأتها تشتد بصفة خاصة في فصل الجفاف وأوائل موسم المطر، ويضاف إلى الذباب النمل الذى كثيراً ما يغزو أرض الحظائر، فتخرج القبائل الماشية ويفرشـــون الأرض بالرمال وليس من شك أن هذه الحشرات فوق أنها تضايق الماشــية، فأنـــها تستنزف حيويتها وتقلل من إنتاجها من الألبان.

(و) أن الماشية لها مظهر اجتماعى واقتصادى، فهى دليل الثروة والجاه، وبالتالى لا يمكن التفريط فيها بسهولة، وأن كان هناك استغلال لها فهو الحصول على الألبـــان

والدماء للشرب وأستخدامها في التبادل أو في دفع المهور، وهناك أيضا علاقة الفرد بالماشية، وهى علاقة وثيقة للغاية، أحيانا تصل إلى علاقة عاطفية بين الفرد وبين الثور الذى تربى معه، بحيث لا يمكنه التفريط فيها.

(ز) الملكية الجماعية للماشية، لأنها ملك للقبيلة، أو ملك للعشيرة، وبالتالى لا يمكن للفرد أن يتصرف فيها بمفرده، كل هذه العوامل أدت إلى ضعف نصيب حرفة الرعى في اقتصاديات افريقية رغم أن الحشائش تغطى نحو ٤٠% من مساحة القارة.

الزراعة

ارتفاع نسبة السكان ذوى النشاط الاقتصادى في قطاع الزراعة :

يحتل قطاع الزراعة مكاناً بارزاً في الهيكل الاقتصادي الإفريقى ،وتشير الاحصاءات إلى أن هذا القطاع يسهم بحوالى ٢٢% من مكونات الناتج المحلى الإجمالى لإفريقيه ، كما أنه يستوعب قرابة ثلثى السكان ذوى النشاط الاقتصادى في القارة.

ويمثل القطاع الاول من جهة إستيعابه للقوة العاملة، وهو ما يمكن القول معه أن الزراعة تحتل المكان الأول في الحياة الاقتصادية في إفريقيه، ولاشك أن لهذا أثره على طبيعة ونوعية المشاكل التى تواجه العمالة في أفريقيه حيث تتسم المناطق الريفية، بصفة عامه بالعمالة الجزئية ، أى العامل الموسمى منها أهمية خاصة، ولاسيما في المناطق التى تزرع محصولا واحداً ، أو التى يقتصر فيها فصل الإنتاج الزراعى إلى درجة كبيرة على المطر الموسمى، فهو في السنغال - مثلا - أربعة شهور فقط في السنة، وحتى في المناطق التى تبدو فيها الظروف مواتية فإن الطلب على العمل الزراعى يميل لأن يتقلب بكثرة طبقا للعمليات الزراعية المتعددة في مختلف شهور السنة.

كما تسهم الحاصلات الزراعية في ميدان الصادرات، وتظهر أهميتها في هذا المجال في الدول التى لم تظهر فيها ثروة معدنية، : الفول السودانى للسنغال، القطن للسودانى ، البن والشاى لأوغندا، والشاى لكينيا وهكذا، ولا تظهر منافسة بين الزراعة والصناعة إلا في أربع دول وهى مصر وجنوب أفريقيه وزيمبابوى

والجزائر، التى بدأ القطاع الصناعى فيها في الظهور، ومع هذا لا تسهم الحاصلات الزراعية في الدخل القومى بقوة تعادل اسهامها في ميدان العمالة، فمتوسط ما تسهم به الزراعة في الدخل القومى للقارة ككل هو ٢٥% بينما تستخدم قوة عاملة تقدر بنحو ٧٥%، وأن كان هذا يجب أن يؤخذ بشئ من الحذر نظراً لأن الزراعة في معظم الأحوال هى زراعة استكفاء، كما أن هذا قد يرجع إلى أن الاستثمارات في ميدان الزراعة قليلة ففى ، دولة مثل نيجيريا نصف دخلها القومى من الزراعة، نجد أن ما خصص لها في الخطة الخمسية ١٩٦٢/١٩٦٨ كان ١٣% فقط من المصروفات، بل ومن الناحية الفعلية لم يصرف إلا نحو ثلث هذه النسبة.

ثلاثة أقاليم زراعية رئيسية :

وهناك ثلاثة اقاليم زراعية رئيسية في القارة، تستمد خصائصها من التنوع المناخى فيما بينها، في شمال افريقية حتى نطاق المطر الشتوى وما يرتبط به من القمح والكروم والزيتون، فضلا عن القطن والارز وقصب السكر اعتمادا على المطر، وفي افريقيه المدارية الرطبة يزرع اليام والكاكاو ونخيل الزيت، وحيث يقل المطر تزرع الذرة بنوعيها والفول السودانى واللوبيا في اقليم السفانا، وأما النطاق الثالث في وسط وجنوبى القارة وهو مدارى وشبه مدارى، تزرع محاصيل اقليم السفانا، ولكن الاقليم يتميز بوجود العناصر البيضاء كمستوطنين، فضلا عن جذب المناجم لليد العاملة من الريف كما في تشابا زائير وزيمبابوى وجنوب أفريقيه.

الزراعة التقليدية جنوب الصحراء

ويطلق عليها زراعة الاكتفاء الذاتي وأحيانا الزراعة المتنقلة ***Shifting Cultivation*** لأن الأسرة تنتقل من مكان إلى مكان ، إذا ما أحست بأجهاد التربة، وهذا النوع ينتشر أنتشاراً واسعاً في أفريقية المدارية، وهى زراعة غلات غذائية للاستهلاك المحلى ، فإذا أستثنينا التوجيه الحكومى نحو غلات معينة كالقطن أو التبغ أو الكاكاو أو البن، لوجدنا أن معظمها غلات غذائية، يعتمدون عليها في حياتهم، وتتعدد هذه المحاصيل منها مجموعة الدرنيات كالبطاطا والكسافا، ومنها

مجموعة الحبوب كالارز والذرة الرفيعة والدخن والسمسم فضـلا عـن المحـاصيل الشجرية كالموز.

ولا يعرف هذا النوع من الزراعة الآلات الميكانيكية أو الآلات التى تجرها الحيوانـات وإنما هو عمل يدوى لا يستعان فيه بآلات محدودة تقف عاجزة عن تطهير الغابـة، ومن ثم يستعينون على تطهير الغابة من الأشجار بالحريق.

ولا تستغل الحيوانات أيضاً في الإنتاج الزراعى أما لأنها نادرة أو معدومة لانتشـار ذبابة تسى تسى أو لأن السكان لم يصلو إلى المستوى الحضارى الذى يمكنهم مـن هذا الوجه من الاستغلال، كذلك تؤثر الظروف الطبيعية والظروف البشرية في هـذا النوع من الزراعة ، فهو يبذر عدة أنواع من الغلات معاً وذلـك ليتفـادى ذبذبـات المطر، ويتفادى الخواص المختلفة للتربة، وإذا كانت المساحة تتراوح بيـن ٢ - ٣ فدان ، فان هذا يرجع إلى احتياجاته البسيطة من ناحيةَ، ويرجع أيضاً إلى أن تطـهير الأرض من الغابة يحتاج إلى جهد كبير، ثم هناك أيضاً الاستمرار في عمليـة إزالـة الحشائش، وفي تطهير الأرض، وظهرت أيضاً في هذه المناطق وظيفة صانع المطر، ووظيفته إقامة طقوس معينة للاستسقاء، وتلجأ إليه القبيلة إذا انحبس المطر ليقيـم هذه الطقوس، بل وتختلف أهمية هذه الوظيفة من مكان إلى مكان تبعاً لشدة ذبذبـات المطر، ففى المناطق التى ينتظم فيها المطر لا تجد لصاحب هذه الوظيفة نفوذاً كبيراً، وقد لا يوجد على الأطلاق، أما عملية الانتقال، فقد ذكرنا أنها لإجهاد التربة، وتصبح بالتالى هذه العملية أشبه بالدورة الزراعية في مناطق الزراعة الكثيفة، يزرع الأرض ثلاث أو أربع سنوات ثم يتركها للحشائش والنباتات الطبيعية لفترة قـد تصـل إلـى عشر سنوات حتى تعود إليها خصوبتها، كذلك قد ينتقل لأسـباب اجتماعيـة منـها العقائد، فإذا مرض رب الأسرة أو إذا توفى كان لابد من الانتقال، إذا توفيت احـدى الزوجات كان لابد أيضا من الانتقال، وجرت العادة على أن الذى تتوفى زوجته يدمـر مسكنه القديم ولا يعود مرة أخرى إلى الأراضى الزراعيةَ، وأن كان يسمح لزوجاتـه بالرجوع إليها لجمع المحاصيل.

ولا يفرق السكان بين الأنواع المختلفة للكوارث، فكلها سببها واحـــد وهـــو العيــن الشريرة أو القوى غير المنظورة، لذلك كانت استشارة العراف واجبة وقراره نـــافذ، وقد يوحى إليهم بالانتقال إلى أرض مجاورة أو الانتقال إلى أرض ســـلطان جديـــد' وتتعدد أنواع الحقول في الزراعة المتنقلة، هناك الحقل القريب من المســـكن وهـــو أشبه بالبستان أو الحديقة لأن يحيط بمجموعة المساكن، ويزرع في هذا النوع غلات الاستهلاك اليومى والغلات المحبوبة لدى الحيوانات الثديية التى تتمثل فـــي الفـــول السودانى والخضروات والموز من ثم لابد وأن تكون قريبة من الحراسة، أما الحقـــل البعيد عن المسكن تزرع فيه الحبوب وعادة ما يكون وسط الحشـــائش والاشـــجار الطبيعية.

تقسيم العمل :

وهناك نظام لتقنين العمل بين الرجل والمرأة، أساسه أنه لا توجـــد ملكيـــة فرديـــة للأرض، وإنما الملكية هى للغلات، وتقوم المرأة عادة بمعظم العمليـــات الزراعيـــة، وأن كان الرجل يعاونها في عملية أعداد الأرض للزراعة، وأحياناً في فصل الحصاد، ولما كانت المساحة المزروعة ليست متماسكه، وإنما عدة قطع متجاورة كل قطعـــة لزوجة من الزوجات ، فضلا عن قطعة للأم أو للأخوة، وقطعته الخاصة به - فعلـــى هذا الأساس كانت الملكية ليست شائعة بين أعضاء الأسرة، كل مسكن لـــه صاحبـــه وله أرضه، والملكية الثابتة كالمساكن تعتبر ملكا للزوج علـــى اعتبـــار أنـــه يقـــوم ببنائها، وللزوج نصيب عادة في المحصولات الغذائية التى تخص زوجاتـــه، وهـــذه المحصولات تجمع في مخازن منفصلة، ثم بعد ذلك تقوم كل زوجة باطعـــام أطفالـــها فضلا عن زوجها، ويضاف إلى هذا نصيب الزوج الخاص الذى ينتقل إلـــى مخزنـــه نظير قيامه بالمساعدة في الأعمال الزراعية لأرض الزوجـــة، وفـــي حالـــة تعـــدد الزوجات يكاد يكون التعاون معدوماً بين الزوجات في زراعة الأرض، وقـــد تســـاعد الأبنة، وقد تساعد الأم الزوجة في زراعة أرضها، ولكننا لا نجد هذا التعـــاون بيـــن الزوجات، كما نلاحظ أيضا أن المرأة تقوم بجميع العمليات الزراعية الخاصة بحديقـــة

المسكن. فهي مسئولة عنها وبصفه خاصه عن عمليات التسميد التى تتم بطريقة بدائيه عن طريق جمع نفايات المطبخ والمسكن بوجه عام

ويمكن ان نميز المحاصيل الغذائية الاتية في مختلف أنحاء القارة :

١ - نطاق الغابات الاستوائية في غرب ووسط القارة وتسوده المحصولات الدرنية مثل الكاسافا، والبطاطا، اليام.

٢ - نطاق الغابات الاستوائية غرب كوت ديفوار إلى غينيا، ويتميز بأن الأرز هو محصوله الرئيسى.

٣- الاقليم السودانى من السنغال إلى اثيوبيا ويتميز بغلبة الحبوب مثل الذرة الرفيعة والدخن والفول السودانى.

٤ - هضبة البحيرات او شرق افريقية وتنتشر فيه مزارع الموز.

٥ الهضبة الوسطى والجنوبية ويسودهما الذرة كمحصول أساسى.

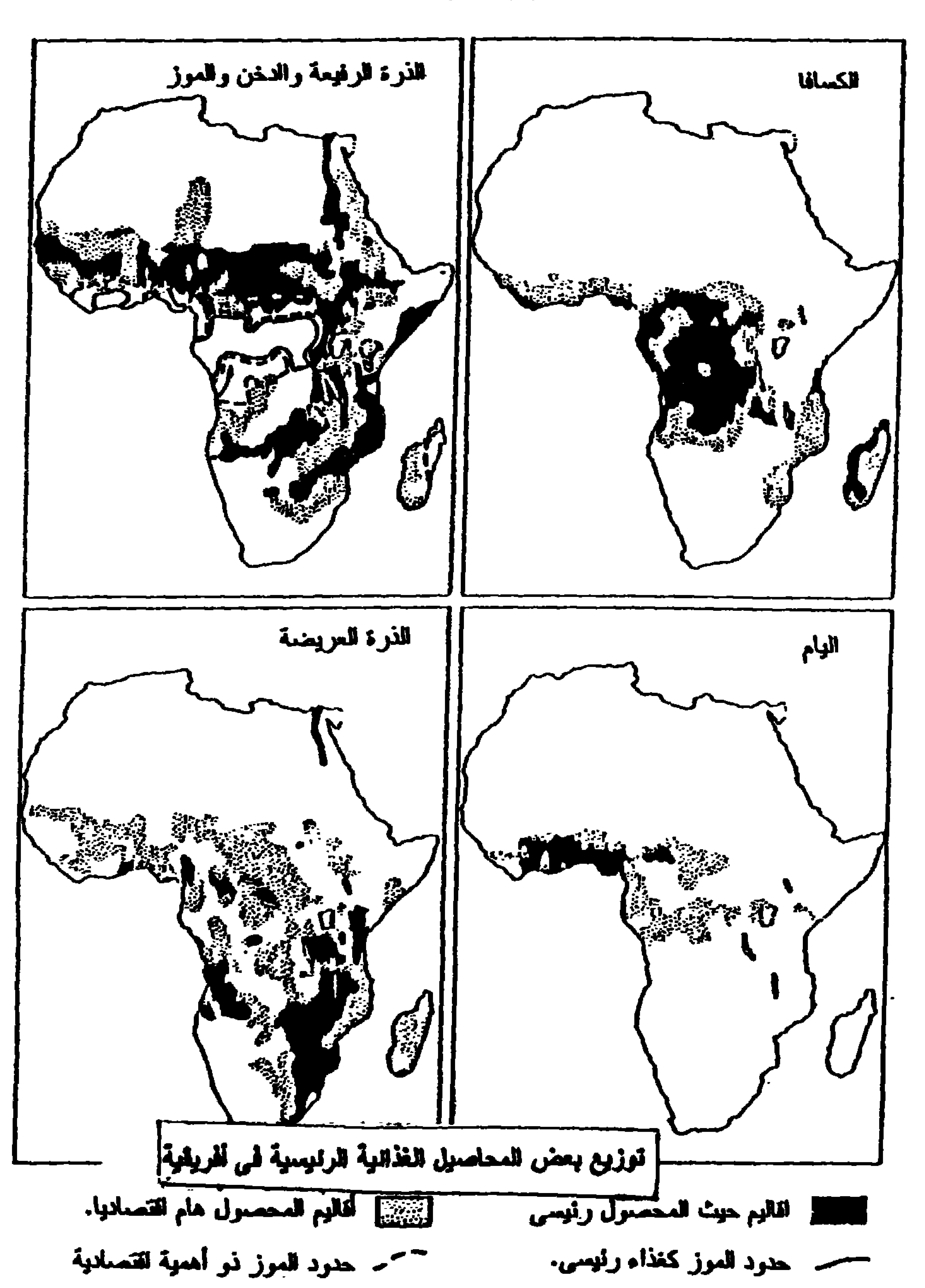
الاقتصاد التبادلى : الزراعة التجارية عند الافريقيين

قام هذا النوع منذ زمن طويل ولكن في جهات محدودة في الأطراف الشمالية من القارة كما في مصر التى كانت تزرع القمح في العهود القديمة وكانت تغذى روما وبيزنطه ثم مكه والمدينة. وعرفت الجزائر أيضا تصدير القمح وكانت تصدره إلى اوربا وفرنسا بصفة عامة. وكانت من ضمن الأسباب الظاهرية لاحتلال تونس التأخير في دفع ثمن القمح. لكن في العصر الحاضر، امتدت الزراعة التجارية في افريقية المداريه، وهى المناطق التى كانت تعتمد أعتماداً كبيراً على زراعة الاكتفاء الذاتى كما ذكرناه

وظهور الغلات التجارية في إفريقية المداريه يرجع إلى ثلاثة عوامل هامة:

١ -ظهور العمله ووصولها إلى اركان القارة: (الجهات البعيدة) ومعرفة قيمة هذه العمله بعد أن فرض الفرنسيون والإنجليز ضريبة الرأس على ألأفريقيين ، لذلك كان على المزارع الأفريقى ان يزرع الغلات التجارية لدفع هذه الضريبة، وهذه كانت الوسيله التى لجاءت اليها الأدارات الاستعماريه لتوجيه الأفريقيين نحو الغلات التجاريه او نحو العمل فى المزارع الاوربيه باجور زهيدة.

شكل رقم (٣٦) : بعض المحاصيل الغذائية



توزيع بعض المحاصيل الغذائية الرئيسية في أفريقية

٢- لاتحتاج الزراعة التجارية إلى مهارات خاصة . ولاتختلف كثيرا عن الغلات الغذائية ، بل يمكن زراعة الغلات التجارية ضمن نظام الزراعة المتنقلة. وهذا ماحدث فعلا بالنسبة لبعض الغلات كالقطن أو البن.

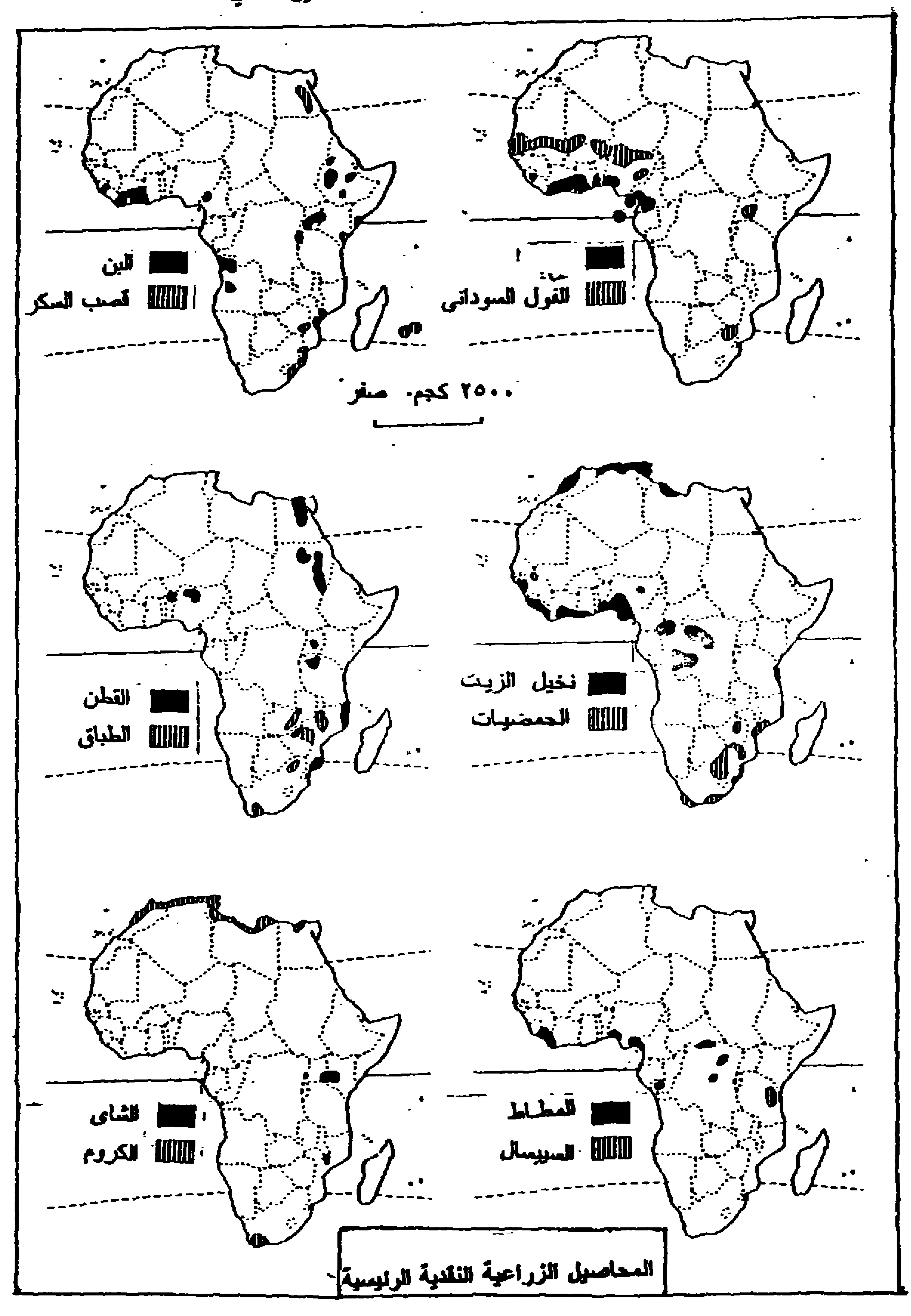
٣- لا تتطلب مجهودات إضافية كبيرة ، وإذا تطلبت هذه المجهودات كان لدى الأفريقيين المال الكافى لدفع أجر العمال كما يحدث عادة عند جماعات الباجندا التى تزرع البن والتى تستعين بعمال أجراء من رواندا ، وكما يحدث فى مزارع الكاكاو فى غرب إفريقيه التى تستعين بعمال مهاجرين من الشمال.

وقد ظهرت الغلات التجارية بشكل كبير بعد الحرب العالمية الأولى : وإن كانت غانا قد شحنت كميات قليلة من الكاكاو فى أواخر سنة ١٨٩٠ ، ومن هذه الغلات التى خرجت من إفريقيه.

- الكاكاو من غانا ونيجيريا وكوت ديفوار.
- الفول السودانى من نيجيريا والسنغال.
- البن من كينيا وأوغندا وتنزانيا وكوت ديفوار.
- القطن من أوغندا والسودان ونيجيريا.

جميع هذه الغلات أنتجتها المزارع الأفريقية. وظهرت بعض الغلات الأخرى التى كان جزء منها يستهلك محليا. والباقى يصدر إلى الخارج ، كالذرة بنوعيها العريضة والرفيعة، على أن أرباح هذه الغلات التجارية لم تأت دون ثمن أو دون تكاليف، فالظاهر إن زراعة الغلة التجارية الواحدة قد يناسب المزارع الأفريقى فى مراحلة الأولى، لأنه تعلم زراعتها وعرف احتياجاتها وبالتالى فلن ينسى طريقة الزراعة ومطالب النبات، كذلك تناسب رجال الإدارة الذين يشرفون على هؤلاء الأفريقيين ويقومون بعمليات تنظيم البيع والشراء والشحن ومقاومة الآفات.

شكل رقم (٣٧) : بعض المحاصيل النقدية



على أن هذا يقابله :

إجهاد مستمر للتربة ، ذلك أن كل نبات له احتياجاته الغذائية . وإذا تكررت زراعة نفس النبات فمعنى هذا استهلاك العناصر الغذائية الخاصة بهذا النبات. وهناك زيادة الآفات الزراعية والحشرات لأنها وجدت الغذاء الملائم دون انقطاع وبصفة مستمرة وهذا هو السر الأساسى فى أننا لانجد محصولا من المحاصيل النقدية *Cash crops* إلا وقد أصابته آفة من ألافات، بل وإشتدت الاصابة فى بعض السنين بحيث كانت تعود بخسائر جسيمة والأمثلة عديدة على ذلك كما تشاهد أحيانا فى القطن والكاكاو وغيرها.

إذن ما الحل لهذه المشكلة – مشكلة الحشرات ، ومشكلة إفلاس التربة فى هذه المناطق المدارية ؟ من الصعب فى الحقيقة ايجاد نظام يجمع بين الربح الوفير وبين المحافظة على التربة فى المدى الطويل فنظام التخصص لاشك مربح فى المدى القصير، ولكنه هادم فى المدى الطويل ولقد حاولوا التغلب على هذه المشكلة باتباع دورة زراعية أحيانا فى المناطق التى تتدهور فيها التربة، فحاولوا الابقاء على نظام الزراعة المتنقلة لأنه كما قلنا أشبه بالدورة الزراعية.

ومن المشكلات التى صادفت الأفريقيين أيضا :

البعد عن مناطق التصدير ، وسوء المواصلات ،وكان حل هذه المشكلة أحيانا باستغلال المساحات القريبة من السواحل أن كانت مناسبة ومد طرق المواصلات وهذا واضح فى حالة انتشار زراعة القطن والفول السودانى فى شمال نيجيريا فلم تنتشر هذه الغلات على نطاق تجارى الا بعد عام ١٩١٢، حينما وصل الخط الحديدى إلى كانو فى شمال نيجيريا، هذا واضح أيضا فى زيادة النشاط التجارى فى شرقى إفريقية بعد مد الخط الحديدى ووصوله إلى كيسومو ثم إلى كمبالا.

ظهر أيضا عجز بعض الأسر الأفريقية فى زراعة مساحات كبيرة من الغلات التجارية ، فلجأت إلى نظام المشاركة فى الزراعة وهو نظام معروف حتى فى المناطق المتقدمة ، فيستعين المزارع بغيره نظير جزء من المحصول.

ظهر أيضا نقص فى المواد الغذائية أحيانا لزيادة الإهتمام بالغلات التجارية مما نتج عنه حدوث المجاعات فى بعض الأحيان. وحين يعتمد قطر من الاقطار على التخصص الشديد فى غلة أو غلتين تمثلان معظم الصادرات كما فى حالة غامبيا والسنغال اللذان يعتمدان على الفول السودانى وغانا التى تعتمد على الكاكاو والأخشاب.

وأثيوبيا التى تعتمد على البن، والكمرون التى تعتمد على القطن والبن . هذا الاعتماد على غلة أو غلتين يجعل هذه الاقطار المتخصصة فى حالة تبعية تامة للاقتصاد الخارجى ،وبالتالى فالتقلبات الأقتصادية وماتبعها من تقلبات لأسعار هذه الغلات تنعكس آثارها على هذه الأقطار المتخصصة وتصبح اقتصاديتها وكأنها وضعت فى أرجوحة تحركها التأثيرات الخارجية.

الزراعة التجارية عند المستوطنين

ويقصد بها مزارع الأوربيين المستوطنين التى حصلوا عليها بطرق مختلفة، وهى عادة أكبر مساحة من المزارع الافريقية، وأكثر استعمالا للأسمدة، وأكثر ميكانيكية، وتستخدم أيدى عاملة أجيرة بأعداد وفيرة وتركز على الغلات النقدية وتربية الحيوان وتتميز أيضا بأنها من نوع المزارع الواسعة المتخصصة ***Plantations***، مزارع الشاى لشركة بروك بوند فى كينيا، مزارع فايرستون للمطاط فى ليبيريا، ومزارع المستوطنين فى زيمبابوى وجنوب إفريقيه، وتبلغ مساحة المزرعة الواحدة منها أكثر من ألف فدان. ومع ذلك تختلف الزراعة الاوربية باختلاف ظروف البيئة من ناحية وبحسب الوطن الاصلى للمستوطنين، هناك المستوطنون الذين يرجعون لأصل بريطانى وهولندى كما هو الحال فى جنوب إفريقيه وزيمبابوى وشرق إفريقيه، هؤلاء نجد أنهم يهتمون بالزراعة وتربية الحيوان معا ،بينما نجد المستوطنين الفرنسيين الذين انخفضت أعدادهم فى الوقت الحاضر فى المغرب الكبير قد اهتموا بزراعة الغلات الشجرية كأشجار الفواكه (كروم - زيتون - حمضيات) لان معظمهم من إقليم البحر المتوسط، وقد واجهوا أيضا عدة مشكلات حينما بدأوا

الزراعة فى إفريقيه المدارية، منها مشكلة الارض، ومشكلة التربة التـــى تتدهــور تماما بعد قيامهم بالنشاط الزراعى، وكان هذا من الأمور المستغربة خاصة أن بعض هذه الاراضى كانت تحتلها الغابات الكثيفة والخضرة المستمرة، ولم يفطنوا إلـــى أن اقتلاع الاشجار من جذورها كان من عوامل تفتيت التربة، ثم كسحها نتيجة للأمطـار المستمرة.

كذلك من المشكلات التى صادفتهم الذبذبات المطرية الحادة وهذه لم يتعودوا عليـــها فى أوطانهم، ومن هنا ظهرت فكرة محطات الابحاث الزراعية التى انتشرت فى جميع المستعمرات لمواجهة ظروف البيئات الجديـــدة. علـــى أننــا يمكــن أن نقــول أن الأوروبيين أو المستوطنين قد نجحوا فى الوصول إلى حلول لهذه المشـــكلات بعـد إجراء التجارب العديدة ، وكانت الحرب العالمية الثانية من أهم عوامل تنشيط زراعة المستوطنين فى إفريقيه المدارية .. ففـــى بعـض المنــاطق مثــلا - زادت حاجــة الإستهلاك المحلى نتيجة لأوضاع خاصة أملتها ظروف الحرب، فعلى سبيل المثال فى كينيا زادت حاجة الاستهلاك المحلى إلى جانب إحتياجات الحرب من الحبـوب لأنــها كانت مقرا لاسرى الحرب ومهاجرين ولاجئين . كانت قاعدة كبيرة لقــوات أفريقيــة وأوربية فزاد الإنتاج من الزبد مثلا من ٣ مليون رطل عام ١٩٣٨ إلـــى ٦ مليــون رطل عام ١٩٤٦ . وفى (تنجانيقا) وصل إنتاج السيســـل (ليــف لصناعـــة حبـال البحرية) إلى ثلاثة أمثاله بين العامين المذكورين لزيادة الحاجة إلى الحبال البحريـــة خاصة بعد سقوط الفلبين عام ١٩٤٢ وهى منتجه لألياف القنب الذى كان يســـتخدم أيضا فى صناعة حبال البحرية.

مكانة إفريقية :

وتحتل إفريقيه المكانة الأولى فى إنتاج الكاكاو وزيت النخيل والقطن طويل التيلـــة، والسيسل، وتسهم بنحو ثلاثة أرباع الصادرات العالمية من الفول السودانى، ونحـــو ثلث صادرات زيت الزيتون ،والبن ،كما تسهم بنسبة لابأس بها من صادرات النبيذ ، والتبغ، والشاى، والحمضيات، والأخشاب وغيرها.

إنتاج المحاصيل النقدية في إفريقية عام ٢٠٠٠

المحصول	إفريقيه % من العالمى	% الدول الافريقيه الرئيسية
الكاكاو	٥٢,٧	كوت ديفوار ٥٥,٤ - غانا ١٩,٤ - نيجيريا ١٢,٣
السيسل	٢٧	كينيا ٣٨ - تنزانيا ٢٩,٤ - مالاجاش ٢٠
البن	٢٠	كوت ديفوار ١٨ - اثيوبيا ١٦ - أوغندا ١٤
الشاى	١٣	كينيا ٦١ - مالاوى ١٢ - تنزانيا ٦
قطن شعر	٧	مصر ٢٥ - السودان ٩,٥ - كوت ديفوار ٨
سكر قصب	٧	جنوب إفريقيه ٢٦ - مصر ١٠ - موريشيوس ٨
مطاط	٦	نيجيريا ٢٨ - كوت ديفوار ٢٦ - ليبريا ٢٥
طباق	٥,٥	زيمباوبى ٣٨ - مالاوى ٢٥ - جنوب إفريقيه ٩
كشونات	٢٢	موزمبيق ٤٦ - تنزانيا ١٩ - كينيا ١٢
فول سودانى	٢١	نيجيريا ٢٤,٥ - سنغال ١٥ - زائير ٩
زيت نخيل	١٦	نيجيريا ٥١ - كوت ديفوار ١٢ - زائير ١٠
موز	١٤	بوروندى ٢٦ - تنزانيا ٢٢ - أوغندا ٨
تمور	٣٧	مصر ٤٦ - الجزائر ١٧ - السودان ١٠
نبيذ	٤	جنوب إفريقيه ٨٣ - الجزائر ٩ - المغرب ٤



بائعة الكسافا

التعـــــــــــدين

أهمية التعدين فى اقتصاديات القارة والميدان العالمى :

تلعب الثروة المعدنية دورا كبيرا ذا أهمية فائقة فى اقتصاديات القارة الافريقية سواء جنوب الصحراء أو شمالها، وسبق القسم الجنوبى نظيره الشمالى فى جذب المغامرين إليه بحثا عن الذهب والفضة، من البرتغاليين والبريطانيين وغيرهم ، وكان المعدن أحد أسباب كشف طريق الرأس، كما كانت الاكتشافات المعدنية فى الهضبة الجنوبية مسئولة عن جذب الاوربيين وتواكبهم. على أنه يجب ألا ننسى أن إفريقية إحدى القارات التى لم تمسح تماما من الناحية الجيولوجية وأن الكشف المعدنى يعوقه فى كثير من الأحيان تلك التكوينات الرسوبية السميكة التى تغطى مساحات كبيرة من سطح القارة ، لذلك فمع زيادة البحث والتنقيب تظهر الموارد المعدنية وتتغير الاوضاع الاقتصادية بصورة سريعة، والمثل لدينا واضح فى ليبيا حيث تحولت من دولة تعتمد فى صادراتها على الفول السودانى إلى سابع دولة منتجة للبترول فى العالم ، ومن دولة عجز إلى دولة فائض.

وقفزت الصناعات التعدينية لتصبح من أهم وأكثر قطاعات الاقتصاد الافريقى نموا فقد كانت مسئولة عن أكثر من نصف حصيلة الصادرات الأفريقية بعد أن كانت تشغل المكان التالى بعد الصادرات النباتية ،غير أن أهمية إفريقيه فى الميدان التعدينى العالمى تبدو أكثر وضوحا إذا عرفنا أنه لايتفوق عليها فى الموارد المعدنية سوى أمريكا الشمالية بينما تتضاءل إلى جوارها امريكا الجنوبية واستراليا وآسيا.

ويعوض فقرها الفحمى امكانيات ضخمة من القوى المائية فضلا عن تدفق بترول من أطراف القارة الشمالية والغربية ، فأفريقيه مسئولة عن نحو ٣٠% من قيمة الإنتاج المعدنى فى العالم ، بل أن إفريقيه قبل أى قارة أخرى بما فيها امريكا الشمالية تمد العالم بالمعادن النادرة، فأفريقيه تحتوى على ٩٠% من احتياطى الكروم وتسهم بنحو ٤١% من الإنتاج العالمى، وتفخر غانا بأحتكارها لاحتياطى ضخم من المنجنيز ورغم أن الاتحاد السوفيتى له وحده أكثر من نصف الإنتاج

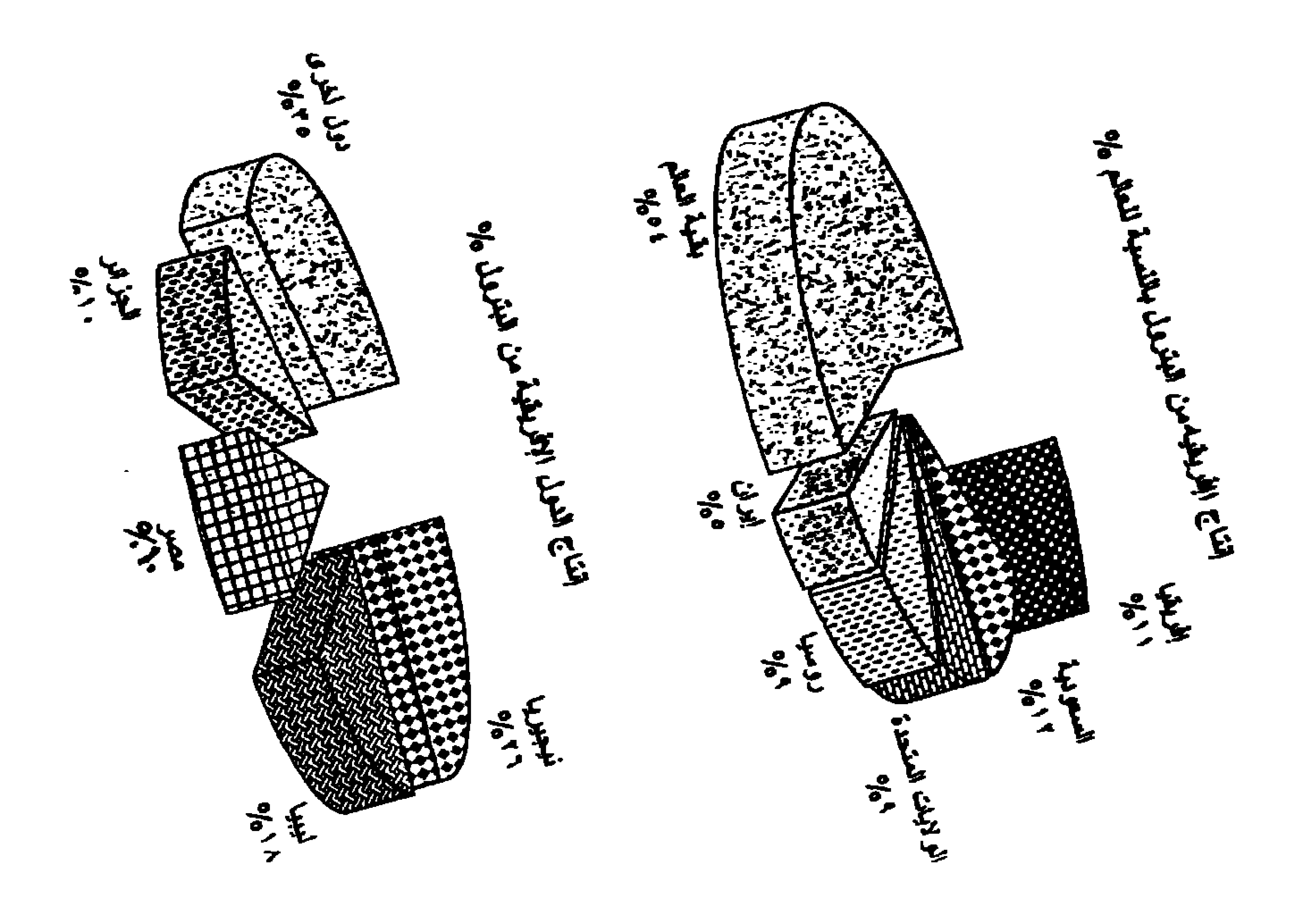
العالمى، فإن نصيب إفريقيه وهو ٣٦,٥% من الإنتاج العالمى يعطى القـــارة مكانـــا ممتازا في إنتاج هذا المعدن وتبرز إفريقيه في إنتاج الكوبـــالت، إذ أن ٩٠% مـــن موارده توجد في زائير الذى يسهم وحده بنحو ٥٦% من الإنتاج العالمى فضلا عـــن أسهامها بنحو ٥١% من إنتاج الفانديم.

نصيب إفريقية من إنتاج بعض المعادن الرئيسية عام ٢٠٠٠

	إفريقيه % العالم	المنتجون الرئيسيون فى إفريقيه%
ذهب	٣٧	جنـــوب إفريقيه ٩٤ - غانا ٣
خام نحاس	١٣	زامبيـــا ٤٣ - زائيـــر ٤٣ - جنـــوب إفريقيه ١٧
خام كوبالت	٧٦	زائيـــر ٧٦ - زامبيـــا ٢٠
ماس	٥٠	زائير ٤٥ - بتسوانا ٣٢ - جنوب إفريقيه ١٦
خام كروم	٤١	جنـــوب إفريقيه ٨٦ - زيمبابوى ١٢
خام منجنيز	٢٧	جنـــوب إفريقيه ٥٩ - جابون ٣٤
فوسفات	٢٥	المغرب ٤٦ - تونس ١٧ - جنوب إفريقيه ٨
بوكسيت	١٨	غينيـــا ٩٠ - سيراليون ٨
يورانيوم	١٤	ناميبيا ٣٥ - النيجـــر ٣٠ - جنوب إفريقيه ٢٧
فانديم	٥١	جنوب إفريقيه ١٠٠
نيكل	٨	جنوب إفريقيه ٥١ - بتسوانا ٢٠٣ - زيمبابوى ١٩
خام رصاص	٥	جنوب إفريقيه ٤٣ - المغرب ٣٦ - ناميبيا ١٣
الزئبق	١٣	الجزائر ١٠٠
الفحم	٥	جنوب إفريقيه ٩٧
البترول	١٠	نيجيريـــا ٢٨ - ليبيا ٢١ - الجزائر ١٨

ولا يتفوق على زامبيا وزائير سوى شيلى في إنتاج النحاس. وتعتبر القارة منتجـــا رئيسيا لمركزات النحاس ***Blister copper*** (درجة النقـــاوة ٩٩,٤%) وللنحـــاس المكرر كهربائيا ***Electrocytic copper***.

شكل رقم (٣٨) : الإنتاج العالمى والإفريقى من البترول عام ٢٠٠٠



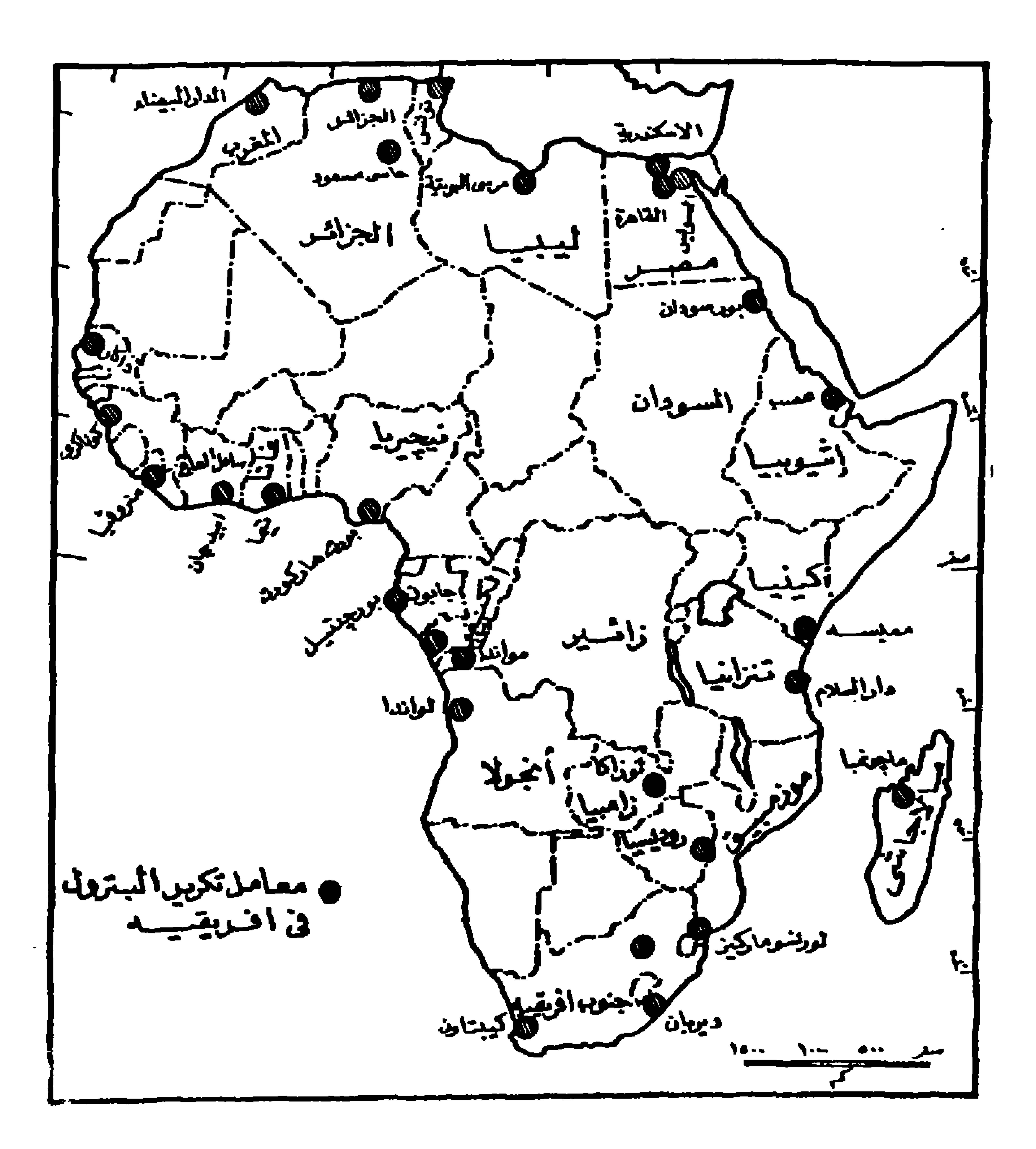
وفي ميدان المعادن الاستراتيجية تلعب إفريقيه دورا بارزا للغاية، فتنتـــج إفريقيـه ١٤% من الإنتاج العالمى لليورانيوم، بينما يحتوى جنوب إفريقيه وحده على نحـــو ٣٥% من الإنتاج العالمى من البريليم، ونحو ٨٠% من التنتالوم، وإفريقيه منتجـــة لما يزيد على ثلث الإنتاج العالمى من الذهب و٤٠% من البلاتين، وهى منتجة لنحـو ٧٠% مــن مـــاس الزينـــة *gemdiamond* و ٩٨% مــن مـــاس الصناعـــــة *Industrial diamond* ، وأخيرا يمكن أن نضيف إلى هذا، التدفـــق البـترولى الجديد في إفريقيه الشمالية والذى لم يكن يعرف عنــــه شــيء قبـل عــام ١٩٥٧ باستثناء البترول المصرى، وأصبحت إفريقيه منتجـــة لنحـــو ١٠% مــن الإنتـــاج العالمى، أى ٣٨٥ مليون طن عام ٢٠٠٠، تاتي نيجيريا في المقدمـــة بنحـــو ربـــع الإنتاج الفريقي وليبيا اقل من خمس إنتاج، وكل من مصر والجزائر نحو ١٠% من

ذلك الإنتاج، وبتوزع الباقي على عدة دول أفريقية كا نجولا وجابون والكنغو.

التوزيع الجغرافى :

وإذا كانت الهضبة الجنوبية في إفريقيه غنية بمعادنها، والأطراف الشمالية غنية أيضا ببترولها وفوسفاتها بصفة خاصة، فإن هناك بعض النطاقات الشهيرة أيضا بمعادنها في زيمبابوى وعلى حدود زامبيا وزائير وبعض مناطق في غرب إفريقيه ولكن من ناحية أخرى تفتقر إفريقيه الشرقية بوجه عام إلى الثرورة المعدنية، فهناك قائمة بمجموعة من المعادن معروفة هناك ولكنها بكميات صغيرة ومبعثرة بحيث لا تصبح لها قيمة كبيرة من الناحية الاقتصادية.

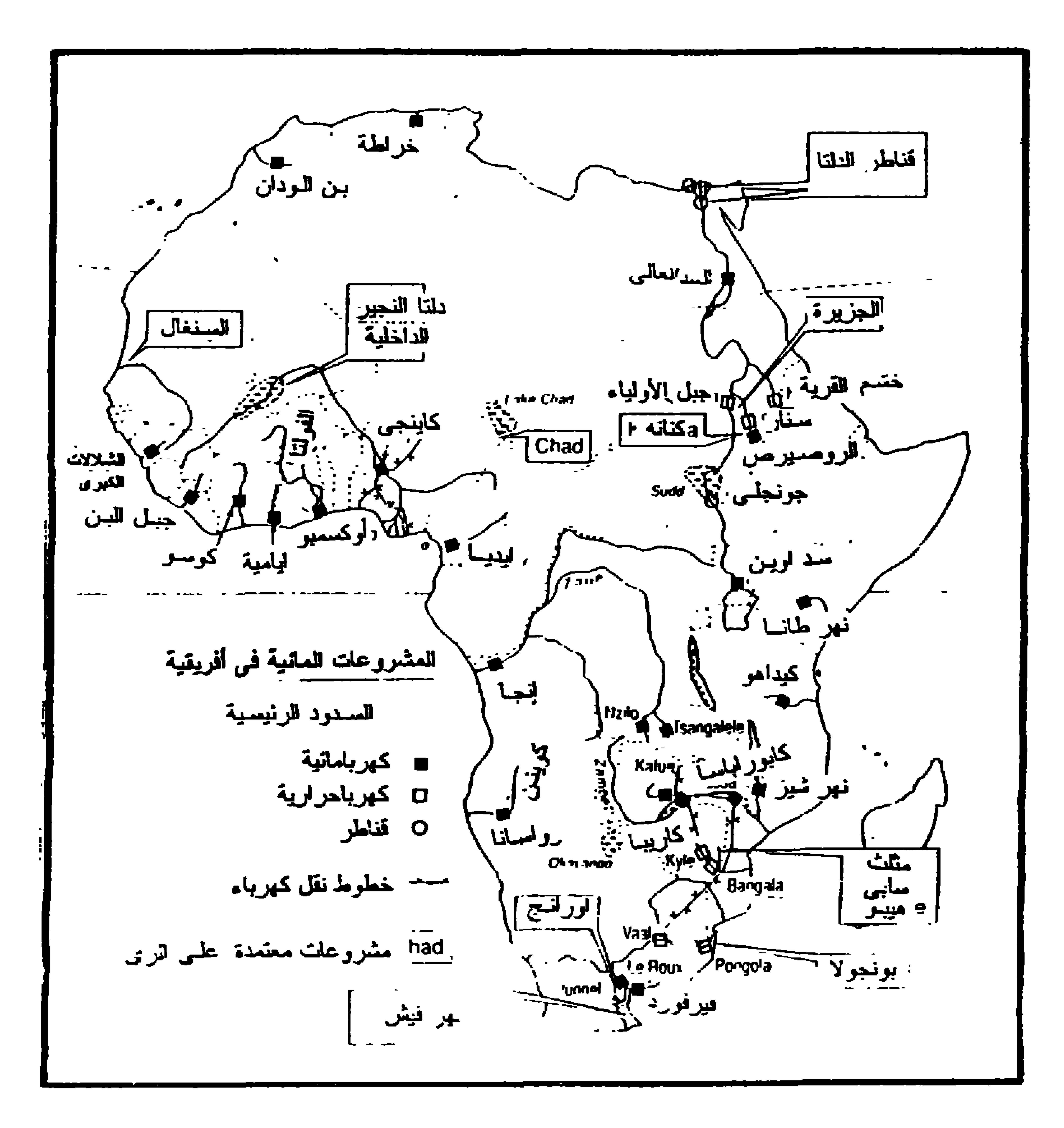
شكل رقم (٣٩) : معامل تكرير البترول فى افريقيه



أما الدول الساحلية في غرب إفريقيه بدءا من ليبيريا إلى سيراليون وموريتانيا فهي منتج رئيسى للحديد وإن كانت الحرب الأهلية في ليبيريا واجهاد المناجم في سيراليون قد هبط بالإنتاج وتكاد السكك الحديدية التى مدت من الساحل إلى الداخل لاتنقل سوى هذا الخام حتى لقد هجرت في سيراليون بعد نفاذ هذا الخام هناك.

ورغم أن إفريقيه تنتج وتصدر عددا كبيرا من المعادن، إلا أن هناك تركيزا في صادراتها المعدنية، ذلك أن الثلاث سلع الأولى وهى البترول الخام والذهب والنحاس وخاماته مسئولة عن ثلثى قيمة الصادرات والست سلع الأولى تضاف على المجموعة السابقة الماس، خام الحديد، والفوسفات مسئولة عن ٨٠% من مجموع قيمة الصادرات.

شكل رقم (٤٠) : القوى الكهرومائية



من حيث الأقطـــــار :

هناك تركيز من نوع آخر بالنسبة للأقطار المنتجة للمعادن، وعلى سبيل المثال

١- هناك ثلاثة اقطار فقط تصدر كميات معقولة من النحاس وهى زامبيا وزائـير وأوغندا.

٢- وهناك قطر واحد مسئول ٨٥% من القصدير وهو نيجيريا.

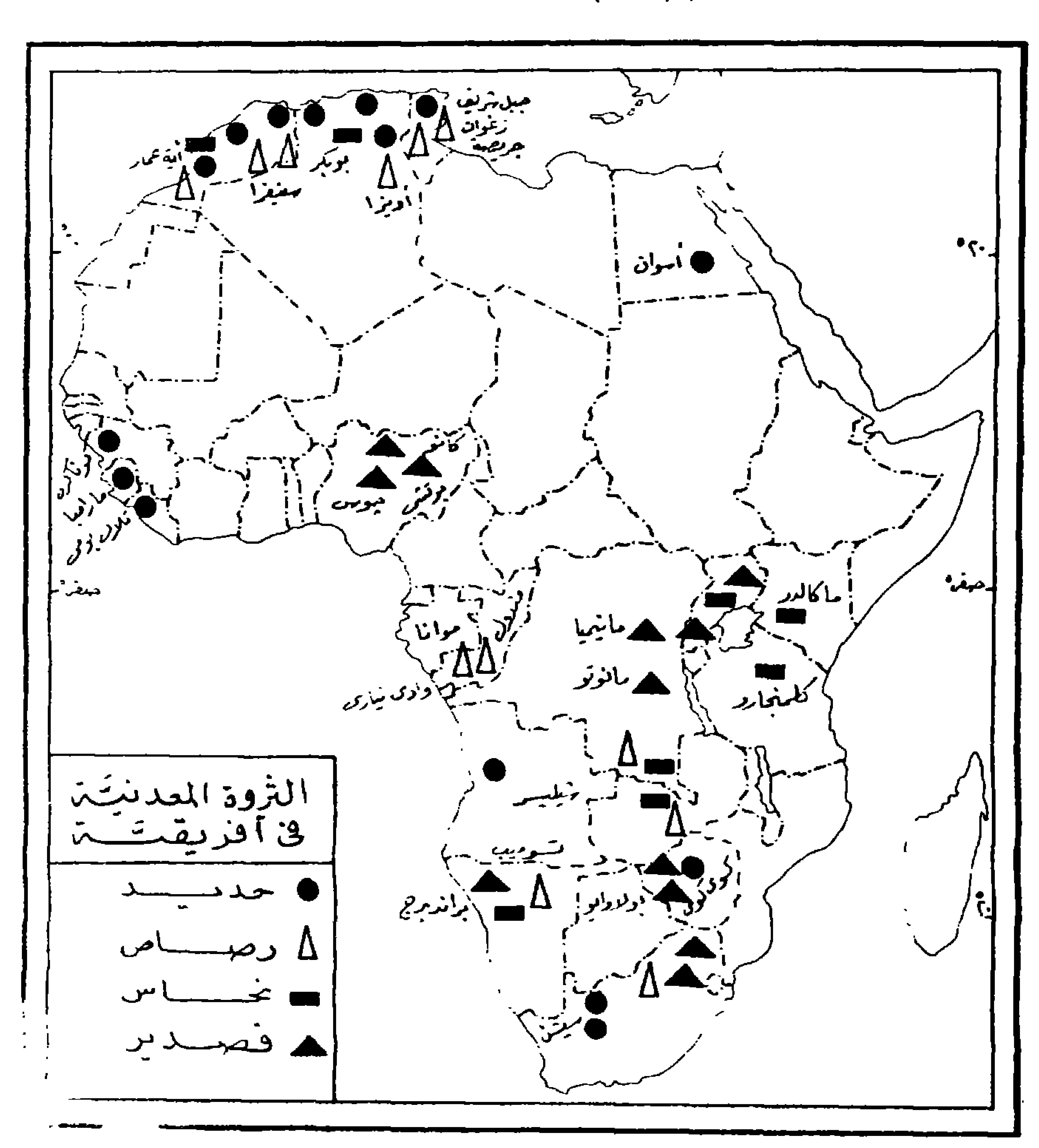
٣- وهناك ثلاثة أقطار مسئولة عن معظم صادرات خامات حديد إفريقيه.

٤ - هناك قطران مسئولان عن انتاج معظم خام الكــروم وهمـا جنـوب إفريقيـه وزيمبابوى.

٥- وتكاد غانا وجنوب إفريقيه مسئولان عن انتاج الذهب.

٦- ٩٨ % من انتاج البوكسيت من غينيا وسيراليون.

شكل رقم (٤١) : الثروة المعدنية



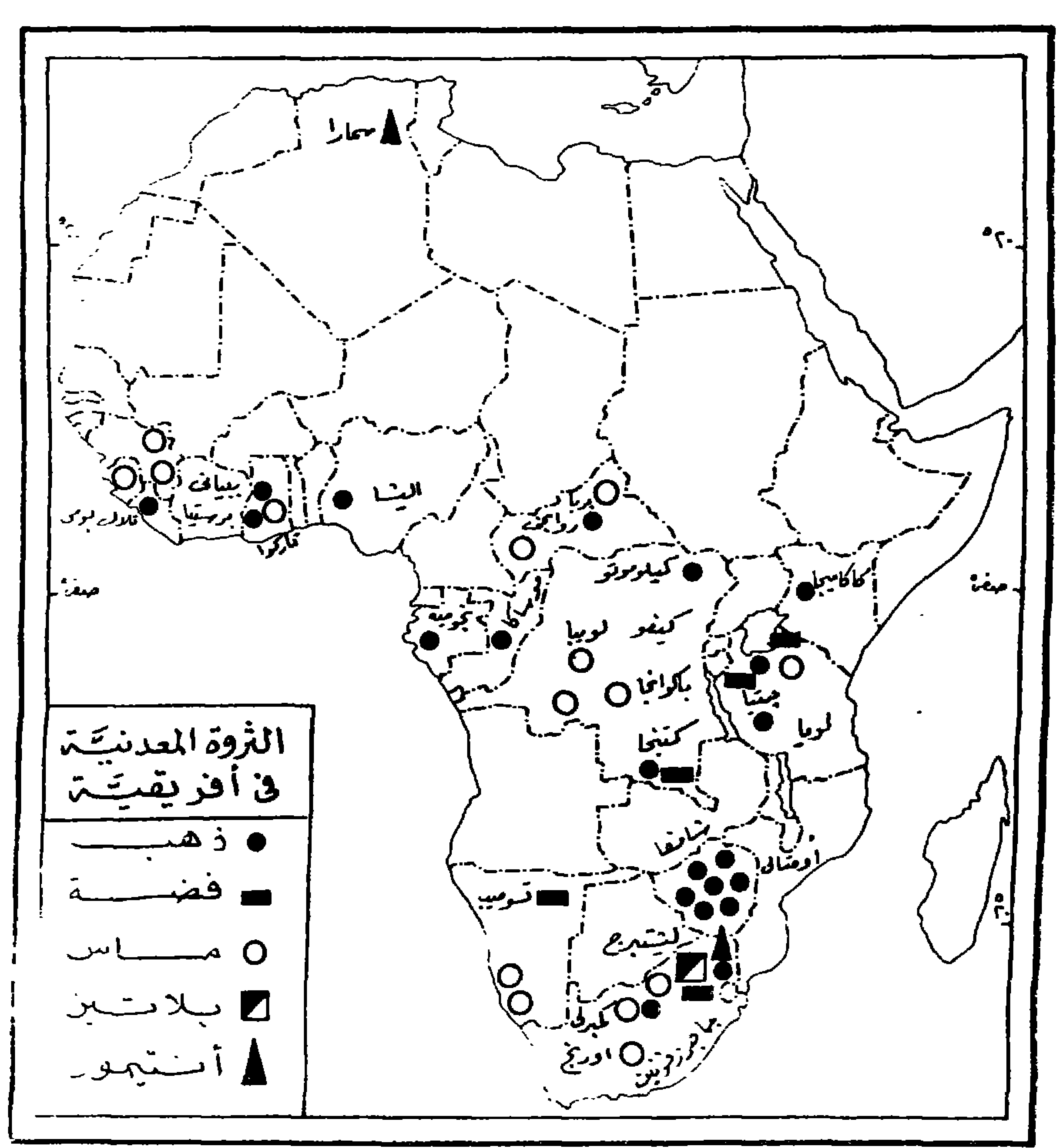
التعــدين والتنمية الاقتصادية :

ولا شك أن التعدين أحد الوسائل الرئيسية المتاحة للتنمية الاقتصادية، فأكثر الــدول الافريقية غناً (نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى) هى من دول التعدين كليبيا وجابون وجنوب إفريقية وبتسوانا.

ولكن هناك تحفظات في هذا المجال فالمعادن غير متجددة، ويتذبذب الطلــب عليــها بين الحين والآخر، وبالتالى تتذبذب أسعارها، والمشكلة في إفريقيه أنها تصدر خامـا في معظم الأحوال بدلا من أن تستخدم في تنويع الإنتاج.

وإذا كان نصيب القارة في الإنتاج المعدنى والسوق العالمى كبير، فان الطلــب فــي الثمانينات وأوائل التسعينات تدهور، ويرجع هذا في جزء منه إلــى اجـهاد بعـض المناجم، وإلى قلة الاستثمارات التى اتجه معظمها إلى المشروعات في جنوب وشرق آسيا وأمريكا اللاتينية نظرا لعدم الاستقرار السياسى في كثير من الدول الافريقية.

شكل رقم (٤٢) : الثروة المعدنية (ذهب)



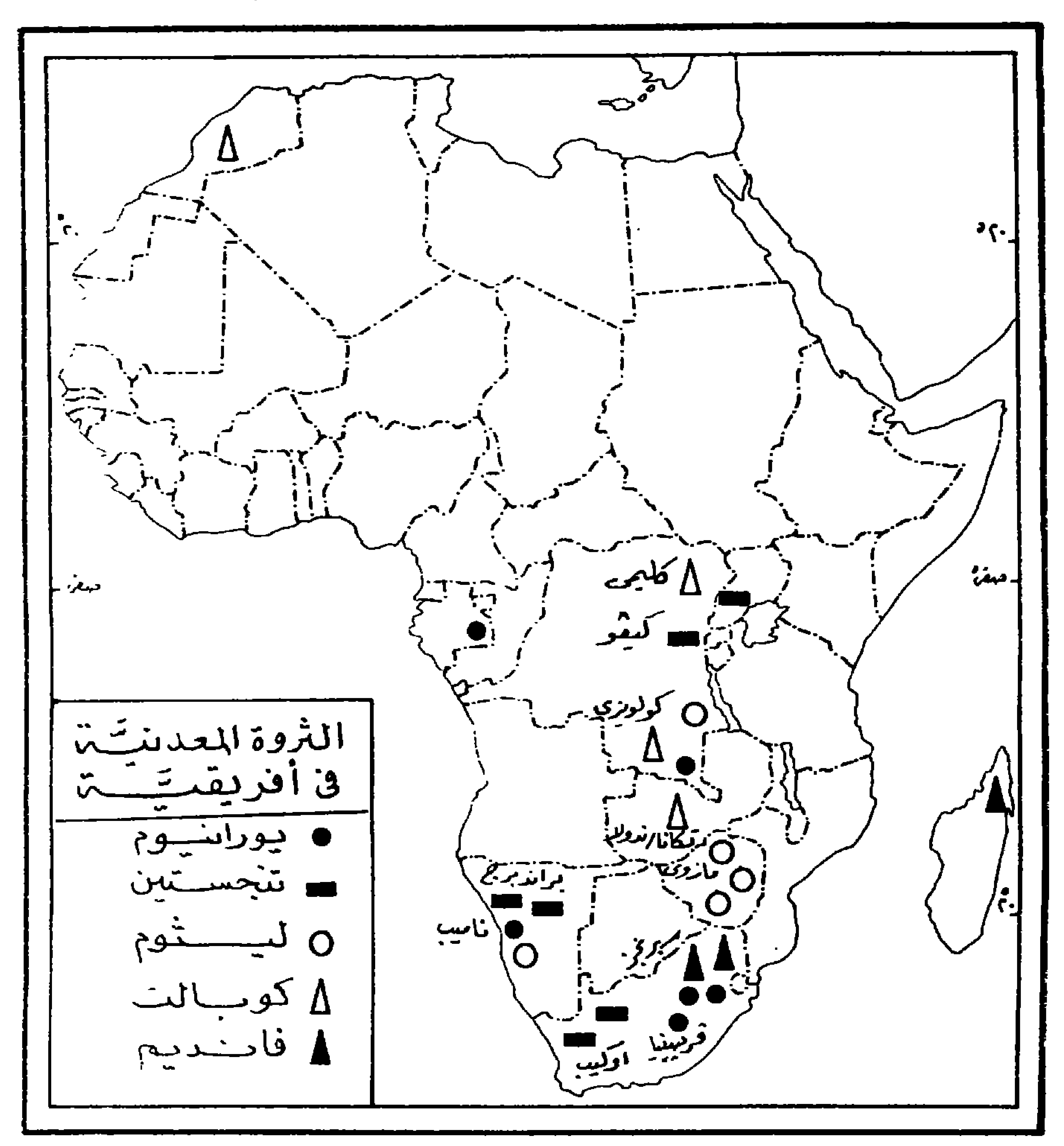
وكانت ليبيا والجزائر ومصر ونيجيريا أكبر الدول الافريقية المنتجة للبترول في القارة بنصيب يبلغ نحو ٨٧% عام ١٩٨١، ولكن انخفض نصيب هذه المجموعة في أوائل التسعينات إلى ٧٢% نظرا لزيادة إنتاج دول إفريقيه جديدة كانجولا وجابون والكنغو وتونس، فضلا عن ظهور الكاميرون على هذه الساحة، وقد استفادت هذه الدول الأخيرة ذات الإنتاج القليل سواء بتوفير النقد الأجنبى الذى كانت تستورد به هذه السلعة أو بتصدير جزء وان كان قليلا، لأن يمثل أضافة كبيرة بالنسبة لاقتصادياتها المتواضعة، فهى تمثل بالنسبة لثلاث دول الأولى ما يزيد على ٨٠% من مجموع قيمة صادراتها.

ولما كان التعدين الحديث يعتمد على رأس المال الكثيف ويتم على نطاق واسع، وجدنا أن عمليات التعدين تقوم بها الشركات المتعددة الجنسية ، وحتى في الأقطار التى حدث فيها بعض التأميم، فهذه الشركات لديها رأس المال والخبرة والتقنية والمهارات الإدارية التى تمكنها من كفاءة الأداء، ولا ننسى أن هذه الشركات هى جزء من نظام تجارى عالمى يعمل لصالح الدول الصناعية، وفي الأمد الطويل نجد أن أسعار المواد الخام تنخفض بالنسبة للسلع الصناعية والواقع أن قطاع التعدين يكاد يكون معزولا عن اقتصاد الدولة، أنه بالجيب فهو مكثف لرأس المال، يحتاج إلى عمالة قليلة، ومعدات باهظة الثمن وفي نفس الوقت مستوردة وفي نفس الوقت تجتذب هذا الجيب العمالة، وهم غالبا من الشباب يجذبهم من القطاع الاقتصادى التقليدى، ويصبح هناك ازدواج اقتصادى معروف في معظم الدول الافريقية.

وإذا نظرنا إلى الخمسة دول الكبار في مجال نصيب الفرد من الناتج المحلى نجد أنها كلها دول تعتمد على التعدين في اقتصادها، ليبيا البترول، جابون بانتاجها المتواضع من البترول مع المنجنيز وفي ظل عدد سكانها القليل احتلت المرتبة الثانية، وجنوب إفريقيه التى يرجع ثرائها إلى عام ١٨٧٠ تعتمد على العديد من المعادن، غير أن مظاهرحديثة تمثل فى بتسوانا، فغداه استقلالها عام ١٩٦٦ لم تكن تعرف المعادن وكان شعبها من أفقر الشعوب الافريقية، ولكن بدءا من عام ١٩٧١ اكتشفت الماس، وكذلك النيكل والنحاس عام ١٩٧٤، وبدأت بتسوانا تصعد بسلم نصيب الفرد من

الناتج المحلى لتحتل رقم السابع عشر عام ١٩٧٥، ثم العاشر عام ١٩٨٠ والخامس منذ عام ١٩٨٥ حتى عام ١٩٩١.

شكل رقم (٤٣) : الثروة المعدنية (يورانيوم)



ولكن الوجه الاخر من العملة أن اعتماد بعض الدول الافريقية على قطـــاع التعديـــن بصورة أساسية كالجزائر، وبتسوانا ، وجابون، وليبيــــا، وموريتانيـــا، ونيجيريـــا، وزامبيا، يعرضهم لهزات شديدة نتيجة ذبذبة الأسعار من ناحيـــة، ولنفـــاذ ثرواتـــها المعدنية من جهة أخرى.

الصنـــــــاعـــة :

تعتبر إفريقيه باستثناء جنوب إفريقيه وزامبيا من أقل القارات تصنيعا وقـــد بـــدأت الدول الافريقية طريق التصنيع متأخرة عن دول آسيا وأمريكا اللاتينية النامية، وكان نجاحها أكثر بطءا ورغم الرغبة العارمة لاتخاذ هذا الطريق بعـــد الاســتقلال منــذ الستينيات، فاقتصادها كما رأينا ما زال أوليا في معظمـــه ، زراعـــى، أو غـــابى أو معدنى للتصدير، وبالكاد تجرى عليه صناعة لتركيز المعـــدن مـــن الخامـــات، أمـــا الصناعات الوطنية سواء للاستهلاك المحلى أو للتصدير المحلى أو للتصدير ، فمـــا زالت في دور النمو، وباستثناء جنوب إفريقيه ومصر والمغرب والجزائر ونيجيريـــا، فلا يمكن للدول الافريقية أن تقارن بدول آسيا وأمريكا اللاتينية في درجـــة نموهـــا الصناعى.

معدلات النمو الصناعى :

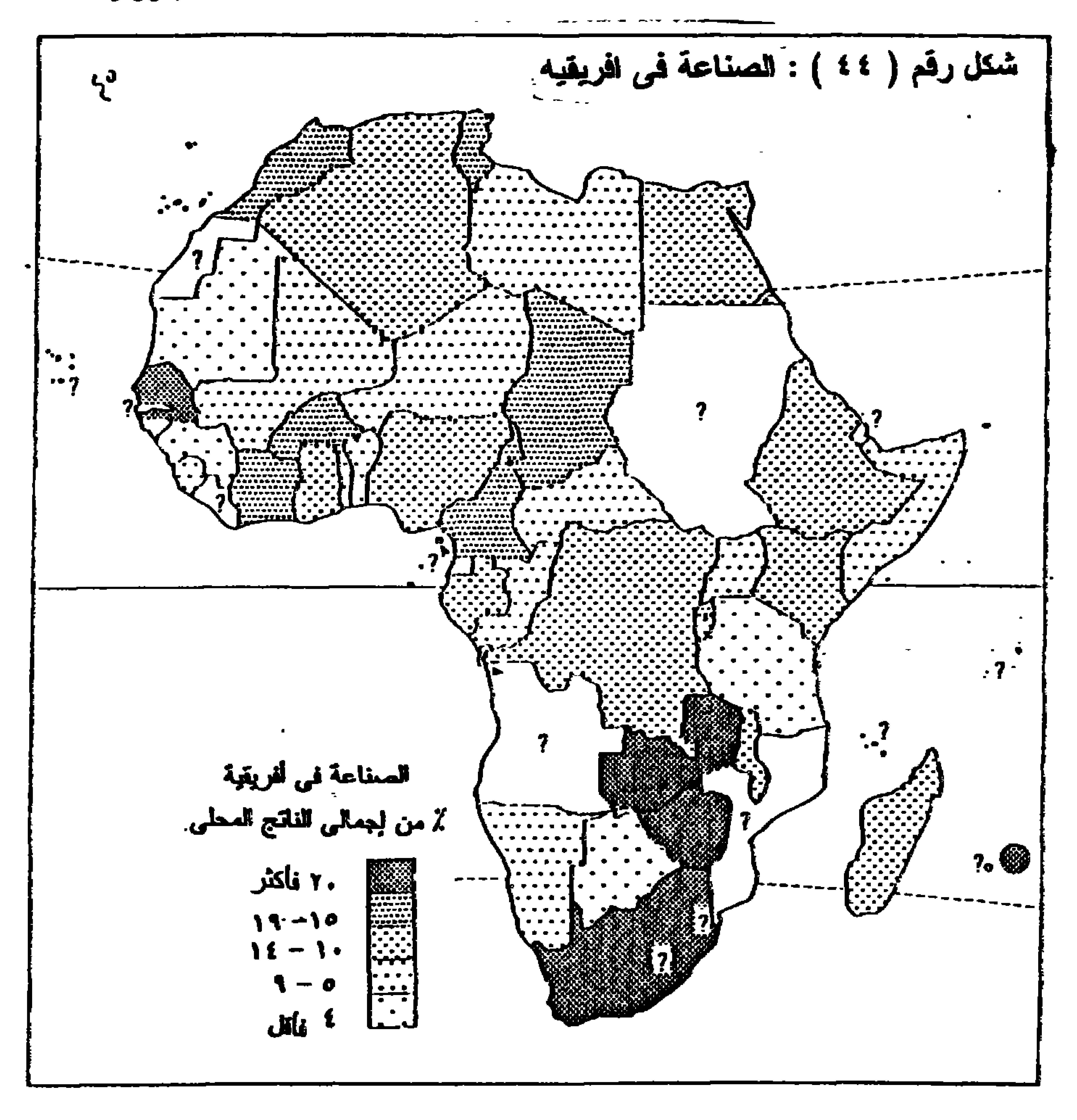
إذا كان التصنيع يقاس بنسبة مساهمة الصناعة في إجمالى الناتج المحلى، فيلاحـــظ رغم ما سبق أن ذكرناه، أن هناك تقدماملحوظا منذ عام ١٩٦٠، ومـــع ذلـــك تظـــل الدول الافريقية في نموها الصناعى دون نظائرها النامية في أمريكا اللاتينية وآســيا، ويكفى أن نذكر بأن نصيب إفريقيه هو ١% من القيمة المضافة للصناعة العالميـــة، إذا ما قورنت ٧%، ٦% بالنسبة لآسيا وأمريكا اللاتينية النامية.

القطاعات الصناعية :

تغلب الصناعات الخفيفة، فهىمسئولة عن ٦٠% من القيمة المضافة ، وأكـــثر مـــن ٦٠% من العمالة الصناعية، كالصناعات الغذائيـــة والمشـــروبات والتبـــغ، كذلـــك المنسوجات والجلود والأحذية، والورق ومنتجاته والملاحظ أنـــها كلـــها صناعـــات استهلاكية، أما الصناعات الوسيطة والرأسمالية ***Capital and intermediate industries*** وتتمثل في الحديد والصلب، الصناعات غير الحديديـــة علـــى وجـــه الخصوص تلك التى تعتمد على النحاس، والزنك، والرصاص، والالمومنيوم، كذلـــك الصناعات الكيماوية، وهذه تضم السماد، والمضادات الحشرية، وحامض الكـــبرتيك

والصودا الكاوية، والأدوية، والصابون، وهى صناعات تعتمد على الموارد المحلية من خامات وطاقة كالفوسفات، والبوتاس، والهيدروكاربون، والغازات البترولية.

شكل رقم (٤٤) : الصناعة فى افريقيه



وأما الصناعات الثقيلة فما زالت في مراحلها الأولية، وهى صناعات مكثفة لرأس المال *Captial intensive*، ومن مشكلاتها أيضا أنها لابد وأن تكون مصانعها كبيرة الحجم، وعدم وجود صناعات هندسية تعتمد عليها مثل صناعة السيارات، وبناء السفن، وقطع الغيار ، فضلا عن صناعات الالآت المنتجة للصناعات الاستهلاكية.

وفي الواقع هناك بعض صناعات لابد من قيامها قبل تصدير الخامات، وذلك لزيادة قيمتها من ناحية، واختصار تكاليف نقلها، فضلا عن ايجاد عمل للسكان المحليين، فكل بلد منتج للقطن قامت فيه صناعة حلج، وقامت صناعة السكر في مصر منذ أكثر من سبعين عاما، وصناعة دبغ الجلود في الأقطار المربية للحيوان، كذلك نشر الأخشاب في دول غربى إفريقيه، كما زاد إنتاج الزيت وصادراته نتيجة للتوسع في صناعة عصر الفول السوداني ويشبه استخراج زيت الفول السوداني إلى حد كبير استخراج زيت النخيل من النواة والذى بدأ في زائير ثم امتد إلى نيجيريا وبنين وسيراليون . ويصدر زيت الزيتون من شمال إفريقيه ولا يصدر الزيتون لنفس الأسباب. وإذا كان معظم الكاكاو والبن يصدر خاما، فإن هناك بعض مصانع لطحن البن وإعداده في تنزانيا وكوت ديفوار، كما تصنع الأربعة دول الأولى المنتجة للكاكاو بعضا منه ، وكذلك الحال في تصدير معدن النحاس، وليس خامات النحاس كما يحدث في زائير وزامبيا وزيمبابوى لانخفاض نسبة المعدن في الخامات. كذلك بدأت هذه الصناعة في خامات الحديد في ليبيريا حيث أقيمت المصاهر لاستخراج المعدن وتصديره على هيئة كرات حديدية.

بعض مشكلات الصناعة في إفريقيه :

١- الطاقات الإنتاجية غير المستغلة، ويرجع في جزء منه إلى أن المصانع والورش تكون قد تقادمت آلاتها، وأصبح من العسير الحصول على قطع الغيار بسبب نقص العملة الصعبة، خاصة وأن بعض الموردين يصرون على الدفع مقدما، كذلك أولويات توزيع العملة الصعبة على القطاعات الاقتصادية المختلفة.

٢- عدم توفر الخامات الضرورية أو السلع الوسيطة اللازمة للإنتاج، من ثم تعانى الصناعات المعتمدة على الواردات، وقد تأتى مشكلة عدم توفر الخامات نتيجة ظروف محلية لا علاقة لها بالنقد الأجنبى كسوء الأحوال المناخية، بسبب الجفاف كما يحدث بالنسبة لمحاصيل الشاى والبن في شرقى إفريقيه، ويؤدى الجفاف أحيانا إلى هبوط مستوى مياه الأنهار التى تولد منها الكهرباء مما يؤدى إلى تقنين استخدام الكهرباء، والاستعاضة عن الكهرباء المائية بتشغيل محطات الكهرباء

الحرارية التى تعتمد على البترول.

٣- مشكلة إحلال المنتج الوطنى محل الأجنبى، وهو السبب الرئيسى في قيام كثير من الصناعات. ولكن المشكلة تتمثل في المحتوى الأجنبى لهذه الصناعات، ومدى اعتمادها على التكنولوجيا المستوردة والمكثفة لرأس المال، بينما التكنولوجيا المناسبة للدول الافريقية هى المكثفة لليد العاملة *Labour intensive*، ومن المعروف أن الدول الافريقية تعانى من تدفق سكان الريف إليها دون عمل، بينما التكنولوجيا الحديثة ترتبط بالمهارات والكفاءات الصناعية والإدارية ، لا على مستوى القيادات فحسب، بل على مستوى الوظائف الوسطى أيضا.

٤- قد تعجز وسائل النقل عن تحمل نقل السلع الزراعية والصناعية، خاصة بعد الانقلابات. فمثلا في أوغندا وأنجولا وغيرها من التى تحدث فيها الاضطرابات، يتعرض مرفق النقل فيها للسلب ، فتتسرب أعداد كبيرة من السيارات خارج الحدود، وتدمر خطوط السكك الحديدية، وتحتاج هذه بدورها إلى قطع غيار بعد إنتهاء التوتر السياسى.

٥- الاختناقات التى تعانيها البنية الأساسية، خاصة إذا كان هناك تناثر للسكان وتناثر للتجمعات السكانية مما يقتضى ربطها ببعضها وربطها بمواطن الإنتاج الصناعى، وان تكون تكاليف النقل مناسبة.

٦- ضيق الأسواق الافريقية في ظل تفتيت القارة إلى ٥٣ وحدة سياسية ، وبالتالى قلة عدد السكان. فإذا أضفنا إلى هذا ضعف قوتهم الشرائية ، أدركنا القول المأثور.

This is economic manifestation of poltical fragmentation.



المرأة الأفريقية تعمل

ولا يشكل الطفل عبءاً عليها

شخصية الأقاليم

الفصـــــل الأول
إفــريقـــــــية الغربيــــــة

سمات عامة :

من السنغال إلى الكمرون يمتد إقليم متسع ذو شخصية متميزة هو غــرب إفريقيــة ،ولئن كان حده الجنوبى والغربى واضحاً كل الوضوح متمثلاً في المحيط الأطلنطــى، فإن حده الشمالى والشرقى هو الذى يثير نقاشاً، ولكن معظم الجغرافيين ينتهون بــه شرقا إلى الحد الغربى للكمرون، على اعتبار أن الكمرون أقرب طبيعياً وبشرياً إلـــى إفريقية الوسطى ، فمرتفعات الكمرون وبامندا تعتبر ظاهرة طبيعية بــارزة كحــواف قافزة لذلك الأخدود الذى يمتد من قرب بحيرة تشاد إلى جزر ســـانت هيلانـــه فـــي الاطلنطى، من ثم كانت فاصلاً بين إفريقية الوسطى وغرب إفريقية باستثناء فجـــوة صغيرة بين جبل الكمرون وبقية المرتفعات، فقد حال هذا الحاجز دون انتشار كثـــير من الأنواع النباتية من وسط إفريقية إلى غربها، كما كان فاصلا بين ســكان وسـط إفريقية حيث زنوج البانتو، وغرب إفريقية حيث الزنـــوج الســودانيين. أمــا الحـد الشمالى فهو تقريبى، ويتفقون على أن يكون خط المطر ٢٥ سم هو الحد الشمالى تقريبا، على اعتبار أن الصحراء تبدو واضحة بعد هذا الخط الذى يمتد مـــن شمال سانت لويس نحو الشرق ليمر إلى الجنوب قليلا من تمبكتو، وجاو واجاديس.

وفي مساحة مثل هذه تبلغ نحو ٧ مليون كيلو متر مربع أو ما يقرب مـــن خمـس

مساحة القارة يعيش نحو ٢٠٠ مليون نسمة أو أقل قليلا من ١/٣ سكان القارة (*).

وكان لامتداد الأطلنطي على سواحله أثره في فصل غرب إفريقية عن العالم الخارجى من الجنوب والغرب ردحا من الزمن، حتى تم الكشف الجغرافى، وأصبح المحيط أداة ربط بينه وبين أوربا والعالم الغربى، وهكذا لعب المحيط والساحل الذى تمتد عليه أشرطه المستنقعات وغابات المنجروف فضلا عن الكثبان الرملية الساحلية دوره في عدم قيامه بذلك الدور الذى قام به ساحل إفريقية والبحر المتوسط من علاقات مع العالم الخارجى منذ القدم.

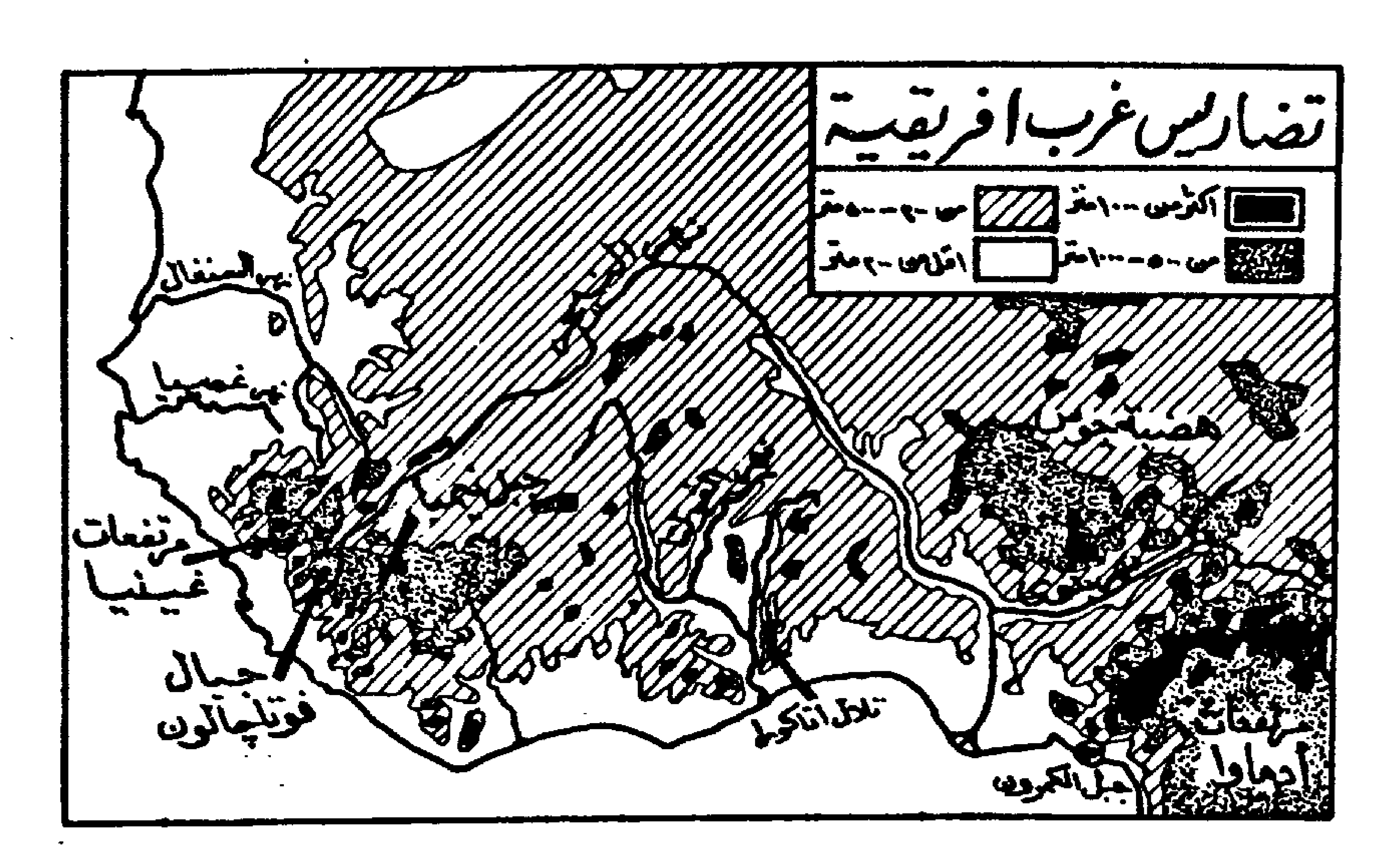
ويذهب البعض إلى أن هذا الإقليم عاش في عزلة عن العالم بفضل ساحله غير المضياف المطل على الاطلنطى من جهة ، ووقوع الصحراء الكبرى إلى شماله من جهة أخرى، ولكننا كما رأينا من قبل لم تكن الصحراء عازلا، بل جسرا ***bridge not a barrier*** عبرته القوافل التجارية والحملات الحربية والباحثون عن العلم والدين ، ولم تفقد الصحراء أهميتها كوسيلة لربط غربى إفريقية بشمالها إلا بعد ظهور الاستعمار على سواحلها. وفي الوقت الحاضر لا يوجد إلا طريقين للسيارات يبدءان من غرب إفريقية، أولها الطريق الموريتانى ويمر من سانت لويس في السنغال إلى أجادير في المغرب والثانى طريق الأحجار من أجاديس في النيجر إلى غرداية في الجزائر.

يتميز غربى إفريقية بعزلة أجزائه الداخلية عن الساحلية فرغم ، رتابة التضاريس وعدم ظهور السلاسل أو الكتل الوعرة، فهناك عدم انتشار الأنهار الصالحة الملاحة إلى جانب كثافة الغابة وانتشار ذبابة التسى تسى التى تمنع تربية حيوان الجر، فمثل هذه الحيوانات من البقر والإبل لا توجد إلا على أطراف الإقليم الشمالية (النصفانا الجافة) ومن ثم ليس بمحض الصدفة أن تقوم الممالك الإسلامية في فترة ما قبل الاستعمار (غانا القديمة – صنغى – مالى – بورنو) في الإقليم السودانى، بل وحتى وقتنا الحاضر رغم مد شبكات الطرق واستخدام السيارة فما زالت الاقاليم الداخلية

* يتجه البعض إلى القول بأن تسمية غرب أفريقية هى اختراع أوربى، قصد به أن يضم كل الأراضى التى على صلة بغرب أوربا تجاريا عن طريق الموانى وجنوب الصحراء وغرب الكمرون.

تعاني عزلة نسبية، وما زال الفرق كبيرا بين الطرق في جنوب شرق كوت ديفــوار، وجنوب غانا، وغرب نيجيريا حيث الكثافة العالية والحركة الثقيلة، وبيــن المســالك المبعثرة المتباعدة في الشمال.

شكل رقم (٤٥) : تضاريس غرب افريقيه



وكان غربى إفريقية أول أجزاء إفريقية المدارية اتصالا بالأوربيين رغم أنه لا يصلح لسكناهم عكس شرقى إفريقية، بلغه البرتغــاليون أولا عــام ١٤٧١، إبــان حركــة الكشوف الجغرافية، وانتقل الاستعمار الأوربى هنا على مراحل من احتــلال الجــزر الساحلية، إلى إنشاء الحصون والقلاع في الجهات الساحلية لاتخاذها مخازن للســلع وعلى رأسها الرقيق، والذهب، وريش النعام، ثم كان التوغل في الداخل بعد حركــة الكشف، ولما كانت البيئة لا تشجع على الاستيطان الأوربى ، فلــم تنشــأ المــزارع الواسعة إلا في بعض المســتعمرات البرتغاليــة والأســبانية فــي الجــزر وبعــض المستعمرات الفرنسية مثل كوت ديفوار، فيما عدا هذا كــانت المزرعــة الافريقيــة الصغيرة هى الأساس كما في مزارع الكاكاو في غانا. ولم تحــدد منــاطق النفــوذ الأوربى قبل معرفة الداخل بصورة صحيحة، وإنما حاولت كل دولة أن تضــم أكــبر

مساحة ممكنة لقاعدتها الساحلية، ولذلك أتت الحدود السياسية وليس فيها أعتبار للوحدات القبلية، كما حدث لقبيلة الإيفى التى قسمت ما بين توجو وغانا، ثم كان اختلاف الادارة الاستعمارية أساسا آخر يؤكد الاختلاف والفرقة، فبريطانيا آثرت طريقة الحكم غير المباشر عن طريق السلاطين وزعماء القبائل الذين يوجههم الحاكم العام ومأموروا المراكز، حتى لا يحس بحكمهم السكان أطول مدة ممكنة، على حين كان الفرنسيون يفضلون طريقة الحكم المباشر المركزى وربط اقتصاديات المستعمرات بفرنسا، فضلا عن تشجيع الاحتكارات الكبرى التى تقوم بها الشركات الفرنسية.

وعلى عكس ما يتوقع الإنسان كان الاستقلال من العوامل التى ساعدت على العزلة، عزلة الشعوب والدول في غربى إفريقية بعضها عن بعض، وقد ظهر هذا في السنوات الثلاث الأولى التى بدأ فيها استقلال دول عشر في غرب القارة بين عامى ١٩٥٧ - ١٩٦٠، إذ زادت حدة الحدود السياسية والحواجز الجمركية، وضوابط هجرة العمالة، بل إغلقت الحدود السياسية ، ففي مناسبات عديدة ولمدد طويلة، كما حدث بين السنغال ومالى، وبين غانا وتوجو، وأن كان هذا الغلق على طول الطرق الرئيسية فقط، بينما استمرت الحركة والتهريب على طول الحدود.

هكذا نجد أن عزلة غربى إفريقية هى أحدى خصائصه الرئيسية داخليا وخارجيا، وفك هذه العزلة هى المتطلب الأول للتنمية الاقتصادية، ولكن هذا ثمنه باهظ فيما يختص بالظروف الطبيعية في السهول الساحلية وكثبانها ، ولاجوناتها، وكذلك صعوبة إيجاد نظام موحد للنقل في غرب إفريقية كله، لأن تكاليف النقل المرتفعة تهبط من قيمة الصادرات، وترفع من قيمة الواردات، بل إن جزءا كبيرا من قيمة صادرات الاقاليم الداخلية يضيع في ارتفاع أجور النقل، كذلك ترفع المسافات البعيدة من قيمة الواردات الأساسية كالبترول، والأسمنت والمصنوعات المعدنية إذا ما قورنت بالاقاليم الساحلية، فعلى سبيل المثال إذا قدر سعر النفط في مارس ١٩٦١ بمائة في لا جوس، يرتفع في كانو إلى ١٢٥، وفي ماديجورى إلى ١٤٥ في نيجيريا.

ويتميز غربى إفريقية أيضا بأن الظاهرات المناخية والتربة والنبات تمتد على شكل نطاقات *Zones* من الشرق إلى الغرب شبه متوازية، تتناقص في خصائصها من الجنوب إلى الشمال، بعكس الحال في شرقى إفريقية حيث تمتد تلك النطاقات من الشمال إلى الجنوب.

يتميز غربى إفريقية أيضا بقسوة الظروف الطبيعية وعلى رأسها فقر التربة بوجه عام، فباستثناءات قليلة هى فقيرة في المواد العضوية والمواد المعدنية، نتيجة غسل التربة المستمر للمواد القابلة للذوبان، يصبح الاحتفاظ بالخصوبة من الصعوبة بمكان، وتتحول الى تربة لاتراتية عقيمة، ويعتبر هذا العامل من أهم الأخطار التى تتعرض لها الزراعة، وخاصة إذا ما حجب العمليات السابقة تعرية التربة لانكشافها من الغطاء النباتى، وظهر هذا واضحا في زراعة الذرة العريضة باستمرار في ظهير أكرا، حيث فقدت التربة خصوبتها، وتحولت إلى أرض عقيمة، تغطيها الحشائش بدلا من الغابات.

وترتفع درجة التبخر بوجه عام لدرجة تنخفض معها رطوبة التربة دون الحد الأدنى لنمو النبات، إذا لم يكن المطر مستمرا، ومن ثم يتوقف نمو النبات بل والنشاط الزراعى بعد انتهاء فصل المطر. هكذا يصبح الميزان الايكولوجى حساسا للغاية، وقد أشار كثير من الباحثين إلى هذا، فتكرار الزراعة في الأودية النهرية في شمالى غانا أدى إلى تدهور التربة، وترك الأهالى لها نحو مناطق تقسيم المياه، وأدى هذا إلى عودة الأودية النهرية إلى نباتاتها الطبيعية، ولا تجد من يطهرها، فتفره فيها الحشرات الحاملة للميكروبات، ولما كان الإنسان والحيوان في حاجة إلى ارتياد المجارى النهرية للحصول على مائها، تعرضا معا للإصابة بالأمراض.

التضاريس: ليس من شك أن الظروف المناخية هى التى تعمل على التنوع في داخل الاقليم وبصفة خاصة المطر، حيث تقطع الوحدات السياسية الحالية عدة أقاليم تتراوح بين المدارى المطير طول العام وشبه الصحراء، هذا التتابع البيئى ساعد عليه ، وأكده قلة تضرس الاقليم، فمعظم الاقليم يتكون من هضاب وسهول يقل ارتفاعها عن ٥٠٠ متر فوق سطح البحر، ويمكن تبسيط المظهر الفزيوغرافى لغرب

إفريقية في كونه اقليم ياخذ شكل قوس كبير يمتد من الغرب إلى الشـــرق، ويتـــألف الجزء العلوى من هذا القوس من هضاب وسهول يقل ارتفاعها عن ٥٠٠ متر فـوق سطح البحر، وأن ظهرت عليها أحيانا بعض القمم والجبال المنعزلة التى تتكون مـــن قباب جرانيتية وحافات رملية، هذا بينما تتألف أطراف هذا القوس من أراضى أكـــثر ارتفاعا ممثلة في هضاب فوتا جالون وغينيا في أقصى الغرب اللتان تزيـــدان علـــى الألف متر ، وترتفعان بحدة من الساحل إلى ما وراء كوناكرى على شـــكل ســـفوح شديدة الانحدار، وتضم هذه الهضاب أعلى قمة في غرب إفريقية، وهى قمـــة جبـــل بينتمانى في سيراليون بارتفاع ٢١٩٠ مترا، أما الحد الشرقى فيتمثل فـــي هضبـــة جوس في نيجيريا والتى ترتفع إلى ١٨٣٠ مترا قرب بلـــدة جـــوس نفســـها، ثـــم مرتفعات الكامرون وأداماوا التى تغطيها غطاءات اللافا.

تضاريس غرب أفريقية: أما السهول التى تحيط بهذه الهضاب فتبلغ أقصى اتســـاعها إلى الغرب من هضبة جوس في سهول الهوسا العليا فـــي نيجيريـــا، وفـــي القســـم الأوسط من النيجر والسنغال، وفي الجنـــوب هنـــاك الســـهل الســـاحلى بلاجوناتـــه واشرطته الرملية ممتدا من جزيرة شيربرو في سيراليون إلى مصب النيجر، ويبلـــغ هذا السهل أقصى ضيق له في ليبيريا وجنوب شرقى غانا، أما إلـــى الشـــمال مـــن فوتوجالون، فيمتد سهل ساحلى عريض في سينجامبيا ممثلا بذلك النهايـــة الغربيـــة لمنخفض السنغال والنيجر. هذا بينما إلى الشمال من جزيرة شيربرو فتبدو مظـــاهر الساحل الغارق الكثير التعاريج.

ولقد سبق أن ذكرنا في خصائص سواحل غربى إفريقية أنها تتميز بالشطوط الرملية الضخمة التى تتصل نهايتها أحيانا باليابس، وأحيانا تكون غارقة تحت سطح المـــاء بنحو ثلاثة أمتار، وتتمثل أسبابها في هبوب الرياح الغربية طول العام، ممـــا يـــؤدى إلى ظهور تيار مائى يتجه من الغرب إلى الشرق، ويحمل هذا التيار كميات كبيرة من الرمال، أدى ترسيبها إلى تكوين مجموعة من الألسنة الرملية تفصل بين البحـــيرات الساحلية (اللاجونات) وبين المحيط، وتمثلت نتائجها في إعاقـــة الشـــحن والتفريـــغ المباشر، ورسو السفن بعيدا، واستخدام الزوارق، كذلك زيادة نفقات صيانة تطـــهير

الموانى، ووضع تصميمات معقدة لتفادى أثر هذه الرمال، هذا فضلا عن غلق بعض مداخل الأنهار أمام حركة الملاحة، كما حدث لبعض فروع دلتا النيجر.

التصريف المائى في غرب إفريقية: يتجه معظم التصريف المائى في غرب إفريقية إلى المحيط الأطلنطى، ومع ذلك فمناطق تقسيم المياه قريبة من الاطلنطى حيث مرتفعات غينيا وفوتاجالون، وحيث منابع النيجر، والسنغال، وغمبيا. ويتجه كل من السنغال الأعلى والنيجر الأعلى نحو الشمال الشرقى، أو نحو ذلك المنخفض الكبير الذى كانت تحتله بحيرة أروان جنوب غربى تمبكتو ، مكونة بذلك مركزا للصرف الداخلى، وقد انصرفت هذه البحيرة نتيجة لتدفق المياه منها بسبب النحت التراجعى للأنهار،وأسر الأجزاء الدنيا من الأنهار لمياهها، وظاهرة الأسر هذه من الظواهر الشائعة في أنهار غرب إفريقية.

النيجر(*): وهو ثالث أنهار إفريقية طولا بعد النيل والكنغو، إذ يبلغ نحو ٤١٦٠ كم وكذلك من حيث مساحة الحوض التى تزيد على ٢ مليون كيلو متر مربع ويمر النيجر خلال الاقاليم المناخية في غرب إفريقية ولكن يتميز عن النيل في أن منابعه تقترب من مصبه من حيث الدوائر العرضية، إذا ينبغ من الاقليم دون الاستوائى في مرتفعات فوتاجالون وينتهى في الاقليم الاستوائى. ويعتبر النيجر الأعلى نهرا ناضجا ذو مجرى محدود وقد استطاع نهر السنغال أسر النيجر الأعلى في منتصف الزمن الثالث، وعندما حل الجفاف تقدمت الرمال الزاحفة لتفصل بينهما، ويتجه النيجر الأعلى إلى سهل فسيح (المجرى الأوسط) أو بحيرة أروان، فلما عادت الظروف المناخية الرطبة مرة أخرى أتته روافد من الشمال من هضبة أدرار ايفوراس ليصب حول جاو، وبزيادة الارسابات الرملية تحولت بحيرة أروان إلى عدة بحيرات، وفى نفس الوقت دفعت النهر للاتجاه جنوبا عند تمبكتو، وأصبحت المنطقة فيما بين تمبكتو وسيجو عبارة عن سهل فيضى ملء بالمستنقعات، وهى مساحة تعادل

(*) ربما ترجع أصل التسمية للأصل اللاتينى niger ومعناها أسود، أو إلى تسميه بربرية مشتقة من neghiren ومعناها مجرى، بينما يعرف المجرى الأعلى له عند قبائل الماندنجو باسم دجوليبا أى النهر الكبير، وفي مجراه الأولى باسم كوارا.

الجزيرة البريطانية الكبرى، ويرجع هذا إلى انخفاض واستواء السطح، ويطلق عليها أحيانا الدلتا الداخلية للنيجر ، فهى نهاية المجرى الأعلى حين كـان ينتـهى فيـها. والنيجر الأعلى صالح للملاحة فيما بين كوروسا وبماكوفى فصـل المطـر، ولكـن تعترضه المساقط بعد بما كو بسبب شواهد الحجر الرملى الناتئة من جبال مـاندنج. ثم يعود صالحا للملاحة فى فصل الفيضان حتى شلالات بوصا. وتنتهى الدلتا الداخلية للنيجر شرقى تمبكتو ليبدأ النيجر الأدنى الذى تعترضه شلالات بوصا بالقرب من جبا ولكى يصبح بعدها صالحا للملاحة. وتتصل بالنيجر عدة روافد أهمها بانى في مجراه الأعلى، وسكوتو، وكادونا في قسمه الأدنى، غير أن أهمها جميعا نهر بنوى الـذى يرفده عند لوكوجا.

وينتهى النيجر بدلتا عظيمة، تعتبر أكبر دلتا في إفريقيـة بمسـاحة ٣٥٨٤٠ كـم٢ عرضها ٢٥٠ كيلو مترا على طول الساحل، تمتد فيـها فـروع النيجـر المتعـددة ومستنقعات المنجروف التى يصعب اجتيازها أحيانا، والدلتا في نمو مسـتمر علـى حساب المحيط ، هذا ويلعب نهر بنوى بالاشتراك مع القسم الأدنى من مجرى النيجر دورا هاما بالنسبة للنقل المائى بسبب ما يضيفه من ماء للنيجر في فصل الفيضـان فضلا عن الأمطار شبه المستمرة على الدلتا ، مما كان له أثره في كثافـة الحركـة على النهرين سواء من المسافرين، أو الأخشاب، أو المواد الغذائية.

ويعتبر نهر بنوى أهم روافده قاطبة، ويتميز بسرعته ونشاطه، وربما يجـرى فـي وادى أخدودى، وقد إتخذوه منذ القدم طريقا للتحركات البشرية الأتية مـن الشـرق والشمال الشرقى، وإذا كانت منابعه تقع في هضبة أدماوا في الكمرون، فهو صـالح للملاحة في فصل الفيضان من جادوا في جمهورية الكمرون إلى يولا علـى حـدود نيجيريا في أغسطس وسبتمبر ، ومن يولا إلى لوكوجا عند اتصاله بالنيجر الأدنـى بين يونية ونوفمبر. ويتصل نهر لوجون أحد روافد بحيرة تشاد بنـهر بنـوى فـي موسم الفيضان ويغذيه بالمياه، ولما كان البنوى أكثر نشاطا وسرعة ، فيخشى علـى نهر لوجون من أسر النيجر له، وهذا معناه حرمان بحيرة تشاد من خمس مواردهـا المائية مما قد يهددها بالجفاف، وعلى الرغم من مظاهر النشاط على نـهر بنـوى،

فإنه ينفرد بين أنهار غرب إفريقية بمظاهر النضج النهرى أيضا، ويتجلى هـذا فـي الضفاف الفيضية التى تغمرها المياه في موسم المطر، وتعطـى إمكانيـات كبـيرة لزراعة الأرز.

السنغال: ويأتى السنغال كسادس الأنهار الافريقية طولا وخامسها من حيث مسـاحة حوضه. وقد تكون نهر السنغال وبدأ يتخذ مجرى محددا في منتصف الزمن الثـالث حين انحسر خليج السنغال، وكان لتجمع الكثبان الرملية أثره في انحراف المجـرى عن المصب نحو الجنوب، وقد عملت الرياح التجارية المنتظمة إلى جانب التيـارات البحرية على بناء كثيب ساحلى ضخم يعرف باسم ***La Langue de Barbarie*** الذى قلل من قيمة المصب الخليجى للنهر ومنع من نمو سانت لويس كميناء جيد، و عملت هذه العقبات أيضا على انتشار الفيضانات عند امتلا المجرى بالماء. والسنغال صالح للملاحة بصعوبة إلا في فصل المطر (أغسطس – أكتوبر) حيث تصل السـفن الصغيرة إلى كايس، أما بقية العام فغالبا ما تتوقف الملاحة فيـه، أو لا يصلـح إلا للقوارب الصغيرة، من ثم تقوم السكك الحديدية بعمليات النقل في السنغال، وكـانت أهميته أكبر في الرى عندما يفيض فيروى الأرض ويخصب التربة.

غمبيا : من أفضل أنهار القسم الغربى من غرب إفريقية فهو صالح للملاحـة فـي حدود دولة غمبيا، من ثم كان وسيلة النقل الرئيسية لمعظـم الإنتـاج الاقتصـادى لغمبيا، وذلك بفضل الصلاحية للملاحة، والامتداد الشريطى للبلاد بعرض قـدره ٢٤ كيلو مترا، وبطول ٤٧٠ كيلو متر، ساعد ذلك علـى قـرب مراكـز إنتـاج الفـول السودانى من المجرى، واعتمادها عليه في النقل، بل وعدم التفكير في مد الخطـوط الحديدية.

الفولتا : يعتبر من الأنهار الرئيسية في ساحل غانا بعد النيجر، ويسير الفولتا الأسود في مجراه الأعلى في اتجاه شمالى شرقى موازيا للنيجر الأعلى، وهو يشبهه أيضـا في كونه كان ينتهى في بحيرة داخلية، ثم تدفقت المياه من البحيرة إلى الجنوب فـي فترة من فترات المطر الغزير، وكذلك الحال في فولتا الأبيض ورافده الفولتا الأحمـو، لابد وأنه نهر مركب أيضا استطاعت أن تأسر مياهه روافد كانت تصب في الشمال،

ويجتمع الرافدان ليكونا نهر الفولتا الذى يتجه جنوبا قاطعا طريقه في خانق يجـــرى في سلاسل أكوابيم حيث أقيم سد أو كسومبو أو سد الفولتا.

مناخ غرب إفريقية :

يقع كل غرب إفريقية ضمن المناخ المدارى فلا يوجد فيه جزء ينخفض فيه متوسـط الحرارة الشهرى عن ١٨م، قد تنخفض درجة الحرارة عن ١٥م لمدة قليلة ليلـــة أو ليلتين في الإقليم الساحلى أو اقليم الغابات، ومتوسط حرارة هذا الساحل نحـــو ٢٧م في يناير ويتميز بالمدى الحرارى السنوى الضئيل الذى لا يتعدى درجة واحدة فـــي فريتاون ودرجتين في لاجوس، ثم يزداد المدى بالاتجاه شمالا بحيث يقترب مـــن ١٠ درجات في جاو. وكان لظروف الحرارة هذه آثارها لا على النبات الطبيعى فحسـب، بل على الحياه الاجتماعية التى تشاهد في غرب إفريقية، فكما يقولـــون أن الحيـاه هناك خارج جدران المنازل أكثر منها في داخلها، وظاهرة الأسواق الليلية معروفـــة في مجتمع اليوروبا في جنوبى نيجيريا، كما أن الملابس كمالية أكثر منها ضرورية، ورغم ذلك فالسكان يستهلكون جزءا لا بأس به من دخلهم في شرائها لأنها مظـــهر اجتماعى.

الكتل الهوائية :

يعد غرب إفريقية ملتقى كتلتين هوائيتين متباينتين الأولى الكتلة القاريـــة المداريـــة الجافة المتربة التى يصحبها هبوب الرياح الشمالية الشرقية والشرقية، والثانية هـــى الكتلة البحرية المدارية التى تقترن بهبوب الرياح الموسمية الجنوبيـــة الغربيـــة أو الغربية. وتتعرض هاتان الكتلتان لتغيرات فصلية واسعة المدى، فتتقدم الكتلة الاولـــى فى يناير الى ٥° – ٧° شمالا، كما تزحف الثانية فى شهرى يوليو وأغسطس شـــمالا حتى دائرة عرض ١٧° على الساحل و ٢١ فى الداخـــل. وتتقـــدم الكتلـــة الهوائيـــة المدارية البحرية نحو الشمال الغربى فى مايو حتى أغسطس وسبتمبر حين تـــتراجع نحو الجنوب ، ويقدر سمكها بنحو ١٠٠٠–١٥٠٠ متر حتى تكفى لسقوط المطـــر الذى تتباين غزارته لاختلاف سمك الهواء من ناحية بين يوم وآخر، ولاختلاف موقع

ملتقى الرياح أو جبهة الكتل الهوائية بين المدارين من ناحية أخرى. وقد أدى اتساع القارة الافريقية الى الشمال من خليج غانا الى أن جبهة التقاء الرياح بين المدارين لاتنتقل هنا جنوب خط الاستواء شأنها فى القارات الاخرى، بل تنتقل بين ٥ - ١٠ شمالا وبين خط الاستواء جنوبا. وتهب أحيانا زوابع من الشرق والشمال الشرقى متجهة نحو الغرب والجنوب الغربى، وتسير على طول مسالك تدل على عدم الاستقرار فى ظروف المناخ فى طبقات الجو العليا، وتمر هذه الزوابع الممطرة فى فترات الانتقال بين الفصول من مايو الى يوليو ومن سبتمبر الى أكتوبر ، وقد تجلب بعض الامطار الى ساحل غانا فى تلك الفترة اذ تغذيها الرياح الجنوبية الغربية الرطبة. وتصبح هذه الزوابع عواصف رملية جافة الى الشمال من دائرة ١٥° شمالا فى الداخل و ١٧° على الساحل والمنطقة الغربية.

ويمتد أثر نسيم البحر لمسافة ١٥ كم للداخل ، وقد تضعف قوته فى الجهات الجبلية كما فى فريتاون وجبال الكمرون ، كما أن الرياح قد تعارضه فيضعف أثره ، ولكن رغم تعدد اتجاهات الرياح فالرياح السائدة هى الشمالية الشرقية والجنوبية الغربي .

المطر :

أما المطر والذى يعتبر عاملا أساسيا فهو اهم ظاهرة طبيعية فى غرب إفريقية ويعتبر غرب إفريقية أقليما فريدا فى كون نطاقات المطر تسير موازية للدوائر العرضية، ويتميز بأنه من نوع المدارى الممطر طول العام وان كانت تشوبه صفة الموسمية أحيانا ، ويقل المطر ويقصر موسمه بالاتجاه شمالا، ويتراوح المطر بين ٣ متر فى الجنوب و ٤/١ متر بل أقل من ذلك عند أطراف الصحراء فى الشمال، فهو فى تمبكتو لا يتعدى ٢٣ سم، ويقتصر فصل المطر كما تقل غزارته تبعا لتعامد الشمس الظاهرى ومايتبعه من حركة جبهة التقاء الرياح بين المدارين بين الشمال والجنوب . ويسقط المطر ، هنا لعدة أسباب : فبعضه يسقط للتصاعد وهو النوع المألوف فى الجهات المدارية، وبعضه نشأ من اصطدام الرياح بالجبال التى تواجهها، ولكن الأعاصير المدارية تؤدى أيضا الى سقوط الامطار. واذا كانت

المنطقة الجنوبية يصيبها من المطر قدرا يفيض عن حاجتها، بل ويلحق بها الضـــرر ، فان الجهات الشمالية يعوزها المطر الذى يسد حاجة سكانها . ويمكـــن أن نقســم أقاليم المطر الى نطاقات للتبسيط على النحو الآتى :

نطاقات المطر	عدد شهور المطر	متوسط عدد ايام المطر فى الشهور الممطرة	متوسط المطر السنوى
من الساحل حتى ٩° شمالا	٧ - ٨	١٥ - ٢٠	+ ١٢٥ سم
من ٩° - ١٥° شمالا	٤ - ٧	١٠ - ١٥	من ١٢٥ -٢٥ سم
١٥° شمالا الى الحدود الشمالية	٣ اشهر واقل	١٠ واقل	١٠ سم واقل

وقد وجد أنه لابد أن يسقط نحو ١٠ سم حتى يستطيع أن يفيد منها النبات، كما يجب ألا يقل طول فصل المطر عن ٣ - ٤ أشهر حيث يسمح بنمـــو النباتـــات الســـريعة النضوج كالذرة الرفيعة، كما أنه شديد التعرض للذبذبات بين عام وآخر، بـــل ومـــن مكان الى آخر فى نفس العام. ومن الطبيعى أن يرتفع معامل النتح والبخر كلما عظم الفرق بين درجة الرطوبة النسبية وبين درجة التشبع ، فقد قدر هنا النتـــح والبخـــر بنحو ٨ ملليمتر فى اليوم بين منتصف فبراير وآخر ابريل فى الفصل الحار الجـــاف، بينما فى الجنوب حيث يتوزع المطر توزيعا مناسبا على مدار السنة يقدر أن ســـقوط ١,٢٥ متر من الامطار يعد كافيا، بل مثاليا للوفاء بحاجة الزراعة ، كما أن وجـــود قمتين للمطر جنوب دائرة عرض ١٠° يسمح بزراعة محصولين فى العام الواحد.

على العموم يغزر المطر فى يولية وأغسطس وسبتمبر حين يكون هبـــوب الريـــاح الجنوبية الغربية شديد القوة والثبات، على عكس شهور الشتاء حين تصـــل ريـــاح الهرمتان من الداخل جافه فتعد شهور ديسمبر ويناير وفبراير شهورا شـــبه جافـــة، ويغزر المطر حين تواجه المرتفعات الرياح كما فى سيراليون حيـــث يبلـــغ أحيانـــا مايزيد قليلا على ٣٥٠ سم ، وكذلك الحال فى سفوح ومرتفعات الكمرون المواجهة للبحر التى يسقط عليها أحيانا ٧٠٠ سم، بينما حـــول خليـــج بيـــافرا يســـقط نحـــو ٢٠٠سم، ثم تظهر منطقة الشذوذ فى الاقاليم الساحلى مابين كيـــب ثـــرى بوينتـــس واكرا حيث يقل المطر عن ٧٥سم ، ويعلل هذا بموازاة الرياح للساحل، فضلا عن أن

التيار الاستوائى الرجعى يجذب المياه السطحية الدفيئة ، وبالتالى تظهر مياه بــاردة من الأعماق لتحل محلها، من ثم كانت درجة الحرارة هنا أقل بنحو درجتين عنها فى الشرق والغرب.

الهرمتان :

وتعد رياح الهرمتان من الظاهرات المناخية التى يشتهر بها غرب إفريقية وهى فــى حقيقتها الرياح الشمالية الجافة، والتى تؤدى أثناء فترة هبوبها الى اثــارة الزوابــع الترابية والرملية، وامتصاص رطوبة الهواء، وهذا بدوره له أثران : أولــهما فــى الجهات الداخلية حيث تثير ضيقا بين السكان ، وثانيهما أثر منعــش فــى الجــهات الساحلية حيث تقلل من الرطوبة النسبية المرتفعة التى بها هذه الاقاليم.

دائرة عرض ١٠ شــــمالا :

ويمكن اعتبار دائرة عرض ١٠° شمالا من الناحية المناخية الحيويــة فــاصلا بيــن اقليمين كبيرين الاول اقليم غانا الذى يتميز بمطر طول العام مع قمتين تتحول الـــى قمة واحدة فى الغرب ، وبمطر يزيد على ١٠٠ سم، وتســـوده الغابــات المداريــة الدائمة الخضرة جنوب دائرة عرض ٨° شمالا ثم يتراوح المطــر بيــن ٧٠ ســم، ١٠٠سم ، وتتحول الحياة النباتية الى غابات نفضية والاقليم الثانى الى الشمال مــن دائرة عرض ١٠° شمالا حيث يظهر الاقليم المدارى المطير صيفا فقـــط ، ويــزداد فصل الجفاف كلما اتجهنا شمالا ، ويتراوح مطره بين ٢٥ سم ، ٧٠ سم ، وتتحــول الحياة النباتية الى سفانا بستانية ثم سفانا مكشوفة ، حتى ندخل فــى الاقليــم شــبه الجاف أو اقليم الساحل الى الشمال من دائرة عرض ١٥° شمالا تقريبا.

الشمال والجنوب :

وهكذا ظهرت فكرة الشمال والجنوب فى غربى إفريقية طبيعياً، وبشريا، واقتصاديـــا فالمطر ا‌لمستمر فى الجنوب أدى إلى فقر التربة نظرا لاستمرار غسلها من المـــواد العضوية والمعدنية القابلة للذوبان، وساعدت الحرارة المرتفعة على الاســراع فــى هذه العملية، من ثم كان الاحتفاظ بخصوبة التربة من الأمور البالغة الصعوبة، بـــل

لقد تحولت التربات فى كثير من المناطق إلى تربة لاتريت أى تكونت قشـــرة يغلــب عليها الألومينا وأكاسيد الحديد التى لاتذوب فى الماء. ويزيد فـــى تدهــور التربــة تعريتها بسبب المطر المستمر، فضلا عن تعريتها من الغطاء النبـــاتى الــذى كـــان يحميها لزراعة الغلات النقدية أو الغذائية، هذا الغطاء الذى يسهل إزالتــه وتصعــب استعادته، ولعل ظهير أكرا يعطى مثلا حيا على تدهور التربة بعـــد ازالـــة الغطـــاء النباتى وزراعة الذرة، كذلك الحال فى هضبة أودى فى شـــرقى نيجيريـــا. ويشـــجع المناخ الحار الرطب معظم العام على نمو وتكاثر الحشرات والميكروبات التى تـــهدد الإنسان جسديا وعصبيا، فهناك البلهارسيا، والملاريا، والحمى الصفراء، والطاعون، ومرض النوم وأن كان ليس منتشرا بدرجة كبيرة فضلا عن ذبابة التسى تسى التـــى تجعل من الصعب تربية الماشية، لذلك لوحظ نقص البروتين وأمراضه خاصـــه فـــى الأطفال بعد سن الفطام.

المناخ والمحاصيل الزراعية :

ويؤدى التبخر الشديد فى الشمال إلى فقد التربة لرطوبتها سريعا إلى ما دون الدرجة الضرورية لنمو النبات، من ثم يتوقف النبات عن النمو بعد نهاية فصل المطر، ومعه يتوقف النشاط الزراعى، وهى ظاهرة خطيرة نظرا لنقص أوعدم فنية التخزين، ممـــا يسبب نقصا شديدا فى المواد الغذائية فى نهاية الموسم، وقبيل سقوط أمطار العـــام الجديد، وبالتالى يتناقص النشاط البشرى اللازم لاعداد الأرض للزراعة، ويعرف هـذا بإسم فصل المجاعة، فإذا أضفنا إلى هذا ظهور ذبذبات فى بداية فصل المطر وفـــى كميته، أدركنا ما يعانيه السكان فى هذا الفصل. ويرتبط بالشـــمال والجنـــوب نـــوع المحاصيل الغذائية التى يتناولها الإنسان، والتى ترتبط بدورها بالظروف المناخيـــة، فاذا كانت الدرنيات ترتبط بالجنوب، فان الحبوب ترتبط بالشمال فالدرنيات النشـــوية كالكسافا، والكوكويام، وأحيانا الأرز فى الجنوب كما أن الـــذرة، والدخـــن، والفـــول السودانى هى أغذية أساسية فى الشمال، وهى عادة ماتؤكل مغلية كحساء، أو علـــى هيئة عجين فضلا عن بعض الخضروات كالبصل والباميـــة يضـــاف اليـــها الملـــح والفلفل، وقدر من السمك أو اللحم أحيانا ، ويشرب نبيذ النخيل فى الجنـــوب بينمـــا

تخمر الذرة الرفيعة فى اقليم السفانا. ويمكن تمييز أربعة نطاقـــات مـــن محـــاصيل الاكتفاء الذاتى فى غرب إفريقية على أساس المحاصيل الرئيسية المزروعة.

محاصيل الاستكفاء المعيشى :

(١) نطاق المحاصيل الجذرية فى الجنوب : ويمتد فى نطـــاق الغابـــات الجنوبيـــة شرقى كوت ديفوار حتى نيجيريا على هيئة نطاقين كبيرين تفصلهما السفانا الساحلية فى غانا وتوجو والمحاصيل الرئيسية هى البلانتين (الموز) والكوكويـــام. ولكـــن الكسافا تفوقت عليهما فى الانتشار فى النصف قرن الأخير، كما تحل الذرة العريضـــة محلها وتصبح الحب الرئيسى إذا ماتفتت حزام الغابات، ويحصـــل السـكان علـــى محصولين كل عام يتفقان مع قمتى المطر، ودخل الأرز أخيرا كغذاء محبوب، وأمـــا زيت النخيل فيمثل المادة الدهنية الأساسية هناك، وكثيرا ماتزرع الكســـافا والـــذرة العريضة فى ظل أشجار نخيل الزيت.

(٢) نطاق الأرز : ويقع فى السهول الساحلية غربى كوت ديفوار، كما يمتـــد علـــى هيئة ألسنة على طول الأودية وخاصة وادى النيجر ويتوغل الأرز بذلك فى الاقليـــم السودانى أو السفانا ومن ثم يعتبر محصولا رئيسيا فى هذه الجهات خـــارج الاقليـــم الساحلى . ويمكن تمييز نوعين من الأرز :

أرز المرتفعات : أو أرز الزراعة الجافة (نسبيا) ويحتاج إلى مطـــر لايقـــل عـــن ٧٥سم لمدة خمسة شهور ، وقد أحصى الباحثون منه ٣٧ نوعا منـــه فـــى كـــوت ديفوار وأكثر من هذا فى غابات غينيا، وينضج مابين ٩٠،١٧٠ يوما. ويدخـــل الأرز كأى حب آخر مع محاصيل أخرى فى دورة زراعية كالذرة العريضـــة، والكوكويـــام، والبلانتين، والخضروات، والبقوليات، ولما كـــانت الأرض وفـــيرة أحيانـــا نجدهـــم يمارسون الزراعة المتنقلة.

أرز الجهات الرطبة : ويزرع فى المستنقعات الساحلية والداخليـــة فـــى الســـهول الفيضية، وهو نوع من الزراعة الدائمة، غلته الوحيدة الأرز، ذلك أن الأنهار تجـــدد خصب التربة، ولزيادة مساحته ، فقد أقيمت سدود فى مستنقعات المنجروف وزودت

الضفاف ببوابات متحركة من جذوع الأشجار والقوارب القديمة التـــى تربـــط معـــا بالطين والقش، تغلق حين يرتفع المد وتفتح حين ينحسر.

(٣) نطاق الحبوب والبقول فى الشمال : ويتفق مع اقليم السفانا شبه الجاف ويمكــن تقسيمه إلى قسمين رئيسيين الأول يسوده الدخن والثـــانى الـــذرة الرفيعـــة، والأول شمال دائرة عرض ٧ ْ شمالا حيث يقل المطر عن خمسة شهور، وحيث يقل المطــر عن ٧٠ سم ، فالدخن لايحتاج الا لرطوبة قليلة فى فصل الانبات ، وبينما يطول هــذا الفصل إلى ١٣٠ يوما لبعض الأنواع، يقصر فى بعض الأنـــواع الأخـــرى إلـــى ٦٠ يوما، ومن ثم كان محصولا رئيسيا فى تلك العروض ، هذا ويزرع معـــه مجموعـــة أخرى من المحاصيل الثانوية كالأرز أحيانا، والذرة العريضة، والكســـافا، والقطـــن، والفول السودانى وبعض البقوليات، وتزرع الأرض لنحو ثمان سنوات تترك بعدهـــا بورا للراحة نحو أربع سنوات.

وتعتبر أراضى قبيلة الموسى فى بوركينا فاسو هى اقليم الانتقال بيـــن الدخـــن فـــى الشمال والذرة فى الجنوب، من ثم يظهر فيها النوعان، ويزرع هناك الدخن بالتفاوت مع البقوليات والسمسم فى شبه دورة زراعية.

(٤) نطاق الحبوب واليام: وهو نطاق وسط بين إقليم الحبوب فى الشمال والجـــذور الدرنية فى الجنوب، ومن ثم يجمع بين مظاهر الاقليمين وتداخلهما وأن كان يتمـــيز عنهما بسيادة اليام.

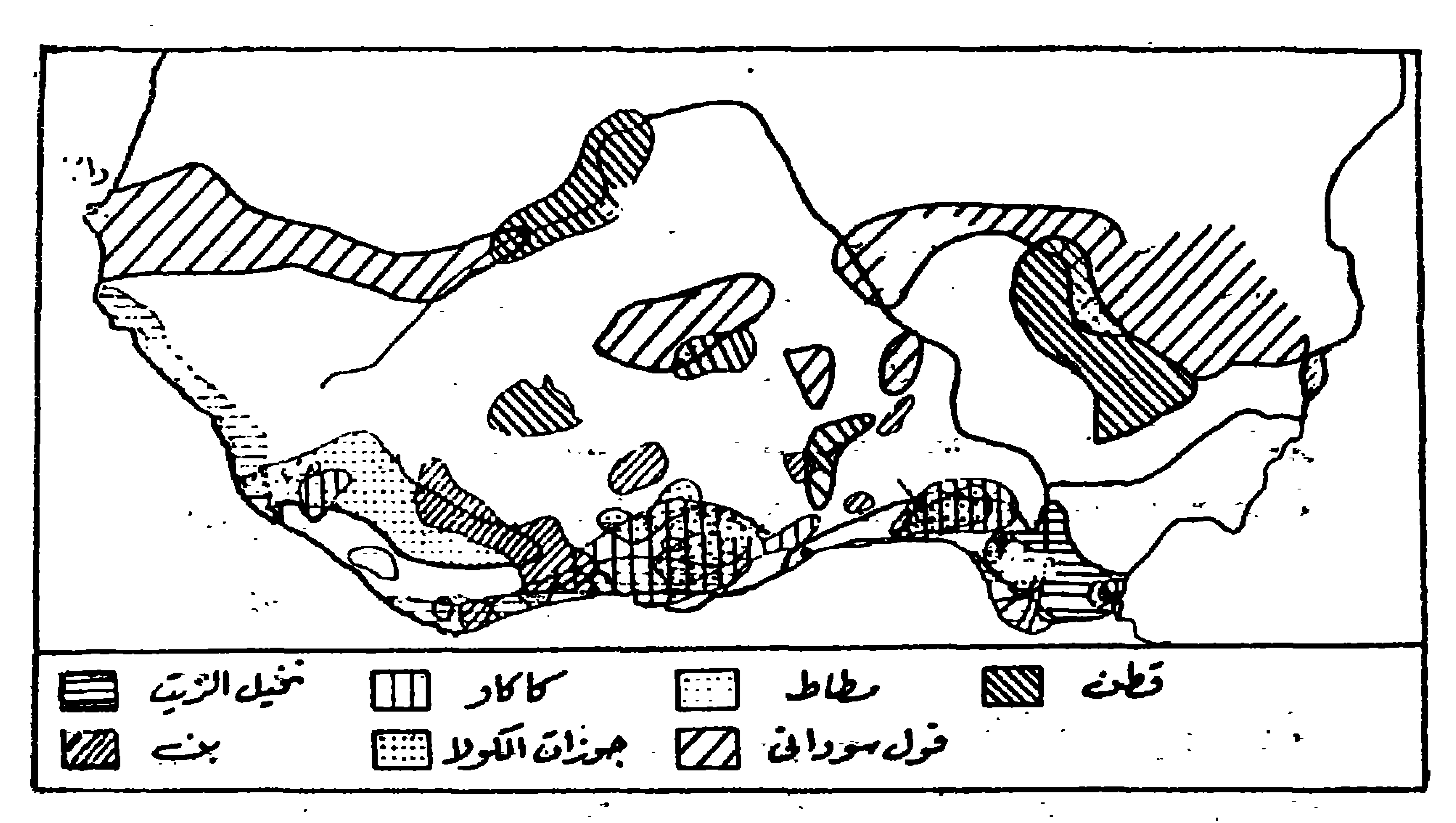
وعلى العموم إذا كان إنتاج المحاصيل الغذائية يكفى سكان الريف (بصرف النظر عن بعض الاستثناءات بين المواسم) فهى لا تغطى احتياجات المدن، من ثم نجد انتشـــار المواد الغذائية المستوردة.

المحاصيـــل النقـديـــة :

تنتشر المحاصيل النقدية التى أعطت للاقليم شهرته جنوب دائرة العـــرض ْ الثامنـــة تقريبا فى الاقليم المدارى طول العام، وكذلك فى الاقليم دون المدارى، فيعطينا هـــذا النطاق قائمة كبيرة بهذه المحاصيل، فهذا الاقليم هو المنتج الأول للزيوت المداريـــة، فهناك ما يقرب من ١٦% من الإنتاج العالمى، ويأتى ٥٠% من هذا الإنتاج وصادره

من نيجيريا، وينتج نحو ٢٠% من الإنتاج العالمى من الفول السودانى ، تنتج نيجيريا نحو ٢٥% وأقل من ١٥% تنتجه السنغال، وتأتى نيجيريا فى المركز الرابع إنتاجا والأول تصديرا، ويلعب الفول السودانى دورا خطيرا فى اقتصاديات وحياة المزارعين فى اقليمي السفانا وشبه الجفاف.

شكل رقم (٤٦) : المحاصيل النقدية فى غرب افريقية



وينتج غرب إفريقية نحو ٦% من إنتاج البن فى العالم ، ويأتى ٧٠% من هذا الإنتاج من كوت ديفوار التى تعتبر ثالث منتج فى العالم أجمع. وغرب إفريقية مسئول أيضا عن ٥٠% من الإنتاج العالمى للكاكاو ، تنتج كوت ديفوار نصفها وتأتى غانا كمسئول عن نحو ٢٠% من الإنتاج العالمى. ويصدر هذا الاقليم أيضا مجموعة من الفاكهة المدارية كالموز ، والأناناس، ويمكن أن نضيف إلى ما سبق مزارع المطاط فى ليبيريا وكوت ديفوار، ونيجيريا، فضلا عما يقرب من ١١٠ ألف طن من غزل القطن، ثلثيها من شمال نيجيريا وكوت ديفوار والباقى من الدول الداخلية.

الرعـــــى :

وتقتصر تربية الحيوان على إقليم السفانا والاقليم شبه الجـاف، ويمثـل فـى هـذه الجهات الداخلية أمرا له أهميته فى حياة السكان فى شمال نيجيريـا وبوركينافاسـو والسنغال، وتتكون من الأبقار أساسا فضلا عن الأغنـام والمـاعز والدجـاج، أمـا الخنازير فتوجد عند العناصر غير الإسلامية. وهذه جميعا لا تشـترك فـى الإنتـاج الزراعى، بل هى فى تجوال بحثا عن المراعى، وقد تظهر الزراعة المختلطة بطريقة مقصودة أى تترك الماشية تتغذى على بقايا النباتات، ويرعى الحيـوان فـى الأرض المتروكة للراحة، وفي الأرض الزراعية فى فصل الجفاف كما هو الحال لدى قبيلـة السرر فى السنغال التى تكاد تتساوى لديها أهمية فلاحة الأرض وتربية الحيوان وقد عرف غرب إفريقية حركة للماشية من الشمال إلى الجنوب، أى الجهات المسـتهلكة للحوم الماشية فى المراكز والمدن الكبيرة على ساحل غانا، وفي هذه التجارة تشتهر قبيلة الهوسا فى كل غرب إفريقية وهم يفتحون أيضا محلات لبيع اللحوم، حتـى أن كلمة هوساوى فى ساحل غانا مرادف للجزار.

الصيـد المـائـى :

ويعرف غرب إفريقيه الصيد المائى، بحرى فى الجهات الساحلية، ونهرى فى الداخل فى انهار الفولتا وبنوى والسنغال والنيجر، وتقوم به قبائل معينة لها شهرتها مثـل قبيلة الكرو *Kru* والفانتى فى الجهات الساحلية، وتتحكم هذه القبـائل أيضـا فـى تسويق محصول الصيد لا فى غرب إفريقيه فحسب، بل فى وسطها أيضا.

ما بين الإنتاج الغذائى والإنتاج التجارى :

وفيما يختص بالإنتاج الغذائى بعامة نجد أن كثيرا من مناطق الإنتاج الغذائى تحولـت إلى إنتاج نقدى وتجارى بفضل اغراءات السوق الخـارجى، وأصبحـت مسـتوردة للمواد الغذائية، بل وتلك الأقطار ذات التجارة الخارجية المحدودة ، تستورد بدورهـا قدرا كبيرا من المواد الغذائية للخبراء والفنيين ، فضلا عن كميات كبيرة من البـيرة والكحوليات.

وهكذا أصبحت دول غرب إفريقيه وقد وصل استيرادها من المواد الغذائية إلى ربـــع قيمة وارداتها، وتنوع هذه الواردات الغذائية من دقيق القمح إلى الأرز، والأســماك، والمنتجات الحيوانية، والسكر، والمشروبات الكحولية، فضلا عن الملـــح، والتبـغ، ومنتجات الألبان . بل ويلاحظ على هذه الواردات أنها مرتفعة مـــن حيـث القيمــة وخاصة البروتينات التى تنقص الاقليم، وقد يكون فى إمكــان غـرب إفريقيــه فــى المستقبل أن يكفى نفسه فى الأرز، ولكن بداية تذوق خبز القمح كمـا فـى جنوبـى نيجيريا وغانا معناه استمرار استيراده .

الصنـــاعــــة :

وتتوفر مقومات الصناعة فى غرب إفريقيه، ولكن يضعـف اسـتغلالها أنـها علـى مستوى الوحدة السياسية لا على مستوى الاقليم ككل - فمـــوارد الطاقــة الكامنــة كبيرة، ولكن المستغل منها ضئيل، وقد أقيمت السدود الكهرومائية فـى بعـض دول الاقليم كما فى غانا، وغينيا ونيجيريا، وهذا فضلا عن البـترول الـذى تدفـق مـن نيجيريا. وغرب إفريقيه غنى بثروته المعدنية من حديد ســيراليون وليبيريـا إلـى بوكسيت غينيا (خامس دولة منتجة فى العالم) وغانا وسيراليون.

وتعتبر نيجيريا أيضا ثامن منتج للقصدير وغانــا ســابع منتــج للمنجنـيز والـذى تستخرجه أيضا كوت ديفوار. ويرتبط ذكر الفوسفات بتوجـــو والنيجـر والســنغال والكولمبيت بنيجيريا المنتج العالمى الأول، أما الذهب الذى اشتهر به غرب إفريقيـــه فقد اضمحلت موارده، وليس من منتج له سوى غانا، بينما تنتج سيراليون وغينيــا وكوت ديفوار وغانا الماس بنوعيه ماس الصناعة وماس الزينة.

وباستثناء صناعة تكرير البترول فى نيجيريا أو التى شيدت أخيرا فى داكار وأبيدجان وصناعة الألمونيوم فى غينيا فلا تظهر صناعة ذات شأن سوى الاســـتهلاكية مـــن منسوجات وغذائيات وتكاد جميعا تتركز فى المدن والموانى الساحلية.

ويمكن القول بأن التنمية الاقتصادية فى غرب إفريقيه يعوقها ضيق الســـوق وقلـــة الاستثمارات، والخبرة الفنية، ولكن من أهمها أيضا قلة وسائل النقل والمواصــلات، فالخطوط الحديدية التى مدت خلال الفترة الاستعمارية عبارة عن خطوط قصيرة مـــن

الداخل إلى المواني، لجلب خيرات الجهات الداخلية، أما الطرق فما زالت في حاجة إلى تطوير واصلاح وزيادة في أطوالها، ويكفي أن نقول أن جزءا كبيرا منها ما زال حتى الآن يقتصر استعماله على فصل الجفاف.

التنمية الاقتصادية :

يتضح الفارق بين الجنوب والشمال أيضا في عملية التنمية، ذلك أن إدخال المحاصيل النقدية واستغلال الموارد ارتبط بالفترة الاستعمارية، وفي سبيل هذا بدأت عملية خلق أسس البنية التحتية ***Infrastructure*** ممثلة في المواني ومد الطرق والخطوط الحديدية، والقوى الكهربائية ،وموارد الماء، فضلا عن التعدين، وبدأ كل هذا في الجنوب وساعد عليه عاملان: أولهما وفرة الرطوبة طول العام في الجنوب وثانيهما : أن الاستعمار بدأ في الجنوب فضلا عن قيام الإمارات الإسلامية في الشمال، لذلك كان هذا النمو غير المتساوى لا يختلف من قطر إلى قطر، بل من اقليم إلى اقليم وكانت مناطق التنمية الكبرى اقليمية الساحل والغابات والمدن والمواني فيهما، بل إن الفجوة نجدها متسعة بين المدينة والريف.

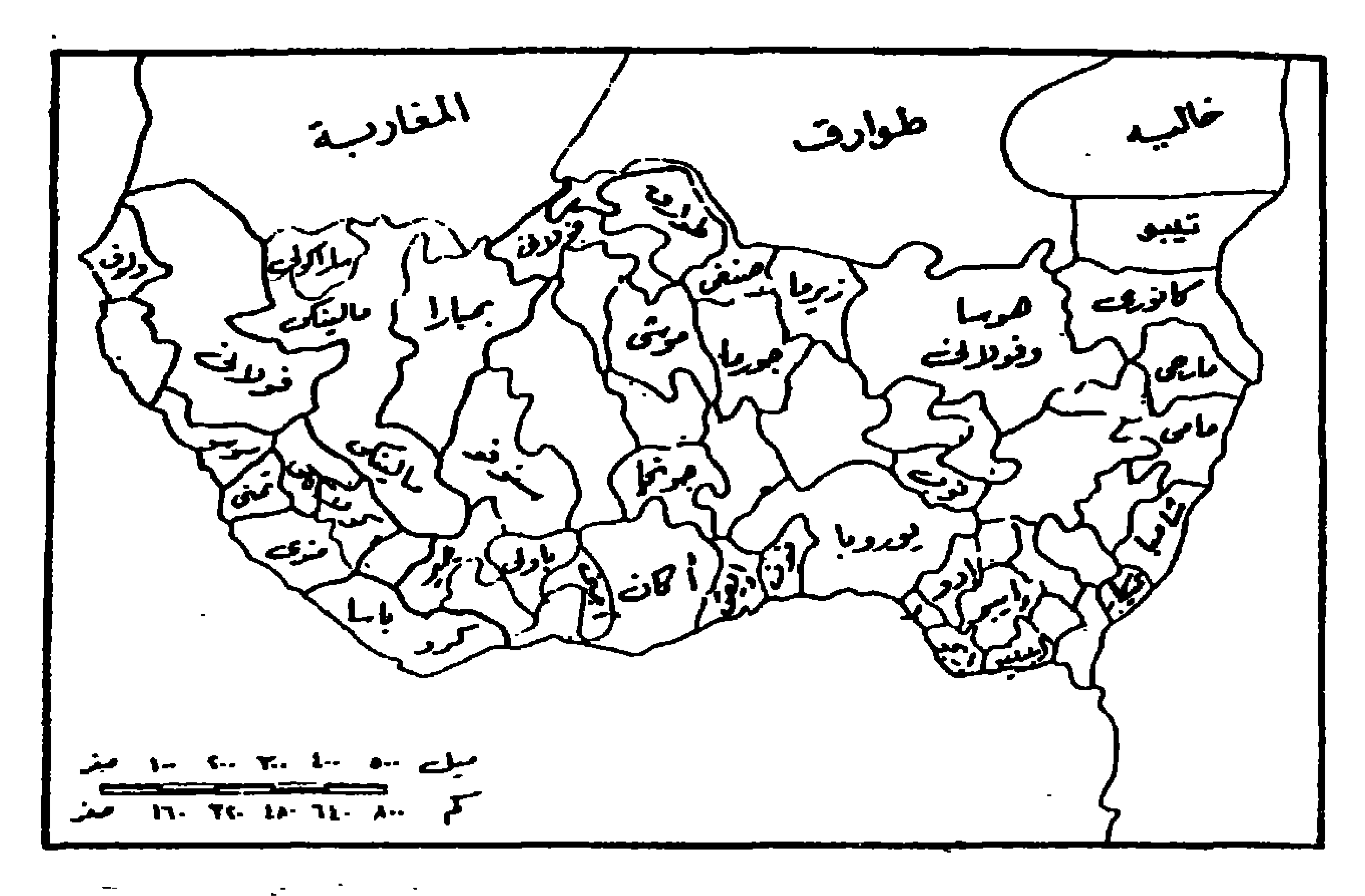
ويأتي اقليم الكاكاو في غانا وجنوب شرق كوت ديفوار على رأس الاقاليم الأكثر تقدما، على الطرف الأخر حوض نهر كروس في شرقي نيجيريا وغربي بانداما في كوت ديفوار باستثناء استغلال الأخشاب، هذا بينما نجد أن الاقليم الشمالي لم تتم فيه التنمية إلا على هيئة أشرطة على طول طرق النقل الرئيسية، هذا كما بدأت أخيرا تظهر التنمية في بؤر متفرقة وهي جزر التعدين، كما هو الحال في جنوب شرقي نيجيريا حيث البترول، وفي داخل ليبيريا حيث الحديد.

توزيع السكان :

ويسكن غرب إفريقيه ما يزيد على ١٩٠ مليون نسمة ، ويتركزون في نطاقين الشمالي والجنوبي، على أن هذا ليس معناه أن السكان ينتشرون بكثافة متساوية في كل اقليم . أو حتى شبه متقاربة، بل في كل اقليم نجد بؤرا أكثر كثافة، فمتوسط الكثافة في النطاق السوداني بين ١٠، ٢٠ نسمة للكليو متر المربع ترتفع أحيانا إلى ٤٠ نسمة في اقاليم إنتاج الفول السوداني في السنغال وقد تزيد على ١٥٠ نسمة في

كانو.

شكل رقم (٤٧) : القبائل الرئيسية فى غرب افريقيه



كذلك تتراوح كثافة السكان بين ٣٠ و ٨٠ نسمة فى الاقليم الساحلى ولكنها ترتفع إلى ما يزيد علىة ٣٠٠ نسمة فى اقليم الايبو و١٥٠ فى اقليم اليوروبا، وترتبط أيضا الكثافات المرتفعة فى الشمال بمناطق تركز الجماعات التى كانت تكون إمارات فى العصور الوسطى فالهوسا (١٠ مليون) والموسى (٩٥ مليون) والمالينكى والبامبارا (٣ مليون) والفولانى (٧ مليون). أما النطاق الأوسط المخلخل السكان فقد سبق لنا دراسة أسباب انخفاض كثافته . على أن الصورة الحقيقية ليست بهذه البساطة، فحتى فى الاقليم الساحلى، هناك مناطق مختلفة خاصة فى جنوب غرب كوت ديفوار، وجنوب غرب غانا، وشرق نهر كروس فى نيجيريا، كما أن اقليم السفانا فى بنين أقل كثافة من نظيره فى نيجيريا، كما أن هناك بؤر عالية الكثافة فى اقليم السفانا فى شمال توجو.

شعوب غرب أفريقيه :

والظاهرة الأخرى فى توزيع السكان هى الفرق بين الشرق والغرب، فالمنطقة الواقعة إلى الشرق من خط يمتد من أبيدجان إلى منحنى النيجر تشمل معظم الجزر السكانية المزدحمة، بل ويكفى القول بأنه يضم ثلثى سكان غرب إفريقيه.

ويغلب على سكان غرب إفريقيه المعيشة خارج المدن، وحتى هؤلاء الذين يسكنون المدن من اليوروبا فهم من الزراع، ورغم نمو الحضرية بصورة متزايدة خاصة فى السهول الساحلية والغابات، فإن هذا لم يؤثر بدرجة كبيرة على معظم سكان الاقليم، فالمدن هنا هى ظاهرة ترجع إلى الفترة الاستعمارية وما بعدها ، وباستثناء الحال فى اقليم اليوروبا وفي الاقليم الشمالى نجد أن ظاهرة المدن الوطنية تكاد تكون مخفية تماما كما هو الحال فى اقليم الايبو (شرقى نيجيريا) وما زالت أسواق المدن الكبرى كما فى لاجوس وأبيدجان تعتبر ظاهرة محدودة. غير أن الظاهرة الواضحة فى هؤلاء السكان الريفيين هى الحركة، فالهجرة أو الحركة لمسافات طويلة ، أو قصيرة موسمية ، أو شبه دائمة من ظاهرات السكان فى الاقليم. وبينما يتعرض هؤلاء الريفيون إلى تغيرات اجتماعية واقتصادية سريعة فى بعض الاقاليم وبطيئة فى اقاليم أخرى، فما زال اقتصاد الاكتفاء الذاتى يسود بينهم إذ تستهلك الأسرة أكثر من ٨٠% من إنتاج الزراعة والرعى والصيد..

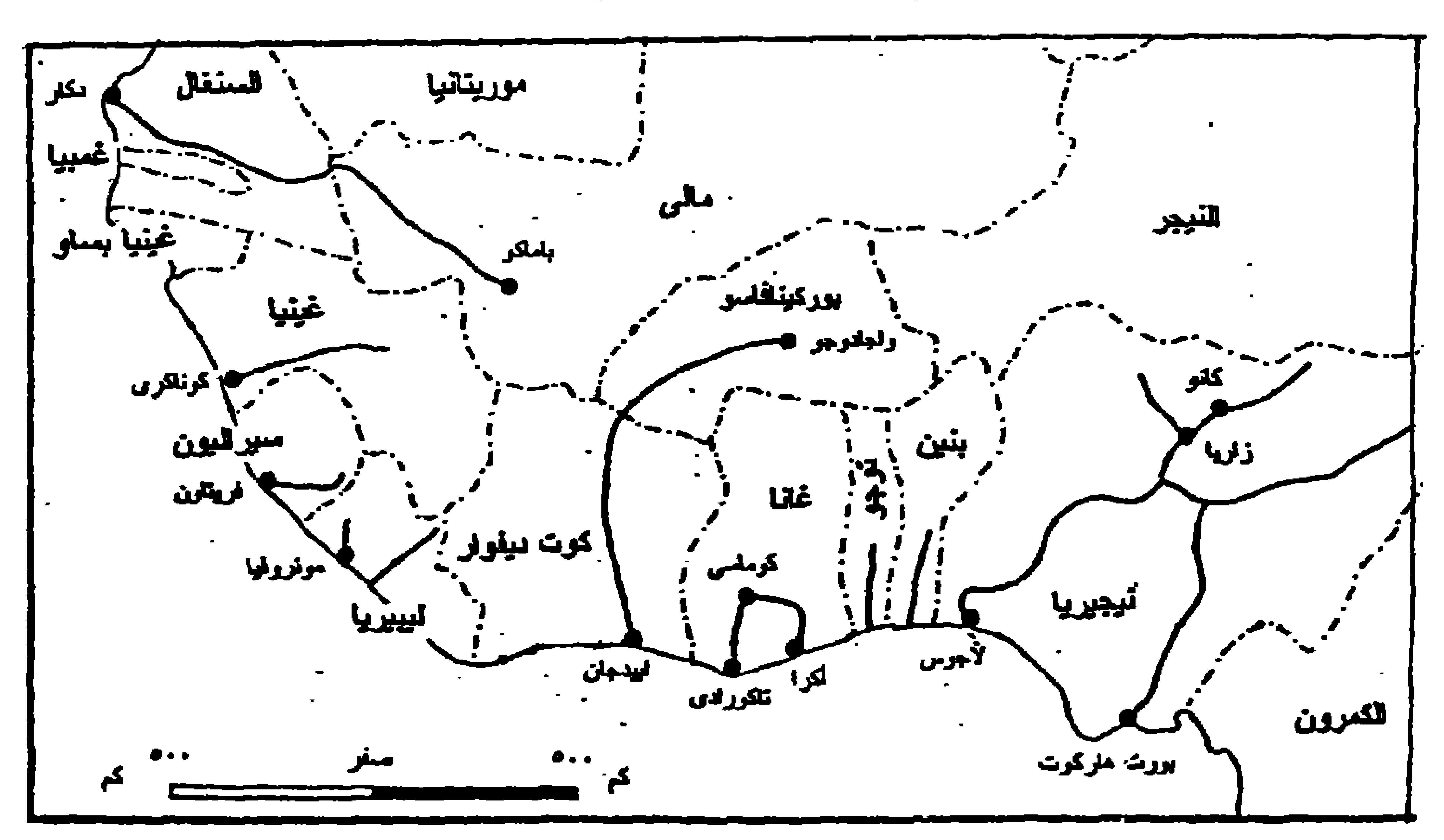
ولا يكون الاوربيون والشوام فى غرب إفريقيه عددا كبيرا فهم يقدرون بنحو ١٨٠ ألفا أو ما يقرب من ١% من مجموع السكان، منهم ١٠٠ ألف من الأوربيين، والباقى من الشوام الذين يعملون بتجارة الجملة والقطاعى، ومعظم الأوربيين من الفرنسيين وخاصة فى إفريقية الغربية الفرنسية سابقا، بل أن عددهم فى داكار وحدها يبلغ نحو ٣٥,٠٠٠ نسمة ، ومنهم من يعمل بالمشروعات الزراعية كما هو الحال فى مزارع البن والكاكاو والموز فى كوت ديفوار وغينيا ومنهم من يعمل بالتوكيلات التجارية.

النقل فى غــرب إفريقيه

الطـــرق :

رأينا أن غرب إفريقيه يقع فى ثلاثة اقاليم مناخية رئيسية، وتتصف الطـــرق التـــى مدت فى هذا الاقليم بأنها تتعامد على هذه الاقاليم، فهى فى أغلبها طرق طولية تبــدأ من الساحل فى اتجاه الداخل، وتتفرع خارج اقليم الغابات المدارية المطـــيرة طــول العام. القليل منها مرصوف، والكثير منها ترابى يتعطل فى فصل الأمطار أو يصيبـــه العطب بعد موسم الأمطار، ورغم ذلك فهناك طرق جيدة لكل دولة مـــن دول الاقليـــم تساهم بدور كبير فى حركة النقل.

شكل رقم (٤٨) : السكك الحديدية فى غرب افريقيه



وخلال العشرين عاما الماضية بدأت حركة كبيرة لتجديد الطرق ومد طـــرق جديـــدة فمثلا كان يوجد فى ليبيريا عام ١٩٦٥ نحو ٧٥٠ كم من الطرق الرئيسية، ارتفـــع هذا الرقم عام ١٩٦٧ إلى ٢٨٠٠ كم، لا يظل صالحا للحركة منها طول العام ســـوى ١٠% فقط، ومع ذلك فما زالت كثير من القرى والمراكز السكانية بعيدة عن أقـــرب طريق.

وتتميز الطرق التى تربط بين دول غرب إفريقيه فى النطاق الساحلى والغابى فى جنوب الاقليم. بأنها تنتشر بصورة أكبر منها فى نطاق السفانا. وتتميز منطقة جنوبى نيجيريا وبنين وتوجو وغانا بانتشار شبكة طرق تربط بين هذه الدول عبر الساحل. بينما تبدأ بعض الطرق الأخرى من أقصى الغرب أى من مدن الساحل الاطلنطى فى اتجاه الشرق كطرق داكار – كايس – بماكو – نيامى (السنغال – مالى– النيجر) ثم كانو، مديجورى فى نيجيريا ومنها إلى تشاد والسودان وشرق إفريقيه وهناك شبكة من الطرق تبدأ بين دول الساحل ودول الداخل.

السكك الحديدية :

تم بناء أغلب السكك الحديدية فى غرب إفريقيه قبل عام ١٩١٤ وقامت حكومات المستعمرات آنذاك بتمويل نفقات إنشاء هذه الخطوط بأقل النفقات، فجاءت الخطوط الحديدية قليلة الاحتمال مليئه بالمثالب والعيوب، كثيرة المشاكل فهى خطوط مفردة وذات مقاييس ضيقة وتتميز بانحناءات حادة ، وتستخدم فيها قاطرات ضعيفة الاحتمال، وكذلك فهى تعبر الكبارى العتيقة المصنوعة أغلبها من الأخشاب ، وقد تخترق مناطق مرتفعة لا تقوى معها القاطرات الصعود إلى أعلى.

وتجتهد الدول فى غرب إفريقيه فى تطوير وتحديث مرفق النقل بالسكك الحديدية بمد الخطوط الحديدية ذات المقاييس العالمية الكبيرة ٦ بوصة ٣ قدم، وتجديد القاطرات بتحويلها من الفحم إلى الديزل، أو كهربة بعض الخطوط ولعل الحائل الوحيد الذى يعرقل تنفيذ هذه المشاريع إرتفاع تكاليف التجديد والتغيير.

وتتخذ الخطوط فى غرب إفريقيه نمطا خاصا :

١– أنها خطوط متعامدة على الساحل تمتد من مرفأ طبيعى أو صناعى ملائم ثم تسير خلال الغابات الساحلية إلى الداخل، حيث يستمر بعضها فى سيره حتى الاحباس الصالحة للملاحة من مجارى الأنهار، ومن أمثلة هذه الخطوط خط داكار – كايس باماكو، وخط كوناكرى كان فى غينيا وكثيرا ما تستخدم الأنهار كطرق ملاحية فى مواسم الأمطار.

٢- تنتهى بعض الطرق الحديدية أو تمر بالعواصم الافريقيه القديمة, وقــد اتخــذت هذه الخطة لتسهيل الإدارة والسيطرة على هذه العواصم التى تمتد من الغــرب إلــى الشرق وهى: كان كان، باماكو، بوبوديولاسو، أبومى فى بنين ، وزاريا وكانو فــى نيجيريا.

ويمكن الوصول إلى بقية هذه العواصم القديمة بطرق سيارات متفرعة من الخطــوط الحديدية الرئيسية ، ومثل هذه الطرق يتيسر انشاؤها فى نطاق السفانا، أما فى داخل اقليم الغابات الساحل فتكاليف انشائها وصيانتها باهظة جدا.

٣- مدت بعض الطرق الحديدية لخدمة الاقاليم التى تحتوى أراضيــها علــى ثــروة معدنية أو تلك التى اقيمت بها ضياع زراعية واسعة، ومن أمثلة هذه الخطوط خــط نيجيريا الرئيسي الذى لعبت الثروة المعدنية فى مده وتطوره، فقد قــامت الحكومــة البريطانية فى أوائل القرن الحالى بمده فى داخل البلاد من لاجــوس حتــى كــانو، وبمجرد اكتشاف تكوينات القصدير فى هضبة جوس، سارعت الحكومة فى مد فــرع من هذا الخط إلى زاريا. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية حين اشتدت الحاجة إلــى الفحم، ونجح الجيولوجيون البريطانيون فى اكتشاف رواسب ضخمة من الفحم فــى اينوجو، تلا هذا مد الخط الحديدى من كانو الى بورت هاركورت - الميناء الصناعى - بحيث يمر بمنطقة الفحم فى اينوجو ، وتم بعد ذلك ربط منــاطق القصديــر فــى هضبة جوس بمناطق الفحم فى أينوجو بخط حديدى آخر ينتهى عند كادونا.

ومد أول خط حديدى فى غانا عام ١٨٩٨ ليربط بين مناجم الذهب فى تاركوا بمينــاء سكوندى، وكان امتداد الخط إلى كوماسى عام ١٩٠٣ كاستجابة لتعدين الذهب فــى مناجم أوبوازى كما مد خط طوله ٢٥ كم فى توجو ليصل إلى تكوينات الفوسفات.

وتطلب تعدين الحديد فى ليبيريا مد ثلاث خطوط حديدية منذ ١٩٥٠، اثنان يبدآن من منروفيا ويتجهان نحو الداخل ، والثالث يبدأ من بوكانن ويمتد لمسافة ٢٦٧ كم إلــى جبل نيمبا. وبينما لا يحمل الخطان الأولان سوى الحديد من المناجم، يحمل خط نيمبا سلعا آخرى فضلا عن الحديد، كالأخشاب.

٤- كثيرا ما تنتهى الخطوط الحديدية إلى أكثر من ميناء على الساحل، ففي غانا مد أول خط حديدى من سكوندى إلى كوماسى فى أوائل القرن الحالى، وبعد تطور ميناء أكرا، أنشئ بعد ذلك بنحو عشرين عاما خط آخر بين كوماسى وأكرا.

الفصل الثاني

من دول إفريقيه الغربية الساحلية

نيجيريا

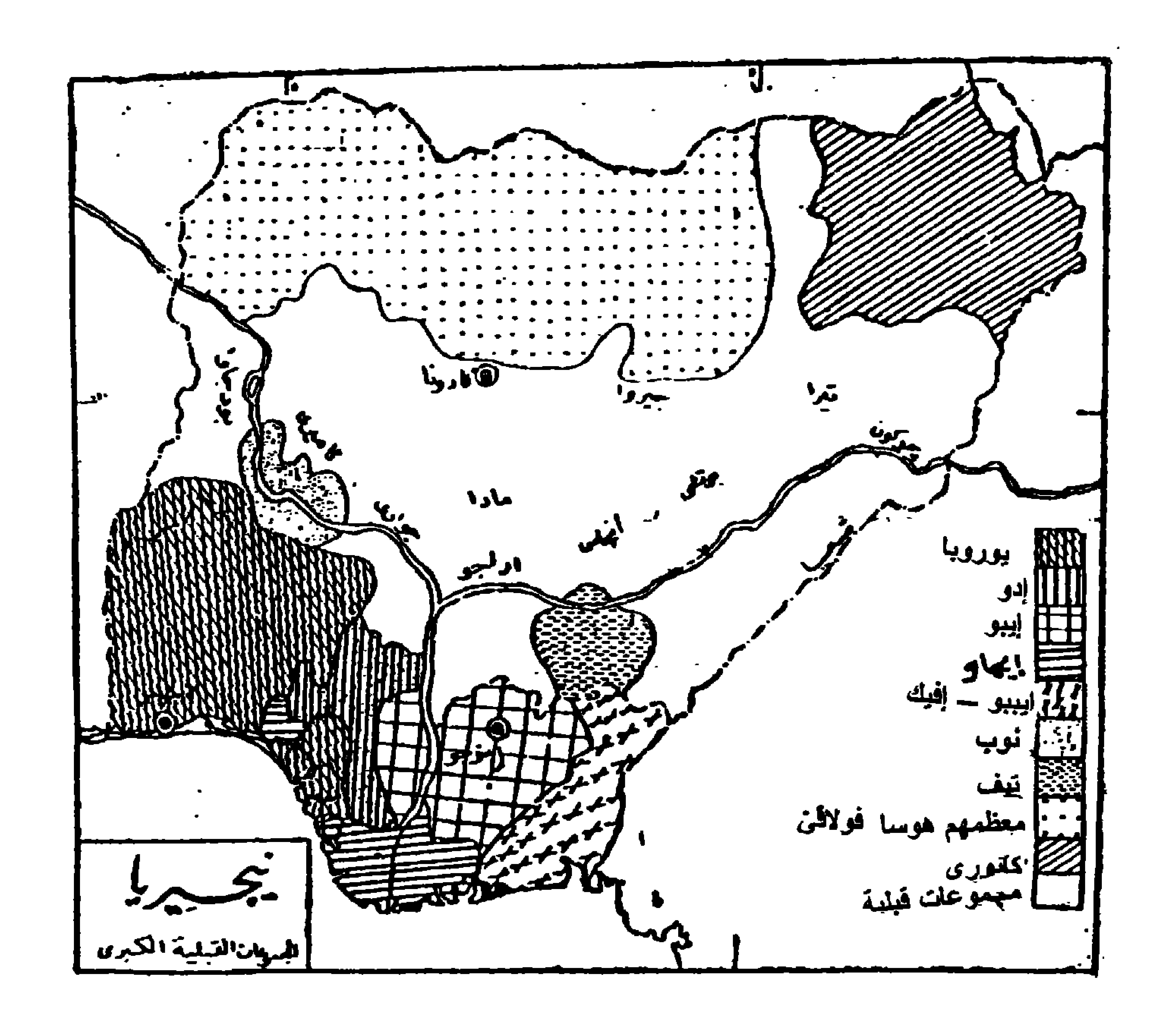
أكبر أقطار إفريقيه سكاناً، يبلغون نحو ١٢٤ مليون نسمة عام ٢٠٠٠، من ثم يمثل سكانها أكثر من ٦٠% من سكان غرب إفريقيه، كما تعد من الأقطار الكبيرة المساحة إذ تبلغ ٩٢٤ ألف ميل كم (أقل قليلا من مساحة مصر) ولكنها تبلغ أربع مرات قدر مساحة بريطانيا آلتي كانت تستعمرها أربع مرات، وقد حصلت نيجيريا على استقلالها عام ١٩٦٠ على هيئة اتحاد فيدرالى مكون من ثلاثة أقاليم، وفي عام ١٩٦١ صوت سكان الكمرون الجنوبي الذي كانت تشرف عليه بريطانيا من نيجيريا في جانب الانضمام إلى جمهورية الكمرون باسم الكمرون الغربي.

مجمع بشري :

ويقدر الباحثون أن هناك نحو ٣٩٥ لغة ولهجة في نيجيريا تنتمى إلى ١٠ مجموعات لغوية رئيسية، ويمتد التنوع الى الدين فإلى جانب الإسلام والمسيحية، نجد الديانات الأصلية الوطنية، وقد اشتهرت نيجيريا بانها مجمع للعرقيات، فهناك ثلاث أمم عرقية كبرى هي: الهوسا فولاني في الشمال، ويمثلون نحو ٣٠% من السكان واليوروبا في الجنوب الغربي ويمثلون نحو ٢٠% من السكان، بينما يمثل الايجبو نحو ١٧%، هذه المجموعات الثلاث تضم نحو ثلثي سكان نيجيريا، والى جانبهم الكانورى في الشمال الشرقي والتيف والنوب في الوسط، والايبيبو ***Ibibio*** والادو ***Edo*** والايجو ***Ijo*** في الجنوب، ويمثل كل منهم نحو ١% من السكان، وأما المجموعات الباقية فتمثل الخمس الباقى من السكان، وقد تطورت كل مجموعة

عرقية طبقا لتقاليدها وثقافتها وعقيدتها، هذا وتشغل الأراضي التـــي تفصـل هــذه المجموعات الرئيسية جماعات أصغر أقل أهمية، وهذه الجماعات لها أهميتها بصفـة خاصة في النطاق الأوسط حيث تفصل بين الهوسا فولانى في الشــمال والايجيبـو/ يوروبا في الجنوب، وقد عمل التقسيم الإدارى الذى قسمت اليه نيجيريا أثناء فــترة الاستعمار على تعميق الهوة بين هذه المجموعات ، فقسمت البلاد إلى ثلاثة أقـــاليم ادارية، وقد أدى هذا إلى كثير من الاضطرابات التى عانتها البلاد منذ الاستقلال ممــا أدى إلى تقسيم البلاد عدة مرات من ثلاثة إلى أثنى عشر إقليما، ثم تسعة عشر، ثـــم أصبح العدد اليوم ثلاثين إقليما إداريا، فضلا عن نقل العاصمة من لاجوس في أقصى الجنوب إلى أبوجا في الوسط.

شكل رقم (٤٩) : الشعوب الرئيسية فى نيجيريا



وقد وصل الهوسا وهم شعب من الزراع والرعاة إلى شمال نيجيريا في القرن الحادى عشر، وأسسوا اتحاداً فدرالياً من امارات سبع، وتحولوا إلى الإسلام في القرن الرابع عشر، وتركزت مملكة الهوسا في شمال غرب نيجيريا متخذة من سكوتو عاصمة لها، وكان يحدها شرقاً حوض برنو، وإلى الجنوب الغربي هضبة جوس التى تعيش فيها قبائل وثنية، وإلى الجنوب تتدرج الأرض نحو منخفض كبير، ويعيش الهوسا في مدن كبيرة وقرى صغيرة، ولكنها كالمدن كانت محاطة بأسوار دفاعية، بعضها مثل كانو أصبحت محطات للتجارة عبر الصحراء، كما نمت لديهم الصناعات المعدنية، وبعض الحرف اليدوية الأخرى، كدبغ الجلود وصناعة النسيج والصناعات الجلدية من جلود الماعز ذات الشعر الأحمر، هذا بينما يزرعون في القرى الذرة الرفيعة المبكر منها والمتأخر، فضلا عن قصب السكر والبطاطا، والخضروات كالبطاطس والبصل والطماطم، وظلت زراعاتهم تمدهم بالغذاء فضلا عن نشاطهم التجاري مما مكن نبلاءهم من تكوين الجيوش، ومهر الهوسا في الزراعة بحيث يقومون بالرى من الترع والآبار مستخدمين الشواديف وقرب الماء، وهذه تستخدم عادة للحاصلات الأكثر أهمية كالبصل والأرز، كما عرفوا التسميد للأراضى الزراعية وخاصة حول المدن مثلما يحدث من أستخدام الروث والبراز الذى يجمع من المدينة.

وإذا كان الفول السودانى أهم ما تحمله السكك الحديدية من شمال نيجيريا ويزرع في التربة الرملية في اراضى الهوسا الشمالية، فإن القطن يزرع في الأراضى الثقيلة حول ذاريا إلى الجنوب.

ويشتهر الهوسا بالتجارة في كل غرب إفريقيه من الكمرون في الشرق إلى كوت ديفوار في الغرب، بحيث يكونون جاليات تجارية متماسكة في كل هذه البلاد، وأدى هذا إلى أن أصبح لسانهم ولغتهم هى لغة التفاهم المشترك ***Lingua Franca*** في كل غرب إفريقيه.

أما الفولانى : فقد دخلوا الاقليم رعاة منذ القرن الثالث عشر، وتزوجوا من الهوسا واعتنقوا الإسلام، وانتشروا في قرى الهوسا، ومن أحدى عشائرهم وهى التوروب

ظهر مصلح ديني وهو عثمان دان بن فوديو الذى شن الحرب عـــام ١٨٠٤ علـــى أمراء الهوسا، واعترفت هذه الامارات بسيادته هو وســـلالته الذيـــن حكمـــوا مـــن العاصمة الجديدة سكوتو. وينتشر الفولانى أيضا في كل شمال غرب إفريقيه ، ومنهم من اتجه إلى السودان واستقر فيه يعمل بالزراعة خاصة في أرض الجزيرة أو فـــي المدن، وفقدوا ماشيتهم، هؤلاء هم فولانى المدن، أما البورورو، أو الفولانى الرعـــاة فما زالوا يعيشون على الالبان والزبد والحبوب، وعادة ما يتحركون جماعات تتكـــون من ١٠، ٢٠ أسرة بحثاً عن الماء والكلا، غير أن منهم من اتجه إلى هضبة جـــوس ومرتفعات غينيا، وكلاهما خال من ذبابة التسى تسى لارتفاعهما.

وتعيش في الشمال أيضا مجموعات قبلية اصغر حجماً مثل الكانورى سكان برنو فـــي الشمال الشرقي ويبلغ عددهم نحو ١,٥ مليون نسمة، والتيف وعددهم نحـــو ثلاثـــة أرباع المليون.

أما في الجنوب ففى القسم الشرقى تسود جماعات الايبو وهم ثانى مجموعـــة فـــي نيجيريا من حيث العدد، ويعيشون على زراعة اليام والكسافا ونخيل الزيت ويسكنون قرى بكثافات عالية مع جماعة الابيبيو *Ibibio* شرقى نهر كروس، وكـــان الايبـــو مسئولين عن الحركة الانفصالية التى حدثت، وأخذت من نيجيريا وقتاً وجهداً للقضاء عليها (١٩٦٧-١٩٧٠).

ويعيش اليوروبا في القسم الغربى من نيجيريا وهم مزارعـــون اشـــتهروا بزراعـــة الكاكاو، وإن كانوا يفضلون الحياة في المدن، من ثم سهل تغلغل الديانات الســـماوية بينهم كالإسلام والمسيحية، وقد وصل الإسلام حتى إيبادن على أيدى الفولانى الذيـــن وصلوا من الشمال، وليس معنى هذا أن كل جماعة تقتصر في سكناها على إقليمـــها الأصلى، فكثير من اليوروبا والايبو يعيشون في الشمال، وكثير من الايبو يعيشـــون في الغرب.

القـــبلـــيـــة فـــي نـــيـــجيريـــا :

ساعد الاستعمار البريطاني على تكريس القبلية في نيجيريا من خلال الإبقـــاء علـــى الهياكل الاجتماعية القبلية التقليدية، لتصبح الروابط القبلية أقـــوى مـــن الروابـــط

القومية، وبالتالى الحيلولة دون وحدة الشعب النيجيرى، وفي إطار السياسة الإستعمارية ظهرت فجوة واسعة بين أوضاع الاقليم الشمالى من ناحية، وأوضاع الاقليم الجنوبى من ناحية أخرى، واستمرت هذه الفجوة إلى مابعد الاستقلال، فبينما ظل الاقليم الشمالى يعانى من التخلف الشديد وسيطرة الاقطاع، وانخفاض المستوى التعليمى، تميز الجنوب بدرجة أعلى من التطور الاقتصادى والثروة، وانفتاحه على التأثيرات الثقافية الأوربية، وأدى هذا إلى اعتماد الاقليم الشمالى، فى الكثير من مرافقة العامة على عناصر من الجنوبيين المستوطنين في الشمال كاداريين وفنيين، مما أدى إلى ظهور بعض التوتر بالنسبة للشماليين خوفا من سيطرة الجنوبيين، كما تمثل بالنسبة للجنوبيين في الاستياء من سيطرة الشمال عليهم برغم أنهم يمثلون القوة الاقتصادية والثقافية الأكثر تقدماً.

فبينما اعتمد الاقليم الشمالى على قوته العددية ليكون له وجود واسع في مواقع السلطة، اعتمد الاقليم الجنوبى على قوته الاقتصادية وثروته البترولية للحصول على قدر أكبر من السلطة في مواجهة النفوذ السياسى للشماليين.

من ثم فقد برزت التناقضات القلبية في المجتمع النيجيرى وأدت إلى توترات بين القبائل أخذت صوراً عديدة من العنف السياسى، لعل أكثرها عنفاً كان أثناء محاولة الاقليم الشرقي (بيافرا) الانفصال بين عام ١٩٦٧ - ١٩٧٠.

ولعل من أكثر المؤشرات دلالة على مدى تأثير التناقضات القبلية على البنية الاجتماعية والسياسية في نيجيريا، هى الأسس القبلية التى قامت عليها ثلاثة مجالات أساسية وحيوية في نيجيريا حين أستقلت.

أولا: الأحزاب السياسية :

قامت الأحزاب السياسية قبل الاستقلال وحتى صدور قرار بحلها في مايو ١٩٦٦ على اساس قبلى، فكان حزب مؤتمر الشمالى (*NPC*) بقيادة أحمدو بللو، يمثل قبائل الهوسا والفولانى، بل أن العضوية فيه كانت مقصورة على ابناء الشمال فقط، وكان حزب المجلس الوطنى لمواطنى نيجيريا (*NCNC*) بقيادة نامدى أزيكوى

يمثل قبائل الايبو في الشرق، كما كان حزب جماعة العمل (IAC) بقيادة أولوو يمثل اليوروبا في الغرب.

ثانياً: الجيش النيجيري :

كان للقبائل الثلاثة الرئيسية تمثيلهم فيه، الشمال ٥٠%، والغرب ٢٥%، والشـــرق ٢٥%.

ثالثاً: الاقتصاد النيجيري :

أتجه كل إقليم لتنمية اقتصاده كوحدة مستقلة دون النظر للاقتصاد النيجـيرى ككـل، ومن الطريف أن الاقليم الشرقى كان يستورد القطن الأمريكى، مع أنـه منتـج فـي الاقليم الشمالى.

كل هذا أدى إلى تناقضات ساهمت في حدوث حالة عدم استقرار وتوتر بين القبـائل بعضها وبعض، مما مهد المناخ للانقلابات العسـكرية المتعـددة، وقيـام الحركـة الإنفصالية في إقليم بيافرا.

السـطـح :

تتكون نيجيريا من مجموعة من الهضاب والسـهول العليـا تحيـط بـها السـهول الرسوبية، ويمكن القول بأن أودية النيجر وبنوى يفصلان المرتفعات الشمالية عـن السهول الجنوبية، فالأولى تزيد على ٥٠٠ متر، والثانية تقل عن هذا فـوق سـطح البحر، وتتكون الهضبة الوسطى من صخور بللورية ومتحولة كجزء مـن الهضبـة الإفريقيه القديمة، وترتفع فوق هذه الهضة أحيانا التكوينات البركانية التى ترجع إلى الزمنين الثانى والثالث، وأعلى أجزاء هذه الهضبة ارتفاعاً هضبة جوس التى تسـمو إلى ٢٠٠٠ متر مطلة على السهول العليا المحيطـة بـها، وتقطعـها الاودية ذات السفوح الحادة، وتنحدر هذه الهضبة نحو الشمال إلـى السـهول العليـا للهوسـا، وهضبة بوتشى التى يتراوح ارتفاعها بين ٨٠٠،٥٠٠ متر مكونة من طبقات أفقيـة من الحجر الرملى، وتمثل هذه السهول العليا مظهراً متناسقا في شمال نيجيريا مـن سكوتو إلى بحيرة تشاد، وأن كان يقطعها بين الحين والآخر قبة جرانيتية أو صـدع وحافات قافزة، أما إلى الجنوب من هذه الهضبة فتمتد سهول منخفضة تعلوها تـلال

قليلة الارتفاع تتخللها تكوينات اللاتريت، التى تظهر على السطح، أما السهول الساحلية التى تمتد بحذاء الساحل، وتقطعها البحيرات الساحلية، والاشرطة الرملية، فتمتد فيها دلتا النيجر وفروعه لمسافة ٣٥٠ كيلو متر من الشرق إلى الغرب مكونة أنهار الزيت التى وصل التجار عن طريقها إلى اقليم نخيل الزيت.

الظروف المناخية والنباتية :

نظراً لامتداد نيجيريا بين دائرتى عرض ٤°، ١٤° شمالا تنوعت ظروفها المناخية والنباتية والاقتصادية، من الغابات المدارية الرطبة ومستنقعات المنجروف جنوبا إلى إقليم السفانا في الشمال، ويغلب على مناخ الجهات الواقعة جنوب دائرة عرض ٨° شمالا النظام المدارى الممطر الذى يستمر من سبعة إلى ثمانية شهور بين مايو وديسمبر مع فترة جفاف قصيرة في أغسطس، وهذه بدورها تختفى في الجهات الساحلية بحيث يمكن أن تتوقع المطر يوميا، ويبلغ المطر في هذه الجهات الساحلية نحو ٤ متر سنوياً، أما إلى الشمال من دائرة ٨° شمالا فيظهر الاقليم السوداني، ويزداد وضوحا بالاتجاه نحو الشمال خاصة بعد دائرة ١٠° شمالا، ويتميز بفصل مطر واحد صيفاً، يبلغ قمته في أغسطس وسبتمبر مع هبوط الكمية حتى تصل إلى عشرات السنتيمترات، ورغم أن الهضبة المرتفعة في الوسط يتراوح مطرها بين المتر والمترين، فانه يقل في الهضبة المحيطة بها بنحو نصف المتر، بينما يظهر المناخ شبه الجاف في الطرف الشمالى الشرقي قرب الحدود مع تشاد ،حيث يتميز المناخ بفترة جفاف طويلة وقلة في المطر ، وتتابع الاقاليم النباتية من المنجروف في المستنقعات الساحلية إلى الغابات المدارية الرملية الكثيفة والغابات النفضيه، وتظهر فيها أشجار نخيل الزيت والكاكاو والبن البرى والماهوجنى والايروكو، بينما يغطى ثلاثة أرباع البلاد في الوسط والشمال السفانا باشكالها المختلفة ، والتى تنتهى بالسفانا المكشوفة والفقيرة التى تتخللها أشجار السنط.

الغلات الزراعية النقدية والثروة الحيوانية :

كان الإنتاج الزراعى يمثل أهم القطاعات الاقتصادية عام ١٩٦٠ عند حصولها على الاستقلال، وكان هذا القطاع مسئولا عن أكثر من نصف الناتج القومي، وعن أكثر

من ثلاثة أرباع الصادرات، وكان من أثر زيادة الدخل القومي، واهمال الزراعة أن أصبح مسئولا فقط عن ٥% من حصيلة الصادرات - أوائل التسعينات، أن تحولت نيجيريا من دولة ذات أكتفاء غذائى إلى دولة، تعتمد في غذائها بشدة على الواردات.

والصادرات النباتية الرئيسية لنيجيريا غلات أربع، في الجنوب وهى منتجات نخيل الزيت والكاكاو، والمطاط، والأخشاب، وثلاثة محصولات في الشمال، هي الفول السودانى والقطن فضلا عن السمسم.

ظلت نيجيريا تحتل المكان الأول - سواء في النطاق الافريقي أو العالمى - في إنتاج الزيت والنوايات وكذلك في صادراتها بطاقة تقرب من نصف الإنتاج الأفريقى من الزيت والنوايات (٤٧٠ ألف - ٣٨٠ الف طن) على الترتيب، والنطاق الرئيسي في نيجيريا هو الاقليم الشرقي، أو اقليم الايبو، حتى لقد أعطى هذا المحصول أسمه لهذا المركز منذ القدم وعرف باسم مركز أنهار الزيت حيث يكاد ينفرد بنخيل الزيت لملاءمة الظروف المناخية فضلا عن كثافة السكان العالية.

وانخفضت منتجات نخيل الزيت إنتاجاً وتصديراً في السبعينيات نتيجة ظهور البترول، وبعدما كانت تحتل مركز الصدارة العالمية، أصبحت مستورداً رئيسياً لمواجهة الاستهلاك المحلى، وعانى نخيل الزيت من نقص اليد العاملة، وطرق جمع المحصول التقليدية، وانخفاض الاستثمارات المالية فيه، وأدى انخفاض حصيلة البترول فيما بعد إلى انتباه الحكومة إلى زيادة الاهتمام بهذا النبات في موطنه (جنوب شرقى نيجيريا) للحصول على زيادة في الإنتاج منذ عام ١٩٨٤، وعادت نيجيريا لتصدر منتجاته مرة أخرى بدءا من عام ١٩٨٧.

ويمثل الفول السودانى محصولا رئيسياً في شمال نيجيريا، وبصفة خاصة حول كانو، وهى منطقة مثلثة الشكل رؤوسها كادونا ونجورو، وكوادنامودا، فضلا عن نتوء آخر إلى الشمال الشرقي بعد مد الخط الحديدى إلى بورنو، وكانت نيجيريا مصدراً رئيسياً له، صدرت نحو نصف مليون طن عام ١٩٦٠، ولكنه اختفى من الصادرات.

وتأتى نيجيريا في المكان الثالث بعد كوت ديفوار وغانا في إنتاج وتصدير الكاكاو (نحو ٢٠٠ ألف طن) وتتركز زراعته غرب نهر النيجر الأدنى، فمن المليون فدان المزروعة كاكاو يختص هذا الاقليم بنحو ٩٠% منها، وتتراوح مساحة المزرعة بين نصف الفدان والستين فدانا، وكان هذا المحصول مسئولا عن ارتفاع مستوى المعيشة بين قبيلة اليوروبا.

ويعتبر الكاكاو الآن هو المحصول الذى يظهر واضحا في قائمة الصادرات الزراعية، وأن كانت نيجيريا قد تقهقرت مكانتها في الأسواق العالمية لتضافر مجموعة من العوامل منها : أن الأشجار أصبحت معمرة، وتدهور أسعار الكاكاو، وانتشار أمراض الكاكاو، فضلا عن نقص الأيدى العاملة، وتهريب الكاكاو إلى الدول المجاوره.

ونيجيريا هى المنتج الرابع للمطاط في إفريقيه رغم صغر إنتاجها في حدود ١٦٠ ألف طن في أوائل التسعينيات، ومع ذلك فيسهم هذا الإنتاج في قيام صناعة إطارات السيارات والأحذية المطاطية، وقد حصلت نيجيريا على معونة البنك الدولى لزيادة إنتاج نخيل الزيت والمطاط في جنوب شرقي البلاد.

وشجعت الحكومة التوسع في زراعة قصب السكر، ومنعت واردات السكر نهائيا، هذا وزادت مساحة تنتج الفول السودانى والقطن الذى تختص به الاقاليم الشمالى، وكذلك الذرة العريضة والرفيعة والارز وغيرها، لتسد الفجوة الغذائية.

وإذا كانت الغابات تغطى ٢٠% من مساحة البلاد، فصادراتها من الأخشاب ومعظمها من الماهوجنى والودبيشىى قليلة، وخاصة من دلتا نهر النيجر وتقوم الدولة ببرنامج لاستزراع الاشجار وذلك للكفاية المحلية وزيادة الصادرات. ومن أهم الموانى التى تتعامل في تصدير الأخشاب وارى ***Warri*** وبونى ***Bonny*** وسابل ***Saple***.

ويعتبر وسط وشمالى نيجيريا هو الاقليم الرئيسى المنتج للقطن في كل غربى إفريقيه وخاصة حول زاريا، ويبلغ متوسط صادرات نيجيريا نحو ٣٥ ألف طن أو أزيد قليلا من نصف الإنتاج، وبذلك تأتى نيجيريا في المركز الرابع بعد مصر والسودان وتنزانيا.

وتقدر ثروة نيجيريا من الماشية بنحو ١١ مليون راس يربيها الفولانى والهوسا، فضلا عن ٧ مليون رأس من الأغنام، ٢١ مليون رأس من الماعز، وأكثر من نصف مليون راس من الخنازير، وتقوم تجارة واسعة على أساس جلود الماعز أساس الصناعات الجلدية في نيجيريا، كما تقدر ثروة الصيد السمكى بنحو ٥٠ الف طن سنوياً، يأتى نصفها من بحيرة تشاد، والنصف الآخر من المجارى النهرية والمحيط، ونظراً لقلة محصول الصيد فإن نيجيريا تستورد كمية معادلة للسابقة، وتعد نيجيريا الآن اسطولا لصيد الأسماك قاعدته في لاجوس.

التعدين :

ظل القصدير هو عماد التعدين في نيجيريا لمدة طويلة، فقد صدرت نيجيريا الكاستريت منذ أكثر من نصف قرن، بل كان هو والكولمبيت الذى يرتبط به دائما يمثلان معاً نحو ٩٠% من صادرات نيجيريا المعدنية عام ١٩٥٢، ويوجد القصدير في الطبيعة على هيئة أوكسيد كيستريت مع اوكسيد الكولبيم، والمصدر الرئيسى لكلا المعدنين اللذان يوجدان معا هو التكوينات الفيضية التى تغطى هضبة جوس كما تختفى مساحات واسعة منها تحت غطاءات البازلت، وتأتى نيجيريا في المركز السادس في الإنتاج العالمى بإنتاجها البالغ نحو ٣٠٠ الف طن من المركزت و٨ آلاف طن من المعدن، ويصدر كل الناتج إلى المملكة المتحدة، وقد نشط الإنتاج بصفة خاصة اثناء الحرب العالمية الثانية عندما انقطع تصدير الملايو فقفزالإنتاج إلى ١٧ ألف طن.

وكان الكولمبيت المستخرج مع القصدير يهمل أول الأمر، حتى اكتشف استغلاله في سبائك الصلب للحصول على صلب غير قابل للصدا ومقاوم للحرارة الشديدة، كما هو الحال في محركات الطائرة النفاثة، ويتراوح الإنتاج بين ١٠٠٠، ١٥٠٠ طن، وبذلك تسهم نيجيريا بنحو ٨٠% من الإنتاج العالمى له.

ويوجد خام للحديد في مركز أينوجو في اقليم الشرق الأوسط خاماته تقدر بنحو ٢٠٠ مليون طن، فضلا عن احتياطي آخر قدره ٣٠٠ مليون طن في الشمال، ولكن لم يستغل تماما بسبب ارتفاع نسبة الكبريت آلتي تجعل معالجته صعبة، وينتظر

استغلاله لإقامة مصنع حديد وصلب.

الـــصناعـــــة :

تأتى صناعة المنسوجات في المقدمة، فقد أحرزت تقدماً كبيراً منـــذ نهايـــة الحـــرب العالمية الثانية، بحيث أصبحت الآن تكفي نصف الاستهلاك المحلى، وأهم مراكزهـــا في الشمال خاصة كادونا وفي الغرب في لاجوس، وتسير صناعة عصـــر الزيـــوت بخطى واسعة (زيت النخيل والفول السوداني) فضلا عن قيام المسلى النبـــاتى فـــي لاجوس، وتنتشر الصناعات الغذائية من المياه الغازية والبيرة في الشمال والجنـــوب إلى جانب حفظ اللحوم، والفاكهة، وصناعة السكر، والحلوى وظهرت أيضاً صناعـــة الأحذية المطاطية، والبلاستيك، والجلدية والكيماويات، والروائح، ونشـــر الأخشـــاب وعمل الابلكاج، وحلج القطن، ويتركز جزء كبير من هذه الصناعـــات فـــي القســـم الجنوبي من نيجيريا في بورت هاركوت، ولاجوس واينوجـــو، وأيبـــادن، أمـــا فـــي الشمال فأهم مراكزها كادونا، وكانو، وزاريا، وسكوتو.

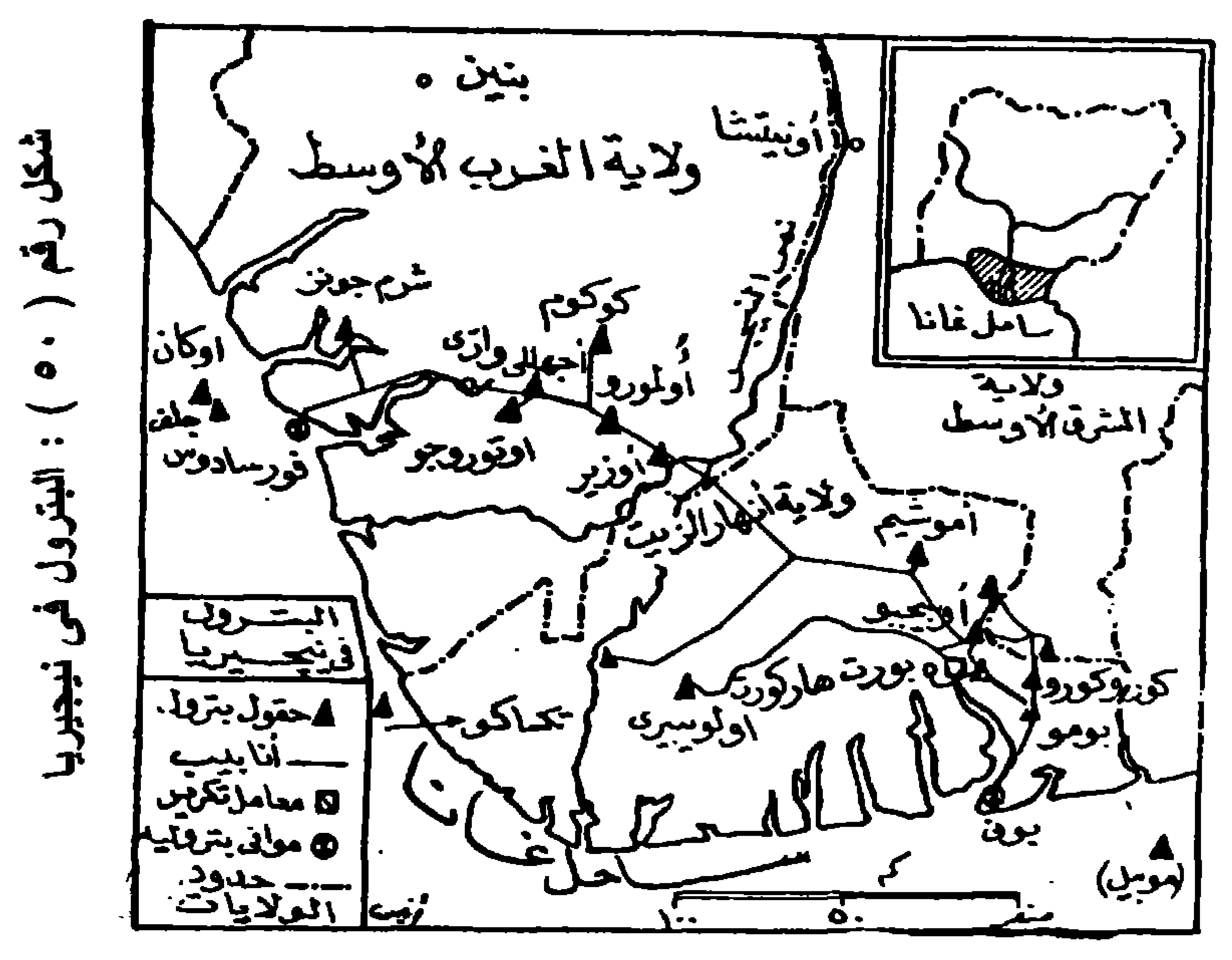
ومن الصناعات آلتي استحدثت مصنع الحديد والصلب الذي افتتح رســـمياً ١٩٨٢ بطاقة قدرها مليون طن سنوياً في الادجـــا *Aladja* وأخـــر فـــى أجيكوتـــا ومـــن الصناعات آلتي استفادت من الخامات المحلية صناعة إطارات الســـيارات والبـــيرة والمنسوجات والكيماويات وخاصة الأسمدة الأزوتية . وكان هناك تجميع لســـيارات البيجو والفولكس لسيارات ركوب، وسيارات النقل المرسيدس.

مـــوارد الـــطـــاقـــــة فـــي نيجيريـــــا :

بينما تفتقر نيجيريا إلى الفحم الجيد، وتنتج نحو ٥٠ الف طن من الأنـــواع الرديئـــة آلتي تستهلكها السكك الحديدية، فأنها تعتبر من الدول الإفريقيه آلتي شـــهدت نمـــواً كبيراً في إنتاجها للبترول، وقد تصبح دلتا النيجر من الأقاليم الرئيسية المنتجة فـــي العالم في المستقبل.

بدأ البحث عن البترول في نيجيريا عام ١٩٣٧، ولم يظهر البترول بكميات تجاريـــة إلا عام ١٩٥٦، وبدأ الإنتاج فعلا عام ١٩٦٨ بالقرب من هاركورت، وكانت جميـــع الكشوف الأولى في الاقليم الشرقي، ولكن منذ عام ١٩٥٩، بدأت كشوف أخرى فـــي

اقليم الغرب الأوسط، وشيد ميناء بترولي في فورســـــادوس، وكـــان لشـــركة شـــل البريطانية الفضل في كشف واستغلال البترول النيجيرى، وهى مسئولة فعـــلا عـــن ٣/٢ الإنتاج النيجيرى، أما الثلث الباقى فهو نصيب الشركات الأمريكية، والإيطاليـــة والفرنسية فضلا عن المصالح النيجيرية.



شكل رقم (٥٠): البترول في نيجيريا

وكان لظهور البترول أثره في تحول الاقتصاد النيجيرى من أقتصاد زراعى بالدرجـــة الأولى إلى اقتصاد يعتمد على تصدير البترول بحيث أصبح يمثل ٩٠% مـــن قيمـــة الصادرات، وقد أدى تصدير البترول بالفعل إلى النمو الاقتصادى بصورة ملحوظــــة، وأصبحت في منتصف السبعينيات كالمنتج والمصدر الأول للبترول في إفريقيه بوجـــه عام، ووضعت الخطط الخمسية (١٩٧٥ - ١٩٨٠) معتمدة على هذا الدخل الكبـــير، ولكن مع انخفاض أسعار البترول بعد ١٩٨١، وقعت الحكومـــة فـــي مـــآزق أمـــام المشروعات المفتوحة، وكذلك دفع فاتورة الواردات الباهظة، مما أدى بالتـــالى إلـــى بداية الاستدانة، فضلا عن تعثر المشروعات الصناعية لاعتمادهـــا علـــى الخامـــات وقطع الغيار المستوردة، وصادف أيضا نقص في المحـــاصيل الزراعيـــة، وحـــاولت الحكومة الحد من هذا التدهور باجراءات تقشف، ومنها منع استيراد الأرز والـــذرة

العريضة، ولتوضح أثر البترول في اقتصاديات نيجيريا نذكر أن أعلى إنتاج لنيجيريا كان عام ١٩٧٤ الذى قدر بنحو ١١٠ مليون طن، وانخفض في أواخر الثمانينات إلى ما يقرب من ٩٠ مليون طن، وفي نفس الوقت حصلت نيجيريا على ٢٤ مليار دولار كعائدات بترولية عام ١٩٨٠ وهبط هذا الرقم إلى ٦ مليار دولار فقط عام ١٩٨٨!!

ويعتبر بورت هاركورت مركز العمليات البترولية، وربطت بالأنابيب التى تنتهى بميناء بونى، وأختيرت الم *Eleme* على بعد ١٤ ميلا من بورت هاركورت لإنشاء أول معمل تكرير في نيجيريا تكلف نحو ١٥ مليون جنيه، وانتهى بناؤه عام ١٩٥٩، والغرض منه توفير حاجة البلاد من الجازولين والكيروسين بأسعار معقولة، وكذلك اكتشفت حقول الغاز، ويستغل جزء من هذا الغاز في توليد الكهرباء لانارة منطقة آبار بورت هاركورت، والباقى يصدر إلى الخارج.

وكان ظهور نحو ثلثى البترول النيجيرى في الاقليم الشرقى وحده سبباً في قيام الحرب الأهلية النيجيرية، ذلك أنه كان من رأى حكومة الاقليم الشرقي أن تستمر عملية احتفاظ كل اقليم بالعائدات الناتجة عن منتجاته سواء الزراعية أو المعدنية، كما كان الحال قبل عام ١٩٥٩.

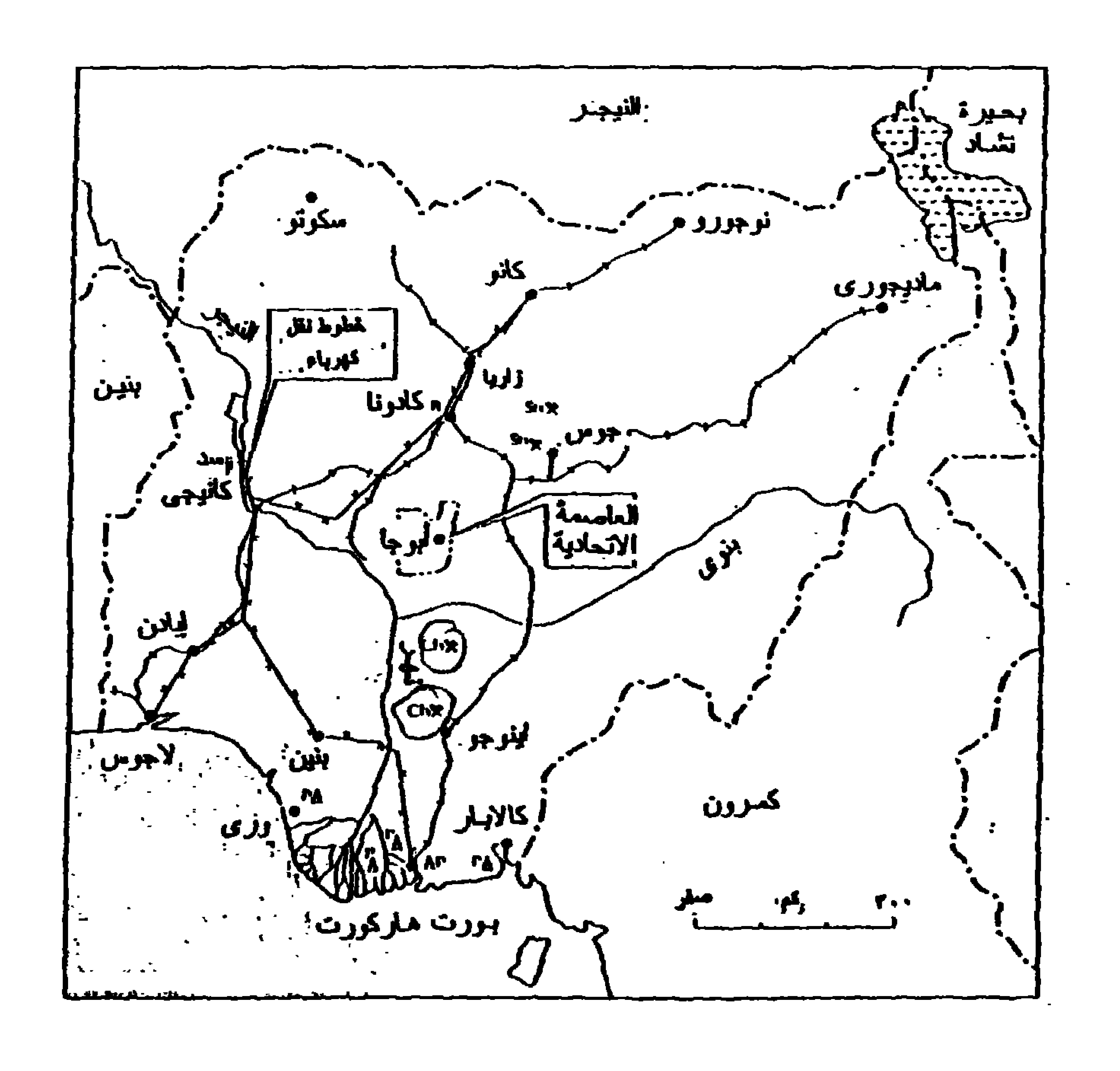
سد كاينجى :

بدأ استغلال القوى الكهربائية في نيجيريا منذ عام ١٩٢٠ لسد حاجة مناجم القصدير في هضبة جوس، ولكن هذا المصدر من الطاقة سرعان ما أهمل نظراً لاعتماد البلاد على القوى الحرارية المولده من الفحم.

ويعتبر مشروع كاينجى على نهر النيجر هو المشروع الأول لاستخرج القوى الكهربائية في نيجيريا، وأحد أربعة مشروعات كهربائية كبرى في إفريقيه، وقد فكر في هذا المشروع قبل التأكد من موارد نيجيريا من البترول والغاز الطبيعى، ولكنه مع ذلك يعتبر مكمل وأساسى، وهكذا بدأ العمل عام ١٩٦٤ في بناء سد على نهر النيجر عند بلدة كاينجى بطول ٤٠٠ متر وارتفاع ٧٠ متر، وبذلك لرفع مستوى الماء أمامه بمقدار ٥٥ متراً يخلق بحيرة مساحتها ١٣٠٠ كيلو متر، وركبت أربعة

تربينات طاقة كل منها ٨٠ ميجاوات في أواخر عام ١٩٦٨، وأوائل عام ١٩٦٩، وأصبح هذا السد في عام ١٩٧٠ يغطى ٨٨% من استهلاك نيجيريا من الكهرباء، هذا وينتظر إضافة ثمانية مولدات أخرى لترتفع طاقة السد إلى ٩٦٠ ميجاوات.
وعلى العموم كان سد كاينجى من حيث موقعه الجغرافي وتوزيع موارد الطاقة الأخرى مكملا وليس زائداً عن حاجة نيجيريا، ذلك أن موقعه جاء وسطا بين السوق الضخمه للطاقة في لاجوس/ ايبادن في الجنوب الغربي، والسوق الآخر للاستهلاك في كادونا وكانوفى الشمال، والذى يبعد كثيراً عن موارد البترول التى ظهرت في جنوب شرقي نيجيريا، لذلك يمكن للقسم الشرقي من نيجيريا الاستمرار في استخدام البترول لتوليد الكهرباء الحرارية.

شكل رقم (٥١) : خطوط نقل الكهرباء فى نيجيريا



ومن أجل مواجهة احتياجات ما بعد عام ١٩٨٠ كان هناك تفكير في بناء سد آخر على النيجر عند جبا على بعد ١٠٠ كيلو متر جنوب سد كاينجي وآخر عند خانق شيرور على نهر كادونا.

النقل :

ورغم أن نيجيريا لديها أكبر شبكة من السكك الحديدية في غرب إفريقيه، تربط بين لاجوس وبورت هاركورت في الجنوب، وماديجورى وزاريا وكانو وكوادنا مودا في الشمال، فضلا عن الفى ميل من الطرق، فما زالت في حاجة إلى شبكات أكثف من الطرق.

وتتفوق نيجيريا على زائير فيما يختص بالسكك الحديدية من حيث الحمولة بالطن بنسبة للكيلو متر المربع، نظراً لامتداد الخطوط بعيداً عن نهر النيجر إلى أقليم القطن والفول السودانى، هذا فضلا عن معادن هضبة جوس وكاكاو اليوروبا، فكلها مناطق بعيدة عن النهر على عكس نهر زائير وتصريفه النهرى الذى يجعله يخدم زائير أكثر مما يخدم النيجر نيجيريا، فيدور النهر الرئيسى هناك حول الحدود الشرقية ثم تتعدد روافده شمالية وجنوبية، ويمر بالحوض خط الاستواء، من ثم كان أكثر انتظاماً في مائيته من النيجر، فكثير من روافد النيجر الأوسط تتحول إلى فروع في موسم الفيضان،كما يضيع قسم كبير من مائها بالبخر والتسرب في موسم الجفاف.

ومع هذا تعتبر نيجيريا من دول النقل النهري، فهى تعتمد إلى جانب الخطوط الحديدية على النقل على النيجر والبنوى في المواضع الصالحة للملاحة وخاصة في الأجزاء العليا حيث تقل نبذبة مستوى النهر، بل وتتعدى النيجر والبنوى إلى الأنهار السريعة القصيرة الساحلية خاصة في نقل الأخشاب سواء على نهر كروس في الشرق أو مجارى الاقليم الغربى، وأدى هذا النقل النهرى والثقيل إلى ظهور ميناء *Saple* الذى تقوم بتشغيله شركة إفريقيه المتحدة لنشر الأخشاب كالميناء الثالث حمولة بعد لاجوس وبورت هاركورت.

المـراكز الحضريــة :

شيدت لاجوس العاصمة الاتحادية سابقا (٢ مليـون) علـى جزيـرة أيـدو ***Iddo*** ويربطها بالساحل جسر يمر عليه الخط الحديدى المتجه شمالا، وكانت لاجوس مركزاً للاتجار بالرقيق يأتونها من الداخل من داهومى ويوربا وبنين وهى الممالك التى تقع في ظهيرها، ولكنها أصبحت بعد ذلك العاصمة والميناء الرئيسـى غـرب النيجر، فضلا عن كونها مركزاً لكثير من الصناعات مثـل الصـابون والمنسـوجات والغذائيات، ونظراً لاختناقها بالسكان، فقد استقر الأمر على نقل العاصمة إلى ابوجـا في الوسط، وكانت قرية صغيرة من قبل، وكلفت هذه العملية نحو ٤,٥ بليون دولار.

وتأتى ايبادن كالمدينة الثانية (مليون نسمة) وهى مركز اقليم اليوروبـا وعاصمـة الاقليم الغربى، وتقع المدينة ايضاً وسط اقليم الكاكاو، لذلك فما زال جزء كبير مـن سكانها يعتمدون على الزراعة، وبها كذلك أكبر جامعة في نيجيريا، كما تقـوم بـها صناعة إطارات السيارات والبلاستيك والسجائر.

وكانت بنين عاصمة إقليم الغرب الأوسط (٣٥٠ ألفا) مدينة مسورة حينمـا وصلـها البرتغاليون عام ١٨٤٥، وهى الآن من أهم مراكز تجارة منتجـات نخيـل الزيـت والمطاط.

وتعد ميناء بورت هاركورت (٦٥٠ الف) الميناء الثانى لنيجيريا وميـنـاء البـترول الأول، وقد أنشئ، هذا الميناء عام ١٩١٦ ليكون نهاية الخط الحديدي الآتـى مـن إينوجو (٢٥٠ الف) التى تعتبر واحدة من أكبر الأسواق الإفريقيه حيث يمكـن كمـا يقولون شراء أى شئ من الفيل إلى حلة الادميرال، وهى في نفس الوقـت ميـنـاء نهرى على النيجر الأدنى، ويمر بها المعبر الذى يصل بين شرقيى وغربى نيجيريا.

وتتمثل المراكز الحضرية في الشمال في كادونا عاصمة الشمال (٤٥٠ الفا) أنشـاها الانجليز عام ١٩١٧، وتقع في نفس الوقت على مشارف الاقليم الأوسط، وإلى جانب كونها عاصمة الشمال، فقد قامت بها صناعة النسيج، وإلى الشمال منها تقع كـانو (٧٠٠ الف) وزاريا (٣٥٠ الفا) وهى شأن مدن الهوسا مسورة كما أنـها مراكـز تجارية من الدرجة الأولى في الشمال، وتقوم بتصديـر القطـن، والـذرة الرفيعـة،

والسمسم والفول السوداني، ويعتبر منظر أهرامات الفول السوداني من المناظر الشائعة في محطات السكك الحديدية منتظرة للشحن عبر الخط الحديدي لمسافات تربو على الآلف كيلو متر إلى موانى الجنوب.

غـــــانـــــا

كان (ساحل الذهب) هو أول مستعمرة حصلت على استقلالها في غرب إفريقيه عام ١٩٥٧م، وأطلق عليه غانا تيمنا باسم دولة غانا القديمة، وتأتى غانا في المركز الثانى من حيث عدد السكان في غرب إفريقيه ١٧,٥ مليون نسمة عام ١٩٩٥، كما أنها تعتبر من الدول الإفريقيه التى يرتفع فيها مستوى دخل الفرد نسبياً.

الظروف الطبيعية :

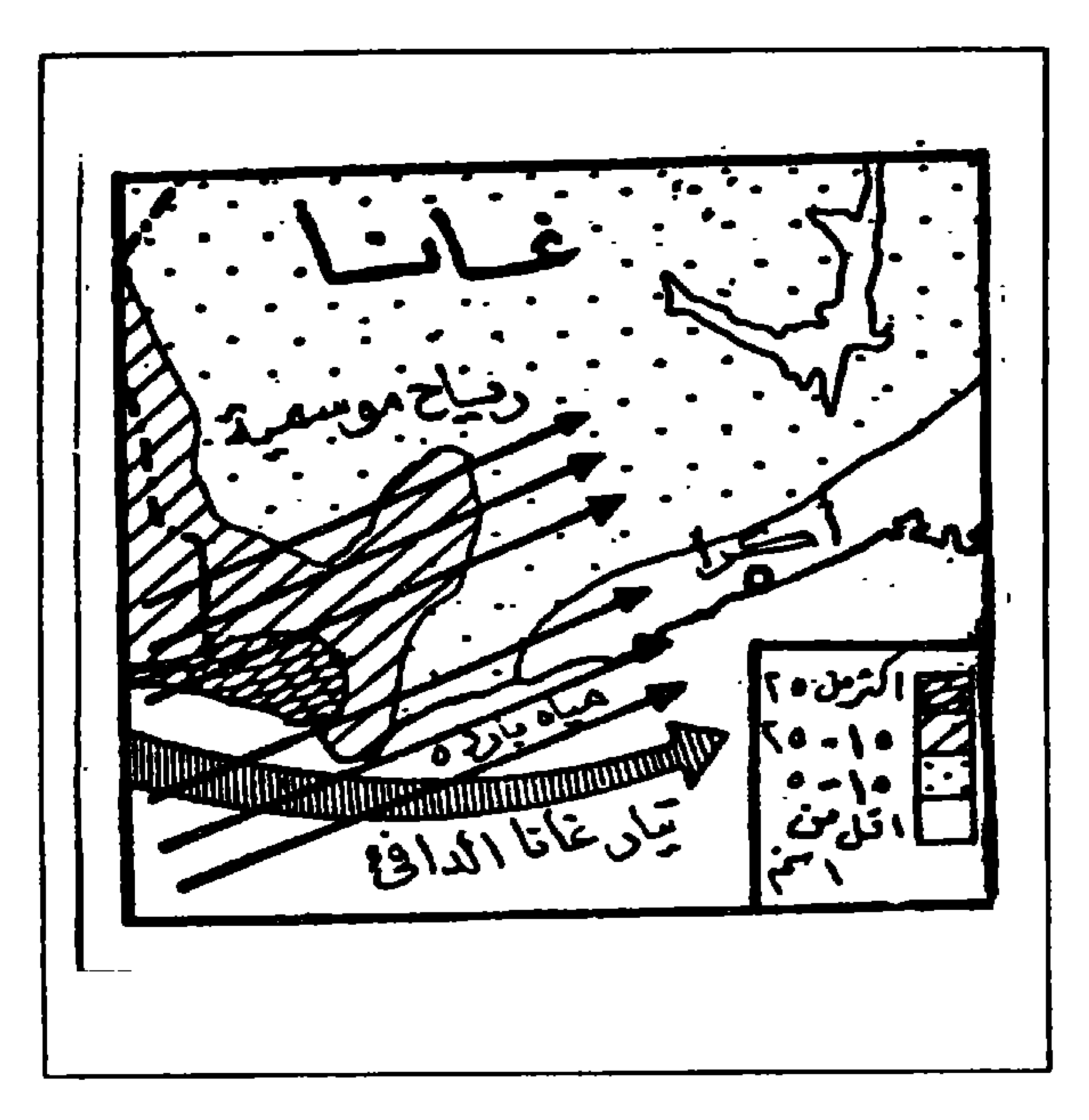
تشغل الهضاب المنخفضة والسهول معظم مساحات غانا، وتظهر الصخور القديمة أحياناً، وأحياناً أخرى تغطيها تكوينات الزمن الأول وهى عادة من الحجر الرملى السليكى.

ويتراوح ارتفاع هذه الهضاب بين ٣٠٠/٥٠٠ متر وتنحدر نحو الجنوب أى نحو السهول الساحلية، وتشغل هضبة الحجر الرملى التى يشغلها حوض الفولتا وسط غانا، وتعد تربتها من أفقر تربات غانا وأكثرها خلخلة في السكان.

وتظهر المرتفعات في غانا في حدودها الشرقية شرق نهر أوتى أحد روافد الفولتا ممثلة في تلال اكوابيم/ توجو التى تستمر نهايتها الجنوبية حتى أكرا، ويتجمع الفولتا الأبيض والأحمر والأسود ليكونوا الفولتا الذى قطع طريقه إلى البحر خلال السلسلة الجبلية، وأقيم سد الفولتا عند اختراقه لذلك الخانق، ومن المرتفعات التى تزيد على ٥٠٠ متر، هناك أيضا هضبة كواهو التى تأخذ اتجاها من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربى مع بقع متناثرة إلى الشمال، ولا تختلف غانا في مناخها عن مناخ غرب إفريقيه من حيث تعدد الأقليم المناخية سوى الجفاف النسبي في منطقة رأس ثرى بوينتس وذلك الموازة الرياح الموسمية للساحل، فضلا عن أن التيار الاستوائى الرجعي يجذب المياه السطحية الدفينة، وبالتالى تظهر مياه باردة من

الأعماق لتحل محلها، من ثم كانت درجة الحرارة أقل بنحو درجة أو درجتيـــن فـــي الشرق عن الغرب.

شكل رقم (٥٢) : أثر موازاة الرياح والتيارات البحرية فى المطر



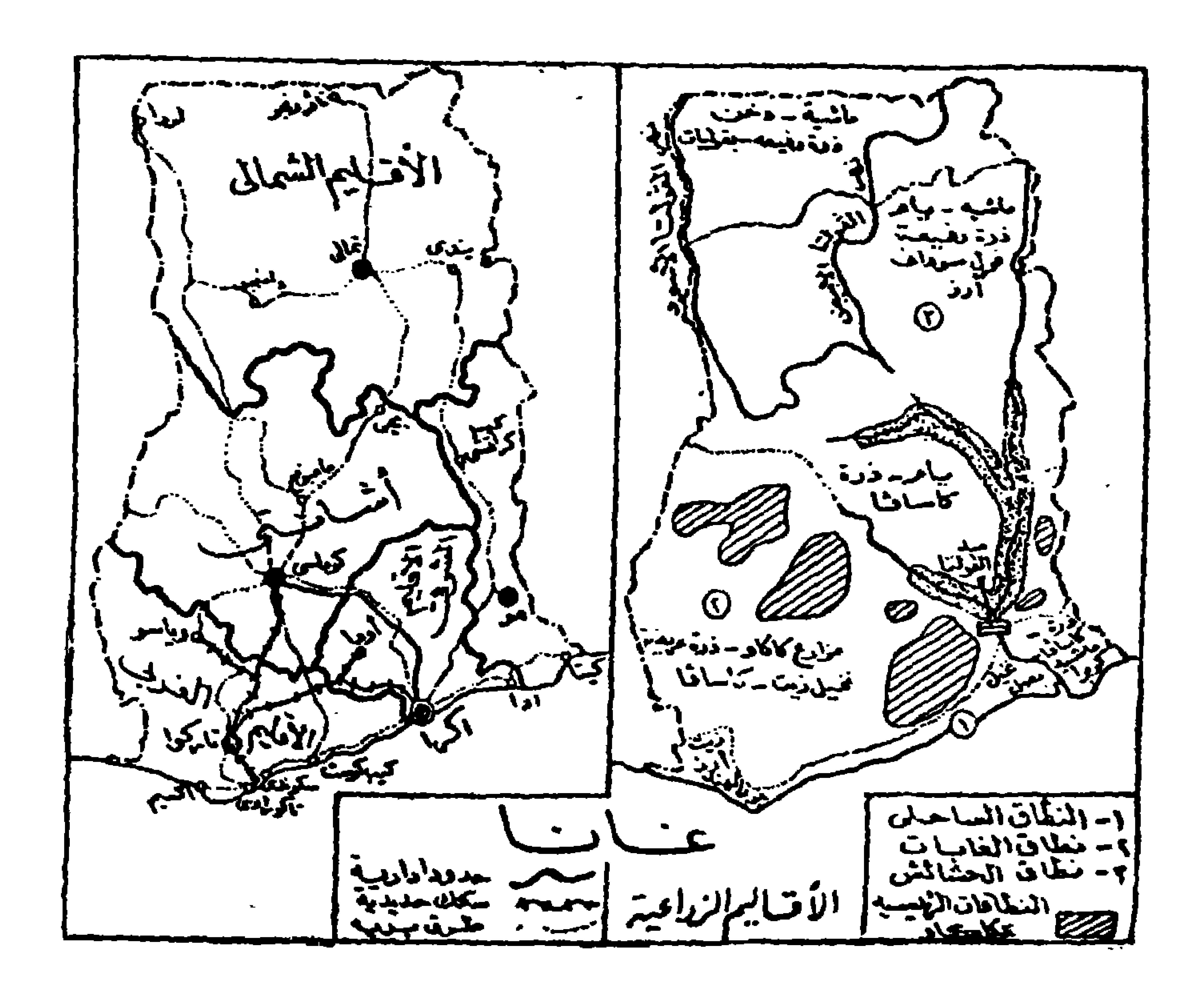
ويمكن تقسيم غانـــا إلـــى ثلاثة أقاليم جغرافية كبرى، وهذا واضح مـــن الناحيـــة المناخية والنباتية (الســـفانا الساحلية، الغابات، الســـفانا الداخلية) ولكـــن الملاحـــظ على أقليـــم الغابـــات أنــــه يتراجع امام زحف أشـــجار الكاكاو المزروعة في اقليـــم الاشانتى، وإن كان جـــزء كبير منها ما زال في غربى غانا حيث تغطـــى مســـاحة ٣٥ ألف كيلو مترمربع، وهى الآن تستغل بكثافة شديدة، ونظراً للجفاف النسبي فـــي الجنوب الشرقي تتحول الغابة الاستوائية إلى نوع مـــن الســـفانا البســـتانية الغنيـــة بأشجار نخيل الزيت.

سكان غانا وتجمعاتهم الحضرية :

تتعدد القبائل في غانا حتى يقدرها البعض بنحو ١٠٠ قبيلة معظمهم ينتمون للســلالة الزنجية ، ومن أهم قبائلهم الاكان، والفانتى، وكواهو، وكوماسى، والاشانتى وغيرها ممن يسودون في الثلث الجنوبي للبلاد، أما في الوسط فهناك مجموعة الجوانج، أمـــا في الثلث الشمالى فينتمون إلى مجموعة الفولتا وهم اقرب إلى قبيلة الجورنسى التى تسكن بوركينا فاسو، ومن أهم قبائل هـــذه المجموعـــة الداجومبـــا والمامبروســـى، ويعيش في جنوبى غانا أكثر من مليون مهاجر من الأقطار المجـــاورة، ذلـــك غـــير

الموسى أصحاب الهجرة الموسمية.

شكل رقم (٥٣) : غانـــــــــا



وإذا كان عدد السكان يزيد على ١٩,٥ مليون نسمة في مساحة ٢٣٩ ألف كم٢، فإن هذا يعنى كثافة قدرها ٨٢ نسمة لكم٢ وتعتبر هذه عالية بالنسبة للدول الإفريقيـــــه، ولكن يزيد من هذه الكثافة ارتفاعاً أن ثلثى السكان يـــتركزون فـــي الجنـــوب بيـــن كوماسى والساحل حيث تتراوح الكثافة بين ٥٠، ١٠٠ نسمة لكم٢، وترتفـــــع فـــي مركز أكرا إلى ٢٠ نسمة، أما الهضبة الوسطى فتنخفض فيها الكثافة إلى ٧ نســمات ترتفع في الشمال الشرقي حيث قبيلة المامبروسى إلى ٥٠ نسمة لكم٢.

وتبلغ نسبة سكان الحضر نحو ٤٠% من سكان غانا يعيشون في المدن التى ترصـع الثلث الجنوبى للبلاد، فهناك ٢٦ مدينة يعيش فيها أكثر من ١٠آلاف نسمة، فسـكان أكرا العاصمة هى وضواحيها يبلغ عددهم مليون نسمة، وميناء تيما الجديد يبلغ عدد سكانه نحو ٣٥٠ ألف نسمة، وقد ظلت غانا فترة طويلة تعتمد اعتماداً كبيراً علـى ميناء تاكورادى (٣٠٠ ألف نسمة) قبل إنشاء ميناء تيما، وأقيم في تاكورادى مرفـا صناعى عام ١٩٢٨وأجرى عليه تحسينات عام ١٩٥٣، هذا بينما بقية الساحل خالى من الموانى الجيدة التى تصلح لإقامة موانئ نظراً لامتداد الكثبان الرملية السـاحلية، وتجرى عمليات الشحن والتفريغ بواسطة القوارب، وأما كوماسى (نصف مليـون) فهى أكبر مدن الداخل وعاصمة اقليم الكاكاو والعاصمة التقليدية لقبيلة الاشانتى التى كانت في وقت ما تكون أكبر دولة في الجنوب، ولا تقتصر أهمية كوماسى على هـذا فحسب، بل هى مركز اشعاع الطرق إلى جميع أجـزاء غانـا وتربطـها الخطـوط الحديدية بتاكورادى، وسكوندى، وأكرا.

وكانت كوفريدو (٢٠٠ ألف) من قبل مركز إقليم الكاكاو في الجنوب الشرقي ولكـن هجرة الكاكاو نحو الغرب افقدها أهميتها الأولى، هذا بينما تامالى (٢٥٠ ألفا) أكـبر مركز إداري في الشمال.

اقتصاديات غانا :

ويعتمد أقتصادها على زراعة نقدية متقدمة فضلا عن ثروة معدنية، وقد اتبعت غانـا أول الأمر طريق الاشتراكية الذى تضمن التأميم الجزئى لبعض القطاعات الحيوية في الدولة، ولكنها عدلت عام ١٩٦٦ وسمحت بالملكية الفردية والاستثمارات الاجنبيـة وعودة كثير من الشركات التى سبق تأميمها، وان كان هناك تخطيـط بدأتـه عـام ١٩٦٨ في ظل إطار اقتصاد حر.

ويعمل ٦٠% من السكان في الزراعة، وهناك المزارع الخاصة سواء كـانت ملكـا لأفراد أو لشركات، فضلا عن بعض المزارع المقامة والتـى يعمـل فيـها السـكان بالأجر.

ويشغل الكاكاو ٦٧% من المساحة المزروعة، كما أنه مسـئول عـن ٦٥% مـن

صادرات غانا، وقد دخلها عام ١٨٧٩ عن طريق بذور مجلوبة من فرناندوبو، وساعد على انتشار زراعته الطرق والخطوط الحديدية، كما ساعد على انتشارها أيضا أنه بالامكان زراعة المحصولات غذائية إلى جانب الكاكاو، وأن كانت مشكلة الغذاء لم تحل تماما نظراً لأن المزارعين اتجهوا بطبيعتهم نحو الكاكاو وأهملوا الغلات الغذائية مما ترتب عليه ضرورة استيرادها، وتحتل معظم المساحة المزروعة كاكاو الاقليم الساحلى في المثلث المحصور بين تاكورادى كوماسى - أكرا، وأن كان مركزا الثقل في غرب هذا المثلث أى في اقليم الاشانتى.

وزراعته في غانا إفريقيه محضة، ويقوم الافريقي بزراعة ما بين فدان، ٣ أفدنه فضلا عن مساحة اقل لكل زوجة، ويستعينون في هذا بالعمال المهاجرين من الدول الشمالية كالنيجرو بوركينافاسو، ويبلغ إنتاج غانا في المتوسط نحو ٢٥٠ الف طن، وبذلك تصبح المنتج الثانى بعد أن كانت المنتج الأول، في إفريقيه بعد كوت ديفوار، هذا وتعانى غانا أحيانا من ذبذبات سعر الكاكاو في السوق العالمي، والأمراض التى تصيب الأشجار، فضلا عن الجفاف الذى اصابها في الثمانينيات، إلى هذا تهريبه إلى كوت ديفوار وتوجو، وبوركينافاسو، ويقدر المهرب بنحو ٥٠ الف طن سنويا، أدركنا تأثير هذا على اقتصادها.

وهناك مجموعة أخرى من المحاصيل النقدية تزرع في غانا مثل البن ونخيل الزيت والمطاط والتبغ والاناناس وغيرها، وأدت سياسة تنويع الإنتاج التى أتبعتها منذ سنة ١٩٦٦ إلى الزراعة الآلية للارز، والفول السوداني، والقطن، وقصب السكر في مزارع الدولة، أما المحاصيل الزراعية الغذائية التقليدية فتزرع في وسط وشمال البلاد، وإن كانت لا تكفي الاستهلاك المحلي، وتمثل السلع الغذائية ثلث واردات غانا.

وتعتبر الأخشاب ثانى صادرات غانا بعد الكاكاو، يأتى معظمها من الاقليم الجنوبى، الغربي وتصدر عن طريق ميناء تاكورادى، وغابات غانا غنية بالماهوجنى والسابل، وهذه أنواع يشتد عليها الطلب، وتعتبر غانا في الوقت الحاضر المصدر الأول للأخشاب في إفريقيه، ويبلغ متوسط الصادر السنوى نحو ٧ مليون متر مكعب من الكتل الخشبية والقشرة والابلكاج والتى يقوم بإنتاجها ٤٢ منشراً للخشب.

وتتركز تربية الماشية في الشمال بعيداً عن ذبابة التسي تسي، ولكن البلاد تعتمد اعتماداً كبيراً على استيراد الماشية الحية من دولتي مالي وبوركينافاسو، فضلا عن استيراد اللحوم، نظراً لأن الإنتاج المحلي لا يكفي سوى ١٥% من احتياجات السكان.

وتهتم غانا بصيد البحر إذ أنشأت الحكومة أسطولا للصيد مركزه تيما، فضلا عما يقوم به الأهالي في قواربهم الخاصة، كذلك زادت كميات الصيد من بحيرة سد الفولتا، ومع ذلك تستورد سنوياً نحو ٣٠ الف طن من الأسماك المجففة من مالي والنيجر.

التعدين والصناعة :

وغانا هي المنتج الثاني في العالم للماس الصناعي، والماس هو صادرها المعدني الرئيسي (١٥% من قيمة الصادرات) يستخرج من التكوينات الفيضية في جنوب شرق البلاد، حيث تقوم شركتان فضلا عن ١٢٠٠ مشروع خاص صغير بالبحث عنه، وينتج هؤلاء نحو ثلاثة أرباع المستخرج، والذي يبلغ نحو نصف مليون قيراط، وإنتاجها من ماس الزينة فيبلغ نحو ١٠% فقط من إنتاج الماس الصناعي.

وتأتي غانا في المكان الثاني في إفريقيه إنتاجاً للبوكسيت بإنتاجها البالغ نحو ثلث مليون طن من مناجمها في أوازى ويصدر البوكسيت من ميناء تاكورادي، وكان من المنتظر بعد تشغيل مشروع الفولتا ان تزيد الكمية المنتجة من البوكسيت زيادة كبيرة فضلا عن استغلاله، وزيادة صادر الالومنيوم نظراً لأن طاقة الصهر تبلغ نحو ٢٠٠ ألف طن سنوياً، وقد بدأ إنشاء مصنع *Valco* في تيما على أن تكون طاقته في المرحلة الأولى ١٠٠ ألف طن سنوياً، ولكن وللآسف تستورد له الالومينا من جمايكا، وعلى العموم لا تقاس أهمية البوكسيت في غانا بالإنتاج في الوقت الحاضر، بقدر ما تقاس بالاحتياطي الضخم الذي يقدر في غانا بنحو ٤٠٠ مليون طن.

وأعطى الذهب اسمه القديم لغانا حين كان التجار الأوربيون يحصلون منها على الذهب ولذلك سميت ساحل الذهب، ويعتبر منجم أوازى أكبر منجم للذهب في غانا

لذلك يطلق عليه، أغنى ميل مربع في إفريقيه، وتنتج غانا نحو ١٦ الف كيلو جرام سنوياً من خام الذهب.

أما رواسب المنجنيز فهى بالقرب من مناجم الذهب في ناراكوا، ويبلغ إنتاجها نحو ٢٠٠ ألف طن سنوياً مما يضعها في المركز الثامن في العالم.

تطور الإنتاج الصناعي في غانا منذ عام ١٩٥١، بحيث تعتبر من أكثر الدول تصنيعاً في إفريقيه المدارية، ورغم عدم زيادة نمو القطاع العام منذ عام ١٩٦٦، فما زالت القطاعات الصناعية الرئيسية تابعة له كالصناعات المعدنية والكيماويات والمنسوجات في معظمها، أما من حيث نصيب الصناعة من الأيدى العاملة فهو يبلغ نحو ١٥% من القوى العاملة. وتتركز معظم هذه الصناعات في مثلث كوماسى اكوا - تاركورادى، وتأتى الصناعات الغذائية في المقدمة كمصنعى أعداد الكاكاو في تاكورادى وتيما، وصناعة السكر في اكوزى وكومتدى، وعصر الفول السودانى وجوز الهند، وطحن الحبوب (المستوردة) وحفظ وتعليب الأسماك واستخراج زيتها وحفظ اللحوم/ وصناعة السجائر، فضلا عن الخضروات والفاكهة كالطماطم والاناناس.

وتغطى صناعة المنسوجات الاستهلاك المحلي، بل وأصبحت غانا مصدرة لها بإنتاجها الذى يبلغ نحو ٢٧ مليون متر مكعب سنوياً، بل لقد اقيم مصنع لنسيج الجوت في كوماسى معتمداً على استيراده من الباكستان.

وظهرت في غانا أيضاً الصناعات الجلدية، وتلك المعتمدة على المطاط كالأحذية وإطارات السيارات، وأقامت غانا مصنعاً للصلب يعطى إنتاجاً سنوياً قدره ٢٠ ألف طن، ومصانع لتجميع السيارات، والراديو، والالكترونيات، وغيرها.

سد الفولتا :

ويعتبر مشروع سد الفولتا من أكثر مشروعات توليد الطاقة الكهرمائية في غرب إفريقيه وضمن أكبر هذه المشروعات في إفريقيه المدارية، كما أن تنفيذه يعد أكبر خطوة خطتها غانا في ميدان التنمية الاقتصادية بعامة، وفي ميدان التنمية الاقتصادية الصناعية بخاصة، وذلك في محاولة لإخراج غانا من مشكلة الاعتماد

على غلة واحد وهى الكاكاو، تتحكم في اقتصادهـا وتعرضـه لمخـاطرات السـوق الأجنبى وتقلباته، ويعطى مثلا حيا على أخطار الأوبئة والأمراض وتدهـور التربـة وتعريتها، فضلا عن تحكم السوق الخارجى في أسعاره، ويقابل هـذا عـدم مرونـة موارد الكاكاو لأن النباتات الجديدة لا يمكن أن تؤثر في سعر السوق، إلا بعد فـترة تتراوح بين اربع وسبع سنوات، ويقابل هذه مرونة في الطلب على هـذه السـلعة، فاسعاره العالمية تجعل صانعو الحلوى يتجهون نحو بدائل أخرى، ممـا يقلـل مـن استهلاكه، على حين أن الأسعار المنخفضة تعتبر ضربة قاسـمة لمنتجـى الكاكـاو زراعاً وحكومات.

إذن بتنفيذ المشروع يعتمد الاقتصاد الغانى على أكثر من ركيزة واحدة، يعتمد علـى زراعة وصناعة، ويرفع من مستوى الدخل، وقد يجعل هذه المشروع غانا من أكـثر أجزاء غرب إفريقيه تصنيعاً، ذلك أن مشروع سد الفولتا يهدف أساساً إلـى توليـد الطاقة الكهربائية الرخيصة، وهـذه الطاقـة لازمـة وضروريـة للحصـول علـى الالومنيوم من خاماته وهى البوكسيت.

صورة المشروع :

١- سد عند بلدة اوكسميو حين يعبر نهر الفولتا خانقا غائراً، ويبلـغ طـول السـد ٧٠٠ متر وارتفاعه من القاعدة الصخرية إلى القمة ١٢٤ مـتراً، وقـد بلغـت مساحة البحيرة وراء السد ٢٢٧٥ ميلا مربعاً، وتمتد إلى الخلف لمسـافة ٢٥٠ ميلا، وأقصى عرض لها ٥٠ ميلا وبلغت أعلى منسوب لها أمـام السـد عـام ١٩٦٨، وقد اشترك في تمويل السد حكومة غانا بالاشتراك مع الولايات المتحـدة الأمريكية والمملكة المتحدة والبنك الدولي.

٢- تعمل ست محطات توليد كهرباء تعطى ٥٠٠ مليون كيلـوات سـنوياً ويغطـى تيارها كل الاحتياجات المحلية والصناعية في الجنوب، بينما الطاقة الكهربائيـة للسد تبلغ ٢٥٠٠ مليون كيلوات، وقد استغنت غانا بهذه الطاقـة عـن الوقـود المستورد باستثناء البترول الذى تستورده السيارات والذى أقـامت لـه معمـلا للتكرير في تيما بطاقة ١,٢ مليون طن سنوياً.

٣- تحسين مرفأ ميناء تيما وقد كلف حكومة غانا ٣٥ مليون جنيه.
٤- إقامة مصاهر للألومنيوم قدرت تكاليفها بنحو ٦٠ مليون جنيه في ميناء تيمـــا وقامت بها مؤسسة فالكو وهي مجموعة مؤسسات أمريكية، وبدأ إنتاج المصاهر عام ١٩٦٦ وتستخدم الالومينا المحلية، وتسعى الآن حكومة غانا إلى اســتغلال البوكسيت المحلى حتى تصبح الصناعة متكاملة.

هذا ولم تقتصر فائدة سد الفولتا على تغطية احتياجات غانا فحسب، لمياه الرى فـــي سهول اكرا الجافة نسبياً حيث بدأت زراعة الأرز، كما عملت البحيرة كوسيلة للنقـل الرخيص في وسط غانا بحيث يمكن في المستقبل بربطها بخط حديدى إلى الشـــمال من اجتذاب حركة التجارة للدول المجاورة.

هذا ولم تقتصر فائدة سد الفولتا على تغطية احتياجات غانا فحسب، بل أصبح يمـــد كل من توجو وبنين باحتياجاتهما من القوى الكهرمائية، فقـــد بلغـــت طاقتـــه ٩١٢ ميجاوات عام ١٩٨٦م .

ويتأثر حجم الطاقة المولدة بظروف المناخ، فحين يقبل الجفاف تقل الطاقة المولـــدة، وبالتالى ينخفض أيضا إنتاج شركة فالكو للالمومنيوم التـــى تســـتمد ٦٠% مـــن - طاقتها من سد أوكسمبو كما حدث في أوائل الثمانينات، ولكن تحسن الأمطـــار منـــذ عام ١٩٨٤ أدى إلى زيادة الإنتاج إلى طاقته الكاملة مرة أخرى.

وهناك مشروع آخر لم ينفذ بعد، وهو إقامة سد على نـهر الفولتـــا الأســـود لـــتزويد القسم الشمالى من البلاد بطاقة رخيصة بدلا من اعتمادها علـــى الطاقـــة الحراريـــة المعتمدة على البترول المستورد، هذا ولا ننسى الاثر السيئ للســـد مـــن النواحـــى الصحية، فقد عملت بحيرة السد على انتشار مرضى العمى النهرى.

الـــــنـــقل فـــــي غـــــانـــــا :

يرتفع تصيب غانا من الطرق إذا قورن بدول غرب إفريقيه الأخرى باستثناء غينيـــا وكوت ديفوارحيث تبلغ ٣٠ كيلو مترا للالف كيلو متر مربع، وإن كانت تتفوق علـــى الأقطار المدارية الأخرى من حيث عدد السيارات بالنسبة للمساحة.

ويرجع هذا إلى أكثر من عامل: منها أن خطوط حديد غانا تمتد في قسمها الجنوبـــى (جنوب دائرة عرض كوماسى) ويمتد خطها الرئيسى بين تاكورادى وتيما وكوماســى كرعوس مثلثات، وبذلك يظل ثلثا غانا دون وسيلة للنقل سوى الطريـــق، ومنـــها أن هناك شبكة جديدة للطرق في القسم الجنوبى ذاته حيث الإنتاج والازدحام الســكاني، وبدأت السيارات تنافس السكك الحديدية منذ الثلاثينيات، حتى لقد حرم عليها النقــل في بعض الجهات، ويعتبر من أهم ما يسترعى الانتبـــاه فـــي غانـــا هـــو اســـتغلال الافريقيين واللبنانيين أموالهم في شركات النقل وتشغيلها، بل وتؤمن إحدى الشركات الإفريقيه خدمات إلى الخرطوم (أكثر من ٥٠٠٠ كيلو متر) وكذلـــك إلـــى لاجـــوس، وتجرى في الوقت الحاضر في الجانب الشرقي طرق من الدرجة الأولى تصـــل بيـــن كوماسى ونافارنجو في القسم الغربى بين كوماسى ولاوارا، وهناك تفكـــير لزيـــادة تحسين الطرق وزيادتها مع شمالى غانا بدلا من خطوط حديدية، غـــير أن الســـكك الحديدية ما عادت تخشى منافسة للسيارات وذلك بســـبب حمولتـــها مـــن الكاكـــاو والمعادن والأخشاب.

كـــوت ديـــفـــــوار (ســـاحــــل الـعــــاج)

نال كوت ديفوار استقلاله من فرنسا عام ١٩٦٠، وكان عضواً بارزاً في الجماعـــة الفرنسية منذ عام ١٩٥٨، وقد ظلت السنغال أكثر دول المجموعـــة الفرنســية فـــي إفريقيه صادرات إلى الخارج حتى عام ١٩٥٠ عندما حفرت قناة فردى خلال الحاجز الرملى الذى كان يكون بحيرة ساحلية، وأصبحت بعدها أبيدجان عاصمة كوت ديفوار من أهم موانى غرب إفريقيه، نظراً لأن القناة والبحيرة أصبحت تسمح بمرور ســفن غاطسها ٤٥ قدماً فزادت تجارتها إلى أكثر من أربعة أمثالها قبل حفر القناة.

سكان كـــوت ديفـــــوار :

ويسكن كوت ديفوار ما يزيد على ١٤ مليون نسمة من قبائل متنوعة، تظهر منـــها عشر مجموعات قبلية كبرى وهى مجموعة أجنـــى - أشـــانتى وتشـــمل البـــاولى

والاشانتى والاجى، ومجموعة الكرو، ومجموعة الماندى الشماليين تشمل المالينكى والديولا، والبامبارا، أما الماندى الجنوبيون فيشملان الدان والجورو واليعقوبو، ومجموعة الكوا في السهول الساحلية، وهناك أيضاً البوبو والفولبى(الفولا)، وتعتبر دائرة العرض التاسعه هى الفاصل التقريبى بين من يعيشون في اقليم السفانا إلى الشمال منها، ومن يعيشون في اقليم الغابات إلى الجنوب منها. وهناك جالية أجنبية تقدر بنحو ٢٠ الف نسمة معظمها من الفرنسيين واللبنانيين والسوريين، والايطاليين ويعيش ١/٣ هؤلاء في العاصمة أبيدجان.*

وإذا كانت هناك السنة متعددة، فإن لغة البمبارا هى لغة التفاهم المشترك لأنها لغة التجار الشماليين، بينما اللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية.

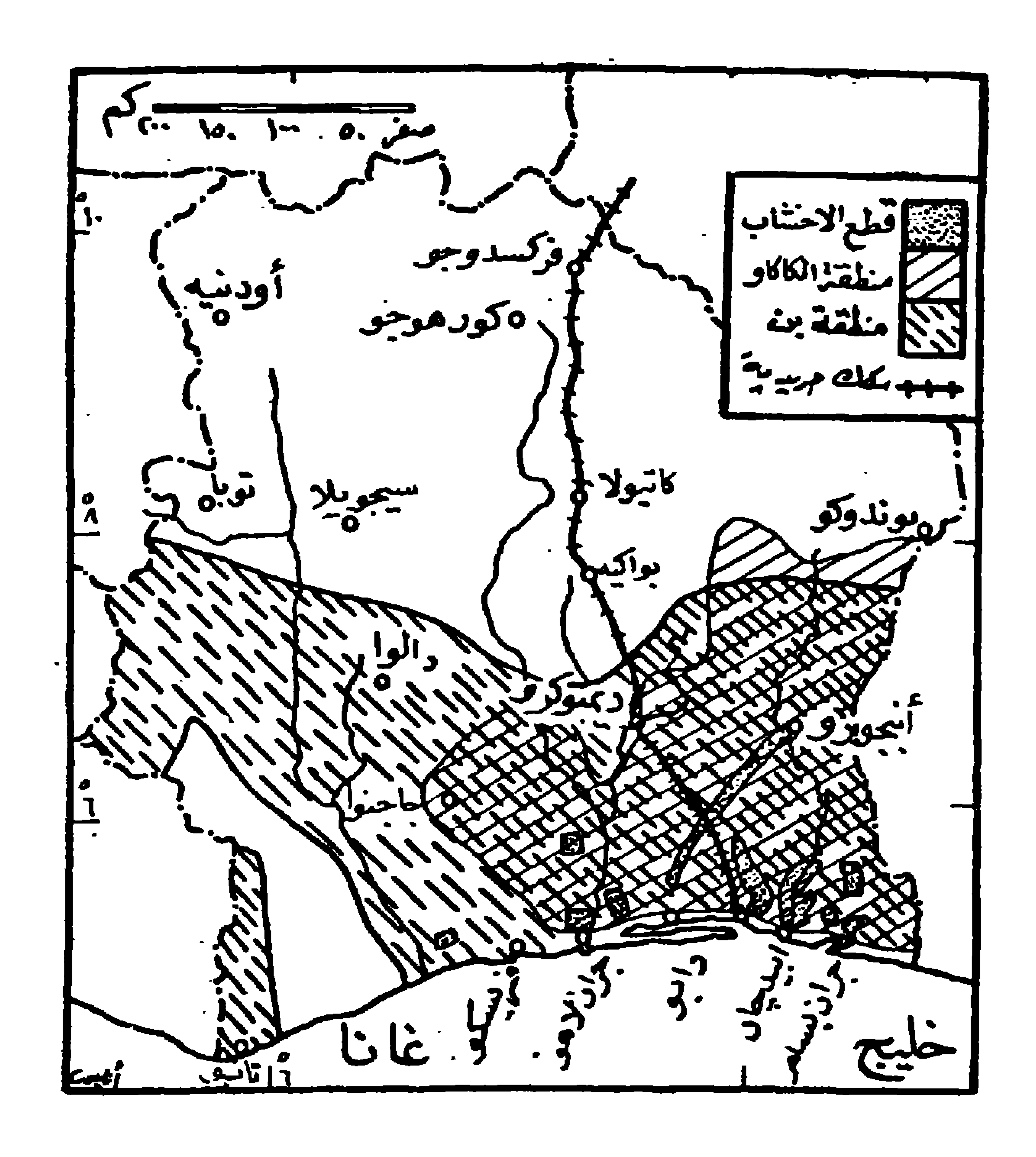
وتبلغ كثافة السكان نحو ٢٤ نسمة لكم٢، ولكن أكثر الكثافات ارتفاعاً ترتبط بأقاليم الزراعة التجارية ظهير أبيدجان، اقليم البن والكاكاو وتنخفض إلى ٤ نسمات بالقرب من الحدود مع ليبيريا، وإلى ٨ نسمات في اقليم السفانا في الشمال. وترتفع معدلات زيادة السكان باستمرار وخاصة في المدن نتيجة الزيادة الطبيعية والهجرة من الريف لدرجة أن ربع السكان أو حوالى مليون نسمة يعيشون في المدن، ولذلك تضم عشرين مدينة يزيد تعداد كل منها على عشرة آلاف نسمة أكبرها أبيدجان (مليون نسمة) وبواكى في الوسط ٢٥٠ الف نسمة.

ولا يخدم كوت ديفوار سوى خط حديدى واحد يخترقها من الجنوب إلى الشمال، يربط أبيدجان ببلدة بوبوديولاسو واواجودجو فى بوركينا فاسو، ويمثل هذا الخط المنفذ الرئيسى لبوركينا فاسو إلى البحر بطوال ١١٧٣كم، أكثر من نصفها في كوت ديفوار، وهناك تخطيط لفروع أخرى منها ما يتجه إلى دالوا، هذا فضلا عن خط آخر يربط ميناء سان بدرو بالشمال. كما توجد بكوت ديفوار شبكة من الطرق الجيدة، وإن كانت مركزة في القسم الشرقي عن الغربي، ولكن أهمها الطريقين اللذين يربطان الشمال بالجنوب وهما أبيدجان/ جاجنوا/ دالون، أبيدجان/ بواكى، هذا فضلا عن مجموعة أخرى من الطرق التى تخترق إقليم الكاكاو والمطاط.

---

* تنقل العاصمة الآن إلى ياموسوكرو .

شكل رقم (٥٤) : كـــوت ديـفـــــوار



النشاط الاقتصادي :

نما اقتصاد كوت ديفوار نمواً سريعاً بحيث أصبحـــت أغنـــى دول الفرانكفـــون فـــي إفريقيه، وكان نجاح كوت ديفوار في هذا السبيل نتيجة لتنمية ملحوظة فـــي ميـــدان الإنتاج الزراعى عماد اقتصاد البلاد، ذلك أن ٨٩% من القوى العاملة تعتمـــد علـــى الزراعة وتنتج ثلثى صادرات كوت ديفوار.

وتقوم زراعة الغلات الغذائية التقليدية بعد حرق النباتات وتطهير الأرض وإعدادهـــا

للزراعة، وأهم محاصيلها اليام الذى ينتشر كغذاء في جميع ارجاء البلاد فضلا عـن الكسافا والموز والفول السوداني والأرز والذرة الرفيعة، على العمـوم تكـاد تكفـي نفسها محليا على عكس الحال في غانا، فيما عدا محصول واحد وهو الارز الذى مـا زالت مستورده له.

ويختلف الحال فيما يختص بالاستكفاء، فبينما يفيض إنتاج القسم الشمالي من كـوت ديفوار، نجد عجز القسم الجنوبي الذى اتجه بكليته إلى المحاصيل التجارية.

وكوت ديفوار هو المنتج الرئيسى للبن في إفريقيه، وكذلك المصـدر الأول بإنتاجـه البالغ ٢٥٠ ألف طن سنوياً، وكان نتيجة ذلك أن أصبحت كوت ديفـوار تـأتى فـي المركز الثالث (إنتاجاً) في العالم بعد البرازيل وكولومبيا، بل ويعتبر المنتج الرئيسـى في العالم لبن روبستا، أما من حيث أهميته لكوتديفوار فهو أول الصادرات، ويكفـى أنه يعتمد عليه عشرة من كل خمس وثلاثين/ نسمة يعيشون هناك، من ثم كان أثـره على الحياة الاجتماعية بل والاستقرار الاقتصادي والسياسي كبير. وتمتد مزارع البن في الثلث الجنوبى من البلاد، حيث يظهر فصلان المطر يتخللهما جفاف نسـبى فـي الاقليم الساحلى، ويمتد الاقليم الرئيسى لزراعته إلى وسط كوت ديفوار، حيث يطـول فصل الجفاف إلى أربعة شـهور، ويتعـرض الإقليـم الشـمالى لريـاح الـهرمتان الصحراوية الجافة، من ثم كان نطاقه الرئيسى فى الغابات المدارية الرطبة.

وقد دخل النوع الليبيرى أولا (وهو نوع ردئ وينمو بريا فـي ليبريـا) ثـم دخـل الروبستا وأنواع أخرى، ولكن الروبستا تفوق على الجميـع لمقاومتـه للأمـراض، وتبلغ مساحة البن في الوقت الحاضر نحو ٢,٥ مليـون فـدان، أو ١/٤ المسـاحة المزروعة في البلاد معظمها مزارع إفريقيه صغيرة، باسـتثناء ١٦٠ الـف فـدان مزارع أوربية كبيرة، وتتراوح ملكية الافريقي بين ٢٠٠، ٤٠٠٠ شـجرة، ويعـانى كوت ديفوار من انخفاض إنتاجية الفدان، فهى ثلث إنتاجيته في زائـير، ويسـتلزم الارتفاع بهذه الإنتاجية قطع الأشجار القديمة وإحلال اشجار جديدة محلها، وأن كـان قد لوحظ بالنسبة للصادرات زيادة الرتب العالية من البـن، وهبـوط نسـب الرتـب المنخفضة.

ويمثل الكاكاو نحو ٢٠% من صادرات كوت ديفوار من حيث القيمة بينما كان يمثل صادر كوت ديفوار الرئيسى قبل الحرب الثانية، وقد دخلها من ساحل الذهب عام ١٨٩٥، وبدأ الأوربيون زراعته في الشرق، ولكن الزراعة الإجبارية بدأت عام ١٩١٢ حيث أخذ الأفريقيون زراعة كميات منه، وتسهم المراكز الجنوبية الشرقية وحدها بنحو نصف المحصول، وهى بذلك تعتبر امتداد غربى لنطاق الكاكاو في غانا، والإنتاج هنا معظمه افريقى، وأن كان من حيث النوع أقل درجة من نوع غانا.

وقد قفز إنتاج كوت ديفوار لتمثل المركز الأول الذى كان من نصيب غانا، فإنتاجه الذى بلغ نحو نصف مليون عام ١٩٨٥، وإن كان الإنتاج يتراوح بين نصف وربع مليون طن، وكانت تحسين ظروف التخزين أيضا من الإجراءات التى اتخذتها البلاد لتنظيم عملية الطلب عليه، كذلك أيضا أصبح الكاكاو صادر كوت ديفوار الأول، بعد البن الذى كان يحتل هذه المكانة من قبل.

أما الموز فيمثل ٥% من قيمة صادرات كوت ديفوار وتأتى في المركز الخامس في العالم من حيث التصدير، والثانى بعد جزر كناريا كمنتج للموز في غرب إفريقيه وتتركز مزارع التصدير فيها بالقرب من أبيدجان في نحو ٤٠ مزرعة أوربية، وأن كانت هناك أيضا ملكيات إفريقيه صغيرة اشتركت في إنتاج الموز للتصدير.

هذا وقد نشطت أيضا زراعة نخيل الزيت خلال العشرين عاما الماضية في السهول الساحلية وزرعت أشجار جوز هند، فضلا عن بذرة الخروع، ورغم أن شجر الكولا ينبت بريا في الغالب، إلا أنه أصبحت له مزارع واسعه بالقرب من ديفو وبنجرفيل ولاكونا، ويبلغ إنتاجها من ثمار الكولا نحو ٣٠ الف طن سنوياً، معظمها يصدر إلى الدول الواقعه إلى الشمال. ويعانى الإنتاج الزراعي في كوت ديفوار رغم نجاحه من عدة مشكلات أهمها تذبذبات الأسعار، وخاصة في الكاكاو وبدرجة أقل في البن، كذلك تعانى من نقص الأيدى العاملة، رغم حصولها على ايدى عاملة مهاجرة موسمية من بوركينا فاسو (قبيلة الموسى) ومالى والنيجر.

وقد ظل مورد الأخشاب من الغابات يكون الصادر الرئيسى لكوت ديفوار في الحرب العالمية الثانية وزاد استغلال الغابات بعد الاستقلال نتيجة لأدخال الآلات وتحسين

طرق النقل، وخلق تسهيلات في ميناء أبيدجان من حيث تخزين وشحن الأخشـــاب، والمناطق الرئيسية للإنتاج هى ظهير أبيدجان، ماساندرا، وجرانـــد بســـام، ونشـط الإنتاج لتصدير الكتل والابلكاج بحيث اصبحت الأخشاب مسـئولة عـن ٢٠% مـن صادرات كوت ديفوار.

وبدأت كوت ديفوار تعتمد على القوى المائية الكامنة فيــها بإقامــة السـدود علـى الأنهار، ففى عام ١٩٧٠ كانت ثلاثة ارباع القوى الكهربائية هى كهرومائيـــة، وإذا كانت كوت ديفوار فقيرة في الفحم وزيت البترول، فقد اكتشـفت فيـها ثـروة مـن المنجنير والبوكسيت والكروم والذهب والماس.

وتتركز الصناعات الغذائية التى تمثل أهم صناعات كوت ديفوار في اقليـم أبيدجـان حيث الاستهلاك الرئيسى، فيوجد فيه اربعة مطـاحن، معمـل للبسـكويت وتعليـب الأسماك، والفاكهة، وتحضير البن، والكاكاو، والمشروبات الغازية، وتوسعت كـوت ديفوار في صناعة المنسوجات، وأكبر مؤسساتها في كورجو وبواكى بـالقرب مـن اقليم زراعة القطن.

كما تعتبر صناعة نشر الأخشاب وعمل المنازل الخشـبية الجـاهزة وغيرهـا مـن الصناعات التى نجحت، ويمكن أن نضيف إليها مصنوعات المطـاط، والكيماويـات، وتجميع السيارات (بيجو، سيمكا، ورينو، ومرسيدس).

وهكذا يتنوع الإنتاج فى كوت ديفوار ولا يعتمد على محصول واحد ممـا أدى إلـى تحسين ميزانها التجارى. ويقوم ميناء أبيدجان بمعظم التجارة الخارجية مما أدى إلى ما يشبه اختناق فى الحركة، كان من نتيجته التفكير فى إعداد ميناء آخـر. ووقـع الاختيار عن ميناء سان بدرو فى الغرب على بعد ٣٠٠ كم من أبيدجان وبدأ العمـل فيه عام ١٩٨٦ كجزء من مشروع تنمية القسم الغربى من البلاد. وسـيصبح هـذا الميناء مخرجا لمنتجات اقليم ماساندرا مـن البـن والكاكـاو والمـوز والأخشـاب والمعادن، وقد انتهت المرحلة الأولى عام ١٩٧٢، وفي المرحلة الثانيـة سـيجهز بمرفأ لصيد الأسماك وآخر لخامات المعادن، وسيمد منه خط حديـدى إلـى منـاجم الحديد والمنجنيز فى اقليم مان، وبذلك يحدث شـيء مـن التـوازن فـى التنميـة

الاقتصادية بين شرقى وغربى البلاد.

ليبيـــــــــريـــا

تمتد ليبيريا بين سيراليون التى تقع فى شمالها الغربى، وغينيا التى تقع فى شـمالها الشرقى. وكانت سواحلها معروفة للأوربيين منذ القرن الرابع عشر، وكانوا يطلقـون عليه ساحل التوابل، ثم عرفت فى القرن السادس عشر بأنها من أهم سواحل تجـارة الرقيق.

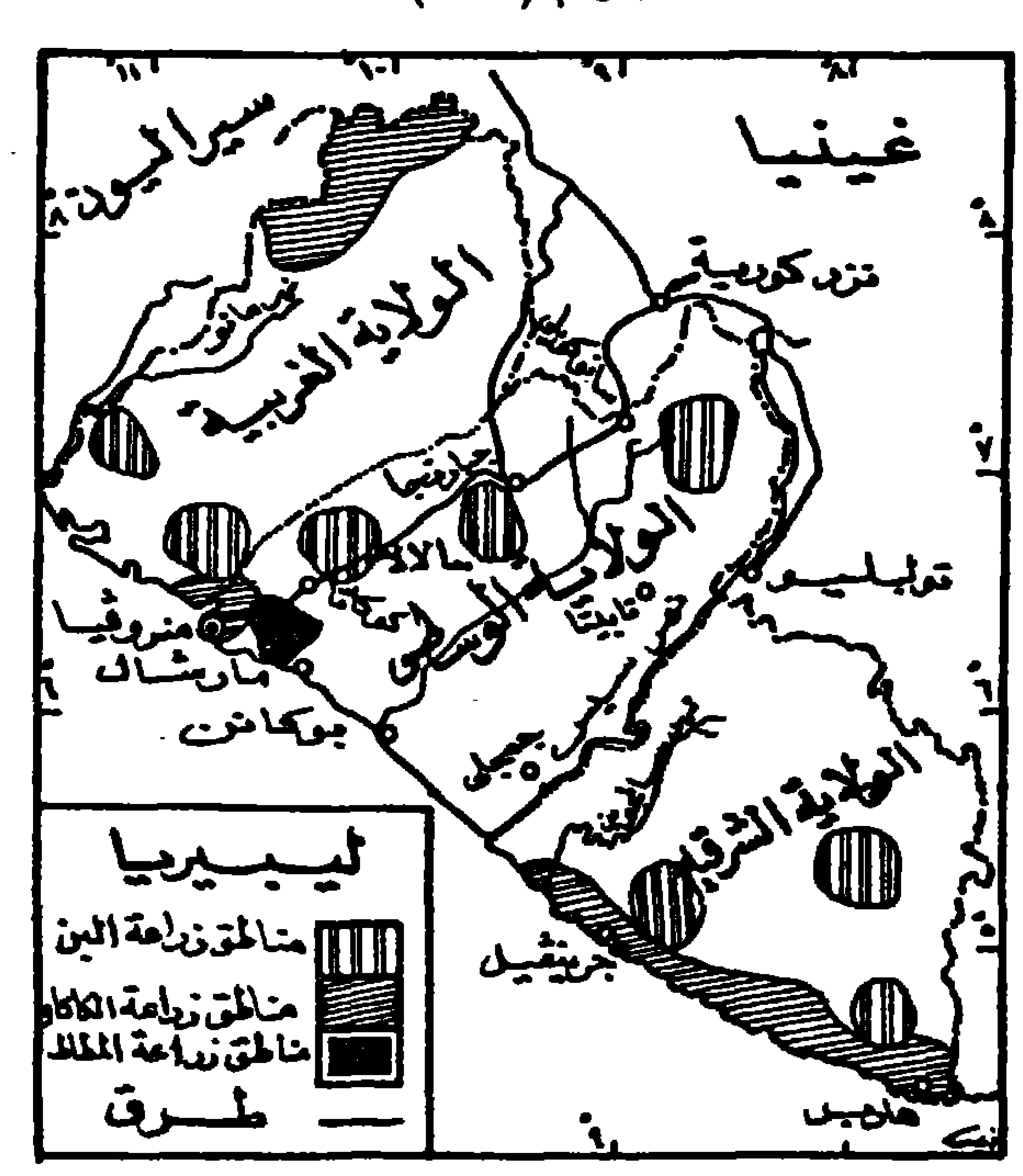
ترجع ارهاصات ليبيريا إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر بعد تفكك الممالك الإسلامية وهجرة بعض سكانها إلى ما يعرف اليوم باسم ليبيريا، ولكن اسم ليبيريـا لم يظهر إلا بعد وفود الافارقة المتأمركين من الولايات المتحدة الامريكية، ووصلـت أول دفعة من هؤلاء عام ١٨٢٨ كنتيجة للمشروع الامريكى باعادة الأفارقـة إلـى أوطانهم، وتمويل عملية الاعادة والاستقرار فى إفريقيه، وبالتـالى تحريرهـم مـن العبودية السائدة فى الولايات المتحدة الامريكية (ثم التحق بهم نحو ستة الاف مـن الافارقة المحررين بواسطة الدوريات البحرية، وأعلن استقلال ليبيريا عـام ١٨٤٧، ولم تتعد حدود الدولة حينئذ سوى منروفيا وبعض المستوطنات التى اسـتقر فيـها المهاجرون الامريكيين، لأنه لم يكن هناك سيطرة على الاقاليم الداخلية التـى كـانت تبدى مقاومة حتى تم القضاء عليها عام ١٩١٥.

وبدأت المعونات الامريكية لليبيريا فى تناقص منذ منتصف القرن التاسع عشر، ممـا أدى بليبيريا إلى اللجوء إلى أوربا بحثا عن قروض حصلت عليها بفوائد جائرة، ثـم تغير الموقف عام ١٩٢٧ حين بدأت شركة فايرستون الامريكية زراعة المطاط فـى مساحات ضخمة، فأصبحت بذلك المسيطرة اقتصاديا على ليبيريا.

سكـــــانهـا : يعيش فى ليبيريا التى تبلغ مساحتها نحو ١١,٥كم٢ نحـو ٣,٥ مليون نسمة أو أقل من عدد سكان سكان سيراليون، يتألفون من نحـو ٢٦ قبيلـة، يتكلمون مجموعة من اللغات واللهجات، أكبرها قبيلة كبيللى، وقبيلة الباسـا اللتـان تشكلان نحو ثلث مجموع السكان والماندينجو الذين ينتشـر بينـهم الاسـلام، أمـا

الوافدون والذين يعيشون فى المناطق الساحلية خاصة فى المدن فهم الكرو، والفاى، والجولا، وقد شهدت البلاد نزاعا بين الليبيريين الأمريكيين، وبين الافارقة الأصليين، رغم أن اعدادهم قد لا تزيد على ٢%.

شكل رقم (٥٥) : ليبيريا



الظروف الطبيعية :

تمتد السهول الساحلية لليبيريا والمطلة على الاطلنطى لمسافة ٥٥ كم فى الداخل، وهى مغطاة بغابات استوائية كثيفة، وتبرز فى هذه السهول الساحلية بين الحين والحين النتوءات الجبلية التى استقر فيها الامريكيون الليبيريون لصلاحيتها للاستقرار، كما هو الحال فى منروفيا، ثم تليها التلال والهضاب لتنتهى فى الداخل بمرتفعات غينيا، وتبلغ أعلى قممها نحو ١٥٠٠ متر، ولعل من أهم معالم هذه

المرتفعات جبل نيمبا وسلسلة بونج، وفى أقصى الشمال سلسلة ولوجيس حيث مكامن الحديد. وهناك قمتان للمطر فى الجنوب فى الربيع والخريف تتحولان إلى فصل مطر واحد من مايو إلى اكتوبر إلى الشمال من بوكانن وتختلف كمية المطر من ٤٦٥سم فى منروفيا إلى ١٩٠سم، فى شرقيها إلى ٣١٠سم فى نيمبا وتصرف مياه هذه الأمطار نحو ١٥ نهرا.

النشاط الاقتصادى :

يعمل ثلاث أرباع سكان ليبيريا فى الزراعة، خاصة زراعة الأرز والكسافا الغذاء الرئيسى، فضلا عن المطاط والبن والكاكاو كغلات نقدية وكان المطاط يمثل محصول التصدير الرئيسى ومعظمه من منطقة هاربيل التى تبعد عن منروفيا العاصمة بنحو ٨٠ كيلو مترا، حيث يزرع هناك حوالى ٢٠٠ ألف فدان، فضلا عن ٥٠ ألف فدان تديرها شركات أجنبية أخرى، وقام المزارعون الوطنيون أيضا بزراعته فى مزارعهم الخاصة أما بعد ظهور المعادن خاصة الحديد الذى بدأ تصديره عام ١٩٥١، أخذت صادرات الحديد الخام تكون ٧٥% من مجموع الصادرات، بدأ استغلاله من تلال بومى، وقامت الشركة المستغلة وهى فرع من شركة الصلب الامريكية بمد خط حديدى إلى منروفيا، ثم ظهرت مناطق أخرى على الحدود مع سيراليون وفي تلال بونج التى مد منها خط حديدى آخر إلى منروفيا، وساعدت الخطوط الحديدية فى الداخل على استغلال الأخشاب، كذلك تصدر ليبيريا الماس وظهرت أخيرا تباشير البترول.

وتعتبر منروفيا (نسبة إلى الرئيس مونرو) أهم مدنها بسكان يزيدون عن نصف مليون نسمة، وهى ليست عاصمة فحسب، بل هى الميناء الرئيسى والسوق الحرة الوحيدة فى غرب إفريقيه، وإلى جانب منروفيا هناك بوكانن الميناء الثانى، الذى يأتيه خام الحديد من تلال نيمبا فى الداخل، هذا فضلا عن جانتا فى اقليم البن والكاكاو فى الداخل.

سيـــــــراليـــون

كانت تعرف لدى الأهالى الوطنيين باسم روما رونج أى الجبال، أما اسـمها الحـالى ومعناه جبال الأسود، فقد أطلقه عليها الرحالة البرتغالى بدرو داسنتر، وأطلق الاسـم أولا على شبه الجزيرة الجبلية التى تقوم عليها فريتاون العاصمة، ثم عمم بعد ذلـك على الدولة كلها، ويبدو أن التسمية ترجع إلى هزيم الرعد فى هذه الجبال التى يصل ارتفاعها إلى الألف متر، فيصبح كزئير السباع، وأن أرجعها البعض الآخر إلـى أن الجبال تبدو للقادم من البحر على شكل أسد متحفز.

ولا تذكر سيراليون إلا ويذكر الكريول *Creoles*، وهم الزنوج الافريقيـون الذيـن رحلتهم بريطانيا إلى هناك بدءا من عام ١٨٨٧، وكانوا فـى الأصـل مـن الذيـن حررتهم سفن الأسطول البريطانى من سفن الرقيق الفرنسية والأسبانية والبرتغاليـة والأمريكية، فضلا عن هؤلاء الذين فروا من ملاك المزارع فى جزر الهند الغربيـة ولجأوا إلى بريطانيا، وهؤلاء الذين انضموا إلى جانب بريطانيا أثناء حرب الاستقلال الأمريكية، ورأت بريطانيا الاستفادة من سيراليون فى ايواء هـؤلاء، فضـلا عـن اتخاذها قاعدة للأسطول البريطانى، ولم تنس الحكومة البريطانية أن ترسـل معـهم جمع من نسوة لندن ومواخيرها ليكن أمهات فى الوطن الجديد، هذه هـى الأهـداف الظاهرية التى تذرعت بها بريطانيا لإنشاء مستعمرة سيراليون فى القـرن الثـامن عشر.

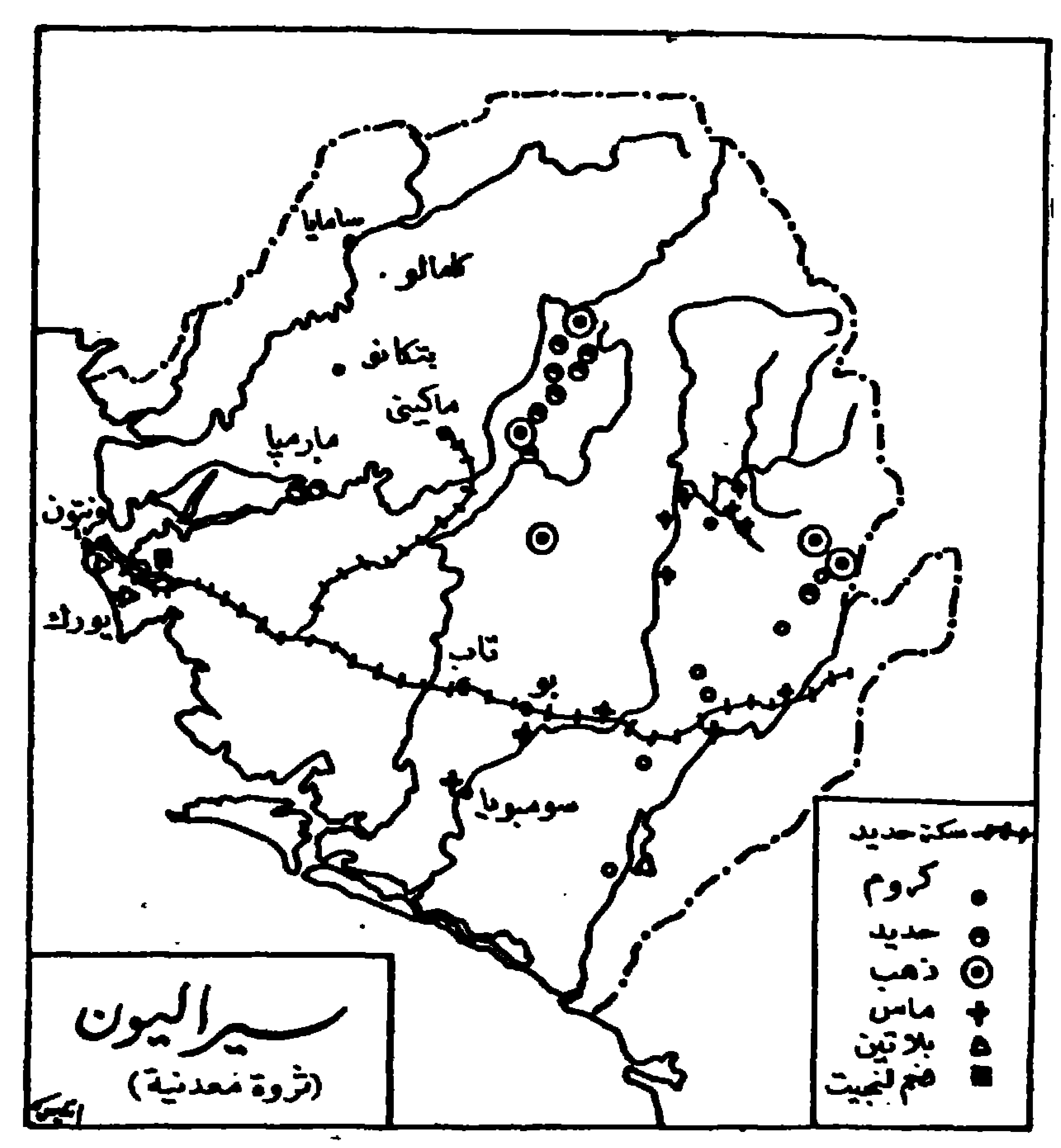
ولكن هؤلاء العائدين من الكريول والذين عاشوا فى فريتاون أخذوا يتعـالون علـى سكان البلاد الأصليين، وأزكت الإدارة البريطانية بدورها هذه الروح العنصرية بينهم.

أما السكان الأصليين فتشكل قبيلة التمنى *Temnes* حوالى ربعهم، ويعيشون فـى الشمال الشرقى، والماندى فى الجنوب ويكونون نحو ثلث السكان، مـن ثـم كـان التنافس هو بين هاتين القبيلتين (في الجنوب) وغير هؤلاء هناك البمبا، والسوسـو، والكرو فى الجهات الساحلية.

فى هذه المساحة التى تبلغ نحو ٧٢ ألف كم٢ يعيش الآن نحو ٥ر٥ مليون نسـمة منهم نحو ١٥٠ ألف من الكريول، وقد حصلت سـيراليون علـى اسـتقلالها عـام

١٩٦١، أى بعد غانا ونيجيريا، ويرجع هذا لبطء نموها الاقتصادى ولما تعانية من مشكلات اقتصادية واجتماعية ناتجة عن وجود الكريول.


شكل رقم (٥٦) : سيراليون



التناقض :

والتناقض كبير بين السهول الساحلية بعرضها الذى يبلغ نحو ٥٠ ميلا، وينخفض منسوبه عن مائه متر فوق سطح البحر، والهضاب والتلال الداخلية والتى يتراوح منسوبها بين ٣٠٠، ٧٠٠ متر مواجهة لمرتفعات غينيا، وتقسم شبه جزيرة فريتاون شواطئ سيراليون إلى قسمين، الشمالى عبارة عن أراضى تغطيها المستنقعات، والجنوبى تمتد على طوله أشرطه الكثبان الرملية الساحلية التى تحيط

بالبحيرات أو اللاجونات الساحلية، وتغطى هذه السبخات أشجار المانجروف، أما السهل الساحلى خلفها فتغطيها أنواع فقيرة من غابات الأمطار، أما المرتفعات الداخلية فمعظمها من الجرانيت والشست وتسمو إلى ما يزيد على ٢١٠٠ متر فى قمة بينتمانى فى جبال لوما، وتغطى حشائش السفانا هذه المرتفعات، ويعيش عليها الرعاة من الفولانى بماشيتهم.

وتعتبر السهول الساحلية الغربية والجنوبية أكثر أجزاء سيراليون تقدما وأكثرها ازدحاما بالسكان، على عكس المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية حيث التربة اللاتريتية الفقيرة، فضلا عن أن وسائل النقل هنا أكثر وفرة عن الشمال، وتشمل الخط الحديدى الممتد من فريتاون إلى بندمبو على الحدود مع ليبيريا.

النشاط الاقتصادى :

يمكن القول بأن النشاط الزراعى يعول ثلاثة أرباع السكان، ويزرع الأرز فى نحو ثلثى الأراضى المزروعة ويعمل به نحو ٨٠% من الزراع وهوالغذاء الرئيسى لشعب سيراليون ويزرع فى دورة زراعية مع الفول السودانى على المرتفعات، ولم تتقدم زراعته فى أراضى المستنقعات الساحلية إلا بتشجيع من الحكومة، حيث أمكن زراعته فى مستنقعات المياه العذبة، وان كان تطهير أراضى المنجروف من غاباتها يعد أمرا صعبا. أما المستنقعات الداخلية فينمو فيها نخيل الرافيا ***Raphia*** الذى تغطى أوراقه خيوطا، وتعتبر سيراليون مصدرا رئيسيا له فى العالم، ومن صادراتها أيضا جوز نخيل الزيت، والبن، والكاكاو، وفضلا عن الزنجبيل من المراكز الجنوبية الشرقية إلى الجنوب من جزيرة فريتاون.

غير أن المعادن هى المسئوله عن ثلاثة أرباع صادرات سيراليون، ويأتى الماس على رأسها فله نحو نصف الصادرات، ويستخرج من مجارى الأنهار فى القيعان الحصوية، أما الحديد فيستخرج بصفة أساسية بالقرب من مارامبا، ويحمله الخط الحديدى إلى ميناء بيبل ***Pepel*** على المصب الخليجى لنهر روكل، هذا ويقدر الاحتياطى بنحو ١٠٠ مليون طن، ويستخرج خام الكروم من المرتفعات القريبة من

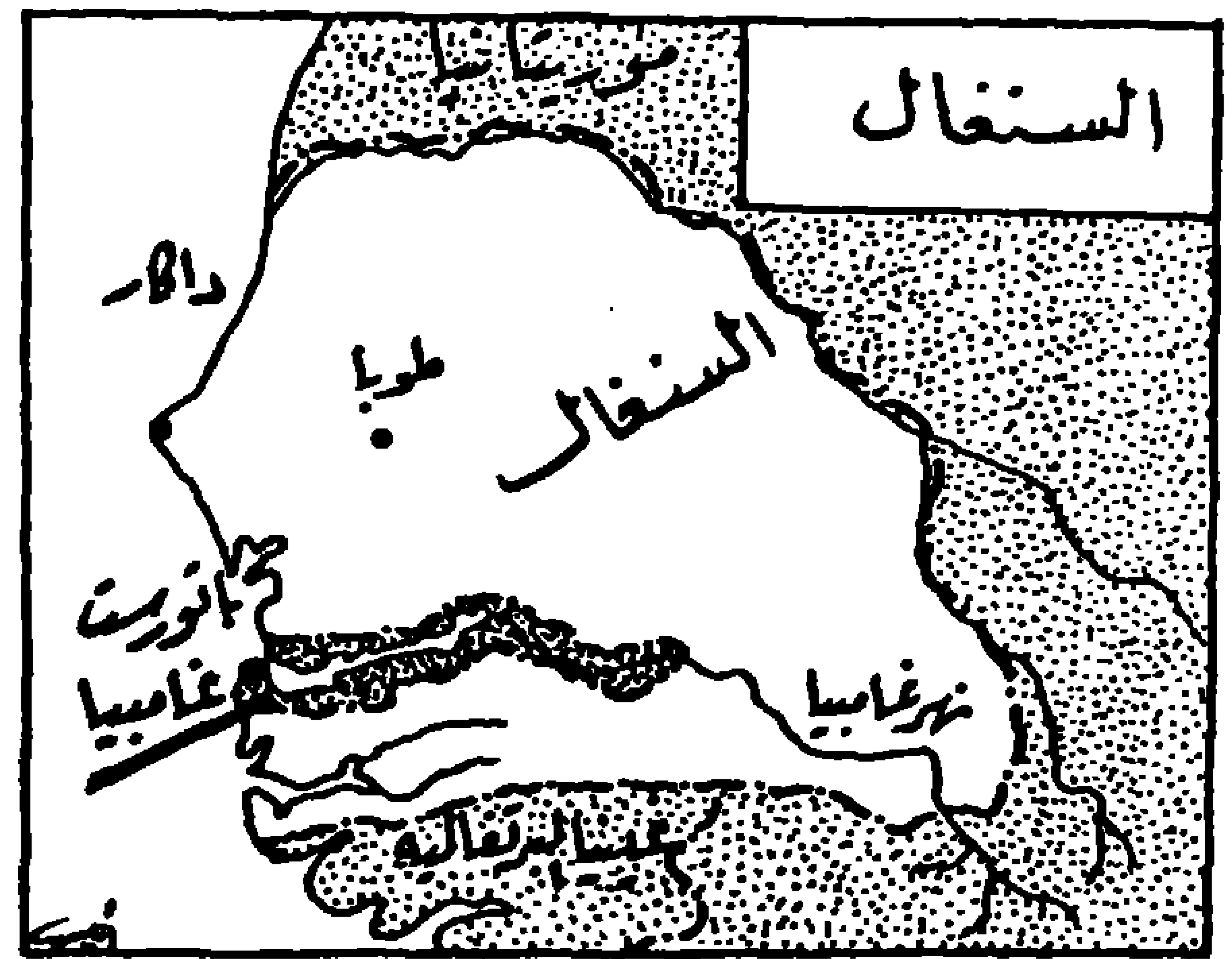
الحدود الشرقية كما بدأت صادرات البوكسيت فى الظهور وتعـانى سـيراليون مـن تهريب الماس والذهب وبخاصة إلى ليبيريا.

وتكاد فريتاون أن تكون المدينة الوحيدة ذات الشان فى سيراليون، وهـى العاصمـة والميناء الرئيسي، بل هى من أفضل موانى غرب إفريقيه رغـم أن نموهـا بطـئ، وينعكس قلة النشاط الاقتصادى فى سيراليون على عدم نشاط حركة ميناء فريتـاون مقارنا بلاجوس أو داكار، كما أن خط الحدود مع غينيا يحجز فريتاون عـن أعـالى حوض النيجر، رغم أن الطريق إليها أقصر وأسهل منه إلى كوناكرى.

السنغـــــــال

أكثر أقطار غرب إفريقيه تطرفا نحو الشمال بمساحة تزيد على ٢٠٠ ألف كيلو مـتر مربع ويمتد منها جيب عميق علىهيئة مثلث فى القسم الجنوبى مع مالى وغينيا، أما حدودها مع موريتانيا فتسير مع نهر السنغال ورافده فالامى، بينما تتفق حدودها مـع غينيا مع السفوح الغربية لمرتفعات فوتاجالون، كما تطل بجبهة طولها ٦٠٠ كيلـو متر على الاطلنطى.

شكل رقم (٥٧) : السـنغال وغامبـيا



الظروف الطبيعية :

والسنغال جزء من حوض سنغامبيا الرسوبى الذى تكون فى نهاية الزمـن الثـانى، ويرتكز القسم الشرقىمنها على الصخور البللوريه القديمة والتى تظهر شواهد منـها على حدودها مع مالى وغينيا: بينما فى القسم الغربى مـن شـبه جزيـرة الـرأس

الأخضر تظهر التكوينات البركانية التى حدثت فى الزمن الثالث، وهى المسئولة عـن تضاريس جزيرة جورية البازلتية، على العموم فالسهول التى لا تزيد لى ٢٠٠ متر ارتفاعا هى الغالبة على السنغال وهى سهول رسوبية تغطيها الرمال الحمراء، هـذا ويصرف حوض سنغامبيا ثلاثة أنهار هى السنغال وغمبيا وكازامنس.

كان لوقوع السنغال بين دائرتى ١٢,١٨° ، ١٦,٤١° شمالا، أن وقع السنغال بأكمله ضمن الاقليم المدارى (السودانى) وأن كانت أطرافه الجنوبية قـد تصلـها تـأثيرات الاقليم دون الاستوائى، بينما أطرافه الشمالية تلامس اقليم الساحل (شـبه الجـاف) الذى يتميز بقلة وذبذبة مطره. على العموم فالغالب هو تناوب فصل الرطوبـة مـع فصل الجفاف (اكتوبر يونية) ويقل المطر فى الجهات الجنوبية بالبعد من الساحل إلى الداخل، ولكن فى الشمال يقل من الداخل إلى الساحل، وفي نفس الوقت يقل المطـر بالاتجاه شمالا، فهو ١٨٠ سم فى اقليم كازامنس جنوب غامبيا، تنخفـض إلـى ٥٠ سم فى السنغال الأدنى، وتتأثر حرارة السواحل فيما بين سانت لويس وشبه جزيـرة رأس فرد بتيار كناريا، من ثم تنخفض حرارته نسبيا. ويتدرج النبات الطبيعـى مـن الغابات دون الاستوائية على الساحل جنوب السنغال إلى السفانا الشجرية والسـافانا المكشوفة فى الشمال، من ثم كانت شجرة الباوباب أو التبلدى هى أكـثر الأشـجار شيوعا فى وسط السنغال ثم تتحول إلى الأنواع السنطية.

سكان السنغـــال :

يزيد سكان السنغال على ٩,٥ ملايين نسمة عام ٢٠٠١، يتجمع معظمهم فى اقليـم الفول السودانى (وسط وجنوب السنغال) بكثافة تتراوح بين ٣٠، ٥٠ نسمة للكـم²، ولكنهم يتخلخلون فى الأراضى الهامشية، شرقى السنغال وأعالى غمبيا.

وكما هى العادة فى الدول الإفريقيه تضم السنغال قبائل عديدة، ولكن قبيلة الولـوف تؤلف وحدها ثلث شعب السنغال ولغتهم هى السائدة، وهذه القبيلة هـى المؤسسـة لممالك الولوف، ووالو، وكايور القديمة. وهى القبيلة السائدة فى النصف الشـمالى من السنغال كما يتبعثرون أيضا فى شرقى البلاد وشبه جزيرة رأس فرد، وكانوا قبل ذلك يعيشون فى الشمال، ثم توغلوا جنوبا مع انتشار الفول السودانى، لذلـك فـهم

زراع للفول السودانى، والذرة الرفيعة، وتسكن قبيلة السرر شمال غمبيا. وكان لضغطهم بشدة على موارد الأرض سببا فى هجرة أعداد كبيرة منهم إلى الأراضى الخالية فى شرق البلاد، وهم من أمهر زراع السنغال، ويقومون بالزراعة وتربية الحيوان فى آن واحد.

ويبلغ عدد سكان قبيلة البيل (الفولا) نحو نصف مليون ونصف المليون، ويسودون فى اقليم الكازامنس الأعلى والسنغال الأدنى، ولكنهم ينتشرون بين الولوف أيضا. وهم أصلا من الرعاة وأن كانوا يعملون بالزراعة أيضا، ويعهد إليهم أحيانا الولوف والماندنج رعى ماشيتهم. وتمتد أوطان التوكلور على السنغال الأوسط بعدد يبلغ نحو ربع مليون نسمة، وهم معروفون باسلامهم وثقافتهم العربية، كما يكونون جالية كبيرة فى داكار العاصمة، وإلى جانب هؤلاء هناك الماندنج والديولا وكل منهم يبلغ نحو ربع مليون نسمة أخرى فضلا عن قبائل أخرى أقل عددا ووزنا.

أما عن الجاليات الأجنبية فهناك الموريتانيون الذين يمارسون تجارة القطاعى بل والجملة خاصة فى اللحوم والماشية الحية فى داكار. ويبلغ عددهم نحو ١٠٠ ألف، وهناك الجالية الشامية القوية التى يبلغ عددها نحو ٢٠ ألف نسمة، ومثلها الجالية الاوربية، ومعظمها من الفرنسيين، وهاتان الجاليتان الاخيرتان تتركزان فى داكار.

وإذا كانت الديانات الإفريقيه التقليدية تسود فى جنوب السنغال، فان الاسلام ينتشر بين ١٠% من سكان السنغال، ويتبعون الطرق التيجانية والقادرية.

ويعيش ٧٥% من سكان السنغال فى المدن، والتى نشأت وتطورت خلال الفترة الاستعمارية على طول طرق النقل، وزادت نموا مع نمو تجارة الفول السودانى.

وتأتى داكار العاصمة (١.٨ مليون) فى مقدمة مدن وموانى السنغال، فقد فكرت فرنسا فى جعل داكار ميناء لا للسنغال فحسب، بل لكل (إفريقيه الغربية الفرنسية) وعاصمة (لاتحاد غرب إفريقيه الفرنسى) وهى تقوم الآن بثلاثة أرباع حركة التجارة الخارجية بمتوسط ٤ مليون طن سنويا ، وبذلك تعتبر من أهم الموانى الإفريقيه جنوب الصحراء، وتبلغ مساحة حوض المرفأ نحو ٢١٦ هكتارا، وبه أرصفة طولها ٨٤٦٦ مترا معدة لتسهيلات لشحن الفول السودانى والفوسفات، واستقبال منتجات البترول

ويقوم بداكار مطار دولى، فضلا عن مطار آخر يربطها بمدن السنغال.

وفكرت حكومة السنغال فى عمل أحواض لاصلاح السفن فى داكار نظرا لتطور الحركة وزيادتها حول طريق رأس الرجاء الصالح بعد اغلاق قناة السويس ١٩٧٥/١٩٦٧ كما تعتبر داكار ميناء الصيد الرئيسى، وبه ثلاجتان كبيرتان حيث تعلب التونة والجمبرى والسردين قبل تصديرها، ولا ننسى لداكار أنها تمثل أيضا أكبر مركز ثقافى فرنسى فى غرب إفريقيه كلها، وتقوم بها الجامعة الوحيدة المرتبطة بالجامعات الفرنسية، من ثم كانت كعبة للذين يتطلعون إلى الدراسات العليا فى دول الفرانكفون فى إفريقيه الغربية.

وتقع ثيس (٢٠٠ ألف) على خط حديد داكار/ النيجر، أما كولاك (١٥٠ ألف) فهى مركز تجارى فى وسط أحد اقاليم زراعة الفول السودانى، وأصبحت روفيسك فى الظل بعد اشتداد حركة ميناء داكار بجيث يمكن القول بأنها أصبحت أحد توابعها، ويعيش سكان ديوربل (٥٠ ألفا) على تجارة الفول السودانى.

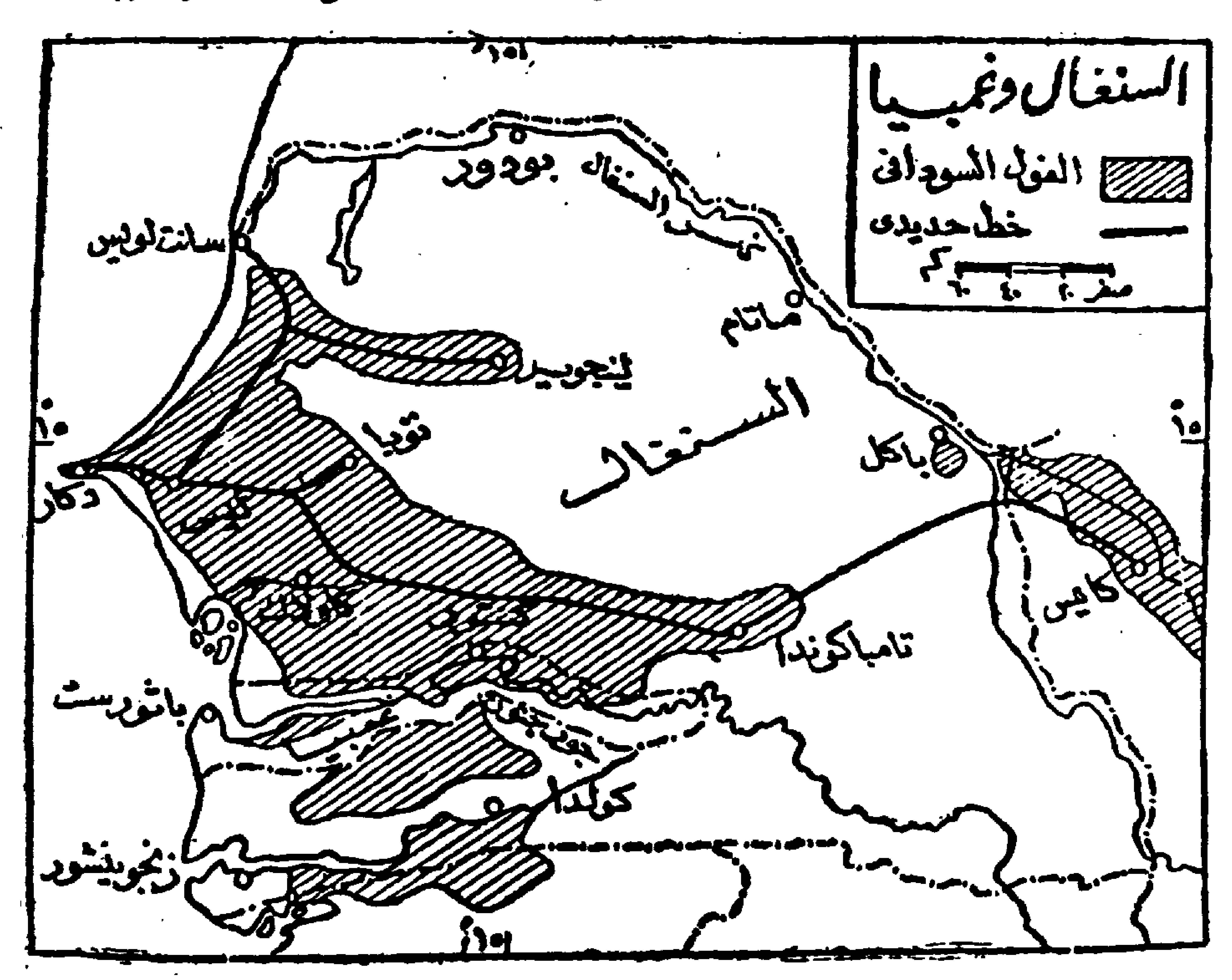
وتوقفت حركة الملاحة المحيطية منذ عام ١٩٣٦ فى سنت لويس وكان سبب تدهور سنت لويس (١٢٠ألفا) هو نقل العاصمة منها إلى داكار عام ١٩٥٩، ولكن هناك أمل فى استعادتها حيويتها السابقة فى ظل مشروعات التنمية على نهر السنغال.

اقتصاديات السنغال :

وإذا كان ثلاثة أرباع السكان يعملون بالزراعة فى السنغال، فان الفول السودانى يمثل ثلاثة أرباع قيمة الصادرات، كما أنه يشغل نصف المساحة المزروعة فى السنغال أو ١,١ مليون هكتار، وتعتبر رابع دولة منتجة له فى العالم كما أنها ثانى دولة فى الصادرات.بعد نيجيريا فى إفريقيه ويمثل مركز كولاك الاقليم الرئيسى لزراعته فى الوقت الحاضر، فيضم وحده نحو نصف المساحة المزروعة فولا فى السنغال، كما أنه مسئول عن نصف الإنتاج المعروض للبيع، ويليه فى الأهمية مركز ثيس وديوربل. وقد ساعد مد الطرق على انتشار زراعته بعيدا عن الخطوط الحديدية، ومع ذلك ما زالت السكك الحديدية هى الوسيلة الرئيسية لنقله. وكان لهذا المحصول أثره فى أن أصبحت السنغال وغمبيا مصبا لنحو ٣٥ ألف من العمال

الموسميين لزراعة الفول وحصاده، يتجه ثلاثة أرباعهم إلى مركز كولاك، معظمهم يأتى من غينيا ومالى على الاقدام. ويتميز السنغال على الدول الأخرى المنتجة للفول السودانى بأنها تقوم بعصر معظم محصولها، ويرسل الزيت إلى معامل فرنسا وشمال إفريقيه للتكرير، وأقيمت مستودعات الزيت فى النهاية الشمالية لميناء داكار ويمكن للناقلات أن تحمل منه بمعدل ٣٠٠ طن فى الساعة.

شكل رقم (٥٨) : الفول السودانى والخط الحديدى فى السنغال وغمبيا



وعملت حكومة السنغال على تنويع الإنتاج منذ عام ١٩٦٥ حتى تحرر اقتصاد البلاد من الاعتماد على المحصول الواحد. واتجهت نحو زراعة الخضروات فى اقليم كاب فرد وحول المدن الكبرى، وقصب السكر فى مشروع ريتشار تول فى وادى السنغال، كذلك زاد إنتاج الأرز من دلتا السنغال ووادى كازامنس الأدنى، وبدأت السنغال تكفى احتياجاتها من القطن منذ ١٩٦٦، بل وأصبح هناك صادر منه، وأهم أقاليم زراعته

فى الجهات الداخلية فى شرقى السنغال وأعالى وادى كـازامنس. وقـامت صناعـة حلجة فى تامبا كوندا وكولاك وكافرين. وكان نتيجة سياسة التنويع، زيادة الصـادر إلى أوربا من الخضروات وكذلك الدول الإفريقيه، وينتظر مع تطور زراعـة قصب السكر أن تكفى السنغال حاجاتها من السكر، أما الأرز فلم يغط هذه الاحتياجات حتى الآن مما أدى استمرار الاستيراد بسبب زيادة استهلاكه فى المدن.

كانت السنغال أكثر دول الفرانكفون فى غرب إفريقيه تصنيعا، ويرجع ذلـك لوضـع داكار المميز كعاصمة ومركز إدارى لغرب إفريقيه الفرنسـى، كمـا كـان لموقعـها الاستراتيجى كمخرج لمالى مما جعلها المركز الصناعى الأول. ولكن هـذه الأهميـة تضاءلت بعض الشئ الآن، وبدأت داكار تعد نفسـها صناعيـا لمواجهـة السـوق المحدودة.

وترتكز قاعدة السنغال الصناعية على الإنتاج الزراعى، نظرا لفقرها فـى المعـادن باستثناء فوسفات الكالسيوم وفوسفات الالومنيوم الذى يسـتخرج مـن موضعيـن أحدهما فى باللو بالقرب من ثيس وينقل الخام من هناك إلى داكار حيث يشحن إلـى الخارج، والثانى فى الطيبة على بعد ٧٠ ميلا من داكار ويعالج جـزء بسـيط مـن الانتاج للحصول على السماد فى روفيسك، بينما يصدر غالبية الإنتـاج ومتوسـطه ١,٥ مليون طن سنويا، ونصيب السنغال ٣% مـن الصـادرات العالميـة وهنـاك احتمالات كبيرة لاستخراج البترول والغاز الطبيعى من السهول الساحلية.

وهكذا يبدو أن عصر الفول السودانى يعتبر عماد الصناعة فى السنغال، حتى أنه منذ عام ١٩٧٠ أصبحت صادرات السنغال من هذا المحصول عبارة عن زيـت وكسـب الفول السودانى، ويعمل فى هذه الصناعة أكثر من ثلاثة آلاف عامل. وقامت أيضـا الصناعات المعتمدة على مشتقات البترول كالبلاستيك وغيرهما مما ليس له نظير فى الدول المجاورة، وبالتالى وجدت لها سوقا متسعة ولذلك أقيم معمل تكرير، فى أحـد ضواحى داكار، بطاقة نصف مليون طن تستورد من الجزائر وجابون.

وتعطى صناعة النسيج مثلا للصناعات التى نجحت خلال العشرين عامـا الماضيـة، فهناك ست شركات كها تتركز فى اقليم كاب فرد، وقام أحدث مصنع للمنسوجات فـى

ثيس للغزل والنسيج، وآخر لصناعة الحبال وشباك الصيد والأجولة.

غمبيـــــــــا

من أصغر دول غرب إفريقيه بمساحتها البالغة ١١٢٩٥ كيلو مـترا مربعـا، وهـى عبارة عن جيب أو شريط داخل السنغال حول النهر الذى أخذت منه اسمها والـذى يمثل محورها الرئيسى، ويمتد معه لمسافة ٣٣٠كم، ويعرض يتراوح بيـن ٢٠، ٤٠ كيلو متر. ويزيد عدد سكانها على مليون نسمة معظمهم ريفيين، وتعيش فى غمبيـا نفس القبائل التى تعيش فى السنغال كالولوف والماندنج والديولا. من ثم كان معظـم السكان من المسلمين، ونظرا لعدم وجود حدود طبيعة فاصلة بين السـنغال وغمبيـا وجدنا كثيرا من السنغاليين يعيشون فى غمبيا كتجار وزراع بعدد يبلغ نحو ٢٠ ألفا، كما تستقبل غمبيا العمالة المهاجرة الموسمية أيضا.

ويعتمد اقتصاد غمبيا على المحصول الواحد وهو الفول السودانى كما هو الحال فى السنغال فهو مسئول عن ٨٠% من الصادرات. يبلغ إنتاجها السنوى نحو ١٥٠ ألف طن يصدر مقشورا أو زيتا، وأخذت أخيرا تصدر كميات صغيرة من القطـن وزيـت النخيل.

ويزرع الأهالى الدخن لاستهلاكهم خارج السهل الفيضى، كما بدأت تنتشـر زراعـة الأرز والذى ما زال لا يغطى إنتاجه حاجة السكان، من ثم ما زالت تستورده ونظـرا لحجم السوق الضئيل فقد اقتصرت الصناعة على معصرتين للزيوت ومصنع الأحذية، وآخر للمشروبات الغازية، وبعض المصنوعات البسيطة الأخرى التـى تـتركز فـى باثجول العاصمة وضواحيها.

اتحـــاد سنغامبيا :

اقترحت بعثة الأمم المتحدة التى زارت هذه المنطقة عام ١٩٦٤، وكذلك بعثة منظمة الأغذية والزراعة العالمية قيام اتحاد بين غمبيا والسنغال، وكان هذا الاقتراح يتراوح بين الاتحاد التام والاتحاد الفيدرالى، وبينما يجد الأول تأييدا من السنغال يجد الثـانى ترجيحا من غمبيا، والواقع ان اتحاد القطرين تحتمه الظروف الجغرافية. وقد سـبق

أن درسنا الدولتين: من حدود صناعية إلى تخلف فى غمبيا نسـبيا عـن السـنغال، وضآلة فى المساحة والسكان ولكن رغم هذا فلم تتحقق هذه الفكرة لعدة أسباب منها أختلاف السياسة الخارجية لكل منهما، فالسنغال عضو منتسب فى السوق الأوربيـة المشتركة، ونضع بالتالى ضريبة جمركية عالية على الـواردات باسـتثناء واردات السوق المشتركة، كما أن السنغال مقيدة بشراء حد أدنى من السلع للسوق وخاصـة من فرنسا وفي مقابل ذلك نجد أن السنغال تجد فى فرنسا سوقا مضمونـة لسـلعها وخاصة الفول السودانى، وعلى النقيض نجد غمبيا تتبع سياسـة حريـة التجـارة، فالسلع تستورد من جميع جهات العالم بتراخيص مفتوحة، ولا يوجد تمييز جمركـى لأحد، وأن كانت ٤٠% من وارادتها من بريطانيا، ومن أوجه الخلاف بين البلدين أن السلع رخيصة فى غمبيا، بينما هى مرتفعة الثمن فى السنغال، وتقدر قيمة البضـائع المهربة سنويا بنحو ثلاثة أرباع مليون جنيه استرلينى، وهو مـا يضـر باقتصـاد السنغال. وأخيرا لا ننسى الارتباطات الثقافية واللغوية لغمبيا مع بريطانيـا، عكـس ارتباطات السنغال بفرنسا، لدرجة أنه فى بانجول ***Banjoul*** العاصمة يمثل "الأكـوا" وهم الطبقة العليا المتعلمة الجبهة المعارضة لهذا الاتحاد.

الفصـــل الثالـــــث

الصحـــــــراء الكـــــبـرى

أكبر صحارى العالم : إذا كان الجفاف هو المظهر الواضح لمناخ الجهات الجافة، من ثم اتخذ الباحثون منذ القدم عنصر الرطوبة للتمييز بيـن أصنـاف المنـاخ الرطـب والمناخ الجاف، وكان الاعتماد وحده على المطر لتحديد الصحراء، وشاع خط مطـر ١٠ بوصات (١٢,٥سم) ليفصل بين المناخات الرطبة والمناخات الجافة، فمـا دون هذا الرقم يدخل فى عداد الصحراء، غير أنه أخذ على هذا التحديد أنه أغفل عـامل التبخر، وبالتالى الأثر الفعلى للمطر الساقط، ذلك أن البخر فى الجهات الحارة الجافـة كالصحراء الكبرى يلتهم أضعاف ما يسقط من مطر، من ثم صار هناك تعديل بحيـث يكون الحد عشر بوصات بالنسبة للصحارى الباردة، وعشـرين بوصـة (٢٥سـم)

بالنسبة للصحارى الحارة، على هذا الأساس تمتد أكبر صحارى العالم، دون انقطـاع من الاطلنطى إلى البحر الأحمر، تبلغ فى أقصى اتساعها أكبر من ٤٥٠٠ كيلو مـتر، بيما يتراوح عرضها من الشمال إلى الجنوب بين ١٢٠٠، ١٦٠٠ كيلو متر بمساحة تبلغ ٨ مليون كيلو متر مربع، أو ما يقرب من ربع مساحة إفريقيه وتنتشـر هـذه الصحراء فى عدة دول إفريقيه كالمغرب والجزائر وليبيا وتشـاد والنيجـر ومـالى وموريتانيا ومصر فضلا عن مساحات واسعة بين السودان وتشاد.

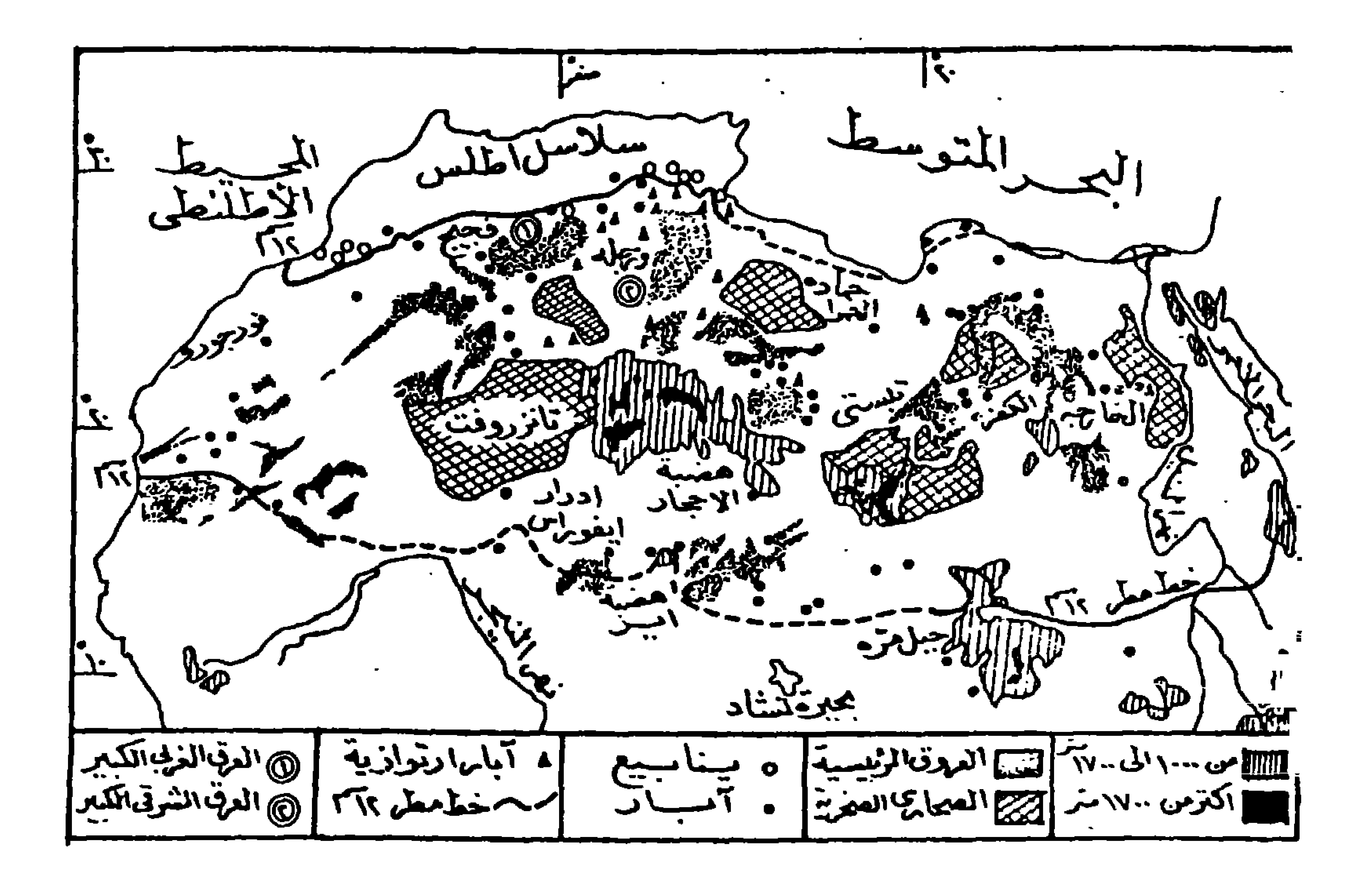
البنيـة والسطـح :

الصحراء الكبرى الإفريقيه جزء من الكتلة البلورية التى تظهر شواهد منـها علـى السطح، فهى هضبة ضخمة من الجرانيت والنيس أصابها الالتـواء فـى العصـور القديمة ثم تعرضت للتعرية التى حولتها إلى هضاب وسهول تحاتية، وتنتشر فـوق الكتلة القديمة تكوينات أحدث كصخور الحجر الرملى التى تكونت فيما بين العصريـن الفحمى والكريتاسى بسمك يزيد على ٥٠٠ متر، ثم تعرضت الصحـراء للارسـابات الجيرية لانغمار مساحات كبيرة منها فى الكريتاسى، ثم تعرضت لارسـابات قاريـة خلال الزمن الثالث، أما المساحات الرملية فترجع إلى الزمـن الرابـع، وتعرضـت الصحراء أيضا للبراكين فى العصور القديمة والحديثة، وتظهر الطفـوح البركانيـة القديمة فى جبال الأحجار وفي مرتفعات البحر الأحمر، أما الطفوح الأحدث والأوفـر فترتبط بالحركة الألبية وهى التى ساعدت على شموخ حبال الأحجار وتبسـتى فـى وسط الصحراء وجبل مرة فى السودان.

وتتميز صحراء الحمادة وهى الصحارى الحجرية الجلمودية بالانتشار الكبير إذ تمتـد فى الصحراء الغربية فى مصر مكونة من الخرسان النوبى فى الجنوب، يليه هضـاب الحجر الجيرى الكريتاسى والأيوسينى، ويمتد أيضا فى ليبيا، وإن كانت تغطيها بحـار الرمال فى القسم الشرقى، بينما تظهر عارية فى القسم الغربى، وتعرف مسـطحاته بأسماء محلية مثل حمادة الحمراء بمساحة تزيد على ٩٠ ألف كم٢ وارتفـاع ٥٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، وتتصل حمادة الحمـراء بحمـادة تيـنزرونت فـى الجزائر، وجنوبا حمادة مرزوق التى تمتد حتـى هضـاب تاسـيلى عـبر الحـدود

الجزائرية، وتظهر مرة أخرى فى الجزائر والمغرب عند حضيـض جبـال أطلـس ، وحمادة دراع فى الجنوب.

شكل رقم (٥٩) : الصحراء الكبرى



ويغلب على صحراء الحمادة الاستواء والبساطة فى السطح فى معظم الأحيان، وعلى امتداد مسافات طويلة مترامية. وهذا الاستواء فى السطح يرجع إلى أنها تتفق فـى

توزيعها مع اسطح التعرية القديمة التى تنتمى للزمنين الثانى والثالث، بل أن بعض هذه الأسطح فى الجهات التى لم تتأثر بالحركات الأرضية لم تتغير كثيرا منذ نشأتها.
ويرادف لفظ الحمادة عند العرب لفظ تاسيلى بلغة البربر فى الصحراء الكبرى، وهى صخرية أيضا ولكنها أشد وعورة وتمزقا من هضاب الحمادة المائدية الشكل المستوية الأسطح إلا عند أطرافها.
وكان اندفاع الطفوح البركانية خلال البليوسين مسئولا عن سمو هذه الجبال إلى ما يزيد على ٣٠٠٠متر. كما فى قمة تاهات (٣٠٠٩) وعلى بعد ١٢٠٠ كيلو متر تظهر كتلة تبستى التى ترتفع قمة ايمى كوسى فيها (٣٧٣٠ م). وتبدو هذه الكتل الجبلية وقد شقتها الوديان العميقة وصدعتها الشقوق التى تخللتها الصخور البركانية، وهكذا تضافرت أمطار العصر المطير إلى جانب الحركات التكتونية على تمزيق هذه السلاسل الجبلية.
وتمتد فيما بين تبستى والأحجار سلاسل تاسيلى على هيئة عنق أو حزام من صخور الحجر الرملى، وتبدو أهميتها من الحجر الرملى والوديان التى تجرى عليها تسمح بتوافر المياه السطحية والباطنية، هذا كما تمتد إلى الجنوب من الأحجار كتلتان أخريان هما ادرار ايفوراس واير. ولا تختلف ادرار ايفوراس عن تاسيلى فيما عدا ما يصيبها من مطر موسمى على سطوحها الجنوبية يسمح بالرعى، ويبلغ متوسط ارتفاع ادرار ايفوراس نحو ٨٠٠ متر، وان كانت بعض قممها الجرانيتية قد تسموا إلى الألف متر، وقد يلجأ إليها الطوارق سكان جبال الأحجار فى بعض سنوات الجفاف. كذلك الحال فى هضبة اير التى تتدفق عليها السيول بمعدل ٣ مرات سنويا، وبينما ترتفع قممها البركانية ١٤٠٠ متر، فإنها تتميز بأوديتها الناضجة المتسعة والتى تنحدر مياهها نحو الغرب فتحول سفوحها الغربية وحضيضها إلى مراعى نضره.
وفي أقصى الشرق الصحراء الكبرى تظهر سلاسل البحر الأحمر فى مصر والسودان كحافات قافزة أو ضهور للأخدود الأفريقى وتبلغ أعلى منسوب لها فى جبل الشايب (٢١٨٧مترا).

وكان لعامل الارتفاع أثره فى تعديل درجات الحرارة فى مرتفعات الأحجار فضلا عن اجتذاب شيء من الرطوبة عما جاورها، بل أن قمم الأحجار العالية تغطيها الثلوج لبضعة أيام كل عام، بينما تنخفض الرطوبة فى جبال تبستى. وإذا كانت درجة الحرارة تنخفض إلى درجة التجمد، فإن قلة الرطوبة تجعل من النادر تكون الصقيع، وبالتالى ضآلة أهميته فى عملية التجوية والتى كانت ولا شك أكثر حدوثا فى العصر المطير.

أما صحراء الرق أو السرير فهى الصحراء السهلية المنبسطة المغطاة بالحصى والحصباء وهذا النوع من الصحراء صالح لسير الإبل، كذلك تقصده القوافل التجارية لأنها تخلو من الرمال التى ترهق الأبل والإنسان إذا ما هبت الزوابع، كما أنها تختلف عن الحمادة بصخورها الحادة وأسطحها الخشنة المؤذية للإبل، والأصل فى هذا النوع من الصحراء أن الرياح تعمل فيه باستمرار على تذرية الحبيبات الدقيقة، ولا يتبقى إلا الحصى الذى تعجز الرياح عن حمله. فإذا ما أتت مياه الأمطار المتسربة إلى جوف الأرض، أو المياه الصاعدة بالجاذبية الشعرية إلى السطح حاملة مواد ملحية أو كلسية مذابة فإنها تعمل على تماسك وتلاحم الحصى بشدة حتى تتحمل سير عجلات السيارات دون أن تغوص.

ومن أمثلة صحراء السرير، سرير قلانشو بليبيا الذى يبدأ من شرق البلاد ويمتد حتى مرتفعات وسط ليبيا ليتصل فى الجنوب بسرير تبستى ولا ننسى فى هذا المجال أيضا صحراء السرير التى تمتد فى مساحة ضخمة من جنوب الجزائر إلى مالى وعرق الشيخ وجبال الأحجار.

وتتميز كل من صحارى الحمادة والسرير بخلوها من الأودية، إذ أن هذا يرجع إلى استواء السطح أو شبه استوائه بحيث لا يعطى الفرصة لعمليات النحت لأننا نجد هذه الأودية فى الصحراء إذا ما وجدت المرتفعات كما فى جبل العوينات وكتل الأحجار وتبستى.

وتشغل الصحارى الرملية مساحات أخرى من الصحراء الكبرى ويطلق عليها صحراء العرق، وأكثر دول الصحراء حظا من الرمال هى الجزائر التى تبلغ نسبة

أراضيها الرملية نحو ٤/١ مساحة الجزائر بأكملها، فهناك العرق الشرقى الكبير الذى يمتد فى الوسط فى شرقى الجزائر ويعبر الحدود إلى تونس، وهناك العرق الغربى الكبير الذى يمتد فى الوسط حتى ينتهى عند حضيض جبال أطلس، وفى جنوبها يمتد عرق الشيخ الذى يتوغل فى مالى، وعرق إيجيدى بين الجزائر وموريتانيا، وتنتشر العروق أيضا فى ليبيا وتتمثل فى دهناء مرزوق التى تغطى معظم فزان، ودهناء أوبارى الذى يمتد على حدود الجزائر، ويقابلها فى أقصى الشرق بحر رمال دبيانا، ومن ليبيا تنتشر الرمال شرقا لتشغل أكثر من ٥٠% الصحراء الغربية ممثلة فى بحر الرمال العظيم والغرود، والسهول الرملية الممتدة من جبل العوينات إلى فيزان دارفور وكردفان.

ويبدو أن الشكل الهلالى المعروف بالبرخان هو أكثر شيوعا وهى تتكون عادة عندما تهب الرياح من اتجاه واحد حاملة كميات قليلة من الرمال، وعندما تضعف الرياح تعجز عن تشكيل كثبان فتبسط رواسبها على هيئة فرشات رملية.

وهناك الكثبان الطويلة أو السيف، وتتكون عندما تتعرض الأهلة الرملية لرياح جانبية تتقاطع مع الرياح الدائمة ومن اشهرها غرد أبى المحاريق بالصحراء الغربية الذى يمتد لمسافة ٣٥٠ كيلو متر.

وتظهر الحرات* فى الصحراء الكبرى فى ليبيا بصفة خاصة ممثلة فى جبل الحروج الأسود وجبل السودا شمالى وشمال شرقى فزان، اذ يغطى جبل الحروج وحده ما بين ٣٥ , ٤٠ الف كيلو متر مربع ؛ وجبل السودا نحو ٧ الاف كيلو متر مربع . وتظهر طفوح البازلت أيضا على المنحدرات الشمالية لكتلة تبستى فى ليبيا وتشاد، وكذلك التكوينات البازلتية بجبال الاحجار. وإذا كانت طفوح جبل الحروج ليست سميكة، فانها فى تبستى والأحجار من النوع التراكمى حيث يبلغ عمق اللافا بضع مئات من الامتار.

اشتهرت الصحراء الكبرى بظاهرة المنخفضات من الآحواض الصغيرة المساحة القليلة العمق التى تتراوح أبعادها بين عشرة أمتار وما يزيد على الكيلو متر،

---

* الحرات هى جمع حَرة ، وهى المنطقة بتكوينات اللابا.

وتعرف باسم الضايات فى شمال غرب إفريقيه، وبين الضخمة المساحة العميقة كمنخفض القطارة بمنسوب ١٣٤ متر تحت سطح البحر، وتختلف كذلك أشكالها من الدائرى وشبه الدائرى الى الأهليجى كمنخفض البحرية وغير ذلك، وتسود المسطحات الطينية فى مراكز المنخفضات والتى تعرف "باسم" القيعان، أما إذا ارتفعت بها نسبة الملوحة بحيث تظهر طبقة من الملح أو الجبس قرب السطح عرفت بالملاحات أو السبخات، وقد تشغل هذه المساحات مستنقعات مؤقتة خلال المطر وتجف أسطحها وتتشقق أو تتقشر خلال الجفاف، وتصبح بالتالى ميدانا لتذرية الرياح، أما إذا كان مصدر الماء جوفيا نشأت مستنقعات دائمة ورشوح كما فى سيوه وسبخات القطارة والنطرون.

ويختلف الباحثون فى أصل هذه المنخفضات منهم من يرجعها إلى أنها حفرت على امتداد موجات أو قباب، ومنهم من يرجعها إلى أنها نشأت على امتداد تشوهات تكتونية استحدثت شقوقا أرضية نفذت منها عوامل التعرية، أو عند التقاء تكوينات جيولوجية مختلفة، أو تتابع فى التكوينات الصخرية بحيث تعلو الطبقات الصلبة طبقات هشه أو أكثر ليونة، فإذا ما تآكلت الطبقات زالت الطبقات الهشة بسرعة كبيرة. ولكن الرأى الذى يسود هو أنها ناتجة عن التعرية بصفة عامة والتعرية الهوائية بخاصة، ودور البنية فى هذا المجال أنها أعطت الظروف المواتية، وليس من شك أن عمليات الاذابة والمياه الجارية كان لها دور خلال الفصل المطير، ولكن الرياح قد برزت فعاليتها باستقرار الظروف الجافة، فالرياح لها القدرة على تذريه آلاف الأطنان من أتربة القيعان سنويا. ويمكن التأكد من ذلك إذا ما شاهد الإنسان سحبا كثيفة من الغبار تدفعها الرياح بعنف خارج القاع طول فصل الصيف، يساعد على ذلك تيارات الهواء الصاعدة الناتجة عن التسخين الشديد.

مناخ الصحراء الكبرى :

قلة الرطوبة وندرة المطر هى صفة الصحراء وسماتها، فالمطر فى الصحراء شذوذ عن المألوف وإن كان متوقعا، ولكن إذا هطل كان مدرارا فى فترة قصيرة بحيث

تتحول الأودية إلى سيول وفيضانات تدفع وتخرب ما يعترضها، ومن هنا كانت الأوامر أثناء الحرب تحرم على القوات الفرنسية أن تعسكر في بطون الأودية الصحراوية خشية الفيضانات المفاجئة، وقد سجلت بلدة تندوف فى الجزائر على حدود المغرب سيولا ينهمر فى كل سيل ٣ سم من المطر أو أكثر في مدة ٢٤ ساعة، وفي الصحراء الوسطى سجلت تامانراست - ذات المتوسط السنوى ٤ سم - سجلت ٤,٥سم فى سبتمبر ١٩٥٠ فى ثلاث ساعات فقط، ولن نذهب بعيدا ومصر تعرف هذا النوع من السيول الذى يأتيها من الصحراء الشرقية تحمله الأودية الجافة إلى مراكز العمران فى الوادى مكتسحة ما يقابلها وقد حدث هذا عدة مرات فى الربع قرن الأخير، أهمها ما شاهدته قنا والصف (والمنيا وأسيوط). وتعتبر الأحواض الداخلية فى الصحراء الكبرى من أشد جهاتها جفافا مثل منخفض تاودينى وعرق مرزوق فلا يتجاوز المطر هنا ١ سم، حتى ليختفى النبات تماما عل حين يزداد المطر على أطرافها الشمالية والجنوبية وتتحول إلى ما يشبه الاستبس أو الاقليم شبه الجاف، فتحظى القاهرة بنحو ٣ سم وهذا من تأثير أعاصير الرياح الغربية المارة على حوض البحر المتوسط فى فصل الشتاء، كما تسجل عطبرة ٧ سم، والخرطوم ١٥ سم، وهذا من تأثير الرياح الصيفية، وان كانت بورسودان بدورها تسجل نحو ١٠ سم فى فصل الشتاء بسبب عبور الرياح الشمالية البحر الأحمر ثم التقائها بمرتفعاته. ويستثنى من قلة المطر فى الجهات الداخلية تلك الجزر المرتفعة فى وسط الصحراء ممثلة فى الأحجار وتبستى، فهى هنا تبلغ نحو ١٠ سم في المتوسط، ولا يزداد المطر بالارتفاع، ففي تبستى تختفى الحياة الشجرية على القمم التى لا يتجاوز ارتفاعها ٣٠٠٠ متر. وإذا كانت ظاهرة توفر الأشجار والحشائش فى بعض جهات تاسيلى والأحجار تسترعى الانتباه وهى وسط الصحراء، فانها لا تعلل بوفرة المطر وقد رأينا أنه قد لايتجاوز ١٠ سم. بقدر ما تفسر على أساس انخفاض درجة الحرارة ليلا نتيجة تبدد الطاقة الواردة نهارا بسرعة حتى تصل دون درجة الندى، وبالتالى يتكثف بخار الماء العالق فى الهواء على هذه السفوح المرتفعة.

وتتفاوت نسبة الرطوبة فى أرجاء الصحراء، فهى منخفضة فى الأحواض الداخليـــة، مرتفعة عند الأطراف. فالرطوبة النسبية لأسوان فى يولية ٣٠%، وفي ينـاير ٤٦% بينما ترتفع إلى ٩١%، ٨٢% على التوالى فى رأس جوبى فى الصحراء الغربيـــة، وقد تصل إلى مثل هذا أيضا فى بور سودان على ساحل البحر الأحمر.

واجتماع الحرارة والرطوبة معا شيء ثقيل على الجسم البشرى، وهذا ما يحس بـــه الإنسان على أطراف الصحراء الكبرى المطلة على البحر الأحمر، عكس الحال علـــى أطرافها الغربية المطلة على الأطلنطى حيث يمر تيار كنارى البارد نوعا، وحيث تهب الرياح الشمالية من اليابس إلى البحر فتكشط الطبقات السطحية من المـــاء، وتحـل محلها الطبقات العميقة الباردة، مما يخفف من درجة حرارة السواحل، ويرفـــع مـــن درجة الرطوبة النسبية أثناء الليل، فتستفيد التربة من الضباب والندى، من ثم تـــأخذ الأطراف وجها استبسيا مع تلطيف درجة الحرارة، وإن كان هذا لا يتعدى أكثر مـــن عشرين أو ثلاثين كيلو مترا نحو الداخل.

ان من أبرز خصائص الصحراء الكبرى كبقية الصحارى، وأن كانت فيـــها بصـــورة مكبرة هو المدى الفصلى واليومى الكبير، ويفوق المدى اليومى المدى الفصلـــى، إذ قد يصل الأول إلى ٢٠° ، أو ٢٥° م بسبب التسخين الشديد أثناء نهار الصيـــف ثـــم تبدد هذه الطاقة ليلا لانعدام الغطاء النباتى والسحب وقلة الرطوبة، فقد تصل إلى مـــا يزيد على ٤٠° م أثناء النهار، و تنخفض إلى درجة التجمد أو ما يقرب أثناء الليل.

لماذا الصحراء ؟ تتعدد العوامل المؤدية إلى تكوين الصحراء الكبرى بهذه المســـاحة الضخمة فى هذا النطاق، وكان الموقع الفلكى أساس هذه العوامل جميعـــا، ذلـــك أن القارة الإفريقيه حين تضخمت، كان هذا التضخم فى معظمه بين دائرتى عرض ١٢°، ٣٠° شمالا، وصادف أن كان هذا نطاق الضغط المرتفـــع الفـــاصل بيـــن العكســـيات الغربية والتجارية الشرقية، وترتبط منـــاطق الضغـــط المرتفـــع عـــادة بالاســـتقرار والهدوء، ويرتبط بها أيضا أعمدة الهواء الهابط الذى يتضاغط بهبوطه فترتفع درجة حرارته بطريقة آليه مما يقلل من الرطوبة النسبية. وإذا كان هذا النطاق أيضا هـــو نطاق التجاريات، فمن المعروف أنها تتجه من مناطق أقل حرارة إلى منـــاطق أكـــثر

ارتفاعا فى حرارتها، مما لا يتيح فرصة لتكاثف بخار الماء إلا إذا مرت على مسطحات مائية متسعة، وهذا ما لا يتوافر فى الصحراء الكبرى.

سكان الصحراء : على الرغم من أن سكان الصحراء جماعات قليلة العدد، فان بعضهم قد اكتسب شهرة، وأهم هذه القبائل الطوارق أو الملثمون، وقد ألف الناس التحدث عنهم حينما يأتى ذكر الصحراء الكبرى وكأنها خالية إلا منهم. ومن المرجح أنهم كانوا أكثر انتشارا منهم الآن حينما كانت الصحراء أقل قسوة، فلما اشتد جدب الصحراء تفرقوا، ومنهم من وصل حتى الاقليم السودانى جنوبا بالقرب من تمبكتو وما يليها شرقا (مالى)، واستقر هؤلاء وتحولوا عن رعى الابل إلى رعى البقر، أما الذين استقروا فى الشمال فقد انقسموا جماعات، ولجأ كل فريق إلى بيئة جبلية يستفيد مما تحصل عليه من رطوبة وعيون ماء، وهم ينقسمون إلى ثلاث شعب هم: تاسيلى الأجر، طوارق الأحجار، وطوارق ادرار ايفوراس، وتقدر هذه المجموعات الثلاث بنحو ١٢ ألف نسمة. بهذا تصبح المجموعتين الأولى والثانية فى الجزائر، والمجموعة الثالثة فى مالى. والطوارق شعبة من البربر رعاه للابل وظلوا فترة طويلة سادة للصحرء الوسطى والغربية يغيرون على القوافل، بل وعلى المراعى المجاورة، وقد قلت سطوتهم الآن ونفوذهم بعد تطور وسائل النقل وزيادة سلطة الإدارة. وإذا كان مركز الطوارق الرئيسى جبال الأحجار فان التيدا أو التبو يتخذون من جبال تبستى شمالى تشاد على الحدود الليبية موطنا لهم، وكانوا من قبل سادة القسم الشرقى من الصحراء الكبرى، وقد امتد تأثيرهم شرقا حتى وصلوا القسم الشمالى من مديرية دارفور فى السودان ممثلين فى قبائل البدايات والقرعان والزغاوة. وبالإضافة إلى الطوارق والتيدا الذين تغلب عليهم البداوة نجد المزابين فى القسم الشمالى من الصحراء نسبة إلى واحات اقليم مزاب، ويقال أن أصلهم طائفة من الخوارج هاجرت من البصرة فى القرن الثامن، من ثم يتكلمون اللغة العربية والبربرية، عكس الطوارق والتيدا يتكلمون لهجات بربرية كذلك تنتشر بينهم حرفة الزراعة نظرا لغنى الاقليم بالواحات، وأن كان من يقوم بالزراعة هم الخلاسيون أو العبيد بقايا عصر تجارة الرقيق، ويطلق عليهم الحراثون.

التطورات الحديثة : ارتبطت الصحراء الكبرى فى الأذهان بأنها تلك الفيافى القفر، تعبرها القوافل فى مسالك معلومة، وحتى هذه القوافل فقدت أهميتها فى العصر الحديث بعد ظهور السيارة وتحول التجارة إلى النقل البحرى، ارتبطت أيضا بالقبائل المغيرة من الملثمين وغيرهم، ولم يكن ينظر إليها بشيء من المبالاة، حتى لقد كان الاستعمار الفرنسى الذى افترش معظمها مثار سخرية أحيانا، وأن هذه المساحة الضخمة تشبع حب الفرنسيين فى الظهور، فالصحراء الكبرى كانت مظهرا أكثر منها مخبرا. غير أن الأمر قد تغير بعد تتابع ظهور الثروة المعدنية، وكان البترول على رأسها فى ليبيا والجزائر وتونس ومصر، والحديد والنحاس فى موريتانيا، والفوسفات فى مصر تونس والمغرب والساقية الحمراء والفحم فى الجزائر واليورانيوم فى النيجر، بل لقد وصل الأمر حد النزاع المسلح بين الدول الصحراوية أو التى لها نصيب من الصحراء، بسبب هذه الثروة النفيسة، ومهما قيل من أسباب للنزاع من عرقية وقبلية، فالأول هو "فتش عن الثروة المعدنية": نزاع الجزائر والمغرب فى أوائل الستينيات على تندوف، نزاع المغرب وموريتانيا والجزائر على الساقية الحمراء أو الصحراء الأسبانية، بل لقد وصل الأمر إلى الشروع فى مواجهة بين دولتين فقيرتين هما بوركينا فاسو ومالى، أرسلا قواتهما المسلحة إلى الحدود فى نهاية عام ١٩٧٤، مع أن جيشيهما معا لا يتعدان ٥ آلاف نسمة، بل خرجت مع القطرين بعثات للبحث عن السلاح، لولا لجنة الوساطة التى تدخلت وخففت حدة الأزمة، والسبب الرئيسى كان اكتشاف المنجنيز فى هذا الاقليم. فأرادت حكومة مالى أن يكون المنجنيز وغيره من المعادن التى تكتشف فيما بعد فى هذه المنطقة هى فى أرض مالى. وتضيف إلى هذا الاعتقاد أن البترول ما دام قد ظهر فى الصحراء الشمالية فلا يعتقد أن العدل الالهى سوف يحرم الصحراء الجنوبية من هذا السائل الثمين، وظهر أن احتلال مالى للاقاليم موضع النزاع نتج عن تقرير قدمه الخبراء الصينيون لحكومة مالى عن ثروة دفينه.

ولم تقتصر التطورات فى الصحراء الكبرى على الناحية الاقتصادية، بل تعدتها إلى النواحى الاجتماعية، ذلك أن الأسس التى كانت تعتمد عليها البداوة قوضتها ظروف

العصر فقد حلت السيارة محل الابل، بل ورخص سعر الوقود نتيجة لاكتشاف البترول فى الصحراء ومن ثم فقدت القبائل مصدرا كبيرا من مصادر رزقها سواء كان نتيجة لقيامها بعملية النقل أو نتيجة حصولها على الاتاوة، وهكذا ألغت الحضارة الحديثة الوظيفة التقليدية لبدو الصحراء، وانتقلت هذه الوظيفة إلى الحكومات وشركات النقل. ومن أهم طرق السيارات فى الصحراء الكبرى الآن.

١- الطريق بين نهاية سكك حديد الجزائر وسكك حديد النيجر، أى يربط بين كلم بشار وجاو عل النيجر.

٢- طريق بين برقة وتشاد مارا بواحة الكفرة.

٣- طريق توغرت عبر جبال الأحجار حتى زندر وكانو فى شمالى نيجيريا ومارا بعين صالح وأجاديس.

٤- طريق موريتانيا ويصل بين سكك حديد المغرب مارا بتندوف إلى تمبكتو وسانت لويس.

وباحتكاك البدو مع الحضارة الحديثة بدأوا يعمل فى شركات البترول، فى قيادة السيارات أو فى حراسة الأنابيب أو عملوا فى الشرطة والجيش. وانهار النظام الاجتماعى الذى كان قائما على أساس العبيد والأسياد، فلم يعد هناك عبيد، وفقد الأسياد أو الشيوخ ثروتهم، كما فقدوا سلطاتهم التى انتقلت إلى قوات الأمن، وانتقل كثير منهم للعمل فى المدن والموانى، مما أثر على الثروة الحيوانية فى الصحراء من ناحية، وخلق مشكلات عمل فى الحضر، خاصة وأن هؤلاء البدو لا يجيدون حرفة.

مشروع منخفض القطارة كنموذج للتطورات الحديثة فى الصحراء الكبرى:

يعد هذا المشروع نموذج لما يمكن أن يحدث من تطورات فى الصحراء. ويقع المنخفض إلى الجنوب من العلمين بنحو ٧٠ كيلو متر بمساحة تبلغ ٢٠ ألف كيلو متر مربع، أو ضعف مساحة الدلتا المصرية. ويبلغ متوسط منسوب أرض المنخفض حوالى ٦٠ مترا تحت مستوى سطح البحر، وتصل إلى ١٣٤ مترا أحيانا دون هذه السطح. وقد ظهرت فكرة استغلال هذا المنخفض الضخم القريب من البحر المتوسط

منذ أكثر من نصف قرن، ولكنها تنتظر التنفيذ الفعلى الذى يقوم بعد دراسات مختلفة. وفكرة الاستغلال ببساطة هى حفر قناة تحمل مياه البحر المتوسط وتنتهى بها إلى المنخفض، وبذلك يمكن استغلال انحدارها فى عملية توليد الكهرباء، ويبدو أنه قد أن الآوان للقيام بهذا المشروع بغية مواجهة التضخم السكانى فى مصر بعد أن أصبحت تزيد بمعدل ٨ ملايين نسمة كل عشر سنوات. فإذا كان عدد سكان مصر عام ١٩٧٥ نحو ٣٧ مليون نسمة، فهو ٦٢ مليون نسمة عام ١٩٩٥. وقد دعت الحكومة المصرية ثمان مؤسسات ألمانية لتقديم عطاءات لإجراء دراسات عملية، وقدمت هذه المؤسسات نتائج الدراسة وامكانات المشروع إلى وزارة الكهرباء، وأبدت استعدادها لإعداد الدراسات الفنية والاقتصادية وأبدت حكومة ألمانيا الغربية استعدادها لتقديم دراسة لامكانات المشروع فى ظل برنامج المعونة الفنية الذى وقعته مع مصر. ويتضمن دراسات المشروع المسح الأرضى والجوى للمنطقة، وتوليد طاقة كهربائية تقدر بنحو ٧٠٠ ميجاوات، فضلا عن الحصول على طاقة كهربائية للتصنيع تزداد إلى ١٠ آلاف ميجاوات عام ٢٠٠٠، وسوف يساعد المشروع على البحث عن البترول فى المنخفض والذى ترجح المؤسسات الالمانية وجودة هناك. ولكن صعوبة البحث عنه تأتى من الانخفاض الكبير للحوض، فضلا عن أن أرضه كلها سبخات، فإذا ما تحول إلى بحيرة صناعية فيمكن البحث عن البترول عن طريق عمل الجزر العائمة، كما يحدث الآن فى خليج المكسيك والخليج العربى وبحر الشمال. كذلك يمكن استغلال الأملاح التى تأتى بها مياه البحر فى اقامة كثير من الصناعات البتروكيماوية كما أن قناة المنخفض ستصبح مجرى ملاحيا لناقلات البترول، وبعد تحليل التربة، ومسح لأفضل مسارات القناة التى ستحمل مياه البحر إلى المنخفض، وتحديد أفضل الطرق والوسائل الفنية لتنفيذ المشروع، وبمجرد إنتهاء الدراسات وتوفر التمويل، تأخذ المرحلة الأولى سبع سنوات يمكن بعدها لمصر أن تحصل على طاقة وتصبح البحيرة والقناة من مناطق الصيد الرئيسية.

وسوف يتطلب المشروع أيضا اقامة مرفأ على مدخل القناة مما يخفف الضغط على ميناء الاسكندرية خاصة إذا خرجت منه شبكة من الطرق إلى مناطق العمران، كما لا ننسى فى هذا المجال أن بخار الماء الذىسيتجمع فوق البحيرة وتدفعه بعيدا عنها سوف يزيد من نسبة الرطوبة الجوية على الصحراء الغربية، مما قد يساعد على ظهور المراعى غربى الدلتا وبالتالى زيادة الثروة الحيوانية. وبذلك يصبح هذا المشروع نموذج للمشروعات المتعددة الأغراض والتى يمكن أن تغير من وجه الصحراء كما فعل البترول من قبل.

الصحراء الكبرى وصلت ولم تفصل :

لم تكن الصحراء الكبرى فاصلا أو عازلا بين إفريقيه الشمالية وإفريقيه جنوب الصحراء، بل قد عرفت الصحراء طرق التجارة منذ العصور القديمة حتى لقد أتى هيرودوت على ذكرها فى كتاباته، غير أن هذه التجارة وجدت دفعة قوية بعد ثلاثة قرون من ظهور الإسلام، فلما جاء العرب فى القرون الوسطى عرفوا آبار الصحراء واحدة واحدة، وعبروا ذلك القفر فى شهرين أو يزيد، وما كان مجيئهم للإغارة كما فعل البربر قبلهم، ولا للاقامة الهاربة كما فعل اليهود والبربر حين شق عليهم العيش مع الروم، بل كان التجار العرب يحملون رسالة ويتحدثون لغة مرموقة، واتحذت آثارهم هذه سمتها القوية التى بقيت إلى اليوم فى سحنة الكثير وفي دينهم ولغتهم.

ويعتبر دخول الجمل حادثا فريدا فى الصحراء الكبرى الإفريقيه، فبينما لم تنتظر الحركة فى الصحراء وصوله، فانه كان صاحب الفضل فى جعل طرق القوافل شرايين منتظمة للتجارة والحضارة بين إفريقيه شمال الصحراء وجنوبها. وإذا كان التجار العرب قد ظهروا فى الصحراء منذ النصف الثانى من القرن الثامن، فقد كانت فترة ازدهار التجارة عبر الطرق الصحراوية من منتصف القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن السادس عشر، إذا شهدت هذه الفترة طلبا ملحا على منتجات غرب إفريقيه من جانب أوربا وإفريقيه الشمالية. كما يجمع الباحثون على أن العصر الذهبى لهذه التجارة شارف نهايته فى القرن السادس عشر نتيجة لتوسع التجارة

البحرية الأوربية التى أسرت طريق البر.

والسلع التى كانت تتم فيها التجارة يمكن تقسيمها إلى فئتين، وأن كان ليس من السهل وضع خط فاصل بينها. فهناك ضروريات الدولة كالذهب والرقيق التى كانت تتجه شمالا والأصداف والملح والأسلحة التى كانت تتحرك جنوبا، فهذه السلع الأساسية لعبت دورا أساسيا فى الحفاظ على البناء الاقتصادى والسياسى التى كانت تشتريها سواء فى أوربا أو إفريقيه الشمالية أو غرب إفريقيه، فالذهب والأصداف كانت أساس العملة، والرقيق يمثلون نسبة لا بأس بها من القوى العاملة والقوة الحربية فى بعض الاقاليم، أما الملح فكان ضرورة غذائية، ويضاف إلى ذلك المعدات الحربية التى كانت سندا للقوة السياسية.

وكانت هناك بعض السلع الكمالية كالفلفل والعاج وثمار الكولا والمصنوعات الجلدية، وأضيف إليها فى القرن التاسع عشر ريش النعام التى كانت تتجه شمالا والأنواع الغالية من المنسوجات (وخاصة تلك المصبوغة بأصباغ غير متوفرة محليا)، والنحاس والأغذية المحفوظة والآنية الزجاجية والخرز وغيرها التى تتجه جنوبا.

من بين هذه السلع يجب أن نتوقف قليلا عند بعضها لايضاح أهميتها فى الحركة التجارية، أما عن أصل تجارة الذهب بالتحديد فهو غير واضح، ولكنها قد ترجع إلى أيام القرطاجيين أو قبلهم بقليل، ولكن زادت صادراته بصورة واضحة خلال القرن الحادى عشر، بعداستخدام الذهب فى العملة فى العالم الإسلامي. ثم زادت مرة أخرى بعد عام ١٢٥٢م. بعد ما بدأ الذهب يحل محل الفضة فى أوربا كعملة رئيسية، وهكذا كان غرب إفريقيه ما بين القرن الحادى عشر والسابع عشر هو المورد الرئيسى للذهب فى العالم أى حتى كشف الأمريكتين .

ويأتى الملح فى المكان الثانى فى تجارة تلك العصور بعد الذهب بل وأحيانا تفوق عليه، إذ يندر وجود الملح فى الاقليم السودانى بين الصحراء والغابات، ذلك أن تراجع الصحراء التدريجى أبعد سكان الاقليم السودانى عن مواطن هذه المادة المشتهاه التى تستخدم فى تجفيف الطعام والمحافظة عليه فضلا عن أعطائه مذاقا خاصا. ولم يكن فى الامكان الحصول على الملح جنوبى الصحراء إلا بعملية شاقة.

أى تقطير الحشائش. ومن ثم ظهرت أهمية ملح الصحراء.

أما ثمار الكولا فكان مصدرها ظهير ساحل غانا، وكانت كـانو تتحكـم فـى معظـم تجارتها، فهذه الثمرة أو الجيرو *Gero* كما كـان يطلـق عليـها العـرب وكذلـك الوطنيين، تستخدم على نطاق واسع فى غرب إفريقيه منذ عصور بعيدة. وهى رمـز للصداقة والمحبة، لذلك لا تقدم هدية دون أن تكون الكولا جزءا منها، كما اعتـادوا أن يقوموا بالقسم عليها فضلا عن أنها مغذية، ويعتقدون بشهرتها الكبيرة فى عـلاج العجز الجنسى، من ثم تميز استعمالها بالشيوع فى قطاعات عريضة. وهكذا كـانت ثمار الكولا هى أحدى سلع ثلاث اعتادت عبور الصحراء إلى البحر المتوسـط، فـى مقابل العقود الزجاجية من فينسيا والحرير من طرابلس.

وكان تنظيم القوافل يقتضى ويشجع على قيـام أربـع مراكـز أشـبه بـالموانى أو الاستراحات لتقليل حدة وصعوبات الصحراء والتجارة عبرها، فضلا عن زيادة كفـاءة تجميع السلع وتوزيعها:

أولا : كانت النهايات الجنوبية مثل تمبكتو، كانو، كوكاوا، (علـى حافـة الصحـراء الجنوبية) كانت مراكز لتجميع وتعبئة وتحميل السلع المتجهة إلى الشمال كما كـان يتم فيها توزيع السلع المتجهة نحو الجنوب، تحملها قوافل أصغر حجما، فهذه المدن إذن بمثابة موانى لجنوبى الصحراء. فأهمية تمبكتو لم ترجع إلى زراعة أو صناعـة فيها، وإنما إلى تجارة المرور على أنها أقرب مستودع إلى ذهب وكولا وذرة وعـاج الجنوب، ومصبا للمنسوجات الأوربية والأسلحة التى تصل إلى مينـاء موجـادور. كذلك شهدت أجاديس عصرا ذهبيا على عصر امبراطورية السنغاى، فكانت مسـتودع الذهب للتجارة ما بين جاو وطرابلس، ولكن قضـاء المغاربـة علـى امبراطوريـة السنغاى أدى إلى زوال هذه الأهمية بعض الشئ، وان استمرت مسـتودعا لتجـارة الملح، وساعدها على هذا أن أراضيها غنية بالمراعىالتى يمكنـها أن تعـول آلاف الرؤوس من الإبل، عماد هذه التجارة، وفي كل خريف كانت تقوم قافلة ضخمة يطلق عليها "عزالى" من "اير" لجلب الملح من بيلما ليباع فى أسواق الهوسا، وللدلالة على أهمية هذه الرحلة يذكر بوفيل أن هذه القافلة فى علم ١٩٠٨ أى عندما بدأ تدهـور

هذه التجارة - كان عدد رؤوس الإبل فيها نحو ٢٠ ألف رأس.
ثانيا : كانت هذه محطات على الطريق للراحة والتزود بالمؤن والماء مثل أجـــادس (التى حلت محلها إفران منذ القرن التاسع عشر) وغات وعين صلاح وتغازا.
ثالثا : كانت هناك محطات تفرغ فيها القوافل حمولتها قبل أن تأخذها قوافل أصغـــر لتوزيعها فى الاتجاهات المختلفة، وهى فى نفس الوقت مكان تجمع القوافل المتجهـة نحو الجنوب قبل الرحيل، ويمكن شراء المؤن وتأجير الحراس والمرشدين وشـــراء الإبل اللازمة للرحلة وهذه تمثلها سجلماسة (تندوف) وورجلة وعدامس.
رابعا: مدن نهاية الطرق الشمالية مثل موجادور وفاس، الجزائر، وتونس وطرابلس. وهذه المستودعات النهائية، اما قريبة من البحر المتوسط أوتطل عليـــه مباشـــرة، وتقوم فيها عملية بيع وشراء السلع إلى ومن السفن الأوربيـــة، وكذلـك تفريغـــها وإعادة شحنها.
وإذا كان العرب قد اشتركوا فى هذه التجارة إلى جانب البربر والزنوج، فإن العـــرب ليس من شك كان لهم دور بارز إلى حد كبير، فضلا عما فعلوه وتركوه مـــن آثـــار نتيجة للقائهم بسكان جنوب الصحراء.



تجارة الملح تجارة رائجة فى الصحراء مع الإقليم السودانى .

الفصـــــــل الثالث

من دول الصحـــــراء الكبـــــرى

ليبيــــــــــــــــــا

رغم أن مساحة الجماهيرية العربية الليبية تبلغ نحو ١,٦٧ مليون كيلو متر مربـــع، فإن سكانها يبلغون نحو ٦ مليون نسمة، وعلى عكس بقية أقطار المغـرب العربـي نجد أن الصحراء فيها تقترب من البحر فى كثير من المواضع كمـا تختلـف عنـها بنيويا، ذلك أنها لم تتأثر كثيرا بحركات الزمن الثالث، فهى أكثر تناسقا وانتظاما مـن الناحيتن الجيولوجية عن المغرب، كما أن نصيبها من مناخ البحر المتوسط محـدود للغاية، يقتصر على منطقتى الجبل الأخضر (بنغـازى ٣٠سـم) وسـهول طرابلـس ٣٤سم، ويفصل القسمين توغل خليج سرت نحو الصحراء.

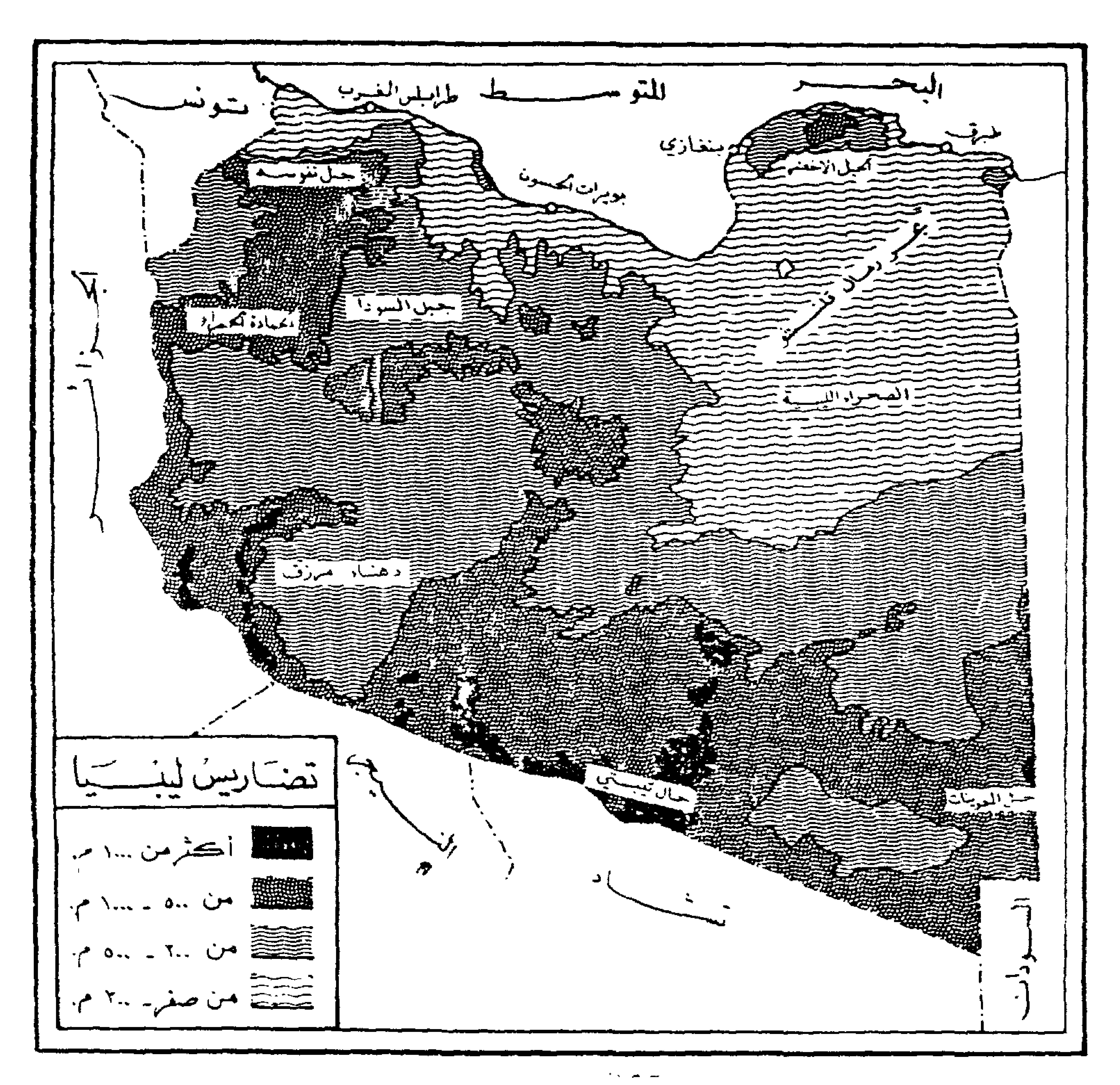
وفي هذه الشريط الساحلى يتجمع معظم السكان، فيعيش ثلثى السكان فى طرابلـس خاصة بين زوارد ومصراته ، حيث يبلغ متوسط المطـر نحـو ٢٥سـم، وأحسـن المناطق حالا هى المثلث المحصور بين غريان - طرابلس - الخمس، من ثم شـهد هذا المثلث الاستعمار الاستيطانى الايطالى حيث يزيد المطر إلى ٣٥ سم، ويعتبر هذا المثلث هو النهاية الشرقية لاقليم الجفاره أى الاستبس الذى يمتد من تونـس نحـو الشرق إلى جبل طرابلس والذى يسمو إلـى ٨٠٠ مـتر ويعتـبر بدايـة الهضبـة الإفريقيه، وفاصلا بين الساحل والداخل.

السكـــــان :

معظم سكان ليبيا من العرب، وإذا كانت هناك بعض جيوب بربرية أمازيغية إلا أنـها بدورها تعربت، وانتشرت بينها العربية كما انتشر الإسلام، ولا يوجد من البربر مـن احتفظ بلغته البربرية إلا أعدادا ضئيلة كسكان واحة أوجلة وغدامس، أمـا سـكان واحات جالو والزاوية فأصبحوا يتكلمون العربية، كذلك يوجد البربر بين سكان جبـل نفوسة في تالوت وجادو، كما توجد دماء زنجية أحيانا، ولاسيما في فزان، ويرجـع

هذا إلى قربها من أقطار إفريقيه الوسطى.

شكل رقم (٦٠) : تضاريس الجماهيرية الليبية



ويتوزع السكان ثلثيهم في طرابلس ونحو المليونين في برقه، والباقى من يسكنون فزان وقد شهد السكان انخفاضا في معدلات الوفيات من ١٩ فى الالف إلى ٨ في الالف بينما ما زالت معدلات المواليد عالية قد تزيد على ٤٠ فى الالف، وبالتالى تكون الزيادة السكانية نحو ٣٠ في الالف.

وأكثر المناطق سكاناً هى السهول الساحلية لمسافة ٣٠ كيلو متر من البحر، وأكثرها وأشدها كثافة في طرابلس من زواره إلى مصرانه وخلف جبل نفوسه، والجبل

الاخضر في برقه، أما فى فزان حيث سبها العاصمة، فالاستيطان وهى، وسبها ذاتها ما هى إلا قرية كبيرة، ولكن أهميتها في كونها المركز الرئيسى لواحات الجنوب.

ولا تزيد نسبة البدو واشباه البدو على ١%، وأعداد البدو الحقيقيـــون قليلـــة فـــي الشمال خلف السهول الساحلية، والمدن الثلاثة الرئيســـية طرابلـــس (١,٥ مليـــون نسمة) وبنغازى ومصراته ثلث السكان، وتزداد أهميته هذه المدن وتضخم ســـكانها نتيجة هجرة السكان من الجهات الداخلية لها، ولهذا نجد أن ٧٥% من السكان فـــى الجماهيرية هم حضريون.

الظروف الطبيعية :

والظاهرة التضاريسية الواضحة في شمال طرابلس، هى سهل الجفارة الـــذى يـــأخذ شكل المثلث بقاعدة ساحلية يبلغ طولها نحو ٢٥٠ كيلو مترا من الشرق إلى الغرب، وتصل إلى ١٦٠ كيلومترا في أقصى اتساعها من الشمال الجنوب، ويتكون النطـــاق الجبلى في طرابلس من الصخور الكريتاسية، ولكن كثيراً ما تظهر طفوح اللابا التـــى ترتفع حتى تصل إلى ٨٠٠ متر، وخاصة في منطقة غريان، وترجع هذه الطفوح إلى ثورانات أواخر الزمنين الثالث والرابع، وتتمثل بصورة واضحة في جبـــل الســـوداء شمال شرقى حوض فزان.

وتظهر الهضبة الليبية الصخرية أو الحمادة إلى الجنوب من الجبل تغطيها القشـــور الصخرية الناتجه عن التجويه، كما تظهر الصخور البازلتية في مساحات واسعة على هيئة مجموعات هنا وهناك، وقد تتجمع لتكون حافات تصل إلـــى ٣٠٠ مـــتر فـــوق المستوى العام للهضبة الذى يتراوح هنا بيـــن ٥٠٠،٦٠٠ مـــتر، ولعـــل الأســـماء المحلية تعطى فكرة عن اختلاف أنواع الصخور، فأحيانـــا يطلـــق عليـــها الحمـــادة الحمراء أى الصحراء الصخرية الحمراء، وأحيانا يطلق عليها جبل السودا أى التلال السوداء.

وإذا انتقلنا إلى الجنوب أى إلى فزان، يأخذ سفح الهضبة في الانخفاض، فتظهر فيـــه المنخفضات والأحواض. بعضها غير منتظم في شكله، وبعضها بيضـــاوى، وتحيـــط بهذه الأحواض حافات صخرية، وهكذا تظهر في فزان الآبار الارتوازيه حيث يمكـــن

الزراعة في الواحات، والتى تمثل جزرا زراعية وسط محيط صحراوى رملى وصخرى، ولعل واحات سبها ومرزق أهم هذه الواحات، كما تظهر منطقة حوضية أخرى متطرفة هى حوض غات، ولكنها في اقصى جنوب غرب ليبيا.

وتغطى الهضبة الاركية في برقة طبقات سميكة من التكوينات الرسوبية التى ترجع للميوسين والايوسين، وهذه بدورها تغطيها رمال الزمن الرابع، وتظهر الفوالق بكثرة كما هو الحال في طرابلس، ولكنها هنا تصل إلى الجهات الساحلية، كما حدثت كثير من الانكسارات الفرعية والثانوية التى أدت إلى ظهور الخلجان، ولذلك ظهرت منطقة برقة الشمالية بارزة في البحر بين خليج سرت من ناحية، وخليج بمبه وخليج السلوم من ناحية أخرى، بينما تنحدر إلى البحر المتوسط في سلسلة من الفوالق السلمية الشديدة الانحدار.

وتظهر المستنقعات والسبخات الملحة بين بنغازى وطوكرة ، وتغذيها دائما مياه البحر المتوسط، وتظهر على هيئة مستنقعات في الشتاء تجف وتتكون فوقها الطبقة الملحية نتيجة التبخر الشديد، من ثم كانت هذه السهول غير مستغلة في الزراعة على عكس ما يتوقع الإنسان. كل ما فى الأمر بقع زراعية صغيرة هنا وهناك.

وإلى الشرق من خليج بومبه في برقة شرق وادى درنة) يقل التنوع في مظاهر السطح الذى يميز وسط وغرب برقه، وإنما مجموعة من المدرجات أو الحافات المنخفضة، وأحياناً تطل الحافة المرتفعة على البحر مباشرة كما هو الحال عند السلوم وطبرق، أما الداخل فالسطح اقل ارتفاعاً عنه في جنوب الجبل الأخضر، وبذلك كانت المنطقة أكثر جفافا وتظهر فيها المياه الارتوازيه، وأن كانت مياهها تميل إلى الملوحة، لذلك فمواطن الاستقرار تقتصر على الشريط الساحلى الضيق.

الإنتاج الزراعي :

تشكل الأراضي القابلة للزراعة نحو ١,٢% فقط من مجمل مساحة البلاد، وتشكل المراعى نحو ٤%، في حين يبلغ الأراضي المروية أقل من ١% من الأراضي القابلة للزراعة، ويمكن تمييز ثلاثة أنماط من الزراعة في ليبيا أملتها الظروف الطبيعية، وهى زراعة الواحات، وزراعة سهل الجفارة والمناطق المتاخمة له من الجبل،

وأخيراً الزراعة والرعى اللذان يسودان شمال برقة، وتعتمد الواحات علـــى غلتيـن رئيسيتين هما التمر والدخن، إذ تحتوى واحات فزان على أحراج من نخيل التمـــر، تغطى الحبوب والخضروات، ويقدر عدد النخيل بليبيا بنحو خمسة ملايين شجرة، كما يبلغ استهلاك الفرد في هذه الواحات نحو رطل يوميا ونظرا لرداءة الأنواع فلم يجـد تمر هذه الواحات طريقه إلى الخارج، اسوة بتمر بسكرة، ويلائـــم منـــاخ الواحـــات الدخن أكثر من القمح والشعير، وأن كانت تزرع مساحات صغـــيرة منــهما أيضـــا بالخضروات والطماطم/ مع بعض الفواكة الأخرى.

شـمـــــالى طـــرابـــلــــس :

يعتبر شمال طرابلس أغنى اجزاء ليبيا من الناحية الزراعية، ويتركز الســكان فـــي المنطقة الساحلية في واحات الجفارة، وكذلـــك فـــي الســهل الســاحلى كـــالخمس ومصراته، وهناك منطقة ثالثة وهى الحافة الجبلية إلى الجنوب من السهل الساحلى، هذه الحافة التى تعرف باسم الجبل ونفوسه، غريان، ترهونة، ويتميز الاستقرار فـــي الواحات الساحلية بعدم استمراره، إذ يفصلها عن بعضها الكثبان الرملية والســبخات الملحية في كثير من الأحيان، وتعتمد الزراعة على المطر شتاء، وعلى مياه الآبـــار صيفاً، ويعتبر نخيل التمر أهم غلات المنطقة، إلا أن الأنـــواع رديئـــة وذات اصـــول مختلفة وإنتاجها قليل، ويعتبر الشعير هو غلته الرئيســية لتحملـــه موجـــات الحـــر والجفاف، كما يزرع القمح أيضا، أما الذرة العريضة فتزرع كغلة صيفية حيث يتوفـو الرى ونباتات الأعلاف في مساحة بسيطة، والزيتون هو غلة الاقليم التقليدية، ويأتى في المرتبة الثانية بعد الشعير، ويعتمد الليبيون على زيته كمادة دهنيـــة أساســية، ويشتهر سهل الجفارة باللوز الذى تصدر منه كميات كبيرة إلى الخارج، وإذا كـــانت زراعة الحمضيات في نمو، فإن نموها بطئ بحيث لا يكفى الاستهلاك المتزايد، كمـــا نمت زراعة الخضروات نمواً كبيراً نتيجة لتزايد عـــدد ســكان طرابلـــس، وظـــهور الباحثين عن البترول وتمارس بعض القرى الساحلية اســتخراج الاســفنج وصيــد الأسماك كما هو الحال في زوارة، ولكن معظم القائمين بـــالصيد يرجعـــون لأصـــول

يونانية وايطالية.

وتقع طرابلس (٥٥٠ الف نسمة) وسط الساحل للجفارة، وهى أكبر مدن ليبيا على الاطلاق، وكانت منذ القدم نهاية الطرق الصحراوية الآتية من الجنوب، أما زوارة والخمس ومصراته وغريان فهى مراكز إدارية وأسواق صغيرة، وقد شيد الايطاليون مدينة حديثة في طرابلس بحيث اقتصرت المدينة القديمة على شبه جزيرة صغيرة، ولا يزال في طرابلس الاف من الايطاليين يعملون بالتجارة ويمثلون طبقة عمال مهرة وكتبة، وتوجد في المدينة بعض الصناعات الصغيره معظمها يعتمد على الإنتاج الزراعى ومنتجات الأسماك، إلى جانب بعض الصناعات التقليدية كالنسيج والمصنوعات الجلدية، كذلك تعتبر طرابلس ميناء ليبيا الأول، فلا توجد في ليبيا ميناء يمكن استقبال السفن التجارية الكبيرة سوى هذا الميناء، ويقع المطار على بعد ٢١ كيلومتر جنوب المدينة، وقد وضعت برامج لتنميته بحيث تبلغ طاقته ١٠ مليون طن.

شمالى برقة :

تختلف الظروف في برقة، فهى وسط بين الرعى والزراعة، فالرعى هو الحرفة الأساسيه إلا أن معظم البدو يقومون بالزراعة، ولذلك يمكن وصف النشاط الاقتصادي بالزراعة المختلطه، مع وضع الرعى في المرتبة الأولى، ويعود الشعير ليحتل المكان الأول بين الغلات الزراعية.

ويزرع القمح كما تزرع الخضروات بساتين صغيرة في الشقه الساحليه، ولكن معظمها مما يعتمد على الرى في العيون، وتعتبر الشقه الساحلية مرتفعة الرطوبة وباردة بالنسبة للنخيل، من ثم حلت محلها الكروم في هذه الجهات، وبصفة خاصة في درنه التى تحميها حافة جبلية خلفها وقد وضعت برامج لتنميته بحيث تبلغ طاقته ١٠ مليون طن في الثمانينات، وكان من نتائج هذه الحماية أن أصبحت المنطقة الوحيدة في ليبيا التى تزرع الموز، هذا كما تزرع الفواكه الأخرى على نطاق أضيق، ولعل الفروقات بين طرابلس وبرقة تظهر في الأرقام التقريبية لاستخدام الأرض.

وتقع بنغازى (٩٠٠ ألف) في أقصى جزء متسع من السهل الساحلى غــرب الجبــل الأخضر ونظراً لتدرج الظهير في ارتفاعه نجد أنه يمكن الوصول منها إلى الطريــق المار بين الشرق والغرب والذى يترك السهل الساحلى، ويرتقى سطح الهضبة، وبها ميناء صغير عميق يتعرض للرياح الشمالية الغربية، وتقتصر التجــارة فيــه علــى الحيوانات والاسفنج، وعلى العموم تعتبر بنغازى المخرج والسوق الرئيسى لغــرب وشمال برقة، وقد أقيمت مشروعات لتوسيع الميناء وتطهيره بعد أن ظـــهر النقــل البترولى في برقه وأصبحت طاقته نحو ٣ مليون طن.

وهناك مدن أخرى تعتبر مراكز لمناطق غنية بإنتاجها الزراعى، وفي نفس الوقت قد تكون نوايات لاقاليمها، وبالتالى تصبح مراكز وأسواق لها كدرنة، كما تعتبر إجدابيـة مركزاً إدارياً وسوقا لاقليم سرت، كما تعتبر طبرق مخرجا للمنتجات الرعوية لبرقــة البحرية، وتكاد طبرق أن تكون الميناء الوحيد التى تنافس ميناء طرابلس في العمق، إلا أن موقعها المتطرف أضاع هذه الميزة.

التطورات الحديثة في ميدان الإنتاج الزراعي :

وتقوم الدولة الآن بإدارة بعض المزارع التى كانت في حوزة الشــركات الايطاليــة، وأممت عام ١٩٧٠، وبعضها تحول إلى مزارع تعاونية، وفي الحــق لقــد شــهدت الزراعة عناية من الثورة الليبية بغية الوصول إلى الاكتفاء الذاتــى، فكــانت هنــاك الثورة الخضراء في الخطة العشرية (١٩٧٣/٨٢) والتـــى تــهدف إلــى التوســع والتحديث في ميدان الزراعة، وكان من ضمن إجراءاتها منح المزارعيــن الصغــار المعونات والقروض لشراء البذور والاسمدة وبناء المساكن، وكانت مهمة التعاوينات شراء المحصول من المزارعين باسعار مناسبة، وتنمية الأبحاث الزراعيــة والقيــام بالمشروعات التى لا يقدر عليها المزارع بمفرده وبدأت فعلا بما يزيد علـــى مائـــة مشروع الغرض منها أن تتحول المزارع التقليدية إلى مزارع حديثة.

ومن أهم تلك المشروعات هو مشروع واحة الكفرة، ذلك أن البحث عن البترول فــي هذه المناطق أدى إلى اكتشاف مياه عذبه في خزانات الحجر الرملى النوبـــى علــى عمق ٢٠٠ متر، وأصبح فى الامكان نتيجة توفر المياه والأسمده أن تصبــح الأرض

منتجة، وقامت شركات البترول بعمل محطة تجريبية، زادت في مساهمتها الحكومة بعد أن آلت إليها، وزرع فعلا ٢٥ ألف فدان من نباتات العلف لتربية الماشية وتسمينها، كما أنشئت مستوطنة مشروعات الكفرة على مساحة أكثر من ١٠ الاف فدان في وسط ٩٠٠ مزرعة تعتمد على الرى قسمت إلى ست عشرة مجموعة وإن كان بعض هذه المستوطنات لم يجعل لها جاذبية كبرى كالاقليم الساحلى.

النهر الصناعى الليبى :

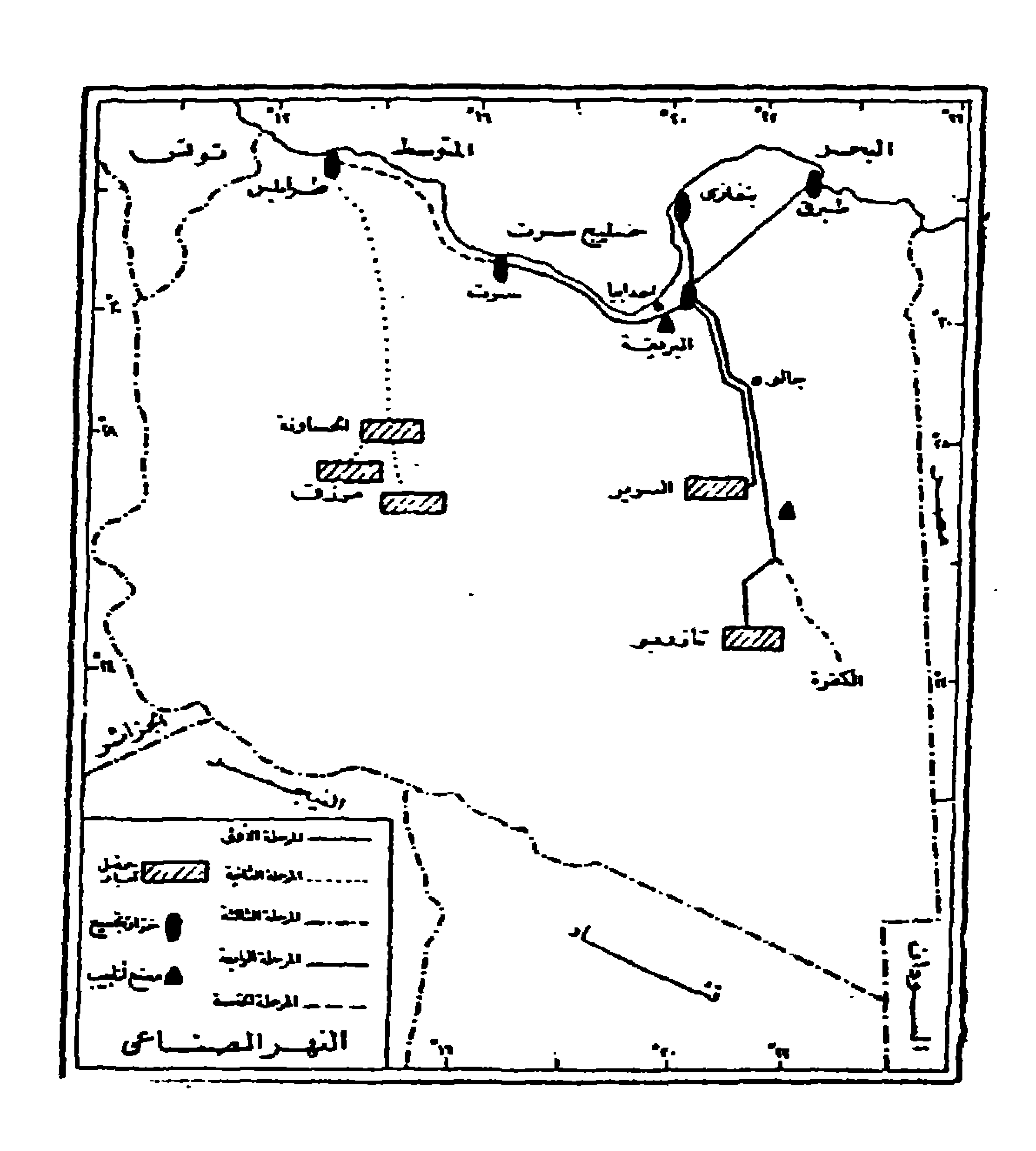
ويهدف هذا المشروع الحصول على المياه العذبة من آبار الصحراء حيث تكوينات الحجر الرملى النوبى في جنوبى ليبيا ومصر وشمال السودان، وذلك بواسطة أنابيب تمتد لمسافة ٢٤٠٠ ميل بقطر ١٣ قدم وذلك لامداد المناطق الساحلية بالمياه حيث توجد أخصب الأراضى الزراعية، وكذلك أكثر من ٧٥% من السكان اذ بدء المشروع فعلا عام ١٩٨٤، وتهدف المرحلة الأولى إلى نقل مليون متر مكعب يومياً من حقل آبار تازربو، ومليون متر مكعب أخرى من حقل آبار السرير إلى خزان تجميع بمنطقة إجدابية حتى يتم ضخ ٨٢٠ ألف متر مكعب من المياه يومياً لمنطة سرت، ١١٨ ألف متر مكعب إلى منطقة بنغازى، وتوزع هذه المياه، لمقابلة احتياجات المدن الساحلية ببنغازى واجدابيا والبريقة، وكذلك مصانع البتروكيماويات في رأس لانوف والبريقيه، فضلا عن مقابلة احتياجات التوسعات في المشروعات الزراعية في كل من جالو وبنغازى وسرت، واستحداث مشاريع زراعية أخرى، ويساعد على هذا الجاذبية وانحدار السطح نحو الشمال.

وتتكون المرحلة الثانية من مجموعة أنابيب لنقل حوالى ٢ مليون متر مكعب من المياه يومياً من منطقة فزان ووادى الاريل إلى المناطق الساحلية بغرب الجماهيرية، وقد افتتح المشروع في ٢٨ أغسطس ١٩٩١ في احتفال بالقرب من بنغازى، ويعد من أكبر المشروعات الخاصة باستغلال المياه الجوفية في الصحراء الكبرى وقدرت تكاليفه بنحو ٢٥ مليار دولار أمريكى.

وإذا كان الهدف الرئيسى من المشروع هو التوسع في الزراعة حيث يستفاد منه في المرحلة الأولى زراعة ٥٠ ألف هكتار (١٢٥ الف فدان) في منطقة بنغازى، ٢٥

ألف هكتار (٦٥ ألف فدان) في المنطقة الوسطى، وفي المرحلة الثانية يستفاد منـــها فى رى حوالى ٩٠ ألف هكتار (٢٢٥ الف فدان) في سهول طرابلس التى اصبحـــت مهددة بنقص المياه، فهناك جوانب أخرى منها توفير مياه الشـــرب وزيـــادة إنتـــاج الخضروات والفواكه واللحوم، واستقرار السكان، والحد من ظـــاهرة الـــهجرة إلـــى المدن، وفتح مواطن عمل للمواطنين الليبيين بمواقع الحقول، هذا فضلا عن تنشـــيط قطاعات أخرى كالانشاء والبناء والخدمات والورش وغيرها.

شكل رقم (٦١) : النهر الصناعى الليبى



البـتـــرول :

يمكن أن نقول بأن هناك حدثان هامان في تاريخ ليبيا الحديث كان من نتائجها تحـول واضح في حياة الشعب الليبي، أولهما حصول ليبيا على الاستقلال في ديسمبر سـنة ١٩٥١، والثانى اكتشاف أول حقول البترول في يونيه عام ١٩٥٩.

كانت ليبيا قبل اكتشاف البترول تعد اقليما فقيرا بين إقليمين أكثر غنا، مصـر في شرقها وتونس في غربها، واضطرت ليبيا إلى قبول المعونات الخارجية التـى بلـغ معدلها ١٤ مليون جنيه سنويا منذ عام ١٩٥٨، أكثر من ثلاثة أرباعها من الولايات المتحدة الأمريكية، والباقى من بريطانيا نظير تأجير قاعدة هويلس بجوار طرابلـس للأولى وقاعدة طبرق كقواعد عسكرية.

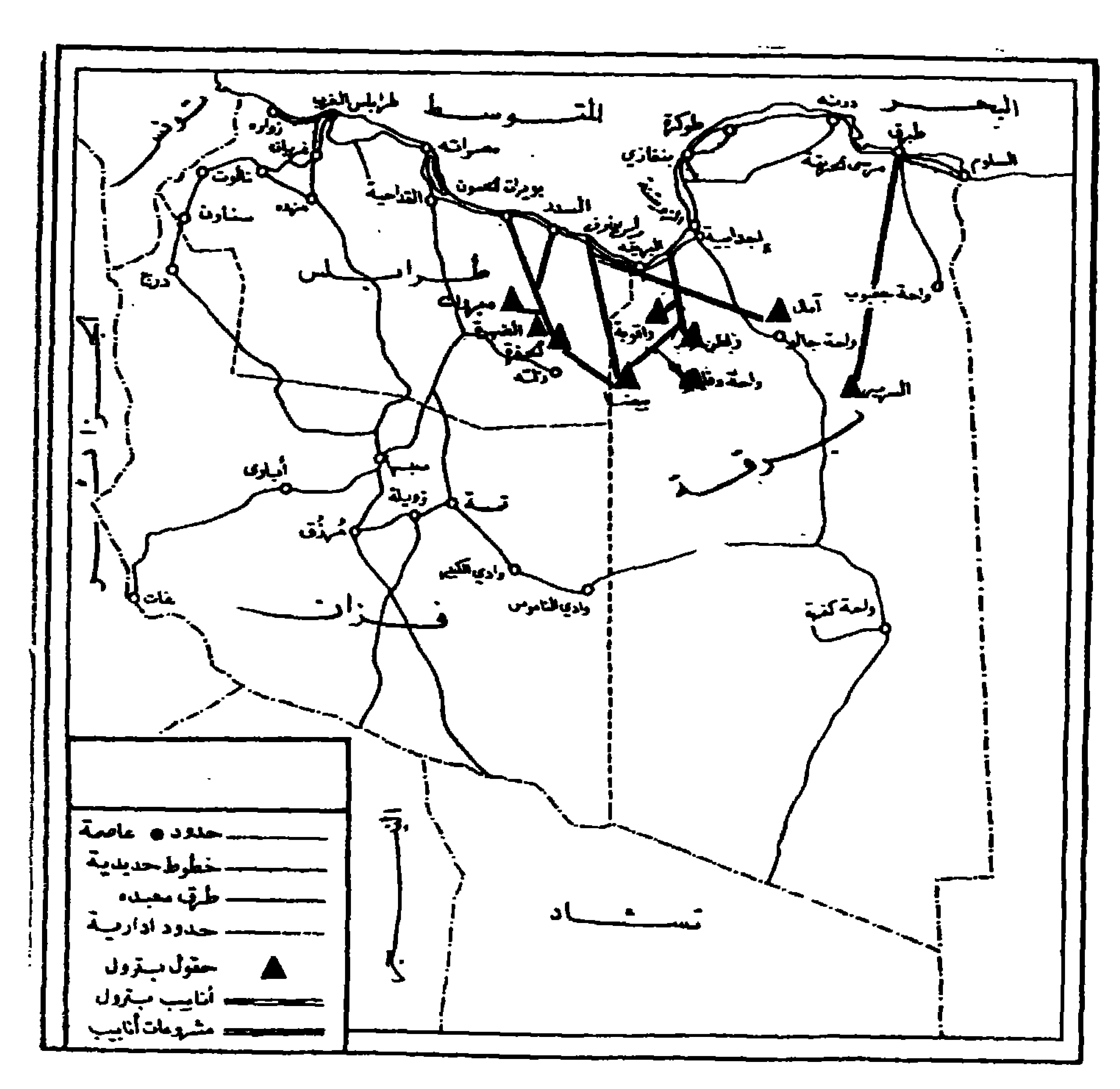
وقد منح أول امتياز للتنقيب عن البترول في ليبيا إلى شركة اسو استاندرد في أواخر عام ١٩٥٥، ثم توالت بعد ذلك أعمال البحث والتنقيب ثم بدأ الإنتـاج عـام ١٩٥٩ حين اكتشف حقل زلطن بعد مرور أكثر رمن سنتين، ثم تصدير أول شحنة من ميناء البريقة في سبته ١٩٦١، أى بعد اتمام خط الانابيب ومرافق للشحن، وقفز الإنتـاج من نحو نصف مليون طن عام ١٩٦١، وهى التى خرجت من حقل زاطن إلـى مـا يقرب من ٤١ مليون طن عام ١٩٦٤ إلى ١٦٠ مليون طن عام ١٩٧٠ وبهذا قفزت ليبيا إلى مرتبة المنتجين الكبار مرة واحدة وهى طفرة لم تسجل دولة عربية مثلـها في السرعة إلا الكويت. ولكن الإنتاج تذبذب نتيجة للظروف الدولية بحيث بلـغ ٦٩ مليون طن عام ١٩٩٩ وكان التخفيض في الإنتاج متعمدا أحياناً من جانب الحكومـة الليبية التى انتبهت إلى استنزاف ثروتها البترولية وآمنت بأن الاحتفاظ به كرصيـد في الأرض خير من الأحتفاظ نقدياً في البنوك الأجنبية، وفي نفس الوقت اسـتطاعت ليبيا بضغوطها رفع نسبة عائدات الدولة إلى ٥٥ % - ٦٠% من صافى الأرباح.

وقد استدعت ليبيا عدداً من خبراء البترول للاستشاره في السياسة التـى يجـب أن تتبعها للحصول على أكبر عائد من بترولها في هذه المراحل الأولـى وكـانت مـن الذكاء حين استخدمت خبراء كان يعملون من قبل في شركة شل، والذين وصفوا في المركز الرئيسى في لندن بأنهم أشواك في لحم ***Thornes in the flesh*** لشـركة

التى دربتهم، وهكذا أصبحت ليبيا تمارس - رقابة فعليــة علــى عمليــة الإنتـاج، وفرضت التأميم الجزئى على بعض الشركات، وتطالب بالمشاركة الفعالة في جمعـها، وفضلا عن هذا أقامت عدداً من معامل التكرير وإسالة الغاز مثـــل معمـــل مرســى البريقة ، بعد أن تطور إنتاج الغاز الطبيعى ليبلغ ١٨ مليون متر مكعب سنوياً.

وتمثل ليبيا المكان الثانى إنتاجاً للبترول في إفريقيه بعد نيجيريا، وأصبـــح تصديـر البترول الخام مسئولا عن ٩٩% من الصادرات الليبية، كمـــا تصـدر ليبيــا الغــاز الطبيعى المسال منذ عام ١٩٦٩ إلى كل من ايطاليا وأسبانيا، مع ذلك يجدر الانتبـاه إلى أن البترول صناعة مكثفة لرأس المال والتكنولوجية وليســت مكثفــة للايــدى العاملة، فهى لا تضم إلا بضعة الاف.

شكل رقم (٦٢) : حقول البترول فى الجماهيرية الليبية



حقول البترول :

يأتى حقل زلطن في المركز الأول إذ أنتج ٦١% من إنتاج ليبيا، ويقع هذا الحقل في برقة على بعد ١٦٠ كيلو مترا جنوب خليج سدرة، وعلى بعد ٢٢٠ كيلو متر، جنوب بنغازى، وتتدفق الزيوت في أنبوبة زلطن بفعل الجاذبية الأرضية لمسافة ٩٠ ميــلا، غير أن العشرين ميلا الأولى أراضى مرتفعة، ولا بد من ضخ الزيت عبرها وينتــهى في مرسى البريقة.

ويأتى حقل السرير في المركز الثاني إذ ينتج نحو ١١,٥% من الإنتاج الليبى، وقــد تم اكتشاف هذا الحقل في أوائل عام ١٩٦٥، أما حقل جالو الذى بلغ إنتاج ما يقــرب من ١١% من الإنتاج الليبى فيقع إلى الشرق من زلطن وتم توصيله بخــط أنــابيب بميناء بريقة بخط قطره ٣٠ بوصة، ومن الحقول الأخرى ذات الأهمية في الإنتــاج الانتصار وناقورة وأمل.

هذا وقد مدت الأنابيب من حقل سرير الذى اكتشفت جنوب جالو إلى مينــاء طــبرق ومن آمال إلى رأس لانوف ومن البيضاء والظاهرة إلى ميناء سدر.

وإذا كانت منطقة خليج سرت قد احتكرت إنتاج البترول فإنه وجد أيضا في فزان على حدود ليبيا مع الجزائر في حقل العطشان، وهذه المنطقــة بطبيعــه الحــال امتــداد للحوض الجزائرى، ورغم أن حقل العطشان هو أقدم الحقول المكتشــفه فــي ليبيــا ١٩٥٧ إلا أن إنتاجه القليل إلى جانب موقعه المتطرف في الداخل أديا إلــى صــرف النظر عنه مؤقتاً، هذا وقد بلغت عائدات البترول الليبى ٢٢,٥ ألف مليون دولار عام ١٩٨٠.

الصناعــــــة :

ومع زيادة الدخل من البترول بدأت عمليات التعمير وتوسع المدن، ونشطت صناعــة البناء، وشجعت الصناعات الاستهلاكية (الملابس _ الأحذيــة - الــورق - بعــض الصناعات المعدنية) ولكن حد منها ضيق السوق المحلى، واستيراد الخامــات مــن الخارج، من ثم هجرت سياسة تصنيع البدائل في خطة (١٩٨١ - ١٩٨٥) وعوضــا

عن هذا زادت الاستثمارات في الصناعات المعدنية، مثل منتجات الحديد والصلب والالومنيوم والكيماويات والبلاستيك، وهذه تكاد تتركز في ستة مراكز ساحلية (زواره، مصراته، سرت، مرسى البريقة، رأس لانوف، أبو قماش).
والملاحظ أن قطاع الخدمات قد ازداد نشاطه في الأعوام الأخيرة، فمع زيادة الواردات، زادت التجارة الداخلية وأعمال البنوك والنقل، كما زاد عدد العاملين في صناعة السياحة نتيجة زيادة أعداد الفنادق، وكذلك زيادة عدد موظفى الدولة، لذلك فهناك هجرة داخلية من مناطق الطرد في الداخل نحو هذه المدن، ونحو معسكرات البترول.

موريتانيا

عرفت عند العرب بإسم شنقيط، وشنقيط قرية عريقة في القدم والعروبة والإسلام، وأشتهر ركبها الذى كان يرد إلى مكة للحج كل عام سيرا على الأقدام، وشنقيط باللغة البربرية (لهجة أزير) معناه عيون الخيل، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة هى وغيرها مثل تشيت وولاته، اما اسم موريتانيا فيرجع إلى عصر الرومان وقرطاجنة، حين كان لفظ موريتانيا يطلق على الجزء الغربى من شمال المغرب وتبلغ مساحة موريتانيا ١,٠٣٠,٧٠٠ كم مربع أو ما يقرب من مساحة مصر، وحجم مساحة فرنسا التى كانت تستعمرها مرتين، أو حجم فرنسا وأسبانيا معاً.
ويمتد ساحل موريتانيا لمسافة ٦٠٠ كيلو متر، مجدبا غير جذاب، تحده أشرطة الكثبان الرملية الساحلية على طول الجبهة البحرية، ولا تختلف موريتانيا كثيرا عن الأقطار الصحراوية الأخرى في ندرة الماء وأن وجد فهو يحدد نوع الحياة وتوزيع السكان (باستثناء التعدين) ومن ثم فيبلغ تقدير سكان موريتانيا في عام ١٩٩٥ نحو ٢,٣ مليون نسمه.
والنظام التضاريسى في موريتانيا له اتجاه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربى فضلا عن سلسلة من الحافات المرتفعة المتجهة نحو الغرب والتى تفصل بين هضاب رتيبة لا ترتفع لمستوى ٥٣٠ مترا إلا في أدرار الغربية، بينما يتألف القسم الشرقى

باكمله من عدة هضاب وحافات جدباء وأحيانا تظهر عند حضيض هذه الحافات ينابيع فتتكون الواحات وخاصة في آثار وتيدجكدجا، وقد تعرضت هذه الهضاب لعوامل التعرية، ولم يبق منها تقريبا إلا بعض القمم الأكثر صلابة، وهذه القمم عادة هى التى تظهر فيها الثروة المعدنية أشهرها جبل الحديد الذى يجرى تعدينه الآن.



شكل رقم (٦٣) : موريتانيا

المناخ والماء :

ويدخل نحو ثلثى موريتانيا في عداد الصحارى وقد لا يشهد مطراً لعدة سنوات وأن سقط فهو يقل عن ١٠٠ سم بإستثناءات محدودة، وفي بعض أجزائه لا تكفي النباتات الطبيعية حتى لرعى الإبل أساس حياة السكان في وسط وشمالى البلاد (قبل التعدين) ويزداد المطر بالاتجاه جنوباً نحو الاقليم السوداني حتى يبلغ نحو ٥٠ سم على وادى السنغال، ومن ثم يصبح في الامكان رعى الأبقار والأغنام، فضلاً عن

الزراعة اعتماداً على المطر، واعتماداً على فيضان السنغال.
وفي ظل هذه الظروف المناخية القاسية، يعتبر الماء عاملا محددا الحياة الموريتانيين بصفة عامة وفي مشروعات التنمية بصفة خاصة.
وأكثر الاقاليم وفرة في موارد الماء هو إقليم شمامة، أو وادى السنغال وفي المنخفضات الصلصالية في الجنوب حيث يمكن الحصول على الماء من أعماق لا تزيد على ٢٠ متراً بينما قد يزيد الحفر إلى ١٠٠ متر في الكثبان الرملية، ويظهر الماء الجوفي بوفرة على عمق يتراوح بين ٤٠ – ٦٥ متراً في الإقليم الذى يحده شمالا خط الج *Aleg*، بودور، كيديا، ولكنها تحتاج إلى آلات لرفعها، وعمل الأهالى منذ القدم سدوداً ترابية لحجز مياه الأمطار، جرى عليها التحسين في الوقت الحاضر وزيدت عدداً، من أشهرها التى شيدت في براكنا والتى تسمح بزراعة خمسة آلاف فدان، وكذلك التى شيدت في كيديا.

سكان موريتانيا :

وموريتانيا في غرب إفريقيه تناظر السودان في شرق القارة وبالنسبة للعالم العربي فهى الجسر الواصل بين شمال إفريقيه وغربيها من ثم كانت أطرافها القصوى هى التى يظهر فيها الجنس الزنجي في شريحة ضيقة في غقليم الشمامة أى في وادى السنغال بنسبة ضئيلة لا تزيد على ٢٠% من السكان الحراتين (أى الزراع).
أما بقية الثلاثة ملايين نسمة فهم من العرب أو البربر المستعربين، وكانت المغرب (مراكش) هى القاعدة البشرية للإسلام وتعريب موريتانيا حتى السنغال، ولنذكر أن كلمة السنغال هى تحريف فرنسى لصنهاجة وهى من كبرى القبائل البربرية المستعربة في العصور الوسطى التى شاركت في الزحف جنوباً.
وهكذا ينقسم سكان موريتانيا إلى البيضان أى البيض الذين يكونون معظم السكان ويتألفون من العرب والبربر المستعربين، والسوادان أى الجماعات المتزنجة التى تعيش في الجنوب، وقد عمل الاستعمار الفرنسى على فصل موريتانيا وتوجيهها نحو السنغال وإفريقيه الغربية، ورغم هذا فلم تستطع فرنسا طمس عروبة موريتانيا.
وفي اعتزازهم عروبتهم ووضع اللثام على وجوهم يقول شاعرهم :

قوم لهم شرف العلى من حمير ∴ وإذا دعوا لمتونة فهم هم
لما حووا علياء كل فضيلة ∴ غلب الحياء عليهم فتلثموا

والتوطن الحضرى في موريتانيا حديث وضئيل في آن واحد ذلك أن نسبة سكان الحضر أقل من ١٠% من السكان، وهذا شئ طبيعي في بلد اربعة أخماس سكانه من الرعاة.

وقد ظلت عاصمة موريتانيا أو مركزها الإداري خارج حدودها في سان لويس، ومنها كان الفرنسيون يديرون كل غرب إفريقيه الفرنسى، أى كتب عليها أن تدار من خارجها حتى عام ١٩٥٧، حين بدأ تخطيط العاصمة الجديدة نواكشوط (٧٠ ألفاً) التى تقع شمال شرق سان لويس بنحو مائتى ميل، وعلى مسافة أربعة أميال من الأطلنطى. وموقع نواكشوط مركزى على الساحل وعلى الطريق الرئيسى، وبالقرب منها شريط من الأرض يصلح كمهابط للطائرات، فضلا عن أن مناخها معتدل بالنسبة لموقعها الفلكى (١٨ شمالا) ويعيبها أنها تحصل على مائها من آبار تبعد عنها حوالى ٤٢ ميلا، أما نواديبو (بورت أتيين) – ٤٠ ألفاً – فتقع على الجانب الشرقي لشبه جزيرة رأس الأبيض *Cape Blanco* ذلك أن شبه الجزيرة ينقسم سياسياً إلى قسمين الشرقي منه تابع لموريتانيا والآخر جزء من الصحراء الغربية، ويرجع تأسيس المدينة إلى عام ١٩٠٧ لرغبة الفرنسيين في تأمين سفن الصيد الرئيسية ولتصبح مستودعاً محلياً، وهكذا إمتدت نواديبو في بيئة صحراوية، واعتمدت على الماء المجلوب لها من فرنسا في الفترة ما بين عامى ١٩٢٢،١٩٢٥ ثم بدأت تحلية ماء البحر بالمعدات الأمريكية، واختير هذا الموقع ليكون نهاية الخط الحديدي الذى يتصل بمناجم الحديد في فدريك، وبدأ تشغيل هذا الخط ١٩٦٣ – ١٩٦٤، وأعد الميناء ليستقبل سفن شحن الحديد حمولة ٦٥ ألف طن.

أما أتار المدينة الرئيسية في الداخل والعاصمة التقليدية لشمالى البلاد فهى مركز لطرق القوافل التى كانت تمر إلى الغرب من تمبكتو وإلى الشمال من الطرارزة، وتتجمع فيها القبائل قبل التحرك إلى دراع، ونظراً لأن الطريق الحديث يتبع الطريق القديم من طرارزة إلى أتار شمالا إلى تندوف، فما زالت آثار تقع على الطريق

الرئيسى عبر موريتانيا، واستمرت إلى يومنا هذا كما كانت في العصور الوسطى مركزاً رئيسياً لتجارة الصمغ والملح والإبل والخيل وزاد من أهميتها زيادة الحركة وظهور سلع جديدة للتجارة.

الاقتصاد التقليدى :

كانت الثروة الحيوانية تمثل قوام الاقتصاد الموريتانى التقليدي قبل اكتشاف الحديد، ذلك أن البدو يكونون نحو ثلاثة أرباع السكان، طبعوا الحياة الاقتصادية والاجتماعية بطابعهم، وتقدر ثروة موريتانيا الحيوانية بنحو مليون رأس من الماشية، و٥,٥ مليون رأس من الأغنام والماعز، فضلا عن ٣٠٠ رأس من الإبل، ٢٠٠ ألف رأس من الحمير، وتتحرك القبائل بحيواناتها لمسافات طويلة على طول محاور شمالية جنوبية بوجه عام بين ألآبار وموارد الماء والعشب، وأهم هذه الهجرات بين سهول الطرارزة والبراكنة في فصل المطر، وبين الضفة الشمالية لنهر السنغال، ويستبدل الرعاة الذرة الرفيعة بماشيتهم وصموغهم مع قبائل الولوف والتوكلور والساراكولية الذين يعيشون في سهول شمامة، يظهرأكبر تجمع للأبقار مباشرة إلى الشمال من ضفاف السنغال، لذلك فرحلتها قصيرة عكس رحلات الإبل الواردة من الشمال عبر ضفاف السنغال، وينظر الموريتانيون إلى ثروتهم الحيوانية كجزء من الثروة الاقتصادية التى يواجهون بها ضروريات الحياة، فهم يتبادلون لحوم الأغنام ويشربون الألبان والدماء، وكثير منهم لا يتصرف فيها بالبيع إلا حين الحاجة إلى النقد للزواج، والولادة. والأعياد الدينية، أو دفع ضريبة، أو غرامة، وهم في ذلك لا يختلفون عن بقية المجتمعات الرعوية سواء في إفريقيه أو آسيا، ومع ذلك فهناك فئة منهم تكونت لديها العقلية التجارية، مستفيدين من الأسواق الداخلية والخارجية، وقد نمت الأسواق الداخلية بعد نمو عملية التعدين وخاصة اسواق فدريك ونواديبو بينما تتمثل الأسواق الخارجية في بلاد المغرب شمالا، حيث تستورد الإبل، والسنغال وغينيا يستوردان سنوياً حوالى ١٠٠ ألف راس من الماشية، ومليوناً من الأغنام والماعز.

وبإستثناء نخيل التمر والشعير والزيتون وغيرها من حاصلات الواحات التى تـــزرع في الشمال، فإن معظم المحاصيل الزراعية تنتجـــها أطـراف موريتانيـــا الجنوبيـــة وخاصة أقليم شمامة أو السهل الفيضى لنهر السنغال، وتبدأ زراعة المحاصيل بعــد انحسار مياه الفيضان والبحيرات، وتقوم بالزراعة الجماعات الزنجية والمتزنجة التى تعيش في الاقليم، حيث يزرعون الأرز والذرة الرفيعة والدخن والبطاطـــا والبطيــخ والتبغ والبصل والخضروات فضلا عن مجموعة كبيرة من البقوليـــات تقـدر بنحــو ١٠٠ ألف طن، هذا كما تقوم زراعة هذه المحاصيل حيثما توفرت المياه الجوفية في أقاليم طرارزة وبراكنة وعصابا، وكذلك الحال في بعض الأودية، أمـــا خـــارج هــذا النطاق فالزراعة محدودة للغاية وتكاد تقتصر على الواحات الغربية خاصة في أدرار، وتاجانت، وعصابا، حيث التمر هو المحصول الأساسي، وتقوم الجماعـــا المتزنجــة بزراعة نخيل التمر والعناية به فضلا عن القمح والشعير.

وكان ارتفاع مستوى المعيشة بعد التعدين معناه زيادة الطلب على المواد الغذائيـــة، من ثم يتجه الرأى نحو التحول عن إنتاج التمـــو،إلـــى زراعـــة الخضـــروات فـــي الواحات، وبدأت واحة اتار ترسل الخضروات جواً إلـــى فدريـــك (فـــورت جـــورو) ونواديبو (بورت أتيين) ونواكشوط، كما يمكن زيادة إنتاج الذرة الرفيعة والآرز فـــي إقليم شمامة، ويشتهر الساحل الموريتاني بثروته السمكية وخاصة شط ارجوين.

ولكن موريتانيا حتى الوقت الحاضر لا تستفيد من هذه الثروة إلا استفادة هامشـــيه، فلا يسهم الصيادون الوطنيون إلا بنحو ١٠% من محصول الصيد في مياه موريتانيا ويرتبط الصيد البحري بإسم قبيلة أيمراجن. التى يتركز صيدها إلى الشمال من رأس نيمرس *Timris* مستخدمة الشباك، وعلى العكس يستفيد الأجانب من الصيـــد فـــي مياه موريتانيا كالصيادين السنغاليين الذين يستخرجون سنوياً نحو ١٥ ألـــف طـــن، والأسبان من سكان جزر كناريا نحو ٥ آلاف طن كما ترتادها أيضا ســـفن أســـبانيا والبرتغال واليونان بانتظام، وأخيرا اليابان، ويقدر أن ما تحمله قد يبلـــغ نحـــو ٨٠ ألف طن سنويا لتنمية حرفة الصيد الوطنية تقوم شركة. (ســـوميت) الموريتانيـــة بتحويل الأسماك إلى دقيق، وتـــدرس الحكومـــة إمكانيـــات إنشـــاء مينـــاء للصيـــد

وثلاجة،وإذا كان بعض الصيد تذهب به السفن إلى مواطنها الأصلية، فإن جزءاً منه يذهب إلى ميناء نواديبو ليجفف بالشمس ويعاد تصديره إلى دول غرب إفريقيه حيث يتنافس هناك مع أسماك أنجولا والنرويج، وتكونت أخيراً شركتان للصيد وثلاجتان لتكونا بمثابة نواة لتخزين ٢٠ ألف طن من الأسماك.

هذا كما يجمع الصمغ العربى من أشجار السنط، وكان يشترك بنصيب في الصادرات التقليدية، ولكن حدوث موجات الجفاف المتكررة أدى إلى نقص الصادر منه بنحو الثلثين من مجموعة الذى كان يبلغ نحو ٥ آلاف طن قبل هذه الموجات.

الأقتصاد النقدي :

تعطي موريتانيا مثلا حيا على أثر اكتشاف ثروة معدنية على اقتصاديات دولة نامية، فقبل عام ١٩٦٠ كانت موريتانيا قطراً فقيراً يعتمد على الاقتصاد التقليدي الممثل في الرعي والزراعة، وكانت فرنسا تمدها بالمساعدة السنوية على اعتبار أنها قطر تابع، ولكن تبدل حالها من بعد عسرها يسراً باكتشاف احتياطى من خامات الحديد يزيد على ١٠٠ مليون طن، وبنسبة من المعدن في الخام تصل إلى ٦٥% وأحياناً ٧٠%، وتتميز الخامات بالنقاوة ذلك أن نسبة الفسفور فيها لا تتعدى ٠٢٢. ويوجد خام الهيماتيت هذا في كوارتزيت القمم الشمالية لسلاسل كيديا ديد جيل التى يربو ارتفاعها على ٧٠٠ متر، وترتفع فجأة منفردة وممتدة لمسافة ٢٠ ميلا إلى الشرق والجنوب الشرقي من فدريك، وإلى الغرب من هذه السلسلة يوجد شريط آخر من الخامات بسمك يتراوح بين ٢٧، ١٠٨ أمتار.

وتأسست شركة ميفرما عام ١٩٥٩ التى يشرف عليها مكتب الأبحاث الجيولوجية والمعدنية والفرنسية، ويمتلك أسهم شركة ميفرما للشركات الفرنسية والبريطانية والإيطالية والالمانية ومنحت الشركة ٥% لحكومة موريتانيا.

ولكن هذه الشركة أممت نظراً لاحتكار الوظائف الرئيسية للآجانب وحرمان الموريتانيين منها، وبلغت شحنات الحديد المصدرة من نواديبو من ١,٣ مليون طن عام ١٩٦٣ إلى ٩ مليون عام ١٩٨٣ من مناجم زويرات ***Zouarete*** وباستغلال

مناجم رويسيا *Rouessa*سوف يزيد الإنتاج إلى ١٢ مليون طن.
وتوجد عروق النحاس في اكجوجيت *Akjoujit* على بعد ٢٤٠ كيلو متراً شمال شرقي نواكشوط وتظهر طبقات السطحية مكونة من أكاسيد النحاس، يليها كبريتات النحاس ويقدر الاحتياطي بنحو ٢٧,٣ مليون طن منها نحو ٢٠ مليوناً من كبريتات النحاس، ونسبة المعدن فيها ٢,٩%، وبدأ صادر موريتانيا من النحاس بكمية قدرها ٢٤٠ طنا من الخامات، نظرا لارتفاع تكاليف تنقية الخامات، وظهور مكلات التشغيل أغلق المنجم مؤقتا.
وقد تألفت الشركة الوطنية للتصنيع والتعدين، وذلك لتنشط البحوث واستغلال الثروة المعدنية. وكان أول عمل لها هو دراسة رواسب النيس في إقليم درامينشا على بعد ١٠٠ كم من نواكشوط، وسوف تبحث الشركة أيضاً احتمالات تأسيس صناعة تكرير النحاس وصناعة الحديد والصلب، هذا وقد عقد اتفاق بين حكومة موريتانيا وبين الشركة النمساوية لبناء معمل تكرير البترول، ويتكلف هذا المشروع ٦٥ مليون دولار على أن ينتهى بعد ثلاث سنوات أى عام ١٩٧٧، وتبلغ طاقة العمل مليون طن سنوياً تستورد من الجزائر.

النيجر

إذا كانت موريتانيا وليبيا تمثلان دولا في الإقليم الصحراوي، فإن النيجر تتميز عليها بأنها لا تطل على بحر فهى دولة حبيسة في الصحراء تبعد عن البحر بنحو ٦٠٠ كيلو متر، يحدها من الشمال الجزائر وليبيا ومن الجنوب بنين ونيجيريا ومن الشرق تشاد وأقرب ميناء بحرى لها هو كوتونو وميناء(بنين) على بعد ٦٥٠كم.
ويتميز المظهر التضاريسى للنيجر بالرتابة ، جزء من الكتلة الإفريقيه البلورية تغطيها تكوينات القارية، وتسويها عوامل التعرية الصحراوية، ويتراوح هذا السطح الرتيب ما بين ٢٠٠، ٥٠٠ متر فوق سطح البحر مكوناً من هضاب من اللاترتيت وأحواض تغطيها الكثبان الرملية، وتلال منعزلة، وان كانت هناك بعض الجبال البركانية القديمة تظهر في كتلة إير فى الشمال الغربى حيث تعلو قمة جبل تامجاك

إلى ١٨٠٠ متر فوق وادى إفروان، ويرتفع السطح أيضاً في الأجزاء الغربيـــة مـــن هضبى تبستى، ويجرى نهر النيجر في جنوب غربى البلاد من حدود مالى لمســـافة ٢٠٠ كيلو متر في وادى عريض ترفده أودية جافة.

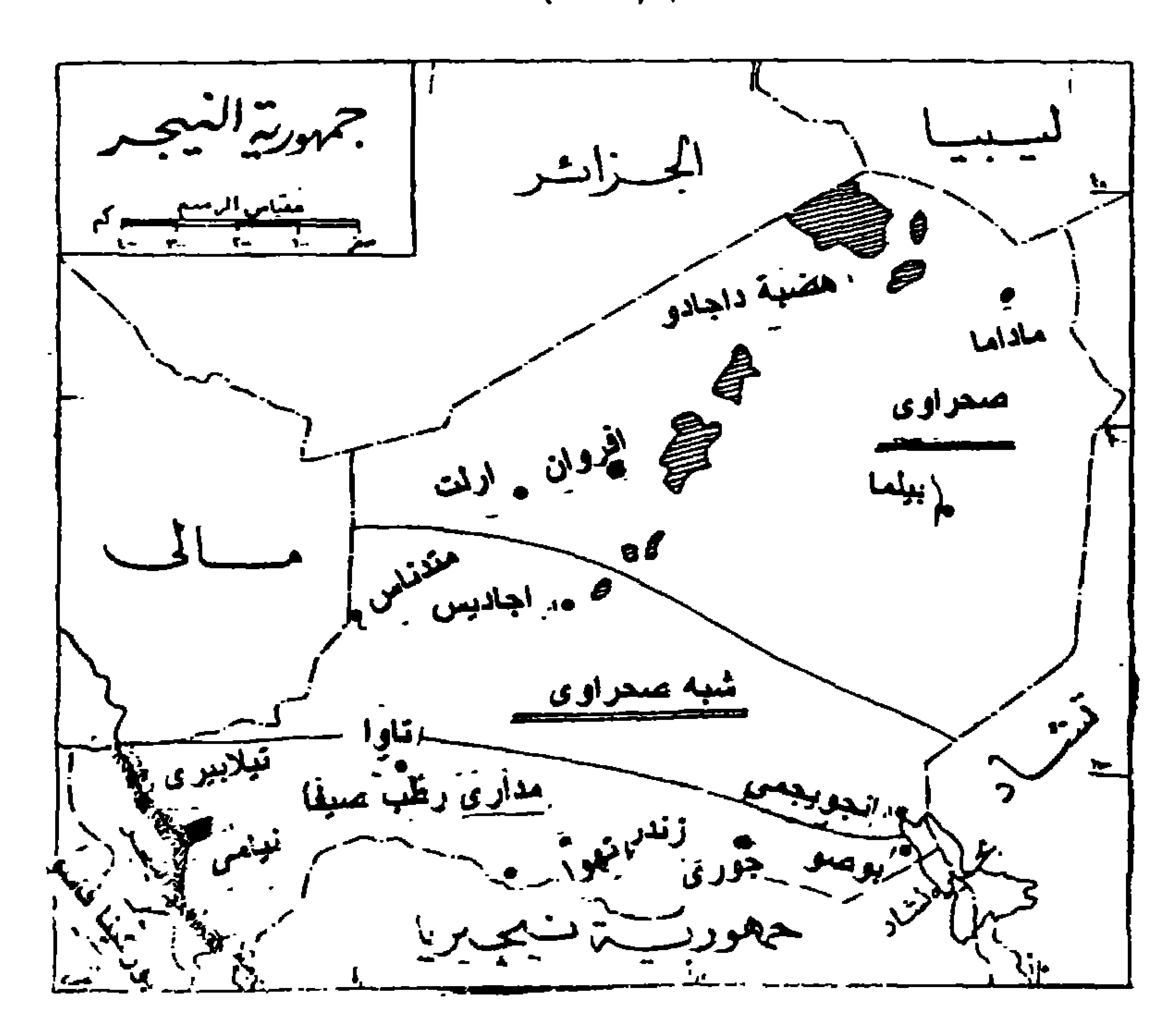
ونظراً لوقوع النيجر بين دائرتى عرض ١٢ شمالا ومدار السرطان، كانت أكثر الـدول الحبيسة التى تتمثل فيها الظروف الصحراوية فهناك شريط ضيق يتمثل فيه المنـــاخ المداري الرطب صيفاً في أقصى الجنوب من نهر النيجر إلى بحيرة تشاد، ثم تبدأ بعد ذلك الظروف شبه الصحراوية، ثم الظروف الصحراوية المثالية شمال دائرة العـوض السادسة عشر، وهكذايبلغ المطر صيفا ٥٠ سم في الشريط الجنوبي، لينخفض إلـــى ما دون ٢٠ سم شمال دائرة عرض ١٦° فهو في اجادس مثلا لا يزيد على ١٠ سم، وأن كان عامل الأرتفاع له أثره فيسقط على هضبة أير مطر أغزر مما حولها، بـــهذا يمكن تقسيم النيجر إلى ثلاثة أقاليم رئيسية هى :

١-الأقليم المداري الرطب صيفاً، ولا يتعدى هذا ١٠% من مساحة البلاد في أقصـــى الجنوب.

٢-الأقليم شبه الصحراوي أو إقليم الساحل ونسبة مساحته نحو ٣٠%.

٣-الأقليم الصحراوى المثالي ويشمل ٦٠% من المساحة ومعظمه غير مسكون.

شكل رقم (٦٤) : الـــــنيجـــــر



سـكـان النيجـر :

ويعيش نحو ١٠ مليون نسمة في مساحة تزيد على مساحة مصر، أو تبلغ مساحة النيجر نحو ١,٣ مليون كيلو متر مربع، وبذلك تصبح مخلخلة بالسكان، ويتركز السكان في أقصى الجنوب على مشارف نيجيريا، وفي مثل هذه البيئة تقل نسبة الحضر فلا تزيد على ٥% يتركزون أيضاً في الجنوب حيث تتركز المدن مثل نيامى العاصمة (١٠٠ ألف) التى تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر، ومن المدن الهامة أيضا زندر (٤٥ ألفا) ومارادى (٣٠ ألفا) وأجادس أقل من (١٠ آلاف).

والقبيلتان الرئيسيتان اللتان تعيشان في النيجر هما الهوسا، والصنغى وديجيرما، ويؤلف الهوسا نحو نصف السكان ويعيشون في الجنوب شرق البلاد ووسطها، وكما أن الهوسا ينتشرون خارج النيجر، كذلك الحال في الصنغى ديجيرما فهم ينتشرون أيضاً في مالى وشمال بنين ويكونون نحو ٢٥% من السكان ويتركزون في الغرب وعلى طول وادى النيجر. وكان هذا النهر هو محور امبراطورية صنغى القديمة خلال القرنين الخامس والسادس عشر أما في شمال النيجر فتمتد القبائل على هيئة مجموعات صغيرة من الرعاة، منهم الطوارق والتبو والفولانى وقد وصل الطوارق من الشمال إلى هضبة إير، وبلغوا النيجر حوالى القرن السابع، ويظهرون ايضاً في وسط وغرب البلاد، أما التبو فيعيشون في الأراضى السهلية ما بين هضبة تبستى وبحيرة تشاد، وقد استقر بعضهم تماما في هضبة تبستى، أما الفولانى فمنهم الرعاة ومنهم المستقرون في جنوبي البلاد.

ولا تقتصر مشكلة النيجر على بعدها الساحق عن البحر، بل تتمثل مشكلتها في تدهور طرق النقل، فلم يكن هناك طرق مرصوفة عام ١٩٧١ سوى ٥٠٦ كيلو متر، وأهم هذه الطرق الدولية طريق مالى - النيجر - تشاد عن طريق نيامى - مارادى - زندر وتتفرع منه طرق ومدقات في الاتجاهات المختلفة، هذا بينما تخلو النيجر من الطرق الحديدية وتخرج معظم تجارتها عن طريق مينائى لاجوس وكوتونو.

النشاط الاقتصادي :

وتعتمد اقتصاديات النيجر على الزراعة والرعي، ذلك أن ٧٧% من سكانها ريفييـــن مستقرين، بينما ١٨% بدو وأشباه بدو، ولما كانت ثلاثة أربـــاع مســاحة البــلاد لا يسقط فيها مطر تعتمد عليه زراعة ، فقد تركزت في الجنوب والجنوب الغربي.
والدخن هو محصولهم الرئيسى وطعامهم الوطنى، وإذا كان إنتاجه يبلغ نحو مليـــون طن، فان هذا الرقم يتذبذب بصورة حادة تبعاً للمطر، وتأتي الذرة الرفيعة كالمحصول الثاني في الأهمية بين الغلات الغذائية، ومن المحاصيل الغذائية أيضا البطاطا واللوبيا والبامية والبصل والكاسافا والذرة والآرز والقمح، وقد توسعت النيجر فــي زراعــة الآرز في وادى النيجر في إقليم مارادى وزندر اعتماداً على الرى من النهر.
أما المحصولات النقدية فتتمثل في الفول السوداني ويتروواح إنتاجه بين ١٥٠ ألــف، ٢٠٠ ألف طن سنوياً، ويتركز بصورة خاصة فى وادى النيجر فــي اقليــم دوســو: ونيامى، وتيلياوى، ومارادى، وزندر، ويصدر معظم الإنتاج إلــى الخـــارج، ويتجــه إنتاج إقليم الغربي إلى ميناء كوتونو، بينما يتجه إنتاج الإقليمين الأوسط والشـــرقي إلى لاجوس كذلك توسعت النيجر في زراعة القطن ولكن كميته محدودة لـــلآن (١٠ آلاف طن) وهناك أيضاً قصب السكر والتبغ ولكن الظروف المناخية لاشك تحد مــــن هذا التوسع وتشتهر النيجر بثروتها الحيوانية التى تتألف من نحو ٥,٥ مليون رأس من البقر، ونحو ٦ مليون رأس من الماعز، ٢ ملايين رأس مـــن الأغنـــام، وبذلــك تعتبر من الدول الغنية بثروتها الحيوانية، ولكن هذه الثروة الحيوانية ضاع نصفـــها تقريباً في السنوات العجاف التـــى شـــاهدها نطـــاق اقليــم الســاحل بيــن عــامى ١٩٧٣/١٩٦٩.

وعرفت النيجر التعدين إذ استخرج من هضبة اير الكاسترايت والتنجستن منــذ عــام ١٩٤٩م وصدر عن طريق لاجوس، كما أستخرج الحديد بالطرق البدائية، وأن كـــان إنتاجه التجاري لم يبدأ إلا عقب الاستقلال، ولكن أهم معدن أشتهرت به النيجر هـــو اليورانيوم، فقد أكتشف منذ عام ١٩٦٠ في ثلاثة مواطن له في هضبة ايروارليـــت، ويقدر احتياطى اليورانيوم بنحو ٢٨٠ ألف طن، ويقوم مصنع ارليت على استخلاص

معدن اليورانيوم من خامات جبل اير الذى بدأ إنتاجه عام ١٩٧١ بنحو ٤١٠ طن ليرتفع بعد ذلك إلى الفى طن، وتقوم بتشغيله شركة سوميل الفرنسية ويعيبه هذا البعد السحيق حتى أنه ينتقل جوا إلى كوتونو في بنين، وتقوم ايضا (الشركات الفرنسية واليابانية والأسبانية) بتشغيل المصنع الثانى في اكوتا ***Akouta***.

كما بدأت شركة سوميل الفرنسية في استغلال مناجم تازه، وقد بلغ متوسط مجموع الإنتاج في التسعينيات نحو ٣ آلاف طن، هذا وهناك كميات محدودة من الكاسيتريت (خام القصدير) والفحم والملح.

رغم نمو صناعة استخراج اليوارنيوم، فما زالت النيجر تعد من الدول الفقيرة، فقد أطبق عليها انخفاض أسعار اليورانيوم، فضلا عن موجات الجفاف المتلاحقة لتظل فقيرة، ويظل ٩٨% من سكانها يعتمدون على الاقتصاد التقليدي زراعة ورعى.

الصحراء الغربية *

تمتد على الحافة الغربية للصحراء بمساحة تبلغ ٢٦٦ ألف كم٢ وبسكان يبلغون نحو ٦٠ ألفا أى بمتوسط كثافة قدرها ٢ نسمة للكم٢، وهى في هذا لا تشذ عن الأقاليم الصحراوية، غير أنها تشرف على المحيط الأطلنطى بساحل يبلغ طوله ١١٢٥كم. وهذا الساحل غنى بثروته السمكية، نظراً لمرور تيار كناريا البارد بجواره، ويظهر تأثير هذا التيار في تلطيف درجة حرارة الجهات الساحلية ولمسافة ١٠ كيلو متر في الداخل، ويظهر اثره أيضا في أرتفاع نسبة الرطوبة، وتحولها إلى ندى ليلا، مما يساعد على أنعاش الحياة النباتية ممثلة في الحشائش، فضلا عن إمكان زراعة بعض المحاصيل، أما في الداخل فهى صحراء بجفافها وكبر مداها الحرارى اليومي، كما تظهر فيه ملامح الصحراء الجمورفولوجية فالهضبة لا يزيد أرتفاعها على ٦٠٠ متر، تغطيها أحياناً الأحواض الرملية، وتغطيها أحياناً أخرى

---

* كان يطلق عليها الصحراء الأسبانية أو اقليم نهر الذهب والساقية الحمراء وهى متنازع عليها بين المغرب وسكانها الأصليين (تنتهم جبهة البوليزاريو) بعد خروج الأسبان.

المنخفضات السبخات والأوديه الجافة، وتنتهى الهضبة إلى البحر أحياناً بجروف حادة كما هو الحال عند رأس بوجادور.

ويتألف معظم سكانها من البدو الرحل وخليط من العرب والبربر، مع قلة من المستقرين الذين يمارسون الزراعة في الواحات الشمالية، وينتمى هؤلاء البدو إلى ثلاث مجموعات قبلية كبرى هى :

التكنا على حدودها مع دولة المغرب وقد أصبحوا الآن شبه مستقرين في الواحات يمتلكون الأرض الزراعية.وتتجول الرقيبات في الوسط والجنوب ما بين حدود موريتانيا والجزائر.

أما المغاربة وهم خليط من العرب والبربر فيعيشون قرب حدود موريتانيا، وتتجول قبيلة الايمراجوين على طول الساحل بحثا عن الصيد البحري الثمين فيما بين فيلاسيزنورس وحدود موريتانيا.

وباستثناء قبيلة الايمراجوين التى تعيش على صيد الأسماك، فإن الباقي يرعون الأغنام الماعز والآبل، وقد تدهورت طرق القوافل التى كانت تمر بالاقليم من قبل، وكذلك التجارة التى كانت تحملها، ولم يبق منها إلا مبادلة الحبوب في الواحات بالماعز والأغنام.

وكانت تعيش جالية أوربية معظمها من الاسبان بعدد يقدر بنحو ١٦ ألف نسمة عام ١٩٧١ ويتركزون في الاقليم الساحلي وفي الشمال وخاصة في فيلاسيزنورس الميناء الرئيسى وفي العيون العاصمة، ومعظم هؤلاء من الموظفين ومنهم ٩ آلاف جندي سيتوقف بقائهم حسب الأحوال السياسية، وكان البرتغاليون أول من وصلوا إلى سواحل الاقليم عام ١٤٣٤م، ثم في الداخل عام ١٤٤٥م، ولكن فقز الأقليم لم يكن جاذبا لهم، بينما استقر الأسبان في جزر كنارى في النصف الأول من القرن الخامس عشر، واستمر هذا الأقليم بالنسبة للأسبان حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ليس إلا محطة على طريق الأطلنطى، وفي مؤتمر برلين أمكن لأسبانيا أن تضم رسمياً الاقليم الساحلي من رأس بوجادور إلى رأس بلانكو (الأبيض)، ووضعت حدود المستعمرة بمقتضى اتفاقيات بين فرنسا واسبانيا في أعوام ١٩٠٠،

١٩٠٤، ١٩١٢.

وقد ظلت الساقية الحمراء ونهر الذهب تعدان من أفقر جهات العالم، حيث لا تقدم سوى الحياة الرعوية أو شبه الرعويه، ولم يكن في ألأمكان قيام الزراعة المستقرة سوى في واحات الساقية الحمراء في الشمال حيث تزرع الذرة والخضروات والفاكهة، لذلك كان صيد الأسماك هو المسئول عن معظم دخل هذا الأقليم، ولكن المستفيد الأكبر هو الاسبان الذين يجمعون الصيد ويتجهون به إلى جزر كنارى حيث يعلب فى المعامل المقامة هناك، ويبلغ المحصول السنوى نحو ٤ آلاف طن.

غير أن الحال سيبدأ في التغيير بسبب الثروة المعدنية وقوامها الفوسفات والحديد، وتعتبر رواسب فوسفات الكالسيوم في بوكراع من أغنى الرواسب العالمية، إذ يقدر احتياطيهاً بنحو ٦٠٠ مليون طن، ولعل أحد مشاكل استغلاله هو عدم وجود المنفذ القريب التصدير، نظراً لأن طرفاية وهى أقربها أصبحت جزءا من المغرب، ومن مشكلاته أيضا ندرة الماء، ذلك ان عملية تركيز الخام ستصبح صعبة للغاية. من ثم لا بد من تسهيلات نقلية كبيرة وقد تكون باهظة التكاليف، ولكن من المنتظر استغلال هذا الاحتياطي الضخم بعد استقرار الأوضاع السياسية.

وأكتشفت خامات الحديد في وسط اقليم نهر الذهب وان كانت تشوبها أكاسيد التيتانيوم. هذا وقد دار صراع بين المغرب وموريتانيا والجزائر على اقتسام الاقليم بعد إعلان أسبانيا مغادرتها له، ولكن يظهر أن هناك أتفاق قد تم بين موريتانيا والمغرب على اقتسامه دون الجزائر. من ثم تشجيع ألأخيرة حركة "البوليزاريو" التى تنادى باستقلال الاقليم. وقد تنازلت موريتانيا الآن عن القسم الخاص بها، وأصبح النزاع الآن بين المغرب والبوليزاريو التى تؤيدها الجزائر وليبيا.



ملثم في الصحراء الكبرى

الفـــــصل الخـــامــــــس

حوض النيل والقرن الأفريقي

حوض النهر: يقصد بحوض النهر مجموع الأراضى التى تنحدر نحو مجرى النـــــهر وروافده، وتغذية بالمياه، والتى لو سقطت عليها الأمطار -أو تفجرت فيها اليـنـابيع- لإنحدرت إلى مجرى النهر، على هذا الأساس يشغل حوض النيل مساحة واسعة فـــي النصف الشرقي من إفريقيه الشمالية، إذ تبلغ مساحته نحو مليونين وتسعمائه ألــف من الكيلومترات المربعة.

والحد الجنوبي لحوض النيل يسير مع قمم المرتفعات الواقعة فـــي جنـوب بحـيرة فكتوريا والتى تعرف باسم تلال انياموبزى، أو جبال القمر، أما الحد الشرقي فيتبـــع المرتفعات التى تتألف منها الحافة الغربية للاخدود الشرقى ثم يســـير مـــع الحافـــة الشرقية لهضبة اثيوبيا . ويستمر في اتجاهه نحو الشمال الغربى مع قمم جبال البحر الأحمر. حتى إذا جاوز خليج السويس وانتهت تلك المرتفعات، كان الحـــد الشـــرقي لحوض النيل هو مرتفعات شبه جزيرة سيناء، وبذلك يصبح الحد الشـرقى لحـوض النيل واقعاً غير بعيد من فلسطين، حيث أن قناة السويس لا تعتبر حدا طبيعياً.

ويبدأ الحد الغربي جنوباً من جبال موفمبيرو، ثم يتبع الحافة الغربية للاخدود الغربـى الذى يقع فيه بحيرة البرت، ثم يتجه نحو الشمال الغربى مع مقسم المياه بين النيـــل والكنغو ثم يغير إتجاهه نحو الشمال ليسير مع مرتفعات دارفور، وبعدها يسير فـــي خط متعرج يقترب من النيل حينا ويبعد عنه حينا آخر، كما فـــي منطقـــة منخفـض الفيوم، حتى ينتهى إلى البحر المتوسط غرب الاسكندرية.

وبذلك يمتد حوض النيل على وجه التقريب بين دائرتـــى عــرض ٤ جنوبـــاً ٣١,٥ شمالا، فهو بذلك يشغل نحو ٢٥ دوائرر من دائرة العرض ، وكان لامتداده الـــهائل من الجنوب إلى الشمال، أن ضم خمسة اقاليم جغرافية كبرى، لكل منـــها مميزاتـــه الخاصة، وهذه الاقاليم هى: الاقليم الاستوائى اقليـــم حشـــائش الســـفانا، الاقليـــم الصحراوى، اقليم البحر المتوسط، والاقليم الموسمى بهضبة اثيوبيا.

ويندر أن تتوفر هذه الظاهرة في حوض أى نهر آخر، فحوض نهر الكنغو، وكذلك حوض الامزون، يقعان في اقليم طبيعي واحد هو الاقليم الاستوائى.

النيل

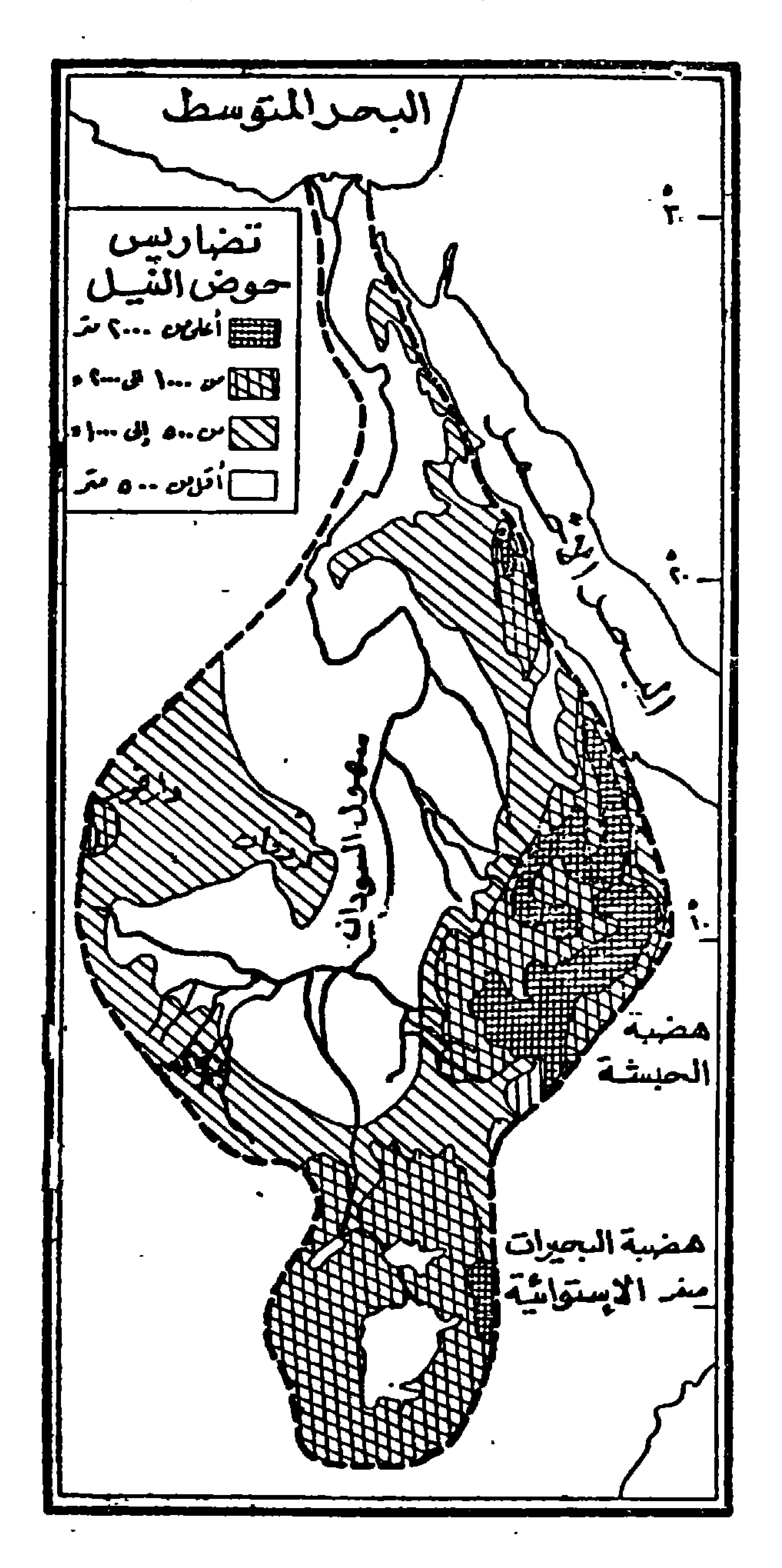
النيل ثانى أنهار العالم طولا، ذلك أن مجراه يمتد لمسافة ٦٦٧٠كم حتى يصل إلى البحر المتوسط، ولا يزيد عليه في الطول سوى نهر المسيسبى ورافده المسورى إذ يبلغ طواله ٦٧٦٠ كم، وبالتالى يصبح النيل أطول أنهار إفريقيه، وإن كان يأتى الثاني بعد الكنغو من حيث مساحة حوضه، فمساحة حوض النيل تزيد قليلا عن ثلاثة ملايين كيلو متر مربع على حين مساحة حوض الكنغو تقترب من ٣,٧ مليون كيلو متر مربع. ويرجع هذا إلى أن حوض النيل يضيق في القسم الأوسط ويشتد ضيقه في القسم الشمالى.

وقد جرت العادة على تقسيم مجرى أى نهر من الأنهار إلى ثلاثة اقسام وهى: المجرى الأعلى أو السيل: ويتصف بشدة إنحداره، لسرعة جريانه، وعمق مجراه وضيقه. وقدرته الفائقه على النحت، وتكثر به الشلالات والجنادل مما يجعله غير صالح للملاحة، أما المجرى المتوسط: فهو متوسط الانحدار، معتدل الجريان، ينحت قليلا ويرسب قليلا مجراه في الأغلب متوسط العمق والاتساع، صالح للملاحة، بينما يقع المجرى الآدنى قرب المصب، ويكون عادة قليل الانحدار بطئ الجريان متسع المجرى. يرسب على جانبيه وفي قاعة ما قد جلبه النهر من رواسب مكونا سهلا فيضيا، وتصلح فيه الملاحة.

على أن التقسيم لا يطبق على نهر النيل :

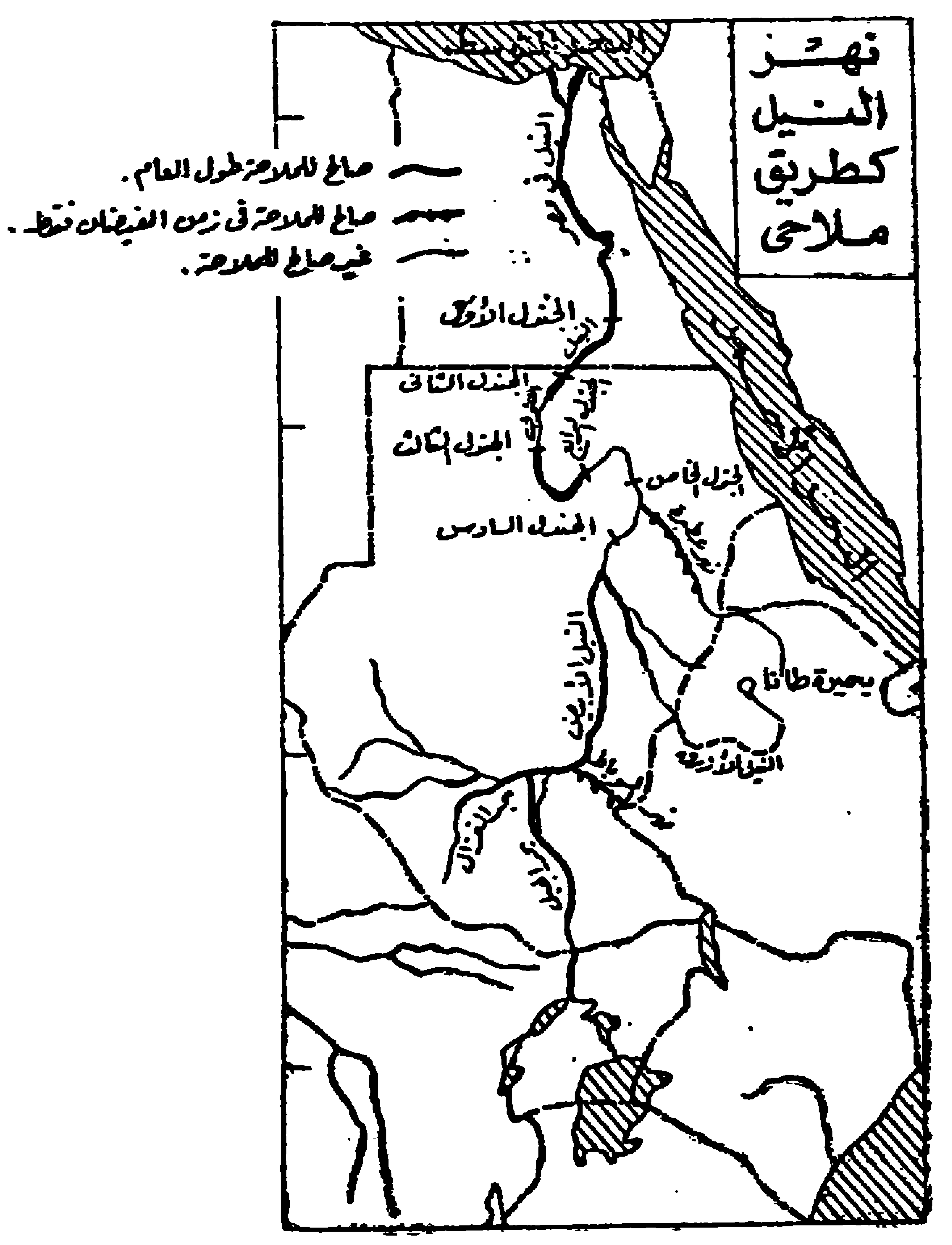
فليس هناك تدرج في إنحدار النهر من المنبع إلى المصب، فبينما يقل الإنحدار جدا في بحر الجبل الأدنى والنيل الأبيض ، يعود ليشتد في النيل النوبى في منطقة الجنادل الستة بعد أن قطع أكثر من نصف المسافة من المنبع إلى المصب. كذلك قلة الانحدار في الجزء الأوسط من مجرى نيل فيكتوريا رغم وقوعه في منطقة المنابع، ومازال أمامه نحو ستة آلاف من الكيلومترات قبل أن ينتهى إلى البحر المتوسط.

شكل رقم (٦٥) : تضاريس حوض النيل



هذا الشذوذ الواضح في مجرى النيل، نتج عن كونه مجموعة من الأنـــهار القديمـــة اتصلت ببعضها في زمن جيولوجي حديث نسبياً، ومناطق الاتصال هذه، هـــى التـــى تظهر فيها بوضوح المساقط والجنادل والحوانق.

شكل رقم (٦٦) : نهر النيل كطريق ملاحي



وعلى هذا ينبغى عند دراسة وصفه مجرى النيل، ألا نتقيد بالتقســيم للأنــهار بــل يحسن تقسيمة إلى عدة أقسام تتفق مع ظروفه على النحو الآتى:

(أولا) النيل في المنابع الاستوائية :

وهى تضم المجارى النهرية والبحيرات التى تقع في هضبة البحيرات، وتتألف مــن مجموعتين، مجموعة بحيرة فكتوريا والمجموعة الالبرتية.

(أ) مجموعة بحيرة فكتوريا :

تتوسط بحيرة فكتوريا هضبة البحيرات وهى تأتى في مقدمة بحيرات العــالم القديــم إتساعاً، إذ تبلغ مساحتها نحو ٦٩,٠٠٠ كيلو متر مربع، ويصب فيها عدد كبير مــن النهيرات والأنهار، أهمها نهر كاجيرا الذى ينبغ بالقرب من بحيرة تنجانيقـــا علـــى دائرة عرض ٤ جنوباً. وهو يعتبر بداية نهر النيل.

ويبلغ متوسط عمق بحيرة فكتوريا ٤٠ متراً وان كان يبلغ ٨٠ متراً احياناً، كمـــا أن سطح المياه أحياناً يبلغ ارتفاعه نحو ١١٢٣ متراً فوق سطح البحر.

نـــيــــــل فكتوريــــــــا :

لا يخرج من بحيرة فيكتوريا سوى نهر فكتوريا، الذى تعترضه عقب مخرجـــه مــن البحيرة بنحو كيلو متر ونصف شلالات ريبون، التى تسقط فيها المياه نحو خمســـة أمتار، وبعد ذلك يسير النهر في مجرى ضيق شديد الانحدار، ولكنه لا يلبث أن يهبط إلى أرض منبسطة، فيضعف تياره، ويتسع مجراه وهو هنا يصلـــح للملاحـــة، ثــم يخترق نيل فكتوريا بحيرة كيوجا في جانبها الغربى، وبعد خروجه من تلك البحــــيرة يظل صالحا للملاحة لمسافة محدودة، وبعدها يشتد إنحداره، ويختنق مجراه وتكثر به الجنادل والمساقط التى تنتهى بشلالات مرتشيزون التى لا يزيد اتساع المجرى عندها على ثمانية أمتار تسقط منها المياه من ارتفاع ٤٠ متراً، ثم يصب النهر بعد ذلك في بحيرة البرت في طرفها الشمالى الشرقي.

(ب) مجموعة البحيرات الاخدودية :

وهى تشمل بحيرتى (ادوارد) (البرت) الاخدوديتين ونهر ســـمليكى الـــذى يصــل بينهما، ويبلغ ارتفاع سطح المياه في بحيرة (ادوارد) ، نحو ٩١٤ مـــتر، ولا يزيـــد مساحتها عن ٢٢٠٠ كيلو متر مربع.

ويخرج من بحيرة إدوارد نهر سمليكى، الذى يتصف فـــي بدايتــه ونهايتــه بقلــة إنحداره بصفة عامة، على حين يتميز مجراه الأوسط بكثرة ما به من مساقط ومدافع تعرقل الملاحة. وينتهى نهر سمليكى إلى بحيرات البرت، التى تبلغ مســاحتها نحــو ٥٢٠٠ كيلو متر مربع، وارتفاعها عن سطح البحر ٦١٨ متر.

(ثانـــيــاً) بحر الجبل وروافده :

يبلغ طول بحر الجبل من مخرجه من بحيرة البرت جنوباً حتى بحيرة نو شمالا نحــو ١٢٠٠ كيلو متر، ويتميز مجرى بحر الجبل بالتنوع الواضح، مما يدفعنا إلى تقسيمه إلى اربعة اقسام كما يلى:

١- من بحيرة البرت إلى نيمولى ومجرى النيل هنا متسع قليل العمق الانحدار بطئ الجريان ويطلق عليه اسم نيل البرت. .

٢- من نيمولى إلى الرجاف : وتظهر في هذا الجزء صفات المجاري العليا للأنـــهار فالنهر ضيق شديد الإنحدار تكثر به المساقط والشلالات التى ربما كـــان أهمـــها شلالات فولا.

٣- من الرجاف إلى بور: يتميز النهر بعد الرجاف بقلة إنحـــداره واتســـاع مجـــراه وبطء تياره. وذلك لأن النهر قد إنحدر إلى سهول السودان، وبديهى أن الملاحة ميسورة في هذا الجزء.

٤- من بور إلى بحيرة نو: يقل إنحدار النهر جدا في هذه المنطقة كنتيجة لانبســـاط الأرض، ولذلك يعجز النهر عن حفر مجرى واضـــح لمياهـــه، كمـــا تكـــثر بـــه الالتواءات والانحناءات، وتفيض المياه على الجانبين مكونة مستنقعات عظيمـــة الاتساع، تنمو بها النباتات المائية التى كثيرا ما تنقلها الرياح إلى مجرى النـــهر مكونة السدود النباتية.

بحر الغزال : ينتهى إلى بحيرة نو أيضا بحر الغزال، ويطلق اسم بحر الغزال علـــى النهر ما بين مشرع الرق وبحيرة نو ولكنه بوجه عام يطلق على مجموعة الأنـــهار التى تنحدر من خط تقسيم المياه بين النيل والكنغو: وعدد هذه الأنهار عظيم جـــدا، وتتصف جميعا بأن الجزء الأدنـــى لمجراهـــا عرضـــه لتكويـــن الســـدود النباتيـــة

والمستنقعات، وبحر الغزال نفسه أى بعد مشرع الرق - نهر بطئ منخفض الضفاف ويلتقى به بحر العرب الذى ينبع من جنوب دارفور، على أن مقدار ما يحمله بحر الغزال إلى بحيرة نو قليل للغايه ، لا يصلح للملاحة إلا خلال الصيف في مجراه الأدنى.

(ثالثاً) النيل الأبيض :

يبدأ النيل الأبيض من بحيرة نو، ويمتد حتى الخرطوم والنهر فيما بين بحيرة نو وملتقى السوباط يتجه من الغرب إلى الشرق، ويتصل به في هذه المسافة بحر الزراف، الذى يبدأ من منطقة المستنقعات المحدقة بغابة شامبى، والنهر ذو مجرى محدد وجوانب مرتفعة إلا في النهاية الشمالية له، وقد شقت قناتان صناعيتان للنهر تصلان بداية بحر الزراف ببحر الجبل.

وبعد أن يلتقى النيل الأبيض بالسوباط بغير اتجاهه نحو الشمال، ويجرى النهر في سهول منبسطة، ولذلك نجده قليل الانحدار، متسع المجرى بطئ التيار صالحا للملاحة، إذ تبلغ درجة إنحداره متر كل ٦٠ كيلومتر، وللنهر جوانب محددة، كونتها الرواسب التى جلبها نهر السوباط.

(رابعاً) الروافد الاثيوبية :

تنبع من هضبة الحبشة ثلاثة روافد رئيسية، يرجع إليها فضل استمرار جريان النيل حتى البحر المتوسط، وهذه الروافد هى.

١- نهر السوباط : الذى ينتج عن التقاء رافدين: الأول وهو نهر بيبور الذى تقع أهم منابعه قرب بحيرة رودلف (توركانا) ، والثاني نهر بارو الذى ينبع من الطرف الجنوبي لهضبة اثيوبيا .

ويلتقى نهر بارو بنهر بيبور على مقربة من مدينة الناصر، ومن نقطة الالتقاء يبدأ نهر السوباط الذى يسير في مجرى متميز مرتفع الضفاف صالح للملاحة.

٢-النيل الأزرق : يبدأ النيل الأزرق من بحيرة تانا التى يبلغ ارتفاعها ١٨٤٠ متر ومساحتها نحو ٣٠٦٠ كيلو متر مربع، والبحيرة ذات شكل مستدير بوجه عام يصب فيها مجموعة من الجداول والنهيرات أهمها نهر آباى الأعلى، ويخرج النيل الأزرق

من جنوب بحيرة تانا، ويعرف عند مخرجه من البحيرة بنهر آباى، ويتجـــه النيـل الآزرق نحو الجنوب الشرقى في البداية، ثم يدور على هيئة نصف دائــــرة قبـل أن ينحدر نحو الشمال الغربى إلى سهول السودان، والنهر فيما بين تانا والروصـــيرص يكون جبليا شديد الإنحدار ضيق المجرى عميقا يعتر الكثير من المساقط التى تعرقـل الملاحة، وفيما بين الروصيرص والخرطوم يقل إنحدار النهر، وتكثر به الانحنـــاءات والالتواءات ويصلح للملاحة وقت الفيضان.والنيل الأزرق بلا شك أعظم روافد النيـل وأغزرها مياها، ويرجع ذلك إلى كثرة ما يتصل به من روافد.

٣- نهر عطبرة : ينبع نهر عطبرة من المرتفعات الواقعة شمال بحرة تانا، وله روافـــد عدة أهمها نهر تكازى أوستيت، ويتجه نحو الشمال الغربى ليلتقى بـــالنيل النوبـــى، وتمتاز المجارى العليا لنهر عطبرة بشدة انحدارها مما يعرقل الملاحة، أما المجـــرى الادنى الذى يبدأ من بلدة خشم القربة، فانحداره بطئ وتياره هـــادئ، ولذلـــك فـــهو صالح للملاحة عن امتلائه بالمياه وقت الفيضان، أما بعد ذلك فيجف لمـــدة خمســـة أشهر من السنة.

(خامســـاً) النـــــيل النـــــوبى :

يطلق اسم النيل النوبى على الجزء الممتد من الخرطوم إلى أسوان، وبذلـــك يمتـد شطره الشمالى في مصر، ويتميز النيل النوبى بشدة إنحداره بصفة عامة، علـــى أن الانحدار ليس واحداً في كل مجرى النهر: بل يزيد في مناطق الجنادل والخوانق، ولا يتزود النيل في هذه المسافة الطويلة التى تبلغ نحو ١٨٨٥ كيلو متر إلا بمياه نـــهر عطبرة، وتميزه الثنية الكبيرة التى يتخذ النهر فيها شكل الحرف الأفرنجـــى S كمـــا يتميز بشدة انحداره إذ ينحدر متراً في كل ٦,٥ كيلو متر.

وتعتبر الجنادل الستة – التى يطلق عليها اسم الشلالات الستة – أهم الظاهرات التى يتصف بها مجرى النيل النوبى، وتبدأ من الجنوب بالجندل السادس أو ما يطلق عليه أحيانا أسم خانق سبلوقة وتنتهى بالجندل الأول عند أســـوان، وإذا كـــانت منـــاطق الجنادل غير صالحة للملاحة، فان المسافات الواقعة فيما بينها تيسر الملاحة، كمـــا هو الحال فيما بين الجندل الأول والجندل الثـــاني، وفيمـــا بيـــن الجندليـــن الرابـــع

والخامس.

(سادساً) النيل الأعظم :

ويبدأ من أسوان لينتهي إلى البحر المتوسط، بعد أن يتفرع إلى الشمال من القاهرة إلى فرعي دمياط ورشيد، ويبلغ طوله إذا سرنا مع تعرجاته نحو ١٢٠٥ كم ينحدر فيها ٩١ متراً، أي درجة الانحدار متراً في كل ثلاثة عشر كيلو متر، ويجري النهر في جنوب مصر في وادي ضيق لا يلبث أن يتسع، ويميل النيل إلى التزام جانب الوادي الأيمن في معظم الأحوال.

مائية النيل

تهدف دراسة مائية النيل إلى دراسة حالة النهر من حيث موارده المائية من ناحية، ومن حيث تصرفاته من ناحية أخرى، مع بيان العوامل التي تؤثر في هذه التصرفات بالزيادة أو النقص.

ويقصد بتصرف النهر، كمية المياه التي تمر فيه – عند نقطة معينة، وقد يقاس التصرف في الثانية الواحدة. فيقال مثلا أن متوسط تصرف النيل عند حلفا هو ٢٨٠٠ متر مكعب في الثانية، كما قد ينسب التصرف إلى السنة بأجمعها، ويسمى في هذه الحالة بالتصرف السنوي الذي يبلغ عند حلفا – مثلا – نحو ٨٤ مليار متر مكعب. في المتوسط.

ولمعرفة التغيرات التي تطرأ على موارد النهر، أقيمت المقاييس على مجرى النيل منذ العصر الفرعوني. كما أنشا العرب مقياس الروضة في القرن الأول الهجري، على أن المقاييس في تلك العهود، كانت وظيفتها تقتصر على معرفة درجة ارتفاع مياه الفيضان، دون حساب كمية التصرف الفعلية، أما الان وقد بلغ عدد المقاييس التي أنشئت على مجرى النيل نحو ٩٠ مقياسا، فإن المقاييس تساهم في معرفة منسوب المياه وتصرف النهر على مدار السنة.

هذا وتتأثر مائية النيل بعاملين رئيسيين هما:

١- الأمطار التي تسقط على حوض النهر، ويأتي في مقدمتها أمطار الهضبة الحبشية

وأمطار المنابع العليا في هضبة البحيرات وجنوب السودان.

٢- ما يفقده النهر بفعل البخر أو التسرب ويشتد اثر هذا العامل في المناطق التى تفيض فيها مياه النهر مكونة المستنقعات التى تنمو بها السدود النباتية، كما هو الحال في حوض الغزال أو الحوض الأدنى لبحر الجبل.

ولتيسير دراسة مائية نهر النيل، ستقسم موارده إلى قسمين المورد الدائم ومصدره هضبة البحيرات وبحر الجبل وروافده، والمورد الموسمى هو الذى تحمله مياه الروافد الاثيوبية إلى النهر. أما الأمطار التى تسقط في وسط السودان، فلا يتصرف منها إلى النيل إلا القليل، إذ يتبخر أكثرها، ويعزى هذا إلى استواء سطح الأرض السودانية وشدة حرارتها.

(أولا) المورد الدائم في أعالى النيل :

ويشمل هضبة البحيرات وجنوب السودان، وتتميز هضبة البحيرات بأمطارها الغزيرة الدائمة، والتى تزداد نوعا فى الاعتدالين. على أن تصرف النيل يكاد يكون منتظما طول العام لوجود البحيرات التى تعتبر بمثابة خزانات طبيعية تنظم تصرف المياه، ويبلغ متوسط التصرف السنوى عند بداية نيل فكتوريا نحو ٢١ مليار متر مكعب سنويا.

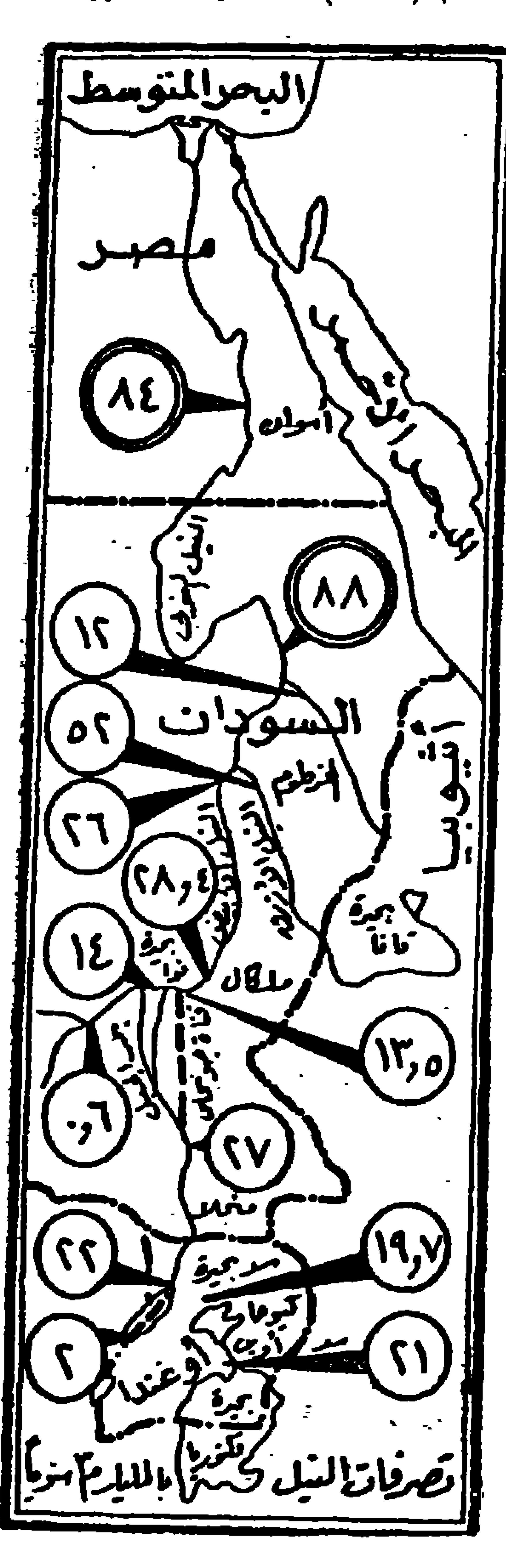
ويعادل هذا القدر نحو ١/٤ ما يصيب البحيرات من أمطار وما يصب فيها من أنهار. أما الباقى فيضيع بالبخر بسبب اتساع سطح البحيرة وينتهى نيل فكتوريا إلى بحيرة البرت بعد أن يكون قد استمد بعض المياه من روافده العديدة على أن الزيادة تكون ضئيلة بسبب ما قد يفقده فى منطقة بحيرة كيوجا، ذلك أن متوسط تصريفه بعد خروجه من هذه البحيرة نحو ١٩,٧ مليار متر مكعب سنويا.

ويحمل نهر سمليكى إلى بحيرة البرت مياه ادوارد وتبلغ نحو ٢ مليار متر مكعب سنويا، فكل مياه هضبة البحيرات جميعها تتجمع فى بحيرة البرت ومتوسط تصريفه ٢٢ مليار متر مكعب سنويا ويجرى نيل البرت فى واد متسع تكثر به النباتات الكثيفة، وتبقى الحال هكذا حتى نيمولى، والتى ينتهى عندها نيل البرت، ويبدأ بحر الجبل، ومن الطبيعى أن يفقد نيل البرت جزءا كبيرا من مياهه، رغم ما ينصب فيه

من الجداول والروافد العديدة.

وفي شمال نيمولى يبدأ بحر الجبل، وتزداد سرعة النهر لكثرة ما يعترضه من جنادل وشلالات (فولا)، وتمده بالمياه روافد كثيرة وخاصة نهر اسوا في أوائــل الصيــف، ولذلك يزداد تصرف النهر عند منجلا فيبلغ نحو ٢٧ مليار متر مكعب سنوياً.

شكل رقم (٦٧) : تصرفات النيل



على أن تصرف بحر الجبل عقب خروجه من بحيرة نو يبلغ في المتوسط نحـــو ١٤ مليارا، أى ما يزيد قليلا على نصف تصرفه عند منجلا، فإذا تذكرنا أن النيل فيما بين منجلا وبحيرة نو يتزود بمياه الأمطار الغزيرة التى تسقط في هذه المنطقة، وأن بحر الغزال يمده بنحو ٠,٦ مليار، أدركنا ضخامة الكمية التى يفقدها النهر فـــي منطقـــة السدود في بحر الجبل الإدنى، ولو أمكن توفير هذا القدر الضائع، لعاد على ســـكان وادى النيل بالخير العميم.

كما يلاحظ أن بحر الغزال لا يمد النيل إلا بقدر ضئيل جداً لا يتجاوز ٠,٦ مليار مـــتر مكعب رغم اتساع حوضه وغزارة أمطاره، وذلك كنتيجة لضخامة منطقة المستنقعات التى تكونها مياهه.

(ثانياً) المورد الموسمى في هضبة اثيوبيا :

تمد الحبشة النيل الأعظم بمياه الفيضان، كنتيجة لتركز أمطارها الغزيرة فـــي فصـــل الصيف، ويأتى هذا الفيضان من ثلاثة روافد رئيسية يأتى في مقدمتها النيل الأزرق. يليه العطبرة ثم السوباط.

على أن أنهار الحبشة تتميز بأرتفاع منسوب المياه في مجاريها خلال فصل الأمطـــار الصيفية، وانخفاضه جداً خلال نصف السنة الشتوى. وتبدو هذه الظاهرة بوضـــوح في نهر عطبرة بصفة خاصة والذى يجف تماماً خلال فصل الجفاف.

ويعتبر النيل الأزرق أعظم الروافد الاثيوبية وأغزرها مياها، ويبلغ أقصى تصرف لـه في شهر أغسطس وسبتمبر (٥٨٠٠ م٣ في الثانية)، وأقل تصرف له يكـــون فـــي شهر إبريل (١٠٠م٣ في الثانية)، ويبلغ ما يمد به النيل ســـنويا ٥٢ مليـــار مـــتر مكعب في المتوسط.

ويتصف نهر عطبرة بطول فترة الجفاف التى يتعرض لها حوضه لموقعه في شـــمال هضبة اثيوبيا، فتمتد هذه الفترة من شهر يناير إلى شهر مايو، ولكنه يزخر بالميـــاه في موسم الفيضان، ويبلغ تصرفه السنوى نحو ١٢ مليار متر مكعب.

أما نهر السوباط. فلا يعتبر برمته نهراً اثيوبيا : إذ يستمد بعض مياهه من الحبشـــة والبعض الآخر من الأطراف الشمالية لهضبة البحيرات، ويبلغ أعظم تصرف له فـــي

نوفمبر على حين يقل التصرف في إبريل في الثانية، ويبلغ تصرفه السنوى نحو ١٢,٤ مليار متر مكعب.

ولا شك ان أهمية هضبة اثيوبيا تبدو واضحة، لو علمنا أنه في فترة الفيضان، يكون نصيب النيل الأزرق من جملة المياه التى تجرى في النيل الرئيسى نحو ٦٩%، ونصيب العطبرة ١٧%، والنيل الأبيض مع السوباط الباقى، وأن كمية المياه التى ترد سنوياً إلى مصر تبلغ نحو ٨٤ ملياراً من الأمتار المكعبة فى المتوسط ، منها نحو ٧٠ مليار متر ٣ من اثيوبيا.

وفضلا عن ذلك، فإن مياه المنابع الاثيوبية ، تجلب معها الغرين الذى كون التربة الزراعية الخصبة في مصر، فإذا كانت مصر هبة النيل، فهى بالأخرى هبة النيل الأزرق بالذات.

ويصبح الموقف المائى بعد مصب العطبرة كما يلى:

من النيل الأبيض	+ ٢٦ مليار متر مكعب
من النيل الأزرق	+ ٥٢ مليار مر مكعب.
ضائع بالتبخر والتسرب من الخرطوم وعطبرة	- ٢
من العطبرة	+ ١٢
المجموع	-٨٨ مليار متر مكعب

شكل رقم (٦٨) شلالات مرتشيزون



ويصل من هذه الكمية إلى أسوان ٨٤ مليار متر مكعب في المتوسط، وتضيع أربعة مليارات بسبب التبخر الشديد والتسرب على الجوانب فتبخر هذه المنطقة يصل إلى ٧,٧ مم في اليوم اى ضعف التبخر على هضبة البحيرات الاستوائية، ولا عجب في هذا فنحن هنا في قلب الصحراء المدارية.

وفي ختام دراسة مائية النيل، ينبغى الاشارة إلى أن الأرقام التى وردت تمثل المتوسطات العامة خلال السنين الماضية، على أنه يحدث في بعض السنوات أن يزداد تصرف النهر كثيراً عن المتوسط وخاصة في اشهر الفيضان، كما قد يقل عنها أيضا، وفي كلتا الحالتين كانت مصر تتعرض لأخطار شديدة.

مياه النيل بين مصر والسودان

اتفاقية مياه النيل :

كان لاعتماد مصر اعتمادا يكاد يكون تاما على النيل فى انتاجها الزراعى وفى اقتصادها بعامة أثره الكبير فى الاهتمام بالنهر، وبالكشف عن منابعه، ثم بمحاولة الاستفادة منه إلى أقصى حد، وتأمين احتياجاتها من مياهه، فأهمية النيل لمصر تختلف عن أهميته بالنسبة لبقية أقطار حوض النيل، فهو فى أوغندا مثلا لا تعدو أهميته أكثر من توليد الكهرباء، لوفرة الأمطار، ومن ثم لم يكن مشروع سد أوين الذى نفذ على مخرج بحيرة فكتوريا إلا مشروعا لتوليد الكهرباء بينما هو لجمهورية مصر العربية مشروع لزيادة إيراد النيل من الهضبة الاستوائية، ثم يزداد الاعتماد على النيل كلما تقدمنا نحو الشمال أى نحو المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، وفى السودان مساحات متسعة يمكن أن تعتمد على المطر فى الزراعة وتشمل السودان الجنوبى ومساحات شاسعة من السودان الأوسط، ولكن تصبح الأراضى الزراعية بعد الخرطوم مقصورة على أراضى الوادى الضيق الذى يظهر أحيانا ويختفى أحيانا أخرى.

ولم يكن هناك اتفاق رسمى قبل ١٩٢٩ حتى عقد فى ذلك العام اتفاق يستمر العمل به حتى ١٩٥٩ حينما عدلت باتفاقية أخرى راعت الظروف الجديدة والتطورات

الحديثة التى مر بها كل من القطرين الشقيقين.

اتفاقية نوفمبر ١٩٥٩ :

بعدما يقرب من ثلاثين عاما من اتفاقية ١٩٢٩، ونظرا لحاجة القطرين إلى استغلال النيل والانتفاع بايراده، رأى الجانبان ضرورة عمل اتفاقية جديدة للاتفاق على عمليات ضبط النهر . وتضمنت الاتفاقية عدة جوانب :

أولا : الحقوق المكتسبة الحاضرة :

١- ما تستخدمه جمهورية مصر من مياه حتى هذا الإتفاق (وهو ٤٨ مليارا من الأمتار المكعبة عند أسوان) وهو حق مكتسب لها.

٢- ما تستخدمه جمهورية السودان من مياه النيل حتى هذا الاتفاق (وهو ٤ مليارات من الأمتار المكعبة مقدرة عند أسوان) وهو حق مكتسب لها.

ثانيا : توزيع فوائد مشروعات ضبط النهر :

١- توافق الجمهوريتان على أن تنشئ جمهورية مصر العربية خزان السد العالى كأول حلقة من سلسلة مشروعات التخزين المستمر على النيل.

٢- توافق الجمهوريتان على أن تنشئ جمهورية السودان خزان الروصيرص أو أى أعمال أخرى تراها جمهورية السودان لازمة لاستغلالها لنصيبها.

٣- يحسب صافى فائدة السد العالى على أساس متوسط إيراد النهر الطبيعى عند أسوان سنويا (٨٤ مليارا) ويستبعد من هذه الكمية الحقوق المكتسبة للجمهوريتين (بند أولا) مقدرة عند أسوان ، كما يستبعد منها متوسط فاقد التخزين المستمر فى السد فينتج عن ذلك صافى الفائدة التى توزع بين الجمهوريتين.

٤- يوزع صافى فائدة السد العالى بين الجمهوريتين بنسبة ١٤,٥ مليار م^{3} للسودان ٥٥,٥ مليار م^{3} لجمهورية مصر العربية فى ظل الايراد فى المستقبل فى حدود المتوسط (٨٤ مليارا) وإذا ظلت فواقد التخزين المستمر على تقديرها الحالى بعشرة مليارات ، فإن صافى الفائدة فى هذه الحالة ٨٤ - (٤٨ + ٤ + ١٠) = ٢٢ مليارا.

ويصبح نصيب السودان منها ١٤,٥ مليار ونصيب جمهورية مصر العربية ٧,٥ مليار

ويضم هذين النصيبين إلى حقهما المكتسب فى البند الأول يصبح :

نصيب السودان = ٤ + ١٤,٥ = ١٨,٥ مليار.

نصيب مصر = ٤٨ + ٧,٥ = ٥٥,٥ مليا .

ويصير هذا بعد تشغيل السد العالى بالكامل، أما إذا زاد المتوسط عن هذا فان الزيادة فى صافى الفائدة تقسم مناصفه.

٥- توافق حكومة الجمهورية العربية المتحدة على دفع مبلغ خمسة عشر مليونا من الجنيهات للحكومة السودانية كتعويض شامل عن الاضرار التى تلحق بالممتلكات السودانية نتيجة التخزين فى السد العالى لمنسوب ١٨٢.

٦- من المسلم به أن تشغيل السد العالى الكامل للتخزين المستمر سوف ينتج عنه استغناء جمهورية مصر عن التخزين فى جبل الأولياء، ويبحث الطرفان المتعاقدان ما يتصل بهذا الاستغناء فى الوقت المناسب.

ثانيا : مشروعات استغلال المياه الضائعة فى حوض النيل :

١- يتولى السودان بالاتفاق مع جمهورية مصر إنشاء مشروعات لزيادة ايراد النيل يمنع الضائع فى مستنقعات بحر الجبل وبحر الزراف والنيل الأبيض، ويوزع صافى الفائدة مناصفة كما يساهمان فى تكاليفهما مناصفة وتتولى جمهورية السودان الانفاق على المشروعات السابقة من مالها وتدفع جمهورية مصر نصيبها من التكاليف.

٢- إذا دعت حاجة جمهورية مصر إلى البدء فى أحد المشروعات السابقة بعد اقرارها من الحكومتين فى وقت لاتكون حاجة جمهورية السودان قد دعت إلى ذلك، فان جمهورية مصر تخطر السودان بالميعاد الذى يناسبها للبدء فى المشروع، وفى خلال سنتين من تاريخ هذا الاخطار تتقدم كل من الحكومتين ببرنامج للانتفاع بنصيبها فى المياه، وبعد انتهاء السنتين يمكن لمصر التنفيذ بتكاليف من عندها، على أن تدفع حكومة السودان نصيبها من التكاليف عندما تتهيأ لاستغلال نصيبها.

مشروعـــــات الـــرى

ســـــد أويـــن :

اتجه التفكير فى أول الأمر إلى البدء بإتخاذ بحيرة البرت كخزان رئيسى على النيـــل فى هضبة البحيرات على أن يثنى ببحيرة فكتوريا، لأن فى صغـــر مســـاحة بحـــيرة البرت وقربها نسبيا وسهوله الموازنات عليها مايدعو إلى البدء بها، غير أن رغبـــة حكومة أوغندا فى توليد الكهرباء من مسقط ريبون وشروعها فى تنفيذ هذا العمـــل حدا بلجنة الخبراء فى مصر إلى أن تنصح الحكومة فى فبراير ١٩٤٩ بأن تشـــترك مع أوغندا فى هذا العمل وأن يقلب الوضع فيبدأ بإنشاء خزان فكتوريا مـــع إنشـــاء خزان البرت كمساعد ومنظم لمياه الخزان الأول.

وبنى السد على بعد ميلين من مخرج النهر من بحيرة فكتوريا بارتفاع ٣٠ م وبطول ٧٥٠ مترا : واختير هذا الموقع بحيث يمكن الاستفادة من الجنادل التى تمتد علـــى هينة حواجز صخرية مكونة من صخور صلبة مقاومة للتعرية، بينما تتكون المجارى من بينها من الصخور الطينية السهلة النحت.

وشيدت محطة توليد الكهرباء على الضفة اليسرى لتوليد طاقـــة كهربائيـــة قدرهـــا ١٥٠,٠٠٠ كيلووات ساعة من ١٠ تربينات، ويتحكم فى ضبط المياه ستة فتحـــات فى وسط السد كل منها بأرتفاع ٥ أمتار وبإتساع ٣ أمتار تقريبا وافتتح المشـــروع عام ١٩٥٤ وانتهت المفاوضات بين كينيا وأوغندا على امداد كينيا بـــــ ٤٥,٠٠٠ كيلووات ساعة، أى بثلث طاقة السد تقريبا ، هذا وقد دفعت مصر مبلغ ٤,٥ مليـــون جنيه لحكومة أوغندا نصيبها فى تكاليف إنشاء السد فضلا عـــن التعويضـــات التـــى طلبتها أوغندا نظير رفع منسوب التخزين مترا واحدا ، أما طاقة التخزين فهى ١٠٠ مليار متر مكعب.

سد بحيرة كيوجا :

تعتبر بحيرة كيوجا من مناطق الفقد فى أعالى النيل، ولكن فى الواقع يمكن تجفيـــف المناقع التى تكونها وذلك بتعميق نيل فكتوريا داخل البحيرة وإقامة قنـــاطر موازنـــة

وهويس للملاحة عند ميناء ماسندى.

سـد البـرت :

ترمى الدراسات الحديثة لمشروع خزان البرت بالوصول بمستوى التخزين إلـى ٣٥ مترا بمقياس بوتيابا بعد أن كان أول مشروع قدمه مستر بوتشر فى الرى المصـرى هو ٢٠ مترا لتكون سعة الخزان ٥٠ مليارا والغرض من التخزين هنا هو التخزيـن المستمر أو القرنى كما هو الحال فى خزان بحيرة فكتوريا، أى الاحتفاظ بالفائض من ايراد السنوات العالية، لسد عجز النهر فى السنين المنخفضة وللتحكم فـى تصـرف ثابت لكل من فترتى الحاجة وعدم الحاجة.

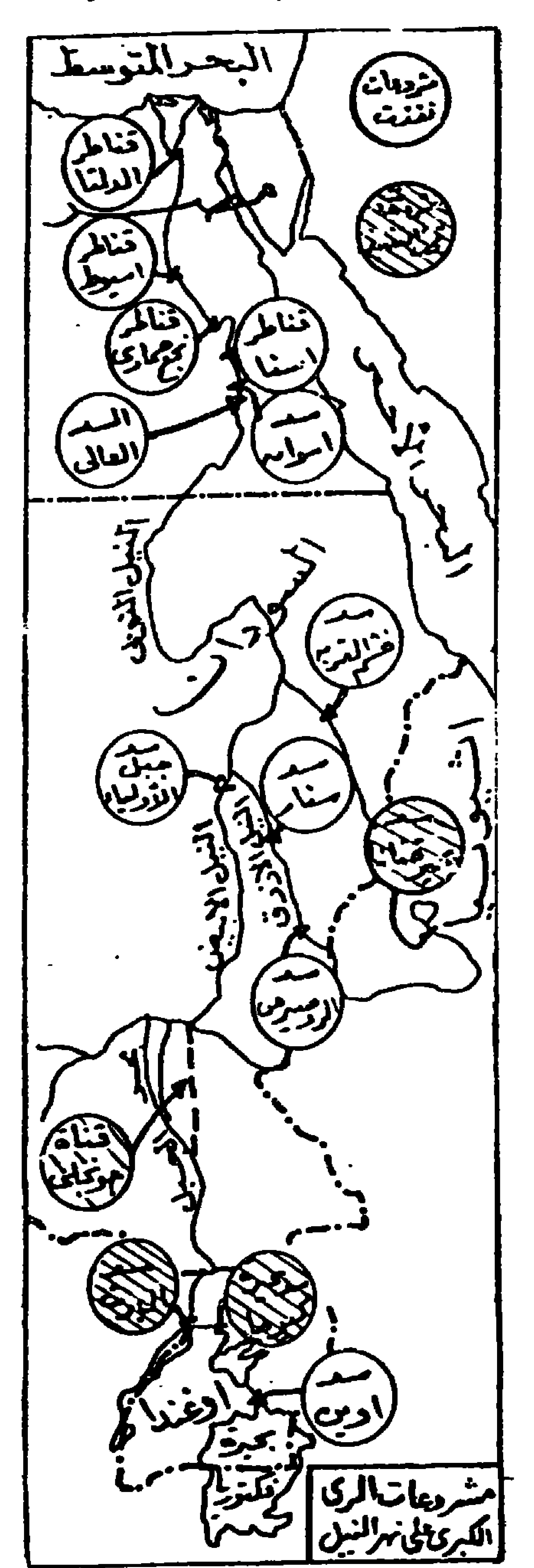
سد *نيمـولى :*

إذا ما أقيم سد البرت عند موتير يصبح من اللازم اقامة سد عنـد نيمولـى وذلـك لإستمرار الملاحة فى المنطقة بين نيمولى وسد موتير فضلا عن حجز مقـدار مـن المياه لاينصرف إلى بحر الجبل مباشرة يعادل ما تأتى به الروافد شمالى، نيمولـى. وقد قدرت تصرفات هذه الروافد عند منجلا وظهر أن ثلث هذه التصرفات يصل النهر بعد نيمولى ولما كانت هذه الروافد أشبه بالسيول بمعنى أنها تجف لمدة أربعة شهور أو خمسة، ثم تندفع فيها المياه خلال الأشهر الباقية كان على سد نيمولى عمل تعادل لهذه التصرفات.

قنـاة جـونجلى :

اختيرت قرية جونجلى التى تقع على الحدود الجنوبية لمنطقة السـدود لحفـر قنـاة تجرى فيها معظم المياه فى طريق مباشر بدلا من الضياع فى منطقة السـدود كمـا رأينا، وتتعدد الأراء الخاصة بخط سير القناة.

شكل رقم (٦٩) : مشروعات الري



سد جبل الاولياء :

تم بناؤه عـــام ١٩٢٧ علـــى النيـل الابيض جنوبى الخرطــوم بنحــو ٤٠ كيلو متر ويبلغ طول الخزان نحـــو ٥ كيلو مترات منها نحو ٣ كيلومـــترات فى الجانب الغربى من الطين، بينمـا لا يصل الامتداد الشرقى الى مايزيد على الكيلو متر ونصف فقط. لأنـــه يلتقـــى بالتل الذى اشتق منـــه اسـمه، أمـــا الجزء الأوسط الــذى يشــمل البنـــاء الأساسى فطوله ٤٥٤ مترا وكان هـذا الخزان يمد مصر قبل بناء السد العالى بنحو ٢,٥ مليار متر مكعـــب، ولكـــن مصر أهدته الى السودان بعد ذلك.

ســـــد بحيرة تانا :

تبلغ مساحة بحيرة تانا نحـــو ٣,١٠٠ كيلو متر مربع أو نحو ٣/٥ بحــــيرة البرت وتصرفها الســنوى نحـــو ١/٦ بحيرة البرت أو ١/١٣ مـــن تصـــرف النيل الأزرق ويشير تقرير بعثة بحيرة تانا إلى إمكان تحويل البحــــيرة إلـــى خزان كبير ســـعته ٣,٥ مليـــار مـــتر مكعب ويمكن برفع المنسوب الوصول إلى ٥ مليار م٣.

ويعوض الكمية القليلة نسبيا التى تخزنها بحيرة تانا أن النيل الأزرق يمكنه أن يحمل المياه المخزونة دون فاقد كبير بسبب طبيعته على عكس بحر الجبل مثلا ٠٠ هـــذا فضلا عن أنه يساعد فى زيادة المساحة المزروعة فى أرض الجزيرة والتى لاتــروى إلا من النيل الأزرق نظرا لانحدار الأرض من النيل الأزرق نحو الأبيض وكان اقتراح استخدام البحيرة أول الأمر لأغراض التخزين الســنوى ولكــن ظــهر أنــه يمكــن استخدامها للتخزين السنوى أو القرنى كالبحيرات الاستوائية . ففى السنين القليلـــة المطر يمكن أن يواجه رصيدها العجز فى الصيف التالى.

ســـد الروصيرص :

سبق أن ذكرنا أن السودان أمكنه أن يستفيد بمياه النيل الأزرق المخزونة أمام ســد سنار فى رى مايقرب من المليون فدان فى ارض الجزيرة وزيادة مساحات الأراضــى المزروعة اعتمادا على الطلمبات، ولزيادة هذه المســـاحات الزراعيــة كــان لابــد للسودان من زيادة المخزون لديه من المياه، وقد عهدت حكومة السودان إلى شــوكة الكسندر جيب لبحث مشروع إقامة سد على النيل الأزرق عند جنادل دمــازين علــى بعد ٥٥٥ كيلو متر من جنوبى الخرطوم، وعلى بعد ١٠٦ ك م من حــدود أثيوبيــا، وعلى بعد ٢٦٥ كيلو متر من سنار ، وقد اعتبر هذا الموقع مثاليا لبناء السد بســبب الأساس الصخرى الجرانيتى الموجود هناك، وتمتد منطقة التخزيـــن إلـــى الحــدود السودانية الأثيوبية عند التخزين النهائى.

هذا كما تقدر القوى الكهربائية التى يمكن توليدها بنحو ١٥٠,٠٠٠ كيلووات ســاعة ركب لها ٧ مولدات وقوة كل منها ٢٥,٠٠٠ كيلووات ساعة وقدأمكن امداد مشروع المناقل بالماء والتوسع فيه بمقدار ٢٠٠,٠٠٠ فدان كمــا يمكــن تحويــل الــدورة الزراعية لمشروعى الجزيرة والمناقل بقصد الحصول على نسبة أعلى من محصــول القطن، ويترتب علىذلك زيادة الارض المروية داخل مشـــروع الجزيــرة والمنـــاقل بمقدار ٢٩٠,٠٠٠ فدان تستغل فى زراعة محاصيل إضافية كالقمح، ومـــن ناحيــة أخرى تعدل الدورة الزراعية الرباعية إلى دورة ثلاثية بالجزيرة مما يــترتب عليــه إضافة أراضى مروية جديدة . وتسمح المياه المخزونة بالتوسط فى مشاريع الـــرى

بالطلمبات بما يقرب من ٦٧٠ ألف فدان، وبالتوسع فى الـــرى بالراحـــة وبتحويـــل مشروعات الطلمبات التى تعمل أثناء الفيضان فقط إلى رى مستديم، وتقدر مســـاحة هذه المشروعات بنحو ٣٤٠ ألف فدان.

ســـــد سنـــار :

تم إنشاؤه عام ١٩٢٠ على النيل الأزرق ، وذلك لزراعة أرض الجزيرة بالســـودان قطنا، والأصل فى المشروع ألا يزيد مساحة الأراضى المزروعة قطنـــا علـــى ٣٠٠ ألف فدان حتى لاتضار مصالح مصر، ولكن ظهر أن العمليات الحسابية للمشروع لـم تكن مضبوطة، وأمكن زيادة المساحة التى اتفق عليها إلى أكثر من مليـــون فـــدان، وان كانت الأراضى التى تزرع فعلا بالقطن لا تصل إلى هذه المساحة بســـبب اتبـــاع الدورة الزراعية.

ســـــد خشم القربة :

يقع هذا السد على نهر العطبرة إلى الجنوب من بلدة خشم القربة والهدف من إنشائه خدمة ٥٠,٠٠٠ نسمة هم سكان منطقة وادى حلفا بعد غمره بميـــاه الســـد العـــالى لأراضيهم ويبلغ طول الجزء الخراسانى فى قلب النهر ٣٥٠ مترا من مجموع طـــول السد البالغ ٣ كيلو مترات، ويعلو الخزان عن قاع النهر بمقدار ٣٥ مـــترا، ويصـــل منسوب الحجز أمامه إلى ٤٣٧ مترا بطاقة للتخزين قدرها ١,٣٥ مليار متر مكعـب. وتقدر الطاقة الكهربائية التى تولد منه بنحو ٧٠٠٠ كيلووات / ساعة.

هذا ويصل تأثير السد إلى مسافة ٨٠ كيلو متر إلى الجنوب، وتبلغ المســـاحة التـــى تعتمد عليه فى الرى نحو نصف مليون فدان.

خزان أسوان :

تم بناء سد أسوان عام ١٩٠٢ وكان يسع مليار متر مكعب من الميـــاه، ولمـــا زاد التوسع فى زراعة المحاصيل الصيفية، بدأت الحاجة ماسة إلـــى زيـــادة المخـــزون، فتقررت تعلية السد مرتين . وتمت الأولى عام ١٩١٢ والثانية عام ١٩٣٣ ، فأصبح يسع الآن أكثر من ٥,٥ مليار متر^٣ من المياه، ويبدأ فى ملء الخـــزان فيمـــا بيـــن منتصف نوفمبر ومنتصف ديسمبر وينتهى من ملئه فى أواخر يناير. ولايبـــدأ فـــى

التفريغ إلا عندما يصبح التصرف الطبيعي للنهر أقل من احتياجات الزراعة ويكـــون ذلك عادة فى إبريل، ويتم التفريغ حوالى ٢٠ يوليو من كل سنة ، ويبلغ طول الســـد نحو كيلو مترين وعدد فتحاته ١٨٠ فتحة، ولملء السد وتفريغه نظام خاص فتفتـــح جميع العيون أثناء مرور الفيضان ولايبدا فى تخزين المياه إلا بعد أن تصبح خاليـــة من الرواسب، ويختلف موعد البدء فى ملئه، على أنه يكون عادة مـــابين منتصـف نوفمبر ديسمبر وينتهى ملؤه فى أواخر يناير.

السد العالى :

ببناء السد العالى يدخل النيل مرحلة ثورية فى عملية ضبط النهر ، ويعتـــبر بديـــلا لكثير من المشروعات فى هضبة البحيرات وقد دعت عوامل متعددة لضرورة قيـــام المشروع مثل :

١- إمكان التحكم فى توزيع المياه بحسب احتياح النبات وضمان توفير هذه الاحتياجـات فى فترات النمو المختلفة.

٢- التذبذب الكبير فى مساحة بعض الغلات من سنة إلى أخرى نتيجـــة كميـــة الميـــاه المخزونة واختلاف تصرفات النيل من سنة إلى أخرى، وكـــان الأرز أكـــثر الغـــلات المصرية معاناة من هذا الوضع.

وقد تم بناء جسم السد بالكامل إلى أقصى ارتفاع له فوق النيل (١١١مـــترا) عـــام ١٩٦٨.

ولما كان قاع النهر يرتفع بمقدار ٨٥ مترا فوق سطح البحر، فان قمة السد بالتـــالى ترتفع ١٩٦ مترا عن مستوى سطح البحر، كما يبلغ طول السد عند القمة ٣,٦ كيلو متر، وعرضه ٤٠ مترا. وبما أن السد يغلق الطريق أمام الماء، فقـــد شـــقت قنـــاة تحويل طولها ١١٥٠ مترا تؤدى بالمياه بعد ذلك إلى أربعة أنفاق (قطرها ١٥ متر، وطولها ٣١٥) تؤدى إلى تدفق المياه فى محطة الكهرباء، ثم بعد ذلك تـــؤدى إلـــى تدفقها فى مجرى مفتوح آخر يعود بالنهر إلى مجراه الأصلى وقد أدى الســـد إلـــى وجود بحيرة صناعية أمامه تمتد لمسافة ٥٠٠ كيلو متر وبذلك تدخل حدود السودان ومتوسط عرض البحيرة نحو ١٠ كيلو متر، وتتجاوز مساحتها ٥٠٠٠ كيلـــو مـــتر

مربع.

ارتبطت بالسد أيضا محطة الكهرباء وبها اثنى عشر تربينا يبلغ إجمالى طاقتها السنوية ١٠ ملايين كيلو وات ساعة، وينقل خطان رئيسيان الكهرباء المولدة إلى القاهرة وطاقتهما ٥٠٠ كيلو فولت " وتربط خطوط فرعية محطة الكهرباء بالمصانع فى أسوان كما تخرج خطوط فرعية أخرى فى كل من الوجهين البحرى والقبلى.

ووجه الاختلاف بين التخزين فى السد العالى وسد أسوان أن تخزين السد العالى من النوع المستمر بمعنى أن عملية التفريغ والملء التى تتم فى الخزانات العادية كل عام غير موجودة فيه، وذلك أنه يخزن حتى مياه الفيضان الضخمة بما تحمله من رواسب وماكان لسد أسوان أن يتحملها، وتقدر طاقة السد العالى من المياه بنحو ١٥٧ مليار متر مكعب توزع كالآتى، ٣٠ مليار للتخزين الميت (تراكم الطمى فى نصف قرن) ٩٠ مليار تخزين حى ، ٣٧ مليارا لمواجهة الفيضانات الضخمة، ومن المتوقع أن تضم هذه الطاقة موردا سنويا لمصر قدره ٨٤ مليار متر مكعب. لهذا ففوائد السد العالى عديدة أهمها :

١- السيطرة على مياه الفيضان وتخزينها بدلا من ذهابها إلى البحر هباء.

٢- ضمان مورد ثابت لاينخفض وبالتالى التوسع فى زراعة الأرز بحيث زادت على المليون فدان وكانت من قبل لاتتعدى ثلث المليون فدان.

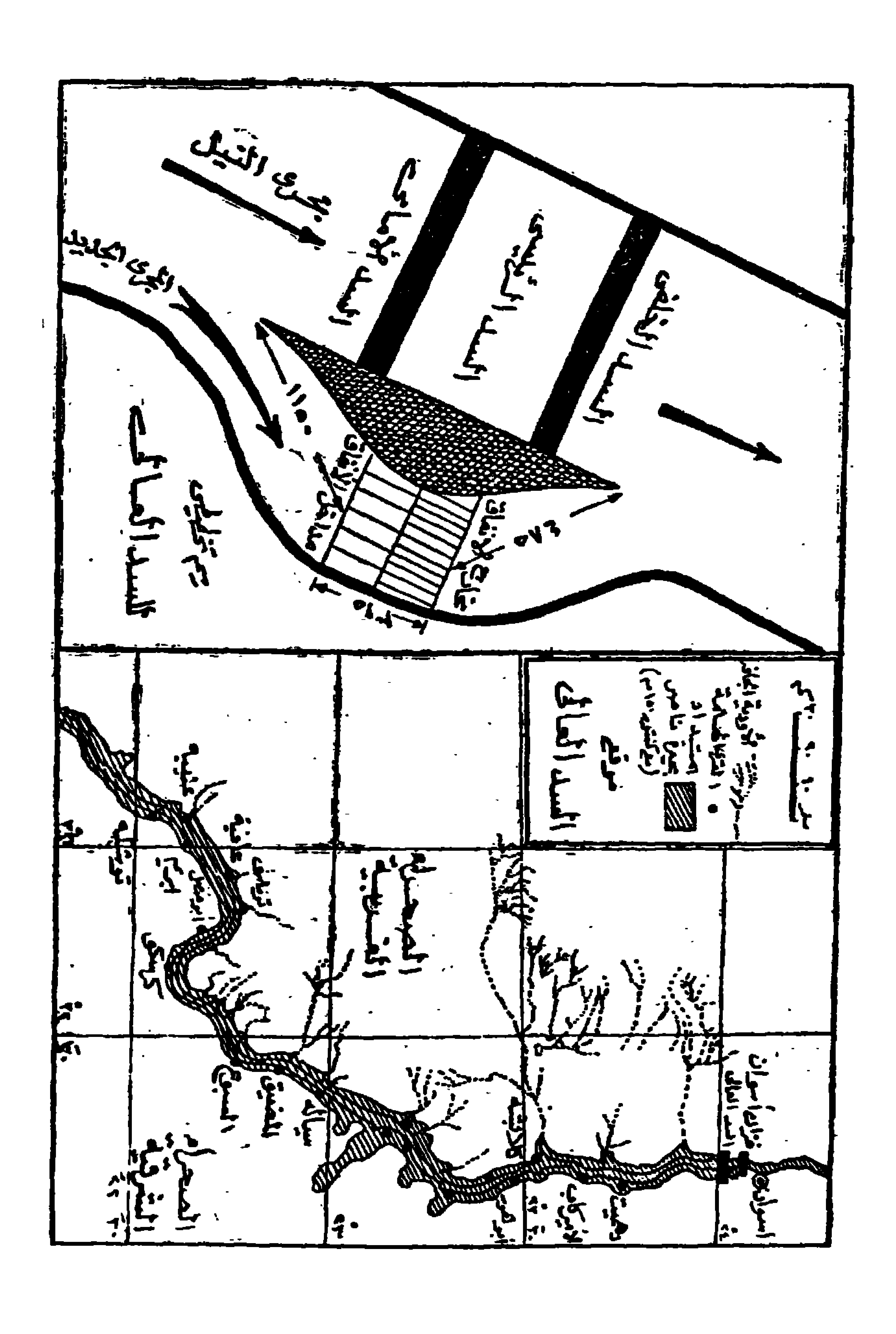
٣-زيادة مساحة الأراضى المزروعة بما يزيد على مليون فدان، ويرجع الفضل فعلا للسد العالى فى استصلاح ٦٥٠ ألف فدان من ٨٠٥ ألف فدان استصلحت من ١٩٦٠، ١٩٧٠.

٤- زيادة المساحة المحصولية لتحويل أراضى الحياض إلى أراضى الرى الدائم.

٥- خلق مورد جديد للطاقة بسعر رخيص، فضلا عن تحسين الملاحة فى النيل وخلق مورد جديد لصيد الأسماك فى بحيرة ناصر.

هذا وقد ظهر أثر السد بوضوح فى حماية مصر من خطر الجفاف الذى أصاب القارة الإفريقيه بشدة عدة مرات ، وأدى المخزون المائى دوره فى مد مصر بحاجتها دون أن تحدث مجاعة.

شكل رقم (٧٠) : السد العالى



الفصـــــل الســـادس

من دول حوض النيل والقرن الآفريقى

أثـــيوبــيـــا

اقليم جغرافى قائم بذاته له شخصية جغرافية فريدة سواء في ظروفه الطبيعية أو في أحواله البشرية، ولفظ أثيوبيا يونانى الأصل، ومعناه الوجه المحترق، لذلك أطلقـــت على اماكن عديدة، أحيانا كان يطلق على القسم الواقع جنـــوب مصـــر، أى شـــمال السودان. أما لفظ الحبشة فنسبة إلى قبيلة الحبشات التى انتقلت من شـــبه جزيـــرة العرب في القرن العاشر ق . م واستقرت في ربوعها الشمالية.

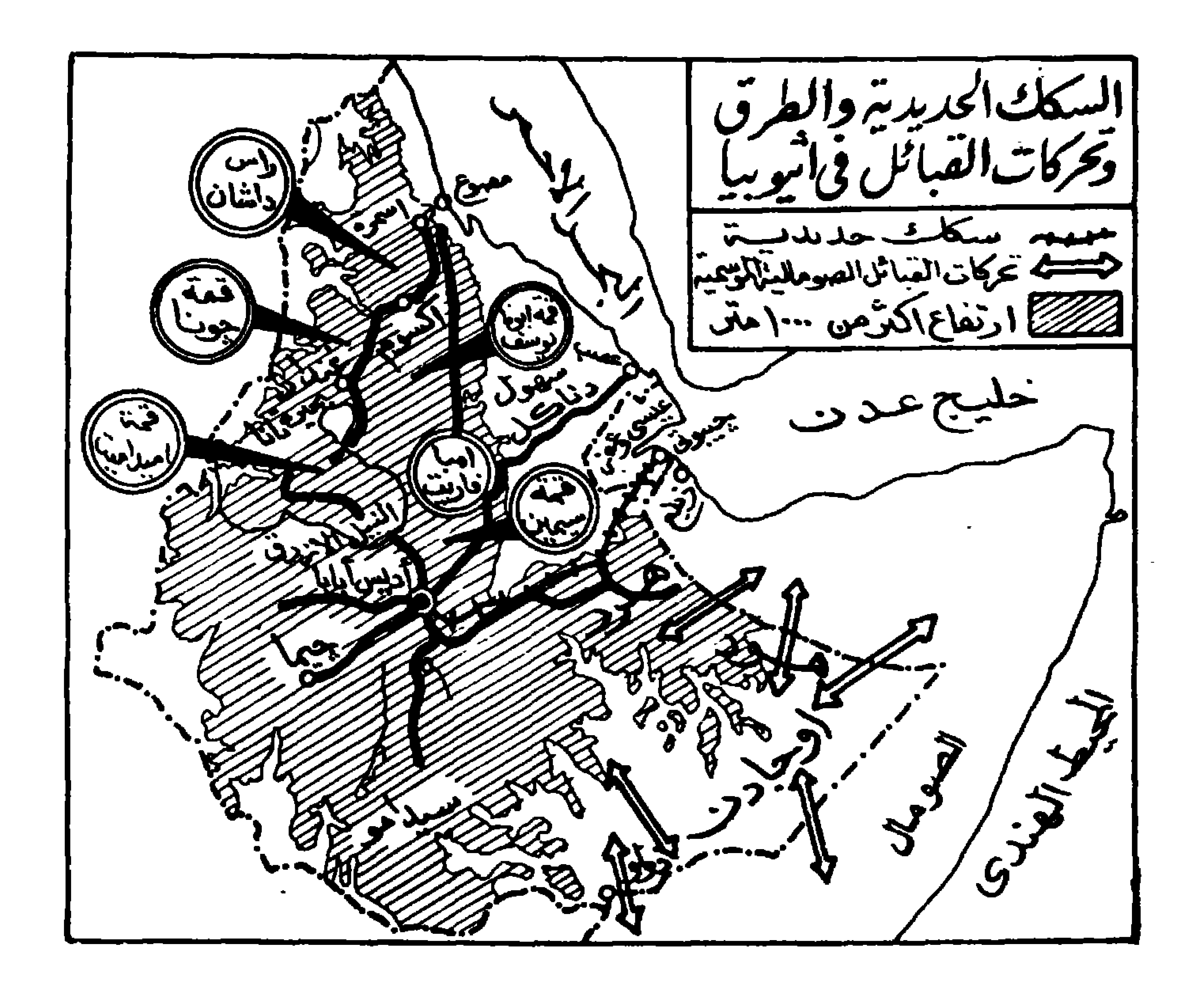
وتبلغ مساحة أثيوبيا ما يزيد على ١,٢ مليون كيلو متر مربع أى تبلغ قـــد مســـاحة مصر مرة وربع تقريباً. ومع ذلك تختلف عن مصر بالتنوع في جميع ظاهراتها فتقع اثيوبيا بين دائرتى عرض ٥، ١٨ شمالا أى في المنطقة المدارية، ومع ذلـــك نجـــد فيها من المناخات ما يختلف تماما عما هو متوقع في مثل هـــذه العـــروض، كذلـــك يتنوع نباتها من شوكيات الصحراء إلى الحشائش الالبية ويتنوع سكانها دينا ولغـــة وعرقا، ولا يفسر هذا الأعلى أساس التضاريس.

تضاريس أثيوبيا وبنيتها :

تؤلف التكوينات الاركية الأساس الذى ترتكز عليه جميع التكوينات الأخرى، وتلتـــف حول الكتلة الحبشية من الشمال والشرق كما تظهر في وديان الأنهار حيـــث وصـــل النحت النهرى إلى الطبقة القاعدية، ويظهر هذا بوضوح في مجـــرى النيـــل الأزرق حيث تمتد كلسان تتوغل في الهضبة مع النيل الأزرق، وسبب ظهورها علـــى هيئـــة حافة قافزة شرقى الهضبة هو تأثرها بحركة الأندفاع إلى أعلى التى أصابت الهضبـــة في العصور الحديثة، وتعلو هذه البلوريات طبقات من الحجر الرملى والجيرى (كلس أنتالو) ترجع إلى النصف الأول من الزمن الثانى، غير أن من أهم مـــا حـــدث فـــي تاريخها الجيولوجي هو تدفق اللافا في أواخر الزمن الثالث، وتعرف بلافا اشـــانجى

بسمك يتراوح بين ٦٠٠ - ٧٠٠ متر، ثم طبقات لافا مجدالا بسمك يبلـــغ نحــو ٢٦٠٠ متر (الفترة المحصورة بين الاوليجوسين حتى أوائل الزمـــن الرابـــع)، ثــم تجددت المقذوفات البركانية مع حركة الرفع التى أصابت الهضبة ودفعــت بحافاتـــها الشرقية إلى ١٥٠٠ متر، وكان هذا في منتصف البليستوسين ولم تصل هذه الجهات إلى حالة استقرار بعد.

شكل رقم (٧١) : تضاريس اثيوبيا



ويلاحظ أن لافا اثيوبيا معظمها قاعدية أى من النوع الذى ظل على سطح الأرض في حالة ذائبه لمدة طويلة، ولذلك تعمل الغازات والأبخرة التى تتصاعد مع انبثاقها علــى إحداث فقاقيع على سطحها دون أن تؤدى إلى انفجارها بقوة كبيرة، ولــهذا تمتــاز

البراكين التى يخرج منها هذا النوع بأنها هادئة نسبياً، وتتصلب اللافا على هيئة طبقات سميكة وتصبح مخاريطها ذات جوانب أقل انحدارا، فقد زاد سمك هذه الطبقات في اثيوبيا في ما يزيد على ٢ كيلو مترات أحيانا، هكذا نجد أنفسنا إمام هضبة مترامية الأطراف يزيد نصف مساحتها على ٢٠٠٠ متر ارتفاعا، ويقسمها الأخدود إلى قسمين، قسم شمالى داخلى ضمن حوض النيل، وقسم جنوبي خارج عن الحوض، والهضبة أعلى ما تكون في الشرق والشمال حيث تظهر الحافة القافزة التى تظهر على هيئة خط مستقيم يمتد من الشمال إلى الجنوب ويبلغ الارتفاع حوالى ٢٥٠٠ متر وتنحدر إلى سهول الافار انحداراً فجائيا، بينما الانحدار أكثر تدرجا نحو سهول السودان، وأن كان يعتبر انحداراً شديداً، ولكن على العموم المسافات بين الخطوط الكنتورية أكثر إتساعاً من الناحية الغربية عن الناحية الشرقية.

والناظر من سهول السودان إلى الهضبة يجد أولا التلال الصخرية المنعزلة تتلوها السلاسل تلو السلاسل. على أنه توجد في الوسط وبالقرب من الحافة الغربية للكتل البركانية الضخمة الموزعة في غير نظام، فهناك كتلة شوكاى ٤١٠٠ متر، واميداميت ٣٦١٩ متر. وقولو ٤١٠٠ متر، وامبافاريت ٤١٠٠متر، وسيمين ٤٥٦٠ متراً، وابونا يوسف ٤١٩٦متراً، وقد عملت الأنهار وروافدها العديدة على تقطيع أوصال الهضبة في جميع نواحيها كالعطبرة، والنيل الأزرق، وروافدهما، وروافد السوباط، وأومو وروافده، وهواش وبركة والقاش، هذه قطعت السطح أحيانا بخوانق عميقة قد يصل عمقها إلى ١٥٠٠ متر كالحال في وادى النيل الأزرق، ويرجع هذا إلى أن الصخور البازلتية تستجيب بسرعة لعامل النحت، كما نلاحظ كثرة تثنى والتواء هذه المجارى المائية في الهضبة، الأمر الذى يفسر على أساس اعتراض الكتل البركانية الضخمة والموزعة في غير نظام، فالنيل الأزرق يدور حول كتلة جوجام، والعطبرة يدور حول كتلة سيمين، وكتلة تيجرا يصرفها خور القاش وبركة.

هكذا تضافرت عدة عوامل على أعطاء الاقليم صورة أبعد ما تكون عن الصورة الهضبية بالمعنى المعروف، من أنها يغلب عليها الاستواء كالجزر البركانية الشاهقة

إلى جانب النحت النهرى فضلا عن عامل الانحدار العام من الشـرق إلـى الشـمال الغربى ثم الأخدود الذى يرتفع قاعة ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر، وتحتـل بعـض أجزائه البحيرات المغلقة مثل ابايا وستيفانى في الجنوب، وفي قسمه الشمالى يجرى نهر هواش الداخلى التصريف، ثم ينفتح على سهل الدناكل ومنخفض كوبـار الـذى ينخفض إلى ما دون مستوى سطح البحر.

منـــاخ أثـــيـــوبـــيـــا :

كان لوقوع هضبة اثيوبيا بين دائرتى ١٨,٥ شمالا أثره فـي أن اصبحـت مداريـة المناخ ولكن عامل الارتفاع تدخل ليعدل من الظروف المداريـة بحسـب الارتفـاع، وتتمثل الظروف المدارية فيها في قلة المطر بالبعد عن الدائرة الاستوائية فمتوسـط المطر في أديس أبابا ١٢٥ سم بينما يبلغ ٤٥ سم في أسمرة وإذا كان هناك فصـلان للمطر، فان الفصل الذى يمتد من يونية إلى سبتمبر هو فصل المطر الغزيـر ويليـه فصل جفاف طويل حتى مارس، بينما تشهد الحبشة قدرا قليلا مـن المطـر ليعـود الجفاف مرة أخرى، ويبدو أثر التضاريس في غزارة المطر، فبحيرة نو على نفـس دائرة عرض أديس أبابا تقريبا يسقط عليها ٩٠ سم، ولكن يظهر الأختلاف بصـورة أوضح في الحرارة فهى تتراوح بين ١٥° ، ٢٠° م على سـطح الهضبـة المرتفعـة وترتفع الحرارة بالاتجاه شمالا، فأديس أبابا علـى ارتفـاع ٢٤٥٠ مـتراً متوسـط حرارتها ١٦° م، بينما متوسط حرارة أسمرة ١٨°م على ارتفاع ٢٢٧٠ متراً ولكنـها أكثر بعدا نحو الشمال، بينما ترتفع الحرارة في سهول الدناقل لتصل إلـى ٤٠م فـي فصل الصيف، من ثم كان تقسيم إثيوبيا التقليدى إلى الأقاليم المناخية التالية والتـى ترتبط بها نباتات معينة وهى:

اقليم القله الحار :

ويشمل المناطق المنخفضة كسهول الدناقل والآفار فـي الشـرق وسـيدامو ووادى هواش واقليم أوجادن في الجنوب فضلا عن السهول المطلة على السودان وقيعـان الأودية أو بمعنى آخر حتى مستوى ١٨٠٠ متر فوق سطح البحـر، ويتمـيز هـذا الاقليم بحرارته المرتفعة مع المدى الحرارى الكبير، وقلة المطر الذى لا يتعـدى ٥٠

سم، وهى عادة من مناطق المراعى، وان كانت تقوم فيها الزراعة إذا ما توفر الماء كما هو الحال في وادى هواش حيث زراعة قصب السكر والسمسم والفول السوداني وعباد الشمس.

اقليم الوينادجا :

أو اقليم الكروم أو المتوسط الارتفاع فيما بين ١٨٠٠، ٢٦٠٠ متر، ويقدر متوسط حرارته بين ١٦°، ٢٠°م، ويضم هذا الاقليم أكثر جهات إثيوبيا عمراناً بالسكان، وتنمو به غابات من الخيزران وبعض أشجار الجهات المعتدلة فضلا عن المراعى، ومن أهم أشجار الاقليم البرية شجرة البن البرى، كما تزرع الحبوب وفواكه المناطق المعتدلة مثل القرع، والمشمش والكروم والبرتقال.

اقليم الديجا :

ويتراوح منسوبه بين ٢٥٠٠، ٣٤٠٠ متر، من ثم تنخفض حرارته إلى ١٦م وتنمو فيه الاشجار المخروطية والنفضية، وتنمو فيه أشجار الزيتون البرى ويزرع الشعير والبطاطس والعدس، فضلا عن أنواع من القمح الصلب كما أنها من المناطق الرئيسية الوفيرة المراعى.

اقليم ورش :

ويرتفع عن ٣٤٠٠ متر وتنخفض فيه الحرارة إلى ما دون ١٦م، وتظهر الثلوج التى تغطى قمم المرتفعات لفترة قصيرة كل عام.

سكان أثيوبيا :

ليس هناك تعداد للسكان في اثيوبيا، ولكن تقديرات الأمم المتحدى تعطيها نحو ٦٤ مليون نسمة، وترتفع الكثافة في اقليم الوديناديجا كما ترتفع بالقرب من الطرق لآنها تسهل الحركة في الأسواق، ويتنوع سكان أثيوبيا لغة ودينا وقبائلا، والحضارة الاثيوبية هى نتيجة تمثل عناصر حامية بعناصر سامية من المحتمل في الالف الأولى قبل الميلاد وكلاهما من أصول قوقازية، وتوحدت هذه العناصر مكونة مملكة اكسوم من القرن الأول إلى القرن السابع الميلادى، وتحولت إلى المسيحية في القرن الرابع

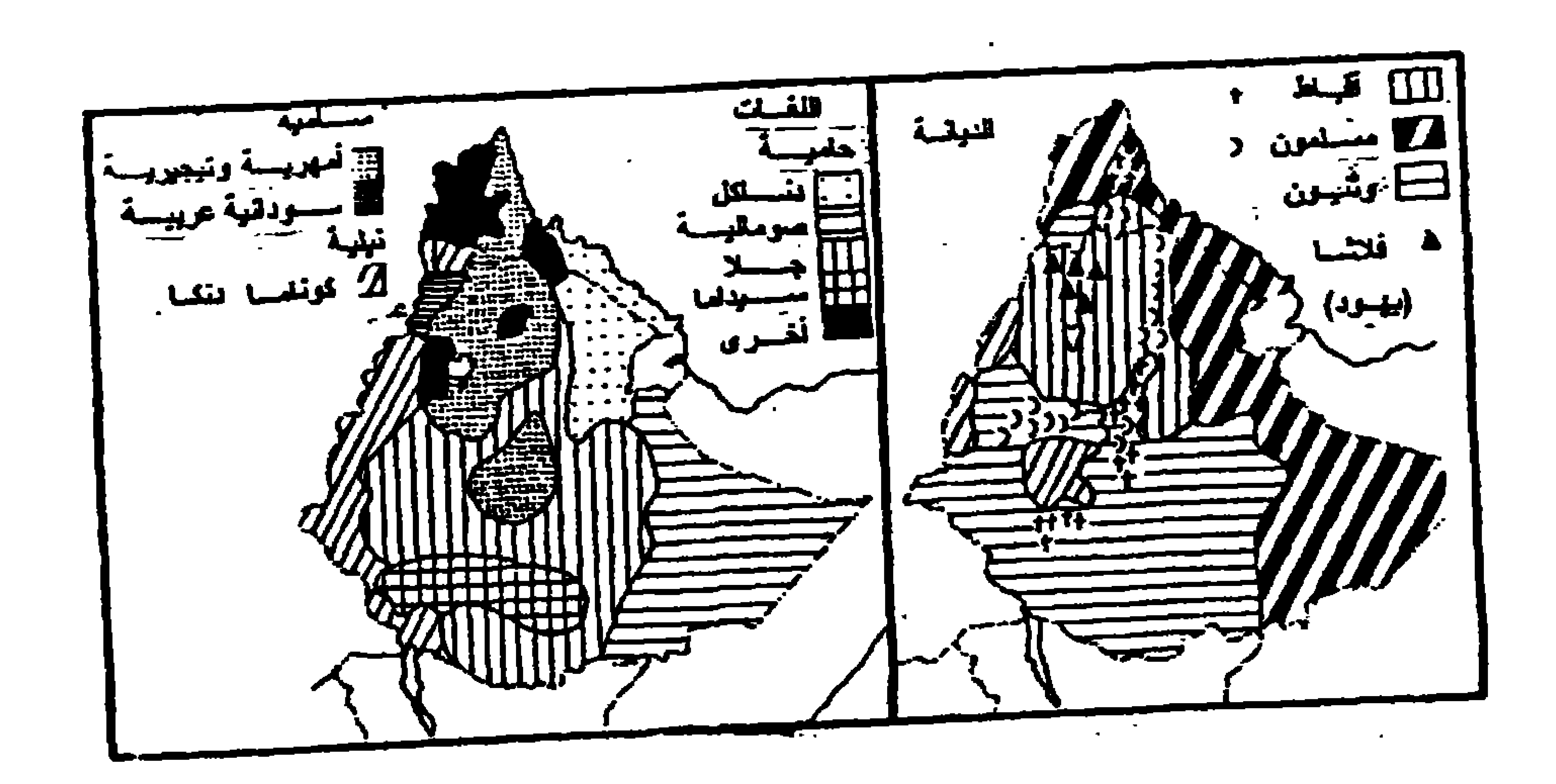
على يد أقباط مصريين، وكان مطران الحبشة يعين من مصر منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٩٥٩، وتظهر العناصر الزنجية في جنوب أثيوبيا، والآرجح أنها عناصر دفعت نحو الجنوب بواسطة عناصر حامية، وإذا كانت هناك نحو ٧٠ لغة ولهجة، فإن الامهرية هى اللغة الشرعية.

ومن أهم العناصر القوقازية الأمهار ويكونون نحو ثلث السكان ومظمهم في الشمال والوسط ويرجعون لأصول سامية وكانوا يؤلفون دائما الطبقة الحاكمة الأرستقراطية ومن ثم كانت لغتهم الآمهريه وديانتهم المسيحية هما اللغة والديانة الرسمية للبلاد.

والعنصر الثانى وهو الجالا وهو عنصر حامى أقرب إلى الصوماليين وفيهم المسيحيون، ولكن منهم المسلمين والوثنيين ويعيشون في الجنوب وعلى السفوح العليا في الوسط، ومعظمهم من المزارعين وإذا أضفنا إلى الجالا الصوماليين والدناكل الفت هذه المجموعة أكثر من نصف السكان.

ومن العناصر الهامة الأخرى الفلاشا أو اليهود السود الذين يوجدون شمال بحيرة تانا والنيليون على الحدود الغربية إمتداداً لأخوانهم في السودان، وهكذا كان التعدد والتنوع الذى يصل بأثيوبيا إلى ٧٠ لغة، قابلته الحكومة ببرنامج مركزى لنشر الامهرية، ويضاف إلى هؤلاء الجاليات الأجنبية من اليمن والأرمن واليونانيين والايطاليين والهنود وهؤلاء يقومون بحرفة التجارة أساساً.

شكل رقم (٧٢) : الدين واللغة فى اثيوبيا



أديـــس أبابـــا :

يسكن أديس ابابا اليوم نحو ٢,٥ مليون نسمة، وهى بإســـتثناء اســمرة عاصمـــة إريتريا، هى المدينة الكبرى غربى البحر الأحمر، وقد أتخذت عاصمة عـــام ١٨٨٩ وظلت لمدة ٢٠ عاما لا تعدو القصر الملكى وبضعة قصور قليلة للامراء وقريـــة أو قريتين يسكنها الأهالى، وظل الحال هكذا حتى استولى عليها الايطاليون عام ١٩٣٥، وكان تحديثها بعد الحرب العالمية الثانية ، وبصفة خاصة بعـد اختيارهـا عاصمـة لمنظمة الوحدة الأفريقية، حتى تكون أهلا لهذه الوظيفة، فمـدت الطـرق ووســعت ورصفت، وظهرت الفنادق الحديثه والمطار الدولي، ودشن الامبراطور هيلاسلاســى مبنى ضخما فخما عرف باسم قاعة افريقيه عام ١٩٦١ خصص ليكون مقرا للجنــة الاقتصادية لافريقيه التابعة للأمم المتحدة، وتضم أديس أبابا إلى جـانب الاثيوبييـن الاف من اليمنيين التجار واليونانيين، والارمن والسوريين والهنود، فضلا عـن الاف من الأمريكيين والأوربيين.

نمـــط الزراعـــة فـــى أثـــيوبـــيـــا :

يختلف حال الزراعة في اثيوبيا عنه في مصر ، فهى في أثيوبيا زراعـــة مطريـــة، وهى زراعة مبعثرة ليست مساحات كبيرة متصلة، ويرجع هـــذا لوعـورة السـطح وأرتفاع سطح الهضاب عن منسوب الوديان العميقة التى تشقها، ومن ثم كانت أيضاً زراعة اكتفاء ذاتى في المقام الأول، وحتى الايجار يدفع عينا لا نقداً في كثـــير مـــن الأحيان، ويستخدم الحيوان في حرث الأرض وتذريـــة المحـاصيل، وان كــان روث الماشية يستخدم في المناطق المرتفعة للتدفئة أكثر منه لتخصيب التربـــة، والــدورة الزراعية المعروفة هى تبادل زراعة الأرض وتركها بوراً، والتربة بوجه عام بركانية خصبة ، بحيث يمكن القول بأن الصورة العامة هى زراعة بسيطة في أراضـــى ذات إمكانيات عالية، كما أن بيانات الإنتاج الزراعى تقديرية، من ثم رغم استدعاء خبراء لتطوير الزراعة، فالمشكلة التى تواجههم هى أنه لا توجد صوره تفصيلية للحــاضر يمكن على أساسها رسم صورة المستقبل.

نـــظـــام الحيازه واثره :

ورغم أن ٨٠% من السكان يعتمدون على الزراعة فقد كان نظام الأرض وحيازتـــها فريد في القرن العشرين، نظام أقطاعى استغلالى بصورة رهيبة فملكية الأرض فـــي المقاطعات الشمالية المرتفعة هى ملكية أسريه وليست فرديه، والذى يعمل بالزراعـة يعمل في ظل مناخ هذه الملكية التى يندر فيها بيع وشراء الأرض، وكان حق جمـــع الضرائب والقضاء مفوض من الامبراطور إلى النبلاء، وكان من الضـــرورى علـــى الشعب تأدية خدمات مجانية للحاكم الاقليمى، وان كانت من الناحية النظرية ألغيـــت منذ ما يزيد على ثلاثين عاما، ولكنها كانت سارية من الناحية الفعلية، وفي جنـــوب غربى اثيوبيا التى لم تضم إلى البلاد الا في نهاية القرن التاسع عشر كـــانت هنـــاك مزارع ضخمة أصحابها نبلاء غائبون يعيشون في الشمال فـــي المرتفعـــات ولـــهم حقوق كاملة على الزراع الذين يفلحون الأرض، ويصل هذا الحق في بعض الأحيـــان إلى ثلاثة أرباع المحصول. فضلا عن خدمات وهدايا لابد من تقديمها في المناسبات، كما أن ضريبة الأرض والتى كان من المفروض أن يدفعها الملاك فغالباً مـــا كـــانت تحول إلى المستأجرين.

بعض هذه الحيازات كانت تصل إلى ملايين الأفدنه فقد كان حاكم عام مقاطعة شـــوا قبل الانقلاب يملك ٥ مليون فدان في جنوب وغربى أثيوبيا كما حصل مالك آخر على ٣ مليون فدان في المقاطعة الشرقية، وقد تكون هـــذه الحـــالات صارخـــة، ولكـــن المعروف أن الامبراطور والحكومة كان يمنحان كبـــار رجـــال الدولـــة والبوليـــس والجيش وأفراد عائلة الامبراطور مساحات من الأرض في المقاطعات الجنوبية وذلك تأييداً للنظام.

اما عن امتيازات الكنيسة فكانت ضخمة بدورها، ويقدر أنها كانت تمتلك ٢٠% مـــن مساحة الأراضى المزروعة ومع ذلك لا تدفع عنها ضريبة ويشاركها في هذا الامتياز العائلة المالكة وكبار الملاك، وبعبارة أخرى لا يدفع ضرائب الأرض مـــن يمتلكـــون نحو نصف مساحتها وأكثرها خصوبة وإنتاجاً.

وحاولت الحكومات طوال الفترة الماضية إقامة مستوطنات لالاف العائلات الريفية المهاجرة من الشمال نتيجة الجفاف أو هجوم الجراد، قامت بمنح الأراضي ودعم المزارع التجارية في الجهات المنخفضة. وكان الفقر وإهمال المزارعين الفقراء، والنظام الأقطاعى في الأرض الزراعية التى كانت من نصيب رجال الدين والطبقات العليا من الأمهرا سببا كافيا لقيام الثورة والاطاحة بهيلاسلاسى الذى حكم أكثر من ٤٠ عاما ومن ثم قامت الثورة بتأميم الأرض والغت النظام الاقطاعى مما سهل عملية توزيع الأرض على المعدمين، ولكن دخول الحكومة في حروب مستمرة ضد القوى المعارضة، وكذلك امتداد الحرب الارترية فترة طويلة أدى إلى إهمال الإصلاح وتوجيه الأموال نحو العمليات الحربية.

المحاصيل الزراعية :

وتأتى الحبوب الغذائية على رأس قائمة الحاصلات الغذائية وأهمها التيف الذى يصنع منه الخبز وهو حب أصله في أثيوبيا، ويزرع هناك في ظل ظروف متباينة، والقمح الذى زاد الطلب على استهلاكه، وان كان الاثيوبيين يفضلون عليه التيف ويزرع الشعير أحياناً مرتين في العام إذا توفرت مياه الرى وماء المطر ويستهلك معظمه في صناعة نوع من البيرة يطلق عليه (تلا) وهذه المجموعة من الحبوب يكاد يختص بها اقليمى الويناديجا والجزء الادنى من الديجا أى بين ١٥٠٠، ٣٠٠٠ متر، وذلك أن هذه الحبوب تترك مكانها يعد هذا الارتفاع للمراعى، وان كانت هذه بدورها يعيبها على هذه المستويات المرتفعة سقوط المطر بغزارة في فصل واحد مما يقلل من نسبة الأملاح المعدنية في الحشائش، فتصبح بذلك أقل جودة من نظيرتها في الاقاليم المعتدلة التى يسقط فيها المطر موزعة لفترة طويلة من ثم كانت حيوانات الجهات المرتفعة هزيلة بوجه عام.

أما في اقليم القلة فتزرع الذرة العريضة في أعاليه وفي الجزء الأدنى من اقليم الديجا حتى أرتفاع ٢٥٠٠ متر، وتعلوها الذرة الرفيعة التى يستهلكها الإنسان في غذائه أيضا ويدخل مع الحبوب في الدورة الزراعية للبقوليات كاللوبيا والعدس والحمس، وقد تجد الزراعة في المناطق المنخفضة الجفاف فيحل الدخن محل الذرة.

الرفيعة، ومن الفاكهة يعرف الاثيوبيون المانجو التى تنتشر مزارعها في هرر وجما، والموز في جنوب غرب اثيوبيا في سيدامو وبالقرب من هروديرداوا، وهذا الموز من نوع إنسنت أو (الموز الكاذب) ويغطى مساحة كبيرة من اللاندسكيب في تلك المناطق.

وتزداد أهمية الرعى عن الزراعة في المستويات دون ١٥٠٠ متر، ففى الجنوب يمارس الجالا والبوران نوعاً من الرعى إلى جانب الزراعة بينما يحول الجفاف في الشرق دون ممارسة الزراعة سواء لدى الجالا أو الصوماليين، وكذلك الحال في السهول الشرقية في اقليم الدناكل، حيث تقتصر الزراعة على الآودية التى قد يأتيها الفيضان، ولذلك يعتمد الرعاة الفقراء على هذه الاقاليم على زيادة دخولهم ببيع الأسماك والملح فضلا عن جمع الصموغ والفحم النباتى.

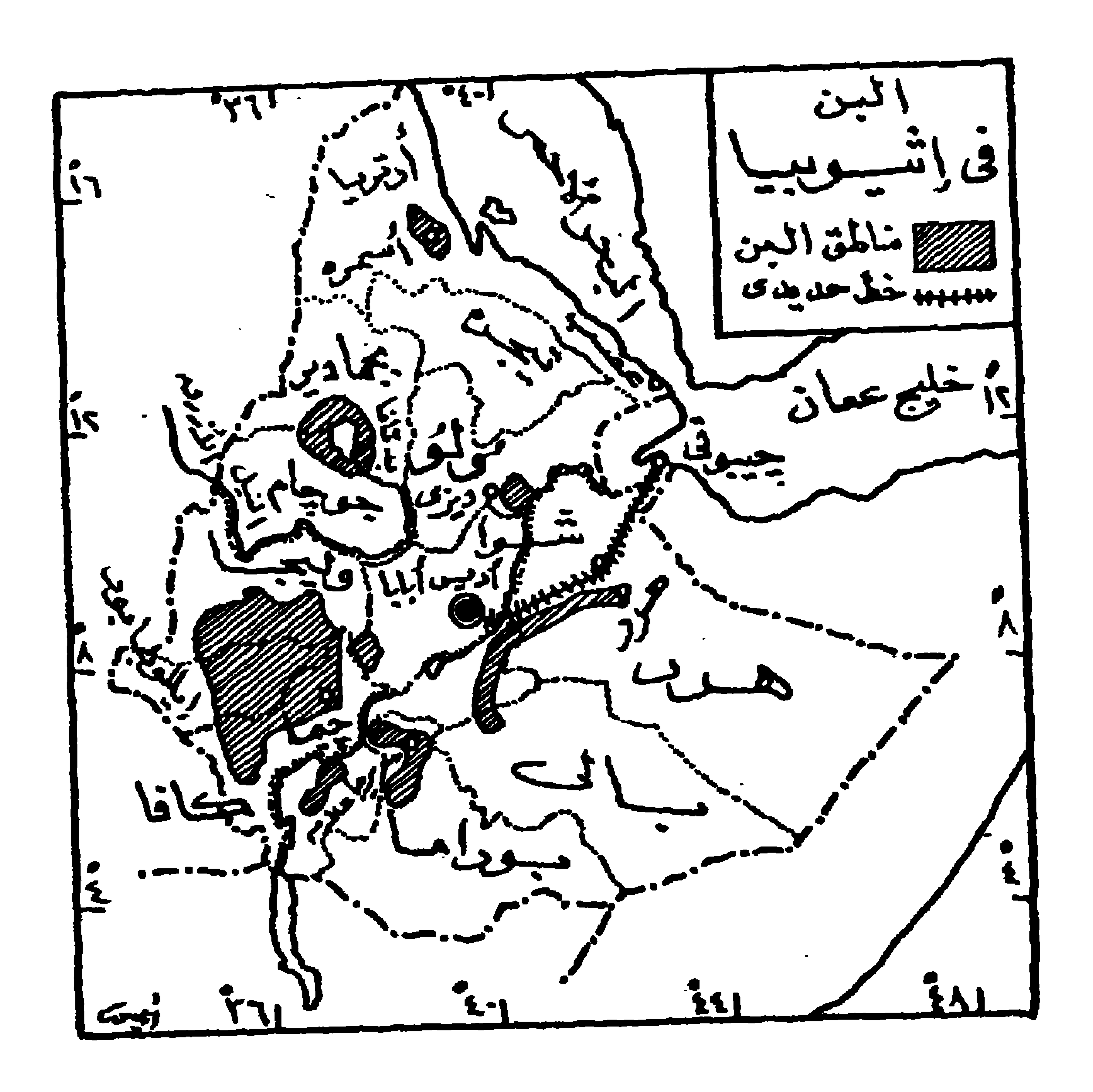
هكذا يحيا الاثيوبيون حياة تقليدية، وكانت العوامل الطبيعية كالتضاريس الحادة فضلا عن البعد عن البحر، ونظام الحكم الذى كان سائدا من عوامل تقوية الاتجاه التقليدى المحافظ، ومع ذلك فمن أجل تحسين الزراعة فقد بدأت الحكومة في عمل مسح للأراضى الزراعية لتوحيد طريقة دفع الضرائب، وتظهر محاولات للتجديد بالاهتمام بالتجارب الزراعية ومحاولة الوصول إلى أنسب الآلات الزراعية بدلا من المحراث الذى يجره الثور. وأجريت دراسات على تدريج السفوح للتقليل من أثر التعرية المائية الشديده وبناء السدود على المجارى المائية لخزن مياه الفيضان، وادخال الغلات النقدية، ومن أكبر هذه المشروعات الحديثة مشروع ونجى لقصب السكر اعتماداً على مياه نهر هواش، والذى يمقتضاه يزرع الآن نحو ٦٢٥٠ فداناً من القصب ، ومن الأرقام المتاحة يتضح أن هناك محصولين يسترعيان الانتباه من جانب الحكومة لارتفاع قيمتها وأثرهما في إصلاح الميزان التجارى وهما البن والقطن.

ويعتقد أن أثيوبيا أصل البن في العالم، لدرجة أنه ما زال ينمو برياً في جنوبها الغربى، خاصة اقلم جما وكافا *Jemma* وتغطى غابات البن البرى ما يزيد على مليون فدان، معظمها لم يستغل، ويقدر أن جزءاً كبيراً من محصول أثيوبيا مما

يجمعه أهالى من أطراف هذه الغابات بينما يأتى باقى المحصول من البن المـــزروع سواء من المزارع ذات الحجم الصغير إلى المزارع الكبيرة معظم المحصول المزروع يأتى من المنتجين الصغار، ذلك أن البن في أثيوبيا يمثل جزءاً من الزراعة التقليديـة لدى المزارعين، فقد اعتاد على زراعته مع الغلات الغذائية الأخـــرى لسـد حاجـة الأسرة.

ولا توجد تقديرات سواء للإنتاج البرى أو المزروع، بل ومازال الأمر غامضـــا فـــي كثير من الأحيان عن معرفة الأشجار البرية من المزروعه، والبن كمحصول زراعـى تشتهر به الولايات الجنوبية الغربية مثل جامو وكافا، وسيامو فالولايـات الجنوبيـة الغربية مسئولة عن ٩٠% من صادرات اثيوبيا من البن.

شكل رقم (٧٣) : البن فى اثيوبيا



وتعتبر مزارع هرر من أحسن مزارع البن في أثيوبيا، وتنتج أغلاها ثمنا وقد نشأت هذه المزارع في نهاية القرن الماضى وزادت في القرن الحالى وخاصة على هضبة هرر، وانتشرت منها إلى الولايات المجاورة، أما المزارع الواسعة الحديثة فترجع إلى أواخر خمسينيات هذا القرن، وهى أن كانت لا تسهم بكم وافر في إنتاج أثيوبيا، فان الفدان فيها يعطى ما يقرب ٤٠٠ كيلو جرام ولا يزرع فيها إلا البن العربى الذى أعطى البلاد شهرتها في تاريخ انتشار البن، فمن أثيوبيا انتشرت زراعة هذا النوع في انحاء العالم، فمن طريق اليمن الذى وصلتها بذوره في القرن السادس الميلادى، عرفته الامبراطورية الهولندية في جنوب شرقي آسيا ومن هناك انتقل إلى العالم الغربى.

وتعتبر الظروف الطبيعية مثالية بالنسبة لزراعة البن في اثيوبيا وخاصة في جنوبها الغربى حيث تتركز غاباتها الطبيعية وحيث أسست مزارع البن الواسعة، فالتربة حمضية بركانية سميكة أما مرتفعة أو متوسطعة الخصوبة، وهى تشبه إلى حد كبير أجود التربات التى يزرع فيها البن في أكثر المناطق إنتاجا له في العالم، ويسقط ما يقرب من ٢٥٠ سم من المطر في القسم الجنوبي الغربي، موزع على معظم العام وحتى في أكثر الشهور جفافا بين (نوفمبر وفبراير) يشهد الاقليم بعض المطر، وفى أقصى الأطراف الجنوبية للآقليم يبدأ ظهور فصلين للمطر أحدهما قصير من مارس إلى مايو والآخر طويل من يولية إلى سبتمبر وعادة ما يبدأ الازهار بعد فصل المطر القصير، بينما يتم الجمع من أكتوبر إلى ديسمبر كذلك تناسب ظروف الحرارة هذا النبات فهى تتراوح بين ١١م ٢٦م على ارتفاع ١٧٥٠ متراً.

ويتجة به المزارعون إلى السوق على ظهور البغال والحمير، وتستغرق هذه الرحلة ما بين اليوم والأسبوع، وتتم عملية جمع البن عن طريق هز الفروع أو ضربها بعصا أو التقاط الحبوب بالأيدى، وتجفف الحبوب ذات اللون الأخضر، أو البنفسجي، أو الأسود على الأرض مما يعطيه رائحة ردينة وطعما غير حسن. وكان لاعتماد اثيوبيا على اشجار البن وسوء عملية القطف وعدم التصنيف أثره في تدهور الصادر، ذلك أن جمع البن مرة واحدة بصرف النظر عما إذا كانت الحبوب ناضجة أم

فجة خضراء أم جافة وتجفيفها بالطرق البدائية وكذلك تقشيرها مما يجعل الحبوب تختلط بالشوائب.

ويعانى تسويق البن في اثيوبيا من سوء وسائل النقل من مناطق الإنتاج وهى عادة غير صالحة في موسم المطر لدرجة أن تستخدم طائرات (داكوتا) في نقل البن من المناطق المتطرفة.

الإنتـــاج :

أما عن إنتاج البن في أثيوبيا واستهلاكه فمن الصعب العثور على ارقام أقرب إلى الحقيقة عنه: وإنما ما يوضع له من أرقام إنما يعتمد على عينات محدودة ولكن يمكن القول بان اثيوبيا التى تاتى في المركز الرابع إنتاجا للبن في افريقية هى أكبر دولة أفريقية منتجة للبن العربى فهى تسهم بأقل من ٢,٥ % ممن مجموع صادراته العالمية، بينما يمثل عماد صادرات الاقتصاد الاثيوبى (٦٦% من صادراتها) والسوق الرئيسى لبن أثيوبيا هو الولايات المتحدة الأمريكية التى تستوعب وحدها نحو نصف صادرات اثيوبيا، كما يهرب نحو ٥ آلاف طن سنوياً إلى السودان.

ويعتبر القطن محصولا تقليدياً ينتج في مساحات مبعثرة، ولا يصدر منه الكثير بحيث مازالت اثيوبيا تستورد المنسوجات القطنية، وعندما أحتل الإيطاليون اثيوبيا وجدوا زراعة القطن مبعثرة وبكميات قليلة وبعد دراسة قسموا البلاد إلى خمس مناطق من حيث زراعة القطن، واقاموا محلجا في كل منطقة، ولكن هذا التقسيم اضطرب بسبب قيام الحرب، وتقتصر زراعة القطن الآن على هامش المرتفعات الوسطى أو في الأودية التى تخترقها مثل وادى هواش.

والمشكلة الأساسية في زراعة القطن في أثيوبيا هى أن الظروف المناخية في المرتفعات لا تلائمه نظراً لأن الأمطار المبكرة غير مضمونة قبل يولية وأغسطس، ومن ثم تصبح الأودية التى تعتمد على الرى هى أنسب بيئة له، ولكن مثل هذه البيئات المنخفضة غير محببة لدى الاثيوبيين لحرارتها المرتفعة، وخاصة دون الالف متر لانتشار الملاريا، ويضاف إلى هذا مشكلة أخرى، وهى أن منخفضات أثيوبيا التى يمكن زراعتها بإستثناء الأخدود (الذى يخدمه سكك حديد جيبوتى/ أديس ابابا)

تقع على السفوح الجنوبية الغربية، من ثم كانت تكاليف النقل تكاد تكون مانعة للتصدير الاقتصادى.

الإنتاج الحيوانى :

رغم ثروة اثيوبيا من الثروة الحيوانية، منها نحو ٢٥ مليون رأس من البقر من النوع الزيبو، ٢٤ مليون راس من الأغنام، ١٨ مليون رأس من الماعز، فضلا عن ٤ مليون حمار، ١,٥ مليون حصان، ونحو المليون رأس من الإبل، فان صادرات أثيوبيا من الماشية تقل تدريجياً نظراً لصعوبة النقل، إذ تستخدم السكك الحديدية إلى جيبوتى مما يرفع من التكاليف، فضلا عن عدم وجود موارد غذائية للحيوان في جيبوتى، ويؤدى هذا بدوره إلى هلاك أعداد كبيرة قبل الشحن، ثم كان زيادة استهلاك اللحوم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية مما أدى إلى انخفاض صادراتها من الثروة اليحوانية بصورة كبيرة.

الصناعة :

أثيوبيا بلد فقير في صناعته وذلك لندرة الخامات الزراعية وارتفاع اثمانها، وفي نفس الوقت اثيوبيا فقيرة في خاماتها المعدنية، فباستثناء الذهب الذى يستخرج منه بكميات ليست بكبيرة حين تظهر الصخور البلورية على السطح، حين ترتفع أو حين تنحت المجارى النهرية لتكوينات الرسوبية وتصل إلى صخور القاعدة، نجد الأملاح هى أهم ما يستخرج من الأرض، ويشتهر اقليم الدناكل وسهول الافار في الشرق بالملح، وهو ملح تخلف عن إنحسار مياه البحر الأحمر حين ظهرت المرتفعات الفاصلة بين البحر والسهول ، ويقدر إنتاجها سنوياً بنحو ١٠ آلاف طن وتستخرج الأملاح أيضا من البحيرات الاخدودية كبحيرة ماجادو، وبخلاف أملاح الصودا توجد أيضا أملاح البوتاسيوم التى يستخرج منها نحو ٨٠ ألف طن سنوياً، وصادف ايضا أن كانت أثيوبيا فقيرة في موارد الطاقة الحفرية، فلا يوجد سوى فحم اللجنيت.

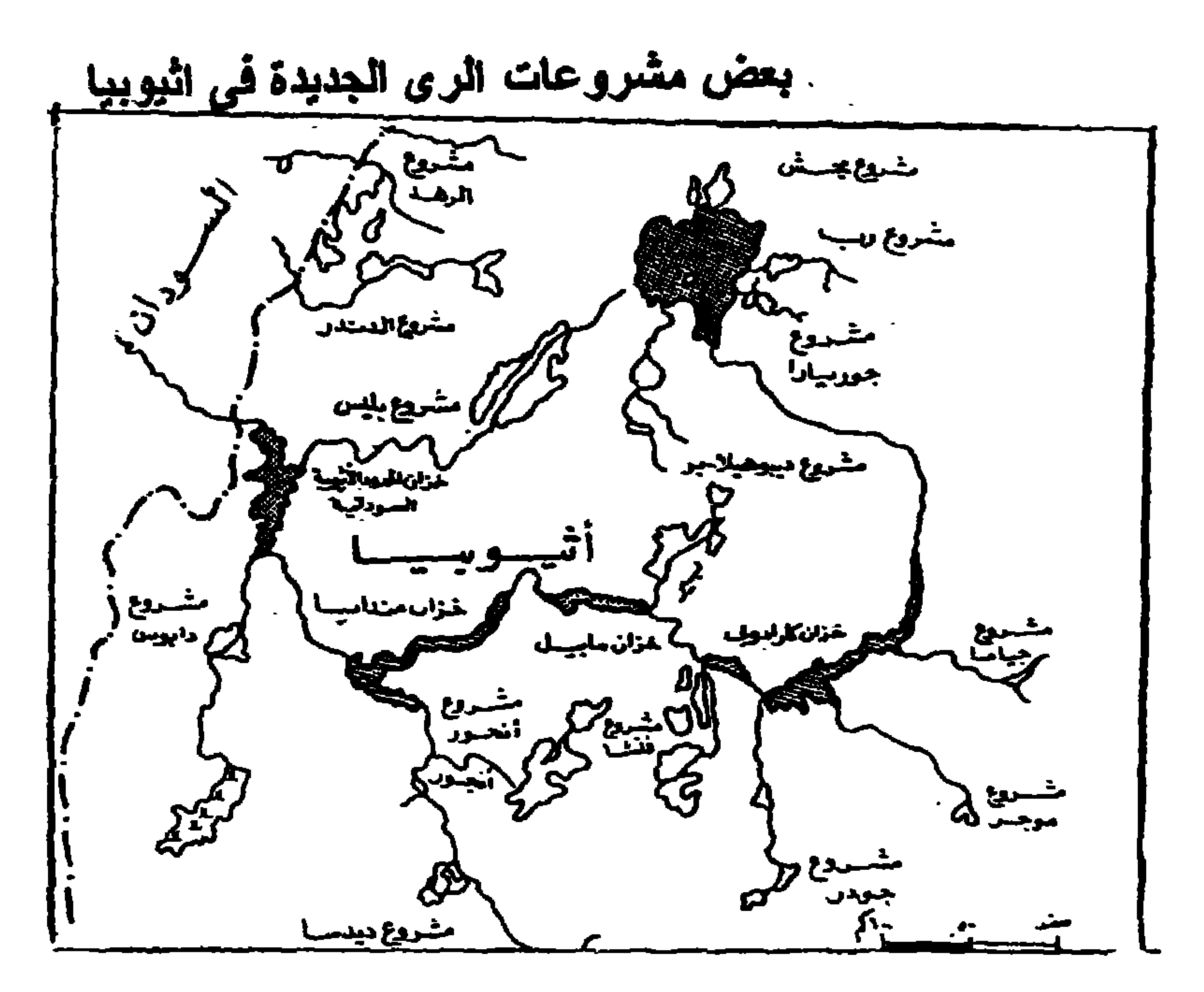
وما زالت الصناعة في مهدها، ومعظمها مركز في أديس أبابا، كالمنسوجات والاسمنت والصناعات الجلدية، فضلا عن السكر، وتعتبر المنسوجات هى الصناعة الرئيسية، بها وحدها نصف القوى العاملة الصناعية، وتدهورت الصناعة في عهد

منجيستو وكان هناك ودعما من دول الكتلة الشرقية، منها المنسوجات، والبيرة في هرر والاسمنت وتجميع الجرارات في نازرت *Nazret* وقد توقف الدعم نهائيا بعد عام ١٩٩٠، وقد كانت ألمانيا تعهدت ببعض الدعم بدلا من المانيا الشرقية سابقا.

إمكانات اثيوبيا الكهرومائية :

إمكانات اثيوبيا الكهرومائية كبيرة نظراً لطبيعة سطحها المتضرس، وتقدر هذه الإمكانات نحو ٦٠ الف مليون كيلو وات ساعة، وتقوم مشروعات الكهرومائية بتزويد اثيوبيا الأن بمعظم الطاقة المولدة، وهى جزء من خطة ضخمة ١٩٨٥ - ٢٠٠٢) ويهدف البرنامج إلى زيادة نصيب الفرد من ٢٠ كيلو وات ساعة إلى ٥٢ كيلوات، ورفع كفاءة توليد الكهرباء من ٣٠٠ ميجاوات إلى ١٠٠٠ ميجاوات، وقد بدأت بعض المشروعات العمل في ظل هذه الخطة منها محطة مالكا ويكانا بقدرة ١٥٣ ميجاوات على نهر ديبى وشبيلى، والتى أقيمت بمساعدة الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا سابقا هاديادفينا ، وتم المشروع عام ١٩٨٨، ووقع اتفاق في نفس العام مع ثلاثة مؤسسات أجنبية لمد خط ضغط عالى بقوة ٢٣٠ كيلو فولت بين كوكا وديرداوا ، واشتركت اللجنة الاقتصادية في مشروع تحويل نهر امارتى، بينما ساعدت يوغسلافيا في توسيع محطة بحيرة تانا، كما بدأ العمل في إقامة محطة توليد أخرى على نهر صور *Sor* إلى الغرب من أديس أبابا بمساعدة الأمم المتحدة وايطاليا.

بعض مشروعات الرى الجديدة في اثيوبيا



النقل مشكلة أثيوبيا :

كان لاثيوبيا واجهتين، احداهما برية مطلة على سهول السودان وكينيا والصومـال، والأخرى بحرية مطلة على البحر الأحمر (قبل استقلال اريتريا) وليس من شـك أن الجبهة البحرية هى أفضل الجبهات بالنسبة لاثيوبيا لأنها منفذها إلى البحر الأحمـر، رغم أن الوصول إلى هذا الساحل معناه الانحدار المفاجئ الشـديد بسـبب الحافـة القافزة، أما الجبهة الأخرى المطلة على السودان فهى أكثر تدرجا، وأن كانت شـديدة الانحدار في نفس الوقت، وقد حرمت اثيوبيا من الوجهة البحرية مدة طويلـة، منـذ القرن السادس عشر حين خضعت معظم الشقة السـاحلية للعثمـانيين، ثـم شـاهد الساحل في القرن التاسع عشر الاستعمار الاوروبي ممثـلا فـي أيطاليـا وفرنسـا وبريطانيا، فاستولت ايطاليا على ميناء عصب باسم شركة ميناء عصب ثم وسـعت املاكها، ثم آلت املاك الشركة إلى الحكومة الإيطالية عام ١٨٨٢، وضمت إيطاليـا ميناء مصوع عام ١٨٨٥ منتهزة تقلص النفوذ المصرى وقيام الثورة المهدية فـي السودان، وعملت ايطاليا على تعبيد الطرق في ظهير عصب ومصوع لخدمة الأجزاء التى استوطنها الايطاليون وترتب على تدهور الأمور السياسية في السـودان إلـى التفكير في مد خط حديدى من مصوع إلى كسلا، عساه يحقق فرصة التوسع غرباً أو على الأقل التعامل مع الأسواق السودانية، ووصل هذا الخط أسمرة عام ١٩١١، ثـم اجوردات وبيسكيا عام ١٩٢٢، وفى هذا الطريق القصير ٢٢٤ ميلا يصعـد الخـط أصعب أجزائه بين الساحل وأسمرة عاصمة إريتريا أكثر من ٢٥٠٠ مترا فى زوايـا حادة وانحدار ٣,٣ فى المائة ويمر بثلاثين نفقا، ويحمل هذا الخط فى الوقت الحاضر نحو ٢٠٠ ألف راكب، ١٤٠ ألف طن سنويا وانتهت فكـرة مـده إلـى السـودان لتصريف تجارة السودان فى هذا الاتجاه بعد بناء مينـاء بـور سـودان. واكتفـى الإيطاليون بمد شبكة من الطرق لخدمة الإنتاج والاستيطان فى إريتريا، على العموم لا تزيد أطوال الطرق الجيدة عن ٨ آلاف كم.

أما المصالح الفرنسية فكان هدفها مد خط حديدى شرقى غربى مـن جيبوتـى مـن الصومال الفرنسى إلى دكار فى أقصى غرب أفريقية، وامتد الخـط الحديـدى مـن

جيبوتى عام ١٨٩٥ فى وادى هواش أى فى الأخدود الشرقى واتجه منها إلى هـــرر ووصل إلى أديس أبابا عام ١٩١٧، وتوقف الخط هنا أيضا بعد أن شغلت بريطانيــــا الفراغ السياسى فى السودان، وقطعت على الفرنسيين خط الرجعة ويعتبر هذا الخـــط فى الوقت الحاضر أهم خط فى أثيوبيا.

ويعانى هذا الخط على العموم من قلة الحركة عليه. وقد رأت أثيوبيا بعد ضم إريتريا إليها الاستفادة من الموانى الوطنية، وخاصة بعد تنمية ميناء عصب، وهــذا معنــاه تدهور ميناء جيبوتى، لذلك رأت الشركة الفرنسية عقد اتفاق مع أثيوبيــــا بمنحـــها ٥٠% من أسهم الخط الخط الحديدى، فضلا عن تسهيلات مــــن الترانسـيت خـــلال الصومال الفرنسى، فأدى هذا إلى تنشيط حركة الخط بحيث أصبح لا يعمل بخســـارة منذ عام ١٩٥٨ وجدد الخط وتحولت قاطراته إلى استعمال السولار، ومع ذلك ظــــل هذا الخط من أصعب الخطوط الحديدية، ومن أكثرها تكاليفا وعبء على الصـــادرات والواردات.

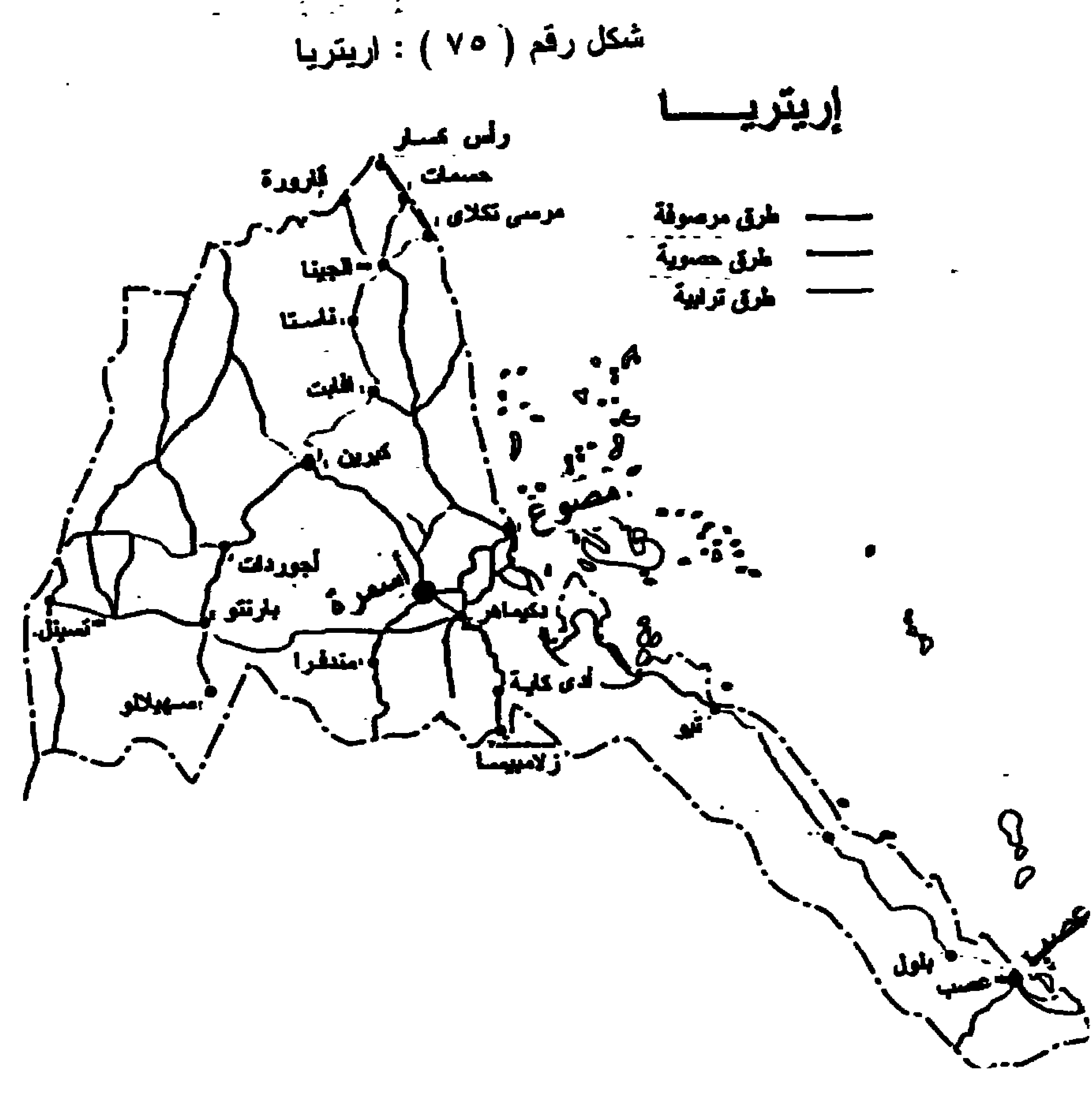
إريتــــــــــــــــريا

بين إيطاليا وأثيوبيا :

فى الأول من يناير ١٨٩٠ حددت إيطاليا حدود اريتريا وبدأت تحكمـــها كمســتعمرة إيطالية حتى عام ١٩٤١، حين هزمتها الجيوش البريطانية، وتولـــت الســلطة فـــى إريتريا التى أصبحت خلال الحرب الثانية مركـــزا لعمليـــات الجيـــوش البريطانيـــة والأمريكية فى تلك الجبهة، ومع خروج إيطاليا مهزومة فى الحرب الثانية، ظـــهرت مسألة وضع المستعمرات التى كانت تحت يدها فى الأمم المتحدة، وأرســـلت الأمـــم المتحدة عدة بعثات لتقصى الحقائق والتعرف على رغبة الاريتريين، وتعـددت الآراء ، وكان منها اقتسامها بين فرنسا ، وبريطانيا واثيوبيا لمدة عشر سنوات ، ثم إجراء استفتاء على استقلالها، واستقر الامر على أن تدخل اريتريا اتحـــادا فيدراليـــا مـــع اثيوبيا مع ضمان إعطاء الاريتريين حكما ذاتيا، ولكـــن حكومـــة أثيوبيـــا لـــم تـــف بالتزاماتها حيال إريتريا فيما يختص بحقوق الشعب الاريترى، مما أدى إلى موجـــة

تذمر بدأت عام ١٩٦١، أدى إلى صدام مسلح، انتهى بحل الإمبراطور هيلاسلاســـى للبرلمان الاريترى، وضم ارتيريا كالمقاطعة الرابعة عشر فى اثيوبيا عام ١٩٦٢.

شكل رقم (٧٥) : اريتريا



نحـــــو الاستقلال :

استمر النضال فى سبيل الاستقلال نحو ثلاثين عاما، نكاد نقول دمرت فيــه إريتريـــا تماما، وان لم يدمر الشعب الإريتري، بل ازداد صلابة، حتى أعلنت جبهـــة تحريـــر شعب اريتريا *(EPLF)* فى مايو ١٩٩١ التحرير الكامل لأراضى اريتريا، وأعلنت قيام الحكومة المؤقتة، وفي نفس الوقت كانت الجبهة الثورية لتحرير شعب أثيوبيـــا قـــد أطاحت بالحكم الماركسى فى أثيوبيا، وتوج هذا بقيام لاســـتفتاء فـــى إبريـــل ١٩٩٣

صوت فيه ٩٩,٨% من الاريتريين فى جانب الاستقلال، ولذلك تحتفل إريتريا فى ٢٤ مايو بعيد الاستقلال.

العلاقات المكانية :

تقع إريتريا فى شرقى القارة مطلة على البحر الأحمر بساحل طوله نحو ١٢٠٠ كيلو متر، وهى مسافة طويلة بالنسبة لمساحتها (١٢٤ ألف كم٢)، وكان هـذا الموقـع الساحلى من الاغراءات التى جعلت هيلاسلاسى يعلن بانها اقليم من أقـاليم أثيوبيـا نظرا لأن اثيوبيا بدون إريتريا هى دولة حبيسة، فأريتريا هى نافذتها وبابها الواسـع على العالم الخارجى، وكان هذا الموقع أيضا سببا فى أن هذا الاقليم شهد صراعـات عديدة عليه من رومان ويونان وفرس وعمانيين، كل يحاول مد نفوذه علـى هـذه الساحة، بل لقد استعانت تركيا بقوة محمد على الشابة، فأقام حكما مصريا بدءا مـن مصرع، وتطورت الأحوال حتى ظهرت ايطاليا على الساحة، ثم بريطانيا كما ذكرنـا هذا على حين أن أثيوبيا ظلت حبيسه الموقع الداخلى والتضرس العنيف، مـن ثـم تميز الاريتريون بانفتاحهم على الخارج على عكس الاثيوبيين، ولذلـك أيضـا كـان هناك نص على حرية مرور التجارة الاثيوبية خلال إريتريـا إلـى مينـائى عصـب ومصوع فى الاتفاق الاثيوبى الاريترى.

وكان قربها من باب المندب له أثره فى أمرين الأول أهمية استراتيجية فى المـاضى كما رأينا، وكذلك فى الحاضر والمستقبل، والثانى هو الارتباط باليمن نتيجة الهجرات التى حدثت من شبه الجزيرة العربية عبر باب المندب وتعميرها، كذلك تعمير اثيوبيـا بالساميين، حتى أن البيت المالك الاثيوبى السابق كان يعتبر نفسه من سـلالة سـبأ ملكة اليمن.

وتتبع اريتريا عدة جزر أمام الساحل وهى على هيئة مجموعات أكـثر منـها جـزر منفردة مثل أرخبيل دهلك أكبر المجموعات الجزرية وأكثرها عـددا (١٢٦ جزيـرة) وأرخبيل جواقل وهى جزر بركانية، ولا شك أن كثرة هذه الجزر التابعة لها تزيد فـى الأهمية الاقتصادية لاريتريا، كما أنها تمثل حماية لموانى أريتريا.

السكـــــان :

قدر عدد سكان إريتريا عام ١٩٩٢ بنحو ٣,٥ مليون نسمة، وتضم تنوعـاً بشـريا كبيراً، يربط بينهما وبين الدول المجاورة، إثيوبيا والسـودان والصومـال، وأكـبر المجموعات البشرية التى تسكن الهضبة وتعتبر وكأنها شظية من إثيوبيا هى شـعب التجرانيين، ويبلغون نحو ثلث التجرانيين فى الهضبة الاثيوبية ولعـل اتفاقـهم فـى اللهجة واللغة الامهرية وولائهم للكنيسة يجعلهم أقرب إلى الاثيوبيين، أما فى الشمال والغرب فهناك التيجريون، ويتكلمون التيجرية وهى أقرب إلى لغة الجعـز (سـامية قديمة) ويمتدون إلى دلتا طوكر فى السودان، مسلمون يتبعون مذهب الختمية الـذى أسسه السيد محمد عثمان الميرغنى فى السودان، وهم رعاة بالدرجة الأولى وأشـباه رعاة، وإلى الجنوب على الساحل نجد الدناكل (أو العفر) وهـى جماعـات حاميـة مسلمة أيضا تمتد إلى جيبوتى، وهناك الساهو بين الدناكل والتجريبين ولغتهم أقـرب إلى الدناكل، وأخيرا وليس آخراً هناك الكوناما فى أعالى نـهر سـتيت ويتكلمـون لهجات نيلية وهم زراع وكانوا فى الأصل وثنيين وبينما يغلـب علـى التجرانييـن الزراعة، فإن التيجريين يجمعون بين الرعى والزراعة، وأن كان الرعى هو الغـالب، ويكاد يتساوى عدد المسلمين والمسيحيين.

المظاهــر الطبيعـيـة :

يتنوع السطح فى اريتريا تنوعا شديدا فهى تقع فى معظمها على أطـراف الهضبـة الحبشية الشرقية، وبالتالى كان نصيبها من المرتفعات كبيرا وخاصة الحافة الغربيـه للأخدود الشرقى، حيث يتراوح الارتفاع بين ٢٠٠٠ : ٢٥٠٠ متر وهذا هـو قلـب إريتريا، ونظراً لكثرة الفوالق فى هذه المرتفعات، تظهر القمم الجبيلية متفرقـة وإن كانت فى الأصل سلسلة متصلة تمتد فى شرق السودان، وإذ اتجهنا نحو الغرب مـن حافة الأخدود نجد الهضبة بمتوسط ارتفاع نحو ١٥٠٠ متر ويخترقه نهر بركة الذى يتجه إلى السودان، وكذلك نهر ستيت (أعالى العطبرة) ثم ينحدر السطح إلى سهول الدناكل الساحلية التى قد تنخفض إلى ١٣٠ متر تحت سطح البحر.

أثـــر السـطح فـــى المناخ والسكـــــان :

جمعت اريتريا نتيجة هذا التفاوت الكبير فى السطح من الربيع الدائـم فـى أسـمرة (على المرتفعات) حيث لا تزيد، الحرارة على ١٨ م فى فصل الصيف وبيـن ٥٠م أو تزيد فى سهول الدناكل وتزيد فى مصوع فى معظم الأحيان على ٤٠م، كما جمعـت بين مناطق المطر الصيفى على الهضبة والسفوح القريبة للمرتفعات، وبين المطـر الشتوى القليل على سفوحها الشرقية، فضلا عن الجفاف الشديد فى صحراء الدناكل، ومن هنا كانت الفرصة مواتية أمام رعاة الابل فى رعى ابلهم على السفوح الغربيـة صيفا، والسفوح الشرقية شتاء، وكان من أثرهذا التضرس أيضا أن وجدنـا تجمـع ٥٥% من السكان على المرتفعات (انخفاض حرارة + غزارة أمطار) وحيث الزراعة وأهم المدن كأسمرة العاصمة وكيرين، أما المناطق الغربية فتضم ٣٠% من السـكان وتسكنها شعوب التيجرى وبنو عامر وأهم مراكزها الحضرية أجوردات، على حيـن أن شرقى أريتريا يعتبر أقلها سكانا لأنه أكثرها جفافاً.

النشاط الاقتصادى :

يعمل بالزراعة نحو ٩٠% من السكان، وهى زراعة مطرية فى معظمها فيمـا عـدا الأودية النهرية التى يمكن زراعتها على الرى كما هو الحال فى وادى نهر سـتيت حيث تبذل جهود لزراعة نحو ٢/١ مليون فدان، ونظراً لتنوع ظـروف التضـاريس والمناخ، تتنوع المحاصيل الزراعية من التيف (يشبه القمح) وان كان الغـالب هـو الذرة الرفيعة التى تشغل أقل من نصف المسـاحة المزروعـة والـذرة العريضـة والشعير، وقليل من المحاصيل النقدية ممثلة فى القطن والبن والسمسم، ولـم يكـن إنتاج المحاصيل الغذائية يكفى نصف السكان عقب الاستقلال مباشرة وجدير بـالذكر أن هناك امكانات للتوسع الزراعى، فلا تزيد المساحة المزروعة سـوى ١٠% مـن المساحة القابلة للزراعة والتى تقدر بنحو ٣ مليون هكتـار (٧,٥ مليـون فـدان)، وتتركز حرفة الرعى فى سهول الدناكل، وكذلك فى أقصى الشـمال. ورغـم طـول السواحل الإفريقيه فما زالت إمكانات الصيد البحرى ضعيفة ولا يسهم الصيد البحـرى كثيرا فى الإنتاج، وقد يرجع هذا إلى أن سكان الظهير وهم رعاه بالدرجـة الأولـى

وليسوا بصيادين.

أما في ميدان الصناعة فقد دمرت حرب التحريرالبنية الأساسية، والجانب الأكبر من الصناعات الخفيفة التي تحاول الحكومة بعد الاستقلال استعادتها، منها صناعة المشروبات، والصناعات الجلديةن والأحذية، والزجاج والورق وبعض الصناعات الكيماوية كالملح فضلا عن صناعة تكرير البترول التي توفر حاجة إريتريا وأثيوبيا في ميناء مصوع ومعظم هذه الصناعة مركزه في أسمره ومصوع.

الصومال (صوماليا) :

ثلاثه احداث تمثل معالم الطريق في تاريخ الصومال المعاصر، أولها نوفمبر عام ١٩٤٩ حين أقرت هيئة الأمم المتحدة في ذلك الشهر منح صوماليا (الصومال الجنوبي) استقلالها بعد عشر سنوات من موافقة الجمعية العامة على شروط اتفاقية الوصاية على أن ايطاليا تتولى إدارة البلاد وتأهيل سكانها للاستقلال بعد تلك الفترة. وكان هذا حدثاً في تاريخ الأمم المتحدة بتحديد تاريخ مسبق للاستقلال تلتزم به الدولة التي تقوم بإدارة الاقليم، كما كان فيه تجاهل للاتجاه الغربي (الاستعماري) الذي ينادي بالتدرج في منح الاستقلال، وأن الاستقلال التام لا يصبح مستقراً وآمنا إلا بعد فترة طويلة من النضج الدستوري والوعي الشعبي، كلها حجج لتعطيل هذا الاستقلال. وثانيها ظهور جمهورية الصومال كدولة مستقلة في غرة يوليه سنة ١٩٦٠ نتيجة توحد الصومال الشمالي والصومال الجنوبي، وبذلك خرجت إلى الوجود دولة إفريقيه جديدة.

الصوماليون والتأثير العربي :

عرف سكان الاقليم بأسماء متعددة خلال التاريخ. فقد أطلق عليهم الاغريق القدماء والرومان لفظ البربر، وما زال الاسم يذكر إلى اليوم ممثلا في بلدة بربرة في شمالي الصومال . كما أن بعض الاسماء القبلية التي ذكرها العرب في العصور الوسطى ما زالت ممثلة في بعض القبائل مثل هوايا *Hawaya* ما زالت تطلق على بعض القبائل الصغيرة، ولكن تسمية الصومال حديثة نسبيا.

والأصل اللغوى لكلمة الصومال لم يتفق عليه بعد، فبعض التفسيرات ترجعها إلى كلمة مكونة من مقطعين (صو) بمعنى يذهب أو اذهب، (ومال) بمعنى اللبن، وتشير بذلك إلى ما يسوقه الغريب حين يحل ضيفاً إلى العشيرة الصومالية، ويأمر المضيف الولد أو المرأة باحضار اللبن للضيف، ومن التفسيرات ما يذهب إلى أنها مشتقة من (سوماخ) وهى كلمة أثيوبية بمعنى غير متحضر. أما تفسير الصوماليين أنفسهم فيرجعونه إلى اسم اسلافهم، فهم من سلالة تاجر غنى يدعى (ذومال) وهى فى العربية بمعنى الثرى أو الغنى. وسواء كان تفسير كلمة الصومال هذا أو ذاك، فليس هناك أدنى شك فى الوجود العربى منذ تاريخ غاية فى القدم على السواحل الصومالية، وهو بطبيعة الحال سابق للإسلام.

ولم يكن الصومال مهجرا لبعض سكان الجنوب العربى فحسب بل حدث العكس أيضا وانتقل الصوماليون إلى الجنوب العربى وما زالت أكبر جالية لهم فى عدن وتبلغ نحو ٣٠ ألف نسمة.

توزيع الأمة الصومالية :

يقدر عدد سكان الصومال نحو ٧,٥ مليون نسمة ولا يقتصر توزيع الشعب الصومالى على حدود جمهورية الصومال الآن، بل يمتد فى مساحة ٤٠٠ ألف ميل مربع. أو فى القرن الافريقى بأكملة فيمتد من منتصف جيبوتى فى الشمال حتى نهر تانا فى كينيا، كما يمتد داخل حدود أثيوبيا، ويبلغ عدد الصوماليين فى اثيوبيا نحو المليونين وفى كينيا نحو ٤٠٠ ألف ، وفى جيبوتى وينتشر الصوماليون أيضا خارج القرن الافريقى، فقد عرفوا بالحركة والنشاط، فكثيرا ما نجدهم يعملون تجارا فى موانى ومدن شرق إفريقيه بعامة، كما يمثلون جالية كبيرة على الجانب المواجه وخاصة فى عدن كما ذكرنا، ويذهبون إلى أبعد من هذا إلى موانى الخليج العربى من ناحية أخرى كما يشاهدون فى كثير من الموانى الأوربية مثل نابولى، ولندن، وكارديف ونيويورك.

ويمثل الصوماليون قومية واحدة من أكبر القوميات المتماسكة فى إفريقيه، ذلك أنهم متجانسون إلى حد كبير، ساعد على هذا التماسك وتلك الوحدة أنهم مغايرون

ومتميزون عما حولهم سواء من ناحية اللغة أو الدين أو العادات والتقاليد فيضم الإسلام الصوماليين جميعا، من ثم اختلفوا عن جيرانهم فى أثيوبيا وكينيا، وإذا كان الفرق واضحا بينهم وبين الجالا الوثنين، فإن هذا الفارق أقل وضوحا بينهم وبين جيرانهم من الدناكل لاتحادهم فى الدين.

وإذا كانت هناك بعض الاختلافات الجسميه بين الصوماليين فان ما يسترعى الانتباه هو تميز معظم الصوماليين بالقامه الطويلة والبينية الرقيقة والرأس الطويلة والتقاطيع الدقيقة التى تدل على العلاقات الطويلة مع شبه جزيرة العرب، فهم يشبهون إلى حد كبير سكان الجنوب العربى. أما وحدة الأصل والتاريخ والتقاليد فهى عامل مقوى أيضا للوحدة الصومالية، فهم يعتقدون أنهم من أصل واحد وينتمون لسلالة معينة غير الشعوب المجاورة لهم.

القبائل الصومالية :

وتقسم الأمة الصومالية بين مجموعتين كبيرتين هما الصومالى والساب، وتكون مجموعة الصومالى معظم السكان ويستعمل اسمهم وهو الصومالى ليشمل أيضاً مجموعة الساب، كما تطلق مثلاً كلمة الانجليز على سكان الجزر البريطانية بصرف النظر عما إذا كانوا انجليز، أو اسكتلنديين، أو من ويلز، ويتكون هذا القسم من الأمة الصومالية من أربع قبائل رئيسية أو كبرى وكل منها ترجع إلى مؤسسها الأول. وهذه العشائر الكبرى هى: الدير واسحاق والهوايا والدارود، وكلها قبائل رعوية وتنتشر انتشارا كبيرا فى البلاد وترجع أصولها إلى شبه جزيرة العرب . أما مجموعة قبائل الساب فهى أقل عددا، إذ تقدر بنحو مليون نسمة، كما أنها أقل انتشاراً – تضم الديجل والرهانوين. ويقتصر توزيعهم على الاقليم الخصب الواقع بين النهرين، جوبا وشبيلى حيث تختلط الشعبتان ببعضهما زراعا ورعاة، بل ويختلطون أيضا بعشائر الصومالى.

وهناك أيضا بعض الأقليات صغيرة الحجم أكبرها البانتو المتصوملين الذين يتبعثرون فى عدة قرى زراعية فى حوض شبيلى وجوبا، ومن الجائز أنهم بقايا لجماعات زنجية كانت قبل وصول الحاميين، وهم زراع وصيادون بالدرجة الأولى. وإذا كانوا

مميزون فى صفاتهم الجسمية إلا أن المجتمع الصومالى قـد تشـربهم ولا يمثلـون جسما غريباً فيه.

وهناك جالية هندية باكستانية تبلغ نحو ١٢٠٠ نسمة، معظمـهم يعمـل بالتجـارة ويعيشون فى الصومال الجنوبى. أما الجالية الأوربية فهى محدودة أيضـا . وقـدر عددها بنحو ٤٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٥ معظمهم من الإيطاليين والبريطانيين الذيـن يعملون فى المشروعات التجارية والزراعية خاصة فى الصومال الجنوبى.

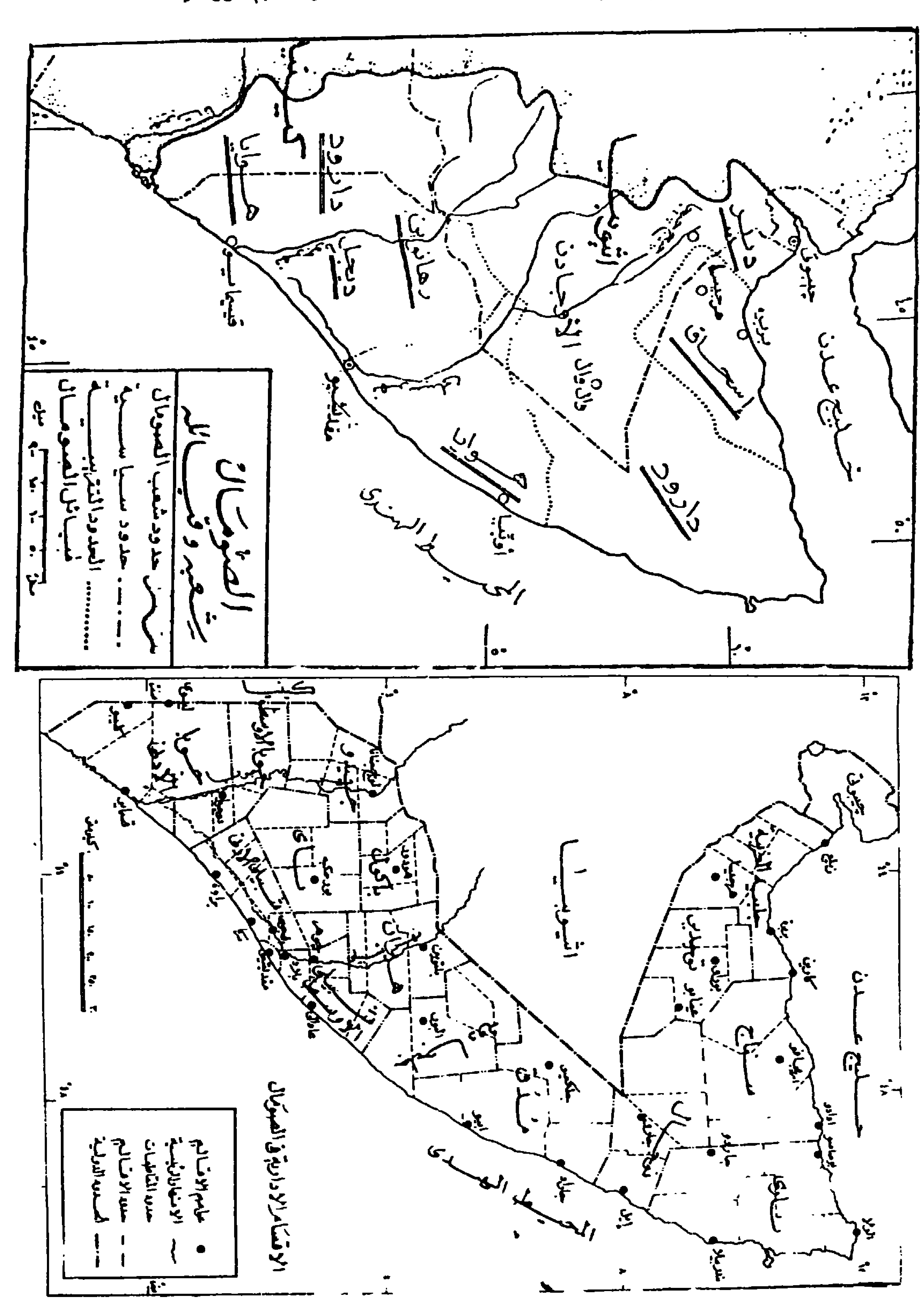
موقع الصومال الجغرافى وأهميته الاستراتيجية :

تمتد جمهورية الصومال فى مساحة تقرب من ٢٤٦ ألف ميل مربع، محتلـة ذلـك البروز الشرقى من إفريقيه المعروف بالقرن الأفريقى.

وتطل الصومال بذلك بجبهتين، على المحيط الهندى وهى جبهة طويلة للغايـة مـن جنوب خط الاستواء عند رأس كامبونى إلى رأس جواردفوى بمسافة ١٣٠٠ ميـلا. والثانية أقل طولا على خليج عدن من جواردفوى إلى منتصف المسافة بيـن زيلـع وجيبوتى بمسافة ٦٥٠ ميلا. ورغم أطوال السواحل الصومالية فهى تعانى من قلـة الموانى الطبيعية ذلك أن سواحل الصومال تشترك مع السواحل الإفريقيه فى كونـها سواحل انكسارية تقل تعاريجها، وينتهى اليابس إلى البحر مباشرة كما هو الحال بين رأس جواردفوى ورأس حانون، بينما تقوم الشعاب المرجانية التى تمتـد لمسـافات طويلة وبخاصة على خليج عدن بتقليل أهمية الخلجان الطبيعيـة. وتظـهر الكثبـان الرملية الساحلية فى الصومال الجنوبى ممتده لمسافة ٧٨٥ ميلا من حـدود كينيـا شمالا. وقد يبلغ طول الكثيب الواحد نحو الميلين، من ثم تتكـون الجـزر الرمليـة والبحيرات الساحلية مما يقلل من عمق المياه الساحلية ويجعل اقتراب السفن الكبيرة محفوفا بالمخاطر. وتصبح للقوارب والسفن المسطحة القاع أهمية فى الوصل بيـن الموانى الساحلية والسفن المحيطيه.

وأخيرا أدى جفاف السواحل الصومالية إلى عدم إمكان موانيـها القيـام بوظيفتـها الحيوية بالنسبة للسفن، ممثلة فى مدها بالغذاء والماء العذب.

شكل رقم (٧٦) : الصومال ، شعبه ، وقبائله ، والأقاليم الزراعية



ولا يوجد ميناء فى الصومال ذو مياه عميقة، ومن ثم كان لابد من إقامة المرافئ الصناعية. ويعتبر ميناء موجاديشو (نصف مليون) أول ميناء فى الصومال وجد عناية كافية فى هذا السبيل، ذلك أنه ميناء الواردات الأولى، فقد صرف على إقامة مرفأ جديد ٥,٦ مليون دولار. وتولت الولايات المتحدة الأمريكية هذا المشروع الذى انتهى عام ١٩٦٥ بحيث أصبحت طاقة المرفأ عشرين مرة قدر طاقته فى الحمسينيات . ولكن ظهر أن زيادة الحركة تستدعى نموا آخر لمواجهة التطورات الحديثة.

أما ميناء قيسمايو (١٠٠ ألف) فهو ميناء التصدير الأول لأنه بالإضافة إلى ميناء مركا مسئول عن تصدير الموز سلعة الصادرات الأولى (قبل ١٩٦٧) وقد شيدت فيه مرافئ جديدة لتنشيط إنتاج حوض جوبا الأدنى. واستدعى تنشيط الحركة بين جنوبى الصومال وبقية البلاد تشييد ميناء جوى، كما يعمل هذا الميناء على تنشيط السياحة فى الجنوب لأن أكبر حديقة طبيعية فى الصومال تقع على كثب من قيسمايو، فضلا عن السياحة فى جزر باجونى القريبة.

وبدأ إقامة الميناء الجوى عام ١٩٧٢. كذلك شيد ميناء جوى آخر فى بيدوا عاصمة مقاطعة جوبا العليا لأنها من أكثر المقاطعات غنى بالإنتاج وانتهى العمل فيه عام ١٩٧٣.

ويحمى ميناء بربرة (٦٥ ألف) لسان رملى، واشتهر هذا الميناء منذ القدم بأنه ميناء للسفن الشراعية والسفن الصغيرة التى تعمل بين الموانى القريبة. وقد حصلت الصومال على قرض من الاتحاد السوفيتى لبناء مرفا عميق ليجعل فى إمكان الميناء استقبال السفن المحيطيه من أجل تشجيع صادرات الماشية.

وأهمية الصومال الاستراتيجية على المحيط الهندى لا تنكر. وكلنا نعرف أن بريطانيا كانت تتحسس المواقع الاستراتيجية، فكما احتلت عدن والجنوب العربى عام ١٨٣٩، اتجهت إلى الصومال عام ١٨٨٦، ولكن القوى الكبرى الأخرى كانت لها بالمرصاد، فقد وصلت فرنسا إلى الاقليم، ورفع العلم الفرنسى على أوبوك ***Obok*** عام ١٨٦٢، وتبع ذلك معاهدات أخرى بمقتضاها وسعت فرنسا نفوذها عام ١٨٨٤. ولنفس

الأسباب تقدمت إيطاليا لاحتلال الصومال الجنوبى، ولما فشلت إيطاليا فى ايجاد مخرج لمشكلتها السكانية فى الصومال، أصبح الصومال الجنوبى فضلا عن أريتريا قاعدة لغزو أثيوبيا عام ١٩٣٦، ولما خرجت إيطاليا كسيرة فى الحرب الثانية وضع الصومال (البريطانى والأيطالى) تجت الإدارة البريطانية إلى أن انتقل الأخير إلى وصاية الأمم المتحدة على أن تديره أيطاليا نيابة عنها.

البيئة الطبيعية :

ويمتد الصومال على الهضبة المعروفة باسمه والتى تبلغ أقصى ارتفاعها فى الشمال مطلة على خليج عدن، وتنحدر أكثر تدرجا نحو المحيط الهندى.

فالسهل الساحلى الشمالى أو الجوبان (من كلمة جوب = يحرق) الذى يمتد من عيسى وعفر إلى رأس جواردفوى شديد الجفاف، فلا يزيدما يسقط من مطر على ٦ سم ويتركز فى الأشهر المعتدلة الحرارة نسبياً أى من أكتوبر إلى يناير. أما فى فصل الحرارة المرتفعة من يونية إلى سبتمبر فان الجوبان تعيش اسمها خاصة إذا أضفنا إلى ارتفاع الحرارة ارتفاع نسبة الرطوبة والتى تجعل المناخ قاسيا بالنسبة للإنسان.

وباستثناء مواضع الاستقرار الدائم كما فى بربرة تتحرك القبائل جنوبا إلى المرتفعات بحثا عن مناخ أقل قسوة وأرض أكثر خضرة. ورغم ارتفاع حرارة سهول الجوبان وقلة مطرها، فإن الانسياب السطحى من المرتفعات التى تكون ظهيرها يجعل من السهل الحصول على المياه بحفر بسيط فى تربة سهول الجوبان الرملية. وكان لسهوله الحصول على المياه الباطنية فضلا على ظهور غطاء عشبى بعد أمطار الخريف له أثره فى تجميع القبائل فيها خلال الشتاء.

وتعتبر جبال أوجو وجوليس أهم مظهر تضاريسى خلف سهول الجوبان بارتفاعها الذى يسمو إلى ٢٧٠٠ متراً فى مشرقى، ٣٠٠٠ مترا فى الغرب حيث تتصل بالمرتفعات الأثيوبية بالقرب من بلدة هرر، وتنحدر نحو الجنوب إلى هضبة انكساريه بارتفاع ١٠٠٠ متر فى الوسط، وهى التى تضم معظم الظهير الصومالى. ويزداد المطر على الهضبة والمرتفعات الشمالية والتى تضم مركز هرجيسة عاصمة الصومال البريطانى سابقا. فيبلغ أحيانا ٣٥ سم خاصة فى الشمال الغربى بين

هرجيسة وهرر حيث تزرع الذرة الرفيعة اعتمادا عليها. كما تتوفر المياه فى الآبار الدائمة والتى تحفر على أعماق بعيدة فى الأودية الجافة، وتمثل هذه الآبار مراكز للسقيا تتجمع حولها القبائل الشمالية.

وإلى الجنوب من هرجيسة يظهر اقليم هود، وهو هضبة متموجة تسقط من ١١٥٠ مترا فى الشرق إلى ٧٠٠ مترا فى الغرب، وفي الواقع أن لفظ هود فى الصومال الشمالى معناها الجنوب. وتقع أطراف هود الشرقية داخل جمهورية الصومال بينما أطرافه الجنوبية والغربية تقع ضمن أثيوبيا مكونا جزءا من مقاطعة هرر، وكان انقسام هذا الاقليم بين الدولتين من العوامل الرئيسية المؤثرة فى العلاقات بين الدولتين. ويقطع سطح الهود بعض المنخفضات التى تمتلئ بالماء فى موسم المطر، وتنحدر الهضبة الصومالية تدريجيا من الغرب إلى الجنوب من الهود فى اتجاه الشرق إلى سهول المحيط الهندى، وهنا تقطعها السهول والأودية الغنية بنباتها. وأهم هذه الأودية شبيلى وجوبا اللذان ينبعان من الهضبة الاثيوبية. وفي الحق يعتبر النهران أهم ظاهرة فزيوغرافية فى الصومال الجنوبى. ويدخل وبى شبيلى (اللبوة) - أصغرهما (١٢٥٠ ميلا) الصومال بالقرب من بلدة بلت وين، وينحدر نحو الجنوب الشرقى إلى الساحل ولكن شمالى مجاديشو بدلا من أن ينتهى إلى المحيط فإنه يقوم بعمل دوره نحو الجنوب ليسير بقية مجراه موازيا للساحل لمسافة ٣٠٠ كم حتى ينتهى فى مساحات من المستنقعات إلى الجنوب من مركا ويخرج من هذه المستنقعات فرعان وبى / شبيلى وجوفسا ليتحدا ويصبا فى نهر جوبا أحيانا بالقرب من مصبه.

ويستغل وبى شبيلى فى رى مساحات واسعة، ويختلف تصرف النهر بحسب الأمطار فوق الهضبة الأثيوبية، فيتراوح تصريفه بين ٥٦٥٠، ٥٢٥٠ قدما مكعبا من الماء فى الثانية فى الربيع والخريف بينما يكاد يتحول إلى مجرى جاف فى الشتاء.

أما نهر جوبا فينحدر بصورة مباشرة من الهضبة الأثيوبية إلى البحر الذى ينتهى إليه بتيار قوى - بمجرى عرضه نحو ٢٤٠ مترا بقرب ميناء قيسمايو وهو ملاحى بالنسبة للسفن المسطحة القاع من مصبه حتى المندفعات القريبة من بلدة بارديرا

وعادة ما تجرى فيه المياه طول العام، وأن تغير التصريف تبعا لحالة المطـر عنـد منابعه فيتراوح تصريفه بين ٢٤٠٠، ٣٠٠٠ قدما مكعبا فى الثانيـة فـى الربيـع والخريف. ولكنه لا يجف شتاء كما هو الحال فى نهر شبيلى. وعلى العكس الظروف الصحراوية وشبه الصحراوية والأعشاب الشوكية وأشجار السنط التى تسود معظـم الصومال، نجد حول النهرين أحيانا مظهرا شبيها بغابات الأروقة، وهنا تحل الفيلـة وأفراس النهر محل الوعول والحيوانات البرية الصغيرة الحجم التى تكثر فى جـهات الصومال الأخرى.

ويعتبر هذا القسم الجنوبى من الصومال أكثر جهات الصومال وفرة فى موارد المـاء وعلى المستوى المحلى أكثرها زراعة حيث تزرع الذرة الرفيعة والدخن، والسمسـم، والفول، الماتيوق، فضلا عن الفاكهة كالموز وقصب السكر الذى يزرع فى مـزارع واسعة ولا يوجد اقليم آخر فى الصومال يعادل فى موارده الزراعية ما بين النهرين، رغم أن شمال غربى البلاد يمد البلاد الآن بمحصول جيد من الذرة الرفيعة فضلا عن التمر.

مناخ الصومـــال :

ورغم هذا التقسيم بين شمالى الصومال وجنوبية من حيث الظـروف الفزيوغرافيـة فإن كلا من الصومالى الشمالى الجنوبى يتعرض لدورة فصلية واحدة أساسها حركـة كل من الرياح الشمالية والموسمية الجنوبية الممطـرة فوقـه، وإذا تركنـا بعـض الفروقات المحلية فيما يختص بالرطوبة، فإن المطر يسقط بصفة عامة فى موسمين، من مارس إلى يونية ومن سبتمبر إلى ديسمبر، وبينهما فصلان جافان ولكـن مـا يفرق بين الشمال والجنوب، انه بينما أكثر جهات الصومال الشمالى ارتفاعـا فـى الحرارة هو فصل الصيف، فعلى العكس الصومالى الجنوبى الذى يعتـبر فيـه هـذا الفصل من الطف فصول السنة حرارة. ويعتبر هذا الفصل من أحسن فصول السـنة حرارة فى موجاديشو والموانى الجنوبية وإن كانت غالبا ذات رطوبة مرتفعة.

وهكذا كان لموقع الصومال الفلكى أثره فى أن أصبح مناخه مداريا وكـان لموقعـه النسبى بين توزيعات اليابس والماء أثره فى سيادة الظروف شبه الجافة. وأصبحـت

المحصلة المناخية النهائية هى المدارى شبه الجاف وفي مثل هذه الاقاليم المدارية لا يعتبر عامل الحرارة هو أساس الفصول المناخية، فهى مرتفعة فى جميـــع فصـــول السنة، من ثم يصبح اختلاف الرطوبة من فصل إلى آخر هو أساس التقسيم، وهـــذه تعتمد بدورها على حركة جبهة التقاء الرياح الموسمية الجنوبية الممطرة، والريـــاح الشمالية الجافة.

وعلى أساس هذه الحركة يمكن أن نميز الفصول التالية فى الصومال.

جـــيـــلا: من يناير إلى مارس حين تهب الرياح الشمالية الجافة، وترتفع درجـــة الحرارة ويحتمل هبوب الزوابع الترابية.

جــــــو : من إبريل إلى يونيه، وتكاد تجف فيه المياه فى نهر شيبلى فى أوائلـــه وينخفض تصريف نهر جوبا، ولكن فى أواخر هذا الفصل تتحول الرياح إلى جنوبيـــة غربية، وبالتالى يبدأ سقوط النطر. وهذا هو أغزر فصول السنة مطراً إذ يبلغ نصيب هذا الفصل نحو ٦٠% من مجموع التساقط على الصومال والذى يبلغ نحو ٣٠ ســم فى مقاطعة جوبا العليا.

حــــاقــــاى : من يوليه إلى سبتمبر، ويقل فيه المطر مرة أخرى ويتمتع الصومال الجنوبى بحرارة معتدلة، بينما يعتبر هذا الفصل من أشد فصول السنة حـــرارة فـــى الصومال الشمالى.

ديـــــر: من أكتوبر إلى ديسمبر، وهو فصل المطر الثانى، وإن كان أقل مـــن الأول وتبدأ فى نهايته فى التحول لتصبح شمالية شرقية جافة. وهكذا يتبع المطـــر تعـــامد الشمس ربيعا وخريفا.

استـــخـــدام الأرض :

تلعب الظروف الطبيعية دورها في الصومال لتجعل الأراضى القابلة للزراعـــة تبلـــغ نحو ١٧,٥% من مساحة البلاد، بينما ما يصلح للرعى لا يزيد على ٤٣,٥% مـــن هذه المساحة على حين أن ٢٩% لا يصلح لرعى أو زراعة، وتشترك التربـــة مـــع الظروف المناخية فى أعطاء هذه الصورة عن الصومال، فتربات القـــرن الأفريقـــى قليلة الخصوبة بوجه عام، وفقيرة في المواد العضوية والآزوتية والفوسفور، ســواء

التفضيلية الايطالية التى تضع تعريفه جمركية قدرها ١% على الموز الصومالى وترفعها إلى ٤٠% على الموز غير الصومالى.

وتألفت الجمعية الايطالية الصومالية الزراعية عام ١٩١٩، وقامت بمشــروع لزراعـة قصب السكر واستخراج سكره، وكان هناك دائما ما يقرب من الفى هكتار مزروعة قصبا كحد أدنى في أى عام من الأعوام، ويعانى قصب السكر من ذبذبات العمالة، بــل كــان الحصول على الأيدى العاملة سهلا في فصل الجفاف حين لا تشتد الحاجة غليهم من ثــم لم يستطع مزارع *Villadruzi* على بعد ١٠٠ ميل من موجاديشيو إنتاج أكثر ممــا يكفــى الاستهلاك المحلى (٥٠ ألف طن من السكر)، ويخدم مزارع القصب الواسعة المقســمة على سبع مزارع نحو ٦٠ ميلا من الخطوط الحديدية الضيقة، وتســتخدم ٩٠ ايطاليــا، فضلا عما يتراوح بين ٢٥٠٠، ٤٥٠٠ صوماليا.

نشاطات غير زراعيــــة :

لا يعمل بالصيد البحرى سوى ١% من الصوماليين يجمعون الاسفنج واللؤلؤ والقشريات البحرية، ورغم عدم أهمية هذه الحرفة بالنسبة للإنتاج القومى بعامــة. فلــها أهميتــها القصوى لدى بعض سكان الأقاليم الساحلية، ويتركز المشروع الكبير لصيد التونة علــى خليج عدن، ويقوم به الايطاليون.

والصومال فقير في ثروته المعدنية، وتأمل الحكومة في اكتشافات بترولية تقوى وتدعــم ميزانية الدولة، وقد عملت بعض الشركات الأمريكية، فضلا عن شركة أجيب الايطاليــة لعدة سنوات، لكنها لم توفق في هذا السبيل، وان كانت هنــاك رواسـب مـن الجيـس والفوسفات بالقرب من بربرة، قد يمكن استغلالها على نطاق تجارى، هذا كمــا ظـهرت خامات اليورانيوم إلى الغرب من موجاديشيو، ومنح حق امتيار البحث عنها لشركة أينى *Eni* الايطالية.

ويعتبر مصنع الشركة الصومالية الايطالية للسكر أكبر مشروع صناعى في الصومــال، فهو مسئول عن نصف قيمة الإنتاج الصناعى، ويعمل به ثلــث القـوى العاملــة فــي الصناعة، وأقامت الشركة المذكورة أيضا معملا لتقطير الكحول، وحلج القطن، وعصــر

القطعان ذات المطالب المحدودة من الغذاء والماء، كالإبل والضأن والماعز، لا يمكن إعالتها سوى بالتحرك من مكان إلى آخر تبعا لفصول السنة ويمثل الوصول إلى الماء مشكلة خطيرة يتحكم فيها كل من المطر والماء الباطنى، وتزيد المشكلة حدة أنه ليس من الضرورى أن يتوفر الماء والكلأ في مكان واحد.

ويتبع الرعاة في حركتهم دورة فصلية معروفة تتفاوت مسافتها استجابة لظروف المطر، وليست هناك ملكية للعشيرة في أرض معينة، تعتبرها مراعيها، ولكن حيازة الأرض تتوقف على استغلالها فقط واحتلالها لها، وإن كان من المعروف أنه في الاقاليم ذات الوفرة النسبية في موارد الماء تعتبر المراعى مشاعا للجميع، تردها العشائر جميعا، بينما حيث يندر الماء يكون من الطبيعي أن تحتكر العشيرة دون غيرها مورد الماء الذى قامت بأنشائه وصيانته، وهنا تدافع العشيرة عن موردها ومراعيها بالقوة والعنف إن لزم الأمر، ومن ثم تكثر الاشتباكات في فصل الجفاف.

وفي اختيارهم لنوع الحيوان وطريقة تربيته، يحاول الصوماليون الاستفادة جهد الطاقة من موارد البيئة المحدودة، وتربى الإبل في أكثر جهات الصومال جفافا نظراً لصبرها على السقيا وقدرتها على التهام الأشواك، بينما تقتصر الماشية على الجهات الأكثر رطوبة وخاصة في الجنوب، وإن كانت هناك أيضا يخشى عليها من مرض التربانوسوم، أما الضأن والماعز فهما أكثر انتشارا من النوعين السابقين، فهى ترعى مع هذا وذاك.

وللإبل (٣ مليون) شأن عظيم في الصومال الشمالى حيث تعتبر النوق مصدراً للألبان وكوسيلة من وسائل الحمل والنقل، ولكن قيمتها الاجتماعية تفوق أهميتها الاقتصادية، ذلك أن عدد الإبل يمثل ثروة ومركز الرجل، وعلى العكس يربى الضأن والماعز (٩ مليون) للحصول على الغذاء وتمدهم باللبن واللحم وتباع حين الحاجة إلى المال، وفي الجنوب وفي أماكن محدودة في الشمال الغربى تحل الماشية محل الإبل، ويصبح الحمار هو وسيلة النقل والحمل، وكان الاستغلال التجارى للإبل محدود للرغبة في جمع أكبر عدد منها، فالأعداد الكبيرة هى ضمان السنين العجاف، حين يملك بعضها ويذبح البعض الآخر للحصول على لحمه غذاء لقلة اللبن، وفي

مثل هذه الظروف القاسية، تزداد أهمية الإبل.

ولاختلاف مطالب كل من الإبل والضأن والماعز ترعى منفصلة عن بعضها خاصة في فصل الجفاف، ففى فصل الرطوبة حين يتوفر الماء والمرعى تقل الفروقات بينها، أما في فصل الجفاف حين تقترب القطعان من آبار الديار، يشتد التزاحم وانهاك المرعى ولا يوجد من الحيوانات جميعا سوى الإبل التى تستطيع الابتعاد عن هذه الآبار لمسافة طويلة، يقودها شباب القبيلة ويعسكرون بها بعيدا، على حين تصحب الضأن والماعز النساء والأطفال.

وهناك تحركات القبائل في الصومال الجنوبى أيضا، وإن كانت أقل شأنا منها في الشمال، وتأخذ هذه التحركات اتجاها جنوبيا غربيا من آبار المنطقة الساحلية إلى الداخل، وتحل مراعى الدوى *Doi* في جاذبيتها هنا محل مراعى الهود في الصومال الشمالى، ولكن نظرا لوفرة موارد الماء بين نهرى شبيلى وجوبا كانت تحركات القبائل محدودة وإن كان الرعاة يتركزون بالقرب من النهرين في فصل الجفاف، ويبدو أن تجارة الأبقار (٣ مليون) في الصومال الجنوبى أكثر من الابل في الصومال الشمالى، وأنها في ازدياد كبير وبخاصة في الثيران.

الزراعة التقليدية :

تزداد أهمية الزراعة في الصومال، وإن كانت الأراضى المزروعة لا تمثل سوى ١٠% من المساحة القابلة للزراعة بطريقة الزراعة الجافة ويبدو أن الرعى بالنسبة للإنسان أكثر ضمانا من الزراعة في اقليم يغلب عليه ندرة المطر.

وتمتد الزراعة المطرية في الجنوب فى الاقاليم ذات الأمطار العزيزة نسبيا بين نهرى جوبا وشبيلى (٢٥٠ - ٢٨٠ ملليمترا) وعلى طول الكثبان الرملية الساحلية، كما تستغل مياه النهرين للرى الفيضى، ويستفاد بمياه نهر جوبا بأيصالها إلى المنخفضات الطبيعية، بينما في حالة نهر شبيلى الذى ينساب في مستوى أعلى من مستوى الأراضى الزراعية، فيكفيهم قطع جسوره في المناطق المرغوب زراعتها، كما يعمل السكان على تجميع مياه حقولهم عن طريق حفر القنوات التى تؤدى إلى حقولهم.

هذا ولا يوجد تمييز واضح بين النوعين، فالغلات المزروعة سواء سـيحا أوديما واحدة، وان لختلفت أهميتها النسبية، كما أن محصول الزراعة المروية أكثر زيـادة وأقل نبذبة، ففى الأراضى المعتمدة على المطر تشغل الذرة الرفيعة المقاومة للجفاف مساحات كبيرة، بينما تحل الذرة العريضة محلها على الضفاف النهرية، هذا فضـلا عن بعض المحاصيل الثانوية كالقطن والفول والسمسم والقرع العسـلى والكسـافا، ويشهد الاقليم كل عام فيضانين وموسمين للمطر، بمعنى أن الأرض تعطى على الأقل محصولين كل عام وتختلف المساحة المزروعة وكمية الحصاد من عام إلـى آخـر وبخاصة فى اقاليم الزراعة المطرية، وبينما تواجه أراضى الزراعة المطرية كثـيرا من نقص في المطر، فان الزراعة الفيضية كثيرا ما تعانى من الفيضانات المدمـرة وغرق الأراضى، كما حدث في فيضان ١٩٦١ الذى أدى إلى تلف المحاصيل وهـلاك الإنسان والحيوان، وإذا كانت المساحة المزروعة تقدر ما بين ٤٥٠ ألف، ٦٥٠ ألف هكتار، فهناك مركزان بهما ما يتراوح بين ثلثى وثلاثة أرباع هذه المساحة، وهمـا مركز بيدوا وبور اللذان ترتفع فيهما الكثافة إلى ٢٠ نسمة لكم٢ وينتمى قسم كبـير من سكانهما إلى جماعات الساب أو الجماعات المتزنجة ا وتقتصـر الزراعـة فـي الصومال الشمالى على المرتفعات الشمالية الغربية التى تتوفر فيها موارد الماء، هذا فضلا عن الأجزاء المجاورة من أثيوبيا اذ تبلغ الأمطار نحو ٤٠٠ ملليمترا بـالغرب من بوراما حيث عشائر الدارود الذين يكونون قطاعا من الصوماليين يمتد إلى هـرر داخل نطاق الزراع من الجالا، وقد عرف الدارود حياة الزراعة متأخرين نسبيا فـي أواخر القرن التاسع عشر والعشرين حتى أصبح هناك بعد نصف قرن ما يقرب مـن ١٤٠ ألف فدانا، ورغم تحول المراعى إلى أراضـى زراعيـة، فمـازالت التقـاليد الرعوية سائدة، وتحدد الأراضى بواسطة الظواهر الطبيعية كالتلال وغيرها.

الـزراعـة التجارية والمزارع الـواسـعـة :

الصومال أحدى الدول المحدودة التى تسهم بصادرات إفريقيه من الموز والذى يبلـغ نحو نصف مليون طن وللموز أهمية خاصة للصومال لأنه أساس اقتصادهـا، فـهو

يمثل أكثر من ثلثى صادراتها، ويزرع معظم موز التصدير في نحو ٢٢٠ مزرعة، كلها يملكها ويديرها إيطاليون في ثلاث مجموعات من الامتيازات أثنان منها في حوض نهر شبيلى والثالث في حوض نهر جوبا، ويأتى ٧٥% من صادرات الموز الصومالى من امتيازات شبيلى (٦٥% من جينالى ١٠٠% من أفجوى) بينما تسهم امتيازات جوبا بالنسبة الباقية، وإن كان إنتاج المنطقة الأخيرة اقل ذبذبة وأعلى إنتاجا، ويزرع في الصومال نوع من الموز صغير الحجم يعرف باسم *Cavendiak* الذى يقاوم التلف إذا ما هبت عليه رياح شديدة، وكذلك يتميز بمقاومته للأمراض، ولكن مشكلته أنه يستلزم تكاليف مرتفعة لاعداده للتصدير ليتحمل النقل لمسافات كبيرة، على العموم بدون نظام التمييز لا يمكن للموز الصومالى أن يقف على قدم المنافسة مع موز أمريكا اللاتينية أو موز كناريا الذى يتميز بكبر الحجم، وتعتمد تجارة الموز في الصومال اعتمادا يكاد يكون تاما على السوق التفضيلية الايطالية التى تضع تعريفه جمركية قدرها ١% على الموز الصومالى وترفعها إلى ٤٠% على الموز غير الصومالى.

وتألفت الجمعية الايطالية الصومالية الزراعية عام ١٩١٩، وقامت بمشروع لزراعة قصب السكر واستخراج سكره، وكان هناك دائما ما يقرب من الفى هكتار مزروعة قصبا كحد أدنى في أى عام من الأعوام، ويعانى قصب السكر من ذبذبات العمالة، بل كان الحصول على الأيدى العاملة سهلا في فصل الجفاف حين لا تشتد الحاجة غليهم من ثم لم يستطع مزارع *Villadruzi* على بعد ١٠٠ ميل من موجاديشيو إنتاج أكثر مما يكفى الاستهلاك المحلى (٥٠ ألف طن من السكر)، ويخدم مزارع القصب الواسعة المقسمة على سبع مزارع نحو ٦٠ ميلا من الخطوط الحديدية الضيقة، وتستخدم ٩٠ ايطاليا، فضلا عما يتراوح بين ٢٥٠٠، ٤٥٠٠ صوماليا.

نشاطات غير زراعية :

لا يعمل بالصيد البحرى سوى ١% من الصوماليين يجمعون الاسفنج واللؤلؤ والقشريات البحرية، ورغم عدم أهمية هذه الحرفة بالنسبة للإنتاج القومى بعامة،

فلها أهميتها القصوى لدى بعض سكان الأقاليم الساحلية، ويتركز المشروع الكبير لصيد التونة على خليج عدن، ويقوم به الايطاليون.

والصومال فقير في ثروته المعدنية، وتأمل الحكومة في اكتشافات بترولية تقوى وتدعم ميزانية الدولة، وقد عملت بعض الشركات الأمريكية، فضلا عن شركة أجيب الايطالية لعدة سنوات، لكنها لم توفق في هذا السبيل، وان كانت هناك رواسب من الجبس والفوسفات بالقرب من بربرة، قد يمكن استغلالها على نطاق تجارى، هذا كما ظهرت خامات اليورانيوم إلى الغرب من موجاديشيو، ومنح حق امتيار البحث عنها لشركة أينى *Eni* الايطالية.

ويعتبر مصنع الشركة الصومالية الايطالية للسكر أكبر مشروع صناعى في الصومال، فهو مسئول عن نصف قيمة الإنتاج الصناعى، ويعمل به ثلث القوى العاملة في الصناعة، وأقامت الشركة المذكورة أيضا معملا لتقطير الكحول، وحلج القطن، وعصر الزيوت والصابون، وكان هناك مصنع للنسيج في موجاديشو أغلق أبوابه عام ١٩٥٣، ولكن أعيد فتح مصنع اللسيج بمعاونة ألمانيا الغربية (سابقاً).

كذلك تقوم مصانع لتعليب التونة في كندالا وابو، وتعليب اللحوم في موجاديشو ومركا، وتقوم الصناعات الجلدية والأحذية في موجاديشو، وبراود، بينما تنفرد مركا بصناعة الحبال من أوراق الموز.

جيبوتى

تقدمت فرنسا لتحتل موقعا استراتيجيا على مدخل البحر الأهمر في منافستها الاستعمارية مع بريطانيا رفعت علمها على "أوبوك" ثم توسعت بعد ذلك بالاتفاق مع مشايخ الدناكل وعيسى مما حفز بريطانيا على الاتفاق معها على خط الحدود بين منطقى نفوذهما، وسار هذا الخط في منتصف المسافة تقريبا بين زيلع وجيبوتى، ونقلت فرنسا مركزها الإدارى إلى جيبوتى عام ١٨٩٢.

واعترف منليك امبراطور الحبشة عام ١٨٩٦ بالنفوذ الفرنسى ووقع اتفاقية لمد خط حديدى إلى أديس أبابا أنتهى مد هذا الخط عام ١٩١٧.

وتمتد جمهورية جيبوتى (العفر وعيسى) مطلة على خليج تاجورا في مساحة ٩٠٠٠ ميل٢ ويعيش فيه نحو ٦٠٠ ألف نسمة، ويزيد عدد السكان أو ينقص بحسب تحركات القبائل منه إلى الصومال واثيوبيا، وتقدر الزيادة والنقص بما يتراوح بين ١٠، ٢٠٠% من مجموع السكان، كما يقدر عدد الصوماليين فيه بنحو ٢٧ ألف نسمة، يعيشون بصفة دائمة هناك، ويشغلون نحو نصف مساحة الاقليم، وهذا هو سبب مطالبة جمهورية الصومال بهذه المساحة، وحتى لا يقال بأن الصومال يريد توسعا في المساحة كان مطلب جمهورية الصومال باستقلال عيسى وعفر، وقامت مظاهرات ضد فرنسا أثناء زيارة الرئيس ديجول لجيبوتى عام ١٩٦٦، فصرح ديجول بأنه حكومته لا تضع عقبات إذا كان الصومال الفرنسى يود الاستقلال، وسارع الامبراطور ميلاسلاسى بعقد مؤتمر صحفى في سبتمبر من ذلك العام بأن الصومال الفرنسى جزء من اثيوبيا، وقد اختار السكان الاستقلال وأعلن الاستقلال في ١٩٧٧.

ويتكون داخلية البلاد من منخفض تكتونىعلى هيئة مثلث في قاع الأخدود وكان لعدم انتظام السطح اثره في ظهور بعد الكتل المرتفعة والمنخفضات الداخلية التصريف مثل عسل التى تنخفض ١٧٤ دون مستوى سطح البحر. أما المرتفعات فهى بركانية كما هو الحال إلى الشمال من تاجورا حيث ترتفع الجبال إلى ١٧٨٠مترا،ومناخ الاقليم هو المناخ شبه الجاف، فالحرارة مرتفعة بوجه عام، وتزيدها الرطوبة النسبية العالية ثقلا على الجسم البشرى في فصل الصيف، وبينما يشهد الجفاف من مايو إلى أكتوبر حين تهب أحيانا الرياح الخماسينية من الداخل، فإن المطر القليل (٢٠ سم) يسقط في الشتاء من أكتوبر إلى إبريل، وتظهر النباتات الصحراوية أحيانا كاشجار السنط، وإن كان على السفوح المرتفعة يظهر العرعر.

وتعيش في الاقليم قبائل عيسى في الجنوب والدناقل أو العفر والصوماليين في الشمال، فضلا عن جماعات من العرب والهنود والأوروبيين والدناقل هم أكثرهم عدداً، ويعيش الجميع اعتمادا على الرعى أساسا وتشمل قطعاتهم نحو ١١ ألف رأس من البقر، ١٥٠ ألف من الأغنام، ٤٠٠ ألف من الماعز، ٧٥٠ الف رأس من

الابل، وتقتصر الزراعة القليلة على الواحات المحدودة في الداخل كما فـــي جنــوب غربى جيبوتى، وبطبيعة الحال لا توجد صناعة في الاقليـــم، وإنمـــا يعتمــد علـــى المستورد باستثناء تكرير البترول واستخراج الملح.

ويعيش في العاصمة جيبوتى وحدها أكثر من ثلثى سكان جيبوتي (٦ و مليــون) وإن كان منهم ٢٥٠٠ نسمة من الأوربيين، وجيبوتى مثل للموانى التى تعتمد في حياتــها إلى حد كبير على عبور السفن ومرورها وتوقفها بها، وهو وأن واجه عدن موقعــا، فهو أيضا كعدن موضعا ووظيفة، فهو يقع على مدخل البحر الأهمر قـــرب اتصالـــه بالمحيط الهندى، يعتمد السكان في حياتهم على حركة الملاحة والسفن التى تمر بـــه فهو ميناء ترانسيت وتزويد السفن بالوقود، فضلا عن الخط الحديدى الذى يصله من أديس أبابا، ولذلك تعتمد عليه ٧٠% من تجارة اثيوبيا، ويتضح هـذا مـــن ميزانـــه التجارى، فتبلغ صادراته نحو ٢,٨ مليون دولار معظمها مـــن الجلـــود والأمـــلاح جميعها (ماعد ما يقرب من نصف مليون دولار) اتجهت إلى فرنســـا، بينمـــا تبلـــغ وارداته في المتوسط نحو ٢٧ مليون دولار، ومعنى هذا أن هناك إعادة تصدير مرة أخرى على شكل مبيعات للسفن المارة، وقد عانى هذا الميناء بشدة من إغلاق قنـــاة السويس، فقبل توقف حركة القناة عام ١٩٦٧، شهد هذا الميناء نمواً فـــي حركتـــه وكان نمواً مطرداً، فكان مسئولا عن ٨٠% من تجارة اثيوبيا الخارجية، على حيـــن انخفض حجم الحركة فيه عام ١٩٦٨ بعد إغلاق القناة بنحو الثلث عن عام ١٩٦٦، بل لقد تدهورت حركة الصيد البحرى، وانخفضت مبيعات الأسماك إلى النصف، ممـــا أدى إلى ظهور مشكلة بطالة، واضطرت الإدارة الفرنسية إلى الإعلان عن مناخــــها الجيد في الشتاء، والتسهيلات الشرائية في جيبوتى كميناء حر، ولكن لم تعـــد إليـــه الحياة إلا بعودة الحركة في قناة السويس، وفي النهاية يمكن القول بأنها دولة تعتمد على المعونات الفرنسية لموازنة ميزان مدفوعاتها.

الفصـــــــل الســـابــــع

إفـــريقــــــيه الشرقيــــــــة

تقصد بمنطقة شرق إفريقيه دول كينيا واوغندا وتنزانيا، أو ما كـــان يعــرف باســـم إفريقيه البريطانية، بالإضافة إلى رواندا وبوروندى وهى مساحة ضخمة تمتــد فـــي ١,٨ مليون كم٢، من دائرة عرض ٥٤ شمالا حتى دائرة عرض ١٠° جنوبـــا، كمـــا تمتد بين خطى الطول ٣٠° ٤٠° شرقا أى لمسافة ١٢٢٠ كم من الشرق إلى الغـرب، وبذلك تصبح المنطقة موضع الدراسة قدرة مساحة بريطانيا نحو ١/٢ ٥ مرة.

وحدة شرق إفريقيه وتوجيهها :

ورغم الحدود السياسية التى تفصل بين أجزائها، فهى وحدة من الناحية الجغرافيـــة ذلك أن الحدود السياسية هنا شأنها شان الحدود السياسية في بقية القارة، لم تأت إلا نتيجة التخطيط الاستعمارى، لذلك كثيرا ما تعامدت على التوزيعات القبليـــة، فعلـــى سبيل المثال قبائل التشاجا *Chagga* في كينيا وفي تنزانيا، وقبائل الماساى في كينيـــا وتنزانيا، وقبائل التركانا في كينيا والسودان.

وقد تأتى الحدود السياسية لا معنى لها لمرورها في بحيرة، وكان سطح البحـــيرات يعتبر من عوامل الفصل بين الوحدات السياســـية فـــالحد بيـــن أوغنـــدة وتنزانيـــا يمرببحيرة فكتوريا وكذلك الحد البحيرى بين كينيا وأوغندا.

ومما يوحد بينها اتحادها في معظم مشكلاتها بحيث وجد أن مشـــكلات كـــل أقطـــار الاقاليم متشابهة ومترابطة إلى حد كبير، مما أدى إلى تأليف هيئة عليا مـــن حكـــام كينيا وأوغندا وتنجانيقا عام ١٩٤٨ لمعاجـــة المشـــكلات المشـــتركة للمســـتعمرات الثلاثة، ووحدت إدارة السكك الحديدية والبواخر في بحيرة فيكتوريا والـــبرت مـــع إدارة موانى ممبسة ودار السلام، وتتضح أهمية عملية الارتباط في دولة كـــأوغندا مغلقة حبيسة من جميع الجوانب وليس لها شقة ساحلية تطل بها على الخارج، لذلك كان لابد لها من الاعتماد على جارتيها في جميع اتصالاتها الخارجية وخاصة كينيا.

وسميت المنطقة شرق إفريقيه لان الطابع الذى يميزها تستمده من موقعها الجغرافى في شرقى القارة، فالاخدود الغربى يكاد يكون فاصلا بين هضبة شرق إفريقيه وبين منخفض الكنغو، وحتى علاقات السكان وتوجيههم كانت منذ القدم نحو المحيط الهندى، وكانت علاقاتهم التجارية مع الشرق أى مع العرب بحيث لم يأت القرن الأول الميلادى إلا واستقر العرب على الساحل الشرقى، وبدأت حركة تجارية مزدهرة واختلط في هذه السواحل العرب والفرس مع الهنود مع السكان الوطنيين وظهرت مجموعة خليطة من السكان هى مجموعة السواحيلى.

ولعل أيضاً ما يدعو لتجميع الأقطار الثلاثة في كتلة واحدة من أجل الدراسة هو التقارب فيما بينها بحيث لا يشعر الأوغندى بأنه غريب بل اقرب إلى الكينى أو التنزانى منه إلى الكنغولى، ولا ننسى ايضا أنها خضعت لحكم استعمارى واحد، واذا كانت تنجانيقا قد خضعت للحكم الالمانى حتى الحرب العالمية الأولى، فإنها دخلت تحت الحكم البريطانى مع جارتيها بعد هذه الحرب وأخيراً هناك محاولات الوحدة أو التكامل الاقتصادى التى تظهر بين الحين والحين بين اقطار الاقليم.

تضاريس إفريقيه الشرقية

يبدو من خريطة التضاريس أنه يمكن تقسيم مظاهر السطح إلى:

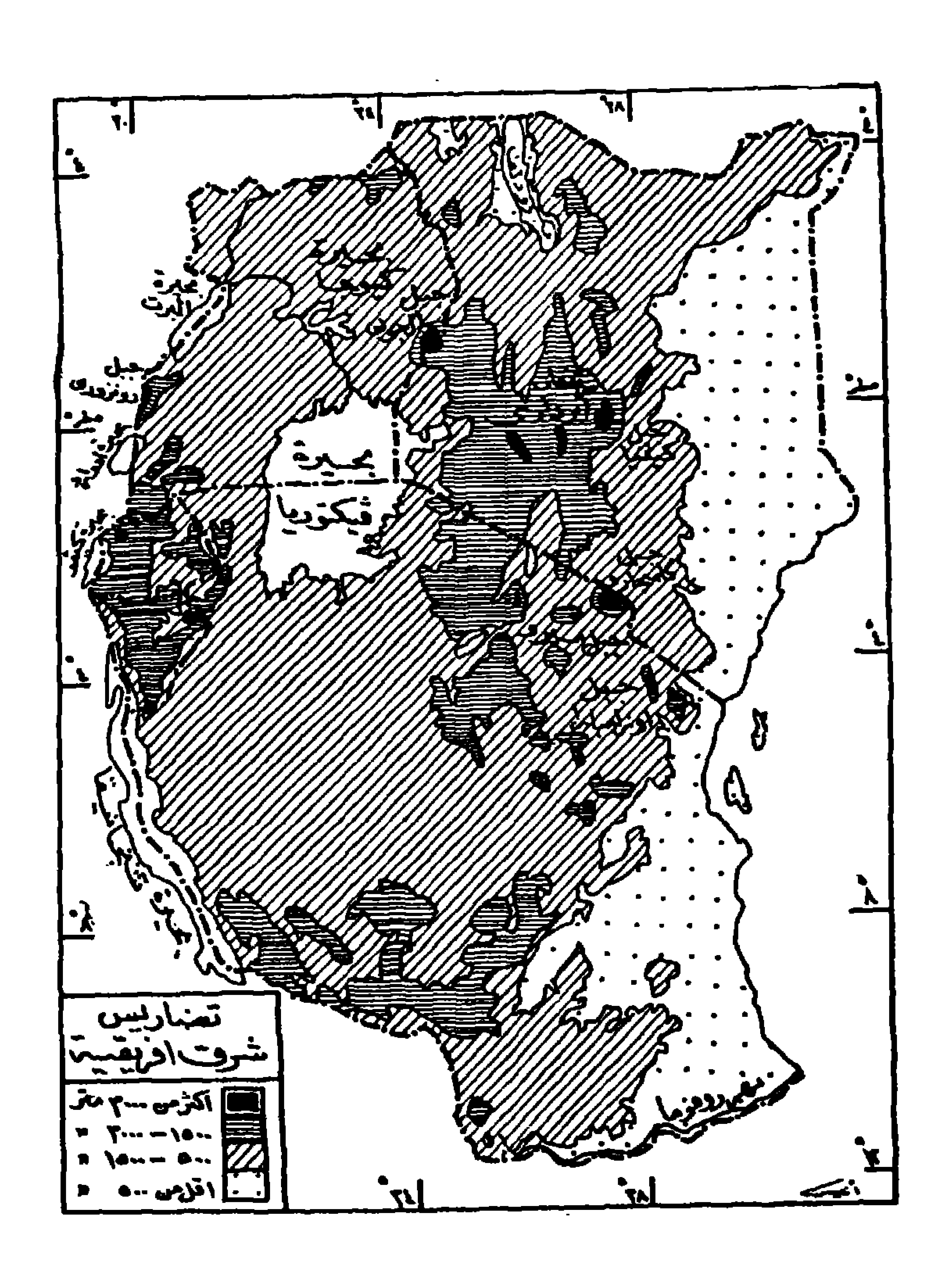
أولا – المستوى العام للهضبة :

هذا المستوى كما توضحه خطوط الكنتور هو ١٢٠٠ متر فوق سطح البحر، ويزداد الأرتفاع كلما أتجهنا شرقا أو غربا أو نحو حواف الأخدود القاقزة، فنجد الجزء الأوسط عبارة عن حوض منخفض تحيط به المرتفعات من الجانبين، ويشغل وسط هذا الحوض بحيرة فكتوريا بمساحة قدرها ٦٩,٠٠٠ كم٢ وارتفاع قدره ١١٢٥ فوق سطح البحر.

والأجزاء الشمالية من الهضبة التى تقع شمال بحيرة فكتوريا يغلب عليها الاستواء والانخفاض، فهى تنحدر بين خطى كنتور ٨٠٠ – ١٢٠٠ متر، كما تدل طبيعة المجارى على ذلك الاستواء فبحيرة كيوجا مثلا عبارة عن مستنقع كبير عمقه بين

٢:٢ متر. تمتد بأذرع متشعبة هنا وهناك، ويزداد التشعب والانتشار في فصل غزارة المطر ومن اذرعها هذه ما يبدو وكأنه بحيرات مستطيلة مثل سيزبوا وتشبه المنطقة الشمالية المنطقة الجنوبية فهى مستوية، وان ازداد الأرتفاع قليـــلا يـتراوح بيــن ١٢٠٠ - ١٦٠٠ متر فوق سطح البحر، كما توجد بعض الكتل الجبلية المتفرقة هنا وهناك وأن كانت ليست شاهقة الأرتفاع.

شكل رقم (٧٧) : تضاريس شرق افريقيا



أما المنطقة الشرقية والغربية للبحيرة فهى تتميز بذلك الاستواء الذى شاهدناه في شمال وجنوب البحيرة، ولكن هناك انحدارا محسوسا بسبب حافات الاخدود القافزة، وكلما ذهبنا شرقا يزداد الارتفاع حتى تصل إلى الحافة الغربية للاخدود الشرقى، وكذلك الاتجاه نحو الغرب نحو الحافة الشرقية للاخدود الغربى، ولعل الحافات أظهر ما تكون في المنطقة الواقعة بين دائرة عرض ٢،١ شمالا في الجهة الشرقية حيث تظهر قمم شيرانغاتى ٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر، وكذلك غرب بحيرة نترون حيث يبلغ ارتفاع الحافة هنا ٢٠٠٠ متر، كذلك في الغرب نجد مرتفعات كيجيزى والمرتفعات المشرفة على بحيرة كيفو تبلغ ٢٥٠٠ متر.

ثانياً: الأجزاء المرتفعة عن المستوى العام وتشمل :

(أ) حافات الأخاديد القافزة نتيجة للفوالق.

(ب) كتل متفرقة هنا وهناك بركانية وغير بركانية.

(أ) الحافات المرتفعة :

يجب أن تفرق بينها وبين الكتل الأخرى، فهذه نتيجة للانكسارات وحدوث الهبوط في منطقة الاخدود وبين الكتل الأخرى ومعظمها نتيجة ثوران بركانى وتراكم اللافاه (باستثناء رونزورى)، هذه الحافات القافزة أظهر ما تكون في حالة الاخدود الشرقى فيما بين دائرتى عرض ١ شمالا ١٠ جنوبا حيث تصل إلى ٢٥٠٠ متر، وكما تصل إلى ١٢٠٠ متر دائرة عرض ٢ شمالا، وتستمر بهذا الارتفاع حتى النهاية الشماليه للهضبة كما تظل الحافة على بحيرة نترون بارتفاع قدره ١٦٠٠ متر، على العموم تعتبر هذه المرتفعات كعمود فقرى لهضبة شرق إفريقيه، غير أن هذا العمود الفقرى ينخفض كلما اتجهنا جنوبا في وسط وجنوب تنزانيا، وإن كان يرتفع مرة أخرى في أقصى الجنوب على هيئة حائط جبلى مرة أخرى ممثلا في سلاسل *Kipengere* (٢٣٠٠ متر).

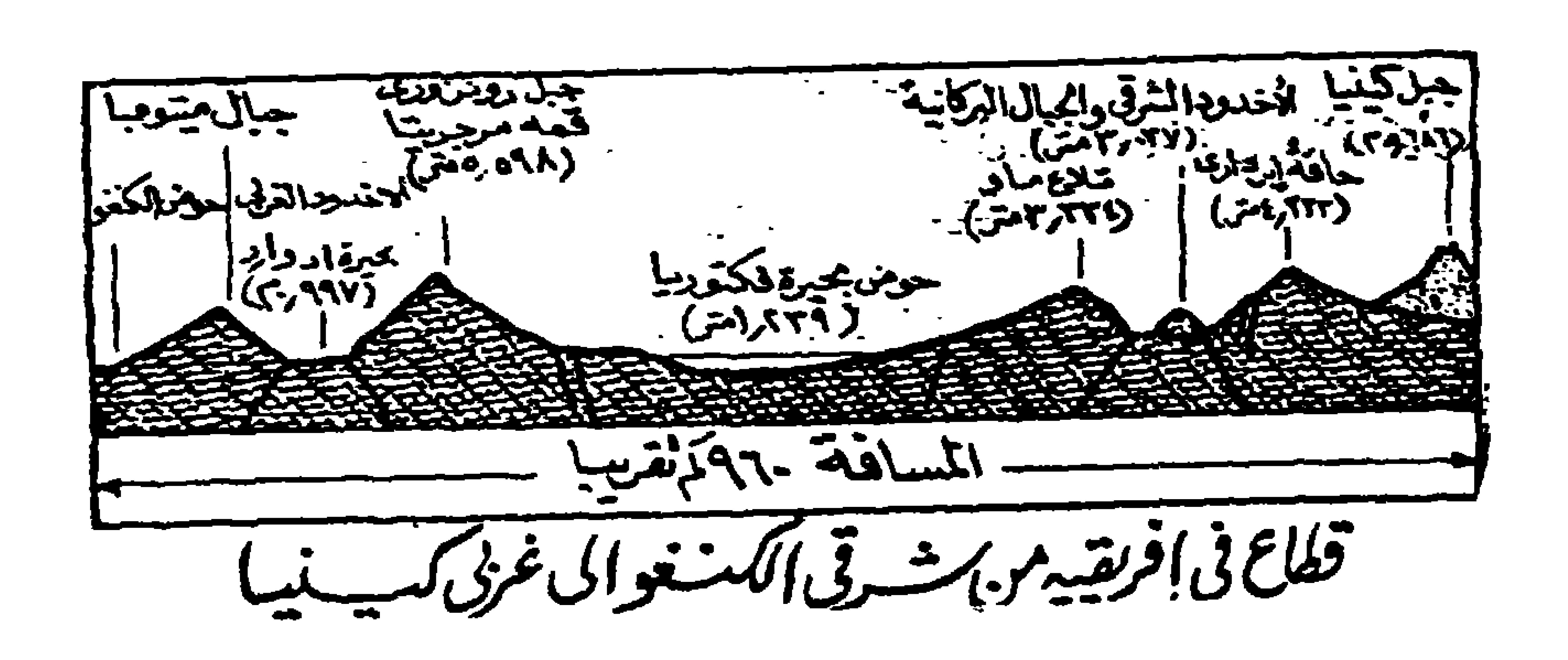
أما حواف الأخدود الغربى فواضحة، وتمتد مستقيمة غرب بحيرة ادوارد بارتفاع قدره ٢٥٠٠ متر كما تمتد غرب بحيرة البرت باستقامة ملحوظة من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى بارتفاع قدره ١٦٠٠ متر.

(ب) الكتل الجبليه البارزة :

وأهمها إلجون، وموفمبيرو وكينيا وكليمنجارو، أما إلجون فيقع شمال شرق بحيرة فكتوريا ويصل ارتفاعه إلى ٤٢١١ مترا فوق سطح البحر، وهو بركان خامد عظيم المساحة يبلغ قطره زهاء ٥٠ كم وفى قمته فوهة محيطها ١٦ كم وجدراته أحيانا شديدة الانحدار وأحيانا سهلة الانحدار، ويتركب من صخور طفحية فوق الأساس القاعدى الذى يتكون من النايس والشيست ويرجع الاستاذ جريجورى تكوينه إلى البليستوسين لأن فوهته لا تزال حافظة لشكلها، ولم تزل معالمها عوامل التعرية كما فعلت بجبل كينيا وهناك كتل أخرى في نفس هذه المنطقة تشبه إلجون مثل شيرانغانى وديبازين ومتوسط ارتفاعهما نحو ٣٠٠٠ متر.

ويقع جبل موفمبيرو في الأخدود الغربى بين بحيرتى كيفو وادوارد وهو عبارة عن سلسلة من الجبال البركانية ترتفع في وسط الآخدود فتفصل بين المياه الذاهبة إلى بحيرة ادوارد وتلك الذاهبة إلى بحيرة كيفو بعد أن كانت مياه كيفو تنصرف إلى ادوارد وتتكون هذه السلسلة من ثمانية براكين تمتد من الشرق إلى الغرب في ثلاث مجموعات.

شكل رقم (٧٨) : قطاع فى افريقيه من شرقى الكنغو الى غربى كينيا



واما جبل كليمنجارو الذى يطلق عليه مارد إفريقيه فيعد بدوره علما بـــارزا، لأنــه رغم أنه لا يبعد عن خط الاستواء بأكثر من ثلاث درجات، فان الثلوج تتوجه طـــول العام ومن هنا كان تسميته في اللغة السواحلية (الجبل المضئ) وهذا الجبـــل كتلـــة هائلة ذات قاعدة بيضاوية قطرها من الجنوب إلى الشمال نحو ٦٠ كيلو مترا ومـــن الغرب إلى الشرق نحو ٦٠ كيلو مترا بينما ترتفع احدى قمتيه إلى ما يزيـــد علـــى ٦٠٠٠ متر وهى قمة كيبو والأخرى (ماونزى) تزيد على ٥٠٠٠ متر، وواضح مـــن الخريطة أن الحد السياسى بين كينيا وتنجانيقا بسير مستقيما حتى يصل إلـــى هـــذا الجبل ليدور حوله ويدخله في تنجانيقا، ثم يواصل سيره مرة أخرى إلى البحر فـــي استقامته الأولى، وظاهر من هذا أن هذه الثنية وهذا الدوران عن عمد ليدخـــل فـــي حدود تنجانيقا، وذلك أنه كان تابعا لكينيا، فلما اشتكت المانيا، لبريطانيا أن لها فـــي كينيا جبلين تتوجهما الثلوج بينما لا تملك المانيا مثل هذا الترف في تنجانيقا، تنازلت الملكة فكتوريا عن كليمنجاور لقيصر المانيا في عيد ميلاده، فظل تابعـــا لتنجانيقـــا، وهذا مثل من أمثلة أسباب التخطيط السياسى في منطقة من المناطق الإفريقيه.

على العموم هذه الجبال البركانية المفردة أو الجزر البركانية قليلة المساحة إذا مـــا قورنت بالطفوح البركانية الهائلة المساحة في هضبة اثيوبيا.

تتمثل الكتل غير البركانية فى كتلة رونزورى وهذه وضعها فريد فـــي إفريقيـــه لأن أكثر صخورها من النيس والشيست التى تكون معظم الهضبة الإفريقيه، كما لا يمكن القول بأنها حافة الأخدود الغربى، فاذا افترضنا أنها (هورست) بقيت قائمة لهبوط ما حولها لكان معنى هذا افتراض حدوث هبوط للكتلة الإفريقيـــه، والبعـــض يعتبرهـــا التوائيه أى التواء قبابى، وإن كان هذا النوع نادر الوجود فـــي إفريقيـــه ويعتبرهـــا البعض الآخر اندفاعية اندفعت ككتلة إلى أعلى نتيجة ضغوط جانبية وتتجـــه جبـــال رونزورى من الجنوب الغربى نحو الشمال الشرقى بطول نحـــو ١٠٠ كيلـــو مـــتر وعرض يبلغ ٥٠ كيلو مترا، وهى متدرجة الانحدار في بعض المواضع، وعرة فـــي أخرى، وخاصة في الغرب حيث تنحدر بعض روافد نهر السمليكى وهى أن كانت أقل من كينيا وكليمنجارو فانها تتميز بأنها أعلى كتلة جبلية في إفريقيه.

جميع هذه الكتلة الجبلية فيها آثار العصر الجليدى حيث آثار الثلاجات التى هبطت إلى مستويات أقل من مستوياتها الحالية وذلك في العصور المطيرة في إفريقيه التى قابلت العصور الجليدية في أوربا.

ثالثا - المناطق المنخفضة عن المستوى العام :

(أ) الأخدود :

ناقشنا فكرة الاخدود والآراء المختلفة في كيفية تكوينه، وبقى الآن أن نتتبعه ويمتد الآخدود من جنوب بحيرة مالاوى أى من هضبة شيرانجوما نحو الشمال حتى يلتقى بالكتلة الجرانيتية شديدة المقاومة فينفرع إلى فرعى شرقى وغربى.

ويمتد الفرع الشرقى في شرق إفريقيه بحوائط عالية أحيانا كما في كينيا فتصل إلى ما يزيد على ٢٠٠٠ مترا كما في حالة ابردارى وأحيانا تنخفض إلى ما يتراوح بين ١٥، ٢٥٠ مترا في تنزانيا حيث هدمتها عوامل التعرية، وينخفض القاع ويرتفع دون نظام. فيبلغ منسوبه نحو ٤٤٥ مترا عند بحيرة رودلف (توركانا) ثم يرتفع إلى ٢١٠٠ متر جنوب نيفاشا، وينخفض القاع مرة أخرى إلى ٧٠٠ متر عند بحيرة ماجادى، ٦٧٠ مترا عند بحيرة نترون، فالكتل البركانية التى ظهرت قطعت هذا الفرع إلى أحواض مثل حوض بارينجو والمنتينا وناكورو ونيفاشا، ويتموج قاع الفرع الغربى للاخدود، فهو ١٤٠٠ متراً عند كيفو، يهبط إلى ١٠٠٠ متر عند بحيرة عيدى أمين (ادوارد) كما يبلغ ٧٠٠ مترا عند بحيرة (ألبرت) أما عند بحيرة تنجانيقا فيبلغ ٨٤٤ مترا، ويتميز أيضا كالفرع الشرقى بعدم انتظام حوائطه، أحيانا مقطعة وأحيانا تمتد منها السنة وبروزات كالبروز الممتد في بحيرة تنجانيقا قرب ميناء بركة مكونا شبه جزيرة *Uowari*، على العموم يحتضر هذا الفرع الغربى تدريجيا إلى أن ينتهى على بعد ٢٤٠كم شمال بحيرة البرت.

هذا ويتميز الآخدود بفرعيه سواء الشرقى أو الغربى بكثرة الفروع الصغيرة ومثال ذلك الفرع الممتد جنوب غرب بحيرة تنجانيقا والذى تشغله أحواض بحيرية مثل

بحيرة مويرو، وكذلك تظهر انكسارات شرقية غربية كما هو الحال في الانكسار الواقع شرق بحيرة مالاوى.

(٢) المدرجات والسهول الساحلية :

وهذا الاقليم عبارة عن منطقة انتقال ويتكون من سلاسل من الهضاب التى تنحدر من الهضبة الإفريقيه نحو البحر على هيئة مدرجات وتعرف باسم هضبة نيكا **Nyika** فى كينيا والانتقال بين كل سطح والآخر يكاد يكون فجائيا، الأمر الذى يؤدى إلى صعوبة مد السكك الحديدية، وهذه الهضاب جزء من الكتلة القديمة، ولكن تغطيها طبقات سميكة من الرواسب، وأحيانا تظهر فوقها بعض التلال المنعزلة المنفردة، ويتراوح ارتفاع هضاب نيكا بين ٢٠٠ متر في الشرق إلى أكثر من ١٥٠٠ متر فى الغرب، وهى أضيق ما تكون في وسط وشمال كينيا حيث يصل اتساعها إلى ١٦٠ كيلو متر وأكثر ما تكون اتساعا فى وسط وشمال تنجانيقا.

أما السهول الساحلية ومتوسط ارتفاعها ٢٠٠ متر فتصل إلى أضيق جزء فيها مقابل جزيرة بمبا **Pemba** وأقصى اتساعها في شمال كينيا وفي جنوب تنجانيقا (٢٢ – ٤٠ كم في الحوض الآدنى لنهر روفيجى) ويتميز هذا الساحل إلى جانب انخفاضه بأنه مستنقعى إلى جانب أن الساحل نفسه لا يصلح كثيرا لقيام الموانى بسبب كثرة الشعاب المرجانية والتى تمتد من واحد كيلو متر إلى كيلو متر ونصف في البحر، والتى تساعد على تكوين البحيرات الساحلية **Lagoons** ،هذا فضلا عن طبيعة مصبات الأنهار، ليست خليجية كما في زائير مثلا كما أنها غير مكتملة النمو.

لذلك فالموانى الجيدة لا تظهر إلا حيث حدث هبوط محلى للارض كما هو الحال في موانى ممبسة، وتنجا، وسواحل بمبا، وزنجبار، بينما تصادف في جهات أخرى خلجانا ضحلة كما هو الحال في ماليندى.

المنـــاخ :

ويأتى في مركز الصدارة بالنسبة للإنتاج الزراعى الرعوى وبالنسبة للاستيطان البشرى عامة والاستيطان الأوربى الذى ظهر في بعض أجزاء الاقليم، وفي مساحة تبلغ نحو ١,٨ مليون كم٢ يمر بها خط الاستواء وذات تضاريس متباينة ولابد أن

يتباين المناخ في شرق إفريقيه ليتراوح المطر في متوسطه السنوى بين أقـــل مـــن ٢٥٠ مم في المديرية الشمالية في كينيا وأكثر من ٢٥٠٠ مم في جزيرة سيزى فـــي بحيرة فكتوريا، وتتفاوت الحرارة بين ما دون درجة التجمد على قمم جبـــال كينيـــا وكليمنجارو إلى ٣٨ مئوية في المديرية الشمالية في كينيا - ولعل هذا التباين الكبير في المناخ هو الذى سمح بنمو أشجار جوز الهند (مناخ حار مطير) إلى جانب شجرة التفاح التى يمكن زراعتها في مرتفعات كينيا.

لعل هذا التباين الكبير في المناخ يهم دارس الجغرافيا الاقتصادية وبصفـــة خاصـــة عامل المطر، لأنه فيما يختص بالحرارة لا تتمثل الفصلية الواضحة المعروفـــة فـــي المناطق المعتدلة، هنا في هذه المناطق المدارية، لذلك كانت الاقاليم المناخيـــة فـــي شرق إفريقيه أساسها المطر، وعلى اساس المطر يمكن أن نميز في شرق إفريقيـــه ثمانية أقسام مطرية هى :

(١) الاقليم الساحلى المدارى : ويستمر المطر فيه طول العام مع قمة كبيرة بيـــن مارس ومايو حين يسقط أكثر من نصف مجموع المطـــر الســـاقط، ويرتبـــط موسم المطرالغزير بموسم هبوط الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية، ويبلـــغ المطر أقصاه في الوسط ويقل كلما أتجهنا شمالا أو جنوبا، فيبلغ مطر ممبسة ١٢٥ سم، بينما يهبط في دار السلام إلى ١١٥ سم، وفي مالينذى ١٠٠سم.

شكل رقم (٧٩) : الأقاليم المناخية فى شرق افريقيا



(٢) بحيرة فكتوريا والأراضى التى حولها : ولا يظهر فيها جفاف واضح، مـــن ثـــم فهى تنتمى للاقليم المدارى الرطب طول العام، الذى تظهر فيـــه قمتيـــن، وإن كانت القمة الواقعة بين مارس ومايو أكبرهما حين يسقط ٤٠% مـــن المطـــر الذى يتراوح بين ١٢٠ سم ١٨٠ سم.

(٣) شمال وغرب بحيرة فيكتوريا : ويظهر فيها المناخ دون الاستوائى، فرغـــم أن المطر ما زال غزيرا، اذ يسقط في فورت بورتال ١٤٠ سم، فإن معظمه يســقط ما بين إبريل وأكتوبر. ويظهر الجفاف في بقية العام وترجع غزارة الأمطار هنا إلى المسطحات المائية الواسعة.

(٤) مـــرتفعات كـــينيـــــا: حيث يسود المناخ المدارى المعدل حيـــث يظـــهر فصلان للمطر احدهما طويل ما بين ابريل واكتوبر والثانى قصير ما بين اكتوبر وديسمبر ويزداد المطر مع الارتفاع فيسقط في ناكورو في قاع الاخدود نحـــو ٨٥ سم بينما يسقط في ميرو ١٧٠ سم كما تختلف كمية المطر تبعـــا لوقـــوع المكان فى مواجهة الرياح أم ظل الجبال.

(٥) المديرية الشمالية في كينيا: وتسودها الظروف الصحراوية حيث يسقط المطـــر فيما بين مارس وسيتمبر بمتوسط يبلغ نحو ٥٠ سم.

(٦) بقية تنزانيا : ويسودها المناخ المدارى الرطب صيفا إلى إبريل، أى في الفـــترة التى تتفق مع هبوط الرياح الشمالية والتى تعبر خط الاستواء فتصبـــح شـــمالية غربية مارة على البحيرات. فتحمل بخار الماء وتتقهقر هذه الرياح ابتـــداء مـــن شهر مايو لتحل محلها الرياح الجنوبية الجافة.

الـــحـــــــرارة :

ولا يظهر تباين في الحرارة إلا وناتج عن الارتفاع، فالأماكن التى تقع على ارتفـــاع واحد تتشابه في حرارتها حتى ولو كانت بعيدة عن بعضها، فبلدة لامو على الســاحل الشمالى لكينيا تشبه بلدة ليندى على الساحل الجنوبى لتنزانيا وتشبه بلدة جولو فـــي شمال اوغندة ودودوما في وسط هضبة تنزانيا، كـــل هـــذه المحطـــات متوســطاتها الحرارية متقارية،لا تختلف في أكثر من درجة واحدة ويهبط معدل الحرارة من ٢٧م

على الساحل بمعدل درجتان لكل ٢٥٠ متر تقريبا، وتبين الأرقام التالية المتوسطة ودرجات الحرارة الدنيا والعليا لثلاث محطات في شرق إفريقيه بالدرجات المئوية.

المحطة	المتوسط	أعلى درجة حرارة	أقل درجة حرارة
نيروبى	١٨,٥	٢٠	١٧,٥
دار السلام	٢٥	٢٦	٢٤,٥
عنتبة	٢١	٢١,٥	٢٠,٥

وهكذا كانت الرتابة في الحرارة ما يميز الاقليم، عكس ما هو معروف في الاقاليم المعتدلة، وإن كان المدى اليومى أكثر وضوحا على المرتفعات، وكان لتفاوت الارتفاع أثره في تعدد وتباين الأنواع النباتية والحاصلات الزراعية، فكثيرا ما تشاهد في حدائق نيروبى شجرة التفاح والخوخ والبرتقال والليمون إلى جانب شجرة الاناناس وقصب السكر والتين، فضلا عن القمح والذرة في الجهات الداخلية، والمطاط في الشقة الساحلية والفرق بينهما بضعة كيلو مترات.

سكان شرقى إفريقيه :

يبلغ عدد سكان شرقى إفريقيه نحو ٨٩ مليون نسمة موزعون أقطارها كما يلى بالمليون نسمة :

أوغندا	٢٣	تنزانيا	٣٦
كينيا	٣٠	المجموع	٧٨

وبالقاء نظرة على خريطة توزيع السكان نلاحظ ما يلى:

(١) أن هناك مساحات واسعة في شمال وشرق كينيا وفي هضبة نيكا الواقعة خلف السهول الساحلية مباشرة، وفي جنوب غرب تنزانيا وجنوبها، هذه المساحات مخلخة السكان إذ تبلغ الكثافة فيها أقل من ٥ أشخاص في الكم٢.

(٢) في الطرف الآخر في جزر زنجبار وبمبا ومرتفعات كينيا الوسطى ومديرية نياترا وعلى السواحل الشمالية الشرقية لبحيرة فيكتوريا وفي غرب أوغندا وكذلك الجهات الساحلية تتراوح الكثافة بين ١٥، ٧٣٠ نسبة كم٢.

(٣) تتراوح كثافة السكان في بقية شرق إفريقيه بين ٥ - ١٥ نسمة كم٢، على العموم تتفق مناطق الكثافة العالية على مناطق المطر الذى يمكن الاعتماد عليها وهى المناطق التى يحتمل سقوط المطر فيها وزيادة على ٥٠ سم في معظم الأحوال وغالبا ما تكون هذه المناطق ذات تربة خصبة كمرتفعات كينيا بينما تتفق أقل الكثافات مع المناطق ذات المطر القليل والذى لا يعتمد عليه وذات التربة الفقيرة والبعيدة عن الساحل وعن وسائل النقل بصفة عامة.

ويوضح سكان شرقى إفريقيه في اربع مجموعات هى:

الأفريقيون :

ويكونون ٩٨% من السكان، وينتمون إلى ٢٢٠ قبيلة، وينقسم الأفريقيون بدورهم إلى عدة مجموعات سلالية أو شعوب، منها الشعوب الحامية التى تظهر ي شمال وشرق كينيا، وتمثلهم قبائل الجالا والبوران وهم في غالب الأحيان من الرعاة، وان كانت بيئتهم التى يقل مطرها عن ٢٥ سم مسئولة بالدرجة الأولى عن عدم احترافهم للزراعة، ولكن المثل واضح في الباهيما في غرب أوغندا حيث يتوفر المطر، ومع ذلك لا يظهرون اهتماما كبيرا بالزراعة، ويمثل الاتشولى واللو الجماعات النيلية أى خليط بين الزنوج والحاميين، وأما الجماعات النيلية الحامية أو انصاف الحاميين (زيادة في الدماء الحامية) والذين يرتبطون بحرفة الرعى فمنهم قبائل السوك والتركانا والكاراموجنج والماساى.

وإن كان البعض منهم يقوم بقليل من الزراعة ترتفع إلى أن تصبح الحرفة الأولى كما عند التيزو في أوغندا، والبانتو هم العنصر السائد، وإن كانت تسمية لغوية تطلق على بعض الجماعات الزنجية مثل ميرو والكامبا وامبو في كينيا والتورو والباسوجا في أوغندا، والشاجا والنيامويزى في تنزانيا، وهؤلاء يتجهون إلى الزراعة في المكان الأول، ويميل معظمهم إلى تربية الحيوان إلى جانب الزراعة في

الوقت الحاضر، بل وصل الأمر إلى أن بعضهم يملك قطعانا كبيرة كانصاف الحاميين. ولعل قبيلة السوكوما مثل واضح على البانتو الذين أصبح لديهم أعداداً من الماشية تناظر ما عند الحاميين، ورغم أن الفوارق بين هذه المجموعة قد خفت عن ذى قبل، فانه لا يمكن إهمالها تماما، فاستخدام الماشية كوسيلة للنقل عند جماعات التيزو وكمصدر أساسى للدخل يرجع أساسا لأنهم نيليين حاميين، ويرجع البعض عدم انتشار الزراعة انتشارا واسعا لدى النانديى شمال شرق بحيرة فيكتوريا رغم وفرة المطر إلى أن النانديى من أنصاف الحاميين الذين يتركز اهتمامهم الاساسى في تربية الماشية.

الأقليـــــــــات :

من هذه الأقليات الاسيوية وخاصة الهنود والباكستانيين ، وهؤلاء وصلوا إلى شرق إفريقيه منذ القرن السابع تقريبا في تجارة مع الساحل الشرقى، وإن كان معظم هؤلاء قد تدفق في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وبصفة خاصة حين مد الخط الحديدى من الساحل إلى الداخل، أى خط حديد ممبسة،- نيروبى، بعد انتهاء هذا الخط وصل عدد الاسيويين إلى ٢٠ ألفا في كينيا وحدها، كثير منهم استقر بعائلته. وكان يوجد في الأقطار الثلاثة نحو ٢١٥ ألف نسمة.

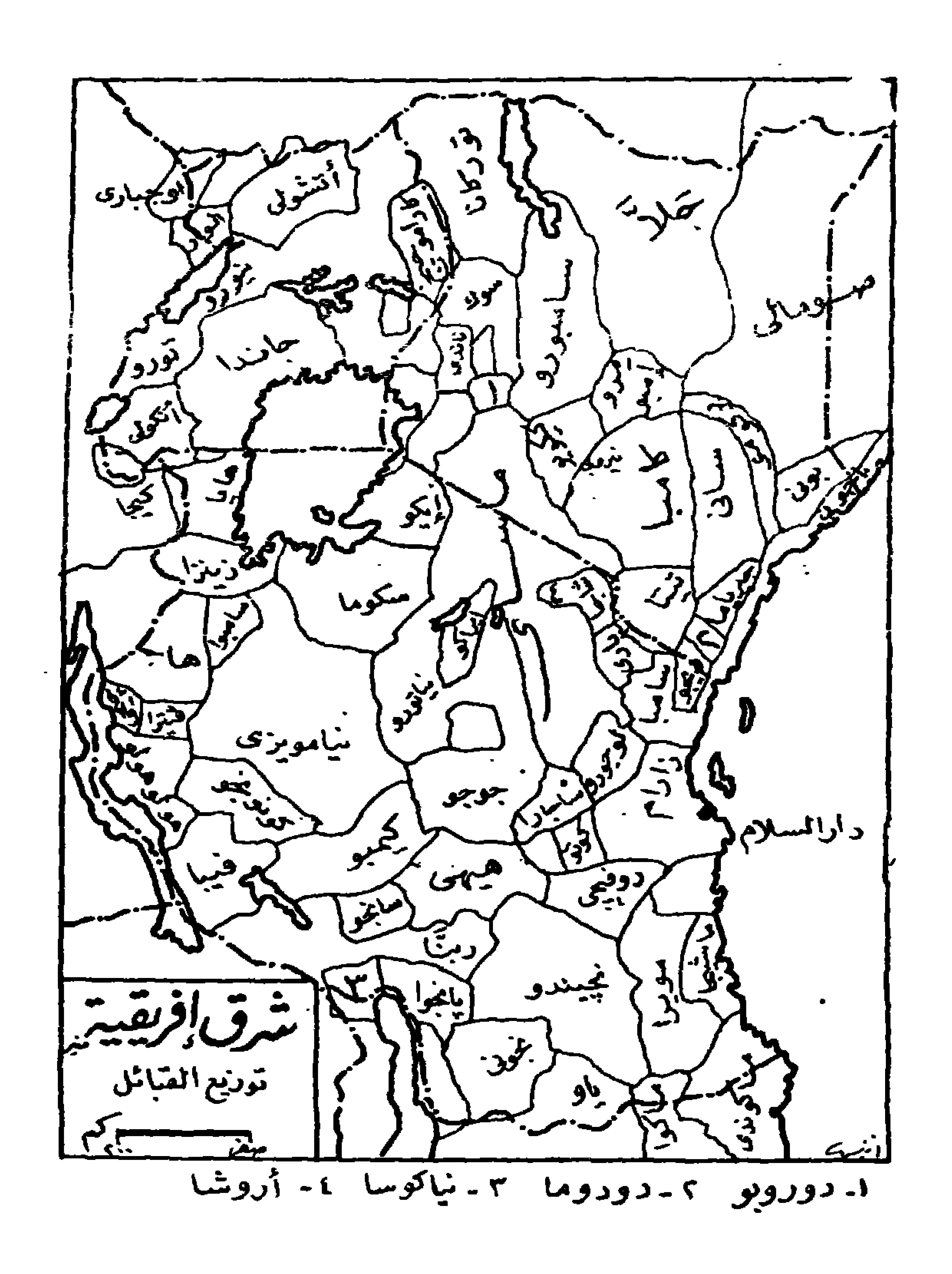
وإذا حاولنا أن نستكشف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لهذه الاقلية، سنجد أن غالبيتهم من سكان المدن، بل أن ٦٠% من تعداد هذه الأقليات تسكن الحضر في تنزانيا، بينما ٨٠% منهم يسكنون الحضر في كينيا.

ويمثل الأسيويون ٢٠% من سكان دار السلام ٤٠% من سكان كمبالا، مثل هذا ينطبق على نيروبى وزنجبار، ويعمل هؤلاء أساسا بالتجارة والحرف المختلفة، وإن كان بعضهم يمارس ملكية الأراضى الزراعية الكبيرة، خاصة مزارع السيسل في تنزانيا نتيجة تصفية الملكية الالمانية بعد الحرب العالمية الأولى، ونتيجة إدخال زراعة القطن في أوغندا.

وفي مجال التجارة نجد أن سيطرتهم شبه كاملة على تجارة التجزئة والقطاعى، في الريف والجهات البعيدة فضلا عن المدن، فيسيطر الهنود على سبيل المثال على

٩٠% من مجموع تجارة أوغندا، و ٥٠% من تجارة الاستيراد و ٦٠% من التصديـر في تنزانيا، بل ويصل الأمر إلى أنهم يسيطرون على ٨٠% من تجارة القرنفل فـي زنجبار، فضلا عن ذلك يمتلكون مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في زنجبـار لاشتغالهم بأعمال السمسرة والإقراض، كما أسهموا في عدد كبير مـن الصناعـات الصغيرة التى نشأت في فترة الحرب العالمية الثانية نتيجة ظـروف هـذه الحـرب، وترتبط بصفة خاصة صناعة خلج القطن بالهنود.

شكل رقم (٨٠) : توزيع القبائل فى شرق افريقيه



١- دورونو ٢- دودوما ٣- نياكوسا ٤- أروشا

وكان للتوطن الحضري كان له اثره في خلق جاليات آسيوية في المدن، وتجمع الآسيويين وتفوقهم على الأفريقيين من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، بعكس الحال لو كانوا قد انتشروا في الريف، فبقدر ما توثقت الصلة بين أفراد الجالية بعضهم ببعض، بقدر ما زادت عزلتهم وعدم اندماجهم مع الأفريقيين، ورغم أنهم خليط في حد ذاتهم سواء من حيث الأصل أو اللغة الأصلية أو العقيدة، ورغم أنهم لم يكونوا يوما ما مجموعة متحدة، فانهم إذا ما تعرضوا أو تعرض بعض منهم لضغوط اتخذوا جميعاً موقفاً دفاعيا أمام الحكومة ، ويزيدهم قوة أن في أيديهم ثلاثة أشياء يتوق الأفريقيون لامتلاكها وهى رأس المال - المشروعات - المهارات الإدارية، وهذه مفاتيح ثلاثة للنشاط الاقتصادى.

الأقليات الأوربية والآسيوية في شرق إفريقيه

الدولة	أوربيون	آسيويون
كينيا	٤٠٥١٠	١٢٩٠٠٠
أوغندا	٩٠٠٠	٨٨٠٠٠
تنزانيا	١٧٠٠٠	٨٧٠٠٠
المجموع	٦٦٥١٠	٣١٤٠٠٠

والأقلية الأخيرة هى الأقلية الأوربية وكان عددهم نحو ٩٠ ألف نسمة سنة ١٩٦٥ ثلثى هذا العدد أو ٦٠% في كينيا ، وذلك لظروف كينيا من حيث التضاريس المرتفعة، معظم هؤلاء من البريطانيين ، ولكن تكاد الجاليات الأوربية الأخرى تكون ممثلة فنجد الايطاليين ، واليونان ، والالمان، ويوضع الأوربيون في مجموعة تضم الذين استقروا واستوطنوا البلاد ، ولهم مزارعهم ، ومساكنهم ، وهم يمثلون الجيل الثانى أو الثالث للرواد الأوائل، والمجموعة الثانية تمثل الذين يعملون في الوظائف أو البعثات التبشيرية - على أن الهجرة من شرق إفريقيه بدأت تظهر واضحة مع الاستقلال، ففى سنة ١٩٦٠ هاجر من شرق إفريقيه ١٨٥ نسمة وفي عام ١٩٦١ هاجر من شرق إفريقيه ٢٨٤٨ وفي عام ١٩٦٢ هاجر ٤٤٢٣ نسمة حتى أصبح عددهم الآن يزيد قليلا على ٦٦ ألفا.

وتعتبر الجهات الساحلية في شرق إفريقيه سواء في كينيا أو تنزانيا موطنا للسواحليين، وهى جماعات تنتشر على هذا الساحل وفي الجزر المقابلة سواء في زنجبار، أو بمبا، أو مافيا، هذه الجماعات خليط ما بين العرب والهنود والإيرانيين والبانتو، أى الإفريقيين، ويدينون بالإسلام ويعملون أساسا بالتجارة إلى جانب بعض الزراعة، لذلك كانت لغتهم وهى السواحلية خليط من لغة البانتو، وكثير من الآلفاظ العربية. والهندية، والفارسية وأصبحت اللغة السواحيلية هى لغة التفاهم في معظم شرق إفريقيه لأنها انتقلت من الساحل إلى الداخل مع طرق القوافل.

استخدام الأرض في شرق إفريقيه

هناك ارتباط بين الإنسان والأرض بدرجة كبيرة للغاية، فالأرض عند الغالبية من السكان ضرورة أساسية لكل عائلة، تحصل منها على غذائها بمجهوداتها العضلية، وإن كانت تقوم كثير من العقبات مثل انتشار ذبابة تسى تسى، ونقص الماء أحيانا، وفقر التربة أحيانا أخرى. لذلك اشتد الطلب على الأرض الخصبة ذات المطر المناسب، والخالية من تسى تسى، ومع زيادة السكان، وهذا ما يحدث عادة في الأراضى الخصبة حيث يعظم الضغط في اتجاهين. اتجاه أفقى بحثا عن أرض جديدة واتجاه رأسى يتمثل في زيادة استغلال نفس قطعة الأرض، لكن هذا التوسع الرأسى نحو استغلال الأرض نفسها وبطرق الاستغلال الحالية أى التقليدية كثيرا ما يؤثر في التربة بطريقة عكسية، أما التوسع الأفقى فيؤدى إلى نشوب الصدام والصراع إما بين القبائل بعضها والبعض، وإما بين الأفريقيين والمستوطنين، وتسهم الزراعة وحدها بنحو ٨٠% من الصادرات، وفى بعض الأحيان تزيد النسبة على هذا كثيرا.
أين توجد المناطق الصالحة للزراعة ؟ واين توجد المناطق ذات الامكانيات الرعوية؟ وهنا يأتى عنصر المطر الذى سبق أن تكلمنا عليه كعامل أساسى ومحدد للاقاليم الصالحة للزراعة والاقاليم الصالحة للرعى.
وتبدو في هذا المجال أهمية عامل انحراف المطر أو ذبذبات المطر من عام إلى آخر في تحديد صلاحية المنطقة أو تلك الزراعة، فالزراعة تعتبر مخاطرة في المناطق

التى يحزن فيها المطر لمدة ثلاث سنوات تقريبا، وتشير الدراسات التى تمت في شرق إفريقيه إلى احتمال زراعة الحبوب في جميع الجهات باستثناء المناطق التى يقل احتمال سقوط المطر فيها عن ٧٥٠مم.

ويمكن في هذا المجال أن تميز ثلاث مناطق رئيسية :

أولا – المناطق الجيدة وهى التى يحتمل سقوط المطر فيها فوق ٧٥٠ مم بدرجة عالية ونقصد الدرجة العالية، أن الفشل في الوصول إلى هذا الرقم يتراوح بين صفر، ٢٠ مرة لكل ١٠٠ سنة.

ثانياً – المناطق المتوسطه الاحتمال: يتراوح فيها الفشل بين ٥% – ٣٠%.

ثالثا – المناطق القليلة الاحتمال أو الفقيرة وهى التى تتوقع فيها الفشل من ٢٠% ١٠٠% المنطقتان الثانية والثالثة هى مناطق الرعى، وأما المنطقة الأولى فهى التى تصلح للزراعة وأن كانت تزداد الصلاحية بدرجة أكبر في مناطق احتمال سقوط ٧٥٠ مم، معنى هذا أيضا أن عملية الزراعة تصبح اقتصادية ومربحة كلما اقتربنا من خط ٧٥٠ مم.

وأن هذا النجاح يضطرد مع البعد عن مناطق (الاحتمال المتوسط والضعيف)، غير أن هناك عوامل أخرى محلية تجعل هناك شذوذا في القاعدة وتجعل المناطق التى تسقط فيها ٧٥٠مم قليلة الأهمية كالعوائق الطبيعية غير المطر كعدم صلاحية التربة، وانتشار الأمراض، وانتشار وباء التسى تسى، والعوائق البشرية كالتمسك بالتقاليد.

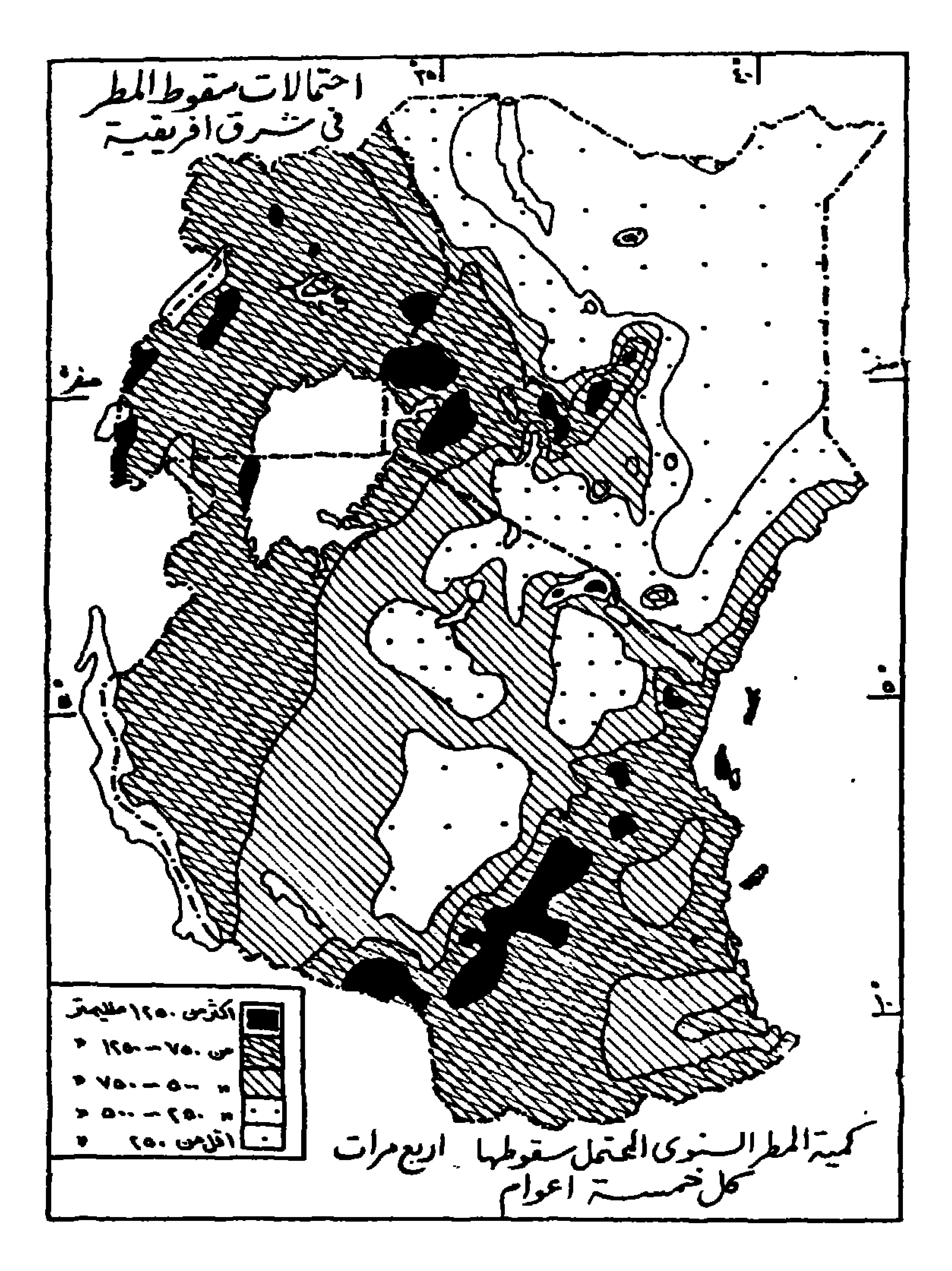
وفي تحديد المساحات التى تدخل ضمن حدود احتمال سقوط ٧٥٠ مم فأكثر تجدها تشمل معظم أوغندا باستثناء مساحات بسيطة للغاية في الشمال الشرقى على حدود كينيا أى في اقليم كاراموجا وبقعة بسيطة في غرب بحيرة فيكتوريا في مركزى تورو وانكولى.

أما كينيا فهذه المساحة ضئيلة وبسيطة تشمل منطقة متصلة تمتد من الحافة الشرقية لبحيرة فيكتوريا حتى ألآخدود الشرقى وتتعداه إلى مرتفعات إيردارى شرق الآخدود وإلى جبل كينيا، وجبل تايتا (عند تفرع خط حديد ممبسة – نيروبى المتجه إلى تنزانيا) وكذلك السهل الساحلى جنوب لامو، أما بقية كينيا فهى اقرب الى الجفاف بل

أن معظم كينيا فعلا يقع ضمن المنطقة السيئة المطر أى التى يصل فيها عدم احتمال سقوط المطر فيها بمقدار ٧٥٠ مم إلى ما يتراوح بين ٢٠% - ١٠٠%.

في تنزانيا الاحتمال الجيد - يشمل منطقة ساحلية تبدا ضيقة في الشمال وتأخذ في الاتساع حتى تصل إلى كيلوسا (*Kilosa*) مقابلة لدار السلام)، ثم تتسع حينا حتى تصل إلى المرتفعات الواقعة شمال بحيرة نياسا، أى تدور مع حواف الآخدود، ثم تتسع وتكون منطقة عريضة ثانية في غرب وجنوب بحيرة فيكتوريا، رغم هذا الاختلاف الناتج عن الظروف المحلية في كل قطر من الأقطار، كان هناك تشابه في نظم الاستغلال المتبع في شرق إفريقيه، فهناك تدرج من حالة الرعى التام إلى الزراعة التامة تبعا لظروف البيئة، وهناك الجماعات الرعوية التى تقوم بالزراعة والجماعات الزراعية التى تقوم بالرعى.

شكل رقم (٨١) : إحتمالات سقوط المطر فى شرق افريقيه



الـــــرعـــــى في شرق إفريقيه

إذا بدأنا بالرعى سنجد أن الكتل الجبلية في شرق إفريقيه سواء (جبل كينيا أو الجون أو مرتفعات ابردارى وماو وتلال أو مرتفعات تايتا وكليمنجارو ومـــيرو وازامبـــارا) جميعها اقاليم زراعية، لكنها ما هى إلا جزر وسط محيط يغلب عليه الجفاف، يمتـــد من الشرق إلى الغرب من الشريط الساحلى الضيق حتى تقترب من بحيرة فيكتوريـــا، ومن حدود كينيا الشمالية حتى قلب تنزانيا، هذه المنطقة الضخمة الجافة هى موطـن الرعاة، فقبائل الكاراموجا في أوغندا والتوركانا والســـوك والســـامبورو والبـــوران والصومال والجلا والكامبا في كينيا والماساى والجوجو في تنزانيا.

جميع هذه القبائل وإن اختلفت في تفاصيل حياتها، فانها جميعا تتفق فـــي وضعـــها العام كقبائل رعوية مهاجرة من اقليم إلى آخر وراء الماء والنبات ، وتعـــانى مـــن نبذبات المطر وبالتالى من ذبذبات الحياة النباتية.

ففى كينيا يحتل الرعاة ثلاثة أرباع مساحة البلاد، ثلثى هؤلاء يعيشون في شـــمالها وشرقها في بيئة شبه صحراوية ذات ذبذبات مطرية عالية، وبخر شديد، ورياح قوية جافة، أما في بقية المناطق الرعوية فمعظم مراعى أوغندا وتنزانيا احتمـــال المطـــر الجيد فيها أعلا من كينيا ، وبالتالى تتحسن ظروف الرعى، ورغم هذا تعود ونكـــرر بأن الرعى في الأقطار الثلاثة هو الرعى الراحل المعتمد علـــى الماشـــية والمـــاعز والأغنام، هذا الرعى الذى يؤدى إلى اجهاد التربة وتعريتها من غطائـــها النبـــاتى، وبالتالى يحول الاقليم من الظروف شبه الصحراوية إلى الظروف الصحراوية، كمـــا هو الحال في كاراموجا وفي أراضى التوركانا وأراضى الماساى في أوغندا وكينيـــا وتنزانيا على الترتيب.

وأهمية تربية الحيوان في شرق إفريقيه تفوق أهميتها في غرب ووسط إفريقيـــه ، فهناك نحو ٢٠ مليون رأس من البقر ٢٤ مليون رأس من الأغنام والماعز بحيـــث تصبح النسبة ٧٥ رأس من البقر لكل ١٠٠ نسمة، بينما هى ٧ في الكنغو و١٨ فـــي نيجيريا، وأهميتها هنا كما هو الحال عند معظم القبائل الافريقيه اجتماعية أكثر منـــها

اقتصادية ، لأن الاحتفاظ بالحيوان بأعداد كبيرة دليل الثروة والمركـــز الاجتمــاعى، ومع ذلك فهى تسهم في دفع المهور، وفي الحصول على الالبان واللحوم داخل نطاق الاقتصاد الغذائى المحلى، كما أصبحت تمثل مصدراً للدخل عند بعض ، القبائل والبقر هنا من نوع الزيبو *Zabu* الاسيوى الطويل القرون، ومن المرجح أنه دخل الاقليــم على ايدى العرب منذ أكثر من ألف عام، توجد أبقار أيضا مـــن الأنــواع الضئيلــة الحجم، بينما الباقى خليط من المجموعتين، وبالاضافة إلى هذا هناك الأنواع الأوربية التى دخلت في القرن الأخير وتعيش بصفة خاصة في المناطق المرتفعة.

أما الضأن فنسبة الماعز منه تفوق الأغنام، وتلعب دوراً كبيراً في حياة السكان فـــي كل أجزاء الاقليم لقدرتها على المعيشة ومناطق أكثر صعوبة من منــــاطق الأبقــار، وعادة ما يربى النوعان معا ، وإن كانت اغنام الصوف تعتبر ظاهرة فريدة لبعـــض المناطق خاصة مناطق المستوطنين، وإذا كانت الخنازير اعدادها قليلة، فإن الدجـــاج لا يخلو منه مسكن من المساكن.

الـــــزراعــــة فـــــى شـــــرق إفريقيه

النظم الزراعية :

تسود عدة نظم زراعية في شرق القارة ، ولكننا يمكن أن نميز بعض أقسامها :

١- أهمها وأكثرها انتشارا هى زراعة الغلات الحوليـــة أو الســنوية فــي مــزارع صغيرة، وتأخذ كل مزرعة فترة راحة كل عدة ســــنوات، وحيــث تلائــم الظــروف الطبيعية تزرع الغلات الدائمة التى تظل في الأرض أكثر من عام، وان كانت تـــزرع معه الغلات السنوية، وهذه يمكن أن نطلـــق عليـــها المــزارع الوطنيــة الصغــيرة *Peasant agric* هذا النوع هو السائد من حيث المساحة ولا يستعمل فيه المزارع الآلات، ولا يستأجر عمالا بل يعتمد على نفسه وعلى افراد اسرته، ويختلف المـــدى الخاص بدخول الغلات النقدية في ظل هذا النوع من الزراعة من مكان إلـــى آخــر، وتمارس الزراعة المتنقلة التى قد يترك فيها الأرض لتستعيد خصوبتـــها ولكنـــه لا

يترك مسكنه وان كان هذا النظام التقليدى قد أثرت فيه عوامل متعددة مثـــل دخـــول الغلات النقدية، و التوجيه الحكومى والإرشاد الزراعى وغير ذلك.

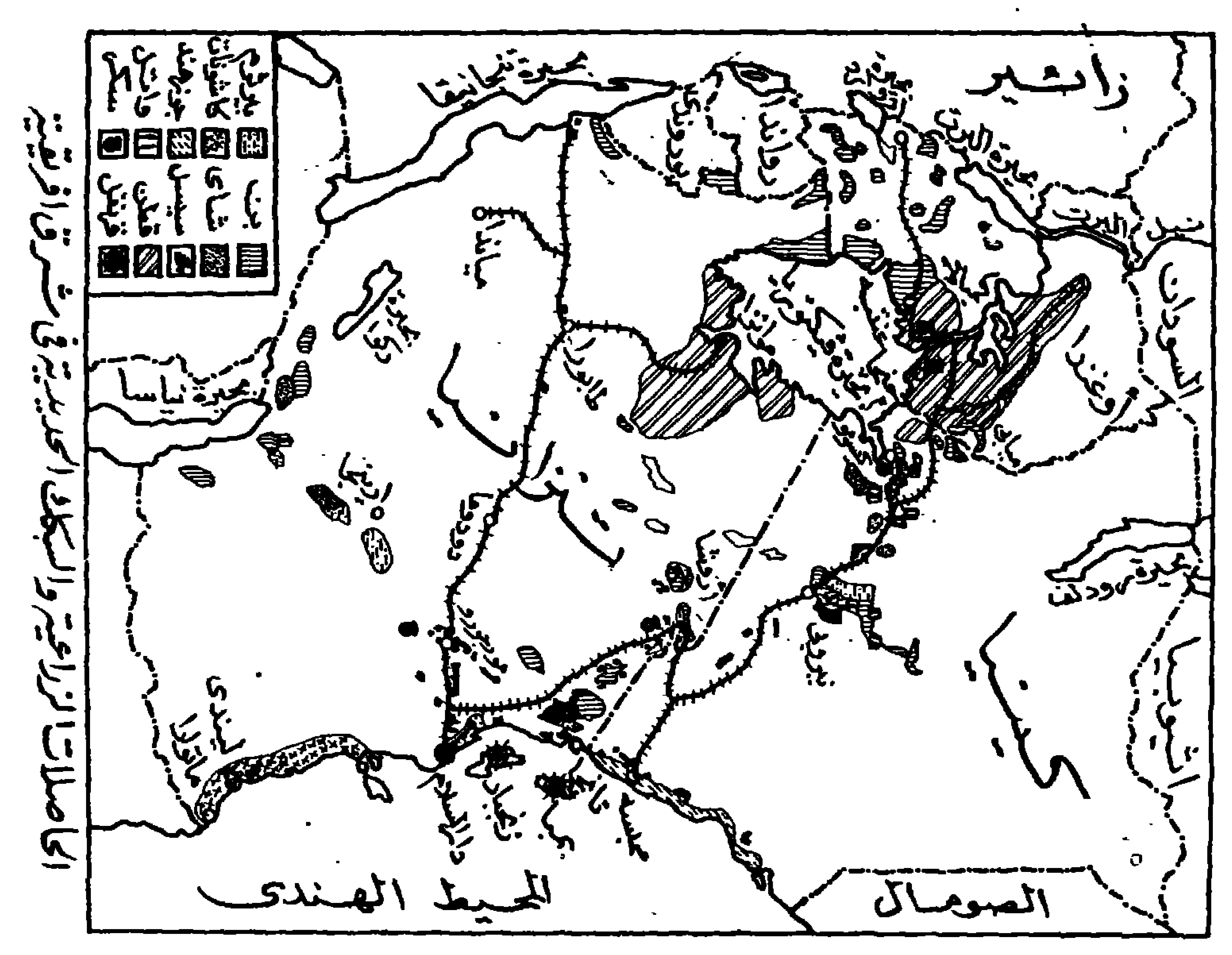
وهذه هى الصورة العامة للزراعة الوطنية الصغيرة، قد تحتاج إلى شئ من التعديـــل من اقليم إلى اقليم على سبيل المثال، المحراث الذى تجره الثيران يستخدم عند قبيلـة التيزو *Teso* في أوغندا، ولكن هذه الطريقة (استعمال المحراث) غير معروفة فـــي بقية أوغندا، ويرجع جزء من تغير هذه الظاهرة إلى التقاليد الرعوية عنــد التــيزو، ولكن التكامل بين الزراعة وتربية الحيوان من الأمور غير المعروفة عند الوطنييـــن وإن كان معظم المزارعين لديهم حيوانات بأعداد كبيرة ، إلا أن الزراعة المختلطـــة بمعناها المفهوم غير ممثلة ، وبدأت تظهر الزراعة المختلطة في كينيا عنـــد قبيلـة الكيكويو الذين أبدو شغفا كبيرا لاكتساب مهارات كبيرة (وقد يرجع هذا إلى الضغـــط الشديد على الأرض) بعد خدمتهم في كثير من الأراضــــى الخصبــة التــى احتلـــها المستوطنون.

وتتوقف العمليات الزراعية من ناحية توزيعها على مدار السنة بحسب عدد الغـــلات التى تزرع من نفس القطعة من الأرض، وهذا واضـــح في أوغنـــــــدا حيـــــث تأتـــــى الأرض بغلتيـــن في الجنـــوب، ولا تسمح إلا بغلة واحدة في الشـــمال، لأن المطر له قمة واحدة غير أن هناك تغيرات بدأت تظهر في المنطقة، وخاصة في كينيا نتيجة زيادة الضغط على الأرض كما في مرتفعات شرق الآخدود في (فورت هـــول) بعد عمليات تجميع الأراضى الزراعية في بعض المشروعات نتيجة لإحلال الوطنييـن محل الأوربيين المهاجرين.

(٢) هناك نوع آخر يتميز بالمساحات الكبيرة بحيث تصبح مساحة المزرعة ضخمـــة ويطلق عليها *Large Farms* أو الأبعاديات أو الضيع، ويدير الأوربييون معظـــم هذا النوع، ويتمثل بصفة خاصة في مرتفعات كينيا وهى مشـــروعات تجاريـــة فـــي الدرجة الأولى ولا يستهلك إنتاجها في داخل المزرعة، وحتى إذا كان هناك اســتهلاك فهو ضئيل إذا قورن بحجم الإنتاج، وإذا كان من النادر ظهور الزراعة المختلطــة أى

الزراعة وتربية الحيوان في ظل المزارع الوطنية الصغيرة فـإن هـذا النـوع مـن الزراعة يسود معظم مزارع الضيع أو الابعاديات.

شكل رقم (٨٢) : الحاصلات الزراعية والسكك الحديدية فى شرق افريقيه



وتوجد هذه المزارع في مرتفعات كينيا وبعـض جـهات تنزانيـا، ومعظـم هـؤلاء المزارعين يقومون بزراعة أكثر من غلة، ويربون أكثر من نـوع مـن الحيـوان، وهناك تكامل بين الحيوان والأرض الزراعية، فجزء من الأرض يزرع علفا حيوانيا، كما تستعمل الأسمدة بحيث قد لا تختلف عن نظيرتها في أوربا، وتتراوح المسـاحة بين ٥٠٠ - ٢٠٠٠ فدان للمزرعة الواحدة، وإذا أخذنا مزرعة نموذجية سـنجد أن منها ١٥٠ فدان تزرع علفا حيوانيا وتترك ٩٠٠ فدان للمراعـى الطبيعيـة و٢٥٠ فدان للغلات الزراعية، وفي هذه المزرعة يربى نحو ٢٠٠ رأس من البقر، وتحتـاج

مثل هذه المزرعة أيضا إلى تكاليف مبدأية تقرب من ٢٠ ألف جنيه، ولكن المزارع يحصل على دخل سنوى قدره ١٠آلاف جنيه منها ٢٠٠٠ جنيه ربحاً صافيا، وهذا يعادل عشرة أمثال أكبر دخل لمزرعة وطنية، ورغم أن هذا النوع محدود للغاية فإنه يسهم بنحو ١٠% من قيمة الإنتاج الزراعى التجارى ، ولم يكن توزيع هذا النوع من المزارع نتيجة لظروف طبيعية تربة خصبة ومطر وفير فحسب ، ولكنه كان أيضا نتيجة لظروف سياسية ، ولذلك رأينا أن أكبر مساحة تتمثل في كينيا حيث وزعت الأراضى الجيدة على الأوربيين، والتى وجد الأوربيون فيها ملاءمة للغلات التى كانوا يزرعونها والحيوان الذى كان يربونه، وباستثناء مناطق أخرى محدودة في تنزانيا، لم تكن لبقية شرق أفريقيه جاذبية للأوربيين وبالتالى لم ينتشر فيه هذا النوع من الزراعة، ومن التطورات التى حدثت في هذه المناطق هى هجرات المستوطنين من مرتفعات كينيا والتى وصلت إلى ربعهم تقريبا ١٩٦٥، وبدأت الحكومة في مشروعات توطين للأفريقيين في ظل نظم جديدة سنذكرها فيما بعد عند دراسة نظم حيازة الأرض، وقد يؤدى هذا التطور الجديد إلى اختلاف في نمط الزراعة مما كان عليه ايام المستوطنين وربما كان يتضمن تكثيف في استغلال الأرض.

(٢) الزراعة المتخصصة: لا يوجد فرق واضح بين النوعيين السابقيين وبين هذا النوع التى يطلق عليه ***Plantations*** أى المزاع الواسعة المتخصصة، ولكن قد تتميز المزارع الواسعة المتخصصة بأنها تلك التى تتخصص في محصول معين، بهذا التحديد نجد أن هذا النوع يحتل نحو ١,٥ مليون فدان في شرق أفريقيه أو أقل قليلا من ٥% من مجموع المساحة المزروعة كل عام. ورغم صغر المساحة، فإن هذا النوع مسئول عن نصف قيمة الغلات النقدية لأن هذه المزارع تنتج تقريبا كل السيسال والشاى والسكر فضلا عن البن وجوز الهند ووتل ***Wattle*** (لحاء شجر يستخدم للدباغة كالقرض في السودان).

ومعظم المزارع الكبيرة المتخصصة ملك الشركات خاصة الشركات البريطانية كشركة، بروك بوند، التى تكاد تسيطر على كل شاى كينيا، بينما المزارع الأقل حجما

يمتلكها أفراد من اصل أوربى أيضا، كما يشترك الهنود في ملكية هذه المزارع وهـم يلعبون دوراً كبيراً بصفة خاصة في محصول قصب السكر.
هذا النظام نظام الزراعة المتخصصة الواسعة لا يظهر بصورة كبيرة فـــي أوغنـدا ويظهر هنا أنه لا يرجع إلى خوف الإدارة البريطانية على اراضى الأهالى بقدر مـــا يرجع إلى أن أوغندا لم تجتذب أوربيين مستوطنيين، كما أنه هناك تقـاليد زراعيـة قديمة لدى بعض شعوب أوغندا كالباجندا، مما يجعل من الصعب قيام هذا النوع مـن المزارع هناك ويشمل هذا النوع ما يزيد على ٨٠٠,٠٠٠ فدان في تنزانيـا ونحـو ٥٠٠,٠٠٠ في كينيا ونحو ١٠٠,٠٠٠ فى اوغندا. وعلى عكس الزراعة المختلطـة الآخذة فى الانكماش نجد الزراعة الواسعة آخذة فى الاتساع، وإن كان معدل التوسع أقل من ذى قبل. ولم تؤثر مشروعات التوطين فى كينيا على هذا كما أثـرت علـى النوع السابق أى الزراعة المختلطة لسبب اقتصادى وهو أن هذا النوع من الزراعـة لايمكن أن يدار اقتصاديا فى ظل نظام المزارع الصغيرة، كما هو الحال فى الزراعـة المختلطة. بل فى بعض المناطق مازالت هناك أراضى جديدة تجهز للزراعة وبصفـة خاصة لزراعة الشاى.

المحاصيل الزراعية

ويتبين من خرائط توزيع السيسل فى شرق إفريقيه أن عامل القرب من الساحل لـه أثره على نمط التوزيع. والباقى يزرع بالقرب من الخطوط الحديدية، ذلك أن تكـاليف النقل تؤثر فى هذه الغلة أكثر مما تؤثر فى أى غلة أخرى كالبن أو القطن لانخفـاض قيمة السيسل، من ثم كان اختيار الموقع بالقرب مـن الجـهات السـاحلية او مـن الخطوط الحديديه أما عن أثر الظروف الطبيعية فى التوزيع فهو أقل منه فـى غلـة أخرى، لأننا رأينا أنه يزرع فى ظروف متفاوتة.
وقد ناسب السيسل تنزانيا أكثر من كينيا لاتساع مساحة الأراضـى التـى لايمكـن زراعتها بغلات نقدية أخرى، فجزء كبير من كينيا شديد الجفاف بحيث يستحيل معـه زراعة السيسل، وجزء آخر بارد نسبيا، بينما بقية البلاد تصلح لغلات أخرى أكـثر

ربحا لجودة تربتها ومناسبة مناخها. على أننا لايمكن أن ننكر أثر الظروف الطبيعية تماما فى توزيع السيسل. فنصف مساحة السيسل فى تنزانيا تتركز فى اقليم تانجا، بينما تحتل مساحات كبيرة من السيسل فى الاراضى حول الخط الحديدى والطرق من تانجا إلى كيلوسا، وهناك مساحات أخرى تمتد فى اقليم أروشا وموشى حيث تصلها السكك الحديدية المتجهة إلى اقليم البن ومساحات أخرى ايضا تتجمع حول الخط الحديدى الرئيسى، أى خط وسط تنزانيا وتمتد لمسافة ١٠٠ ميل على الجانبين، غير أنه بالتقدم نحو غرب تنزانيا يتلاشى السيسل لارتفاع تكاليف النقل إلى الجهات الساحلية.

ويزرع السيسل فى كينيا فى الأراضى المجاورة للخط الحديدى وفى نطاق ٣٠٠ ميل من الساحل، وهى أراضى غير صالحة للانتاج الزراعى بالنسبة للغلات الأخرى ، لأن ما يسقط بها من مطر يقل عن الـ ٥٠ سم، ومع ذلك فنحو ٣/١ مساحة السيسل فى كينيا فى المديرية الساحلية. وهناك مساحات أخرى حول ممبسة ولكن معظم المساحة حول فوى *Voi* على بعد ١٠٠ ميل منها حيث ترتفع الجبال التى تسمح بسقوط قدر أكبر من المطر. وكان من عوامل نجاح زراعة السيسل ذلك الفرع من الخط الحديدى الذى يمتد بين مناطق استقرار الماساى والكيكويو، فضلا عن عامل القرب من نيروبى.

وفى أوغندا كانت هناك مزرعة واحدة للسيسل عام ١٩٦٥ ذلك ان ابتعاد اوغندا عن البحر مما يعوق التوسع فى زراعة السيسل ، ففى ذلك العام ظهرت مساحة تبلغ نحو ١٠ آلاف فدان بجوار بحيرة كيوجا بغرض تصنيع الناتج كأجولة لمحصول البن.

وهكذا تطورت مساحة السيسل باطراد حتى بلغت النصف مليون فدان فى الخمسينيات، ثم قاربت المليون فدان فى العقد السادس، وكان ٧٠% من هذه المساحة فى تنزانيا وحدها، بينما اقترب نصيب كينيا من ٢٥ % من هذه المساحة.

وإذا كان شرق إفريقيه منتج لنحو ثلثى الإنتاج العالمى للسيسل (٢٨٥ ألف طن)، بأنه مصدر لنحو ثلاثة أرباعه، وتأتى تنزانيا فى المقدمة، ولها نحو ٨٠% من

الإنتاج الأفريقى ، يليها كينيا.

تنتج دول إفريقيه نحو ٣٥٠ ألف طن أو نحو ثلث الإنتاج الإفريقى من البن ، كما يسهم شرق إفريقيه بنحو ٢٨ % أيضا من الصادرات الإفريقيه وعلى رأسه اوغندا ١٨% ، كينيا ٧% ، تنزانيا ٥% وقد عرف شرق إفريقيه البن قبل وصول الأوربيين وإن كانت زراعته على نطاق تجارى بدأت مع مطلع القرن العشرين وازدادت بسرعة فى العشرينات خاصة فى مزارع المستوطنين فى كينيا، ومزارع الإفريقيين فى أوغندا ، ثم شهدت هذه الغلة توسعاً آخر فى الخمسينيات وحدثت معظم هذه الزيادة فى مزارع الإفريقيين أولا فى أوغندا ثم تنزانيا وأخيرا فى كينيا ويعرف شرق إفريقيه نوعى البن العربى والروبستا، وإن كان الروبستا يمثل النوع الغالب، فهو يحتل ثلثى المساحة المزروعة هنا، وينافس الدرجات المنخفضة من البن البرازيل، غير أن أقطار شرق إفريقيه تختلف فيما بينها من حيث مدى مساهمة كل نوع.

أوغندا : يمثل البن فيها نحو نصف قيمة صادراتها ومعظمه من الروبستا، ويبلغ متوسط إنتاجها ١٨٤ ألف طن، وبذلك تأتى فى المركز الثالث بعد كوت ديفوار وأنجولا، ويمتد نطاقه فيها شمال غرب بحيرة فكتوريا. وفيها يحتل البن ٢٥% من الأراضى المزروعة وبصفة خاصة فى أراضى الباجندا، وفى الحق توجد مساحات واسعة فى أوغندا صالحة لزراعته من الناحية الطبيعية فكلما اقتربنا من بحيرة فكتوريا كانت الظروف مثالية أكثر، ومن العوامل الإجتماعية التى شجعت على زراعته والتوسع فيه تعود الموجندى على زراعة الغلات الشجرية الدائمة وأهمها الموز، وبالتالى قدرته على صيانة أشجار البن، ويضاف إلى هذا أن كثيرا من الموجنديين ملكيتهم للارض فردية، فكثيرا منهم لديه من الأرض أكثر من اللازم لمده بالحاجات الغذائية، ومن ثم فلديهم متسع من الوقت لزراعة البن، وإذا كانت الأرض فى بعض الحالات تتطلب عملا يزيد على قدرتهم، فقد حل المهاجرون من رواندا هذه المشكلة، وإذا ابتعدنا على البحيرة سواء غرباً أو شمالا تتدهور الظروف الطبيعية الملائمة للبن، أما البن العربى فى أوغندا فينمو على سفوح جبل الجون

(١٥٠٠-٢٣٠٠ م) حيث التربة البركانية الخصبة، وحيث يزرع الموز كمحصول غذائى والبن كمحصول نقدى. وتشجع الحكومة زراعته بتوزيع الشتلات الجيدة مجانا، وفتح الأسواق العديدة. وتعتبر مبالى *Mpale* عند حضيض جبل الجون المركز الرئيسى لتسويقه.

كينيا : وكينيا هى المنتج الأول للبن العربى فى شرق إفريقيه، وأهمية كينيا كمنتج للبن تعكس صورة التوطن الأوربى بإمكاناته لتأسيس مزارع كبيرة، تخدمها مواصلات جيدة وتسهيلات تسويقية، ويأتيها العمل المناسب من الأراضى المجاورة المزدحمة بالسكان، ورغم هذا فقد كان الاستقرار الأوربى فى كينيا. وهكذا اقتصرت زراعة البن أول الأمر عن مزارع المستوطنين، ومازالت مسئولة مما يقرب من نصف الإنتاج، بينما الأقاليم الصالحة لزراعته تنتشر بصورة أكثر اتساعا فى مزارع الإفريقيين.

وأكبر تركيز لزراعته إلى الشمال من نيروبى، حيث تتعدد المزارع الصغيرة بعضها يملكه سكان يعملون فى نيروبى ذاتها، ويمثل البن لهم دخلا إضافيا، وفيما بين نيروبى وثايكا *Thaika* تنتشر فى مزارع كبيرة فى الأراضى ذات التربة البركانية.

يزرع النوعان فى تنزانيا، فيما يختص بالبن العربى، ففيها مساحات مناسبة لزراعته فى المرتفعات الجنوبية، فضلا عن الأجزاء الشمالية، حيث يقوم هناك نحو ٥٠ ألفا قبيلة الشاجا *Chagga* بزراعته على سفوح كليمنجارو البركانية بملكية متوسطها فدان واحد من البن. وتنتج هذه القبيلة وحدها نصف محصول البن العربى فى تنزانيا.

أما نطاق الروبستا فى تنزانيا فهو النطاق الممتد من بوجندا غرب فكتوريا عابرا الحدود إلى تنزانيا، فطى طول مسافة قدرها ٥٠ ميلا على أطول البحيرة وبعرض ١٠ أميال إلى الداخل ، يمتد النطاق الرئيسى لزراعته، وبعد ذلك تقل زراعته بالتدريج بالبعد عن البحيرة، وقد أدى قرب هذا الأقليم من البحيرة إلى سهولة نقل البن من الداخل بفضل البواخر البحيرية التى تعمل بين مينائى بوكوبا وكيسومو.

وأصبح القطن يمثل نصف صادرات اوغندا منذ موسم ١٩١٠ / ١١ استمر نجاح القطن بعد الحرب العالمية الأولى حتى لقد ارتفع الصادر قبيل الحرب الثانية إلى ٨٠ ألف طن وهو رقم لم تشهده اوغندا بعد ذلك وتقدم البن على القطن فى الصادرات منذ عام ١٩٥٧ واصبح القطن الغلة النقدية الثانية، ويلغ صادر أوغندا نحو ٧٠ الف طن بذلك فهو يسهم بأكثر من ٤/١ الصادرات. ويأتى اكثر من نصف قطن أوغندا من المديرية الشرقية وربعه من بوجندا، والخمس من المديرية الشمالية.

وتوسعت تنزانيا فى إنتاج القطن منذ عام ١٩٦١، فقد تضاعف إنتاجه وأصبح يمثل ٢٢% من صادرات تنزانيا. وتقوم مديرية البحيرة جنوب بحيرة فكتوريا بتقديم نحو ٨٠% من إنتاج تنزانيا وبذلك يكاد يكون احتكار لقبيلة السكوما.

وقد ظلت اوغندا تحتفظ بمركزها الاول بين دول شرق إفريقيه إنتاجا للسكر فى الوقت الحاضر، ويكاد يقتصر إنتاج القصب لاستخراج السكر على مزرعتين كبيرتين مساحة كل منهما نحو ٢٠ الف فدان إحداهما بالقرب من جنجا والاخرى بين جنجا وكمبالا. ويعتبر موقع المزرعتين جيدا بالنسبة للأسواق، لأن شمال غرب بحيرة فكنوريا هو منطقة الكثافة العالية نسبيا فى أوغندا، والقوه الشرائية العالية، فمدريتى بوسوجا وبوجندا مسئولتان عن استهلاك ٧٠% من مجموع استهلاك سكان أوغندا.

وبدأت كينيا برنامجا للتوسع فى إنتاج السكر بغرض الاكتفاء المحلى وكانت هناك فى كينيا حتى عام ١٩٦٧ مزرعتان رئيسيتان كل منهما بمساحة ١٥ ألف فدان، الأولى شرقى كيسومو وملحق بها عدة مزارع ومصنع كبير والثانية على الساحل جنوبى ممبسة بنحو ١٢٠ كم. ويناسب موقع هذه المزارع بدورها الظروف الملائمة للقصب من حيث ارتفاع نسبة الرطوبة فى الجهات الساحلية وبالقرب من بحيرة فكتوريا فضلا عن وفرة الأيدى العاملة خاصة قبيلة اللو.

وبدات زراعة القصب متأخرة فى تنزانيا، واسست اول مزرعة فى الثلاثينات على بعد ٢٠ كم من موشى بمساحة ١٥ ألف فدان تنتج نحو ٣٥ ألف طن من السكر. غير أن التطور الكبير فى إنتاج السكر حدث بعد حصول شركة ***Kilomporo*** امتياز زراعة ٢٥الف فدان فى إقليم ***Morogoro*** وبذلك كان هذا المشروع بداية الاكتفاء

الذاتى لتنزانيا.

ويخرج اكثر من نصف شاى إفريقيه من دول شرق إفريقيه ،وإن كان هذا لايعـــادل سوى ٣% من الإنتاج العالمى، وقد تقل أهمية الشاى فى شرق إفريقيه عـــن البـــن والقطن، ولكن تزداد اهميته نظرا لانتشار زراعته بسرعة، وقد عرف شرق إفريقيـه هذه الشجرة عن طريق الهند، وتتم زراعاتها عادة فى مزارع واسعة تبلـــغ الألـف فدان ومعظمها تمتلكه شركات بريطانية وقد وجدت هذ الغلة تشجيعا كبيرا من جـانب حكومات الأقطار الثلاثة لتنويع الإنتاج فضلا عن الرغبة فى تشـــجيع الاســتثمارات الأجنبية للمؤسسات الخاصة كشركة بروك بوند.

ويأتى الشاى كالمحصول الثانى فى صادرات كينيا، نظرا لملائمة الظروف المناخيـــة وتقاليد المزارع الواسعة التى يعرفها الأوربيون، ويعتبر مركز كريشو مسئولا عـــن نصف المحصول ومايقرب من نصف المساحة نظرا لقدم زراعتـــه هنـــاك ، وتقـــع كريشو هذه على ارتفاع ٢٣٠٠ متر فوق سطح البحر، ومن ثم تتمتع بمنـــاخ بـــارد نسبيا، فضلا عن خصوبة التربة وسهولة الصرف، وتوفر الأيدى العاملة من قبيلـــة اللو، والمنطقة الثانية فى كينيا حول تلال ناندى شمال شرق كريشو، وهناك أيضـــا إقليم المرتفعات حيث تقوم قبيلة الكيكويو بزراعته، ويبلغ إنتاج كينيا نحو ٣٨ ألـــف طن سنويا.

ويعتبر الشاى المحصول الزراعى الثالث فى اوغندا حيث كان يزرع فـــى مـــزارع الأوربيين والآسيويين منذ العشرينات، لكن تشجيع هيئة التنمية فى أوغندا أدى إلـــى انتشاره غربا (انكولى وتورو) ويبلغ إنتاج اوغندا أقل من نصف إنتاج كينيا (١٥ ألف طن سنويا).

أما تنزانيا فتعتبر مرتفعات اوزامبارا (شمال شرق تانجا) ومازالت هـــذه المنطقـــة لأنها مركز الصدارة فى الإنتاج، فهى باردة نوعا، كما أنها قريبة من طـــرق النقـــل ويبلغ إنتاج تنزانيا نحو ٨ آلاف طن سنويا.

ويحتـــوى بنـــدق كاشـــو *Cashew nuts* علـــى نســـبة زيتيـــة عاليـــة أعلـــى من الفول السودانى، وهذه الغلة تعتبر مصدر دخل رئيسى فى بعض الأقاليم الساحلية

خاصة جنوب تنزانيا وكان الإنتاج فى هذا الإقليم قليـــلا حتـــى عـــام ١٩٤٧. ازداد تدريجيا حتى بلغ نحو ٦٠ ألف طن سنويا، وتصدر منه تنزانيا بما قيمته ٣ مليـــون جنيه ، وتصدر منه كينيا بما قيمته ١/٢ مليون جنيه سنويا : وإذا كانت الهند تسود العالم فى إنتاجه إلا أن الجهات الأخرى المنافسة هى تنزانيا وموزمبيق.

ويقوم بزراعتها عادة المزارعون الصغـــار بينمـــا يشـــتريها التجـــار الآســـيويون ويرسلونها بقشرها إلى الهند حيث تقشر ويعاد تصديرها إلى الخارج. وبدأت تنزانيـــا باقامة معامل التقشير خاصة وأن هذه العملية لاتتطلب عملا ماهرا ، وتعتبر ما توارا فى الجنوب الشرقى لتنزانيا مسئولة عن ٣/٤ المحصول. ويعزى هذا التركيز الكبـــير فى جنوب شرق تنزانيا إلى قربها من موزمبيق مصدر انتشارها فضلا عـــن وجـــود كثافة عالية من السكان لاتجد أمامها بدائل نقدية اخرى، ولذلك أتى تشجيع الحكومـــة بنتائج إيجابية.

والبيراثرم : نبات يؤخذ من زهوره ماده مطهره (ضد الحشرات). وهذه المادة التى تحتويها الزهور وإن كانت ضارة بالحشرات فانها غير ضاره بالانسان لذلـــك كـــانت أهميتها الكبيرة فى تخزين المواد الغذائية. بينما تقل أهميتها كمبيدات حشـــرية فـــى الحقول لانها تفقد خواصها بتعرضها للجو، وقد دخل شرق إفريقيـــه عـــام ١٩٢٧، وكان نمو زراعته نموا بطيئا للغاية حتى عام ١٩٥٠ حينما أصبـــح الغلـــة النقديـــة لبعض المرتفعات واحتل المركز الرابع بين صادرات كينيـــا اقتصـــرت زراعتـــه أول الامر على مزارع البيض، ثم بدأ الإفريقيون يدخلون الميدان. وكانوا مسئولين عـــن ١/٤ الإنتاج و قد تبدو أهميته للمزارعين فى أنه ياتى بعائد سريع فانتاجه يبدأ قبـــل نهاية سنة من زراعته هكذا لمدة ٤ سنوات وتجف الزهور عادة فى المزرعة أو فى المراكز التعاونية المنتشرة ويباع لهيئات البارثرام التى تصدره إلى الخارج. وكـــان المحصول يصدر أول الأمر على هيئة زهور جافة، ولكن أقيمت اربعة مصـــانع فـــى تنزانيا وكينيا لتصديره على هيئة مساحيق مركزة. ونظرا لأن حجم المركزات بسـيط فغالبا ما يصدر بالطائرات ٢٥% إلى الولايات المتحدة، ٢٥% إلى بريطانيا والبـــاقى يصدر إلى أكثر من ٥٠ قطرا.

أما عن التوزيع الجغرافى للمحصول فى شرق إفريقيه فيعزى إلى الظروف الطبيعية. فهو يزرع عادة دون مستوى ١٥٠٠ متر وإن كانت هناك مساحة كبيرة يجود فيها ويزدهر فوق الـ ٢٠٠٠ متر، لذلك كانت هناك مساحات صالحة فى كينيا أكثر من تنزانيا وأوغندا.

التعدين والصناعة :

شرق إفريقيه فقير فى موارد الطاقة بوجه عام وباستثناء الكهرباء المولدة من سد اوين *Owen* فقحمه قليل، كذلك لم يثبت وجود البترول حتى الآن، والمعادن الرئيسية المكتشفة هى النحاس والفوسفات فى أوغندا، الماس والذهب فى تنزانيا، والقصدير فى رواندا وأوغندا وتنزانيا والنترون فى كينيا، ومازالت الصناعة لاتستخدم سوى ١% من القوى العاملة، ولاتسهم سوى بنحو ١٠% من الناتج المحلى وتعتبر كينيا اكبر اقطار شرق إفريقيه تصنيعا. واكثر الصناعات نموا هى التى تعتمد على الإنتاج الزراعى : إعداد الشاى، البن، السيسل للتصدير، وحلج القطن وعصر البذور، وطحن الغلال، هذا فضلا عن مجموعة من الصناعات الحديثة التى قامت بعد الاستقلال مثل معامل تكرير البترول فى ممبسة ودار السلام، ومصانع الأسمنت فى كينيا التى جعلتها أكثر الدول الإفريقيه إنتاجا له، والدولة العاشرة فى العالم من حيث التصدير، ومصانع تكرير النحاس، والأسمدة، والمبيدات الحشرية فى أوغندا. هذا كما قامت صناعة المنسوجات القطنية متكاملة، وصناعة الجلود وتجميع السيارات والدراجات، وتتركز هذه الصناعات، فى معظمها فى العواصم (دار السلام، نيروبى، كمبالا) فضلا عن بعض المراكز الحضرية الأخرى ذات المواصلات الجيدة مثل أروشا، جنجا، تورو، كساسى.

الفصـــــل الثـــــامن

من دول شـــــرقى إفريقيـــــه

كينيــــــا

الظروف الطبيعية فى كينيا :

تغطى كينيا نحو ٥٨٣ ألف كيلو متر مربع على المحيط الهندى بشقة ساحليه يبلـــغ طولها ٤٠٠ كيلومتر، ولما كانت تقع بين دائرتى العرض الخامسة جنوبا والثامنـــة شمالا، ومن ثم فهى تقع فى عروض الاقليم الاستوائى أو المدارى الممطـــر طـــول العام. ولكنها رغم ذلك تنوع فيها المناخ بفضل تفاوت المرتفعات التـــى تقلـــل مـــن الحرارة وتتحكم فى كميات المطر. ففى أقصـــى الشـــمال بـــالقرب مـــن الصومـــال والسودان يقل المطر عن ٤٠سم، ويمتد فيها لذلك الإقليم شبه الصحـــراوى، علـــى عكس السهول الساحلية المطلة على المحيط الهندى التى يسقط عليه مـــا يتجـــاوز المترين أحيانا، وتزداد على المرتفعات لتبلغ ثلاثة أمتار على جبل كينيا ، ثم تـــهبط الكمية فى الأخدود لحمايته بالحوائط العالية.

ويتبع تنوع المناخ فى النبات الطبيعى من شبه الصحراوى فى الشـــمال إلـــى بقايـــا الغابات المدارية المطيرة فى غرب كينيا التى تراجعت أمام الاستغلال البشرى، وهناك أشجار المانجو، وفى السهول الساحلية، على حين تتركز حشائش السفانا فى وســـط وجنوب كينيا، وخاصة فى الأخدود، إما كنبات أصيل أو النمو الثـــانى الـــذى محـــل الغابات، هذا بينما تتنوع الحياة النباتية الغابيه فى جبل كينيا وابردارى حتى ارتفـــاع ٣٢٠٠ متر، ليحل محلها، بعد ذلك ادغال البامبو، ثم الحشائش الالبيه ابتـــداء مـــن ٣٥٠٠ متر، بينما تغطى الثلاجات مازاد ارتفاعه على ٤٦٠٠ متر.

سكان كينيا :

يبلغ عدد سكان كينيا نحو ٣٠ مليون نسمة. والمجموعات الرئيسية هنا تنتمى الـــى زنوج البانتو مثل الكيكويو اكبر القبائل ومنها الزعيم جوموكينياتا التى قامت بحركـــة

ماوماو التى أقلقت الاستعمار البريطانى ، ويبلغ عددها نحو ١,٨ مليـــون نسـمة ، وتتركز فى نيروبى وجبل كينيا ومرتفعات ابردارى، ويليها اللوهايا (١ر١ مليونـا) والكامبا (مليون) أما الجماعات النيلية فأهمها اللو ويبلغ عددها نحو ١,٣ مليـون نسمة بذلك تعتبر القبيلة الثانية فى كينيا والمنافس الأول للكيكويو، وتتميز القبـائل النيلية عن البانتو فى كينيا بطول القامة وبلسانها المختلف. أما النيليين الحاميين فى كينيا فتمثلهم قبائل النادى، وكانوا رعاة من قبل، وتحولوا إلـى زراع مسـتقرين. ويعيش الحاميون من الجالا والبوران فى الإقليم شبه الجاف فى الشمال، وهم أقـرب إلى الرعاة من الصومال.

أما عن الجاليات فقد هبطت إلى النصف منذ حصولها على الاستقلال عـام ١٩٦٣، حين كان عدد الهنود ١٧٠ ألفا، والأوربيين ٧٠ ألفا، يعيش معظمهم فى المدن.

وقد تدافع الأوربيون على كينيا بعد مؤتمر برليـن ١٨٨٤ / ٨٥ وبعـد المعـاهدة الألمانية الإنجليزية فى ١٨٩٠، والتى اعترفت بالنفوذ الإنجليزى فى كينيـا، ووجـد الإنجليز فى مرتفعات كينيا بيئة صحية معتدلة، وبدأ وصولهم عام ١٩٠٢ ومـا أن انقضى نصف قرن حتى بلغ عددهم ٤٢ ألفا معظمهم من الانجليز، عمل منهم ثلاثـة آلاف فى الزراعة، واقتطعوا مساحة تقرب من ٤٢ ألف كيلو متر مربع مـن أجـود أراضى كينيا.

وتوزيع السكان على كينيا غير متساوى، فالإقليم الصحراوى وشبه الصحراوى فـى الشمال والشرق يكاد يكون غير معمور، بينما يزدحم السكان فى المرتفعـات وفـى أراضى الكيكويو شرق وغرب نيروبى وإقليم بحيرة فكتوريا قـرب حـدود اوغنـدا، فضلا عن السهل الساحلى فى إقليم ممبسه وتتفق هذه الأقاليم المزدحمة مع الأقـاليم الزراعية، بينما تتفق الكثافات المنخفضة مع أقاليم الرعى.

والنمو الحضرى فى كينيا سريع للغاية، فقد كانت نيروبى تتعدى المائة ألف نسـمة بقليل فى أواخر الأربعينات ولكنها تخطت النصف مليون عام ١٩٧٠ وترجع نشـأة هذه المدينة إلى عام ١٨٩٩ اثناء مد سكك حديد كينيا / أوغندا وقد اختيرت نـيروبى عند مد الخط الحديدى المتجه إلى ممبسة عام ١٨٩٩، وكان السبب فـى اختيارهـا

بواسطة موظفى السكك الحديدية أنها تقع فى نهاية سهول نهر إتـــى عنـد تقابلــها بمرتفعات الكيكويو، فالمساحة السهلية هنا تغطى فرصة للاتساع فى المستقبل، فضلا عن توفر الماء العذب من نهر نيروبى لذلك تأسست كورشة للإصلاح على منتصـف الخط بين ممبسة وكيسومو ونظرا لوقوعها على مستوى ١٨٠٠ متر فـوق سـطح البحر، من ثم كانت معتدلة فى حرارتها وإن كانت مشكلاتها التى ظــهرت فـى أول الأمر سببها هو تربتها الطينية الثقيلة والتى لا تسمح بتشرب مـــاء المطـر، ممـا يجعلها فى فصل المطر اقرب إلى اقليم مستنقعات، ولكن ثبت موقعها الاســـتراتيجى بالتدريج فهى فى مكان تتجمع فيه كل منتجات إقليم المرتفعات، فضلا عـــن إنتـاج أوغندا، ويزيد فى أهميتها قربها من مناطق السياحة، ولاتوجد مدينة فـــى إفريقيـه يعادل دخلها من السياحة دخل هذه المدينة.

وبهذا تتعدد وظائف نيروبى كعاصمة، ومركز للسكك الحديدية ومركز تجارى وبـــها مخازن ومستودعات لا لكينيا فحسب بل أيضا لاوغندا.

أما ممبسة (٢٥٠ ألفا) فهى أهم موانى شرق إفريقيه قاطبـــة، وعلاقتـها بـالخليج العربى بشاطئيه الفارسى والعربى وطيدة وتتعامل فى نحو ٣ ملايين طن سنويا.

وهناك ناكورو فى الأخدود ويبلغ عدد سكانها نحو ألف نسمة أما كيسومو التى يبلـغ عدد سكانها نحو ٢٢ ألف نسمة فهى الميناء الرئيسى على بحيرة فكتوريا ويصلــها الخط من ممبسة، وهى تزداد اتساعا باستمرار على سواحل البحيرة وتخرج منـــها الرحلات المنتظمة عبر البحيرة إلى أوغندا وتنزانيا.

اقتصاديات كينيا * :

تعتمد كينيا اعتمادا كبيرا على إنتاجها الزراعى المتنوع مثل التبغ، القمـــح، الـذرة العريضة على المرتفعات، وقصب السكر حول بحيرة فكتوريا، وهناك البن والشـــاى، والسيسل، والبيرثرم، من المحاصيل النقدية، ولكن على العموم تشغل الغلات الغذائية نحو ثلاث أرباع المساحة المزروعة، وتأتى الذرة بنوعيها والدخن فى المقـــام الأول

---

* أنظر الانتاج الزراعى والحيوانى بالتفصيل فى الفصل السابق.

فى المرتفعات فضلا عن الكسافا واليام والبطاطا والموز والفول السوداني في الجهات السهلية، كما دخل الأرز كغلة جديدة اعتمادا على الري في وادي نهر تانا.
وتملك كينيا ثروة ضخمة من الأنعام قوامها ٨ مليون رأس من البقر، ٧,٥ مليون رأس من الأغنام، و ٨ مليون رأس من الماعز، وثلاثون ألف رأس من الخنازير، وتظهر الإبل إلى جوار الأغنام والماعز عند قبائل التوركانا فى الشمال، كما يمارس الماساى الرعى على أطراف إقليم المرتفعات. وقد إنشئ مصنعان لتعليب اللحوم أحدهما فى ضواحى نيروبى والثانى فى ممبسة ويصدر ثلثى إنتاجهما.
وتظهر الملكية الزراعية الصغيرة حيث يزدحم السكان كما هو الحال فى إقليمى ميرو والكيكويو، فهنا تتراوح الكثافة بين ١٠٠ / ٢٠٠ نسمة لكم[٢] وتمارس حينئذ الزراعة الكثيفة، خاصة إذا عرفنا ان هذه الاقاليم تمثل ظهير نيروبى الذى يمدها بالحاصلات الغذائية، ومن ناحية أخرى كانت الملكيات الكبيرة تتمثل فى أراضى المرتفعات حيث كانت الحيازة تتراوح بين ١٠٠٠ ، ٢٥٠٠ فدان لدى العناصر الأوربية، وكانت تمارس فيها الزراعة الواسعة المختلطة وقد وزعت معظم هذه الأراضى على الإفريقيين، وأصبح الانتاج الإفريقى الآن مسئول عن أكثر من نصف المحاصيل الزراعية فى كينيا، بينما كان قبل ذلك لايسهم إلا بنحو خمس الإنتاج الزراعى.
وتعد كينيا أكثر أقطار شرق إفريقيه تصنيعا رغم فقرها فى موارد الطاقة وبدأت كينيا تعالج هذه المشكلة بانشاء السدود، وانتهت فعلا من بناء سد كينداروما على أعالى نهر تانا، ومازالت تعتمد على الكهرباء الواصلة اليها من سد أوين فى أوغندا وباستثناء الذهب والملح الذى يستخرج من الجهات الساحلية، تنتج كينيا سنويا نحو ١٠٠ ألف طن من الصودا والتى توجد بصورة طبيعية حول بحيرة مجادى فى الأخدود كما يرجح وجود مكامن للفضة والرصاص هناك.
وتتصدر نيروبى (٩٠٠ ألف) مدن شرق إفريقيه تصنيعا ، ففيها وحدها ٤٠% من القوى العاملة بالصناعة فى كينيا والبالغ عددها ٨٥ ألف نسمة وتشمل صناعة طحن الغلال، واعداد البن، والشاى، والبيرة، والمشروبات الغازية، والصناعات الجلدية

والتبغ والصابون والأثاث.

وتأتى ممبسة (٦٠٠ ألف) كميناء ومركز صناعى بعد نيروبى ، وبها نحـــو ١٧% من القوى العاملة الصناعية. ومن أحدث المشروعات الصناعية فى ممبسة مصنــــع الحديد المبروم بطاقة ٢٦ألف طن، كما تفخر ممبسة بأن بها أكبر معمل تكرير بترول فى شرق إفريقيه ومصانع الورق، والأسمنت، الذى يستخدم الشعاب المرجانية كمادة خام وهى صناعة ناجحة، واستطاعت ممبسة أن تصدر من إنتاجها البالغ ٤٠٠ ألــف طن، مايقرب من ١٧٠ ألف طـــن سنويا إلـــى موريشـيوس ورينيـــون، وعــدن والصومال. وزاد فى أهمية ممبسة أنها تتعامل فى ٩٨% من تجارة كينيا وأوغنـــدا، بل وجزء من تجارة القسم الشمالى من تنزانيا. ونظرا لموقع ممبسة علـــى جزيـــرة مقابلة للساحل ومرتبطة بها. فقد أصبح لها مرفآن كبيرين هما كليندينـــــى (الميـــاه العميقة) فى الغرب وهو المرفا الرئيسى، أما المرفأ الشرقى فهو القديـــم وتدخلـــه الداوات التى تأتيها من الهند والعراق والجنوب العربى.

أما كيسومو (٢٥٠ ألف) العاصمة الإدارية لإقليم نيانزا ومن أنسب المدن للتوســـع الصناعى فى المستقبل نظرا لوفرة الأيدى العاملة (قبيلة اللو) وتشمل الصناعـــات التى قامت فعلا إصلاح السفن وتجميد وتعليب أسماك بحيرة فكتوريا.

أوغـــنـــــــــدا

تمتد أوغندا فى مساحة ٢٤٣ ألف كم٢، وعلى عكس تنزانيا وكينيـــا لا تطـــل علـــى البحر، من ثم كانت دولة حبيسة ويتنوع فيها السطح بين البحيرات فى قاع الأخـــدود إلى مرتفعات رونزورى، ولكن المرتفعات بوجه عام تظهر على أطرافها ممثلة فـــى الجون فى الشرق ورونزررى وكيجيزى فى الغرب، أما معظم الباقى فـــهو هضبـــة تعرية يتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠ ، ٥٠٠ فوق سطح البحر.

ويمر خط الاستواء بجنوبى أوغندا، من ثم كان مناخها اســـتوائيا ، ولكنـــه معتـــدل بطبيعة الحال، ويسقط المطر شمال بحيرة فيكتوريا طول العام، ولكن بـــالبعد شـــمالا يبدأ فصل جفاف قصير فى الظهور بين نوفمبر ومارس وتتراوح الحرارة بيـــن ٢٠،

٢٢ ْم، كما يعتبر شهر يولية هو أكثر الشهور مطرا وأقلها حرارة وكانت الغابة المدارية المطيرة تغطى معظم أوغندا، لكنها تراجعت أمام زحف الانسان وخاصة حول بحيرة فكتوريا ولكن آثارها باقية فى اقاليم متقطعة كما فى جزر فكتوريا وفيما بين فكتوريا وكيوجا وبحيرة ألبرت.

سكان أوغندا :

يبلغ عدد سكان أوغندا نحو ٢٣ مليون ، نسمة منهم نحو أربعة آلاف أوربى فضلا عن ٨٨ ألف هندى وباكستانى، وقد طرد معظم الآسيويين عام ١٩٧٢. وتسود مجموعة زنوج البانتو بقية المجموعات الأخرى ، وتؤلف قبيلة الجاندا أكبر قبائل أوغندا (١٦% من السكان) ويحتلون أخصب أجزاء البلاد. وقد وصلت فى القرن الخامس عشر قبائل نيلية (أى فيها دماء حامية) إلى الأقليم مثل الهيما والتوتسى وكونوا الطبقات الحاكمة، كما حدث فى مملكة الباجندا.

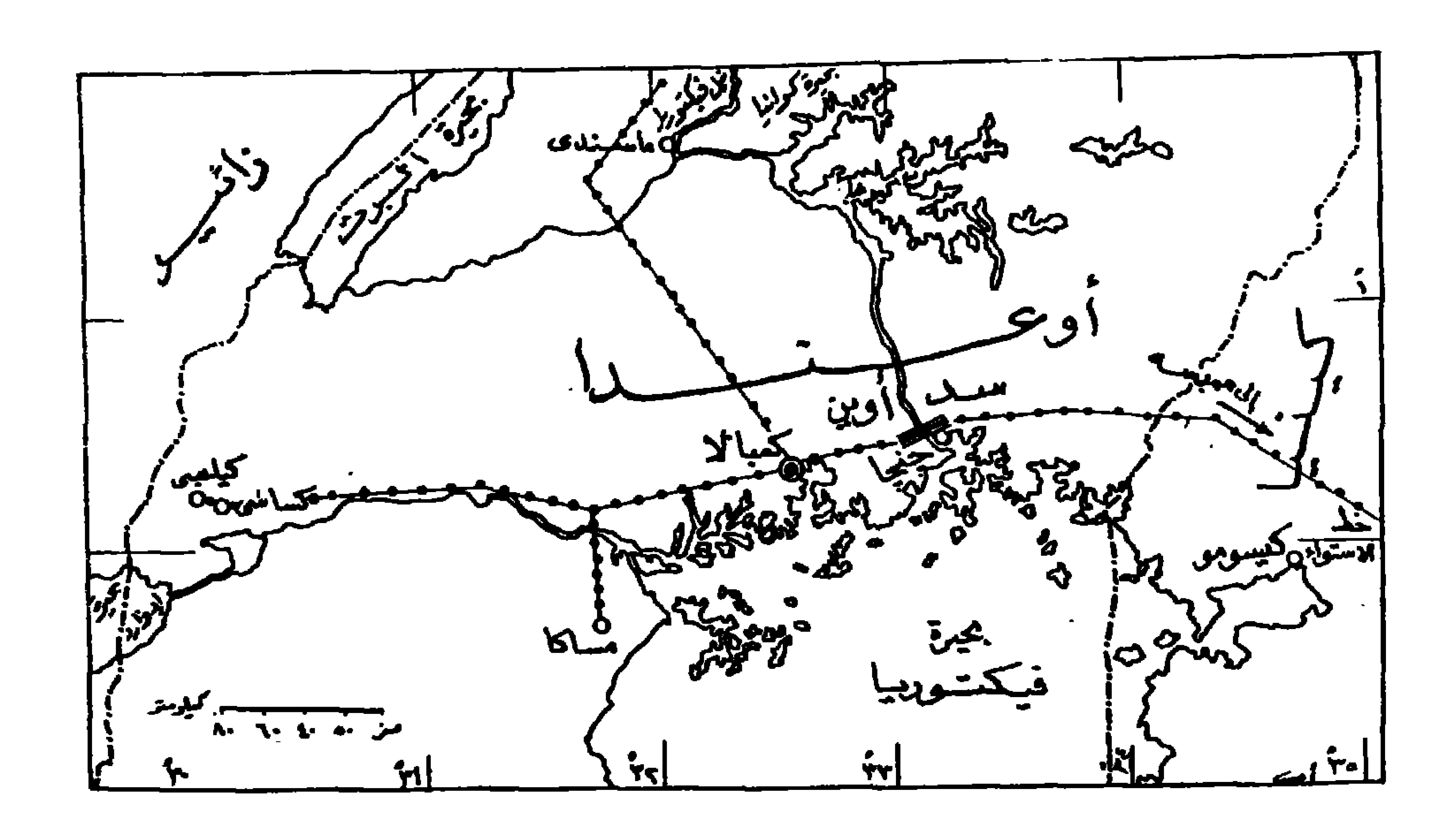
ويعمل ٩٣% من سكان أوغندا بالزراعة، وترتفع كثافة هؤلاء الريفيين إلى ٤٠ نسمة للكم٢ فى المتوسط، ولكنها ترتفع إلى ٣٠٠ نسمة أحيانا، وأكثر الكثافات ارتفاعاحول بحيرة فكتوريا وخاصة جنوبها الغربى، وكذلك فى المرتفعات الغربية على الحدود مع رواندا، أما المناطق المخلخلة فهى القسم الشمالى حيث يظهر الفصل الجاف ويصبح استخدام الأرض للمرعى أكثر منه للزراعة، وهنا تظهر سيادة الجماعات الحامية من التيزو والكاراموجنج.

اقتصاديات أوغندا :

يعتمد الاقتصاد الأوغندى على موارد طبيعية متنوعة، زراعة وصناعة، وقد نهضت الأخيرة لتحل محل الصادرات، الزراعية فى قائمة الصادرات وعلى عكس الحال فى كينيا وتنزانيا لم تشهد أوغندا استعمارا استيطانيا بإستثناء مساحات محدودة ، ذلك أن المرتفعات كانت مزدحمة بالسكان قبل وصول الأوربيين، كما أن أوغندا ليست حادة التضاريس بوجه عام. وإذا ضربنا مثلا باقليم الجاندا شمال غرب بحيرة

فكتوريا، وجدنا أنه كان يشغله أكثر من ٢ مليون مزارع يفلحون الأرض عند وصول الأوربيين يزرعونها بالموز والقصب والذرة، وفي إقليم كيجيزى درج السكان المرتفعات وكذلك الحال فى إقليم تورو بين بحيرتى البرت وجورج وانكولى شرق بحيرة جور، ويعتبر الموز والكاسافا، والذرة الرفيعة والدخن، والفول السودانى، أساس الحاصلات الغذائية فى أوغندا، فضلا عن الأرز فى إقليم رونزورى وبالقرب من بحيرة كيوجا، كما يزرع السمسم فى إقليم الأتشولى إلى جانب الحبوب الأخرى. وتمثل الحاصلات النقدية مجموعة متنوعة تأتى على رأسها البن بنوعيه الذى يتصدر قائمة الصادرات والتبغ وقصب السكر والقطن والشاى، أما أقاليم الرعى الرئيسية فهى إقليم تيزو (والكارموجا أى شرق أوغندا) حيث تربى الأبقار للحصول على ألبانها ولحومها فضلا عن الماعز والأغنام وتقدر ثروة أوغندا من البقار بنحو ٤ مليون رأس فضلا عن ٢ مليون رأس من الأغنام والماعز، وتقوم تجارة فى الماشية بين شرقى أوغندا وغربها، كما تستغل الثروة السمكية على أكمل وجه من البحيرات والمجارى المائية المتعددة هناك.

شكل رقم (٨٣) : السكك الحديدية ومناجم النحاس فى اوغندا



ونظرا لتدهور أسعار بعض الحاصلات الزراعية التى تعتمد عليها أوغندا فى بعض الأحيان كالبن، والقطن، والشاى فقد اتجهت الحكومة نحو تنويع الإنتاج بادخال زراعة الأرز والليمون وغيرها من المنتجات المدارية.
ويعتبر هلال الارض الذى يحيط ببحيرة فكتوريا أكثر أجزاء أوغندا صلاحية للزراعة فالمطر يعتمد عليه، والحرارة عدلها عامل الارتفاع قليلا، والتربة خصبة، إذا ماقورنت بتربات الأقاليم المدارية، كما أن عوامل التعرية قد سوت من سطح الهضبة.

التعدين :

اكتشفت خامات الحديد فى كيجيزى باحتياطات تبلغ نحو ٣٠ مليون طن على درجة عالية من الجودة، ولكنها لم تستغل حتى الآن واستغل خام الفوسفات بالقرب من تورو، كما تستغل مصانع الأسمنت محاجر الحجر الجيرى بالقرب من تورو والنحاس ثالث صادرات أوغندا ويستخرج نحاس أوغندا من إقليم واحد بل ومن منجم واحد وهو كيلمبى فى واد ضيق على السفوح الشرقية لجبال رونزورى، وبدأ تعدين النحاس عام ١٩٥٦، ويزيد الإنتاج فى الوقت الحاضر عن مليون طن سنويا. وتستخرج الخامات من جوانب الوادى ويسحق وتجرى عليه عملية التركيز فى نفس الإقليم للحصول على مركزات النحاس بدرجة ٢٦% وتشحن هذه المركزات بالسكك الحديدية لمسافة ٢٢٦ ميلا إلى مصهر جنجا ***Jinja*** حيث يمكن الحصول بعد ذلك على مركزات النحاس التى تنتقل إلى ممبسة فالخارج.
ولايوجد اختيار فى موقع تعدين النحاس فى أوغندا، ذلك أنه لاتوجد خامات نحاس إلى فى كيلمبى حتى الآن، ومن ثم لايمكن لأصحاب الاستثمارات استغلال رؤوس أموالهم فى استخراج النحاس من مناطق أخرى. والواقع أن طبيعة خامات كليمبى تشجع على استغلالها رغم وجودها فى طبقات شديدة الالتواء، لأنها توجد على هيئة كتل بسمك ٢٠ قدما وتحتوى على نسبة من المعدن حوالى ٢,٢% وهى نسبة تعتبر مرتفعة إذا ماقورنت بالنسبة العالمية، ويقدر الاحتياطى بنحو ١١ مليون طن، ونظرا

لأن جبل رونزورى تتوجه الثلوج، فقد توفرت موارد المياه اللازمة للمنجم، وأصبح فى الإمكان توليد الكهرومائية من وادى مبوكو القريب.

وكان اختيار جنجا مركزا للصهر بعد مناقشات عديدة، ولعل أهم ما شجع اختيارها هو سد أوين وطاقته الكهربائية، ذلك أن المصهر يعمل فى درجة حرارة ١٢٠٠ م، ويستهلك ٥٠ مليون كيلوات ساعة سنويا ، وقد تكلف مد خطوط الكهرباء من جنجا إلى كليمبى ٢,٥ مليون جنيه، ولم تكن أوغندا مستعدة لهذه التكاليف، وليس من شك أن نقل مركزات النحاس عمل اقتصادى أكثر من نقل الخامات إلى جنجا، ولكن السكك الحديدية لم تكن لتقدم أى تسهيلات نقلية، لولا ضمانها لحمولة ضخمة من الخامات، هذا فضلا عن أن جنجا كانت تأمل فى جذب نحاس كينيا، وإن كان هذا لم يحدث.

أما الصناعة فيرجع الفضل فى تقدمها فى أوغندا إلى الكهرباء المولدة من سد أوين والتى تعطى طاقة سنوية قدرها ٦٠٠ مليون كيلوات.

ويبلغ عدد العاملين فى الصناعة نحو ٥٠ ألف أو ١٥% من القوى العاملة، وكانت الصناعة مركزة فى معظمها فى كمبالا وجنجا حتى عام ١٩٦٥، ولكنها انتشرت الآن فى المدن الأخرى، معتمدة على الإنتاج الزراعى والحيوانى فى الأقاليم القريبة منها، وأكثر هذه الصناعات أهمية هى الصناعات الغذائية : البيرة فى كمبالا وجنجا، وتجميد وتعليب اللحوم فى كمبالا، وسوروتى تستهلكان ٨٠ ألف رأس سنويا ومنتجات الألبان من مزارعها ، ونحو ٦٠ مصنعا لاعداد البن للتصدير ويضاف إلى هذه صناعة السجائر، والجلود، والأسمنت، ودخلت أيضا الصناعات المعدنية، والكيماوية، مثل حامض الكبرتيك الذى يعتمد على الكبريت المستورد من زامبيا وألواح الصلب والالات الزراعية، أما الصناعات النسيجية فقد تقدمت كثيرا فى كل من كمبالا وجنجا.

الحضرية فى أوغندا :

وكمبالا أهم مدن أوغندا فهى العاصمة بعد أن تحول مركز الحكم من عنتبة إليها، كما أنها المركز الصناعى والمركز التجارى الرئيسى، وتتجمع فيها ويخرج منها

طرق النقل المختلفة لتربطها بأنحاء البــلاد، وتتصــل بنــيروبى وممبســة بــالخط الحديدى، واتصالاتها مستمرة ببحيرة فكتوريا عن طريق مينائها بــورت بــل هــى المركز الثقافى والتعليمى الرئيسى فى أوغندا، ففى ضاحيتها الشمالية الغربية بنيــت جامعة ماكريرى. ونمت كمبالا نموا كبيرا منذ الحرب العالمية الثانية بحيــث أصبــح عدد سكانها الآن ٥٣٥ ألف نسمة، وتأتى جنجا فى المركز الثانى بعد كمبالا وتقــع على رأس خليج نابليون حيث تتدفق مياه بحيرة فكتوريا فى نيل فكتوريــا، ويرجــع الفضل فى ازدهارها إلى سد أوين وتوليد الكهرباء الذى خلق منها مركزا صناعيا.

أما عنتبة العاصمة القديمة على بعد ٣٢ كيلومترا من كمبــالا فقــد أسســت عــام ١٨٩٢، وهى ليست مدينة كبيرة ولاتشتهر بصناعة أو تجارة ولكن أهميتــها تــأتى من كونها محطة جوية رئيسية على طرق الملاحة الجوية العالمية، كما أنها ترتبــط بكيسومو فى كينيا بخدمة بحرية منتظمة، تكملها الخطوط البرية إلى ممبسة.

تنــــــزانيا *

أكبر أقطار شرق إفريقيه بمساحة تقترب من المليون كيلومتر مربع ، وتطــل علــى المحيط الهندى بجبهة ضعف طول الجبهة التى تطل بها كينيا أى نحو ٨٠٠ كيلومتر . وفى مواجهتها تقع عدة جزر أكبرها زنجبار وبمبا.

ونظرا لوقوع تنزانيا فى نصف الكرة الجنوبى بين دائرتى ٣ ، ١٢ فــان ســواحلها تستفيد بالكامل من الرياح المحيطية الجنوبية، من ثم كانت السهول الساحلية رطبــة كما تغزر الأمطار على المرتفعات الجنوبية شمال بحيرة مالاوى (جبال رونجــوى) والمرتفعات الشمالية (كلمنجارو، وميرو) فيبلغ التساقط هنا متر ونصف المتر على السفوح المواجهة للرياح بينما يقل المطر فى معظم الهضبة عــن المــتر ويســتمر المطر طول العام فى الاقليم الساحلى ثم يقتصر على الفترة بين أكتوبر ومــارس أى صيفا، ويتبعه فصل جاف طويل لمدة سبعة أو ثمانية شهور، فــى معظــم البــلاد،

---

* اتحدت تنجانيقا مع زنجبار وبمبا فى ٢٦ ابريل ١٩٦٤ ، وتكون اتحاد تنجانيقا وزنجبار والذى سمــى تنزانيا فى ٢٩ اكتوبر من ذلك العام.

وحشائش السفانا بأنواعها هى الظاهرة النباتية السائدة، أما الغابات النفضية فتقتصر على ضفاف أنهار وسفوح المرتفعات ، وتتحول فى الاقليم الأكثر جفافا كما هو الحال فى الوادى الاخدودى وفى وسط الهضبة إلى استبس فقير تتخلله أشجار السنط والتبلدى ولاتظهر الغابات المعتدلة إلا على سفوح المرتفعات فوق الألفى متر.

ويبلغ عدد سكان تنزانيا نحو ٢٨ مليون نسمة بكثافة تبلغ نحو ٢٥ نسمة لكم٢ ومعظم السكان ينتمون لزنوج البانتو، أكثرهم عددا قبيلة السوكوما والهايا والنياكوسا والنياموزى والماكوند والجوجو والتشجا فضلا عن الزولو الذين وصلوا فى القرن الثامن عشر من الجنوب وتظهر القبائل النيلية الحامية ممثلة فى قبيلة الماساى الرعاة فى الشمال. وهناك جالية هندية باكستانية تقدر بنحو ٨٥ ألف نسمة فضلا عن ١٥ ألفا من الأوربيين. وأكثر جهاتها ازدحاما بالسكان هى السهول الساحلية وجزيرتى زنجبار وبمبا وسواحل بحيرة فكتوريا حول بوكوبا وموانزا وسفوح كلمنجارو وميرو، وفى أقليمى أروشا وموشى، وكذلك فى المرتفعات الجنوبية، هذا بينما معظم تنزانيا (الوسط والجنوب) فهو مخلخل للسكان.

اقتصاديات تنزانيا :

يعتمد الاقتصاد التنزانى على الزراعة أساسا، والتى تمثل ٨٥% من قيمة الصادرات، وإذا كانت تنزانيا قد أخذت بنظام التأميم فى قطاعات الصناعة والنقل والبنوك، فان الزراعة مازالت قطاعا خاصا، وأن كانت الحكومة تلعب دورا عاما فى التنمية الزراعية وفى تنويع الإنتاج فضلا عن الاشراف على مزارع الدولة. هذا ويلاحظ أنه لاتوجد الآن مزارع أوربية بصورة واسعة، فقد انكمشت وأصبحت تقتصر على أجزاء من سفوح كلمنجارو وبالقرب من الخط الحديدى فى الجهات الساحلية.

وتشغل الغلات الغذائية ٦٠% من مساحة الأرض المزروعة كالدخن الغذاء الأساسى لقبيلة السوكوما، والذرة الرفيعة فى الجهات الداخلية، والذرة العريضة فى اقليم كليمنجارو، كما ظهر القمح فى هذا الاقليم وفى الجنوب فى اقليم مبايا، وتنتشر زراعة السمسم فى السهول الساحلية الجنوبية كما تنتشر أيضا مزارع الموز والكسافا والبطاطا والبقوليات كالفول واللوبيا وأصبحت تنزانيا منتج للأرز فى سوق

إفريقيه بانتاجها البالغ نحو ٢٧٠ ألف طن سنويا.

أما الغلات النقدية وقد سبق أن ذكرناها فى الدراسة العامة لشرق إفريقيه فأهمها السيسل عماد الصادرات والبن بنوعيه فضلا عن القطن والقرنفل من زنجبار ويمبا وجوز الهند وقصب السكر.

وتقوم فى تنزانيا تجارة داخلية أساسها الماشية من اقليم دودوما فى الوسط إلى دار السلام مستخدمة السكك الحديدية ، كذلك مابين كليمنجارو وتانجا ويبلغ عدد الأبقار نحو ١١ مليون رأس ، فضلا عن ١٠ ملايين رأس من الأغنام والماعز وقد أقيم مصنع لتعليب اللحوم فى دار السلام.

والماس أساس ثروة تنزانيا النعدنية، اكتشف عام ١٩٤٠ ويستغل من مناجم وليمسن فى الشمال (٧٨٠ ألف قيراط) كما يستخرج الذهب أيضا من ثلاثة مناجم جنوب وجنوب شرقى بحيرة فكتوريا (٧٦٠٠ كيلو جرام) وتمتد خامات القصدير على حدود تنزانيا مع رواندا وأوغندا ويستخرج منها نحو ٤٤٠ طن سنويا، ولم تستغل خامات الفوسفات والفحم فى الجنوب وكذلك الحديد بسبب قلة وسائل النقل.

وفى سبيل الحصول على طاقة رخيصة أقيم سد على نهر بنجانى فى الشمال يمد دار السلام وتانجا وموروجورو بحاجتها من الكهرباء، كما بنى سد آخر لتوليد الكهرباء فى موشى.

وتتركز الصناعة فى ثلاثة أقاليم بصورة أساسية وهى دار السلام وتانجا وأروشا فى الشمال. وأقدم هذه الصناعات هى الغذائيات ، يليها النسيجيات، اعتمادا على القطن والسيسل، هذا فضلا عن البلاستيك والصناعات الجلدية وتكرير البترول لكفاية حاجة تنزانيا وجزء من احتياجات زامبيا كما أنتج مصنع للأسمنت عام ١٩٦٦ ومصنع الحديد المبروم عام ١٩٧٠.

وتبرز دار السلام كعاصمة والميناء الأول لتنزانيا ويبلغ عدد سكانها ٨٠٠ ألف نسمة وقد نمت من ميناء صيد صغير عام ١٨٦٠ لتصبح المدينة الأولى فى تنزانيا بموقعها على أحد الشروم الغارقة، ولكنها توسعت فى جميع الاتجاهات وكانت السلع تشحن منها واليها بواسطة قوارب صغيرة حتى عام ١٩٥٦ حين تم انشاء ثلاثة

مرافئ عميقة لها، فضلا عن حوض صغير لاصلاح السفن، وكـان الفضـل للخـط الحديدى الأوسط فى قيام دار السلام بوظيفة الميناء لا لظهيرها فحسب، بـل أيضـا لجزء من تجارة زائير وزامبيا، ويصلها اليوم أيضا خط تنزام الحديـدى، وأنـابيب البترول التى تصل إلى ندولا فى زامبيا وأصبحت المركـز الصنـاعى الأول بفضـل وقوعها على البحر من ناحية وكونها، عاصمة من ناحية أخرى.

وتانجا هى المدينة الثانية والميناء الثانى بعد دار السلام بعدد سكان يبلغون ٦٠ ألفـا وكانت الميناء الأول قبل إنشاء الخط الحديدى الأوسط، ومرفأ تنجا أكثر عمقـا مـن مرفأ دار السلام، ويتعامل هذا الميناء بصفة خاصة فى السيسل والشاى والأخشـاب من أقليم موشى أووشا، فقد أنشئ خط تانجا بغرض استغلال موارد هـذا الأقليـم، وقامت فى تانجا أيضا بعض الصناعات اعتمادا على الكهرباء المولدة من سد بنجانى وأكبر مدن الداخل موانزا جنوب بحيرة فكتوريا (٣٤ ألفا) تقع علـى رأس سـكك حديد طابورا فضلا عن كونها ميناء بحيريا وعاصمة أقاليم البحيرة، ومركـز أقليـم غنى بالانتاج الزراعى الحيوانى (٣٠% من الانتاج تنزانيا الزراعى) فضـلا عـن ثلث ثروتها الحيوانية، كما أنها قريبة من مناجم الذهب التى تقع جنوبها بنحو ١٣٠ كيلومتر على الخط الحديدى الواصل إلى طابورا وتتعامل موانزا فى معظـم تجـارة تنزانيا مع كينيا وأوغندا عبر بحيرة فكتوريا، فضلا عن التجارة الداخلية مـع اقليـم بوكوبا غرب البحيرة.

جزيـرتا زنجبـار وبمـبا

تقع جزر زنجبار وبمبا ومافيا مواجهة لساحل تنجانيقا، وجزيرة زنجبار هى أكبرهـا مساحة. وكانت هذه الجزر جزءا من الإقليم الساحلى ولكنها انفصلت نتيجة الـهبوط الذى حدث فى الشقة الساحلية وظهور الحافة القافزة التى ترى بوضوح فى جزيـرة بمبا ولاتظهر تضاريس حادة فى هذه الجزر، وإنما هى تكوينات رسوبية منخفضـة، بل ومسطحة فى معظم الأحيان باستثناء المناطق الغربية التى تعلوها بعض التـلال، والظاهرة السائدة هنا هى التكوينات المرجانية، لدرجة أن ٦٠% من مساحة جزيـرة

زنجبار، يتكون من الحجر الجيرى المرجانى. ويسقط المطر عليهما طول العام، وأن كانت بمبا أغزر مطرا من زنجبار (١٧٥ سم ، ١٣٠ سم على التوالى) ويتميزون مناخيا بالرطوبة المرتفعة التى تجعل المناخ قاسيا خاصة وأننا هنا فى الإقليم المدارى.

وتعتمد حياة السكان (١٠٠ ألف) وتجارتهم على جوز الهند والقرنفل، فهما مسئولان عن ٩٨% من الصادرات.

ويتراوح إنتاج القرنفل بين ٥ آلاف، و٢٠ ألف طن سنويا ويصدر جميع المحصول تقريبا، وإن كان يحجز جزء منه لاستخراج الزيت ويدخل فى صناعه السجاير فى اندونيسيا فضلا عن صناعة الكارى فى الهند والباكستان ويدخل فى صناعة كثير من الحلوى ويلائم هذا المحصول الجزر المزدحمة لحاجته إلى الأيدى العاملة نساء ورجالا وأطفالا أثناء موسم قطف القرنفل.

والملاك الأصليون لهذه المزارع هم من العرب الذين طهروا الأرض وزرعوها بالقرنفل وجوز الهند، وحافظوا عليها باستخدام الرقيق. وكان من حق الرقيق بناء المساكن لأنفسهم وزراعة الغلات الغذائية الخاصة بهم، وغالبا ماتتم هذه الزراعة تحت أشجار القرنفل، لذلك يحصلون على المواد الغذائية ويطهرون الأرض من الحشائش الضارة، وحتى بعد تحرير الرقيق أصبح الذين يعيشون فى هذه المزارع من العمال المقيمين *Squatter* يسيرون على نفس النظام السابق، من حيث بناء المساكن وزراعة الغلات الغذائية. وفى نفس الوقت لايدفعون إيجارا، ولايطردون من الأرض إلا إذا أثاروا شغبا، وتتركز زراعة القرنفل فى بمبا فهى مركزة فى وسط وغرب الجزيرة، بينما القسم الشرقى مخصص لزراعة الأرز، بل أن مزارع الأرز كثيرا ما تتخلل مزارع القرنفل، وتختلف أيضا فى أن سكان جزيرة بمبا يستخدمون العمال الأجراء والذين يمنحونهم جزءا من المزرعة كمكافأة، لذلك وجدنا فى بمبا مزارع للإفريقيين ومزارع للعرب.

وهناك هجرة موسمية من القبائل الإفريقيه تأتى إلى الجزيرتين فـى موسـم جمـع القرنفل من ساحل تنزانيا المقابل، ثم تعود مرة أخرى إلى أرض القارة بعد إنتــهاء عملية الجمع.

وقد استمرت تقاليد زنجبار القديمة فى تسويق القرنفل، رغم نقص المساحة النـاتج عن عواصف الهاريكين التى حدثت فى أواخر القرن التاسع عشـر وأتلفـت معظـم المزارع، من ثم يذهب معظم محصول بمبا إلى زنجبار للتسويق.



هل كانت أفريقية عبء الرجل الأبيض حقاً ، أم أنه نسر أنقض على فريسة ؟

الفصـــل التاســـع

إقلـيم إفــريقـــيه الوســطى

يمتد اقليم إفريقيه الوسطى بين دائرتى عرض ١٢ شمالا، ١٣ شمالا جنوبا، وبذلـك تلامس حدودها معظم الأقاليم الإفريقيه الأخرى. فاذا كان قلبها ممثـلا فـى حـوض الكنغو، فهى تحاور شرق إفريقيه وغرب إفريقيه وأقليـم السـفانا ومـاوراءه مـن صحراء شمالا والهضبة الجنوبية جنوبا وبذلك تشمل وحدات سياسـية سـبع هـى الكمرون وجمهورية إفريقيه الوسطى، وجـابون ، والكنغـو الديمقراطيـة وغينيـا الاستوائية ولا تتأتى وحدة الإقليم إلا من ظروفه المناخية الحيوية فى المقـام الأول، إذ يقع فى معظمه داخل الإقليم الاسـتوائى ودون الاسـتوائى، وإن كـانت أطرافـه الشمالية والجنوبية تدخل ضمن اقليم السفانا بعد دائرة العرض الثامنة وتأتى وحدتـه أيضا من احاطته بالمرتفعات فى معظم جهاته ، تلك المرتفعات التـى تفصلـه عـن الأقاليم المجاورة، ثم تأتى وحدته من أن نظام مائى واحد يصرف معظم مائه وهـو نهر زائير ولما كانت مساحته تبلغ مايزيد على ٤ مليون كيلو متر مربع، فمعنى هـذا أنه يشغل نحو سبع مساحته القارة ومع ذلك يضم نحو ٩٠ مليـون نسـمة بكثافـة منخفضة تبلغ نحو ٨,٠ نسمة للكم٢ وهى كثافة تنخفض عن المتوسط العام للقـارة، وباستثناء الكمرون حيث تقترب الكثافة من المتوسط العام للقـارة (١١,٦ لكـم٢) وجزر ساوتومى وبرنسيب حيث ترتفع الكثافة إلى ٦٢ نسمة لكم٢ فالظاهرة السـائدة هى الكثافة المنخفضة فهى زائير ٩,٦ نسـمة و فـى إفريقيـه الوسـطى (٢,٦) والكنغو الديمقراطية ٢,٩ وفى جابون ٢، ومع ذلك فبعض هذه الدول تعتـبر غنيـة على مستوى القارة فإذا كان متوسط الدخل القومى للفرد فى زائير ٢١٠ دولار، فانه يرتفع فى جابون إلى ٤ الاف دولار.

مشكلة السكان :

رأينا مما سبق انخفاض الكثافة السكانية فى الاقليم، وفى الحقيقة يعتبر هذا الإقليـم

نموذجا للإقليم الذى تعجز فيه الموارد البشرية لقلتها عن التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وهذا لاشك يعكس أثارا اقتصادية، بل وسياسية متعددة، وفى تفسير أسباب انخفاض الكثافة وعدم التوزيع المتساوى فى هذا الإقليم فعادة نشير إلى المناخ والأمراض.

والغابات وتجارة الرقيق. وقد ميز بييرجور نطاقين من الكثافة المرتفعة نسبياً فى زائير ممتدان متوازيان أحدهما شمال خط الاستواء والثانى جنوبه. وليس من شك أن الأمراض المتوطنة وخاصة الملاريا ومرض النوم مسئولان إلى حد كبير عن تخلخل الكثافة فى النطاق الأوسط. ويضيف جورو إلى أن ارتفاع الكثافة نسبيا فى هذه النطاقات السابقة الذكر، يرجع إلى أن الغابة الاستوائية تتحول على الأطراف إلى سفانا بستانية رطبة بحيث يمكن حرقها، ولكن ليس بالدرجة التى تؤدى إلى تلف التربة.

وكان انخفاض الكثافة السكانية معناه عدم قدرة الفرنسيين والبلجيكيين الذين كانوا يحتلون الاقليم على استغلال موارده كما كانوا يبغون. ويذكر الفرنسيون هذا الأمر بوجه خاص بالنسبة لجابون والكنغو الديمقراطية (برازفيل) كما يذكرنا البلجيكيون هذه بالنسبة لزائير (الكنغو)، وأدى هذا بهم إلى استعمال الآلات ، من ثم فان التجمعات العمالية الضخمة التى تعيش فى الأكواخ حول مناجم التعدين فى جنوب أفريقية، لم تشاهد فى اقليم كنتجا.

والمشكلة الثانية الخاصة بالسكان هو التكوين القبلى والتمسك بالقبيلة. فرغم أن ثلثى سكان الاقليم ينتمون إلى زنوج البانتو، فما زال هناك الأقزام فى الغابة، والفولار فى الكمرون فضلا عن الزنوج السودانيين والحاميين فى أفريقية الوسطى والكمرون ، وتلعب القبيلة دوراً خطيراً فى عمليات الانفصال فى السبعين قبيلة الرئيسية فى زائير نجد أن ٤٩ قبيلة تنتمى إلى البانتو، ١٦ قبيلة تنتمى إلى الزنوج السودانيين وهى على أطرافه الشمالية فضلاً عن قبيلة نيلوتيه، وأخرى حامية، ويبدو هذا الموزايك القبلى بصورة أشد تعقيداً فى الكمرون، ففيه نحو ١٤٠ قبيلة بل حتى فى جابون الصغيرة الحجم فهناك ٤٠ قبيلة. وتختلف هذه القبائل فيما بينها من

حيث التطور والاحتكاك بالحضارة الحديثة، مما يؤدى إلى زيادة التباين القبلة وعدم التجانس، ففى الكنغو الديمقراطية نجد أن قبيلة الباكونجو لها السيادة والتى تعارضها القبائل الأخرى. وفى جابون يحتل الفانج نفس المركز الهام ويجدون معارضة من قبيلة مبونجوى الذين يعيشون فى الاقليم الساحلى، وكانت اتصالاتهم قديمة بالأوربيين. وفي زائير نجد أن أربع مجموعات قبلية كبرى كان لها أثرها فى أحداث ما بعد الاستقلال عام ١٩٦٠ فالبا كونجو يعيشون بين كنشاسا والبحر، وكانوا أول من اتصل بالأوربيين فى هذا الاقليم وكان لهم وزنهم السياسى بسبب عددهم من ناحية ولوقوع العاصمة فى أراضيهم من ناحية أخرى، ويقع الاقليم الآخر ذو الخطر فيكاتنجا فى أراضى البالوبا الذين امتد انتشارهم إلى اقليم كاساى، أما أقصى كاتنجا فيعيش فيه البالوندا، وكانت هجرات البالوبا للعمل فى لومومباشى (اليزابق فيل) مما أدى إلى عدم رضا ونفور البالوندا. ويحتل الباكونجو مساحة كبيرة فى مديريتى خط الاستواء والشرقية ، وإذا كان من الصعب تقدير أهمية العامل القبلى فى أحداث عام ١٩٦٠، فإنه يمكن القول بان فترة الحكم البلجيكى وإن كانت قد منعت الجروب القبلية غير أنها لم تمحو التقاليد القبلية وعدم الثقة بين القبائل بعضها والبعض الآخر.

شكل رقم (٨٤) : أفريقيا الوسطى

شكل رقم (٨٥) : القبائل فى زائيير



قد تكون القبيلة وتقاليدها ظاهرة عامة فى معظم أفريقية فى شرقها وفـي غربـها، ولكن المنافسة وعدم الثقة فى زائير فاقت غيرها ووصلت إلى مرحلة انفجارية. وقـد استغل لومومبا عدم الرضا عن المهاجرين من البالوبا فى كسب تأييد البالوندا، وقـد قيل فى مشكلة الكنغو أن الاقليمية كانت أكثر أثراً من القبلية وتتمثل فـى الاتسـاع الكبير وتتنوع البيئات وعزلة الجماعات وبعدها عن العاصمة، من ثم كان التأييد لمن يعرفون، أى بمعنى آخر كان الولاء قبلياً قبل أن يكون قومياً.

التضاريـــس :

وتشترك أقطار وسط افريقية من الناحية الطبيعية فى مظر الرقابة التضاريسية فـلا تظهر المرتفعات الشديدة التضرس سوى فى الأطـراف، فـى مرتفعـات الكمـرون ومرتفعات شرق زائير، فهناك يظهر التباين والتغيير، أما معظم الاقليم فعبارة عـن مساحات مسطحة يجرى عليها الأودية وتشغلها المستنقعات، ويعتبر حوض زائـير والمرتفعات التى تحيط به هو الظاهرة الطبيعية الرئيسية.

حـوض زائير (الكنغو) :

ويتميز تاريخه الجيولوجى بالغموض، ويرى البعض أنه كان له مخرج فـى اتجـاه بحيرة تشاد، ثم بعد ذلك وجد له مخرجاً إلى خليج غانا عن طريق اقليـم الكمـرون ولكن المؤكد أن مخرج الحوض الحالى من كنشاسا إلى متادى حديث مـن الناحيـة الجيولوجية، ويظهر أن الحركات الأرضيـة سـدت المخـارج القديمـى للحـوض، واضطرت المياه لأن تتجمع على هيئة بحيرة كبيرة، استمرت هذه البحيرة حتى إلـى ما بعد العصر الجليدى، ثم انصرفت مياه البحيرة عبر الخانق العظيم الذى يتميز بـه المجر الأدنى، ويمكن مشاهدة بقايا هذه البحيرة فى بحيرات صغيرة مثل بحيرة تومبا وبحيرة ماى نودومى (ليوبولد الثانى) فضلا عن المستنقعات. وقد تعرض الحـوض فى أطرافه لإرساب الركامات الجليدية التى كانت تجلبـها الأنـهار الجليديـة مـن المرتفعات المحيطة به وتعرف بتكوينات كندلنجو، وكان هـذا فـى الزمـن الأول ، وبانهاء العصر الجليدى فى ذلك الزمن تعرض الحوض فى الزمن الثانى (الجوراسى) لطغيان بحرى ترك أثاره فى تكوينات الحجر الأصلى الجيرى التـى يطلـق عليـها

تكوينات لوبيلاش وتكونت بحيرة الكنغو وتعرض الحوض فى أواخر الجوراسى إلــى هبوط كبير، كان من أثره اتساع مساحة المنطقة التى كانت تغمرها الميــاه، ونشــط فعل المياه الجارية المنحدرة من جوانب الحوض نحو مركــزه وتكونــت الرواســب البحيرة وهى أحدث رواسب وتعرف باسم بوصيرا، تركتها البحيرة بعــد أن جفــت، وكان ذلك فى أواخر الزمن الثالث بعد استطاع الكنغو الأدنى أن يشق طريقــه عــبر الحافة البلورية (جبال كريستال) وقد تأثر سطح الاقليــم بمــا امتــاز بــه تطــوره الجيولوجى من هدوء، فيما عدا مناطق الأطراف ، فالقاع مسطح متد علــى وتــيره واحدة تغطيه التكوينات البحرية، ويتدرج فى الارتفاع نحو الجوانب فى شكل مــدرج إلى هضاب مرتفعة.

ويمكن أن تقسم المنخفض الأوسط إلى قسمين هما :

القسم الشمالى : ويتخذ شكلا بيضياً يتجه من الجنوب الغربى نحو الشمال الشــرقى فى اتجاه الكنغو الأوسط والأدنى حتى شلالات كيسنجاتى (ستانلى) ويضم المجــارى الدنيا والوسطى من الروافد الشمالية والجنوبية، ولا يزيد متوسط الارتفاع فى هــذا القسم على ٥٠٠ متر.

القسم الجنوبى : أى جنوب وشرق الحوض السابق ويتخــذ شــكلاً شــبه دائــرى ويتراوح ارتفاعه بين ٥٠٠، ١٠٠٠ متر، ويتميز بمجارية المائية النشطة العميقــة التى تعترضها عند اتصالها بالحوض الداخلى المندفعات والجنــادل، أمــا الســهول الساحلية فلا يتجاوز اتساعها ١٠٠ كم فى شمال وجنوب مصب النــهر، وإن كــانت تزداد اتساعا فتصل إلى ٣٠٠ كم شمال المصب عند رأس لوبيز بفضــل الرواســب التى يحملها تيار بنجويلا، وعلى هذا السهل الساحلى حافات جبلية تعــرف بأســماء عديدة مثل جبال كريستال وجبال ما يومبى.

ويحيط بالحوض هضاب مرتفعة تفصله عن أحواض الأنهار الأخــرى وتبــدأ هــذه الهضاب قليلة الارتفاع تتراوح بين ٤٠٠، ٧٠٠ متر، هضبة كاســاى ي الجنــوب، وهضبة باتاكى فى الغرب، وهضبة أولى فى الشمال وهضبة مانيما فى الشرق، ثــم يظهر مدرج آخر أكثر ارتفاعا، هضبة لوندا وشابا (كاتنجا) فــى الجنــوب. وحافــة

الكنغو، تشاد فى الشمال، وهضاب كيفو وإيتورى فى الشرق، والت ترتفع بدورها إلى حافة الأخدود ومتوسط ارتفاعها هنا بين ٢٠٠٠، ٣٠٠٠ متر وقد تسمو إلى ٤٠٠٠ متر، أما من ناحية الشمال الغربى فهناك جبال الكمرون البركانية والتى تصل إلى ٤٠٠٠ متر أيضاً.

نهر زائير (الكنغو) :

ويأتى بعد النيل من حيث طوله الذى يبلغ ٤٣٧٧ كم ويصرف حوضا مساحته ٣,٧ مليون كم٢، ولكنه من حيث التصريف المائى يتفوق على النيل لأنه وروافده يقع فى المنطقة الاستوائية ودون الاستوائية، ومن ثم كان تصريفه يقرب من ٤٠ ألف متر مكعب فى الثانية ويصبغ مياه المحيط بلون الطمى لمسافة تزيد على ٥٠ كيلو متر من الساحل وهناك أكثر من رأى فى كيفية خروج النهر إلى المحيط، منها ما يقول بأنه جين تكون المحيط الاطلنطى الجنوبى وانفصلت كتلة البرازيل عن الكتلة الافريقية، وظهرت حافة الهضبة التى تطل على ساحل المحيط، أخذت الأنهار تنحدر من هذه الجبال نحو المحيط، وأخذت بفضل عملية النحت التراجعى تخلق منفذاً لها فى السلسلة الساحلية خرجت من طريقه مياه البحيرة، ويذهب الرأى ألآخر إلى القول بأن البحيرة التى كانت تشغل الحوض ارتفعت مياهها بسبب زيادة التساقط على البحر بحيث وصل الماء إلى منسوب معين، واندفع من خلال خانق تعترضه شلالات لفنجستون، وعملت قوة اندفاع السيل وزيادة كمية الماء على توسيع الخانق تدريجياً وتعميقه خلفها مما سمح للماء أن ينصرف من البحيرة ويسبب هبوط مستواها. ويرى الرأى الأخير بأن روافد الكنغو بدورها كانت عبارة عن منخفضات تشغلها المياه أى بحيرات مختلفة فى شكلها وحجمها وأن هذه البحيرات انصرفت إلى مدرى النهر بسبب اختلاف المناسيب، وقبل دراسة خصائص مجرى النهر يجب أن نشير إلى الخصائص الأساسية لنهر زائير وتتمثل فيمايلى :

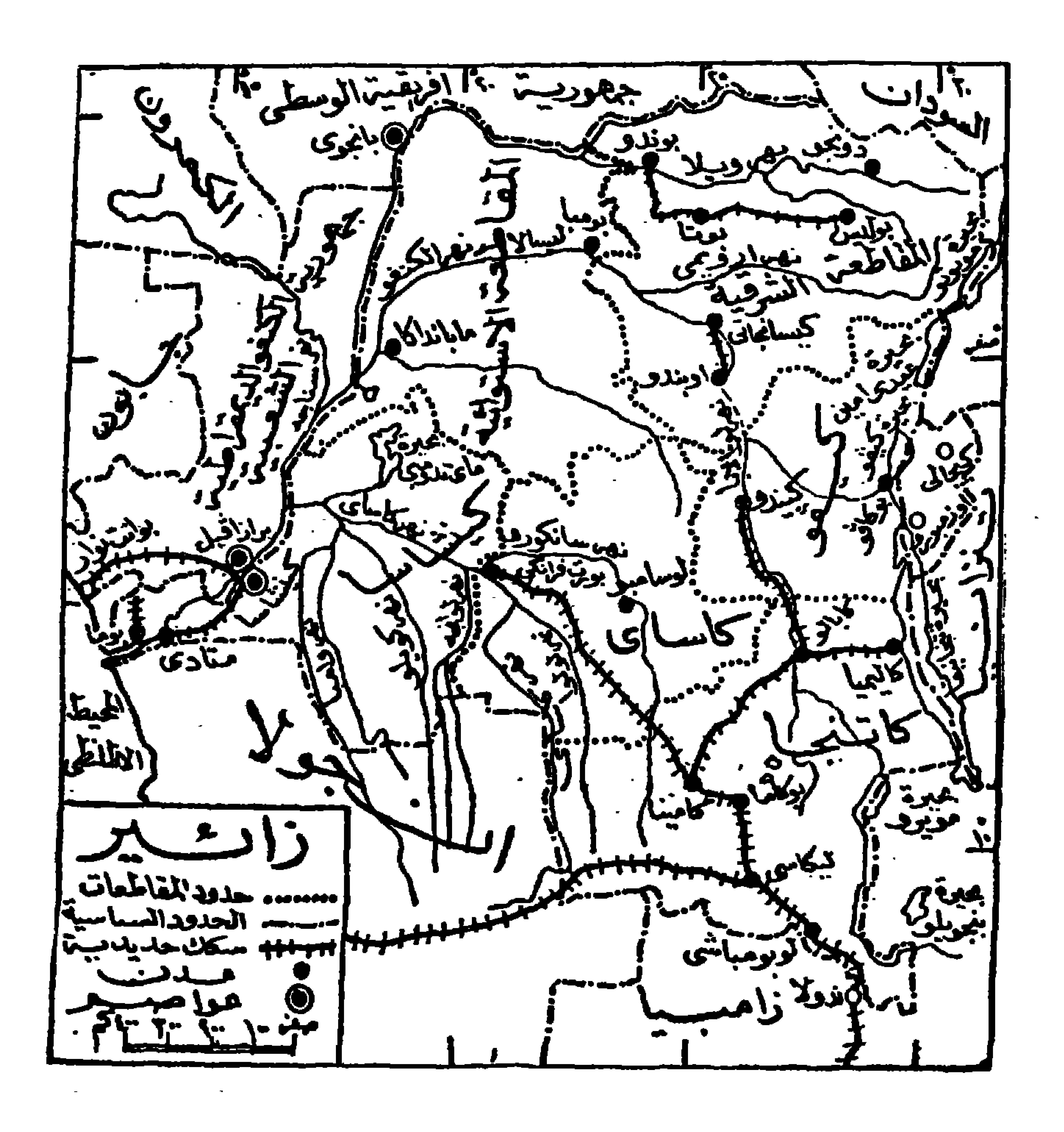
١- هو النهر الوحيد فى العالم الذى يسير مجراه الرئيسى فى نصفى الكرة الشمالى والجنوبى.

٢- أنه يشترك مع نهر النيل فى تصريف معظم مياه شرقى أفريقية.

٣- أنه نهر دائم الجريان، لعوامل منها إنه لا يمتد فى درجات عرضة بعيداً عن خط الاستواء، ويصب فيه عدد كبير جداً من الروافد، منها ما هو شمال خط الاســـتواء، ومنها ما هو جنوبه، وحين تتعامد الشمس جنوب خط الاستواء، تصبح قمة المطـــر للروافد الجنوبية، وحين تتعامد شمالاً من خط الأستواء وتصبح قمة المطر للروافــد الشمالية.

وبينما يتّجه النيل شمالاً ليصب فى البحر المتوسط، فإن الكنغو يتّجه غرباً ليصب فى المحيط الأطلنطى الجنوبى:

شكل رقم (٨٦) : السكك الحديدية والحدود السياسية فى زائير



٤- أن نهر الكونغو يستخدم فى جميع الأغراض التى تستخدم فيها الأنهار الافريقية (الملاحة - الرى - وتوليد الكهرباء).
٥- أنه حين يتعذر استخدام النهر للملاحة، تمد السكك الحديدية مثل الخط من متادى إلى كنتشاسا، من كيسنجانى إلى أو بندو، ومن كندو إلى كنجولو) أو تشق القنوات كما حدث فى بحيرة ستانلى.
٦- أن بعض المصادر قسمت مجرى النهر إلى ثلاثة أقسام: مجرى أعلى، وأوسط، وأدنى وأشارت إلى أن المجرى الأعلى ينتهى عندما يصل نهر لوالابا إلى ستانلى فيل. وأن المجرى الأوسط يبدأ من ستانلى فيل، وينتهى عند بحيرة ستانلى، وأن المجرى الأدنى يبدأ من بحيرة ستانلى، وينتهى إلى المحيط الاطلنطى. وان كانت لا تتوفر فى هذه الأقسام الصفات التى يجب أن يتصف بها كل قسم.

مجرى النهر وصلاحيته للملاحة :

ينظر إلى روافده الشرقية عادة بأنها المصدر والمجرى الحقيقى للنهر. وأقصى هذه الروافد بعداً هو نهر شامبيرى، الذى ينبع من جنوب شرق كاتنجا، من مرتفعات تقسيم المياه بين الكنغو ونهر الزمبيرز، وهى عبارة عن هضبة تقع على ارتفاع حوالى ١٥٥٠ متراً وبعد أن يتركل نهر شامبيزى بحيرة بنجويلو من الجنوب الغربى يعرف باسم لوابولا وعقب مغادرته البحيرة يتخذ شكل قوس يتجه للجنوب الغربى ثم الشمال الغربى، ثم أخيراً نحو الشمال. ويسير هنا مع خط الحدود بين زامبيا وزائير لمسافة تصل إلى ٥٠٠ كيلو متر إلى أن يدخل بحيرة مويرو. وهذه البحيرة غير صالحة للملاحة بسبب وجود السدود النباتية، وبعدها يحمل المجرى اسم لوفوا، وتعوقه المساقط المائية لمسافة ٥٠ كيلة متر من مجراه ويصبح بعدها صالحاً للملاحة حتى التقائه باللوالابا عند بلده انكورو. وينبع نهر لوالابا غير بعيد من منابع الزمبيرى من منطقة ترتفع حوالى ١٥٠٠ متر، ويهبط فجأة عبر قاع بحيرة قديمة إلى أن يصل إلى بحيرة كاموندرلو، ويواصل الهر سيره شمالاً ليلتقى بنهر لوفوا، ثم يتصل به من الضفة اليمنى نهرلوكوجا، الذى يحمل إليه مياه بحيرتى تنجانيقا وكيفو. ثم يقل اتساع نهر لوالابا عن ١٠٠ متر بين كانجولو وكاسنجو،

ويجرى على شكل خانق عميق غير صالح للملاحة، عبر مندفعـات تعـرف باسـم هلنتور.

وبعد كاسنجو، يصبح النهر صالحا للملاحة لمسافة ١١٠ كيلو متر ثم تعترضه مندفعات أخرى عند كندو تبدأ المنطقة الصالحة للملاحة من النهر ابتداء من كندو، ويبلغ طول هذه المسافة ٣١٠ كيلو متر، وعندما يجرى النهر بين ضفتين صخريتيت يتراوح ارتفاعهما بين ٥٠ أو ٦٠ قدمـا، وتنتـهى هـذه المنطقـة عنـد أرينـدو (بونتيرفيل)، حيث تبدأ الشلالات وهى عبارة عن سبع مندفعات تعترض مجرى النهر الذى يتخذ شكل قوس يتجه غرباً، ومجموع سقوطها حوالى ٧٠ متراً، وبعـد هـذه الشلالات ينتهى نهر اللوالابا، ويبدأ نه زائير (الكنغو) الحقيقى عند كيسانجا، وبعدما يصبح صالحاً للملاحة لمسافة ١٧٣٤ كيلو متر يكون مجراه فيها بطيئاً لا تعترضه المندفعات ويبدأ يتجه غرباً ويصل أتساعه إلى نحو ١,٥ كم حتى كينشاسا.

وعند ايسانجى يدخل الكنغو الجزء الأوسط من حوضه. الذى كانت تحتلـه بحيرة فسيحة ضحلة فيتسع قاعه، ويصل عرض المجرى إلـى حوالـى ١٢ كيلـو متر خصوصاً قرب فوهات الروافد. ولكن عرض النهر حوالى ٦ ميلو مترات - والنـهر هنا يمر خلال الغابة الاستوائية، وتعترضه الجزر النباتية، ويسير عموديا على خـط الاستواء.

بعد ذلك يواصل الكنغو سيره فى مجرى ضحل، ذى ضفاف رمليـة، وتنتشـر فيـه الجزر الكبيرة، وينساب حول ضفته المنخفضتين، اللتين تخفهما الغابات لمسـافة ٧ أو ٨ كيلو مترات، ويكون متوسط انحداره أقل من ٥ سم فى الكيلو متر. وبعد بركـة ستانلى يكون النهر صالحاً للملاحة لمسافة ٥٠٠ كيلو متر.

وتبدأ العقبات بعد ذلك وعددها ٣٢ جندلاً وشلالاً، وتنتشر على مسـافة ٣٠٠ كيلـو متر من مجرى النهر بين كنشاسا ومتادى، ويطلق عليها اسم شلالات لفنجسـتون، وعندما يغير النهر من طبيعته فبعد أن كان تياره هادئا وبطيئاً يصبح وكانه مجـرى مائى جبلى منحدر انحداراً هائلاً فالمياه تهدر مكونه موجات عالية مما يعوق الملاحة فى هذ الجزء من مجراه، وينتهى نهر زائير إلى المحيط الاطلنطى بمصب خليجـى

على شكل مثلث قاعدته تتجه للمحيط. ويبلغ عرض هذا الخليج نحو ١٠ اكم، وطولـــه ١٣٠كم، وعمقه ٧٠ متراً، من ثم تدخله السفن المحيطة.

المنــــاخ :

يتمثل المناخ الاستوائى المثالى بين درجتى عرض ٦ شمالاً، ٣ جنوباً حيث تـــتراوح الحرارة بين ٢٥°، ٢٦° مع أمطار تتراوح بين ١٥٠ سم، ٤٠٠ سم، أما على ساحل جابون والكنغو فهول أقل حرارة وأقل مطراً بسبب تيار بنجويلا البارد نوعا، ولذلـــك أيضا فان الغابة الاستوائية التى تحتل وسط الحوض تختفى علـــى الســـاحل جنـــوب رأس لوبيز حيث الجفاف النسبى. ويظهر المناخ السودانى، وفصل الطر الذى يعقبـــه فصل الجفاف شمالاً وجنوب النطاق السابق، ولكن هذا المناخ يتعدل جنـــوب درجـــة عرض ٣ جنوبا بسبب عامل الارتفاع الذى يخفض درجة الحرارة خاصة على هضبة شابا (كاتنجا)، وتتحول الغابات الاستوائية إلى سفانا بستانية تقل فيها الأشجار كلمـــا بعدنا. أما القمم المرتفعة لجبال الكمرون وشرق زائير فيزداد مطرها عن الوسط كما تنخفض حرارتها كثيراً ويختلف نباتها من الغابات الاستوائية إلى المراعة الألبية.

النشاط الاقتصادى :

لا يقل التباين الاقتصادى عن التباين البشرى فى الاقليم ويرجع هذا إلى اتساع مـــع كثرة العقبات الطبيعية، فضلا عن التراخيص التى منحت للشركات المستغلة، لذلـــك فبينما نجد مناطق مستغلة استغلالا جيداً، تظهر مناطق أخرى على حالتها الطبيعيـــة تماماً وإن كانت الجهود المكثفة للتنميو بدأت بعد عام ١٩٦٠ بتنمية طــــرق النقـــل وتكثيف الزراعة وإقامة السدود لتوليد الكهرباء واستكشاف الثروة المعدنية.

وما زالت النشاطات الاقتصادية التقليدية من صيد وزراعة ورعى هى السائدة ويعمل ٨٠% من السكان بها ويشجع على هذا أيضا سوء المواصلات وعزلة الاقاليم.

وتقدم الزراعة الغذائية للإنسان الدخن فى السفانا الشمالية، والأرز والكاسافا والموز فى الغابات المطيرة، والذرة العريضة والبقول والكاسافا فى السفانا الجنوبية. ورغـــم أن الإنتاج يغطى احتياجات الريف المحلية فإن المدن تعتمد اعتماداً كبيراً على المواد

الغذائية المستوردة. وتقوم الشركات الاحتكارية الكبرى بإنتاج الغلات النقدية كما يقوم كثير من الأهالي بإنتاج الغذائيات والتجاريات في آن واحد وخاصة القطن والبن والكاكاو. وتغطى الغابة بالذات عدداً متنوعاً مت الحاصلات أهمها: زيت النخيل والمطاك والموز وقصب السكر والبن والكاكاو، أما الاقليم السودان أو السفانا فحاصلاته أقل تنوعا وعلى رأسها القطن والفول السوداني والتبغ وتعتبر الأخشاب مورداً هاماً من موارد هذا الاقليم وبخاصة زائير وجابون (الماهوجنى) الايروكو، والاكومية وتستغل الاقاليم الساحلية بينما ما زالت الغابة عذراء في داخل الحوض بسبب صعوبة النقل. ويبلغ نصيب وسط أفريقية وحدها ثلث نصيب أفريقيه المدارية من الأخشاب.

وتقتصر تربية الحيوان على اقليم السفانا في الشمال والجنوب، وتمارس تربية الحيوان بالطرق التقليدية على الهضاب المرتفعة في كيفو وشابا وكاساى والأوبانجى، كما أقيمت المزارع لتربيتها بالقرب من العاصمة والمراكز الحضرية الأخرى ورغم ذلك تستورد دول أفريقية الوسطة كميات كبيرة من اللحوم وخاصة من تشاد.

وأفريقة الوسطى غنية بالقوى الكهربائية الكامنة والتى لم تستغل الاستغلال الكافى حتى الوقت الحاضر، ورغم انخفاض استهلاك الكهرباء حتى وقتنا الحاضر، فإن المستهلك الآن يعادل أربع مرات ما كان مستهلكاً عند الاستقلال كما اكتشفت البترول بالقرب من بورت جنتيل وفي الشريط الساحلى لجابون، وبلغ الإنتاج نحو ٥ ميلون، واستغل الغاز الطبيعى في جابون وزائير لتشغيل محطات الكهرباء.

وتضم أفريقية الوسطى طائفة كبيرة من الخامات المعدنية ذات القيمة الاقتصادية العالية وتوجد أكثر تكويناتها في هضاب شابا وكساى في زائير وفي جابون ، فاقليم كاساى في زائير منتج نحو ٧٠% من الماس الصناعى كما تنتج هضبة شابا للنحاس والزنك والرصاص والكوبالت واكتشفت بعد الحرب العالمية مجموعة جديدة من المعادن كالذهب في شرق زائير والمنجنيز واليورانيوم في جابون التى أصبحت ثالث مصدر له في العالم. كما اكتشفت مكامن أخرى لم تستغل للآن مثل خامات

الحديد والبوتاسيوم فى الكنغو الديمقراطية، والحديد فى جـــابون والبوكسـيت فـى الكمرون.

وكان لهذه الثروة المعدنية أثرها فى خلق مراكـز صناعيـة اسـتجراجية ولإعـداد المعادن للتصدير، فهناك مصانع تكرير الزنك والنحاس فـى هضبـة تشـابا العليـا وصناعة الالومنيوم فى الكمرون اعتمادا على البوكسيت المستورد من غينيا ومعامل تكرير البترول فى بورت جنتيل ومتادى.

أما الصناعات التحويلية: فما زالت فى دور النمو وأهمـــها الصناعـات النسـيجية اعتماداً على القطن وصناعة نشر الأخشاب والأثاث وصناعـــة السـكر والسـجائر واستخراج الزيوت وإعداد البن فضلا عن معامل العصير سواء للاستهلاك المحلى أو التصدير وقامت بعض المؤسسات بتصنيع منتجات على أسـاس اسـتيراد منتجـات نصف مصنعة مثل الكيماويات والبلاستيك ومصانع تجميـع السـيارات والدراجـات والراديو، وتعانى الصناعات الاستهلاكية بوجه عام من نقص الأيدى العاملة الفنيـة وضيق السوق (باستثناء المدن وسوء النقل لذلك كانت معظم المؤسسات مركزة فـى العواصم والموانى ومناطق التعدين فى زائير وتعانى الصناعات الحقيقة التى تقـوم هناك من مشكلة البعد عن البحر، ويظهر هذا بصفة خاصة فى هضبة شـابا التـى تصدر إنتاجها عبر مسافات طويلة بالسكك الحديدية إلى لوبيتو فى أنجـولا أو عـبر زائير ذاتها مستخدمة النقل الحديدى والنقل النهرى حتى كنشاسا ومتـادى وتقـوم أربعة موانى بالتعامل مع معظم تجارة اقليم أفريقية الوسطى وهى دوالا التى تقـوم بالتجارة الخارجية للكمرون فضلا عن تشاد وبورت جنتيل بالنسبة لجابون وبوننـت نوار بالنسبة للكنغو والديمقراطية وجمهورية أفريقية الوسـطى ومتـادى بالنسـبة لزائير.

وتتجه ثلاثة أرباع تجارة اقليم أفريقية الوسطى إلى دول غرب أوروبا وبصفة خاصة فرنسا وبلجيكا ودول السوق الأوربية المشتركة يليها الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصـــــل العاشــــــر

من دول أفــريقـــية الوســــطى

الكنغو الديمقراطي (زائيـــــــــر)

بلجيكـــا والكنغـــو :

قسمت أفريقية بمقتضى مؤتمر برلين ١٨٨٤/ ١٨٨٥ إلى مناطق نفوذ بين الـــدول الأوربية، ونجح ليوبولد الثانى ملك بلجيكا فى وضع نفسه سيداً على دولى الكنغـــو الحرة، فقد سلم له شخصياً لإدارته، من ثم عامل الكنغو معاملة ضيعة خاصـــة بـــه، رغم أن الأغراض الأولى التى نص عليها مؤتمر برلين هو تســـليم ليوبولـــد إدارة الكنغو لأغراض إنسانية وخاصة منع الرق.

ولكن الكنغو وقع أسوأ استغلال استعمارى فى الفترة بيـــن ١٨٨٥/ ١٩٥٨ ، فقـــد استغلت موارده من المطاط والعاج ، واقتضى هذا معاملة الأفريقيين بمنتهى القسوة، حيث كان الجنود يطلقون النار على العامل الذى لا يقوم بجمع حصتـــه أو يقطعـــون أعضاءه وكان الضباط البلجيكيون يطالبون جنودهم بأن يثبتوا بأنـــهم لـــم يبعـــثروا ذخيرتهم هباء، من ثم كان الجندى مجبراً على احضار عضو من جسم الإنسان فـــى مقابل كل بارودة أطلقها، حتى قدر أن حكم ليوبولد للكنغو فـــترة الثـــلاث وعشـــرين سنة، أخذ معه ما يتراوح بين خمسة وثمانية ملايين مـــن أرواح الافريقيـــن. وأدت الاجتجات العالمية إلى أن يتنازل ليوبولد عن إدارتـــه لخاصـــة عـــام ١٩٠٨ إلـــى الحكومة لتصبح مستعمرة بلجيكية. وإذا كنت أعمال القتل قد خفت، فإن الإجبار على العمل استمر كما هو عليه، ذلك أن ثروة معدنية كبيرة اكتشفت وبدأ استغلالها علـــى نطاق تجارى.

وحاول البلجيكيون بعد الحرب العالمية الثانية استرضاء الأفريقيين نتيجـــة اشـــتعال روح القومية فى كثير من الأقطار المجاورة، وكان هذا الاسترضاء عن طريق اعلان برامج للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ولكنهم لم يعملوا على أعدادهم للحكم لاذاتـــى

أى امتصاص سخطهم بزيادة الخدمات الاجتماعية، واتاحة الفرص الاقتصادية، واعتقد البلجكيون أن الكنغوليين لن يطالبوا بعد ذلك بالاستقلال. واتخذت الخطوات لمنع بعض المهن الخاصة التى قد تؤدى فى النهاية إلى نشاطات سياسية، يمكن للكنغولى أن يصبح نجاراً أو ميكانيكيا من الدرجة الأولى، لكنه لا يستطيع أم يكون مهندساً. يمكن أن يصبح قسيساً أو محاسبا أو موظفاً أو صيدلياً، ولكنه لا يستطيع أن يكون محامياً.

وحاول البلجكيون إبعاد الكنغوليين عن الذهاب إلى أوربا، لذلم لم يتعلم من الكنغوليين فى أوربا إلا عدد قليل للغاية، كما حاولوا إخفاء أفكار حرية الصحافة والانتخابات وغيرها.

إذن ماذا احتوى كشف حساب الاستعمر البلجيكى من الإنسانيات فى فترة أشرفت على القرن من الزمان ؟

لم يكن فى الكنغو عندما حصل على استقلاله فى يونية ١٩٦٠ سوى:

أربعة عشر طالباً أتمموا دراساتهم الجامعية.

لم يكن هناك ضباط كنغوليين لجيش الكنغو الذى بلغ عدده ٢٥,٠٠٠ جندى.

لم يصل إلى مناصب إدارية فى الكنغو سوى أثنا عشر شخصاً.

ولذلك قرر موظفو الأمم المتحدة الذين زاروا الكنغو عام ١٩٦٠ نه يلزم نحو جيل على الأقل من التدريب الكثيف للكنغوليين ليقوموا بإدارة بلادهم.

وقد كتب أحد موظفى الأمم المتحدة "أن وزير الزراعة فى حكومة الكنغو طلب السماح له بالانتقال إلى مكتب هيئة الأغذية والزراعة ليعرف كيف يجرى العمل الإدارى.

زائير من أغنى الأقطار الافريقية تمتد فى مساحة قدرها ٢,٤ مليون كيلو متر مربع وبحدود تبلغ ٩١٦٥ كيلو متر ومع ذلك فجبهتها التى تطل بها على الأطلنطى ضيقة لا تتعدى ٣٥ كم.

وتسيرحدود زائير مع المظاهر الطبيعية باستثناء الحدود الجنوبية الغربية والجنوبية ذلك أن حدودها تمتد مع خطوط تقسيم المياه مع الكنغو وهضبة شرق أفريقية وتضم

زائير حوض نهر زائير بأكمله الذى لا يزيد ارتفاعه على ٤٠٠ متر ويبلغ أقصى انخفاضه فى مستنقعات تومبا وماى ندومبى. ويرتفع قاع الحوض نحو الأطراف وخاصة الأطراف الشرقية حيث تطل عليه جبال موفمبيرو من ارتفاع ٤٥٠٠ متر. كما ترتفع هضبة شابا فى الجنوب إلى ما يتراوح بين ١٠٠٠ ، ٢٠٠٠ متر.

ونظراً لوقوعه بين درجتى ٥ شمالاً، ١٣ جنوبا وجدنا أن خمسى زائير يقع فى النطاق الاستوائى ثم يتحول بعد درجة العرض الرابعة شمالا وجنوبا إلى مناخ سودانى وتنخفض الحرارة على الهضاب الجنوبية، وخاصة فى فصل الجفاف حين تقترب ليلا من الصفر أحياناً.

سكان زائير :

ويبلغ عدد سكان زائير نحو ٥٢ مليون نسمة، ٨٠% منهم من البانتو ولكن تتميز زائير أيضا بوجود بقايا الأقزام الذين يبلغ عددهم نحو ١٥٠ ألف نسمة، وما زالوا على حياتهم التقليدية من جمع وقنص.

وأدى تعدد القبائل إلى التعدد اللغوى، فالسواحلية معروفة فى شرقى زائير وفي هضبة شابا واللينجالا فى كنشاسا والكنغو الأدنى، والتشيلوبا فى كاساى. وتبلغ كثافة السكان نحو ١١ نسمة كم٢ وكان معظمهم يعيشون فى اقليم السفانا بعيدا عن الغابة يعملون بالزراعة والرى، ومن أكثر جهات زائير ازدحاماً اليوم كامتداد لفترة ما قبل الاستعمار المرتفعات الشرقية والحوض الأدنى لنهر زائير.

وقد أحدث تطور النقل بعد دخول الاستعمار تعديلاً فى توزيع السكان، إذ تحرك السكان للعيش بالقرب من الطرق السكك الحديدية والمجارى النهرية والمزارع الواسعة ومناطق التعدين وخاصة هضبة شابا.

الحضرية :

تعتبر زائير أيضا من الدول الأفريقية التى ترتفع فيها نسبة الحضرية إذ يصل من يعيشون في المدن إلى ما يقرب من ربع مجموع السكان، وتضم كنشاسا وحدها ما يزيد على ٤.٤ مليون نسمة، ويعيش فيها نحو نصف الأوربيين في زائير، ويلاحظ على بقية المدن الهامة أنها في معظمها عواصم المقاطعات، أربعة منها عبارة عن

موانى نهرية أو بحيرية، ما يعكس وظيفتها في النقل، وعلى رأسها كنشاسا ذاتها فضلا عن مباندكا وكيبسنجانى (٧٥٠ ألفا) على نهر زائير وكاليمى (السبرت فيل) على بحيرة تنجانيقا، وأما متادى فهى الميناء المحيطى ذو الأهمية الكبرى بالنسبة لزائير ويقع على بعده ٨٠ كيلو مترا من المصب ويرتبط بكنشاسا بالسكك الحديدية، من ثم يتعامل في ٦٥% من واردات زائير، ونحو ٥٠% من صادراته، وهكذا تجمعت في متادى فروع النقل جميعا فهى بداية ونهاية النقل المحيطى في زائير، ولا يمكن للسفن أن تتعداها إلى أعالى النهر بسبب الشلالات، وترتبط بالعاصمة بالسكك الحديدية والطرق البرية والجوية، وهناك بوما وبنانا أقرب إلى مصب النهر، ولكن أهميتها ضئيلة فهما لا يتعاملان في أكثر من ٧% من تجارة زائير الخارجية، وإذا تركنا هذه المجموعة من المدن نجد تجمع حضرى آخر في هضبة شابا وهى هنا مدن التعدين فهناك لوبومباشى (٢٥٠ ألف) وكالينجا (لولوابرج) عاصمة مقاطعة كساى الغربية (٢٥٠ ألفا) ويقعان في نفس الوقت على الخط الحديدى الذى يصل مناجم هضبة شابا بنهر كاساى عند البيو (بورت فرانكى) وكانت اليكاسى (جادوتفيل) المركز الإدارى لإتحاد التعدين في زائير، كما تعتبر بوكافو عاصمة الإقليم مقاطعة كيفو الجنوبية أحد أكبر أربع مدن زائير ولكن يعيبها أنه لولا النقل الجوى لانقطعت صلاتها بالعالم تقريبا.

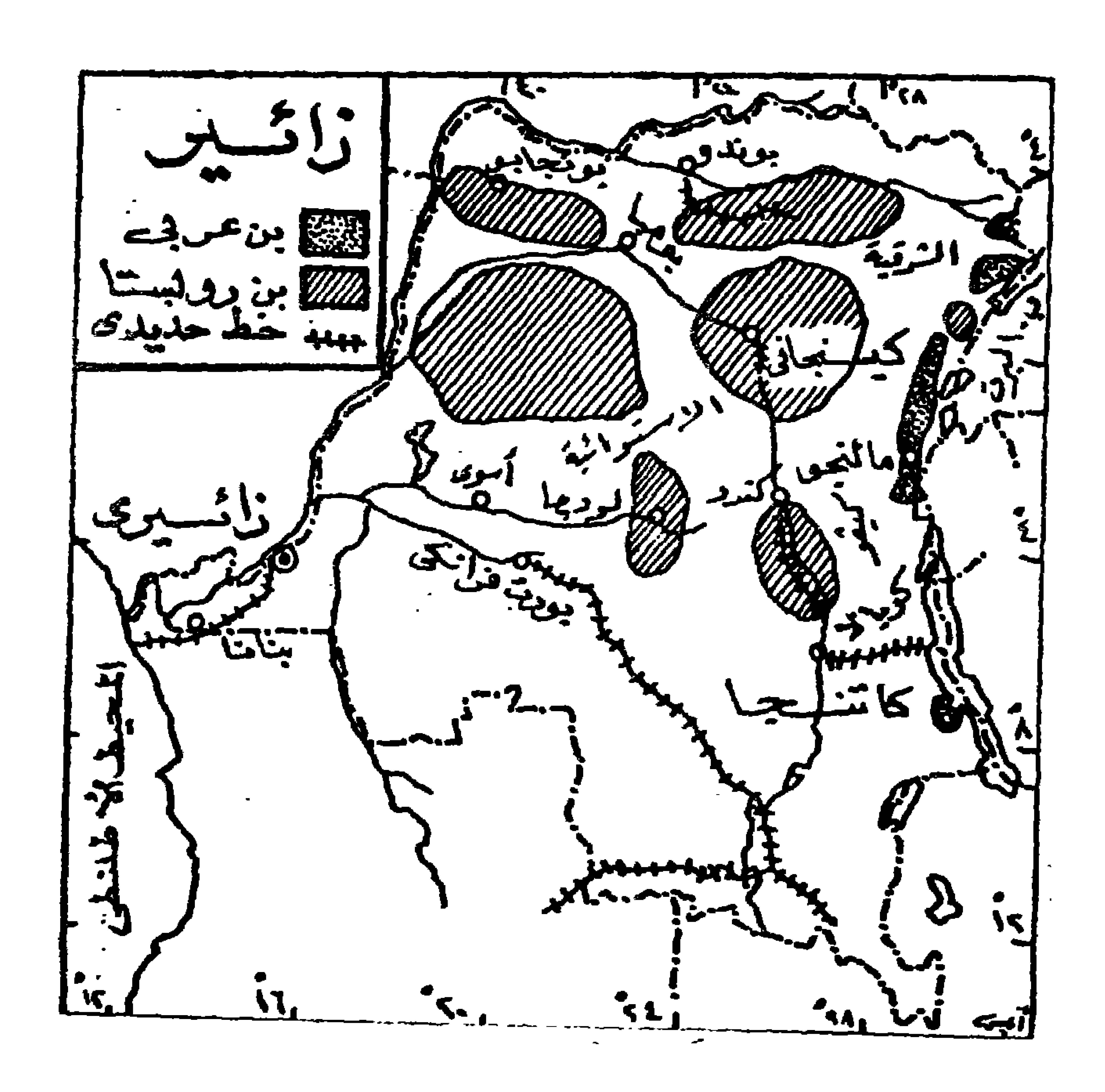
كل هذه المدن التى ذكرناه عليها مسحة الطابع الأوربى ولا يجاريها في هذا في كل أفريقية المدارية سوى دكار في غربى أفريقية ونيروبى في شرقها.

النشاط الاقتصادى :

ويعمل ٨٠% من سكان زائير بالزراعة ، زراعة الغذائيات الممثلة في الارز الذى يزرع في الشمال والشمال الشرقى فضلا عن اقليم كساى، والذرة العريضة والكاسافا والخضروات والموز والذرة الرفيعة غير أن الحاصلات النقدية هى المسئولة عن ٨٠% من صادرات زائير الزراعية، قام بمعظم إنتاجها الأوربيون، وكان هناك نحو ١٥٠٠ ميل مربع من المزارع الواسعة *Plentations* فضلا عن ٤٥٠ ميل مربع من أراضى المراعى والغابات، يمتلكها الأوربيون وقد شجع الاستيطان الأوربى في اقليم

شابا منذ عام ١٩٠٨ وذلك لزيادة إنتاج المواد الغذائية لمقابلة احتياجات التعدين، وكنوع من إليات الوجود البلجيكى أمام النشاط البريطانى فى الجنوب، غير أن النتائج لم تكن مشجعة نظراً لفقر التربة وعدم وفرة الأيدى العاملة، من ثم تحول الاتجاه إلى القسم الشرقى من البلاد وخاصة مقاطعة كيفو، حتى لقد قدر أن معظم المستوطنين الذين يعملون بالزراعة عند الحصول على الاستقلال (١٨٩٩ نسمة) وكان هؤلاء ينتجون الحاصلات النقدية المرتفعة الثمن بفضل التربة الخصبة وأهمها البن والشاى والبيرثرم والتبغ، وكلها محاصيل تتحمل النقلد لمسافات طويلة نظرا لبعدها، أما المستوطنون الزراعيون في هضبة شابا فكانوا ينتجون المحاصيل الغذائية فضلا عن تربية الماشية والخنازير لمواجهة احتياجات جماعات التعدين.

شكل رقم (٨٧) : البن فى زائيير



وأهم حاصلات زائير الزراعية النقدية تتمثل في البن وزيت النخيل ونواته والقطن والمطاط، ورغم محاولات تحسين إنتاج هذه الحاصلات والجهود التى تبذل للأرتفاع بمستوى زراعة الأشجار الذاتى، فمازالت الإنتاجية دون المستوى الذى يمكن أن تصل إليه ومازالت هناك مساحات غير مستثمرة.

وتقدر شجرة نخيل الزيت برية في وسط وجنوب الحوض، تظهرعلى هيئة أشرطة أو في بقع تتناوب مع الأشجار الأخرى، غير أن إنتاجه التجارى الذى أعطاه المكانة الثانية بعد نيجيريا (١٧٩ ألف طن من الزيت، ٩٠ ألف طن من النوايات) أى ١٨%، ١٣% من الإنتاج الأفريقى على الترتيب لم يبلغه إلا بعد زراعتها في مزارع واسعة بتركيز معظمها جنوب كساى الأدنى، فهذه المزارع مسئولة عن ثلاثة أرباع إنتاج الكنغو في الوقت الحاضر، وتشرف الشركات الأجنبية على هذا الإنتاج، ومن أكبرها شركة زيوت الكنغو (*Hulierien du Congo Helge (HCN*) (وهى فرع من شركة بونيلفر فهى وحدها مسئولة عن ٤٠% من الإنتاج، وتمتلك وحدها ما يزيد على ١٥٠ ألف فدان كما كانت هذه الشركة مسئولة عن جمع محصول ٢٥٠ ألف فدان موزعة على مزارع تتراوح مساحتها بين ٨ آلاف ٣٥ ألف فدان فضلا عن جمع محصول ٢٥٠ ألف فدان من الأشجار الطبيعية، ويعمل لديها ٥٠ ألف نسمة، وتبلغ استثمارات شركة بونيلفر هنا نحو ٦٤,٤ مليون دولار، وأن كانت لا تقتصر في استثمارها على نخيل الزيت.

وتميز الكنغو بأنه من أفضل الأقطار معالجة لمنتجات النخيل، فشركة زيوت الكنغو لها وحدها ١٧ معصرة حديثة، من ثم تعصر معظم النوايات في الكنغو بدلا من تصديرها إلى أوربا، ويفسر هذا بطبيعة الحال على اساس خفض تكاليف النقل، ونظراً لبعد مناطق الإنتاج عن الواجهة البحرية، وقد استفادت منتجات النخيل كثيرا من المجارى المائية المتعددة، فكان لرخص هذه الوسيلة فضلا عن سكك حديد متأدى اثرها في زيادة التوسع في صادرات زيت النخيل، وظهرت اهتمامات فائقة بعد الحرب الثانية بعمليات شحنه إلى الخارج، فأقيمت في كينشاسا مستودعات ضخمة للزيت التى تضع الزيت في سيارات ناقلة له حتى عربات السكك الحديدية إلى

متادى حيث تستقبله مستودعات (انجو انجو - متادى) التى جهزت لشحن الناقلات الضخمة، وهكذا كان لهذه العناية بالزيت أثرها بعد الحرب في زيادة صادرات الزيت وتدهور صادرات النوايات، فزائير هو المصدر الأول في العالم لزيت النواة.

وإنتاج البن في زائير مبعثر عن أى غلة صادرات أخرى، وإن كانت مناطق الإنتاج جميعا تشترك في بعدها الكبير عن منافذ التصدير سواء عن الساحل الشرقى أو الغربى يقوم الأوربيون والأفريقيون بزراعة بن الروبستا في الأجزاء الرطبة، كما هو الحال في المقاطعة الاستوائية، واقليم الأول حيث تزداد الرطوبة وينخفض السطح بينما يزرع البن العربى على مستويات تتراوح بين ١١٠٠، ٢٤٠٠ متر في مقاطعة كيفو حيث المرتفعات التى تحف الأخدود الغربى، اما الكاكاو فلم ينجح في زائير لتعرضه للأمراض.

شكل رقم (٨٨) : الثروة المعدنية فى زائيير

ولما كانت الغابات بأنواعها المختلفة تحتل نحو نصف مساحة البلاد، فكان من المنتظر أن تسهم الثروة الخشبية بقدر وافر في الدخل القومى، ولكن هذا الاستثمار الغابى يكاد يقتصر في الوقت الحاضر على الجهات الساحلية حيث تصدر الأخشار من ميناء بوما، كما قامت بعض العمليات الصناعية كالنشر وعمل الواح الابلاكاج على ضفاف بحيرة ماى ندومبى، أما بقية الغابات فلم تستثمر بعد.

وأصيبت زائير وثروتها الحيوانية في فترة الاضطراب التى أعقبت الاستقلال، لذلك تعتمد حتى الان على استيراد اللحوم وأحسن مناطق تربية الماشية بطبيعة الحال في إقليم السفانا في الجنوب في هضبتى شابا وكاساى، وفي الشمال في هضبة أوبلنجى فضلا عن المرتفعات الشرقية.

التعدين :

غير أن ثروة زائير تكمن في إنتاجها المعدنى الضخم وفي طاقتها الكهرومائية الكامنة في نهر زائير، وتتركز معظم ثروتها المعدنية في الجنوب والشرق، أى حيث تقترب الصخور البلورية القديمة من السطح ، ويكفى لمعرفة أهمية هذه الثروة المعدنية أن نشير بأنها مسئولة عن ثلاثة أرباع قيمة الصادرات .

هذا وتأتى زائير في المركز الثامن بين الدول المنتجة للمنجنيز والتاسع بين الدول المنتجه للقصدير كما يستخرج الفحم من هضبة شابا بالقرب من كامينا.

وتمتد تكوينات الذهب في زائير على هيئة نطاق عريض في الشرق، ويتداخل مع نطاق القصدير في اقليم كيفو، ولكنه يمتد عبر المديرية الشرقية إلى حدود السودان، ويأتى ثلث الإنتاج من الصخور الأولية، بينما الباقى على هيئة تبر في التكوينات الرسوبية، كذلك يأتى جزء صغير من الإنتاج كنتج جانبى لتعدين النحاس، ويتراوح بين ١٠ . ١١ ألف كيلو جرام أو نحو ١% من الإنتاج العالمى، هذا وتجرى عملية تركيز المعدن من الخامات في الكنغو، وإن كان تكريره يتم في بلجيكا.

وكان لاقليم كتنجا المكانة الأولى في استخراج اليورانيوم أول الأمر، ولدرجة أنه حتى عام ١٩٥٠ كان كل سلاح ذرى في العالم اساسا من يورانيوم كاتنجا، ولكن تقهقر مركز زائير نتيجة ظهور يورانيوم نامبيا والنيجر، هذا ويعتبر الكوبالت تأتى

صادرات زائير (٢٠% من قيمة الصادرات).

وتسهم زائير بنحو نصف إنتاج الماس الأفريقى (١٠ مليون قيراط) ويعدن الماس في زائير في اقليمين رئيسيين الأول في تشبكابا *Tahikapa* على نهر كساى جنوب لولوابرج ومعظم إنتاجه من ماس الزينه، والثانى في باكواتجا *Bakwange* حيث تحتوى الطبقات الرسوبية في هذا الاقليم والتى يبلغ سمكها ٤ أميال معظم ماس العالم، وهذا الاقليم مسئول عن ٩٥ % من ماس زائير، ومعظمه من ماس الصناعة.

ونطاق النحاس في زائير امتداد نطاق النحاس في زامبيا وبدأ البحث عام ١٨٩٢ وقد منح الملك ليوبولد حق التنقيب عن المعادن لاتحاد تعدين كتنجا العليا عام ١٩٠٦ في مساحة قدرها ٨٠٠٠ ميل مربع. وهى شركة بلجيكية بريطانية وارتبط ظهور نحاس اقليم كتنجا في الأسواق الخارجية بوصول خط حديد بروكن هل إلى مدينة اليزابث قبل عام ١٩١٠، ووصلت أول شحنة إلى ميناء أنتورب البلجيكى وعام ١٩١٢ عن طريق لوبتو، وكان لظهور مخارج أخرى واثره في أن اصبح الكنغو أكبر منتج للنحاس والكوبالت في الثلاثينات وهو المركز الذى انتزعه منه إنتاج العالم الجديد وزامبيا، وان كانت ظلت محتفظة بالمركز الثانى في إنتاج خام النحاس في أفريقية بعد زامبيا.

وقد اسهمت صادرات النحاس البالغة بنحو ٥٥% من صادرات زائير، فضلا عن مجموعة ضخمة من المعادن تصل إلى ١٥٠ معدنا منها الكوبالت وحده الذى اسهم بنحو ٢٠% من قيمة الصادرات، فضلا عن الراديوم والبورانيوم، والمنجنيز والزنك والفحم والحديد الخام.

وتوضع مناجم النحاس فى زائير الآن في ثلاث مجموعات :

١-مجموعة المناجم المحيطة باليزابث فيل (لوبومباشى) ومن أهمها منجم الكنغو.

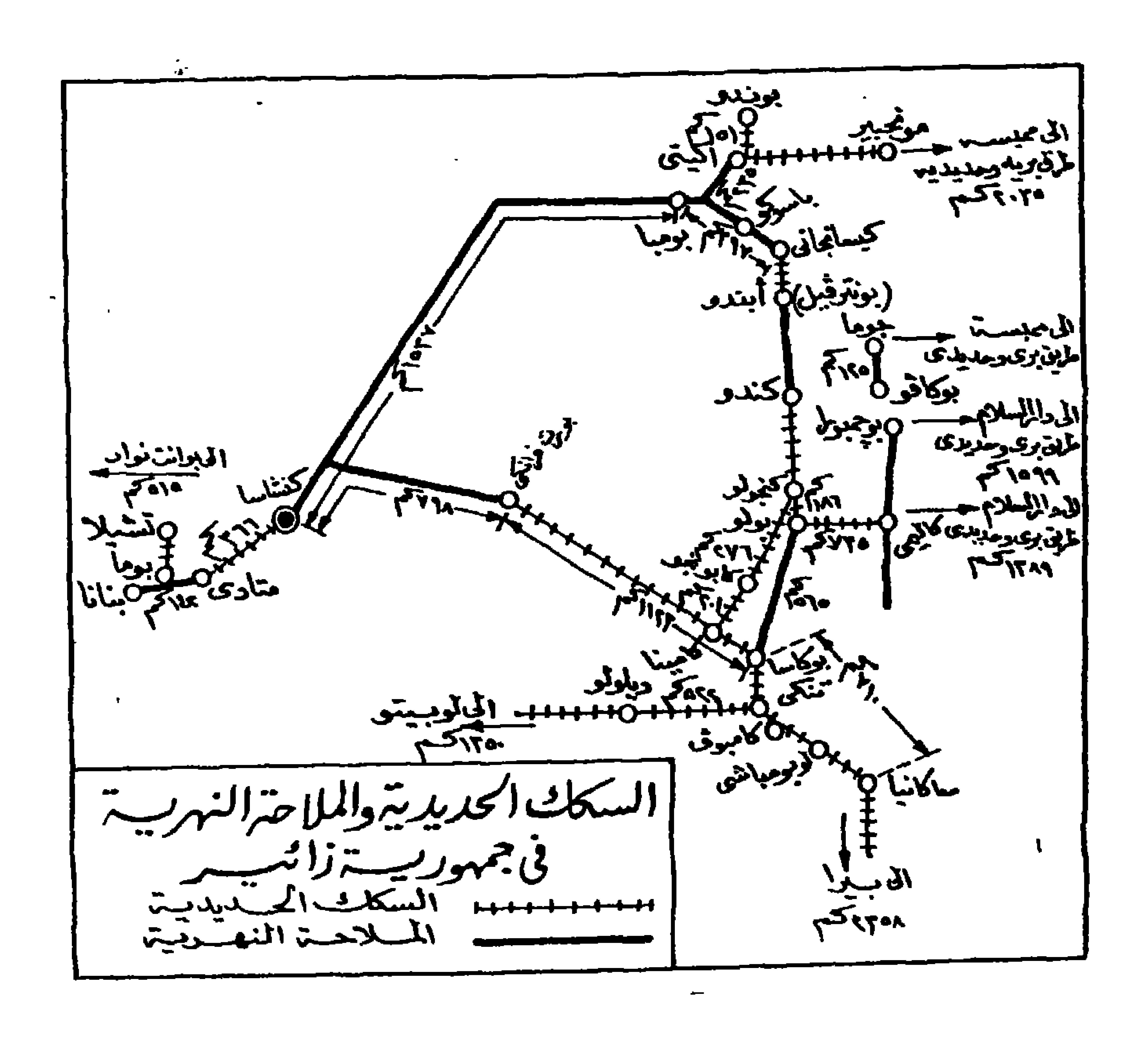
٢-مجموعة المناجم حول ليكاسى (جادو تفيل) وكامبوفى.

٣-مجموعة المناجم حول كولويزى وهى أهمها جميعا إذ تسهم الآن بنحو ٨٠% من إنتاج كاتنجا فضلا عن معظم الكوبالت.

ويستغل المعدنان معاً للنحاص والكوبالت، فهما يستخرجان معا في كولويزى بينمـــا مجموعة المعادن الثانوية التي تستخرج من خامات النحاس تشمل الزنك والرصـاص والكادميم.

وقد بنى أول مصهر لتركيز النحاس (أوبومباشى) عام ١٩١١ معتمدا فـــي وقـــوده على الأخشاب المجلية والفحم المستورد وتأخر إنشاء أول مصنع كهربائى حتى عـام ١٩٢٩ حينما بدأ مصنع ليكاسى، وفي الوقت الحاضر تقوم الطاقة الكهرومائية بمـد مصانع التكرير بمعظم احتياجاتها، وكان أول مشروع كهرومائى ضخم هو مشـــروع فرانكى اقيم على أعالى نهر لوفيرا، وقد أفتتح هذا المشروع عام ١٩٣٦، وتتـــابعت المشروعات الكهرومائية بعد ذلك وخاصة بعد الحرب العالميـــة الثانيـــة، وتمثلـت ذروتها *Murinel Dsicommone* على أعالى لوالبيا في عامى ١٩٥١، ١٩٥٦ علـــى الترتيب.

شكل رقم (٨٩) : السكك الحديدية والملاحة النهرية فى زائير



هذا وقد ظل اتحاد التعدين شركة بلجيكية حتى عام ١٩٦٥ عندما آل إلـــى حكومـــة زائير.

الـــطــــاقـــــــة :

أما عن القوى الكهرومائية الكامنة تقدر في زائير بنحو ١٣% من القوى المائية في العالم، لذلك انشئت وزارة خصيصا للطاقة عام ١٩٦٩، وقد ســـمح إنتـــاج ٣٥٤٠ مليون كيلوات عام ١٩٧٣ بتغطية الاحتياجات الحالية بين كنشاسا ومتادى بامكانـــات ٣٠ الف ميجاوات زائير، فضلا عن تصدير جزء منها للكنغو الديمقراطية وبوروندى ومعظم السدود التى أنشئت كانت في اقليم شابا لتغطية حاجة مصانع تكرير النحاس، غير أن سد اينجا أحدث هذه السدود بنى في الجزء الأدنى من نهر زائير على بعـــد ٤٠ كيلو متر من متادى، وقد بدأ العمل فيه عام ١٩٦٨ وقامت به شركة ايطاليـــا، وقد حرر هذا السد مدينة كنشاسا من استيرادها للكهرباء، وتقدر طاقة سـد اينجـا بنحو ٣٠ مليون كيلوات.



شكل رقم : (٩٠)



وتتركز الصناعة في زائير في اقليمين هما كنشاسا ولبومباشـــى بالدرجـــة الأولـــى بالقرب من مراكز الإنتاج الزراعى المعدنى، وبطبيعة الحال تستأثر العاصمة بجـــزء من الصناعات الغذائية والصناعات الاستهلاكية الأخرى كالنسيج والاحذية والصابون والسجاير واطارات السيارات، بينما تستأثر لوبومباشى بصناعات غذائية فضلا عـــن الصناعات الكيماوية والهندية وهناك مشروع لإقامة مصنع الحديد والصلب بـــالقرب من سد اينجا يعتمد أساسا على الطاقة المولدة منه واندر طاقة المصنع بنحـــو ٤٠٠ الف طن، ويستأثر غقليما كنشاسا وشابا بنحو ٥٠% مـــن العـــاملين فـــي ميـــدان الصناعة والتجارة والنقل ويزيد هذا أيضا توزيع المستوطنين الأروبيين.

روانـــــدا وبـــورونـــــــدى (سويسرا افريقيه)

كانتا جزءا من شرق أفريقيا الالمانى، ثم انتقلتا إلى الحكومة البلجيكية التى انتدبـــت عليها عقب ١٩١٩، وظلتا هكذا حتى عام ١٩٦٢، حينما مالت الاســـتقلال مرتبطـــة ارتباطا وثيقا بالكنغو البليجيكى (زائير) وبمساحة تزيد قليلا على ٢٦ ألف كيلو مـــتر مربع، و٢٨ ألف كيلو متر مربع بالنسبة لرواندا وبوروندى على الـــترتيب، تعتـــبر الدوليتان ضمن أصغر الدول الأفريقيه ، ولكن مع ســـكان يبلغـــون ٣,٨ مليونـــا، ٦,٨مليونا على الترتيب تعتبران من أكثر الدول الافريقيه كثافة في الســـكان (١٨٥ نسمة لكم في رواند، ٥٤ نسمة في بوروندى) ويمكن تقسيم الدولتيـــن إلـــى ثلاثـــة اقاليم طبيعية تمتد من الشمال إلى الجنوب، ففى الغرب هناك قاع الاخـــدود الغربـــى الذى يضم بحيرتى كيفو تنجانيقا الذى يصلها نهر روزيزى، ثم تصعد مع الارتفـــاع الشرقى للاخدود، وفي المرتفعات التى تتراوح بين ٢٥٠٠ ، ٢٧٥٠ مترا في كثـــير من مواضعها، بل وتسمو على ٤٢٥٠ مترا في شمال رواندا حيث توجد قمة جبـــل كاوسمين، وقيل منها نشط، ويتمثل القسم الثالث في تلك الأراضى التى تنحدر مـــن هذه القمم يندرج نحو اوغندا وشمال غربى تنزانيا في هضاب من المرتفعـــات إلـــى بحيرة فكتوريا، من ثم فهما رغم صغر مساحتهما، فهى غنيتان بمظاهرهما الطبيعيـــة الجذابة.

لا عجب أن أطلق عليها البلجيكويون سويسرا افريقيه لتنوع مظاهرهما التضاريسية وغاباتها الكثيفة واعتدال مناخها بالنسبة لدرجات العرض، فهما يقعان مباشرة إلـــى الجنوب من خط الاستواء، بين ١ْ ، ٤,٣٠ْ ، يتمتعان بفصلى مطر يسقط فيـــها نحـــو ١٢٠ سم، وفصلى جفاف باستثناء القسم الواقع داخل الاخدود الغربى حيث يســـوده مناخ شبه جاف.

ونظرا لأن الأراضى التى يمكن زراعتها لا تزيد على ٤٠% من مساحتهما، من ثـــم كان متوسط نصيب الفرد يزيد قليلا على الفدان، لذلك لا تعجب إذا رأينا أن كثيرا من الأراضى قد اصابها الانهاك وعملية فيها التعرية بشدة، وتقوم بالزراعة البـــاهوتو، ومحاصيلهم الرئيسة هى الغذائية بطبيعة الحال ممثلة في الكسافا والموز البقوليـــات والبطاطا، أ/ا التربات البركانية الغنية فيزرع فيها البن الذى بلغ مساحة نحـــو ١٠٠ ألف فدان. هذا ويزرع في قاع الآخدود القطن ونخيل الزيت.

الـــعرقيـــة الواضحة :

من أبلغ الأمثلة على وضوحالحساسية العرقية في أفريقية لاحظنـــا فـــي روانـــدى وبوروندى، فالهوتو يمثلون غالبية السكان في القطرين فـــهما ٨٢% مـــن ســـكان رواندا، ٨٨% من سكان بوروندى والذين يمثلون غالبية الزراعـــة، وتدخـــل فـــي عروقهم الدماء الزنجية، فبينما الاقلية من التوتسى الرعاة والذيـــن يطلـــق عليـــهم عمالقة افريقية لطول قامتهم غير العادى، واتسعت طول القامة، وقد ظلوا يكونـــون الطبقة الحاكمة، وصلوا هذا الاقليم منذ أربعة قرون، دخلوا الفترة طويلـــة الطبقـــة السائدة، ولما كانت الماشية هى المظر الاجتماعى فيحتفظون باعداد كبيرة مما يؤدى إلى الرعى الجائر، ولما كانت الماشية قليلة الأهمية من الناحية التجاريـــة، فيقبـــل الرعى هنا ، وتجريد للأرض التى كان يجب أن تخصص للمحاصيل.

ويعيش مع الهوتو والتوتسى التوا تطبقة قزمية منبـــوذة، وهـــم صيـــادون وزراع وحرفيين.

وقد ترتب على سيطرة التوتسى رغم أنهم أقلية وقدت على الهوتو منذ نحو أربعـــة قرون _ أن نشأ نظام اقطاعى عرفوه باسم الادبوهاكا، وبمقتضـــاه أن الفـــرد مـــن

الهوتو الذى يرغب في إقتناء الماشية التى يحتكرها التوتسى، يمكن أن يحصل منـــها على بقرة أو اثنين في نظير أن يؤوى خدمات للتوتسى، ويمكن للهوتو أن يســـتفيد من البقرة كم يشاء كحلب لبنها والحصول على ذبيتها، ولكن عليه أن يـــزرع أرض التوتسى، ويبنى له مسكنه، ويرعى حيواناته، في نفس الوقت الذى لا يمكن فيه بيع البقرة الممنوحة له إلا بإذن سيده، وإذا توفى دون وريث رجعت لسيدة، هذه النظــام كان يمثل الهراركية الاجتماعية التى يقف على راســـها التوتســـى، وعنـــد قدميـــها الهوتو.

ومن ثم كان الصراع المستمر من الاستغلال على السلطة، ومـــع الصـــراع علـــى السلطة وكذلك نقص الأرض، كانت الهجرة إلى الدول المجـــاورة وزائـــير وبصفـــة خاصة اوغندا حيث يعملون بزراعة البن لدى الباجنوا، ولكن مع المشـــكلات التـــى تصادفها أوغندا، أصبحت اقل ترحيبا بهم.

عـقـــبـــات التنميـــــة :

ويمكن إجمال عقبات التنمية في كلا البلدين في كثافة السكان العالية، وتبعثرهم فـــي أنحاد البلاد مع التضاريسي الوعرة، لأن ٩,٨% منهم ريفيين، مما يجعلهم في عزلة عن بعضهم، في مزارع سفوح المرتفعات مما يجعل عملية التطوير مـــن الصعوبـــة بمكانه، يضاف إلى هذا مواقعهما كدولتين جبيستين، وأخيراً وليس آخـــر الصـــراع الوحشى بين الهوتو والتوتسى على السلطة والذى اشتد في التسعينيات ولعل امتلاء نهر كاجيرا جثث الهوتو العائمة عام ١٩٩٤، مما لا يمكن أن يمحى من الذاكرة.

روانـــــــــــــــدا

رغم أن النشاط الاقتصادى عمادة الزراعة، فإن تضـــرس الأرض وتعريـــة التربـــة والانحدارات الشديدة، كل ذلك يجعل التربة فقيرة بوجه عام إلى حيث تظهر التربـــة البركانية الخصبة، وتقدر الأراضى القابلة للزراعة بنحو ١,٥ مليون فدان منها نحـــو ٧٠٠ الف فدان تخرج محاصيل دائمة، النقدية منها في التربـــات البركانيـــة كـــالبن والسكر ونخيل الزيت والشاى والصنكونا، بحيـــث يمثـــل البـــن ٦٥% مـــن قيمـــة

الصادرات، والشاى ١٠% من هذه القيمة، أما المحاصيل الغذائية تنتشر حينما يوجد البشر وتتمثل في الكسافا والذرة والموز والبطاطا.

شكل رقم (٩١) رواندا وبورندي

وإذا كانت المحاصيل الزراعية تمثل ٧٥% من قيمة الصادرات، فإن الباقى من نصيب التصدير والتجستين، وتقوم الصناعات على أساس الخامات المحلية مثل العمليات الخاصة بالشاى والبن والسكر والمنسوجات والبيرة والبلاستيك ولاشك أن

نقص الطاقة الكهربائية من أهم عوائق الصناعة، وتعثر البلاد في حصولــها علــى نصف طاقتها الكهربائية من مشروع نتاروكا المائى، ويستورد النصف الآخــر مــن زائير.

ولما كانت رواندا دولة حبيسة، كان ٩٠% من تجارتها تمر عبر دار السلام، والثــانى عب أوغندا وكينيا إلى حبسة عبر زائير إلى متادى، ولا شك أن طول هــذه الطــرق يضيف نفقات طائلة إلى السلع المستوردة والمصدرة.

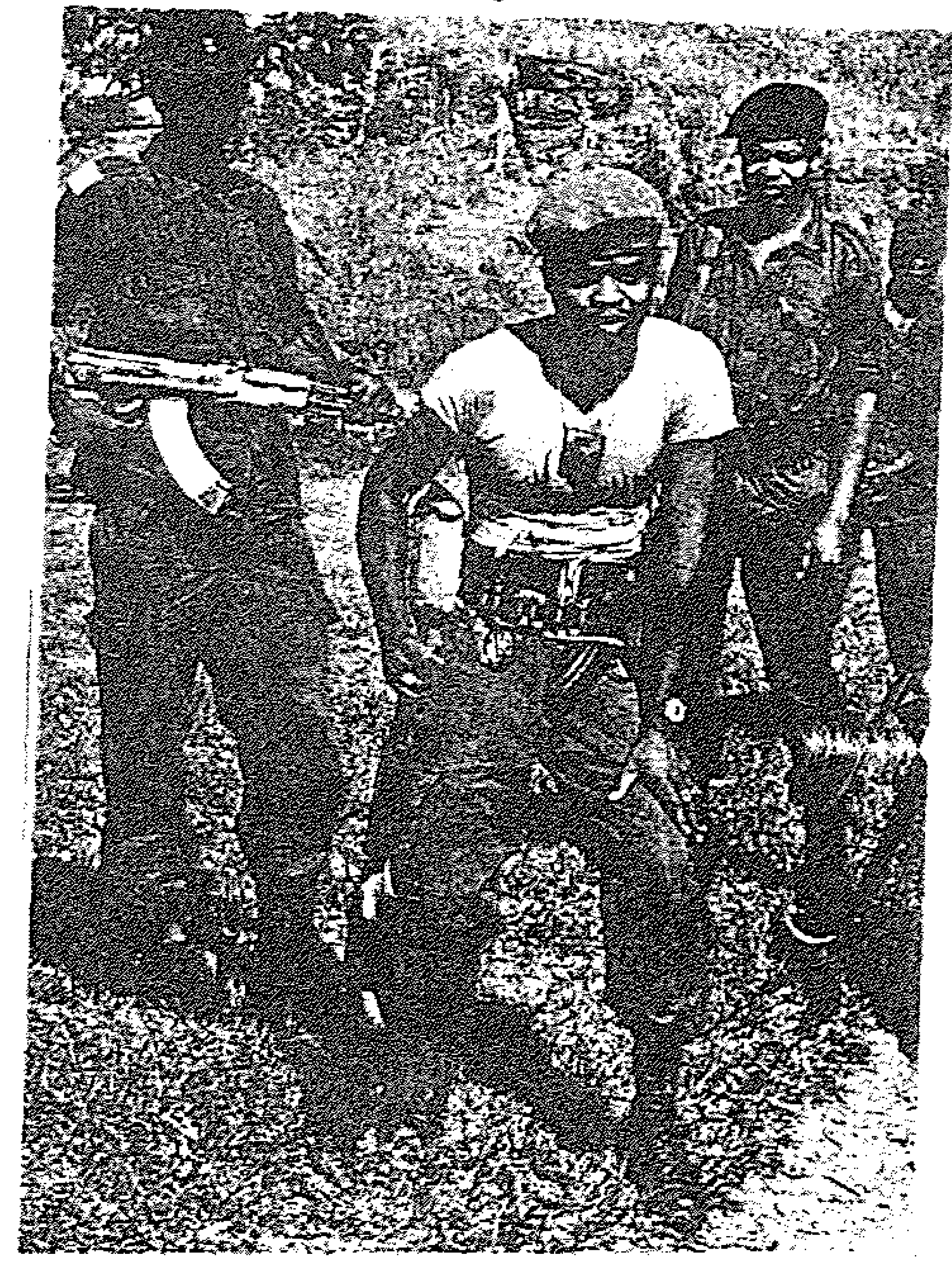
فكانت هناك خطط لوقف نزوح السكان إلى المدن وخاصة العاصمة كيجـــالى (٧٥٠ الف) وأعادة توزيع السكان في الاقاليم المخلخلة في شرقى البلاد، وفي الأودية فهى تكفى زراعتها الأرز وقصب السكر، وقدمت الصين مســاعداتها فــي هــذا الســبيل وكعضو في اللجنة الاقتصادية للبحيرات العظمى، هناك مشــروعات للتعــاون بيــن المجموعة لتحسين الطرق، وتنمية مصايد الأسماك.

بــــــورونــــــــــــدى

يعتمد ٨٢% من سكانها على الزراعة، وهى تشبه روافد إلى حد كبير في المحاصيل الذائية من الموز إلى الذرة والكسافا والبقوليات والبطاطا، ويسيطر البــن والشــاى والقطن على المحاصيل النقدية، فالبن مسئول عن ٨٢% مــن قيمــة الصــادرات، ومعظمه النوع العربى الجيد، وقليل من الروبستا ، يعانى البن من نفــس مشــكلات تصدير من رواندا بسبب طول المسافة إلى الموانى، وقد نجحت بوروندى في إقامــة معملين لإجراء العمليات الخاصة بالبن أحدهما في بورجمبورا العاصمة ، والثانى في جيتيجا، مما يضيف إلى قيمته وقد حصلت بوروندى علــى معونــة مــن الجماعــة الاقتصادية الأوربية لزيادة مساحة الشاى وتشبه أيضا رواندا في عملية اســتصلاح المستنقعات لزيادة الأرز والقطن خاصة في اقليــم موســوس *Messao* وصناعتــها خفيفة وبسيطة وتتمثل في العمليات ألأولية على القطن والبــن والشــاى والزيــوت النباتية والأسمنت والأحذية.

ونظراً لارتفاع تكاليف النقل، تفضل السلطات تصدير البن بالطرق إلى بحيرة تنجانيقا

إلى كيجوما، ومن هناك إلى دار السلام في تنزانيا، على حسين يصدر الشاى عن الطريق الاسرع والأعلى تكاليفا وهو طريق رواندا واوغندا وكينيا إلى ميناءممبسة،ذلك أن الشاى لا يتحمل النقل مسافات طويلة.



شكل رقم (٩٢)

الكمرون

يعتبر الكمرون في كثير من الوجوه هو حلقة الاتصال أو الجسر بين غرب أفريقية ووسطها، بين أفريقية المدارية الرطبة، وأفريقية المدارية الجافة، وحلقة الاتصال بين دول الانجاوفون ودول الفرانكفون، وغذا كانت الكمرون تطل بواجهه ضيقة على خليج غانا، فهى في أقصى الشمال تمتد لتصل بمنافذة أضيق على بحيرة تشاد.

وتظهر الصخور البلورية والمتحولة على السطح في معظم أرجاء الكمرون ويبلغ متوسط ارتفاع هضبة "وليو" بين ٤٠٠ - ٧٠٠ متر وهى من هضاب التعرية تحتل القسم الجنوبى والأوسط من البلاد، وكلها ذات مظهر واحد، هضبة منخفضة تغطيها تربة اللاتريت الفقيرة هضبة ادامارا شكل الجبال بارتفاعها الذى يسمو إلى ١٥٠٠ متر، وتعتبر هذه الهضبة منطقة تقسيم المياه المنتجهة إلى غرب افريقية وإلى

وسطها ومنها ينبع أحد روافد النيجر ولوجون الذى يتجه نحو بحيرة تشاد، ونجوكو المتجه إلى نهر زائير فضلا عن أنهار تتجه إلى الأطلنطى أهمها سناجا.

جبل الكمرون :

على أن أهم مظهر تشتهر به الكمرون هو التضاريس البركانية، والتى تتجمع بصفة عامة في القسم الغربى على الخط التكتونى الذى يتكون من عدة صدرع متوازية، التى ذكرنا من قبل أنها تمتد على محاور شمالية شرقية من تشاد وتستمر في قاع الاطلنطى إلى جزر سانت هيلانة، ومن أهم هذه الكتل البركانية الضخمة جبل الكمرون ومانتجوبا وبامبوتو.

وجبل الكمرون جبل بركانى مثالى يزيد على الأربعة آلاف متر (٤٠٧٠ مترا)، ورغم أرتفاعه الكبير إلا أن منظره لا يوجد بهذا الشموخ ذلك أن قاعدته عريضة تتراوح بين ٣٥ - ٥٠ كم، ويقدر المجموع الكلى للافا التى تدفقت هنا بنحو ١٤٠٠ كيلو متر مكعب، وقمة الجبل المعرفة باسم (فاكو) وباللغة الوطنية (مانجامالوبا) أى كهف الالهة هى جزء من حافة بركانية قديمة أكلت فيها عوامل التعريه، وإلى الغرب من الفوهة توجد قصبة صغيرة تخرج منها غازات كبريتية.

ويرجع النشاط البركانى للكمرون إلى الكريتاسى، واستمر ذلك النشاط حتى أواخر الزمن الثالث حين خرجت كميات ضخمة من اللافا البازلتية معظمها من الانديزيت، ثم النرشيت والفولولبت اللذان يظهران حتى ارتفاع ٣٠٠٠ متر، ولم ينتهى النشاط البركانى في العصر الحديث، فقد سجل يوم ٢٩ إبريل ١٩٠٩ نشاط بركانى ظهرت على أثر مخاريط بركانية صغيرة لأرتفاع ٢٤٠٠ متر فوق سطح البحر، وخرج من إحدى الفوهات نهر من الصهير بلغ عرضه ٨٠٠ متر وسمكه ٢٠ مترا وطوله ٦ كيلو مترات.

وشهد عام ١٩٢٢ تدفق آخرا أشد من الأول استمر من فبراير إلى أغسطس، تدفق الصهير فيه من ست فوهات على السفوح، مما أدى إلى إشعال الحرائق في الغابات، وتجمع في سيل واحد ضخم بلغ البحر في الحادى عشر من مارس من

ذلك العام، ويقد أنه تدفق في العالم المذكور ما يقرب من ١٠ مليون متر مكعب من اللافا.

أما جبل مانتجويا فهو يقع إلى الشمال الشرقى من الكمرون ويرتفع إلى ٢٤٢٠ متراً ثم جبل بامبوتو ويرتفع إلى ٢٦٧٩ وكلاهما جزء من سلسلة بامندا التى تمتد لمسافة ١٨٠ كيلو متر والتى تبدأ بعدها براكين ادامارا.

ويتميز الكمرون مناخيا بأنه يتمثل فيه تتابع الاقاليم المناخية والنباتية من الاستوائى إلى السفانا الجافة في الشمال وذلك لأنه يمتد باستضالة بين دائرتى عرض ٢ جنوبا ، ٨ شمالا، ويظهر الاقليم الاستوائى واضحا بين درجتى ٢ جنوبا، ٨ شمالا حيث يتراوح المطر بين ٤٠٠ سم، ٥٠٠ سم في اقليم دوالا، وتكسوه غابات الأمطار الكثيفة أما إلى الشمال من دائرة العرض الثامنه ، فيظهر اقليم السفانا بفصل المطر الصيفى الذى يتبعه فصل الجفاف ويصل المطر إلى ١٠٠ سم في نجاوندريه ، ثم يهبط إلى ٦٠ سم إذا ما أقتربنا من بحيرة تشاد ويطول فصل الجفاف، ويظهر أثر عامل الأرتفاع في تلطيف درجة الحرارة، وهذا واضح في نجاوندويه ومتوسطها ٢٢ ْم لأرتفاعها ١١٢٠ متراً، بينما ترتفع الحرارة إلى ٢٨,٥ في جاودنا على نفس درجة العرض لأنها ترتفع ٢١٢ مترا، ولما كانت الهضاب والسهول الشمالية تغطيها الحشائش، كانت لذلك صالحة للرعى فيما عدا وادى بنوى ولوجون حيث الزراعة المستقرة.

السكان والنشط الاقتصادية :

ويسكن في الكمرون الذى تبلغ مساحته ٤٧٦ ألف كيلو متر مربع، نحو ١٥,٥ مليون نسمة وتصبح الكثافة العامة ٣٢ نسمة لكم٢، ولكن من حيث التوزيع الفعلى نجد أن أكثر من نصف السكان يعيشون في المرتفعات الشمالية والغربية وفي القسم الشمال تعيش عدة قبائل من الرعاة وأنصاف الرعاة فضلا عن المزارعين، كلفولا وعرب الشاوية، والكانورى، أما في المرتفعات الغربية حيث توجد أعلى الكثافات فتمد أشباه البانتو وأهمهم قبيلة باميلكى (٢ مليون) وبامون (١٥٢ ألف) وفي

السهل الساحلي ما تزال الكثافات مرتفعة حيث تعيش قبائل البانتو من الدوالا والباسا والبافيا والفاتح الذين وفدوا من جهات عديدة، واضطـروا جماعـات الأقـزام إلـى الانزواء داخل الغابة، ونظرا للتنوع القبلي وجدنا التنوع اللغوى، والتنـوع الدينـى، بحيث يغلب الإسلام في الشمال والديانات الأفريقية في الوسط والغرب، والمسـيحية في الجنوب، ويعيش ١٧% من السكان في الحضـر، وبصفـة خاصـة فـي دوالا (مليون نسمة) ميناء الكمرون الرئيسى، ياوندى (١٢٠ الفا) العاصمة.

ويعتمد ٨٥% من سكان الكمرون على الزراعة وتمارس الزراعة التقليدية وقوامـها الحاصلات الغذائية، ففى الشمال الدخن والذرة الرفيعة وفي الغرب الـذرة العريضـة والموز، بينما يحل محلها اليام والكسافا في الجنوب، هذا بينما الحـاصلات النقديـة هى المسئولة عن ٧٠% من حصيلة الكمرون من العملة الأجنبية وأهمها هنا الكاكاو البن اللذان يكونان وحدهما نصف الصادرات.

والمنطقة الرئيسية لإنتاج الكاكاو في الكمرون هى الاقليم الواقع حول يـاوندى فـي الكمرون الجنوبى معظمها في مزارع صغيرة، وغالبا ما يزرع هنـاك مـع أشـجار الموز ونبات الكسافا، ورغم إنتاجية الفدان المنخفضة، فقد ظل الكاكاو يمثـل غلـة الصادرات الأولي للبلاد (٢٢%) ويحتل الكمرون المركـز الخـامس بيـن الأقطـار المنتجه المصدرة للكاكاو.

ويأتى الكمرون في المركز الثانى بين الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسـية تصديـراً للبن، ويزرع هناك النوعات العربى والرويستا في الركن الجنوبى يعطى ٨٠% مـن إنتاج الكمرون من الرويستا وكل البن العربى تقريبا وساعد على وجود البن العربـى هنا مرتفعات الكمرون البركانية، ومع ذلك فلا يمثل البن العربى سوى ربع الإنتـاج الذى يبلغ في المتويط نحو ٩٠ ألف طن، وتشترك المزارع الكبـيرة الأجنبيـة مـع المزارع الأفريقية الصغيرة في الإنتاج، وإن كانت المزارع الأجنبية تتميز بضخامـة المساحات، فيكفى أن نعرف أن هناك مزرعة ضخمة واحدة تشغل ٥% من مجمـوع المساحة المزروعة بها وتديرها شركات أجنبية، وتلقى زراعة البن هنا مسـاعدات مالية من صندوق التنمية الأوربى.

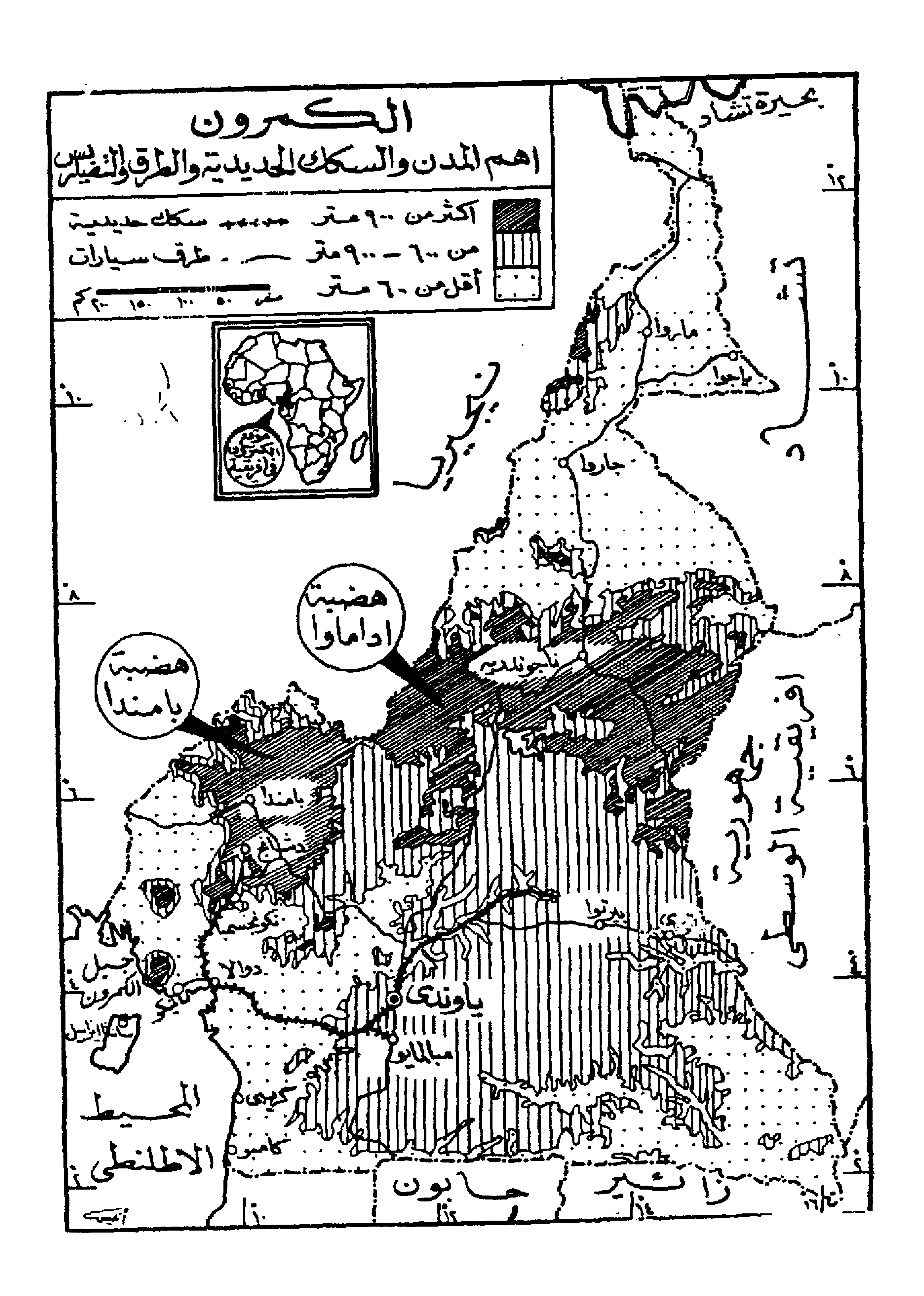
وإذا كان الكمرون الجنوبى قد اشتهر بمزارع الموز ونخيل الزيت، فإن القسم الشمالى بدا يعرف القطن أيضا منذ عام ١٩٦٠، وتعتبر ثروة الكمرون من الأخشاب رصيداً جيداً لها، نظراً لأن الغابات تغطى ما يقرب من ثلث مساحة البلاد وما زال استغلالها متخلفا بسبب رداءة وسائل النقل.

وأكتشفت في الكمرون خامات الحديد في الجنوب بالقرب من غينيا الاستوائية غير أن أعظم خامات هى البوكسيت التى تقدر بنحو مليار طن في هضبة اداماوا.

يعتبر سد أديا من أقدم السدود التى بنيت خصيصا لتوليد الكهرباء في أفريقية المدارية، فكان أول استخدام الكهرومائية منذ عام ١٩٥٣، ولكن طاقته زيدت ٨٤٠ مليون كيلوات عام ١٩٥٩، واستمر إنتاجه حوالى الآلف مليون كيلوات خلال الستينات، وفى الحق أن قدم الكمرون كدولة افريقية منتجة للكهرباء المائية لا يعكس بحال شدة الطلب عليه في داخل الكمرون، بقدر ما يعكس رغبة شركة فرنسية في استغلال نهر سناجا في إنتاج الالمنيوم من خامات البوكسيت المستخرجة من غاريا في غينيا، ولذلك فامصهر الضخم الذى أقيم في اديا يستهلك نحو ٨٥% من طاقة السد كل عام، ويتجه الباقى لكفاية حاجة دوالا التى لا تبعد عنه سوى بنحو ٨٠ كيلو مترا وياوندى التى لا تبعد عنه سوى بنحو ١٨٠ كيلو متراً، ولما كان إنتاج السد غير ثابت تبعا للأحوال المائية لنهر سانجا، فقد بنى سد آخر مكمل له الى الشمال عند بلدة ميكار.



شكل رقم (٩٣) : الكمرون .



الفـــصل الحـــادى عشـــــر

أفـــريقـــيـــــــــة الـــجنـــوبيـــــــــة

إلى الجنوب من حوض الكنغو وهضبة شرق أفريقية، تمتد مساحة واسعة تبلغ نحـــو خمس مساحة أفريقية، ويعيش عليها ما يقرب من ٥٠ مليون نسمة، وتبلغ كثافـــــة السكان فيها نحو ٧ نسمة في الكم٢ أى أقل من المتوسط العام للقارة، ويرجع هـــذا لإمتداد الصحارى وأشباه الصحارى في ناميبيا وبتسوانا فضلا عن القسم الغربى من وسط جمهورية جنوب أفريقيه.

ولعل ما يجعلنا نعتبرها اقليم جغرافى متميز، ليس وحده في الظروف الطبيعية بقـــدر ما هناك من تشابه في الظروف البشرية ومشكلاتها، ويتمثل هذا في سيادة العنـــاصر البيضاء في زيمبابوى، وجنوب أفريقية، ناميبيا، بطريق مباشر وفي بتسوانا ليسوثو وسوازيلاند بطريق غير مباشر، وانطبق هذا على موزمبيق وانجولا حتى عهد قريب ففى هذه المساحة نجد أن ما يقرب من ٥ مليون نسمة يتحكمون في نحو ٤٠ مليون من الأفريقيين، ومعظمهم من زنوج البانتو.

وهناك التطور الاقتصادى، داخل هذا الاقليم من جمهورية جنوب أفريقيه أغنـــى دول القارة وترسانتها الصناعية، التى تسهم وحدها بنحو ٤٠% من الإنتـــاج الصنـــاعى الأفريقية والتى يبلغ متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى ٢٤٧ دولار إلى ٢٤٧٠ دولار (المتوسط في أفريقيه ٦٤٠ دولار) و٣٩٠ دولار في زامبيا، ٣٦٠ دولار في زيمبابوى، ١٨٠ دولار ما مالاوى في ١٩٩٥.

التـــضـــاريـــــس :

الإقليم في مجموعة عبارة عن كتلة هضبية ضخمة وتمثل أعلى كتلة هضبية جبليـــة متصلة في القارة بعامة، ويتكون إطارها العام من هضبة منخفضة نسبيا في الوسط، وتنتهى بحافات عالية ضخمة تطل على السهول الساحلية، فأكثر من ١/٢ جمهوريـــة جنوب أفريقية يزيد أرتفاعه على الآلف متر فوق سطح البحر وتزيد فـــي الشـــرق

لارتفاع الحافة على ٣٠٠٠ متر وتصل قمتها في باسوتو إلى ٢٦٥٠ متراً، يصرف السفوح الغربية منها نهرى أورانج والفال، وأن كان جزء بسيط يصرفــــه لمبوبــر شمالا وخط تقسيم المياه بين الفال ولميوبو يمتد على وجه التقريب من الشرق إلـــى الغرب عبر جوما نسيرج، وتعرف هذه الحافات التى تطل على السواحل باسم *Creet Escarpment* أو الحافات العظمى، وتمتد لمسافة تتراوح بين ٤٥، ١٨٠ كيلو مــتراً من الساحل، من ثم كان لهذه الحافات العظمى أسماء محلية عديــدة، وتعــرف فــي الشرق والجنوب الشرقى باسم دواكنزبرج أو حافة كانتيا، وهنا تزيــــد علـــى ٣٠٠ مترا، وغذا تتبعناها حيث تمتد لمسافة ٤٠٠ كم وتعرف باسم ستورمبرج *Stormbety* ونيوفلد في ولاية الكاب، وهى حافة تعرية شكلها التصريف النهرى الشديد الإنحــدار لتتجه نحو الساحل، وتتحد هذه الحافة الشرقية على هيئة نظام سلمى تجاه الســاحل، ويتم هذه الانحدار في صورة سلسلة من السفوط عبر حافات عالية، ويهبط المنسوب أولا بنحو ١٧٠٠م من الحافة إلى السفوح السفى، ثم تتواتر الحافات المتتابعة حتــى تصل إلى مستوى سطح البحر، وقد ساعدت الأنهار القصيرة على نشاط التعرية فــي الحافات الشرقية، بينما كان لقلة الأنهار في الحافات الغربية أثره فــــي تــرك هــذه الحافات دون تعرية نهرية خطيرة.

ومما هو جدير بالذكر أن الإرتفاع الكبير الذى تصل إليه هذه الحراف المرتفعة يرجع جزء منه إلى الطفح البركانى الذى صاحب الحركات الانكسارية والعيوب التى ظهرت على نطاق واسع فقد خطت الافا نحو ما يقرب من نصف جنوب أفريقيه بسمك كبير، وصل إلى نحو ٧٠٠ متر في باسوتو في الشرق، وإلى نحو ٢٠٠ متر فــــي اقليــم الكاب.

وإذا ما تركنا حافة الهضبة واتجهنا نحو الوسط تنحدر الأرض على هيئـــة ســـهول مموجة ترتفع إلى الآلف متر فوق سطح البحر، وهى هنا أشبه بالسهول العليـــا أو بمعنى آخر هضبة ولكنها اقل ارتفاعا من الحواف، وهى في نفس الوقـــت ســـهول تعرية مغطاءة بطبقات سميكة من تكوينات الكارو التى تكلمنا عنها.

وإذا تركنا أرض الباسوتو نحو الغرب والشمال تمتد هضبة الفلد الأعلى (ولفظ الفلد في الحقيقة يمكن أن يعتبر لفظا نباتيا، ويمكن أن يدل على التضاريس، فالفلد الأعلى يشير إلى الأراضى التى ترتفع فوق ١٢٠٠ متر، بينما الفلد المنخفض هو الهضبة التى تنخفض عن ٧٠٠ متر) وقد يشير لفظ الفلد نباتيا إلى الاقليم الذى تسوده الحشائش كمظهر نباتى سائد في القسم الشرقى من الهضبة الداخلية من جنوب أفريقيه (أورانج – ترانسفال) وتصرف هذه الهضبة أودية الفال وارانج ، وحدها المشالى هو حافة وتواترزواند التى تقع عليها جوها نسبرح بارتفاع ٢٠٠٠ متر، ولا يوجد حد طبيعى واضح لإقليم الفلد نحو الغرب، وإنما لنلاحظ أن الجفاف يزداد وضحا بلا تجاه غربا، وإلى الشمال من اقليم وتواتروزاند تنتقل إلى اقليم البوشفله، واشير التسمية إلى نوع من السفانا الجافة التى تتميز بحشائش السفانا التى تتبعثر خلالها الشجيرات، ويمتد حتى ثنية اللبوبو وهذه الهضبة أقل ارتفاعا من الفلد العليا إذ تنخفض إلى ٧٠٠ متر وأن كان المتوسط العام نحو ١٠٠٠ متر، وإذا كانت مظاهر السطح في هذا الاقليم معقدة إلا أنها بوجه عام تتألف من حوض في الوسط يصرفه نهر أو ليفانتس وكروكوديل ، وتحيط بهذا الحوض سلاسل جبلية منقطعة.

شكل رقم (٩٤) : تضاريس الهضبة الجنوبي

وتمتد هضبة شبه جافة إلى الغرب من الفلد الأعلى تعرف باسم الكـــارو الكــبرى ، ويجرى عبرها نهر الاورانج من حافتها الشرقية التى تتراوح بيـــن ١٢٠٠، ١٥٠٠ متر إلى نحو ٧٠٠ متر في حوضه ألادنى، ويتميز التصريف النهرى عليـــها بأنـــه منقطع أى موسمى عقب سقوط الأمطار.

وتمتد سلاسل زفارتبرج جنوب إقليم الكارو الكبرى، وتفصل بينه وبين هضبة الكارو الصغرى التى ينخفض مستواها إلى ما دون ٧٠٠ متر، وتجرى عليها بعض الأنــهار الدائمة الجريان مثل نهر جوريتز، بينما المجارى لامائية الموســمية هــى الصفــة الغالبة على المجارى النهرية فوق الكارو الكبرى.

وتحيط سلاسل الكاب اقليم الكارو من الجنوب والغرب وقد ذكرنا أن هذه السلاســـل ترجع إلى حركة اريض في انترباس، ضغطت على ارسابات السيلووى والديفوتى في منخفض الكاب الذى تكون حينذاك، وتوضح سلاسل الكاب في مجموعتين :

(١) مجموعة تمتد نحو الشمال الغربى حتى تقترب من الساحل الغربى بالقرب مـــن الأوليفانتس الأدنى وهذه سلاسل سبداربوج واوليفانتس.

(٢) المجموعة الثانية تمتد شرقية غربية بوجه عام من عقـــدة وركســتر الجبليــة وتستمر لمسافة ٤٠٠ كم حتى يقطعها خط الساحل عند بـــورت الـــيزابيث وتشــمل سلاسل الكاب سلسلة زفارتبرج ولانج برج، وهذه السلاسل عبارة عن محدبات بينما الأشرطة المنخفضة المحصورة بينهما تمثل المقعرات، ومعظم هذه السلاســـل مـــن الحجر الرملى وترتفع الى مايقرب من ٢١٠٠ متر.

وإذا تركنا الزمبيزى الأعلى مغربين نحو وسط الهضبة الجنوبية تأخذ الأرض فـــى الارتفاع حتى تصل فى الغرب الى أقصى ارتفاع لها فى هضبة بيهيـــه *Bihe* التـــى تسيطر على وسط أنجولا، وتعتبر مقسماً للمياه بين روافد الزمبيزى مثل كواندا الذى يتجه نحو الشرق وبين كاساى وروافد الكنغو المتجهة شمالاً وبين الروافد المتجهـــة الى المحيط الأطلنطى غرباً، أو المتحهة لتتصرف داخلياً فى صحراء كلـــهارى مثـــل اوكافنجو (كوبانجو)، ورغم أهميتها كمنطقة تقسيم مياه ، فإنـــها ليســت شـــديدة الارتفاع (١٥٠٠ - ٢٠٠٠ متر) وفى نفس الوقت تقع فى نطاق الأمطار الصيفيـة

القليلة ، وتتصل هضبة بيهيه بحافة الهضبة الأفريقيه الغربية الى تنحدر الى المحيط فى شكل سلمى ولاتترك سهلا ساحليا متسعا بل يتراوح بين ١٥٠، ٢٠٠ كيلو متر وإلى الجنوب من هضبة بيهيه تمتد هضبة دامارا في جنوب غرب أفريقيه ، وتعرف حافتها المشرفة على مصب الأورنج باسم ناماكالاند وكلها هضاب ذات موارد مائية قليلة، ويفصل هضبة بيهيه عن دامارا منخفض كبير هو (أوفامبولاند) حيث مستنقعات اتوشا، وفي وسط هذه الدائرة من الهضاب يقع منخفض صحراء كلهارى، ويرتفع قاع هذا المنخفض فوق مستوى سطح البحر، ولكن تصريفه داخلى لاحاطته بالمرتفعات، لذلك انتشرت البحيرات الملحية نتيجة المطر القليل والتصريف الداخلى، وإذا كانت الموارد المائية لصحراء كلهارى قليلة بوجه عام، فإن القسم الشمالى أوفرها ماء حيث يأتيه الماء من خارج الأقليم من هضبة بيهيه عن طريق اكافانجو الذى ينصرف في دلتا متسعة، وأحيانا تأتيها المياه من نهر كوان أحد روافد الزمبيزى الأعلى.

وتمتد حول هذه المرتفعات التى هى أشبه بقلاع تحمى الجهات الداخلية، السهول الرملية، وساحل قليل التعاريج، خالى من المواطن الطبيعية للموانى باستثناء الأطراف الجنوبية، ولا يتسع السهل الساحلى إلا في موزمبيق حيث يصبح اتصاله ميسورا بداخل القارة.

ويصرف هذه الكتلة الضخمة مجموعة من الأنهار أكبرها الزمبيزى ولمبوبو وكوانزا وكوينين واكاماتجو والاورانج وكلها تحفر أوديتها بعمق في الهضبة، وتتميز مجاريها بكثرة الجنادل والشلالات، من ثم تقل صلاحيتها للملاحة وتزداد صلاحيتها لاقامة السدود، أما في أجزائها الدنيا فتسير ببطء شديد، بل وأحيانا تكاد تختفى في مستنقعات بروتسى عند مصب الزمبيزى، ومستنقعات اوكافاتجو في صحراء كلهارى، ومستنقعات ايتوشى وبحيرة نجامى.

الظروف المناخية :

ونظرا لوقوع الهضبة الجنوبية بين دائرتى ٢٥،٦ جنوبا، كان مناخها هو المدارى الرطب صيفا أو المناخ السودانى باستثناء الأطراف الجنوبية التى تنتمى للأقليم المعتدل، ولكن تتابع الاقاليم المناخية الذى يظهر في نصف القارة الشمالى لا يتمثل في الهضبة الجنوبية، وإنما يحل محله نظام آخر يرتبط بالموقع بالنسبة للرياح المطيرة، كما يرتبط بالتضاريس ارتفاعا وانخفاضا ونوع التيارات التى تمر بها حارة كما في الشرق (اجولهاس) وباردة نوعا كما في الغرب (بنجويلا)، وتجلب الرياح الجنوبية الشرقية مطرا غزيراً للمرتفعات الشرقية، لذلك تسود المناخات المدارية الرطبة حتى دائرة العرض ثلاثين في ناتال، وتتحول إلى المناخ المدارى شبه الجاف على الهضبة في الداخل حيث يقل المطر عن ٥٠ سم، ويتميز بعدم الانتظام، من ثم اتسمت الهضبة بالمناخ*شبه الجاف، فيما عدا قسميها الشمالى حيث يمكن أن تتوغل الرياح الموسمية المطيرة صيفا، أما في فصل الشتاء (مارس - أكتوبر) فيعمل الضغط المرتفع فوق صحراء كلهارى على جفاف المناخ على كل الهضبة باستثناء اقليم الكاب الذى تهب عليه الغربيات المطيرة، وبينما يعمل تيارا اجولهاس في الشرق على رفع درجة الحراة وزيادة المطر، ويعمل تيار بنجويلا على خفض درجة الحرارة وزيادة الجفاف، يزداد المدى الحرارى نظرا لحالة الجفاف وشبه الجفاف التى تسود الهضبة في الداخل حتى لتنخفض الحرارة شتاء إلى درجة التجمد ليلا.

وتغطى النباتات شبه الجافة ثلثى مساحة الهضبة تقريباً، بينما لا تظهر الغابات المدارية إلا في مناطق محدودة في شمال زامبيا وعلى الساحل الشرقى، أما حشائش الاستبس تغطى معظم هضبة الفلد فوق الآلف متر، بينما تسود الحشائش الفقيرة واشجار السنط صحراء كلهارى.

النشاط الاقتصادى :

تجمع الهضبة الجنوبية بين اقدم ضروب المعيشة في القارة لدى الصيادين من البوشمن والرعاة من الهوتنتوت، وبين أحدث النشاطات الاقتصادية ممثلة في التصنيع الحديث والحياة الحضرية الحديثة، ومع ذلك فمعظم السكان يعيشون حياة

ريفية (٩٥% من سكان مالاوى وما بين ٧٥ - ٩٠% م سكان انجولا، وموزمبيق، وليسوتو، وسوازيلاند، وبتسوانا).

والأراضى الصالحة للزراعة محدودة لفقر التربة، وتعريتها، ويزيد الظروف الجافة وشبه الجافة من ندرة الأرض الصالحة للزراعة على الساحل الشرقى وأودية ناتال وموزمبيق ومرتفعات مالاوى وزامبيا وهضاب وسهول انجولا، هذا فضلا عن السهول الساحلية لاقليم الكاب، اما في بقية أجزاء الهضبة فتتعذر الزراعة فيها إذا قل المطر عن ٥٠ سم إلا إذا كان هناك مورد آخر للرى.

وتمارس الزراعة التقليدية في الأراضى الأقل خصوبة والأكثر جفافا وهى زراعة غير كثيفة، وموجهة للكفاية الذاتية، وتأتى الحبوب على رأس قائمة الغذائيات، وخاصة الذرة العريضة الغذاء الأساسى يليها الدخن والشعير والآرز والفول السودانى والكاسافا والبقوليات كالفول واللوبيا، ولكن إنتاجها منخفض بوجه عام، وكثيرا ما تعانى زامبيا وبتسوانا ومعازل جنوب أفريقيه من النقص الغذائى في السنوات العجاف.

ويقوم الأوربيون بإنتاج الحاصلات النقدية في مزارعهم وضياعهم التى تستعمل فيها أحدث أنواع التكنيك الزراعى، وتتصدر الحبوب الحاصلات الغذائية كالذرة العريضة والقمح في زيمبابوى، ومالاوى، وموزمبيق. زامبيا، انجولا، جنوب إفريقيه، كما اشتهرت ناتال واقليم الكاب وشرق الترنسفال وموزمبيق وسوازيلاند بالحاصلات البستانية كالموز والحمضيات وغيرها من فواكة المناطق المعتدلة التى تنضج أثناء الشتاء في نصف الكرة الشمالى مما يفتح لها أسواقا متسعة في أوربا.

ويزرع الأرز اعتماداً على الرى فى موزمبيق ومالاوى وناتال وأنجولا، والفول السودانى فى مالاوى وموزمبيق وأنجولا، وقصب السكر فى موزمبيق وسوازيلاند وزيمبابوى وزامبيا وأنجولا، والبن فى أنجولا وزامبيا، والتبغ فى مالاوى وزامبيا والقطن فى موزمبيق ومالاوى وزيمبابوى وسوازيلاند وأنجولا وزامبيا وجنوب إفريقيه. هذه هى أهم المحصولات النقدية. وتسيطر اتحادات الشركات على مزارع الشاى فى موزمبيق ومالاوى وناتال، والسيسل فى موزمبيق وأنجولا، وإن كان

الافريقيون يسهمون فى زراعة التبغ والقطن فى مزارعهم الصغيرة فى موزمبيق وأنجولا ومالاوى.

وتربى على هذه الهضبة ما يقرب من ٢٥ مليون رأس من البقر، ١٠ ملايين رأس من الماعز، وما يزيد على ٧ مليون رأس من الأغنام، ولكن جزءاً كبيراً من هذه الثروة الحيوانية ملك للمستوطنين الذين يربونها على أسس علمية واقتصادية، وتظهر أهمية الثروة الحيوانية فى بعض الأقطار مثل ليسوتو وبتسوانا حيث تمثل المنتجات الحيوانية من اللحوم والأصواف والموهير والجلود نحو ٩٠% من قيمة الصادرات كما أنها أيضا أهم صادرات سوازيلاند.

وكان لتيار بنجويلا البارد الفضل فى غنى مياه أنجولا وناميبيا وجنوب إفريقيه بالصيد البحرى، وعكس السواحل الشرقية الأقل غنى بسبب التيار الحار، غير أن ما يبرز أهمية الاقليم فى الميدان العالمى هو ثروته المعدنية، إذ يضم وحده ما يقرب من نصف ثروة القارة المعدنية من الذهب إلى النحاس والماس والبلاتين واليورانيوم والحديد والفوسفات.وما زالت الكهرباء تعتمد على الفحم والبترول فى إنتاجها، وما زال إنتاجها ضيئلا، وإن كانت المشروعات التى أعدت لاستغلال الكهرمائية سوف يتزايد إنتاجها، بل إن جمهورية جنوب إفريقيه لديها مفاعل ذرى فى الوقت الحاضر.

وأكثر دول هذا النطاق تصنيعا هى جمهورية جنوب إفريقيه، وزيمبابوى وزامبيا أما بقية الدول فما زالت فى البداية.



تهريب العاج رغم تحريمه

الفصــــل الثانى عشــر

مــن دول هضبة إفــريقيه الجنوبية

جمهورية جنوب إفريقيه (شعب قوس قزح)

مجتمع مركب : لا يمكن فى الحقيقة إطلاق لفظ أمة أو مجتمع واحد علــى سـكان جنوب إفريقيه بل الأصلح القول بأنه عدة مجتمعات، أو أمم فهو شعب قوس قـــزح تتعدد فيه الأعراق والألوان.

تطور الاعراق المختلفة في جمهورية جنوب إفريقيه

السنة	المجموع	البيض	الاسيويون	الملونون	البانتو
١٩٦٠	٦,٩٠٠	١,٥٠٠	٥٤٦	١٦٦	٤,٧٠٠
١٩٧٠	٢١,٥٠٠	٣,٧٥٠	٣٠٠٠	٦١٠	١٥,٠٠٠
١٩٨٥	٢٦,١٢٤	٤,٧٤٧	٢,٧٦٥	٨٧١	١٧,٧٤١
٢٠٠٠	٤٦,٠٠٠	٥,٣٠٠	٣,٥٠٠	١٠٠٠	٣٦,٠٠٠

أى يكون البانتو نحو ٧٧% من السكان ، يليهم البيض نحو ١١ % ، والآســيويون نحو ٨%، والملونون نحو ٢ %.

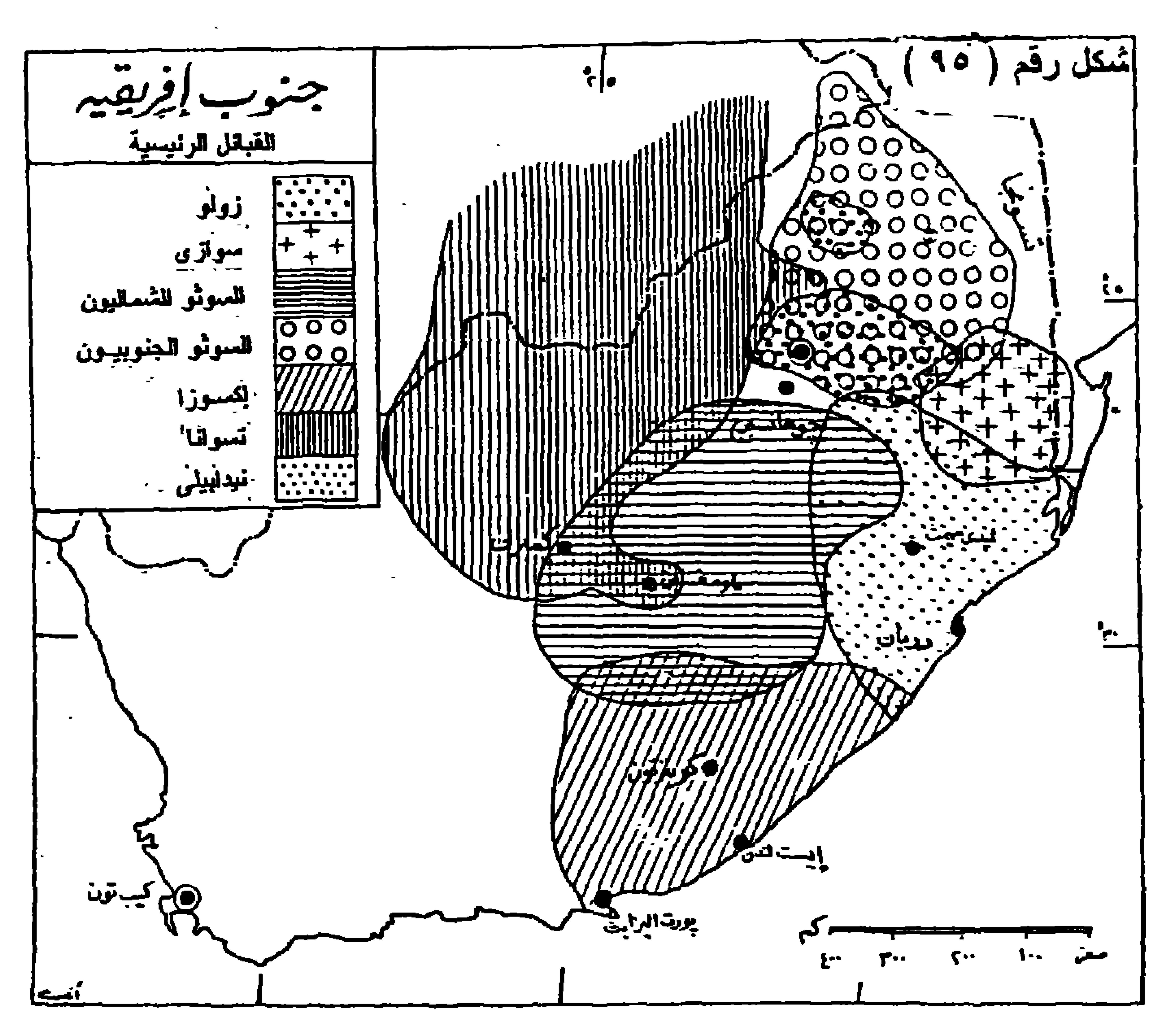
أولاً: الافريقيون الأصليون أو زنوج : البانتو الذين يكونون أغلبية السكان وقد بلغوا نحو ٣٦ مليون نسمة عام ٢٠٠٠. وهم ينتمون إلى الشعبة الجنوبية للبــانتو، وأهم مجموعاتهم القبلية : النجونى : سوازى (مليون) واكسوزا (٧ مليــون) والزولو (٨,٥ مليون)، السوثو الجنوبيون والشماليون، وتســوانا، والفنــدا وشنجانا، تسونجا) وتمتد مجموعة النجونى فى النطاق المحصور بين جبال درا كنز برج والمحيط بينما تنتشر مجموعة السوتو على الهضبة وأكثر هذه القبائل عددا السوثو (٦,٥)، والشانجيان (+ مليون) والفندا (+ ٢٥٠ ألف).

ثانيا: العناصر البيضاء : وبلغوا نحو ٥ مليـــون نســبة أى ١١ % بـــانتو، هـــم المستوطنون بيض وغالبيتهم من الهولنديين أو الأفريكانرز، بدأت هجرتهم إلى جنوب إفريقيه بإنشاء مكتب للإشراف على الملاحة فى مدينـــة الكــاب عــام ١٦٥٢، ثم شجعت الشركة الهولنديين على الاســتقرار وفلاحــة الأرض لمــد السفن بحاجتها من الخضروات، وتوالت أفواج مـــن الـــهولنديين المزارعيــن (البوير)، فضلا عن البروتستانت الفرنسيين، غير أن الموجه الكبرى الأخــــرى بعد ما استولت بريطانيا على اقليم الكاب، وكانت معظم هذه الموجة انجليزيـــة، وتدهورت العلاقات بين الجاليتين واتجه البوير نحو الشمال الشرقى بعد عــــام ١٨٣٦ حيث أسسوا دويلات مستقلة (أورانج الحـــرة وانترانسـفال)، ولكــن اكتشاف الماس فى كمبرلى والذهب فى الترانســـفال عـــام ١٨٦٧، أدى إلـــى هجرات انجليزية جديدة، ودخلت العلاقات مرحلة حاسمة بين الفريقيـــن بقيـــام حرب البوير (١٨٩٩/ ١٩٠٣) التى انتهت بهزيمة البوير، وتكون اتحاد جنوب إفريقيه عام ١٩١٠ تحت التاج البريطانى. ويتكلم البوير الأفريكانية، وفيها من الهولندية القديمة ويتكلم الانجليز اللغة الانجليزية، وكلاهما معترف بـــه كلغـــه رسمية. على أن العناصر الأوربية لا تقتصر على ذوى الأصول الانجليزيـــة أو الهولنديه فحسب، فهناك ذوو الأصـول الفرنسـية، والإيطاليـــة، واليونانيـــة، وغيرها. وبعدما يزيد على نصف قرن من تكوين الاتحاد أى فى عــــام ١٩٦١ انسحب الاتحاد من الكمنولث البريطانى فى مارس من ذلك العام، وألغى منصب ممثل بريطانيا، وأعلنت جمهورية فى آخر مايو من العام المذكور. هـــذا وقــد استولى الحزب الوطنى (حزب الافريكانرز(*)) على الحكم منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن. وهو المسئول عن المجتمع المقسم وسياسة العزل الاجتماعى *Aparthied* السائدة هناك.

ثالثا : الملونون : ويقصد بهم العناصر الملونة التى نتجت عن اختــــلاط الأوربييـــن بنساء الهوتنتوت ونساء الرقيق الذين جلبوا من غربى إفريقيـــه وشــرقيها

(*) معظمهم من ذوى الأصول الهولاندية، ويقصدون بهذا اللفظ أنهم هم الإفريقيون.

فضلا عن الملايو، وكان هذا من الأمور العادية فى بداية الاستيطان، نظـــرا لأن الهجرات الأوربية كانت فى معظمها ذكريه حتى لقد قدر أنه فى السنوات الأولى للاستيطان الأبيض ما بين عامى ١٦٥٢، ١٦٧٢ كان حوالـــى ٧٥% من الأطفال الملونين من أمهات من الرقيق وأباء من البييض. ولم يتوقـــف الاختلاط فيها بعد، وإن كانت القيود قد زادت منذ القرن التاسع عشر. ويعيش ما يقرب من ٩٠% منهم فى ولاية الكاب يعملون بالزراعـــة، وكعمـــال فـــى المصانع فضلا عن الخدمة المنزلية لدى البيض.



رابعا: الآسيويون أو الهنود : وبدأوا يتوافدون على جنوب إفريقيه وعلى اقليم ناتـــال بصفة خاصة منذ عام ١٨٦٠، حينما بدأ المستوطنون زراعة قصب الســـكر وعجزوا عن تشغيل البانتو، غير أن الهنود استقدموا عائلاتهم فيمـــا بعـــد،

وعملوا مراراً بعد إنهاء العقود ، أما فى المزارع أو المصانع أو المتاجر. وبدأوا يتحولون أيضا إلى ملاك للأراضى، وحينما أحس المستوطنون بمنافستهم وعرض عليهم العودة إلى الهند ومكافأتهم ولكنهم رفضوا.

مابين الأبيض والأسود :

منذ هبوط الرجل الأبيض أرض جنوب إفريقيه ليستقر فى هذه البلاد الثرية وهو ينظر إلى الإفريقى الأصلى نظرة السيد إلى العبد يفرض عليه سطوته، وبدأ منذ عام ١٩١١ - حتى عام ١٩٤٨ بسبب القوانين، ليتحول النظام العنصرى من ايديولوجية إلى نظام سياسى له قوانينه، أى يقنن ما فعله طول ثلاثة قرون، فكان قانون الأرض عام ١٩١٣ ليمنع ملكية الأسود من رض، وليحولهم إلى عبيد وإجراء للرجل الأبيض، مالك كل شئ.

ونظر المستوطنون البيض الذين يسيطرون على مقدرات البلاد فى جنوب إفريقيه بأسى بالغ إلى ذلك التطور الذى لحق على نسبة الزيادة بينهم وبين العناصر غير البيضاء وخاصة البانتو، فقد كانت هذه النسبة عام ١٩٢١ هى: ١: ٣,٦، وبلغت ١,٠: ٤,٢ عام ١٩٥١، ثم قفزت إلى ١: ٤,٦ عام ١٩٧٠ وهكذا ومع وصول الحزب الوطنى عام ١٩٤٨ (حزب معظمه من الافريكانرز المتعصبين ، قام باصدار سلسلة من القوانين العنصرية التى حرمت الافريقى بالكامل من الملكية والحكم والتعليم التصويت فى الانتخابات ، غير أن أهمها جميعا فكرة الابارتهيد *Aparthied*، وكان مهندسه هنريك فيرفورد.

واعتبر الحزب الوطنى أن أى مشاركة للعناصر غير البيضاء فى الحكم، معناه انتقال السلطة تدريجيا من أيدى المستوطنين إلى الافريقيين، وكون جمهورية جنوب أفريقيه تتكون من عناصر متعددة من الناحية السلالية ليس معناه بالضرورة قبول مجتمع تذوب فيها الحواجز بين الجماعات، من ثم كانت فكرة الابارتهيد، وهى كلمة بلغة الافريكانرز معناها الفصل بين المجتمع الأبيض وغير الأبيض فصل اجتماعى وسياسى واقتصادى، ولكنه فى الحقيقة نوع من التفرقة العنصرية والرغبة فى أن تظل السلطة فى أيدى الأقلية البيضاء كما قال رئيس وزراء جنوب إفريقيه عام

١٩٦٣ "عن الهدف الأساسي لسياسة الأبارتهيد عند ردها إلى أبسط أشكالها ليست إلا أننا نريد جمهورية جنوب إفريقيه بيضاء وبقاؤها لا يمكن أن يعني شيئا واحدا وهو السيطرة البيضاء، وإذا كنا متفقين بأنه ينبغي أن يتمكن الرجل الأبيض من الاستمرار في حماية نفسه بواسطة الاحتفاظ بالسيطرة البيضاء ، فإننا نقول أن هذا يمكن تحقيقه من خلال التطور المنفصل".

اعتماد التنمية الاقتصادية على العناصر غير البيضاء :

ولكن رغم خوف الجماعات البيضاء من العناصر غير البيضاء ورفضهم من الناحيتين الاجتماعية والسياسية فإنهم يرغبونهم من الناحية الاقتصادية، وإذا كانت الحساسية اللونية والتفرقة العنصرية قديمة في الاقليم بحيث نص عليها في دستور ١٨٥٦ الخاص بالترانسفال، فإن هذه المسألة مرت دون نص عندما تكون الاتحاد عام ١٩١٠، على اعتبار أن المشكلة الأساسية كانت بين ذوى الأصول الإنجليزية والهولنديه وقتئذ ، وقد حلت بين المجوعتين من البيض بانتهاء حرب البوير، أما العلاقة بينهما وبين الجماعات غير البيضاء فستكون الخطوة التالية. ولكن الحقيقة أن هذه المشكلة لم تأخذ شكلا حادا إلا منذ استولى الحزب الوطني.(البوير) على الحكم منذ عام ١٩٤٨ ووجهت القوانين والإجراءات لتحقيق هذا الفصل كما ذكرنا، ولكن التطور الاقتصادى لجنوب إفريقيه كان يعمل في اتجاه مضاد نحو جمع البيض وغير البيض معا.

فإذا كانت التنمية الاقتصادية لجنوب إفريقيه قد بدأت باكتشاف الماس عام ١٨٦٧، والذهب عام ١٨٨٦ ،فإن قيام قاعدة اقتصادية عريضة لم تعرفه جنوب إفريقيه إلا منذ نشاط الصناعة خلال الحرب العالمية الأولى، بحيث زادت القوى العاملة في الصناعة بنحو ٧٧% في خلال فترة ١٩٣٣/١٩٣٩، وزاد عدد العاملين في الصناعة لأول مرة من العناصر غير البيضاء إلى١٤٣ ألف نسمة وكان من قبل ٩٣ ألف نسمة.

وكانت الحرب العالمية الثانية بمثابة دفعة كبرى في التنمية الاقتصادية حيث اكتشفت مناجم جديدة للذهب، وتطورت الصناعة ونمت القوى العاملة في القطاع النقدى نموا

كبيرا حتى بلغت ٥,٧ مليون نسمة عام ١٩٦٠، ولكن ٨٠% من هذا العـــدد علـــى الأقل كان من العناصر غير البيضاء ، و٢٠% فقط من العناصر البيضاء ممـــا يـــدل على مدى المساهمة والمشاركة فى القطاع الاقتصادى الحديث، ويختلف مدى هـــذا التداخل والمشاركة من إقليم إلى إقليم، بينما نجدها وقد بلغت مدى بعيداً فى المـــدن التى نمت وتضخمت، فانها تتضاءل فى المعازل حيث يمارس الاقتصـــاد التقليـــدى، وتصبح وسطا فى مزارع المستوطنين.

ثلاث قطاعات :

وهكذا نجد جنوب إفريقيه وبه ثلاث وحدات أساسية فيما يختص بالابرتهايد ومن هنا لابد من تقسيم جنوب إفريقيه إلى قطاع ابيض ويضم المـــدن الرئيســـية والمـــزارع الأوربية من ناحية ثم خمسة معازل للبانتو من ناحية أخرى. ففى هـــذه القطاعـــات دارت وتشابكت الصراعات واصطدمت القوى السياسية والاقتصادية.

أولا : الابرتهايد فى المراكز الحضرية :

عاش نحو نصف سكان جمهورية جنوب إفريقيه فى المدن التى نمت نمـــوا كبـــيرا نتيجة للتقدم الصناعى ويعيش ثلثى سكان الحضر فى الثمان مدن الكـــبرى كيبتـــاون (٢,٥ مليون) دربان (١,٧ مليون) بورت اليزابث فيل (١,٥ مليـــون) بريتوريـــا، جوهانسبرج (٢,٥ مليون)، بلمفتنين، بيتر مارتسبرج (٧٠٠ الف)، إيست، لنـــدن، كمبرلى، فى مثل هذه المدن تظهر مشكلة العلاقة بين السلالات بصورة حـــادة فـــهى مشكلة قرب كل سلالة من الأخرى، وهى مشـــكلة التكيـــف الاجتمـــاعى لجماعـــات حضارية مختلفة، ومشكلة المنافسة بين الجماعة والأخرى علـــى فـــرص العمـــل، وتختلف درجة الحضرية فى كل مجموعة، فيضم الحضر ٨٤% من البيـــض، ٨٣% من الآسيويين، ٦٨% من الملونين، ٣٢% من البانتو، ولكن الظاهرة السائدة بينـــهم هى اشتراك الجميع فى سرعة التحرك إلى المدن خلال الربع قرن الأخير، ويعتبر هذا التحرك إلى المدن بالنسبة للبانتو ثورة اجتماعية شبيهة بما حدث لدى أقربائهم فـــى إفريقيه المدارية، والمشكلة بالنسبة للبيض هو أن العناصر غير البيضـــاء أصبحـــت تمثل ٦٥% من سكان الحضر بوجه عام ، ويحس الأبيض أنه فـــى معقلـــه وفـــى

مجتمعه الصناعى أصبحت النسبة بينه وبين غير الأبيض هى ١: ٢ وسوف تزيد فى المستقبل. ومن بين هذه العناصر غير البيضاء، يبرز البانتو كعنصر سائد.

أما الآسيويون الذين يزيدون على ٣ مليون نسمة فيعيش ٨٨% منهم فى ناتال، بل أكثر من نصفهم بقليل فى دربان، وبيترمارتسبرج وحدهما. وقد لوحظ ازدياد مشاركة الهنود فى أعمال الحضر، حيث اثبتوا وجودهم فى التجارة ، والنقل وأعمال الخدمات والصناعة وأدى هذا إلى إصدار القوانين التى تحد من نشاطهم التجارى، وحركتهم فى كل من ناتال والترتسفال وذلك خشية منافستهم التجارية، وسكناهم مناطق الأوربيين وخاصة فى دربان.

ويعيش ٨٨% من الملونيين فى ولاية الكاب كما ذكرنا، بل أن أكثر من ربع هذا العدد يعيش فى مدينة كيبتاون، هؤلاء بدورهم ارتفعت نسبة من يعيش منهم فى المدن إلى ٦٨%، ويعمل ربع الملونين فى الزراعة والتعدين، وربع آخر فى الصناعة والبناء ٣٦% فى التجارة والنقل والخدمات، والباقى إما عاطل وأما غير مميز الحرفة، غير أنهم يسودون فى بعض الصناعات فى ولاية الكاب مثل صناعة الأحذية والملابس والأثاث.

سياسة الحكومة اتجاه التعدد السلالى فى المدن :

رغم هذه الحقائق التى ذكرناها عن طبيعة المركب السلالى فى المدن، فقد هدفت السياسة الحكومية إلى منع التكامل والترابط بين أجزاء ذلك المجتمع المركب، فالعناصر غير البيضاء لا تمثل فى المجالس، كما لا تمثل فى البرلمان. وتعمل تشريعات الحاجز اللونى على تجنب بعض الحرف الفنية للبيض، وتعترف الحكومة باتحادات التجارة الخاصة بالبيض والملونيين والآسيويين، ولكنها لا تعترف بأية اتحادات للبانتو. والاختلاط بين هذه العناصر من الناحية الاجتماعية محرم إلا بتصريح من الحكومة، ولا يوجد تشجيع على الإطلاق بالاختلاط حتى فى المجتمعات العلمية والثقافية، فهناك جامعات للبيض، وأخرى للجماعات غير البيضاء.

هجرة البانتو إلى المدن :

وهذه كانت على مرحلتين: الأولى فى البداية نتيجة الطلب عليهم للعمل فى مناجم

الذهب والماس، وكان هؤلاء يمثلون هجرة مؤقتة ذكرية فى معظم الأحوال يعيشـون حول المناجم ثم يعودون إلى أوطانهم أما بصفة دائمه أو مؤقتة حسب الظروف. وقد ظهر فى عام ١٩٨٥ أن هناك نحو نصف مليون من البانتو يعملـون فـى منـاجم الذهب. وليس من أجل هؤلاء العمال المؤقتين تتخذ إجراءات منع التدفق إلى المدن. والثانية نتيجة زيادة النمو الصناعى ونمو الخدمات بدأت مرحلة جديدة فـى هجـرة البانتو، وذلك للحد من تدفقهم.

قوانين ضد البانتو فى المدن :

من هذه القوانين أنه لا يسمح بالإقامة الدائمة فى المدن لا للبانتو والمولودين فـى المدن، واستمروا فى الحياة فيها، أو الذين استمروا فى العمل فـى المـدن عشـر سنوات دون انقطاع أو كانت إقامتهم قانونية فى المدينة لمدة خمسة عشـر عامـا. وهذا للحد من إقامة العمال المؤقتين، ولكن هذه الحقوق أصابها تعديل عـام ١٩٦٤ بمقتضى قانون البانتو، والذى يقرر "أن جميع البانتو الذين يعيشون فى اقاليم البيض يعتبرون الآن قائمين بصفة مؤقتة، وأن مواطنهم الدائمة هى فى معازل الوطنييـن، وأنه يجوز إجبارهم على الرجوع إليها، إذا ما تعطلـوا عـن العمـل، أو ثبـت أن وجودهم غير مرغوب فيه. وقد ثبت أن هذه الإجراءات قد قللت من نسبة البانتو فى الثلاث مدن الرئيسية جوهانسبرج وكيبتاون ودربان وخاصة فى كيبتاون حيث بـدأت سياسة إتاحة فرص العمل أمام الملونين أكثر من البانتو، ولكن بصرف النظر عـن هذه الإجراءات التى تحاول الحد من هجرة البانتو إلى المدن، فإن الزيادة الطبيعيـة للبانتو داخل المدن تجعلهم فى نمو مستمر. ويرجع هذا إلى عدة عوامـل رئيسـية منها الزيادة المستمرة فى إناث البانتو فى المدن، وبالتالى انخفاض نسبة الذكور إلى الإناث ، وهذا لا يعكس فقط اتجاه الهجرات الأسرية إلى المدن فحسب، بـل يشـير أيضا إلى طبيعة القوانين التى تحد من هجرة البانتو الذكور ولا تنطبق على الإنـاث. مما أدى إلى تطبيقه أيضا على الاناث فى جوهانسبرج. وقد أثبتت الدراسة أنه لـو استمرت هذه القوانين، فان الصناعة لن تجد حاجتها من الأيدى العاملة فى المستقبل

وهكذا ظهر التناقض فى المجتمع الصناعى المتطور فى جنوب إفريقيه حيث اشـتدت الحاجة إلى خدمات البانتو، وتعمل القوانين فى اتجاه معاكس.

ثانيا : البانتو فى مزارع المستوطنين :

تشغل أراضى المستوطنين البيض بمقتضى قوانين الأراضى العامـة ١٩١٣، ١٩٢٦ نحو ٧٥% من مساحة جنوب إفريقيه باستثناء معازل الحيوان والغابات بينما تشـغل أراضى الوطنيين سوى ١٣% من مساحة البلاد.

وتعتبر مزارع البيض هى المسئولة عن معظم الإنتاج الزراعى والحيوانى النقدى فى جنوب إفريقيه، ولكن العناصر الملونة والبانتو فى نفس الوقت هى المسـئولة عـن العمل فى هذه المزارع. وقد بلغ مجموعة اليد العاملة منها نحو ٧٥٠ ألـف نسـمة عام ١٩٧٠ (باستثناء خدم المنازل والعمال المؤقتين) ويبلغ نصيب البانتو وحدهـم نحو ٩٠% والباقى من ملونى الكاب.

وقد ثبت أن زيادة الإنتاج الزراعى والحيوانى فى المزارع الأوربية قد صاحبه نقـص فى عدد المزارعين الأوربيين، وزيادة فى عدد العناصر غير البيضاء، معظم المزارع التى هجرتها أصحابها من البيض كانت فى المراعى الجافة فى الغرب، وأقاليم الـذرة فى الشرق، وأقاليم القمح فى الجنوب والجنوب الغربى. ويرجع هذا إلى تدخل عـدة عوامل طبيعية واجتماعية واقتصادية تعكس تغير ظروف الإنتاج الزراعى فى جـهات أخرى من العالم حيث أدت زيادة الإنتاج وترشيد الزراعة إلى خروج الأراضى القليله الإنتاجية من الميدان.

وهذا معناه فى النهاية زيادة دور البانتو والملونين فى المسـاهمة فـى الاقتصـاد الريفى، كما سبق أن رأينا فى اقتصاد المراكز الحضرية، بل أن هناك ما يقرب مـن نصف مليون من البانتو يأتون جمهورية جنوب إفريقيه من خارجها، وهذا معنـاه ان اقتصاد البلاد لا يمكن أن يستغنى عن جهود العناصر غير البيضاء.

ثالثا: معازل الوطنيين Native Reserves أو البانتو ستان :

نص قانون تطوير الحكم الذاتى للبانتو عام ١٩٥٩ على التجميع التدريجى لـ ٦٤ معزلا أفريقيا متفرقة فى عشر وحدات قومية تتطور فى المستقبل إلى أوطان تمارس

الحكم الذاتي، كما ينص هذا القانون على أن يكون لكل أفريقى من مواطنى جنـــوب إفريقيه وطنه القومى على أن يعد عاملاً مهاجرا فى بقية أنحاء البلاد التــى تعتــبر منطقة بيضاء ولما كان الملونون والآسيويون ليست لهم أوطان فقــد فــرض ذلــك قبولهم كمقيمين دائمين فى المنطقة البيضاء.

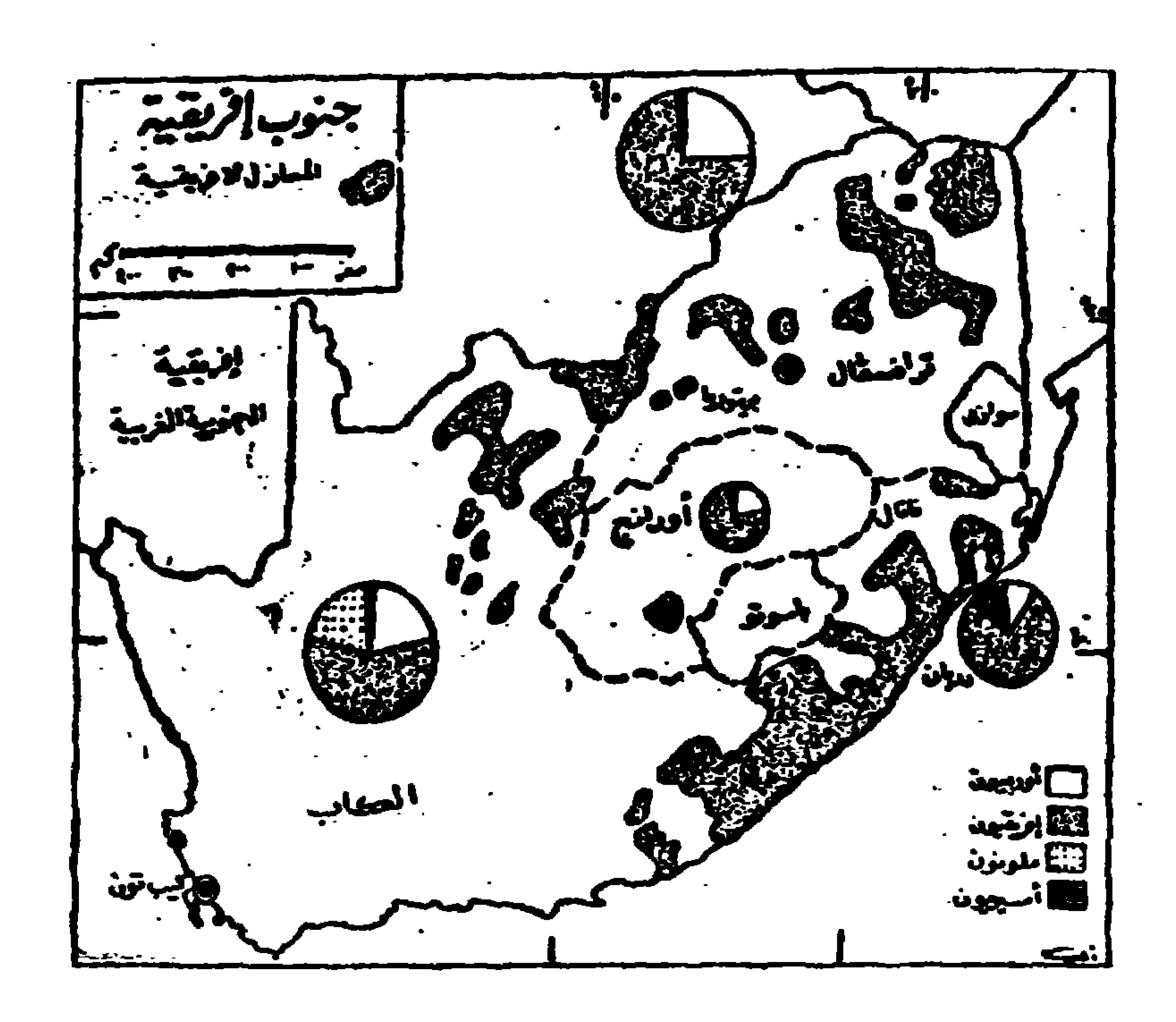
وحجة الحكومة فى هذا أنها ترغب فى أن تحتفظ لكل من وحــدات البــانتو القبليــة بأرضها التى ترتبط بها تاريخيا. والوضع المنطقى - عند الحكومة - أنها ما دامــت هناك مناطق مخصصة للبانتو تحفظ فيها الحكومة حقــــهم التــاريخى، فــلا بــد أن تخصص أيضا للبيض مناطق تحفظ لهم فيها حقوقهم، وإذا عرفنا منـــاطق المعــازل وجدنا أنها أفقر جهات جنوب إفريقيه تربة وأكثرها تعرية وأقلها مطرا وخالية مــن الثروة المعدنية ولا تمثل أكثر من ١٣% من مساحة البلاد، والغرض من هذا العــزل الاجتماعى هو حصر الافريقيين فيها خوفا من طوفان الافريقى الأســود. ويجــب أن نشير إلى أن هذا العزل عزل جزئى حتى يمكن الحصول من هــــذه المعــازل علــى حاجتهم من الأيدى العاملة كما رأينا، خاصة وأن هذه المعازل المزعومة لا يمكن أن تعول هذه الأعداد الضخمة فتصبح بذلك مستودعا للعمل الرخيص. وقد انتهي هــــذا العزل الاجتماعي بعد الحصول على الاستقلال وموافقة البرلمان عــام ١٩٩٤ علــى المساواة، وتولية مندلا رئاسة الدولة في مايو ذلك العام.

دولة ترانسكاى موطن الاكسوزا :

فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٦ أعلنت حكومة جنوب أفريقية قيام ترانسكاى فى حفل رســمى فى مدينة أومتاتا العاصمه. وهذه الدولة الجديدة هى أول بانتوستان مــن بيــن دول البانتو العشر التى رأت سلطات جمهورية جنـــوب إفريقيــه اعطائـــها نوعــا مــن الاستقلال. الغرض الأساسى من اعلان استقلال هذه الدويلات هو امتصاص سياســة الاستنكار الدولى للتفرقة العنصرية، وأن البيض لا يسعون إلى التحكم فى الافريقييــن وأنهم يتركونهم يعيشون حياتهم الخاصة، ولكن ما هى مقومات هذه الدولة الجديــدة والدويلات المزمع إنشائها كلها بطبيعة الحال ستسير فى ركب حكومة جنوب إفريقيه وفى أعقابها كانت دولة بوبهو تسوانا (١٩٧٨) بعاصمتها صن سيتى ثــم سيســكى

القزمية والتى يشغلها الفندا عام ١٩٨٢، وقد علق الباحثون على هذا الوضع بقبولهم أنه الاستعمار المستأنس *Domestic colonization*.

شكل رقم (٩٦) : المعازل الإفريقية فى جمهورية جنوب افريقيه



هبوب رياح التغيير :

ظل الحزب الوطنى (حزب الافريكانرزر المتعصب) فى السلطة منذ عام ١٩٤٨ حتى علم ١٩٩٤، أى مدة ٤٦ عاما، مطبقا نظامه العنصرى حتى تولى نلسون منديلا زعيم حزب المؤتمر الوطنى الافريقى رئاسة الدولة لأول مرة، فكان أول افريقى يعتلى سلطة الحكم منذ أكثر من ٣٠٠ عام !! على أن الأمر لم يأت فجأة، فقد كانت هناك ظروف متعددة أحاطت بالنظام العنصرى وحاصرته بحيث أصبح مخرجه الوحيد هو الاعتراف بحقوق مساوية لحقوق المستوطنين وأهمها:-

أولا: منذ الثمانينات اشتد علو صوت الدول الإفريقيه، والتى كانت مشغوله من قبل بازالة الاستعمار، فبدأت كجبهة واحدة للتحدى الأخير، واستطاع حزب المؤتمر الوطنى (ANC) المنفى خارج البلاد أن يتسلل إلى داخل البلاد من الدول المجاورة، واستطاع بالمساعدات الدولية أن يحرك مشاعر كثير من الحكومات وشعوبها للوقوف إلى جانب قضيته وأصبح اسم نلسن مانديلا فى الخارج رمزا لمقاومة السود، بعد أن كان مجهولا فى الستينيات والسبعينيات.

ثانيا: كان توقيت اعلان استقلال معزل كوازولو *Kwazulu* موطن شعب الزولو، أكثر شعوب جنوب إفريقيه عددا واقواها شكيمة ورفض شعب الزولو هذه المنحة، فقد عارض زعيمهم منجستو بوتوليزى هذا الوضع وقام الزولو بأعمال العنف مما أنذر بخطورة الوضع.

ثالثا: ان اقتصاد جنوب إفريقيه فى ذلك الحين لم يكن فى أحسن أحواله كما كان من قبل، ذلك أن ارتفاع أسعار البترول، وفقر جنوب إفريقيه فى هذا المورد، وفى نفس الوقت كان هبوط أسعار الذهب والصادرات الأخرى مما أدى إلى توقف كثير من المشروعات.

رابعا: أوقفت كثير من الحكومات والشركات التعامل مع حكومة النظام العنصرى والمثل واضح فى كثير من دول غرب أوربا التى قطعت علاقاتها التجارية مع النظام.

وظهرت نتائج هذا جميعه على جنوب إفريقيه فى مظاهر شتى، منها أنه حتى فى ظل قطاع البيض بدأ التساؤل عن مستقبل الابرتهايد والتنمية المنفصلة، فبدأ خفوت التمييز العنصرى الذى كان شديدا فى الخمسينيات، وفتحت الفنادق الكبرى فى المدن أبوابها لجميع الجنسيات، وبدأت تختفى يافطات للبيض فقط، من مقاعد الحدائق ومحطات السيارات.

هذا فضلا عن التخطيط ليصبح جميع المقيمين من مواطنى جنوب إفريقيه، وهؤلاء الذين يعيشون فى المعازل التى استقلت لهم جنسية مزدوجة، ولكن هذا التخطيط الضخم لسياسة الفصل العنصرى لا يمكن القول بأنه انمحى بين يوم وليلة فالحزب

الوطنى الحاكم (الافريكانرز) بدأ يواجه معارضة من جانب جبهة المحافظين التى كان مبدؤها الأساسى هو مواجهة الضغوط داخلية وخارجية ضد السياسة الجديـــدة وزاد انتشار هذا الفريق بعد أحداث العنف التى شهدتها البلاد، فيتركز معظم اعضائه فـــي المدن الصغيرة والمزارع الصغيرة فى أورانج والترنسفال، أى معقل البوير الأوائــل، وحيث قامت أعنف حرب فى جنوب إفريقيه بيـــن الـــهولنديين والانجلـــيز (١٨٩٩/ ١٩٠٣).

بدأت أول خطوات إنهاء النظام العنصرى عام ١٩٨٩ حين أعلن الرئيس بوثا رئيـس جنوب إفريقيه فى ذلك الحين حق المساواة بين جميع مواطنى البلاد حتـــى الســـود، وبدأت مفاوضات سرية نحو ثلاث وسنوات مـــع الســـجين مـــانديلا (ســـجن لمـــدة ٢٨عاما). واقتيد السجين مانديلا لمقابلة الرئيس بوثا عام ١٩٨٩. وبـــدأت عمليـــة الاصلاح التى استغرقت نحو خمس سنوات حتى اتخذ إجراء انتخابـــات حـــرة عـــام ١٩٩٤، وفى فترة الخمس سنوات اتخذت حكومة بريتوريا سلسلة مـــن القـــرارات انهت نحو نصف قرن من الفصل العنصرى ، فالغت جواز المرور والذى بسببه مـــات ٧٠ شخصا فى يوم واحد فى مظاهرات شاربفيل عـــام ١٩٧٦ وســـمحت الحكومـــة بالزواج من الاعراق المختلفة وأصدرت قوانين للحد من قانون الفصل فى السكن.

فى اغسطس ١٩٨٩ انتخب فريدريك دى كليرك رئيسا خلفا للرئيس بوثا فأفرج عـــن المسجونين السياسيين وعلى رأسهم نلسن مانديلا عام ١٩٩٠، ورفع الحظـــر عـــن حزب المؤتمر الوطنى والأحزاب الأخرى. واستمرت المفاوضات ثلاث سنوات أخرى، وفى ١٨ نوفمبر ١٩٩٣، كان قرار إنهاء سياسة الفصل العنصرى تمامـــا، ومنـــح الأسود حق التصويت والمشاركة مع الرجل الابيض وصدر الدستور الجديد المؤقـــت كأساس لبناء المجتمع الجديد، وأخيرا انسحب الحزب الوطنى من الســـلطة، وتولـــى الافارقه السلطة، وترأس زعيمهم منديلا حكم البلاد بعد انتخابـــات ابريـــل ١٩٩٤، وكان منديلا من الفطنة والحكمة لأنه أشرك الحزبين الكبيرين الآخرين فى حكومـــة انتلاقية مع حزب المؤتمر الوطنى، وعين منجستو بوتوليزى وزيرا للداخلية(حـــزب

إنكاثا) كما اتخذ من دى كليرك الرئيس السابق وزعيم الحزب الوطنى النائب الثـــانى للرئيس .

تحـــــــديـــــات :

إذا كان النضال الوطنى للقضاء على التمييز العنصرى قد اقتضى استشـــــهاد الالآف المؤلفة من الافارقة، والسجن المعنوى، والحمـــاس السياســـى، فـإن بنـــاء نظـــام ديمقراطى متعدد السلالات واقتصاد قوى يقتضى التريث والحكمة.

١- فهناك كيفية الاستجابة المشروعة لتطلعات أغلبية طال حرمانها مـــن الحقـــوق الدنيا لحياة كريمة، حقيقة ان دخل الافريقى فى المتوسط هـــو عشـــر الدخـــل الفردى للبيض، وأن ٧ ملايين أفريقى يعيشون فى عشش من صفيح أو كرتـــون، كما أن ١٢ مليونا محرومين من الماء النظيف والكهرباء والرعاية الصحية هذا فضلا عن انتشار الأمية بين ٨٠% من الافارقة، وعدم تدريبهم مـــهنيا، ولكـــن انتقال مقاليد السلطة السياسية إلى الاغلبية السوداء لا يعنى انتقـــال الســـيطرة الاقتصادية تلقائيا من الأقلية البيضاء إلى حكومة الأغلبية ا، ولن تنتهى بين يوم وليلة القبضة القوية للأقلية البيضاء التى تمثل نحو ١٤% مـــن الســـكان علـــى مقدرات الاقتصاد وسيطرتهم على ٩٠% من الأراضى، ٩٠% من الاســـتثمارات والمشروعات، ويهدف برنامج حكومة حزب المؤتمر الوطنـــى إلـــى انفـــاق ٢٧ ملياردولار لتضيق تلك الفجوة العميقة بين البيض والسود.

٢- الاستقرار السياسى : فما زال هناك متعصبون من البيض والذين لا يرضون بما حدث من تطورات، بل إن الحزب الوطنى نفسه أعلن دى كليرك زعيمه الانسحاب من الحكومة الائتلافية عام ١٩٩٦ لأن الدستور الجديد يلغى المشاركة فى إتخـــاذ القرار على حد قوله عند إجراء الانتخابـــات عـــام ١٩٩٩، ويـــرى أن تكـــون القرارات بالاجماع لا الأغلبية وفى معسكر الافارقة ذاتهم نجـــد الزولـــو الذيـــن يسعون نحو حكم فيدرالى، ويعتمدون على العنف، وهو أمر رفض تمامـــا لأنـــه سيكون فاتحة لمطالب القبائل أو الشعوب الأخرى.

٣- ضبط والتحكم فى أعمال العنف التى تظهر من الأطراف المختلفة التـى تحـاول افشال النظام الجديد سواء من جانب البيض أو الافارقة.

٤- التنمية الاقتصادية، وتحاول الحكومة الجديدة أن ترتفع بنمـو النـاتج المحلـى الاجمالى بمقدار ٦% سنويا، وجـذب الاسـتثمارات الأجنبيـة، وتوفـير الآف الوظائف وإعادة هيكلة القطاع العام.

الاقاليم الزراعية فى جمهورية جنوب إفريقيه

الـفـلـد الأعـلـى :

أكثر الاقاليم أهمية بالنسبة لمزارع المستوطنين فى جنوب إفريقيه ويتراوح ارتفـاع السطح بين ١٠٠٠و ٢٠٠٠ متر كما يتراوح مطره بين ٥٠ سم، ٧٥ سم غـير أن ما يميز من الناحية المناخية أنه لا يشهد فترات جفاف أثناء موسم المطر ولما كان مطر الاقليم صيفيا، فان نسبة الضائع بالبخر كبيرة، وتغطى الفلد الأعلى المراعى فى معظمه، ولكنه يضم أيضا ثلاثة أرباع المساحة المزروعة فـى جمهوريـة جنـوب إفريقيه ولما كانت الحشائش تمثل مرعى جيد للضأن، فقد جلب البوير منذ وصولـهم للاقليم أغنام المارينو للحصول على أصوافها كما تربى الأبقـار للحومـها وألبانـها وذلك لامداد اقليم الراند بحاجته، والمشكلة الأساسية التى يواجهها مربو الحيوان فى هذا الاقليم هى كيفية توفير الغذاء للحيوان خلال الشتاء.

والذرة العريضة هى المحصول الزراعى الأساسى فى الاقليم الـذى اشـتهر بمثلـث الذرة *Maize Triangle* الذى تحدد رؤوسه: ما فكنج كارولينا، لأدى براند، ففى هـذا المثلث تعتبر الظروف مناسبة لزراعة الذرة من أرض شبه مستوية ومطـر كـافى، وتربة وإن كانت ليست شديدة الخصوبة، ولكنها فوق المتوسـط بالنسـبة لجنـوب إفريقيه. ويكفى هذا الاقليم أنه ينتج ثلثى الذرة العريضة فى البلاد، ولكننا نسـتدرك ونقول بأن لفظ مثلث الذرة ليس صحيحا تماما، ذلك أن المسـاحة المزروعـة ذره داخل هذا المثلث لا تتعدى نسبيتها ١٥%، كما أن الذرة لم تعد غلته الوحيـدة، بـل دخلت الزراعة المختلطة والدورة الزراعية ولاتقاس إنتاجية الأرض هنا بالمنـاطق

المنتجة للذرة فى العالم، فانتاجية الفدان هنا ربع إنتاجيته فى أرجنتين. ولا تستهلك جنوب أفريقيه سوى نصف الإنتاج، والباقى يصدر إلى الخارج. ويزرع فى الاقليم بعض الحبوب مثل القمح كمحصول شتوى حيث يقدم الاقليم ٣٠% من إنتاج البلاد فضلا عن الشوفان والبطاطس. وتزرع الذرة الرفيعة فى غربى الاقليم حيث يقل المطر.

البوشفيلد :

ويمتد معظمه فى ولاية الترانسفال، ويتميز الاقليم بتموج السطح، وان كان متوسطه العام لا يزيد على الألف متر، وكان لانخفاض السطح فضلا عن الموقع إلى الشمال مما يرفع من حرارته، كما أن أمطاره أقل وتدور حول ٥٠٠ سم، وتربية الماشية هى المظهر الرئيسى لاستخدام الأرض، وتقوم الزراعة حيث وسيلة الرى، فيزرع القطن والذرة العريضة والتبغ، وتعتبر الترانسفال أكبر منتج فى جنوب إفريقيه، كما أنها منتج رئيسى للحمضيات. وخصصت مساحات صغيرة منه لمعازل الافريقيين.

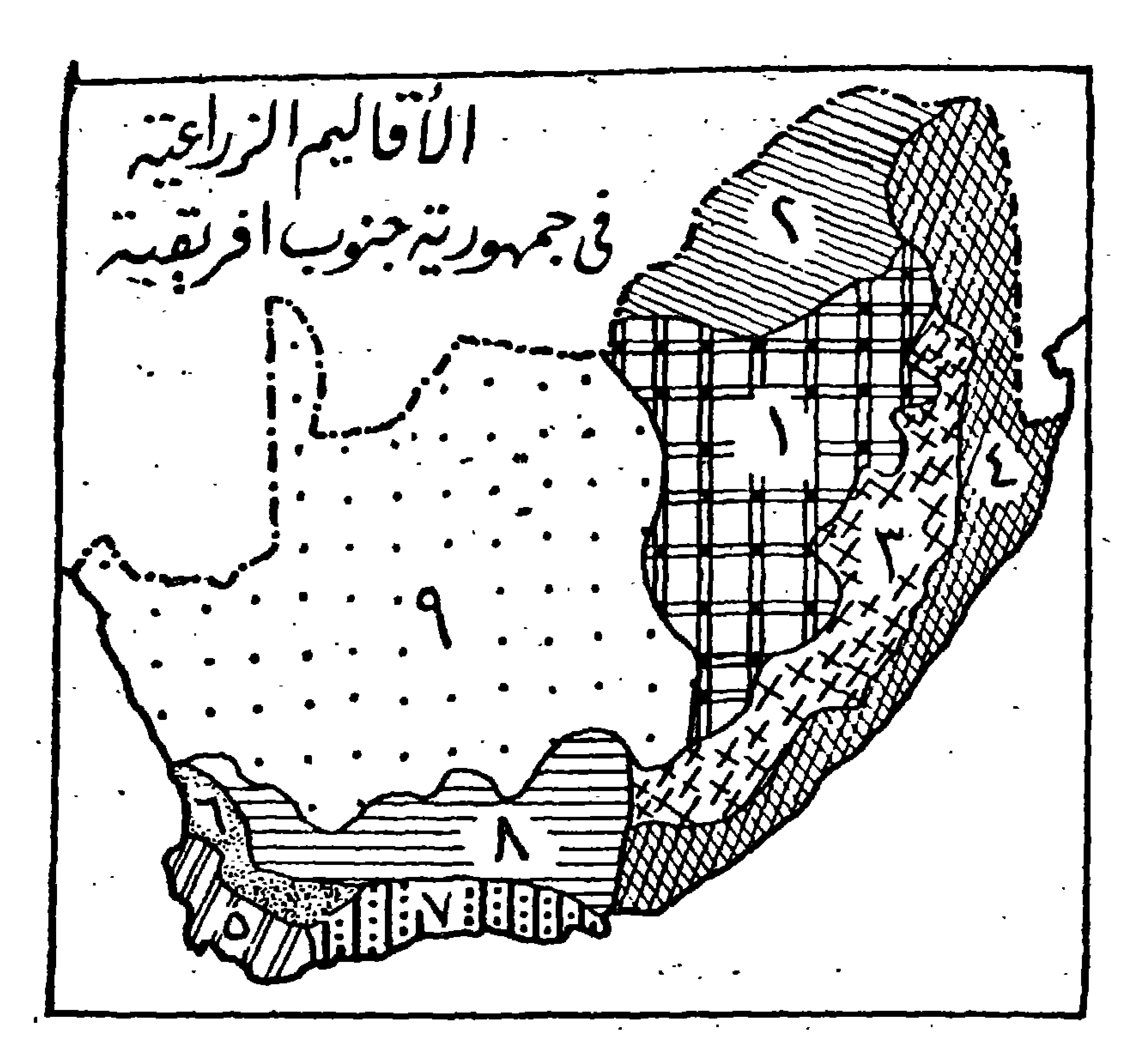
سفوح المرتفعات الشرقية :

تقع شرق المرتفعات الشرقية بين سوازيلاند فى الشمال ونهر فيش فى الجنوب على ارتفاعات تزي علي ٧٠٠ متر، وهنا تظهر معوقات متعددة للزراعة منها تقطع السطح بواسطة الأودية النهرية العميقة، لذلك فهناك أهمية خاصة للأراضى الوسطى فى ناتال إلى الشمال والجنوب من بيترمارتسبرج فضلا عن بعض الأحواض النهرية، أما المطر فيزيد على ٧٥، سم وإن كان فصل الجفاف يطول الشتاء إلى أربعة شهور. وكان لغزارة المطر وانحدار السطح أثره فى جرف التربة وغسلها مما جعل قيام الزراعة أمرا عسيرا، وجعل هذا الاقليم لا يضم سوى ١٠% من مساحة الأرض المزروعة فى إفريقيه رغم وفرة المطر، وفى المساحات التى خصصت معازل للافريقيين يقوم الأهالى بتربية أنواع رديئة من الحيوان، ويمارسون شيئا من زراعة الاكتفاء الذاتى. أما فى مزارع الأوربيين فتربية ماشية اللحم والألبان هى المظهر الرئيسى. وقام المستوطنون بمحاولات لاستنبات حشائش جديدة فضلا عن زراعة الذرة العريضة لدى المستوطنين والذرة الرفيعة لدى الافريقيين. ومما يميز

هذا الاقليم أنه المنتج الأساسى للحاء الواتل الذى يستخدم فى الدباغة ويزرع شجره،أما فى المزارع الخاصة أو فى مزارع واسعة على ارتفاعات بين ٧٠٠م، ١٣٠٠م.



شكل رقم (٩٧) : الأقاليم الزراعية فى جمهورية جنوب افريقية



السهول الساحلية الشرقية :

ويسودها مناخ شبه مدارى ويزيد مطرها على ١٠٠ سم، ورغم انخفاضها تضاريسيا عن المرتفعات الشرقية، فليس معنى هذا أنها سهلية تماما. وتحتل معازل الافريقيين مساحات لا بأس بها منها. وقصب السكر هو سيد الغلات فى هذه السهول حيث تمتد مزارعه على مدى النظر لمسافة ١٠٠ ميل جنوب دربان وشمالها، ويعوق التوسع فى زراعته انخفاض الحرارة فى الجنوب، وقلة المطر فى الشمال،

ورغم زيادة استهلاك السكر فى البلاد، فهناك فـــائض يصـــدر للولايـــات المتحـــدة الامريكية والمملكة المتحدة، وتزداد الآن المساحات المزروعة قطنـــا فـــى الشـــمال وحمضيات فى الجنوب.

اقـــليــــــم الكـــــاب :

ويتميز بالظاهرة الفريدة فى جنوب إفريقيه وهى المطر الذى يتراوح بيـــن ٢٥، ٧٥ سم وهو قدر كاف للزراعة، ويمتد هذا النطاق إلى الجنوب من سلاسل الكـــاب مـــن مصب نهر برج إلى رأس أجولهاس، ولمسافة ٣٠ ميلا شرق مدينة الكاب. وتشـــغل هذا الاقليم التلال المتموجه والتى لا تزيد على ٣٠٠ متر وهذا الاقليم أول ما عـــرف من جنوب إفريقيه الاستعمار الأوربى. وقد أدخل البويـــر الأوائـــل زراعـــة القمـــح والكروم، وأصبحت حتى الآن هى المظهر الزراعى للاقليم كما يزرع القمح هنا أكـــثر منه فى أى جزء من جنوب إفريقيه خاصة فيما بين كيبتاون ونهر برج. وقد قـــامت صناعة النبيذ فى الاقليم وتقدمت حتى بلغت ٧٠ مليون جالون سنويا كانت مركـــزة فى معظمها حول كيبتاون، ولكنها أصبحت أكثر انتشارا الآن، ومن مظاهر التنميـــة الحديثة إدخال شجرة الزيتون وخاصة حول ولنجتون فى المناطق القليلة المطر.

الاقليم الجنوبى الغربى الجاف :

ويقع فى ظل المطر بالنسبة للاقليم السابق، من ثم لا يمكن زراعة الكروم إلا فى ظل الرى، ولحسن حظ الاقليم تجرى فيه عدة أنهار تعتمد على المياه الباطنية فى فصـــل الجفاف مثل الأوليفانتس وهكس، وهذه الأنهار تصرف سلاســـل ســـيرس الجبليـــة، ويتميز الاقليم بغناه ببساتين الحمضيات والكروم، فضلا عن الخـــوخ، والكمـــثرى، وبعض التبغ ولكن يكفى لمعرفة أهمية الكروم من كون وادى نهر هكس ينتج وحـــده نحو نصف نبيذ جنوب إفريقيه.

السهل الساحلى الجنوبى :

ويمتد من نهر بريد فى الغرب، إلى بورت اليزابث فى الشرق إلـــى الجنـــوب مـــن سلاسل لانج برج، ويتراوح مطره بين ٥٠ سم و ١٢٠ سم مع عدم وجـــود فصـــل جفاف واضح، ويتنوع النشاط الاقتصادى بين رعـــى الماشـــية والأغنـــام وزراعـــة

الشوفان والبطاطس والقمح فضلا عن فاكهة المناطق المعتدلة الباردة كالتفاح والكمثرى.

اقليم الكارو :

ويضم ما يعرف بالكارو العظمى والكارو الصغرى مع بعض سلاسل الكاب، ومناخه شبه جاف إذ لا يزيد ما يسقط من مطر على ٣٥سم، بل وفى بعض الأجزاء يقل عن ٢٥ سم، ومن ثم كان الرى ضروريا للزراعة، وحيث توجد المجارى المائية تنتشر بساتين الحمضيات، والتبغ، والكروم، كما اشتهر اقليم الكارو بتربية الاغنام والماعز وكان من قبل يشتهر بتربية النعام.

الهضاب الداخلية الجافة :

ويقل المطر تدريجيا كلما اتجهنا نحو الغرب والشمال حتى تصل إلى ١٠ سم، وتزداد ذبذبة المطر مع طول فصل الجفاف، من ثم كان الرعى الفقير هو السمة الرئيسية، أما على حواف الاقليم الشرقية فتقوم الزراعة حيث يتوفر ماء الرى من نهر أورانج، حيث تزرع الذرة العريضة والقمح والخضروات. وتشتهر هذه الهضاب أيضا بثروتها الضخمة.

التعدين :

يمد جنوب إفريقيه العالم بنحو ثلثى الإنتاج العالمى من الذهب، وكان أول اكتشاف له فى اقليم الراند بالقرب من جوهانسبرج، وتعتبر هذه المدينة فى الوقت الحاضر أكبر قطب تعدينى فى العالم إذ تنتشر حولها مناجم الذهب فى شتى الاتجاهات وهى مفتاح اقليم يمتد على هيئة هلال لمائة ميل إلى الشرق منها وإلى بضعة أميال غربها، ففى هذا الهلال توجد سبعة مناجم ضخمة للذهب كل منها يعمل فيه ما يقرب من ٢٠ ألف أوربى، ٢٠٠ ألف أفريقى يستخرجون المجمعات الحاوية للذهب، وقد ظل اقليم الراند الأوسط، وهو الاقليم الذى يقع بين بوكسبرج ورودبورت هو المسئول عن نصف إنتاج ذهب اقليم الراند، ولكن الإنتاج تدهور فى هذا الاقليم منذ العشرينيات، وتحرك مركز الثقل أولا إلى الشرق إلى حقول (سبرنجز - هيدلبرج) وأخيرا إلى الغرب (راندوفنتين - كلير كسدورب) ثم إلى الجنوب الغربى أى إلى حقول أورانج

الحرة ، فهاتان المجموعتان الأخيرتان مسئولتان عن ٢٢% إلى ٣٦% من إنتاج جنوب إفريقيه. وتستمد حقول الذهب فى جنوب إفريقيه حاجتها من الطاقة من محطات القوى الحرارية لتى تعمل بالفحم المحلى، بل إن مناجم الذهب مسئولة عن استهلاك ٨٠% من كهرباء اقليم الراند.

وأهمية الذهب لاقتصاد جنوب إفريقيه كبيرة للغاية، فقد قدر أن مناجم الذهب تؤثر بطريق مباشر وغير مباشر فى حياة ما يقرب من نصف سكان الجمهورية، وتحتوى خامات الذهب فى اقليم الراند على كميات ضئيلة من اليورانيوم والثوريوم ولسوء الحظ فنسبة المعدن منخفضة تبلغ رطل أوكسيد يورانيوم للطن من الخامات أو ما يعادل ربع تركيز المعدن فى خامات أمريكا الشمالية، ولكن يبدو أن الاحتياطات ضخمة للغاية. فهذه المنطقة تمثل مصدرا كبيرة للمعدن لأن استغلاله لا يقتصر على خامات الذهب المستغلة، بل من الخامات التى سبق أن استغل ذهبها فى الماضى، ولم يستخرج منها أوكسيد اليورانيوم، وأمكن إجراء عمليات لاستخراج اليورانيوم بطريقة اقتصادية بفضل المعونات البريطانية والأمريكية. وأقيم أول مصنع لاستخراج اليورانيوم عام ١٩٤٩ فى غرب الراند.

ويوجد الآن ٢٣ منجما للذهب منتجة لليورانيوم أيضا، بل أن فى بعضها كما فى شينكاوى، وجد أن استخراج اليورانيوم أكثر ربحا من استخراج الذهب. وفى الحقيقة نجد أن استخراج اليورانيوم أصبح على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لمناجم الذهب، لأنها زادت من أرباح الإنتاج، لأن الهدف أصبح مزدوجا للبحث عن الذهب واليورانيوم معا فى الخامات التى كانت من قبل يعتبر تشغيلها غير اقتصادى للبحث عن الذهب وحده ويصدر معظم اليورانيوم إلى الولايات المتحدة وبريطانيا.

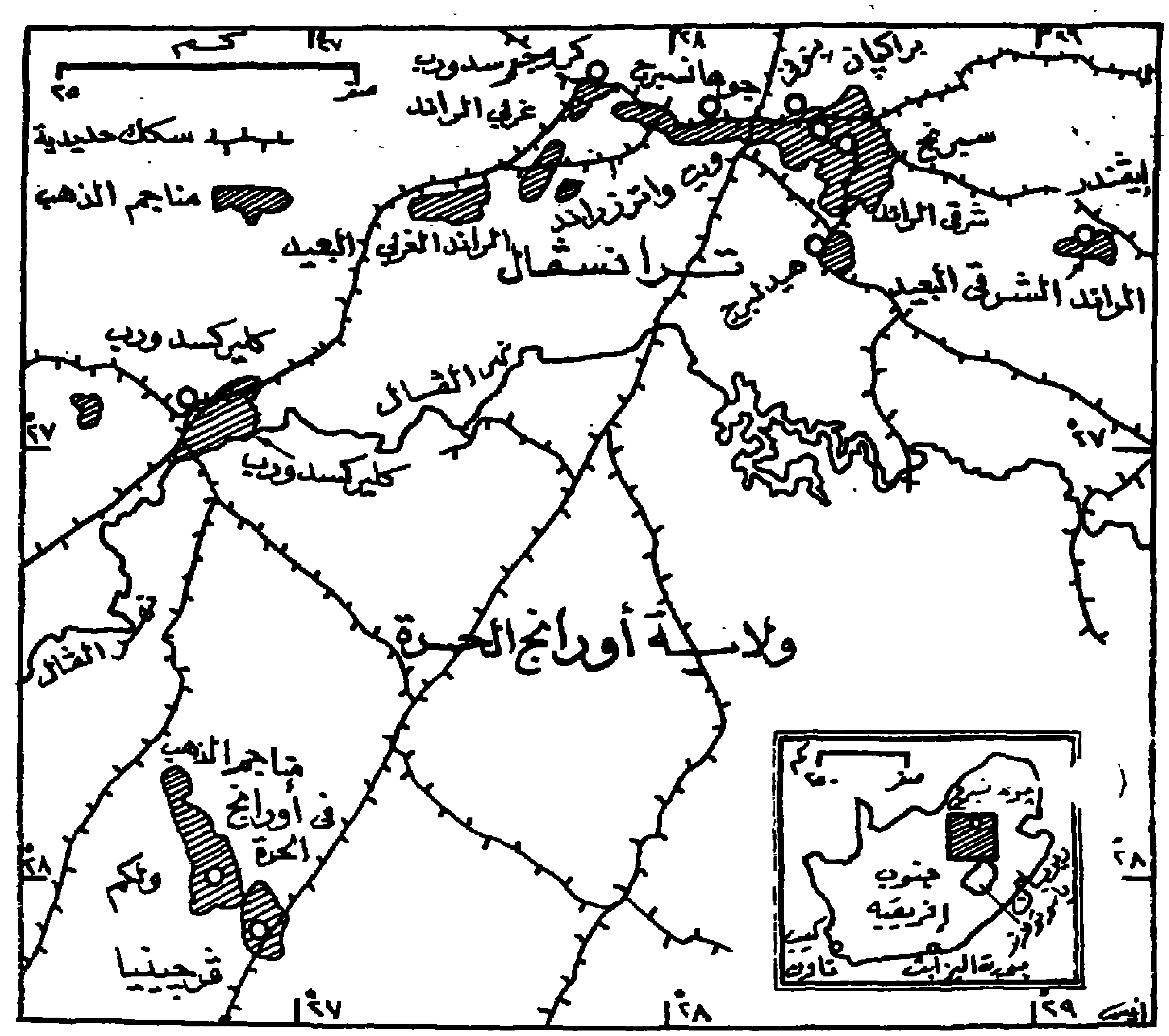
ورغم توفر عروق الفحم فى تكوينات الكارو فهى رديئة من حيث النوع، وأن كان الاحتياطى ضخم يقدر أن يستمر بمعدل الاستهلاك الحالى إلى نحو ٢٠٠٠ عام، والمناجم الرئيسية لاستخراجه ثلاثة هى:

١- ويتبانك على بعد ٨٠ ميلا شرق جوهانسبرج وينتج نحو ١٩ مليون طن سنويا.

٢- سبرنجز/ هيدلبرج وهى أقرب إلى اقليم الراند من المناجم الســابقة وإنتاجــها السنوى نحو ١٨ مليون طن سنويا.

٤-شمال ناتال حول نيوكاسل وديندى وتنتج نحو ٧ مليون طــن سـنويا، وعلــى العموم كان توفر الفحم فى جنوب إفريقيه العامل الرئيسى فى تنمية كثــير مــن أوجه التعدين، وتشترك المناجم جميعا فى أن فحمها من النوع البيتومينـى، وأن عروقه أفقية وليست بعيدة عن السطح، ومن المعادن الأخرى المستخرجة مــن جنوب إفريقيه الحديد والنحاس والمنجنيز.

شكل رقم (٩٨) : مناجم الذهب فى جمهورية جنوب افريقيه



الصناعـــــة :

تقوم قاعدة صناعية ضخمة فى جنوب القارة أساســها صناعــة الحديــد والصلــب ومركزها بريتوريا وفرنيجنج ونيوكاسل وتأتى بعدها فى الأهمية الصناعات المعدنيــة

والهندسة، والصناعات القطنية التى تعتمد على استيراد القطن من الخـــارج، بينمـــا تعتمد الصناعات الصوفية على الأنتاج المحلى، وكانت صناعة الأسمدة والمتفجــرات تأتى على رأس قائمة الصناعات الكيماوية حتى الحرب العالمية الثانية حينمـــا زادت نموا وتنويعا معتمدةعلى الفحم، والأملاح، والفوســـفات المنتـــج محليـــا. واحتـــاج استخراج اليورانيوم إلى مزيد من حامض الكـــبريت ومـــا زال المركـــز الرئيســـى للصناعات الكيماوية حتى الآن شمال شرق جوهانسبرج.

وتتمركز صناعة جنوب إفريقيه فى الوقت الحاضرفى أربعة مراكز رئيسية بـــترتيب أهميتها هى: جنوب الترانسفال بما فيها اقليم الراند، كيبتـــاون ودربـــان، وبـــورت اليزابث.

ومن الواضح أن ثلاثة أرباعها فى أقاليم الموانى لأنها تستفيد بموقعـــها هـــذا مـــن استيراد الخامات فضلا عن سوق الاستهلاك الكبير فيها، فدربان لا تقتصر أهميتـــها على أنها الميناء الأول فحسب، بل هى أقرب الموانى إلى اقليم الراند، وتقوم فيـــها صناعة بناء السفن والصناعات الكيماوية، وبها معملان لتكرير البـــترول وكيبتـــاون تشتهر بصناعات المنسوجات والمعلبات الغذائية ومصنع لتجميع السيارات ومعمـــل لتكرير البترول، وتتركز صناعة الأحذية وإطارات السيارات فى بورت اليزابث فضـــلا عن تجميع سيارات شركتى فورد وجنرال موتورز، أما اقليم وترانزرزراند فهو أكـــبر مجمع صناعى فى جنوب إفريقيه وقامت الصناعات فيها لمواجهة حاجة هذا الاقليـــم التعدينى الضخم وتتضح أهمية الاقليم من كونه مسئول عن ٤٠% من قيمة الإنتـــاج الصناعى للبلاد. وتتركز الصناعة فيه فى جوهانسبرج وجريمستون حيث الصناعـــات الهندسية الرئيسية التى تمد المناجم بحاجتها من الآلات، ثم تأتى صناعة المنسوجات فى المقام الثانى.

نـــــاميبيـــــــــــا

في الحادى والعشرين من مارس ١٩٩٠، أعلن استقلال جنـــوب غـــرب إفريقيـــه، وعرفت رسميا باسم ناميبيا نسبة إلى الصحراء التى تطل على المحيـــط الأطلطنـــى

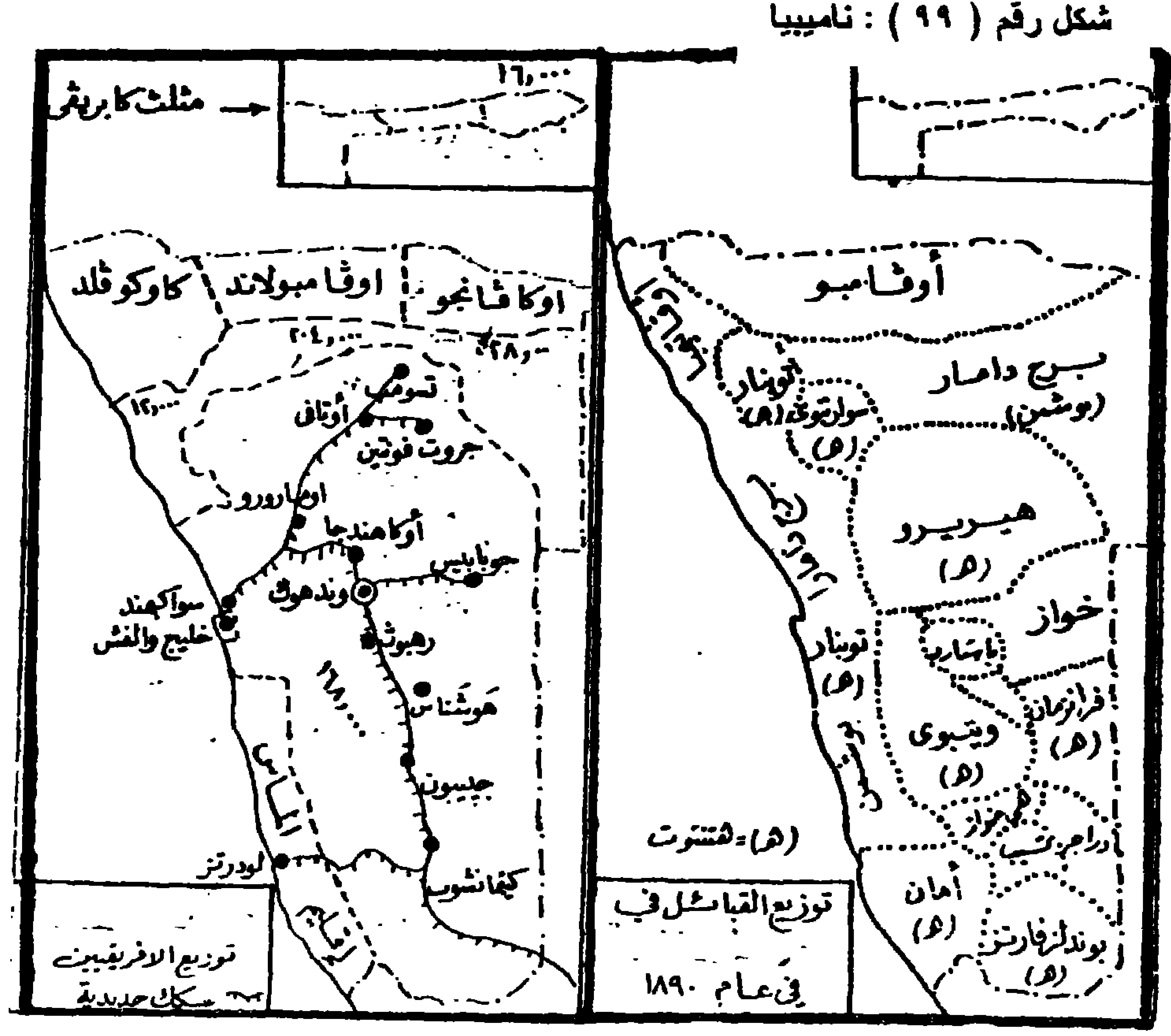
وأصبح سام نوجوما *Sam Nujoma* أول رئيس لناميبيا المستقلة.

أرض وسكان :

بمساحة تبلغ نحو ٨٢٤,٢٩٢ كم٢ أى ما يقرب من ثلثى مساحة جمهورية جنوب أفريقيه وأكبر من مساحة فرنسا وبريطانيا مجتمعتين، تطل ناميبيا على المحيط الأطلنطى، بين أنجولا وجمهورية جنوب إفريقيه، ورغم قلة المطر التى تسود هذه البلاد، والجفاف الشديد التى تعانيه، إلا أنها من أغنى الأقطار الإفريقيه بالنسبة لعدد سكانها، وتسهم الصادرات المعدنية وحدها بنحو نصفها، معظمها من النحاس، والرصاص، والمنجنيز، والفضة،، فضلا عن الماس الذى يصدر منه ٩٠٠,٠٠٠ قيراط سنويا، يستخرج من النطاقات الساحلية، وتسهم منتجات الحيوان بنحو ١٠ مليون جنيه، تأتى من الهضبة الداخلية حيث تربى الأغنام والماشية في شمالها، أما مصائد الأسماك فتسهم بنحو ٥ مليون جنيه.

ويعيش في هذا القطر ما يقرب من ٢ مليون نسمة، يبلغ عدد المستوطنين البيض منهم نحو ٩٠,٠٠٠ نسمة، ٦٠% منهم من البوير، ٢٠% من الآلمان، والباقى معظمهم من الإنجليز، كما تضم ناميبيا ايضا نحو ٢٤,٠٠٠ من الملونين، ويؤلف البانتو نحو ٥٠٠ ألف نسمة، يعمل كثير منهم في مزارع البيض أو في التعدين أو المدن. وهناك البوشمن الذين يؤلفون نحو ١٢ ألف نسمة، وأما الهوتنتوت فيبلغون نحو ٢٠ ألف نسمة، يعيشون في معازلهم على رعى الأغنام، ويعتبر إقليم الاوقامبو هو أكثر الاقاليم كثافة سكانية، إذ يضم وحده نحو ٢٠٠ ألف نسمة من البانتو، بينما إذا أستثنينا مناطق المدن والتعدين تصبح الكثافة أقل من نسمة للكم٢ وتعيش قبيلة الهريرو والتى تزيد على ٢٥ ألف نسمة ، من ناميبيا فضلا عن ١١ ألف نسمة فى بتسوانا، هاجروا إليها اثناء حربهم مع الألمان عام ١٩٠٣، أما قبيلة الأوفامبو *Ovambo* التى يبلغ عددها نحو ٢٠٠ ألف نسمة، فموطنها في الشمال مطلة على أنجولا، ويصل عدد الناما أو الهوتنتوت الذين شاركوا الهريرو الصراع مع الألمان نحو ٣٠,٠٠٠ نسمة، وهناك جماعات أخرى مثل الدامارا الذين يعيشون في الشمال، والبوشمن، ثم الجماعات الملونة التى نتجت عن أختلاط المستوطنين بالهوتنتوت.

شكل رقم (٩٩) : ناميبيا



التقاء الافريقيين بالأوربيين :

وترجع علاقة السكان الأصليين بالآوربيين إلى عام ١٨٨٢، حين أشترى تاجر يدعى *Franz Luderitz* أرضا في الجهات الساحلية من أحد رؤساء القبائل المحليين، وطلب الحماية كالعادة من حكومته، وأعلنت ألمانيا حمايتها للمنطقة عام ١٨٨٤، وبدأت في توسعها نحو الداخل ولكن هذا التوسع أدى إلى اصطدامها بقبيلة الهريرو عام ١٩٠٣ حين قامت هذه القبيلة بزعامة *Hosea Kotdko* بثورة عارمة أقضت مضجع الآلمان، قابلها الآلمان بحرب إبادة ومصادرة لأراضيهم وماشيتهم، حتى انخفض عددهم من ٨٠ ألفا إلى ١٥ الفا، مع ذلك لم يستقر الأمر للآلمان حتى علم ١٩٠٨، وكلفت الحرب الآلمان نحو ٣٠ مليون جنيه، فضلا عن حامية عسكرية دائما في وضع الاستعداد، وبذلك كانت أول تجربة لهم مع البيض تجربة مريرة، ولم تكن التجربة الثانية بأسعد من الأولى، ذلك أنه بقيام الحرب العالمية الأولى، قامت قوات

جنوب إفريقيه باحتلال جنوب غرب إفريقيه، وانتهت هذه الحرب بهزيمة الآلمان وتوزيع ممتلكاتهم على الدول المنتصرة في صورة الانتداب، ولما كانت بريطانيا ممثلة لجميع أجزاء أمبراطوريتها في الشئون الدولية، فقد عهد إليها بالانتداب على جنوب غرب إفريقيه، وعهدت به بدورها إلى جنوب إفريقيه نيابة عنها.

وضع البلد :

وظهرت نية جنوب إفريقيه في إغتصاب هذه البلاد عام ١٩٣٣، ولكن لجنة الانتداب لم توافق على هذا، ثم كانت الحرب العالمية الثانية، وبإنتهاء هذه الحرب تحولت جميع الأقطار التى كانت خاضعة للانتداب إلى هيئة الوصاية التابعة للأمم المتحدة، فيما عدا جنوب غرب إفريقيه، ذلك أن اتحاد جنوب إفريقيه وقد بيت النيه على إغتصاب القطر المجاور امتنع عن تقديم تقارير لهيئة الوصاية الدولية عن إدارته لجنوب غرب إفريقيه، على اعتبار أن الأمم المتحدة ليست وريثا لعصبة الأمم، وحتى عام ١٩٤٧ حين قدمت حكومة سمطس *Smuts* تقريراً عن إدارتها للإقليم، كان ذلك من باب النوايا الحسنة بأكثر منه واجب عليها، كما صرحت بذلك حكومة جنوب إفريقيه حينئذ، وبعد ذلك عادت إلى إهمال الأمم المتحدة مرة أخرى، ولجأت الجمعية العامة إلى محكمة العدل الدولية تسألها النصيحة عدة مرات فيما بين ١٩٥٠ - ١٩٥٦، ويمكن تلخيص مشورة محكمة العدل الدولية في هذه القضية بما يلى:

ليس من حق جنوب إفريقيه إغتصاب الإقليم وتغيير وضعه الدولى.

وقد ضربت جمهورية جنوب إفريقيه بهذا القرار عرض الحائط على اعتبار أنه على صورة مشورة ونصيحة وبالتالى ليس ملزماً.

وحاولت جمهورية جنوب إفريقيه عام ١٩٥٨ التفاهم مع الأمم المتحدة على أساس تقسيم جنوب غرب إفريقيه إلى قسمين: قسم يضم نهائيا إلى الاتحاد ويشمل منطقة المستوطنين أى نحو ٣/٤ البلاد، بينما الربع الباقى الذى رفضته أى معازل الإفريقيين فيخضع للوصاية الدولية، ولكن الأمم المتحدة رفضت هذا الوضع على اعتبار أنه اغتصاب، وتقدمت حكومة ليبيريا وأثيوبيا عام ١٩٦٠ بصفتهما عضوان من عصبة الأمم السابقة إلى محكمة العدل متهمين جنوب إفريقيه بانتهاك اتفاقية

الانتداب، واتخذت الجمعية العامة قرارا عام ١٩٦١ بإرسال بعثة تقصى إلى جنوب غرب إفريقيه، ولكن جمهورية جنوب إفريقيه رفضت السماح لأحد بالزيارة، وظل وضع جنوب غرب إفريقيه غريبا وشائكا إلى الآن، وسحبت الأمم المتحدة ناميبيا من وصاية جنوب إفريقيه عام ١٩٦٧، ولكن جنوب إفريقيه رفضت القرار، بل واتخذت إجراءات ضم ناميبيا.

قسمة جائرة :

قسمت إدارة جنوب إفريقيه ناميبيا إلى قسمين ولكن غير متعادلين، منطقة البوليس *Zone Police*، وتضم ثلاثة أرباع البلاد ومعظم معادنها ومراعيها، وهذه هى منطقة المستوطنين، بينما ١/٤ المساحة الآخر جمع فيه الوطنيون، ولا يعيش بينهم من البيض سوى الجند في معسكراتهم وعلى استعداد لتأديبهم دائما، وبهذا نجد ان البيض الذين كانت تبلغ نسبتهم إلى الوطنيين ١ ٧ يتمتعون بالبلاد، بينما يحرم منها أصحابها الأصليون، فالخط الفاصل بين منطقة البوليس اى منطقة المستوطنين وبين منطقة الإفريقيين هو خط يفصل بين مناطق التقدم والمخططة بعناية، وبين مناطق الركود والتى يعيش فيها الإفريقيون، ولا يهتم البيض بما يدور من بؤس على الجانب الآخر من الخط، ما دام هذا الخط يضم الإفريقيين بقبضة من حديد على ثلث مليون إفريقى، بينما في منطقة البوليس ١٧٠ ألف إفريقى ، ٧٤٠ ألف من المستوطنين، فتكون نسبة الوطنيين إلى البيض في هذه المنطقة هى أكثر من ٢٠٦ وقد تحرك هذا الخط نحو الشمال في السنين الآخيرة ليضيف أراضى جديدة الى اراضى البيض.

ولا يمكن للإفريقى أن يتعدى حدود معزله، ويخرج إلى أراضى البيض دون ان يكون لديه عقد للعمل موقوت بمدة معلومة وإلا تعرض للمحاكمة، وعلى رجل القبيلة ان يذهب إلى مناطق العمل ليعمل ويدفع الضرائب التى عليه، وفي نفس الوقت عليه العودة إلى المعازل بمجرد إنتهاء عقده، وبذلك تصبح الأرض والعمل مرتبطة بعجلة المجتمع الأبيض.

ولا تختلف بطبيعة الحال حياة المعازل في جنوب غرب إفريقيه عنـــها فـــي جنـــوب إفريقيه سابقا، فهى حياة البؤس والجوع، لأن الهجرة العمالية هى حجـــر الزاويـــة هناك، فالمعازل في عرف الإدارة ليست سوى مخزن لتجميع الوطنيين يمدون إليـــه أيديهم ليأخذوا من الوطنيين الأعداد اللازمة للعمل في أى وقت شاءوا، ومن عجيـب ما يروى في هذا المضمار، أن المعزل الذى لا يمد الإدارة بالأعداد المطلوبة يجمـــع فيه رؤساء القبائل حيث يعرضون للتأنيب العنيف، وأحيانا العقاب حتـــى يحضـــروا العمال.

ولم توجد تشريعات للأجور في ناميبيا، كما لم توجد عناية طبية بـــهؤلاء العمـــال، فالأطباء يتجمعون في مراكز التجنيد لفحص الإفريقيين، يقضون أوقاتهم فـــي هـــذا الفحص لتقسيمهم إلى ثلاث مجموعات: الأولى الذين يصلحون للعمل فـــي التعديـــن تحت سطح الأرض، والثانية الذين يصلحون للعمل في التعدين فوق ســـطح الأرض والذين يصلحون للأعمال الشاقة في المزارع، بينما تضم المجموعة الثالثة الذيـــن لا يصلحون لهذه الأعمال، فيستخدمون للسهر على تربية الماشية.

دولـــــة المـــــاس والاحتكارات البيضـــــــاء :

ويلعب الماس دوراً فريداً في أقتصاديات ناميبيا، فقد اضاف إلى خزينة الدولـــة فـــي الفترة من ١٩٤٤، ١٩٦٠ أكثر من ٤٥ مليون جنيه على هيئـــة ضرائـــب دخـــل، وضرائب أرباح الماس، وضرائب صادر عليه.

وقد عثر على الماس أول مرة عامل إفريقى في السكك الحديدية، وسلم قطعة الماس إلى رئيس العمال الآلمانى، وكان هذا عام ١٩٠٨، وكان البحث عن الماس في ذلـــك الوقت يقتضى من العمال الإفريقيين تقليب الرمال السطحية بأصابعهم والتقاط أحجـــار الماس لحساب الشركات الآلمانية.

وتتحكم في إقليم الماس قوانين الأمن الخاص بالماس، فدخول الإقليم أو الخروج منه محرم إلا بتصريح وتستخدم الشركة من العمـــــال ٩٠٠ مـــن البيـــض، ٥٠٠ مـــن الإفريقيين، والكشف على العمال الإفريقيين بالأشعة السينية (X) من الأمور المألوفة

خشية التهريب عن طريق الابتلاع، ويمنع دخول السيارات أيضا، وكذلك الأجهزة الكهربائية فضلا عن قائمة طويلة من الممنوعات.

وتبرز بين شركات التعدين، شركتان عملاقتان إحداهما من جنوب إفريقيه والثانية أمريكية، وترتبط الشركتان باقتصاديات العديد من دول وسط وجنوب إفريقيه، حققت هذه الشركات مساندة لسياسة حكومة جنوب إفريقيه، وتحديها للرأى العام العالمى، فهناك اتحادات تعدين الماس التى تشرف عليها شركة دى بيرز *De Beers* هى جزء من امبراطورية أوبنهيمر، فضلا عن الشركة الإنجليزية الأمريكية لتعدين النحاس والذهب والماس، فهذه المشروعات كانت تحصل على ربح سنوى يقدر بضعف ميزانية جنوب غرب إفريقيه.

وإذا كان الماس قد سيطر على اقتصاديات ناميبيا حتى سنوات قليلة مضت، فإن اليورانيوم هو نجم الصادرات المعدنية، حتى لقد تفوقت ناميبيا على النيجر وجنوب إفريقيه واحتلت المكانة الأولى في إنتاجه في إفريقيه، وتتحكم الثروة المعدنية في صادرات ناميبيا، فهى مسئولة عن ٨٥% من قيمة الصادرات.

لذلك اشتهرت العبارة المأثورة عن ناميبيا، والتى تقول (إذا كان اسم ناميبيا يتردد على شفاه السياسيين، فإنه في أيدى المزارعين "المستوطنين" وفي جيوب اتحادات التعدين "المستوطنين").

أما بقية الصادرات والتى لا تمثل سوى نسبة ضئيلة فتتمثل في فراء الأغنام التى أدخلها الآلمان، المعروفه باسم أغنام الكراكول أو القارسية ذات الفراء الناعم الكثيف، حتى لتشبه الفراء، وناميبيا هى المصدر الأول له مثل جمهورية جنوب إفريقيه، هذا بينما تزداد أهمية تربية الأبقار حول وندهوك العاصمة لزيادة المطر إلى ٣٥ سم، ومن هنا الاقليم تخرج صادرات اللحوم المحفوظة.

أما الأسماك فكان سبب وفرتها فى مياه ناميبيا هو وجود رصيف قارى واسع يبلغ عرضه نحو ١٦٠ كم عند مصب نهر الاورانج، وتمتد إلى ٢٤٠ كم شمال والفشن باى، هذا فضلا عن مرور تيار بنجويلا البارد، مما جعل هذا المياه من أغنى مصايد الأسماك في العالم.

ماذا بعد الاستقلال ؟

مازالت ناميبيا تعانى بعد الاستقلال من التراث العنصرى كما هو الحال في جمهورية جنوب إفريقيه، وفى ردويسيا سابقا، لأن هذا التراث لن يختفى بين يوم وليله، من ثم فهناك مشكلة البطاله، ومشكلة الأرض، ومشكلة المأوى والتعليم والصحة...إلخ.

مظهران شاذان للخريطة السياسية لناميبيا :

وتعطى الخريطة السياسية لناميبيا مظهران شاذان، فعلى الساحل، وفي مقابل العاصمة وندهوك يقع مرفأ والفش باى، ومن الناحية الرسمية يعتبر هذا المرفا وظهيره الخلفى (نحو ٤٠٠ ميل مربع) جزء من جمهورية جنوب إفريقيه، وذلك منذ عام ١٨٧٨ عندما ضمها حاكم ولايه الكاب لحماية المصالح البريطانية، ولذلك شيد الألمان ميناء آخروهو سواكبمند *Sawakpmund* على بعد ٢٦ ميلا الى الشمال من والفش باى، يتمتع بميزات أكبر أهمها ان به ميناء طبيعى، وبعد أن وضعت جمهورية جنوب إفريقيه يدها على البلاد زادت نمواً، بينما تدهورت سواكبمند حتى تكاد تقف حركتها نهائيا بين الحين والحين، ومعنى هذا أن معظم حركة ناميبيا تتم عن طريق ميناء تتم إدارته من الكاب، وميناء يعتبر جزءا من جنوب إفريقيه، حتى قبل أن تضع يدها على جنوب غرب إفريقيه.

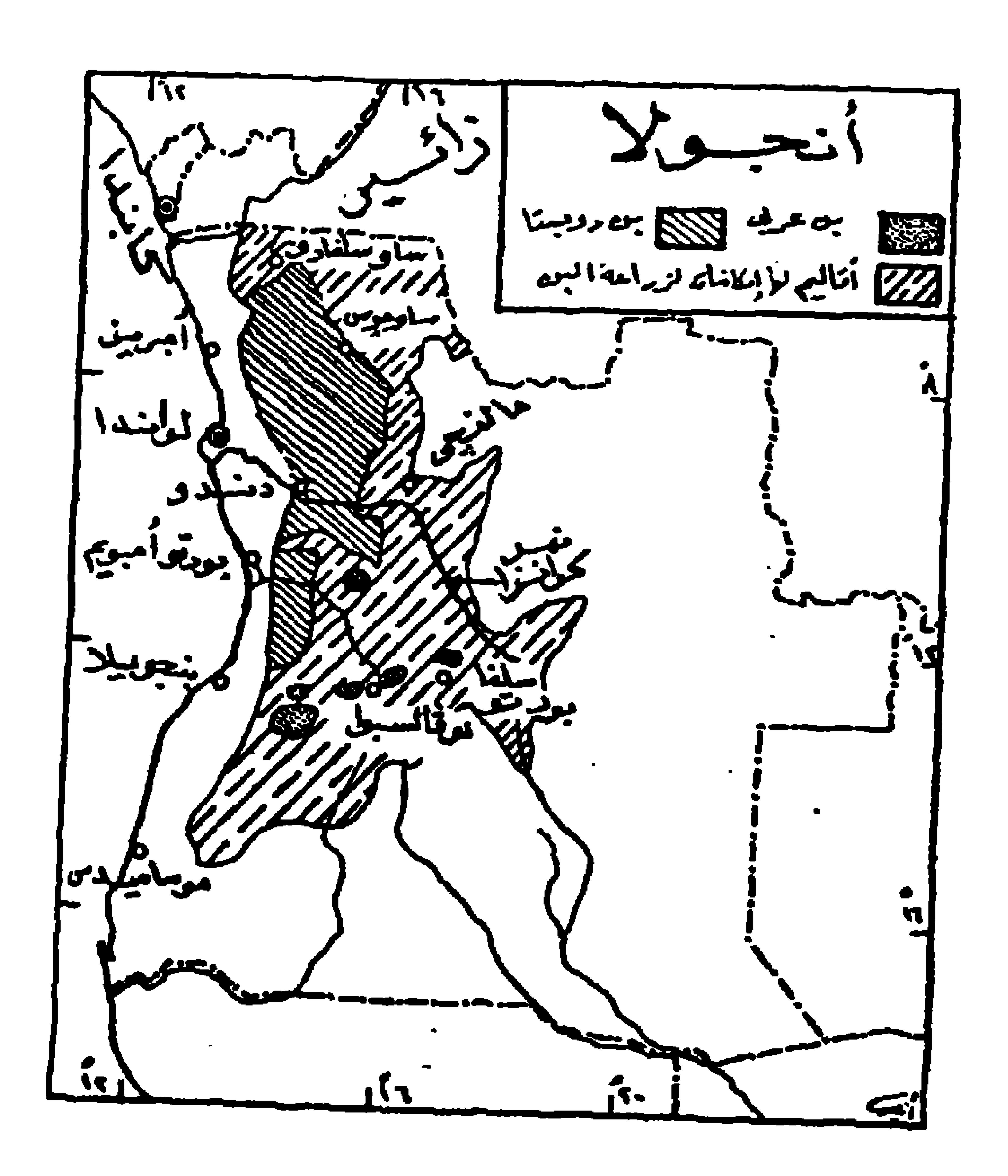
إما الشذوذ الثانى فيرجع إلى أصبح كابريفى الذى يبرز تجاه شمال شرق البلاد، وكان هذا الامتداد نتيجة مفاوضات بين ألمانيا وبريطانيا، لرغبة ألمانيا الوصول إلى نهر الزمبيزى ووقع الاتفاق عام ١٨٩٠ بامتداد هذا الأصبع من جنوب غرب إفريقيه إلى الزمبيزى على طول ممر لا يقل عرضه باى حال عن ٢٠ ميلا، وهو الآن جزء من الأراضى الإفريقيه خارج منطقة البوليس، ولم تظهر له أهميه في مجال التعدين حتى الآن.

أنجولا

أكبر المستعمرات البرتغالية سابقا بمساحة تقترب من ١,٢٥ مليون كم٢ أى أنها وحدها قدر مساحة البرتغال أربع عشر مرة، كما تعتبر عاصمتها لواندا *Luanda* من

أقدم مواطن الاستقرار الأوربى على أرض القارة الإفريقيه جنوب الصحراء وحصلت على استقلالها في الثانى عشر من توفمبر عام ١٩٧٥ وتولى حرب حركة تحرير شعب انجولا *MPLA* الحكم ، وقد اكتشف سواحلها ديجو كام *Diego Cam* عام ١٤٨٢/٨٣، واستمرت انجولا لثلاثة قرون ونصف مصدراً لاستنزاف الرقيق إلى البرازيل، وما أن صدرت قوانين تحرير الرق عام ١٨٢٦ حتى كانت البرتغال قد استنفذت اعداد كبيرة من سكان البلاد، وكان هذا سبباً أساسياً ضمن مجموعة أخرى من الآسباب المسئولة عن انخفاض عدد السكان في هذه المساحة الضخمة، بحيث يبلغ عدد السكان في وقتنا الحاضر نحو ١١,٥ مليون نسمة، من ثم كانت انجولا من أقل جهات إفريقيه المداريه كثافة سكانية.

شكل رقم (١٠٠) : البن فى أنجولا



وكان لاتساع مساحة انجولا وتنوع سطحها أثره في تنوع المظاهر المناخية والحياة النباتية، من السواحل المعتدلة نتيجة لمرور تيار بنجويلا إلى المناطق ذات المطر الانقلابى في أقصى الشمال بالقرب من حدود الكنغو، والسواحل شبه الصحراوية في الجنوب.

فسواحل أنجولا الجنوبية عبارة عن صحارى معتدلة، كامتداد لصحراء ناميب في جنوب غرب إفريقيه حتى جنوب بنجويلا بقليل، بينما تتحول إلى استبس تتخلله اشجار الباوباب الضخمة إلى ما بعد لواندا (٩ جنوبا) وفي نفس الوقت إذا ما اتجهنا نحو الداخل لمسافة ٤٥ ميلا في خط مستقيم ستصادفنا الغابات المطيرة شمال نهر كوانزا، ولا ينفى هذا أن الصورة الغالبة هى الحشائش التى تفتقر كلما اتجهنا نحو الجنوب ونحو الغرب.

أقليمان جغرافيان :

وتنقسم أنجولا إلى إقليمين جغرافيين كبيرين يمكن أن ينقسما بدورهما إلى اقاليم فرعية هذان الاقليمان هما.

السهل الساحلى :

ولا يزيد اتساعه على المائة ميل، ويتميز باعتداله كما ذكرنا، وقد قام الآلمان بالتوسع فى زراعة السيسل في المزارع الواسعة إلى الجنوب من لواندا ولوبيتو، وأصبحت انجولا تسهم في الوقت الحاضر بنحو ١٠% عن السيسل الإفريقى، ونظروا لأن معظم صادرات انجولا كالبن والذرة والبقوليات في حاجة إلى أكياس التعبئة، فقد قامت شركات برتغالية بتخصيص مساحة ٧٥,٠٠٠ فدان لزراعة نباتات الألياف لصناعة الأكياس في وادى مبريدج *Mbridge* (شمال غرب انجولا)، ويشغل القطن نفس المساحة تقريبا، واشتهرت هذه السهول بزراعة قصب السكر حيث يتوفر الرى وخاصة في وداى كاتومبيلا *Catumbela* ويستخرج الملح بتجفيف ماء البحر ليشحن إلى البرتغال، كما يشحن إلى دول وسط إفريقيه بالسكك الحديدية، وتزداد أهمية الصيد في الجهات الساحلية بسبب مرور تيار بنجويلا، وما يتبعه من وفرة في الحياة السمكية في هذه الجهات المدارية، من ثم يمكن مقارنتها بمصايد المغرب

وموريتانيا، وإذا كان الإفريقيون والبرتغاليون يقومون بعملية الصيد الأسماك، فإن معظمها يقوم به البرتغاليون، ويوجد نحو عشر مصانع لتعليب وتجفيف الأسماك ما بين لوبيتو والحدود الجنوبية، ويصدر زيت السمك إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كما تقوم صناعة سماد السمك الذى يصدر بسعر رخيص لانخفاض الأجور.

وتعتبر لواندا العاصمة (٢,٣ مليون نسمة) التى تقع أقرب إلى الحدود الشمالية أقدم منطقة استقرار أوربى في إفريقيه جنوب الصحراء، ويكون الآوربيون منهم نحو خمسين ألفا.

ولواندا هى الميناء البحرى الرئيسى في أنجولا، بحيث يزيد نصيبها في المعاملات التجارية عن أى ميناء آخر، خاصة في البن الذى يصلها بالطرق البرية، والمنجنيز والحديد الذى يصلها بالسكك الحديدية، ويعتبر ميناؤها الجوى أكبر ميناء في أنجولا، وتمر به خطوط دولية هذا وتقوم في لواندا بعض الصناعات الصغيرة كتكرير الزيوت والغزل.

وتأتى لوبيتو ١٠٠ الف في المركز الثانى، ويكون الآوربيون منهم نحو الخمس ويرجع نمو لوبيتو إلى أنها نهاية الخط الحديدى لعمق مياهها عن مياه ميناء بنجويلا الواقعه إلى الجنوب منها، إذ تتصل بزائير وزيمبابوى بشبكات حديدية طولها نحو ٨٣٨ ميلا، وتملك هذه الخطوط شركات بريطانية، وقد زاد تعامل الكنغو مع لوبيتو لأنها أقرب الموانى إلى كاتنجا مركز التعدين الرئيسى، وتصدر لوبيتو أيضا خامات انجولا من الحديد الواقعه إلى الجنوب من نوفالزبوا، وفضلا عن الذرة التى يقوم بانباتها المستوطنون الآوربيون في هضبة بيهيه *Bihe* وتتصل بهذا الخط الحديدى طرق شمال شرقى انجولا التى يحمل عليها الماس المستخرج من هناك، على العموم إذا كانت لوبيتو تتعامل فى حمولات أكبر من لواندا من حيث الحجم، فإنها أقل من لواندا من حيث القيمة.

وميناء موساميدس ميناء صيد اسماك من الدرجة الأولى، وزاد من نموها امتداد الخط الحديدى منها إلى مواطن الحديد الجديدة في كاسينجا.

الـــــهــــضــــبـــــة :

الارتفاع من السهل الساحلى إلى الداخل في الجهات الشمالية تدريجى وبلطف، مـــن ثم كان نهر الداندى *Dande* وكونزا صالحين للملاحة لمسافات قصيرة، بينما يشـــتد الانحدار في الوسط والجنوب، ولذلك أقيمت محطات توليد الكـــهرباء المائيـــة علـــى الأنهار في انحدارها من الهضبة إلى الساحل.

وترتفع الهضبة الأولى في المتوسط إلى ما يزيد علـــى ٣٠٠ مـــتر، بينمـــا ترتفـــع الهضبة الثانية إلى ما يتراوح بين ١١٠٠ ، ١٣٠٠ متر، ثم ترتفع الهضبة الثالثـــة (بيهيه) إلى ما يتراوح بين ١٥٠٠، ٢٠٠٠ متر، وتبلغ قمتها ٢٨٠٠ متر، وتعتـــبر هذه الهضبة من مناطق تقسيم المياه الكـــبرى فـــي إفريقيـــه بيـــن نـــهرى زائـــير والزمبيزى، وحواف الهضبة وأطرافها الشمالية *Malanje* هى أكثر اجزاء الهضبـــة رطوبة، والأخيرة هى أكثرها حرارة، من ثم كانت ميدانا لزراعة بن الروبســـتا فـــي المزارع الآوربية الواسعة ويمثل البن نحو ٤٥% من صـــادرات انجـــولا، معظمـــه يصدر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، هذا ويزرع الإفريقيون القطن فـــي الاقـــاليم الأكثر جفافاً.

ويعتبر القسم الأوسط من الهضبة أكثر انخفاضا في درجة الحرارة، بل وقـــد يظـــهر عليها الصقيع أحيانا، كما أنها أكثر جفافاً، وتغطيها حشائش السفانا فـــلا عجـــب أن اجتذب هذا القسم معظم الاستقرار البرتغالى خاصة في منطقة سيلا *Cela* شمال خـــط حديد بنجويلا، وتتعدد هذه المراكز أيضا لتشمل سلفا بورتـــو، نوفـــالزبوا، وماتـــالا *Matala* خط حديد موساميدس، وتزرع الذرة العريضة كمحصول رئيسى على المطـــو فضلا على البقوليات، وأمكن للاوربيين تربية أعداد كبيرة من الماشية في الهضبـــة الوسطى والجنوبية لاختفاء ذبابة التسى تسى، فقامت الزراعـــة المختلطـــة وتوفـــر السماد العضوى اللازم للتربة، وتتحول الحرفة إلى الرعى البحت في الجنوب لغلبـــة الجفاف، وإن كانت هناك مشروعات زراعية في وادى نهر كونين حيث بنـــى ســـد للرى وتوليد الكهرباء.

المعادن والقوى :

فيستخرج الماس سواء ماس الزينة أو الصناعى منذ عام ١٩١٧ إلى الشمال من داندو وحوض نهر كاساى كامتداد لماس الكنغو، وقد أدت الحرب الأهلية والتهريب إلى تدهور سريع في الصادرات في منتصف السبعينيات، وقامت شركة لوبيتو بتعدين الحديد في كويما منذ عام ١٩٥٦، وربطت بسكك حديد بنجويلا، وافتتحت مناجم أخرى ممتازه لحديد الهماتيت فى آواخر الستينيات فى كسينجا على بعد ٥٠٠ كم من موساميدس، ويصدر عن طريق هذا الميناء، وكان أقصى إنتاج له قبل الحرب الأهلية نحو ٥ ملايين طن عام ١٩٧٤، هذا كما استخرج النحاس والمنجنيز، وهناك معادن أخرى يتوقف استخراجها على استقرار الأحوال السياسيه.

وكان لاكتشاف البترول عام ١٩٥٥ أثر كبير على البرتغاليين، نظرا لفقر بلادهم في موارد الوقود، وقد بلغ إنتاج الحقول القريبة من لواندا ما يزيد على مليون طن خام. بينما أعطت حقول كابندا ما يزيد على ٦ مليون طن، وبذلك أصبحت أنجولا ثانى دول افريقيه بعد نيجيريا جنوب الصحراء بإنتاجها الذى بلغ نحو ١٣ مليون طن (١٩٨٥) وبنى معمل للتكرير عام ١٩٥٨ بطاقة قدرها نحو ٢ مليون طن.

وتبدو أهمية البترول في اقتصاد أنجولا في أنه اصبح يمثل ثلاثة ارباع قيمة الصادرات.

عناصر السكان :

ورغم اتساع مساحة البلاد، فإنها قطر قليل السكان، وقد اشرنا في موضوع الإمبراطورية البرتغالية إلى سياستها القائمة على السخرة والاستغلال في انخفاض عدد السكان الذى يبلغ ١١,٥ مليون نسمة منهم نحو نصف المليون أوربى، ونحو ٥٠ ألفا من المولدين، أما الباقى فمن الوطنيين، ويكونون قبائل عديدة أهمها وفيمبندو *Ovimbindu* في الهضبة الوسطى ويؤلفون نحو ثلث السكان وكيمبوندو *Kimbundu* من إقليم لوانداوكيسونجو *Kicongo* والباكونجو فى الشمال، هذا فضلا عن عشرة آلاف من البوشمن.

وينتشر التخلف الثقافي والاقتصادي في انجولا بصورة مخيفة، فنسبة المتعلمين بين الوطنيين لا تزيد على ٣% وحتى بين المستوطنين فقد بلغت ٢٤% فقط، ذلك أن معظمهم من مزارعي جنوب البرتغال الأميين.

إستعمار واسترقاق :

لم يرتبط التاريخ الاستعماري بتجارة الرقيق مثلما ارتبط بالبرتغال التي ظلت تمارسه من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين.

وكانت لواندا أكبر الموانئ الإفريقيه تصديراً للرقيق، كما كانت أنجولا والكنغو أكبر مستودع للإمداد بالرقيق في القارة، وقدر ما صدر من الرقيق في الفترة من ١٥٨٠ إلى ١٧٢٦ حينما ألغته حكومة البرتغال رسمياً أربعة ملايين، ثلاثة ملايين من أنجولا وحدها، واتجه نحو ٥٠% من هؤلاء إلى البرازيل، ونحو ٢٠% إلى البحر الكاريبي، وما يتراوح بين ١٠% ١٥% إلى حوض لابلاتا، وإن كانت هذه النسب تختلف ما بين عقد وآخر.

وكانت تجارة الرقيق في انجولا هي السلعة الأولى والرئيسية وكان عميلها الأول هو الحاكم بطبيعة الحال الذي لم يكن رأس ماله في هذه التجارة كل ما يمتلكه من ثروة، بل يضاف إليه أيضا نفوذه وسطوته وموظفيه وأي أمتيازات أخرى يضيفها عليه نظام حكمه *Regimento*، وكان هناك المقاول أو متعهد الرقيق الذي كان يعمل لحسابه، وإن كان يعمل في معظم الأحوال لحساب مجموعة من المستغلين الذين دفعوا ثمن التراخيص اللازمة لتصدير أعداد معينة في فترة زمنية معينة، غير أن تغيير ما في هذه التراخيص من أعداد نحو الزيادة بطبيعة الحال، لم يكن أمر عسيراً عن طريق الموظفين، من ثم كانت هناك فروقات في الأعداد المصرح بها نظريا وتلك التي تصدر فعليا، وتركز التجار المحليون *Pombeiro* الذين يعملون لحساب هؤلاء المتعهدين أو لحسابهم الخاص في لواندا وبعض المراكز الداخلية، يجمعون الأسرى من الأطراف البعيدة للمستعمرة.

وفي الحق لم تكن هناك خطوة من خطوات الاتجار في الرقيق يشوبها قليل من الرحمة بهؤلاء السذج، فكانوا يصلون بعد رحلة شاقة إلى لواندا منهوكي القوى، لا

يتحملون بعدها رحلة عبر الاطلنطى، ورغم ذلك إذ ما تأخرت سفن الشحن، كانوا يستغلون في الأعمال الزراعية أو المدنية، وإذا ما شحنوا تعرضوا لصنوف من العذاب من طاقم السفينة سواء في التجديف أو قلة الغذاء والماء وانتشار صنوف الأمراض بينهم، بحيث كانت السفينة تفقد ما يقرب من ثلث حمولتها مما يلاقيه هؤلاء من أهوال الرحلة.

من رق إلى رق :

لم يكن إلغاء تجارة الرقيق ليرحم سكان انجولا والمستعمرات البرتغالية من سطوة البرتغاليين، بل لقد تعرض السكان إلى نظام أشد من الرق القديم، فمنذ بداية هذا القرن، وكل زائر لانجولا يكتب عن السخرة، وكما يقول *Galvao* أن الموقف في بعض النواحى أخطر من ذلك الموقف الناشئ عن الرق البحت، ففى ظل الرق كان الرجل المباع المملوك كرأس في قطيع من الماشية، ينظر إليه سيده باعتبار أنه مساعد له، فكان يهتم بالمحافظة عليه بالطريقة التى يهتم بها بجواده أو ثور، ولكن عندما يقيد العامل بعقد، فإن المستخدم لا يهتم بصحته الجسمانية ، وتكون النتيجة أن ٤٠% من العمال على الأقل ما أن يموتون أو يصبحوا عاجزين عن العمل.

لم تجتذب المستعمرات البرتغالية المستوطنين البرتغاليين باعداد كبيرة حتى عام ١٩٢٠ أى بعد الحرب العالمية الأولى، وكان المهاجرون الأوائل من الذين هربوا من وطأة الحكم الديكتاتورى في البرتغال، أو من المنفيين.

برازيل إفريقيه :

ذلك أن البرازيل كانت مركز جذب البرتغاليين، رغم أن حكومة البرتغال كانت تشجع البرتغاليين إلى الهجرة إلى مستعمراتها، غير أن البطالة والاكتظاظ السكانى والفقرالذى ساد البرازيل في الأربعينات، بدأ يؤتى ثماره في تدفق الهجرات إلى المستعمرات، وكان نصيب انجولا أكبر من موزمبيق بكثير، فقد أرتفع المهاجرين إليها من ٤٤ ألف نسمة عام ١٩٤٠ إلى ٧٨٠ ألف نسمة عام ١٩٥٠، وأقترب من ٢٠٠ ألف نسمة عام ١٩٦٠ بينما لم يزد عدد المهاجرين إلى موزمبيق عام ١٩٦٠ على ٨٠ ألفا، وكان المفروض أن يبلغ عدد البرتغاليين في أنجولا نحو ٥٠٠ ألف

نسمة عام ١٩٧٠، ليكونوا نواة برازيل في إفريقيه ورغم ذلك لم يتحقق هذا الرقم رغم أن المستوطن يعامل معاملة حسنة على حساب الإفريقيين، فيمنح بمجرد وصوله ثلاث غرف، ومزرعه من ١٥ فدانا من الأراضى المروية، أو ٣٠ فداناً من الأراضى غير المروية إلى جانب ١٠٠ فدان من الأراضى العشبية كمراعى، فضلا عن ٥ أفدانة لزراعة البن، ويمد بالثيران والعربات والبذور وأدوات الزراعة على أن يسدد التكاليف على ٢٥ عاما.

مشكلات ما بعد الاستقلال :

وتواجه انجولا بعد الاستقلال كثير من المشكلات خاصة وان الاستعمار البرتغالى قد تركها في حالة يرثى لها، هذا فضلا عن التدمير الذى أصاب كثير من جهات أنجولا أثناء حركات التحرير وهرب كثير من السكان من أراضيهم سواء إلى الجنوب أو الشمال ، هذا فضلاً عن الحرب الأهلية التى استمرت ردحا من الزمن اتت على الأخضر واليابس، وحطمت عناصر البنية التحتيه من طرق، ووسائل نقل وخطوط حديدية، كما تركت أعداد ضخمة من المعاقين، مما يقتضى جهداً متواصلا، واستثمارات ضخمة حتى تعود الحياة الطبيعية إلى البلاد.

زيمبابوى (روديسيا)

الظروف الطبيعية :

تقع بين نهرى الزمبيزى واللمبوبو، أو ما بين دائرتى عرض ١٥ و٢٢ جنوباً بمساحة تبلغ ٣١٩,٣٦١ كم٢، من ثم تعتبر من الدول الصغيرة الحجم فهى نصف مساحة تنزانيا.

وتمثل زيمبابوى أمتدادا شماليا للهضبة الجنوبية، ويرتفع أربعة أخماسها على ٧٠٠ متر ويزيد الخمس الباقى على الألف متر، وبذلك تأخذ مظهر الهضبة بالمعنى الصحيح، والسمة الرئيسية للتضاريس تتمثل في تلك الحافة المرتفعة والتى تمتد عبر الدولة، وتعرف بالفلد الأعلى، امتدادا لنظيره في جمهورية جنوب إفريقيه، وهذا

الشريط المرتفع الذى يمتد لمسافة ٦٥٠ كم وبعرض ٨٠٠ كم وارتفاع ما بين الالف والالف وخمسمائة متر ممثلا العمود الفقرى للبلاد، وفي نفس الوقت يصبح أشبه بمقسم للمياه بين المياه المتجه نحو الزمبيزى شمالا وتلك المنحدرة نحو اللمبوبو جنوبا أما الفلد الأوسط فيتراوح بين ١٠٠٠ و ١٣٠٠ متر على جانبى الفلد الأعلى سواء صوب الزمبيزى في الشمال أو اللمبوبو في جنوب الفلد المنخفض ويقل ارتفاعه عن ٧٠٠ متر، وتمثله وديان الزمبيزى وروافدها، وتظهر الصخور الاركيه على السطح في ٧٠% من مساحة البلاد بسبب ازاحة عوامل التعرية لقطاعات الكارو التى كانت تغطيها، ولذلك كان البحث عن الثروة المعدنية ميسوراً، اما تكوينات الكارو فمن الممكن تتبعها في الفلد المنخفض، وخاصة بالقرب من وديان الزمبيزى واللمبوبووسابى.

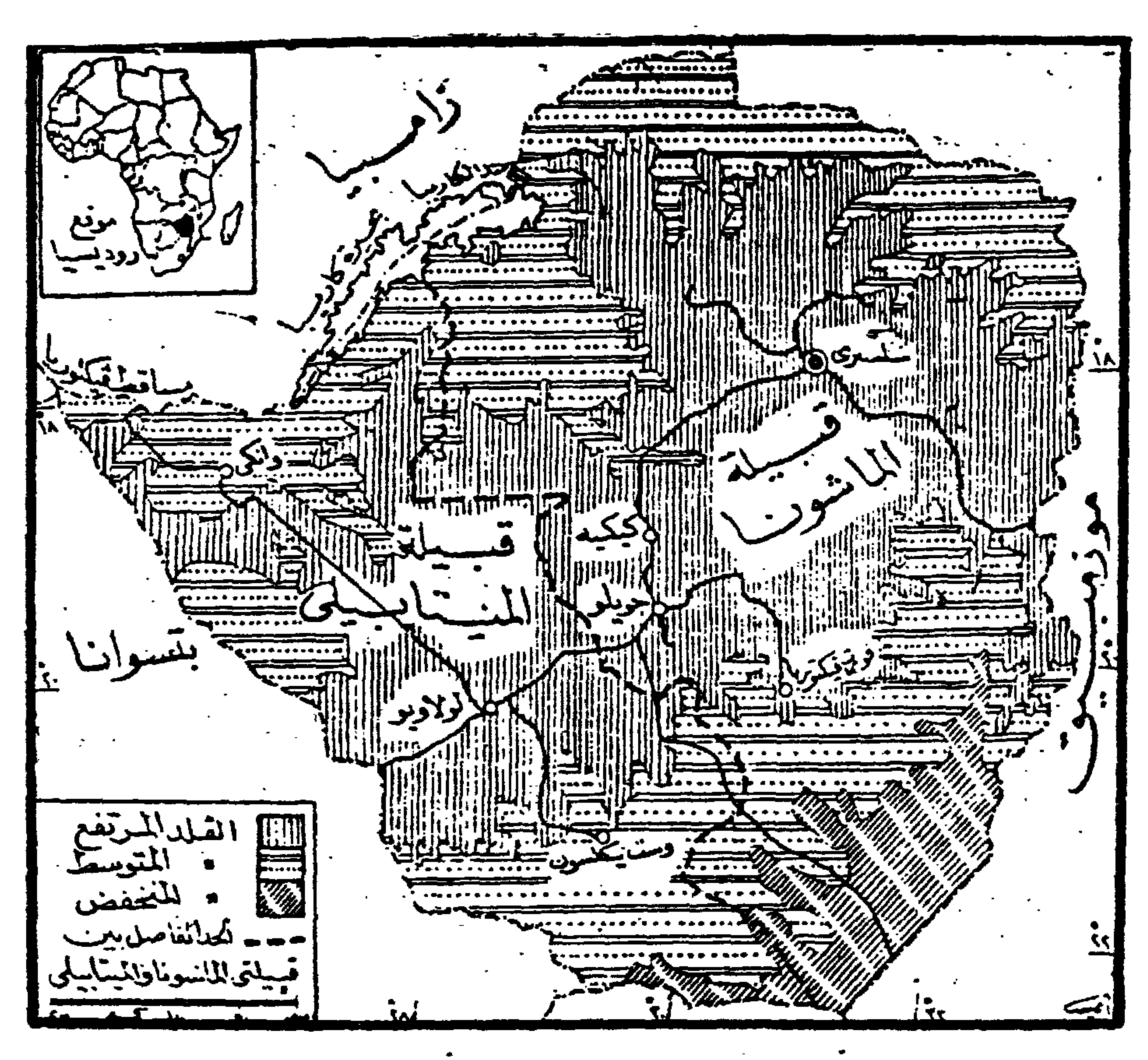
ونظرا لوقوع زيمبابوى في المنطقة المدارية. فالسمة البارزة مناخياً، وهى وجود فصل مطيرا يبدأ من نوفمبر وينتهى في مارس أو إبريل أما الفصل الجاف فيمتد بقية العام، ويتراوح المطر الساقط بين ٣٠، ٢٠٠ سم.

ويلاحظ أن المطر يزداد كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال، ونظرا لأن المجارى المائية موسمية، كان لا بد من تخزين المياه من أجل الصناعة، وتتراوح درجة الحرارة بين الصفر، ٢٩° ترتفع بطبيعة الحال في الاقاليم المنخفضة كوادى الزمبيزى، ولكنها تنخفض فى الفلد الأوسط والأعلى، ويتميز الاقليمين الآخرين وخاصة الفلد الأعلى بمناخهما الصحى لذلك تضم المدن الهامة وخاصة في هرارى، أما المناطق الشديدة الارتفاع التى تكسوها الغابات فتمثل أماكن لقضاء العطلات.

وتضم زيمبابوى أكبر جاليه من المستوطنين الأوربيين في المنطقة الواقعة بين إفريقيه الشماليه وجنوب إفريقيه، إذ يبلغون نحو ٢٠٠ ألف نسمة، على حين أن الإفريقيين يبلغون نحو ١١ مليون نسمة بقبائلهم الرئيسية النيدابيلى (المتابيلى) والشونا (الماشونا) وكان الشونا عند دخول الاستعمار يمثلون المزارعين، نظرا لأنهم يحتلون القسم الشمالى من البلاد وهو الأكثر رطوبة، على حين أن النيدابيلى الذين أتوا من الجنوب (من الترانسفال) يمثلون قبائل الرعاة المحاريه ويحتلون

القسم جنوبى وغرب زيمبابوى، وكانوا يحصلون على حاجتهم من الحبــوب عــن طريق الاغارة على الشونا، وبعد ظهور الاستيطان الأوربى هدأت هذه الاغارات، بـل وتحول كثير من النيدابيلى إلى الزراعة، تلك الزراعة التى ظلت تقليدية غذائية حتــى أدخل المستوطنون المحاصيل النقدية كالتبغ وغيره.

شكل رقم (١٠١) : تضاريس زيمبابوى



الاقتــصـــاد الـــــوطنـــــــى :

وما زال الاقتصاد الريفى لدى الإفريقيين اقتصاد تقليدى يقوم على اساس الزراعـــة المتنقلة ولكن سياسة العناصر البيضاء باقامة المعازل الإفريقيـــة أدى إلـــى خفــض المساحة الممكن التنقل فيها، وقد زاد خطر تعرية التربة بسبب الزيادة الكبيرة فـــي

السكان الإفريقيين وبسبب صغر المساحة المسموح بها للإفريقيين وسوء حالها إذ ما قورنت بالمساحات التى اقتطعها الأوربيون لأنفسهم، لذلك في ظل عدم تسميد الأرض واستعمال الوسائل الحديثة فلا تسمح الأرض بالزراعة سوى ثلاث أو أربع سنوات متتالية، ويذهب البعض إلى القول بأن في ظل هذا النظام، فإن الرجل ذو الزوجة الواحدة يحتاج إلى نحو ٢٠ فداناً وإذا زادت الزوجات زادت المساحة المطلوبة، ولكن الحقيقة التى يعرفها الجميع أن المرأة هى التى تقوم بمعظم العمل الزراعى، بينما يتجه الرجل للعمل في المدينة لمدة طويلة في المصانع أو المناجم أو يعمل في مزارع الأوربيين، وقد كانت الأرض وفيرة لدى الإفريقيين قبل الاستعمار الأوربى فكانت القرى أو الكارال *Karral* تفصلها عن بعضها مساحات من حشائش السفانا التى تستخدم كمراعى وكوقود، ولكن نظرا لأن الاقلية الأوربية احتجزت لنفسها أكثر من نصف مساحة البلاد، ولم تترك للإفريقيين سوى خمس المساحة، وكانت المساحات المختارة للأوربيين، من أجود الأراضى على المرتفعات وفي المناطق المستوية، لذلك اكتظت المعازل الإفريقيه بالسكان المتزايدين وكانت أراضى هذه المعازل، إما مزروعة، أو مراعى، أو متروكه للراحة أو تلفت بسبب تعريتها الشديدة، وتحاول وزارة شئون الأراضى تطوير الزراعة الإفريقيه.

وتمثل الذرة العريضة المحصول الزراعى الأساسى لدى الإفريقيين، كانوا يزرعونها قبل مقدم الأوربيين، بل إن الآوربيين الآوائل استخدموا نفس الأنواع التى وجدوها لدى الوطنيين، وقد بلغ من أهمية الذرة أنها تكاد تشغل أربعة أخماس المساحة المزروعة لدى الإفريقى، وإلى جانب الذرة يزرع الفول السودانى والذرة الرفيعة، ورغم زيادة استهلاك الإفريقيين فإن لديهم فائضا للتصدير، ويقدر أن ثلث صادر الذرة يخرج من المزارع الإفريقيه، وإلى جانب الزراعة التقليدية لدى الإفريقى نجد تربية الحيوان التى تمثل جزءاً هاماً من النظام الاجتماعى لكثير من القبائل، ويقدر عدد رؤوس الأبقار بنحو ٣,٥ مليون رأس، ومعظمها يملكه الإفريقيون، وهى وإن كانت صغيرة الحجم، فإن لها القدرة على مقاومة الأمراض المحلية، وكما هو الحال في المجتمعات الإفريقية التى تربى الماشية، فهى مبعث للفخر والاعتزاز، وترتبط

بتقاليد دفع المهور المسماة (لوابولا) ومن ثم تظهر عقبات في وجه تخفيض أعدادها.

لذلك كان العائد الذى تحققه تربية الماشية لا يبرر استغلال مساحات واسعة في صورة مراعى بهذه الصورة كما أن زيادة أعدادها يؤدى إلى انهاك المراعى، لأن القرى عادة ما تستقر بالقرب من مجرى مائى فتذهب الماشية صباحا للسقيا، ثم يتجهون بها بعد ذلك إلى مراعى الفلد الغربية، وقد اتبعت حكومة المستوطنين في روديسيا سياسة تستهدف منع زيادة الحيوانات عن طاقة التربة بمقتضى قانون الموارد الطبيعية لعام ١٩٤١.

اقتصاد المستوطنين :

وعلى عكس الأراضى الوطنية المحتقنه نجد الزراعة الأوربية التى تتميز باتساع المساحة، وتبلغ نسبة العاملين في الزراعة بنحو ١٢% ومع ذلك يزرعون مساحة ٨٠٠ ألف فدان من أجود الأراضى خاصة فوق ١٣٠٠ متر حيث توجد مساحات واسعة من الأراضى شبه مستوية وبمناخ مناسب، يتراوح مطره بين ٧٥، ١٢٠ سم مع فصل جفاف قصير، ولم تقتصر جاذبية هذه الأراضى للأوربيين على ميزاتها الطبيعية، بل أيضا يمر بها الخط الحديدى الرئيسى الذى يربط زيمبابوى بميناء بيرا فى موزمبيق، كما يرتبط بمناطق التعدين في زامبيا، ويمتد جنوباً إلى جنوب إفريقيه، ذلك أن الإنتاج الزراعى التجارى يتوقف على مدى البعد عن رؤوس السكك الحديدية أو الطرق الرئيسية.

ويستخدم الآوربيون الوسائل الحديثة من الآلات إلى الدورة الزراعية والاسمدة، ويأتى التبغ في مقدمة المحاصيل النقدية لدى الآوربيين وقد دخل الاقليم على يد العرب، وكان الإفريقيون يعرفونه ويزرعونه في بقع صغيرة.

وتأتى زيمبابوى في مقدمة الأقطار الإفريقيه إنتاجا وتصديراً للتبغ، فيقترب إنتاجها وحدها (١١٨ ألف طن) من نصف الإنتاج الإفريقى، وبذلك احتلت المركز السابع بين الأقطار المنتجه في العالم، ويصدر معظمه إلى المملكة المتحدة وكميات أقل إلى استراليا وجنوب إفريقيه.

وكانت زيمبابوى بذلك تمد المملكة المتحدة بنحو ٢٠% من وارادتها من التبغ قبل المقاطعة، وهكذا اسهم التبغ بنحو ثلث قسمة صادرات زيمبابوى حينئذ، وإن كان بعض المزارعين اتجه إلى تخفيض مساحته بعد المقاطعة واحلال بعض الغلات الغذائية اللازمة للاستهلاك المحلى كالقمح والذرة العريضة والاعلاف الحيوانية .

وأهم المناطق الإنتاجية فى زيمبابوى هى الأراضى التى يتراوح ارتفاعها بين ١٣٠٠، ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر ويتراوح مطرها بين ٧٥، ٨٥ سم، وأن كان الحد الأدنى يجب ألا يقل عن ٦٥ سم. وفى داخل هذا النطاق الطبيعى تتحكم الظروف البشرية فى التوزيع الفعلى وأهمها: نمط وتوزيع المزارع الأوربية وبالقرب من السكك الحديدية، لدرجة أن نصف المزارع الأوربية فى زيمبابوى تعتبر التبغ غلتها النقدية الرئيسية. ويحتل التبغ فى المتوسط نحو ٥% من مساحة المزرعة، ومع ذلك نجده مسئولا عن ثلاثة أرباع دخل المزرعة. ولما كان التبغ مجهد للتربة فقد عوضت بالتسميد والدورة الزراعية للحفاظ على إنتاجية عالية، ونوعية مرتفعة، وتتضمن الدورة الزراعية عادة الذرة العريضة للتسويق أو لتغذية الحيوان، وكذلك تحتفظ المزرعة بمساحة تترك فيها الأشجار طبيعية للحصول على حاجتها من الأخشاب اللازمة لعملية تجفيف أوراق فوق نيران الخشب دون زيادة كبيرة فى درجات الحرارة.

وتمتد منطقة التبغ الرئيسية فى شمال وشرق زيمبابوى من أومتالى وماريندلاس إلى سالسبورى وهارتلى ولوماجوندى.

وتعتبر مشكلة العمل من أهم ما يواجه التوسع فى الإنتاج، ذلك أنه فى حاجة إلى أيدى عاملة سواء فى الزراعة أو فى التجفيف، ويستمد التبغ ثلثى حاجته من الأيدى العاملة من خارج زيمبابوى، بل إن من المزارع ما يكاد يعتمد على عمالته من المهاجرين.

وتقوم موزمبيق بامداد زيمبابوى بنصف العمل، كما تقوم مالاوى بتزويد الثلث والباقى من زيمبابوى ، ونظرا لأن مورد العمل غير كاف، وكفاءة غير عالية، من

ثم فالعامل البشرى وليس الطبيعى هو الذى يحدد التوسع فى زراعة التبغ لأن هناك نحو ٢ مليون فدان من المزارع الأوربية صالحة لإنتاجه.

يقوم الأوربيون بزراعة الذرة العريضة أيضا، وغالبا ما تدخل فى دورة زراعية مع التبغ، وإن كانت تشغل مساحة أكبر، وتزرع فى ظروف مطر مختلفة بشرط ألا يقل المطر عن ٧٠ سم. ولا يقارن إنتاجية الفدان فى الولايات المتحدة أو الارجنتين نظرا لعم اعطائها اهتماما كبيرا وعدم تسميدها، وأهم أقاليم الذرة الأوربية حول سالسبورى، ورغم زيادة الإنتاج يبدو أن تكاليف النقل المرتفعة تحد من تصدير الفائض حتى إلى مالاوى القريبة منها.

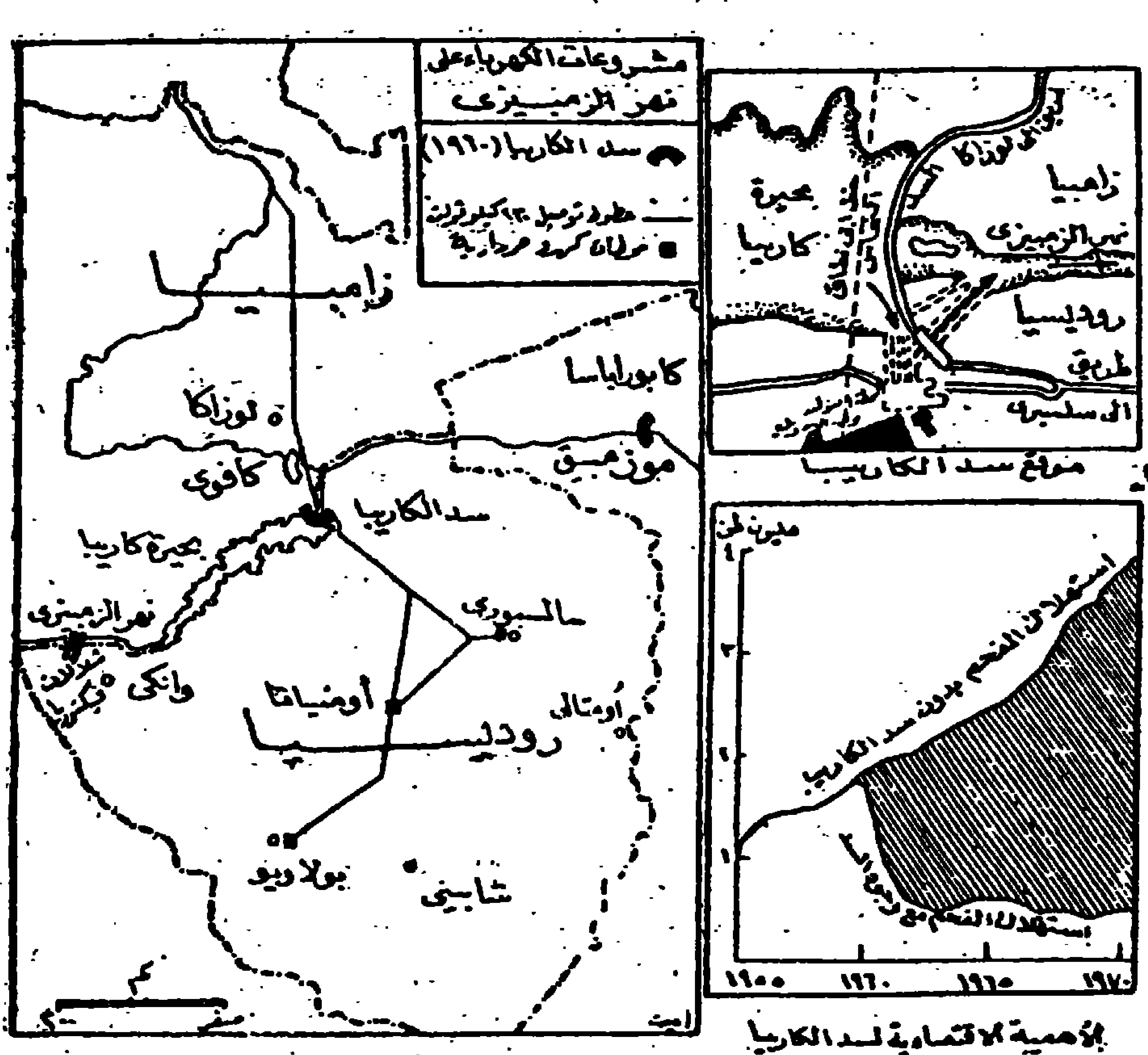
وكانت هناك محاولات لزراعة قصب السكر على نطاق تجارى قبل الحرب العالمية الثانية، لكن لم يكتب لها النجاح إلا بعد تنفيذ مشروعات للزراعة الواسعة فى هضبة الفلد الأدنى وأمكن التغلب على عقبة المطر بالاستعانة بالرى كمكمل له، فضلا عن استخدام الأسمدة لتحسين التربة وبلغ إنتاج زيمبابوى نحو ١٤٥ ألف طن مما جعلها مصدرا للسكر وكانت بريطانيا تمثل سوقا رئيسية قبل اعلان الاستقلال غير المشروع وكذلك كانت زامبيا ومالاوى قبل نمو الإنتاج فيهما ولكن هذه الأسواق اغلقت مما جعل مشروع إنتاج السكر يتحول إلى شوكة فى جانب الاقتصاد الزيمبابوى.

وتربى الماشية فى ظل ظروف متعددة فى المزراع التى يمتلكها الاوربيون، وتتراوح الوحدات التى تربى فيها من وحدات كثيفة صغيرة تربى إلى جوار النشاط الزراعى حيث الغذاء الجيد، إلى وحدات كبيرة تزيد الماشية فيها على خمسة آلاف رأس.

ويلاحظ أن القطيع المتوسط فى نطاق الملكية الفردية يتراوح عدده من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ رأس من الماشية. وقد أدخل الاوربيون أنواع الهيرفورد والسسكس وهجنت من الأنواع الافريقية، ويربى الاوربيون الماشية للغرضين معا، اللحوم والألبان، والمناطق الرئيسية لتربية ماشية الألبان هى التى تقع على طول مقسم المياة، أى وسط زيمبابوى وحيث توجد المدن الرئيسية، وأصبحت زيمبابوى الآن المنتج الرئيسى للحوم فى إفريقيه المدارية وتدر اللحوم سنويا بما يقرب من ٥ مليون

جنيه، هذا ويلاحظ أن معظم الأوربيين الذين يمارسون الزراعة فى أراضى الماشـونا يركزون على الإنتاج النباتى كما ذكرنا فى التبغ والذرة، أما الباقى، والذين يعيشـون فى أرض الميتابيلى والفلد الأوسط فيعملون أساسا فى تربية الماشــية أو الزراعــة المختلطة (١٦).

شكل رقم (١٠٢) : سد الكاريبا



التعــــديـن :

يمثل الصادرات المعدنية ٥/٢ قيمة الصادرات، وقد بدأ التعدين فى زيمبـابوى قبـل قدوم الأوربيين بفترة طويلة، وكانت هناك مشروعات لاستخراج النحاس، والذهـب،

---

(١٦) شهد أبريل عام ١٩٨٠ ظهور روديسيا كدولة مستقلة باسم زيمبابوى، يسود فيها حكم الأغلبيــة الافريقية. ولم تحدث فيها المذابح ولا الفوضى كما كانت تتوقع الأقلية البيضاء. وبدأت معالجة مشكلة الأرض بمشروعات التوطين فى الأراضى التى هجرها البيض بمحض إرادتهم نظير تعويضات، وبلغت مساحتها ٢ مليون هكتار.

والحديد، ولكن التعدين الحديث لم يظهر إلا بعد ظهور شركات التعديـــن الأوربيـــة، وكان التعدين يركز أول الأمر على الذهب حتى عام ١٩٤٨ حينما ارتفعـــت أســـعار المعادن الأخرى منذ أوائل الاستيطان الأوربي، ولكن أخر استغلالها نقص الخطـــوط الحديدية، وتتركز مناطق التعدين فى زيمبابوى فى نطاق يعرف بالدرع الكبير يمتـــد فى اتجاه شمالى وشمالى شرقى لمسافة أكثر من ٥٠٠ كم وبعـــرض بيـــن ٥، ١٠ كيلو متر، ويمثل هذا الدرع الأراضى التى كشفتها عوامل التعرية.

ويأتى الذهب فى المقام الأول من حيث قيمـــة المعـــادن المنتجـــة فـــى زيمبـــابوى، والمناطق الرئيسية لاستخراجه هى هارتلى وبولاوايو وسالسبورى وأومتالى، وبذلك تقع مناجمه فى الفلد الأعلى حيث التوطن الأوربى وشبكة الخطوط الجيـــدة وتـــأتى زيمبابوى فى المكان الثانى مباشرة لإنتاج الاسبستوس بعد كنـــدا، وخاماتـــه هنـــا مرتفعة الجودة. والمركز الرئيسى لاستخراجه فى اقليم شاباني، ويستهلك جزء بسيط محليا فى صناعة الأسمنت. ويصدر الباقى، وتنتج زيمبابوى الكروم وأكبر مناجمـــه فى سيلكوى حيث ترتفع نسبة المعادن فى الخام، من المعـــادن تنتجـــها زيمبـــابوى الحديد والنحاس، كما تتميز بوجود تكوينات الفحم وبذلك تأتى فى المركز الثانى فـــى أفريقية بعد جنوب إفريقيه، وكان حقل وانكى هو المصدر الوحيد لإنتاج الطاقة سواء للسكك الحديدية أو لتشغيل مصاهر المعادن فى زيمبابوى وزامبيا بإنتاجه البالغ نحـو ٣ مليون طن، وباحتياطى بلغ نحو ٨٠٠ مليون طن، وكلها من الأنـــواع الصالحـــة لاستخراج فحم الكوك اللازم للصناعة. وقد حرر سد الكاربيا الذى أقيم علـــى نـــهر الزمبيزى زامبيا وزيمبابوى من استعباد هذا الحقل لهما فى ميدان الطاقة ، وأصبـــح الفحم يستخدم تقريبا فى تشغيل السكك الحديدية.

الصناعـــــــة :

من هم مظاهر التنمية الاقتصادية التى شهدتها (زيمبابوى) منـــذ الحـــرب العالميـــة الثانية هو نمو الصناعات التحويلية، وقد اشتركت عدة عوامل لتسهم فى هذا النمـــو منها الخامات المعدنية المنتجة محليا، والهجرة البيضاء التى تدفقت على زيمبـــابوى بعد الحرب العالمية الثانية بغزارة، وكان كثير من المهاجرين من العاملين بالصناعة،

ثم كان الانتهاء من سد الكاريبا والحصول على طاقة كهربائية رخيصة لهذه الصناعات.وكانت هناك أيضا رغبة حكومة زيمبابوى فى تنويع الإنتاج، وعدم الاعتماد كلية على التبغ والذرة فضلا عن وجود سوق فى إفريقيه المدارية. وتنتشر المراكز الصناعية على طول الخط الحديدى من بولاوايو إلى سالسبورى كنوات للأقاليم الصناعية. ورغم أن ربع الإنتاج الصناعى هو صناعات غذائية، فهناك صناعة الحديد والصلب حيث أقيم مصنع فى راديكليف ينتج ٩١ ألف طن من اصلب ٢١٦ ألف من الحديد الزهر. ويعتمد المصنع على الخام المحلى من الحديد والحجر الجيرى فضلا عن فحم وانكى. ويعتبر الاقليم الذى تتوسطه كيكيه مركز الصناعات الثقيلة فى زيمبابوى.وتقوم صناعة غزل القطن فى جاتوما وبولاوايو وسالسبورى، كما تقوم صناعة السكر فى كل من سالسبورى وبولاوايو هذا فضلا عن صناعة تجميع اللوريات وإنتاج البطاريات وإطارات السيارات ومعلبات اللحوم والألبان والخضر والفاكهة.

مالاجاشى (مدغشقر)(×)

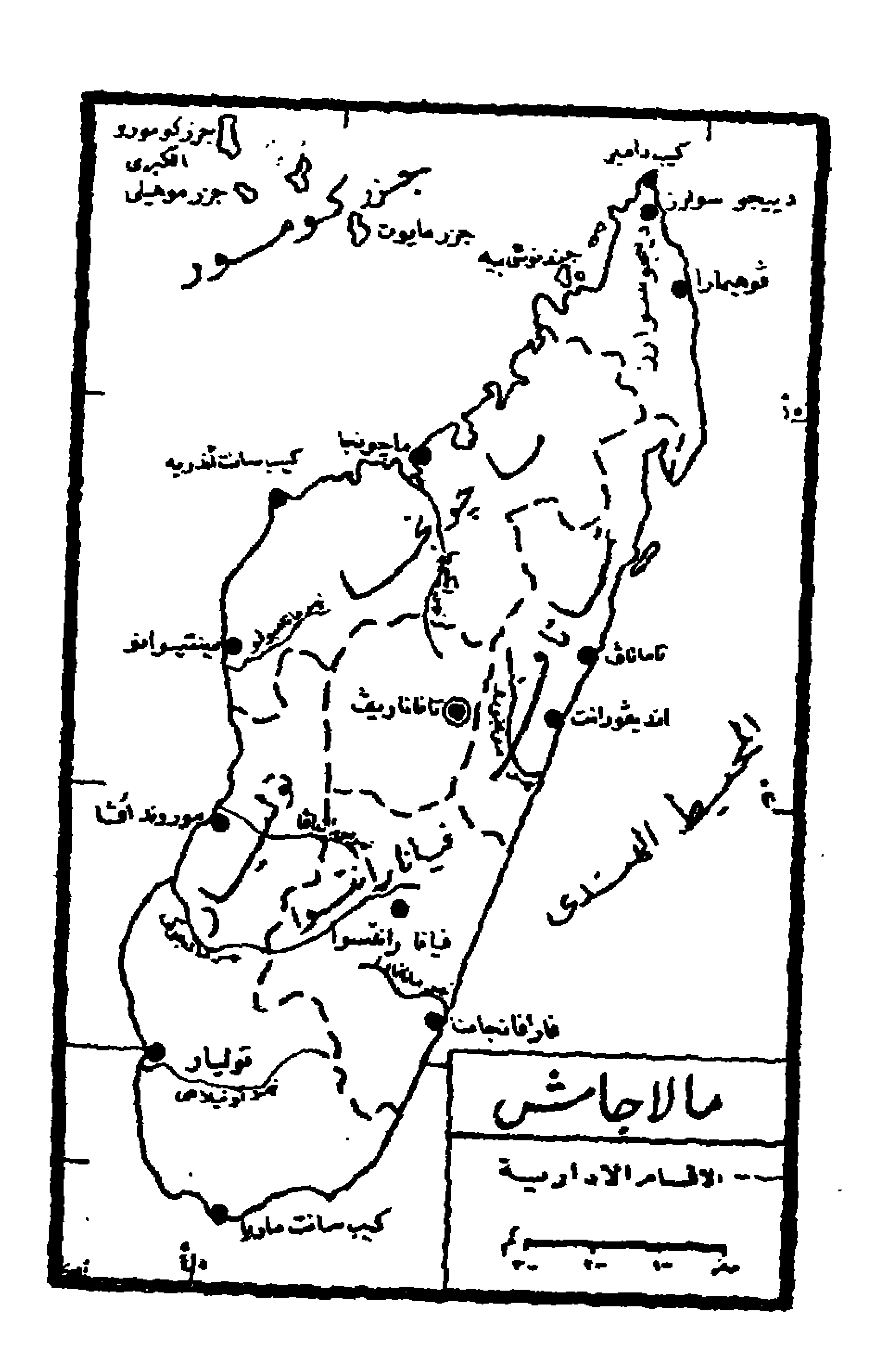
لها شخصيتها الجغرافية المستقلة عن القارة الافريقية نظرا لانعزالها عن أرض القارة منذ الزمن الثانى الجيولوجى يفصلها عنها مضيق موزمبيق الذى يبلغ اتساعه ٤٠٠كم، من ثم كانت فى حياتها النباتية والحيوانية أكثر تخصصا من نظائرها فى نفس عروض إفريقيه، وتضم أنهارها الأعداد الكبيرة من التماسيح وأسماك المياه العذبة محدودة للغاية، كما لا توجد بها الافاعى السامة على الاطلاق، وتبدو أنواعها المحلية من العناكب والوطاويط والليمور ذات أهمية خاصة لدى علماء الحياة لاختلافها عن نظائرها فى العالم .

(×)يطلق عليها سكانها الأصليين لفظ مداجاس، أما لفظ مدغشقر فمن المرجح أنه تحريف للفظ مقديشو (عاصمة الصومال) كما أطلق عليها العرب جزيرة القمر، وربما ترجع إلى جبال القمر التى ظنوا أنها منابع النيل العليا و شرقى إفريقيه.

السكـــــــان :

وهى فريدة فى تركيب سكانها خليط من زنوج البانتو الذين يرجح أن سـبقتهم إلـى هناك جماعات زنجية أقرب إلى البوشمن، ثم جاءت الموجات الحديثة مـن الزنـوج الافريقيين كعبيد مع التجار العرب، ويطلق على الجماعـات الزنجيـة مـن البـانتو الافارقة لفظ موزمبيكى أى من موزمبيق، وقد بلغت هذه الموجات الزنجية ذروتـها فى عهد التفوق البحرى للعرب فى المحيط الهندى حتى القرن السادس عشر، وتعتبر قبيلة الماكوا التى تعيش فى الأجزاء القريبة من الجزيرة فضلا عن حوض الاوتـذا أهم هذه الجماعات، ويقدر عددهم بنحو خمسين ألف نسمة.

شكل رقم (١٠٣) : مالاجاشى



أما الهجرات الاندونسية فتعود إلى ما قبل الميلاد بأكثر من ألف عام، ومن المرجح أنها هى التى أدخلت زراعة الأرز، وتوالت بعد ذلك هجرات الملاويين التى تنحدر منها القبائل الرئيسية هناك كالميرينا أو الهوفا الذين يمثلون ربع سكان الجزيرة، ويعيشون على الهضاب الوسطى، وتتضح فى هؤلاء السكان الصفات المغولية كاللون الأصفر الشاحب، والشعر الأسود المسترسل والوجه المستدير، وهم من أكثر سكان الجزيرة تطورا، اتجهوا منذ القدم إلى الإعمال اليدوية، ولاءموا أنفسهم مع الغزو الفرنسى، فتعلموا وعملوا بالوظائف الحكومية، والتجارة، والزراعة وهناك قبائل بتسيليو التى تعيش إلى الجنوب من الميرينا، وكان يطلق على هذه القبائل قديما أمراء الجبال الوفيرة الأبقار لأنها تضم وديانا زراعية خصبة تساعد على احتراف الزراعة، أما قبائل تسيميهتى فهى تعيش فى أقصى الطرف الشمالى الغربى للجزيرة، وإلى الجنوب منهم قبائل سكالاقا الآخذه فى الانقراض.

ومن العناصر الوافدة إلى الجزيرة كان العرب والفرس والهنود إلى أن بلغها البرتغاليون فى القرن الخامس عشر وأطلقوا عليها جزيرة ساولورنس ثم الهولنديون والانجليز فى القرن السابع عشر، ولذلك نشأت أيضا العناصر المولدة نتيجة اختلاط هؤلاء وأولئك بالعناصر الآسيوية والزنجية. وقد دار صراع مرير بين انجلترا وفرنسا على مد نفوذ كل منهما فى الجزيرة، خاصة ان انجلترا كانت قد استولت على سيشل وريتيون وانتهى هذا الصراع باعلان فرنسا، الحماية على الجزيرة، ثم اعلان مدغشقر مستعمرة فرنسية عام ١٨٩٦ بعد مقاومة أهلية عنيفة من السكان الأصليين نظرا لأنه كان هناك حكم ملكى مستقر وظل الامر كذلك حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠.

البنية والتضاريس والمناخ :

الجزيرة جيولوجيا جزء من جندوانا وتكمله لموزمبيق المقابلة، من ثم كان النصف الشرقى من الجزيرة يتكون من هضاب بلورية، تعلوها البراكين القديمة، وتظهر طبيعتها الانكسارية فى تلك الانكسارات الممتدة فى غربيها، بل ان ساحلها الشرقى المستقيم ينبئ عن هذا من ثم لا تضم سوى ميناء طبيعى واحد يطل على خليج

ديبجو سواريز *Diego suarez* ويتميز هذا الخليج بكثرة تعاريجه وبحمايته من العواصف والأعاصير من ثم كان مرسى أمينا للسفن، واتخذ ت فرنسا قاعدة للأساطيل الحربية.

وإذا كانت الهضاب والكتل الجبلية تمثل العمود الفقرى للجزيرة محتلة نحو ثلثى مساحتها، بارتفاع يتراوح بين ١٠٠٠، ١٥٠٠ متر، وتنحدر بشدة نحو الشرق، فهى أكثر تدرجا نحو الغرب، وتسقط على هيئة مدرجات، بمعنى ان السهل الساحلى الشرقى الذى يطل على المحيط الهندى يتراوح اتساعه بين ١٠، ٢٠ كم، وبالإضافة إلى هذه التضاريس المرتفعة البازلتة والبلورية، هناك المنخفضات الناتجة عن الانكسارات، والتى كانت تحتلها البحيرات فى العصر المطير، وحين جفت تركت أحواضا ذات تربات غرينية صالحة للزراعة أشهرها منخفض الأوترا إلى الشمال الغربى من العاصمة تناناريف (مليون نسمة).

وتتأثر مالاجاشى مناخيا برياح المحيط الهندى من ناحية، وبقربها من القارة الإفريقيه من ناحية أخرى. فتهب الرياح الجنوبية الشرقية باستمرار على قسمها الشرقى طول العام بحيث لا يوجد هنا فصل جاف بالمعنى الصحيح، فتجتمع الحرارة والرطوبة، ويبلغ المطر هنا نحو ٣٥٧سم، بينما يسود المناخ المدارى الجبلى فوق المرتفعات حيث تنخفض الحرارة إلى ١٧م فى تناناريف العاصمة على ارتفاع ١٣٨٠مترا، أما السفوح الغربية فهى ذات مناخ موسمى نموذجى، يظهر فيه الفصل الجاف.

النشاط الاقتصادى :

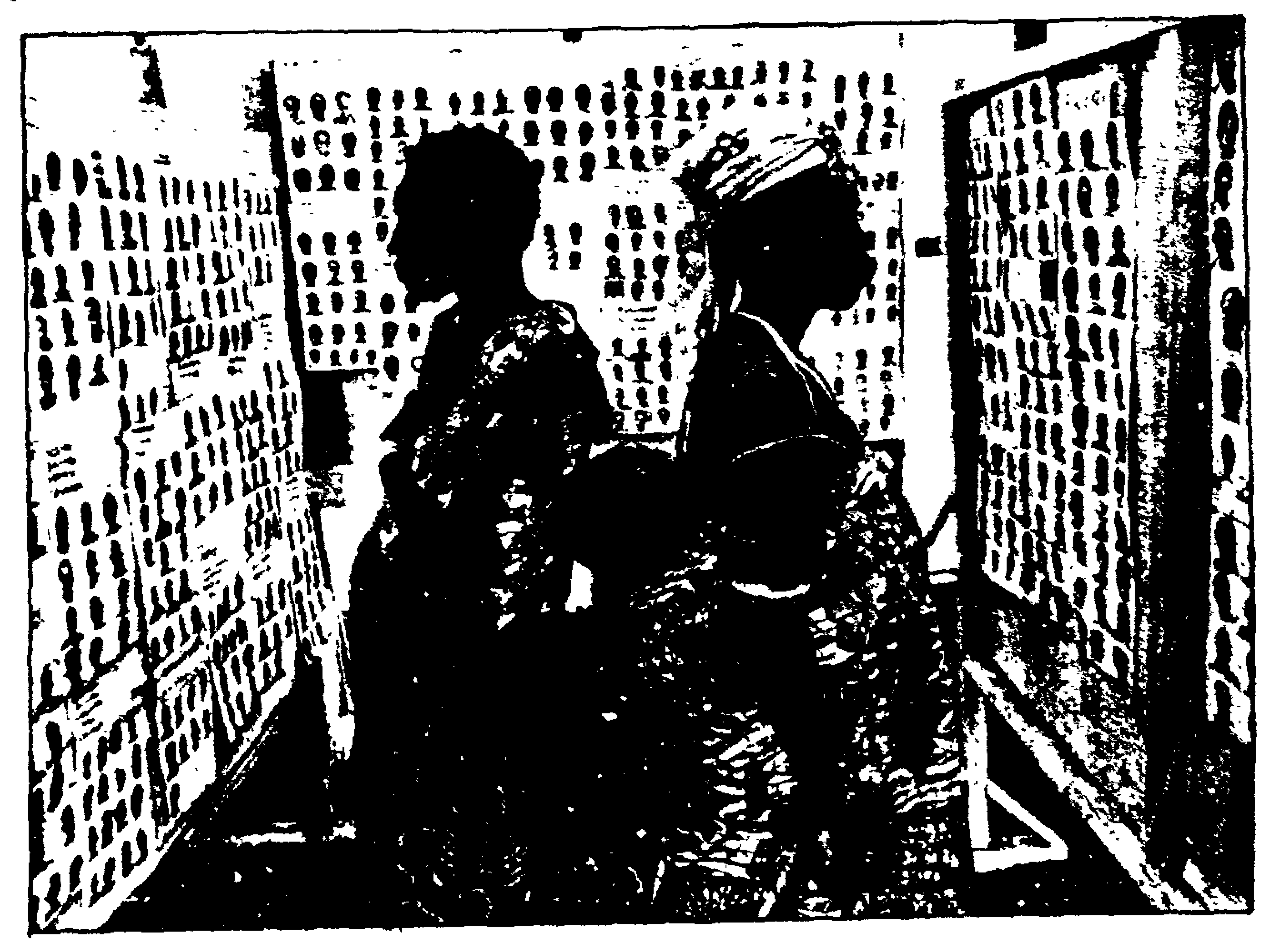
ويعتمد سكان الجزيرة البالغ عددهم نحو ١٥ مليون نسمة على الزراعة أساسا، وتشغل المحاصيل الغذائية ثلثى المساحة المزروعة وعلى رأسها الأرز، حيث تزرع هناك أكثر من سبعين نوعا منها ما ينمو على المرتفعات غير أن أفضلها وأوفرها محصولا ما يزرع فى الأودية الفيضية، ويحتل المانيوق أو الكسافا المركز الثانى كمحصول غذائى وخاصة على المدرجات الجبلية فوق مزارع الأرز، ويتراوح الإنتاج بين ١٠، ٣٠ طنا، غذاء للإنسان والحيوان، وتقوم عليه صناعة الدقيق، وهناك

البطاطا واللوبيا والخضروات. وأهم صادرات مالاجاشى البن الذى يجود فوق التربات البركانية، وأدخل النوع العربى من جزر رينيون مع قصب السكر، وتنتشر انتشارا واسعا نظر لملاءمة الظروف المناخية له، ويذهب معظمه إلى جانب الروبستا إلى السوق الفرنسية، ممثلا لنحو ٣٠% من صادرات البلاد.

ويقوم صغار التجار الصينيين عادة بنقله إلى الموانى الرئيسية الثلاثة توامسينا على الساحل الشرقى، وهى ميناء ملاجاشى الرئيسى والمسئول عن نصف تجارة البلاد الخارجية، كما أنها الميناء المفتوح لإنشاء معمل تكرير وبداية خط أنابيب بترول نحو الداخل، وميناء مهاجنجا إلى الشمال على الساحل الشرقى، وأن كان ميناء محميا فانه ليس عميقا ومع ذلك فحركته كبيرة لمواجهته لإفريقيه، وقلة تعرضه للزوابع المدارية التى يعانى منها ميناء تاماتاف، كما أنه على اتصال سهل بالعاصمة تاناناريف، والميناء الثالث هو توليارا الذى يخدم القسم الجنوبى الغربى للبلاد.

شكل رقم : (١٠٤)

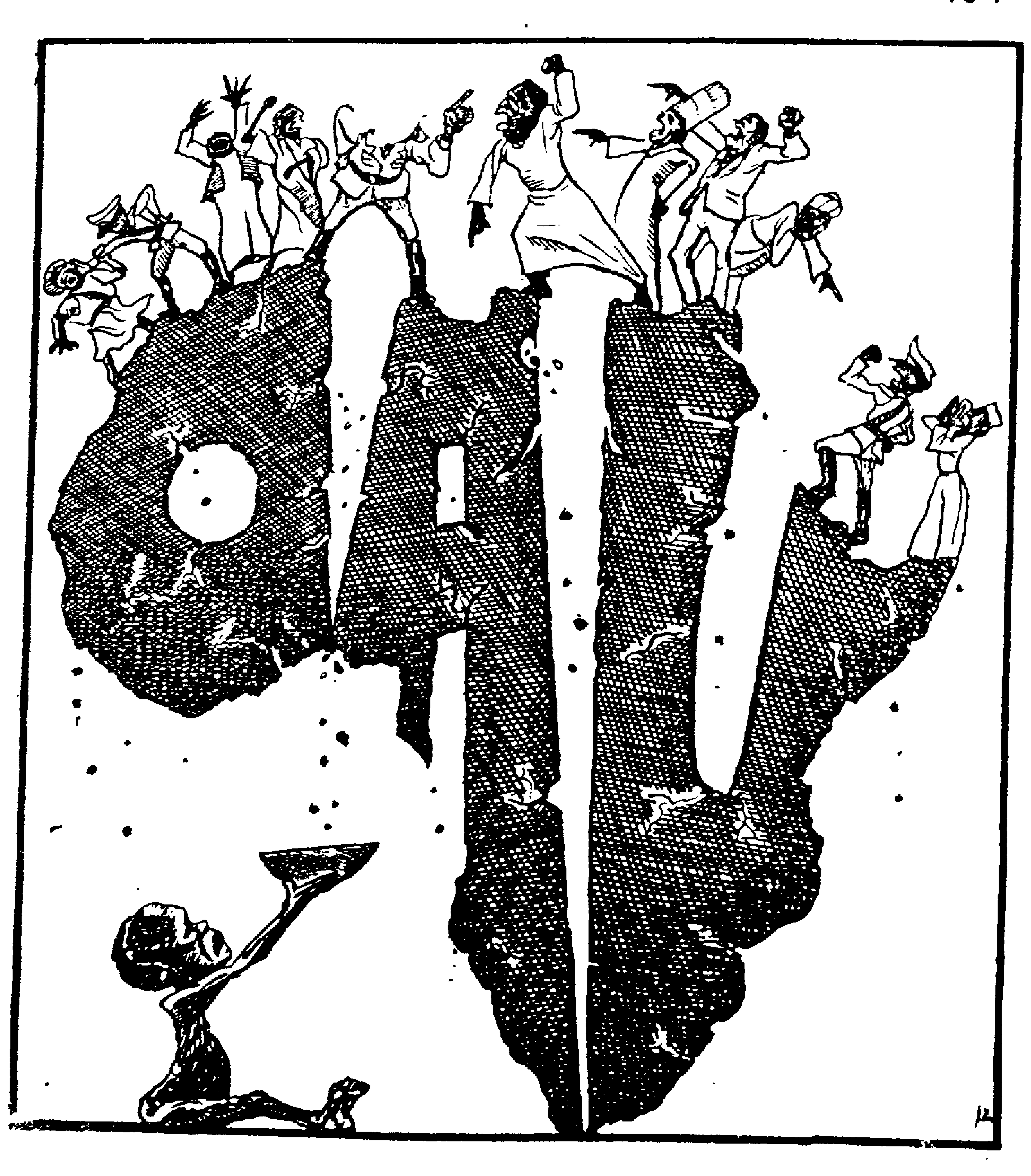
أمهات يبحثن عن أطفالهن فى الصور التى علقتها اليونسيف على جدران معسكرات اللاجئين



ويزرع التبغ فى الاقليم الغربى، أدخل الفرنسيون زراعته وخاصة فى المستوطنات الأوربية، ويصدر معظمه إلى فرنسا، ومن محاصيل الصادرات الأخرى القرنفل والسيسل وغيرها، وتعتمد مالاجاشى اعتمادا كبيرا على فرنسا فى تصريف أكثر من نصف صادراتها واستيراد ثلاثة أرباع احتياجاتها.

ومن حسن حظ مالاجاشى أنها لا تعانى من ذبابة تسى تسى كما هو الحال فى إفريقيه المدارية لذلك تقدر ثروتها من الأبقار بنحو ٧,٥ مليون رأس.

وإذا كانت ثروتها المعدنية متنوعة، فإنها ضئيلة كما فيما عدا الجرافيت والميكا، فهى تتبوأ مركزا عالميا فى إنتاجهما، ويعدن الجرافيت على الساحل الشرقى لتاماتاف، وهناك مركز أيضا للبحث عن الأحجار المشعة كاليورانيوم حول ببهارا فى الجنوب.



إفريقية المساحة بالألف كم٢/ والسكان بالمليون (٢٠٠١)

	المساحة	السكان	العاصمة	تاريخ السكان	لعملة
إفريقية	٣٠٣٣٠	٨١٣			
شمال إفريقية		١٧٧			
الجزائر	٢٣٨٢	٣١,٥	الجزائر	١٩٦٢/٧/٢	دينار جزائري
مصر	١٠٠١	٦٩	القاهرة	١٩٢٢/٢/٢٨	جنية مصري
ليبيا	١٧٦٩	٥,٤	طرابلس	١٩٥١/١٢/٢٤	دينار ليبي
المغرب	٤٤٧	٣٠,٤	الرباط	١٩٥٦/٣/٢	درهم
تونس	١٦٤	٩,٥	تونس	١٩٥٦/٣/٢٠	دينار تونسي
إفريقية الغربية	—	٢٣٤	—	—	—
بنين	١١	٦,٥	بورتونوڤو	١٩٦٠/٨/١	فرنك المجموعة الأفريقية X
جزر الرأس الخضر	٠,٤٠٣	٠,٤	باريا	١٩٧٥/٧/٥	إسكودو
غمبيا	١١	١,٤	بانوجن	١٩٥٦/٢/١٨	دالاسي
غانا	٢٣٩	٢٠	اكرا	١٩٥٧/٣/٦	سيدي
غينيا	٢٤٦	٨	كوناكري	١٩٥٨/٩/٢٨	سيلي
غينيا بيساو	٣٦	١,٢	بيساو	١٩٧٣/٩/٢٤	بيسو
كوت ديڤوار	٣٢٢	١٦	ياما سكورو	١٩٦٠/٨/٧	٨
ليبيريا	١١١	١٢	مونروڤيا	١٩٤٧/٧/٢٦	دولار
مالي	١٢٤٠	١٢	باماكو	١٩٦٠/٩/٢٢	فرنك مالي
موريتانا	١٠٣١	٢,٧	نواكشوط	١٩٦٠/١١/٢٨	أوقية
النيجر	١٢٦٧	١١	نيامي	١٩٦٠/٨/٣	X
نيجيريا	٩٢٤	١١٧	أبوجا	١٩٦٠/١٠/١	نايره
سنغال	١٩٦	٩,٦	دكار	١٩٦٠/٨/٢٥	×
سيراليون	٧٢	٥	فريتاون	١٩٦١/٤/٢٧	ليونه
توجو	٥٦	٦	لومي	١٩٦٠/٤/٢٧	×

X فرنك المجموعة الإفريقية.

	المساحة	السكان	العاصمة	تاريخ السكان	لعملة
بوركينا فاسو	٢٧٤	١١,٩	أولجادوجو	١٩٦٠/٨/٥	×
شمال شرقي إفريقية	—	١٠٥,٥	—	—	
أثيوبيا	١٠١	٦٧	أديس بابا		بر
جيبوتي	٢٢	٠,٦	جيبوتي	١٩٧٧/٦/٢٧	فرنك جيبوتي
صومايا	٦٣٨	٩	مقديشو	١٩٦٠/٧/١	شلن صومالي
السودان	٢٥٠٠	٣٢	الخرطوم	١٩٥٦/١/١	جنية سوداني
إريتريا	١٢٤	٤	أسمره	١٩٩٣/٥/٢٤	
وسط إفريقية	—		—	—	
بوروندي	٢٨	٦,٧	بوجومبورا	١٩٦٢/٧/١	فرنك بوروندي
كاميرون	٤٧٥	١٥,٤	ياوندي	١٩٦٠/١/١	×
إفريقية الوسطي	٦٢٣	٤	بانوجوي	١٩٦٠/١/١٣	×
تشاد	١٢٨٤	٨	نجامينا	١٩٦٠/٨/١١	×
الكنغو	٣٤٢	٣	برازفيل	١٩٦٠/٨/١٥	×
غينيا الاستوائية	٠,٤٨	٠,٥	مالابو	١٩٦٨/١٠/١٢	×
جابون	٢٦٨	١,٣	لبرفيل	١٩٦٠/٨/١٧	×
رواندا	٢٦	٨	كيجالي	١٩٦٢/٧/١	فرنك رواندي
ساوتومي وبرنسيب	٠,٩٦٤	٠,٢	ساوتومي	١٩٧٥/٧/١٢	دوبرا
كنغو ــ ديمو	٢٣٤٥	٥٢	كينشاسا	١٩٦٠/٦/٣٠	كينشاسا
إفريقية الشرقية	—	٩١	—	—	
كينيا	٥٨٣	٣١	نيروبي	١٩٦٣/١٢/١٢	شلن كيني
تنزانيا	٩٤٥	٣٦	دار السلام	١٩٦١/١٢/٩	شلن تنزاني
أوغندا	٢٣٦	٢٤	كمبالا	١٩٦٢/١٠/٩	شلن أوغندي
إفريقية الجنوبية	—	١١٧	—	—	
أنجولا	١٢٤٧	١٤	لواندا	١٩٧٥/١١/١١	كوانزا
بتسوانا	٦٠٠	١,٦	جابرونس	١٩٦٦/٩/٣٠	بولا
ليسوتو	٣٠	٢,١	ماسيرو	١٩٦٦/١٠/٤	لوتي
مالاوى	١١٨	١٢	ليلنجوى	١٩٦٤/٧/٦	كواتشا
موزمبيق	٨٧٣	١٩,١	مابوتو	١٩٧٥/٦/٢٥	متيكا

	المساحة	السكان	العاصمة	تاريخ السكان	لعملة
نامبيا	٨٢٣	١,٨	وندهوك	١٩٩٣/٣/٢١	—
زيمباوي	٣٩٠	١٣	هراري	أبريل	دولار زيمباوي
جنوب إفريقية	١٢٣١	٤٤	بريتوريا	١٩١١	راندا
سوازيلاند	١٧	١	مبابان	١٩٦٨/٦:٩	أمالا نجاتي
زامبيا	٧٥٣	١١	لوساكا	١٩٦٤/١٠/٢٤	كواتشا
جزر المحيط الهندي	—	١٧,٥	—	—	—
القمر	٢	٠,٦	مروني	١٩٧٥/٧/٦	×
ملاجاشي	٥٨٧	١٦	تناناريف	١٩٦٠/٦/٢٦	فرنك مدغشقري
موريشس	٢	١,٢	بورت لويس	١٩٦٣/٣/١٢	روبية موريشسية
رينيون	٣	٠,٧	سانت دنيس		×
سيشل	٠,٤	٠,١	فيكتوريا	١٩٧٦/٦/٢٨	روبية سيشيلة

مراجع المؤلف

- محمد عبد الغنى سعودى: الاقتصاد الافريقى والتجارة الدولية، القاهرة ١٩٧٥.
- الوطن العربى دراسة لملامحه الجغرافية. القاهرة ٢٠٠٢.
- الجغرافية السياسية المعاصرة القاهرة١٩٩٧.
- السودان دراسة فى الوضع الطبيعى والكيان البشرى والبناء الاقتصادى القاهرة١٩٨٥.
- الوجود الاقتصادى الصينى فى إفريقيه، مجلة معهد البحوث والدراسات الإفريقيه، جامعة القاهرة، العدد الثالث ١٩٧٤.
- اللغة وأثرها فى دعم الوحدة الافريقية. بحث مقدم لمؤتمر نقابات المعلمين الافريقية فى القاهرة، ديسمبر ١٩٧٥.
- التكامل الاقتصادى الافريقى، بحث قدم لمؤتمر الشباب الافريقى المنعقد فى تونس فى يوليه ١٩٧٣.
- الصومال: عضو جديد فى الجامعة العربية، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد الرابع ١٩٧٤.
- موريتانيا: جسر العروبة والإسلام إلى غرب إفريقيه، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد الخامس ١٩٧٥.
- النقل فى إفريقيه المدارية، سماته ومشكلاته، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ١٩٧٠.
- هجرة العمالة فى شرق إفريقيه، المجلة الجغرافية العربية ع ٥، ١٩٧٢.
- السوق الأوربية الموسعة وآثارها على إفريقيه، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ١٩٧٣.
- لماذا طرد عيدى أمين الآسيويين من أوغندا، الأهرام فى ١٢/١٠/١٩٧٢.

- البرتغال في حلف غير مقدس مع الاحتكارات الامريكية، الأهرام الاقتصادى، عدد ٤٢٨، ١٩٧٣.
- سد الفولتا، مجلة الدراسات الإفريقيه، العدد الثانى، القاهرة ١٩٧٤.
- أسواق الصادرات الإفريقيه، مجلة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والتشريع عدد ٣٤٥ يوليه ١٩٧١.
- الوجود الاقتصادى اليابانى فى إفريقيه، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ٣١، يناير ١٩٧٣.
- الصومال المسح الشامل، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٨٢.
- التكامل المصرى السودانى بالاشتراك، القاهرة، الانجلو، ١٩٨٣.
- ناميبيا: نشرة البحوث والدراسات الافريقية رقم ١٠، ١٩٨٦ - معهد البحوث والدراسات الإفريقيه.
- الصومال بين التنمية والجفاف، المؤتمر الجغرافي العربي الثاني، بغداد ١٩٧٤، القاهرة المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٦.
- مياه النيل: ندوة العلاقات المصرية السودانية، مركزالبحوث السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة ١٩٩٠.
- جغرافية مصر السياسية: في كتاب جغرافية مصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٤.
- تاريخ الرى فى مصر (بالاشتراك) مع وزارة الاشغال والموارد المائية القاهرة، ١٩٨٧.
- مشكلة الحدود الصومالية والأرض المتقطعة، الندوة الدولية للقرن الأفريقي ١٩٨٥ الجزء الأول، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٨.
- نهر النيل: جغرافيا الحوض في (النيل وتاريخ الرى في مصر)، اللجنة المصرية للرى والصرف، وزارة الأشغال العامة والموارد المائية، القاهرة ١٩٨٩.

- مياه النيل: ندوة العلاقات المصرية السودانية، مركز البحوث السياسية، كليـــة الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة ١٩٦٠.
- طرق القوافل وأثرها في انتشار الإسلام في أفريقيا، مجلة الجمعية الجغرافيـــة المصرية ١٩٩٠.
- مجلس التعاون لدول الخليج العربي، مقوماته ــ إنجازاته ــ معوقاتــه، مجلــة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٧٠ يوليو ١٩٩٣.
- جغرافية مصر السياسية: في جغرافية مصرن المجلس الأعلي للثقافة ١٩٩٤.
- دور الكشوف الجغرافية في تجارة الرقيق، المجلة الجغرافية العربيـــة، ع ٢٦، ١٩٩٤.
- حول مناهج في الجامعات العربية، مجلة الجمعية الجغرافية المصريـــة، ع ٢٨، ١٩٩٦.
- مرض الإيدز في إفريقية ــ مجلـــة الجمعيـــة الجغرافيـــة المصريـــة، ع ٣١، ١٩٩٨.
- مرض النوم في أفريقيا ــ مجلة الجمعية الجغرافية المصرية، ٢٠٠٠.
- قناة جونجلي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة/ ٢٠٠٠ نحو التكامل الاقتصـادي العربي، ملتقي الجغرافيين العرب، القاهرة نوفمبر، ٢٠٠٠.
- الموقع الجغرافي لتشاد، واثره في تكوينها العام مع الاهتمام باللغـــة والديـــن، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، ع ٢٥ يوليه/ تموز ٢٠٠١.
- دور النقل في تنشيط العمل الاقتصادي العربـــي المشـــترك، معـــهد البحـــوث والدراسات العربية (تحت الطبع).
- مصر الصناعية والكوميسا، نـــدوة الكوميســـا، معـــهد البحـــوث والدراســـات الإفريقية، مايو ٢٠٠٠.
- الاتصالات العربية الأفريقية قبل قدوم الأوربيين إلى القارة في كتاب العلاقـــات العربية الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية (تحت الطبع).

القارة السمراء

قال عنها بازل دفيدسن أنها أم وأب البشرية ، فتاريخها القديم هو تاريخ الحياة البشرية الأولى على سطح الأرض وتطورها ، فقد أصبح من المسلم به الآن وعلى نطاق واسع أنها مهد الإنسان الأول .

تنوع الإنسان فيها ، وإن غلبت على سكانها السمرة ، من ثم أطلقوا عليها القارة السمراء ، ومع ذلك عرفت اللون الشديد البياض مع الأوروبيين والوافدين ، كما عرفت اللون الأصفر مع الهنود والصينيين والجاويين ، وإن كان ما غيرها حقا أنها تضم أقدم أنواع الجنس البشرى ممثلان الأقزام والبوشمن .

هى أكثر القارات تعقيدا من الناحية اللغوية ، مابين ٨٠٠ ، ١٥٠٠ لغة ، فضلا عن اللغات الوافدة ، من ثم ظهرت لغات التفاهم المشترك كالسواحلية فى شرقيها والهوسا فى غربيها .

تتميز أفريقيه بتعايش اقتصادين مختلفين معا ، اقتصاد معيشى ، واقتصاد نقدى تبادلى ، النوع الأول فى معظمه غذائى للإستهلاك المحلى ، والثانى للتصدير .

مازالت الزراعة لها القدح المعلى إلى جانب الرعى ، فيها وحدها نحو ٤٠ % من رعاة العالم أما الصناعة فنصيبها مازال ضئيلا ، وفى معظمها خفيفة .

هى قارة الديون بامتياز زادت على ٣٠٠ مليار عام ٢٠٠٠ ، ناهيك ع الدين ، فقد تدهورت شروط التجارة بالنسبة لسلعها ، فانخفضت فاتورة الص وارتفعت فاتورة الواردات .

كان من المأمول أن تنهض دولها بعد أن خلعت رداء الاستعمار ، ولكن القبلى ، جعلها قارة الانقلابات بامتياز ، ومعظمها انقلابات حمراء يسي جوانبها الدم .

أغار عليها الأيدز فثلث المصابين بهذا المرض فى العالم أفارقة .

ورغم ذلك فالأمل كبير ، ومع انتهاء القطبية الثنائية ، واختفاء السوفيتى ، وزيادة فى النضج القومى أن يلتئم سكان الدولة الواحدة ولا يتفرقوا ، وأن تكون مصلحة الوطن غايتهم حتى لاتلتهمهم الذئاب سواء كانوا ثيران بيضاء أو سوداء .